الجزء ١ المجلد ٩

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) كانون الثاني سنة ١٩٢٩ م الموافق رجب وشعبان سنة ١٣٤٧ هـ ٩٧

التقرير الخامس

باعمال المجمع العلمي العربي

« في سنة ١٩٢٨ »

تقرير رفعه السيد محمد كرد علي وزير المعارف ورئيس المجمع العلمي العربي الى صاحب الفخامة الاستاذ الشيخ محمد تاج الدين الحسني رئيس الوزراء في دولة سورية ٠

مولاي المعظم

لم يخرج المجمع في اعماله هذه السنة عن الخطة التي سار عليها منذ اول نشأته وهي البحث في وضع المصطلحات واحياء الالفاظ العربية ، لتتناقلها الافواه والاقلام حرصاً على سلامة اللغة ، واحياءً لما في متنها من الكنوز ، والدؤوب على القاء المحاضرات لنشر الأفكار العلمية والأدبية والاقتصادية والاجتماعية ٠ وفي مجلته الشهرية صورة من هذه الأبحاث وهذه العناية ولا سيما نقد الكاتبين والشاعرين وبعض ما يؤلف من الاسفار في العالم العربي ٠

ان مجمعنا بذل جهده على قلة المال لديه حتى زاد خزانة كتبه بمخطوطاتها ومطبوعاتها زيادة مهمة ، وقد أسس دار الآثار على مثال ارتضاه العارفون من الوطنيين والأجانب وان الاحوال لم تساعده على التوسع في العمل اكثر مما وقع ، ولا بد في الاعمال الكبرى من قضاء أدوارها الطبيعية مهما حاول القائمون بها ٠

غفل أجدادنا كثيراً عن الاحتفاظ بتراث أجدادهم ، ومن جملة ما زهدوا فيه الكتب والعاديات ، فانتقلت بحكم الطبيعة الى بلاد حرص علماؤها عليها بفضل تنشيط حكوماتهم لهم . ولو كان مؤسسو دار الكتب الظاهرية فكروا في جمع آثار الشام منذ خمسين سنة اي في العهد الذي اسسوا فيه خزانة الملك الظاهر لكان متحف هذه الديار من أعظم متاحف الشرق اليوم . ومع هذا فالمأمول بعد القرار القاضي بان لا تخرج الآثار والمخطوطات الى خارج القطر الا بعد ان تنظر الحكومة فيها لتأخذ منها ما يهم البلاد الاحتفاظ به سيكون منه بعض النفع لاكمال مجاميعنا من الأسفار والآثار على ان تسمح موازنتا المجمع ودار الآثار بابتياع هذه النفائس من أصحابها فيما اذا حظرت الحكومة اخراجها .

ثم ان ٣٨٣٠ مجلداً [1] من المخطوطات العربية و١٣٣٨٤ مجلداً من المطبوعات العربية والافرنجية المحفوظة في دار الكتب الظاهرية وفي خزانة المجمع الخاصة وفي مكتبة حلب أصبحت لانني بغرض مدينتين عظيمتين كدمشق وحلب وفيهما العلماء والادباء

(١) هذا احصاء الكتب الموجودة في مكاتب المجمع العلمي ودار الكتب الظاهرية ومكتبة حلب لسنة ١٩٢٨ .

عدد المجلدات	الكتب المخطوطة	الكتب المطبوعة	
٤٠١٤	٢٨٣٣	١١٨١	قبل تأسيس المجمع العلمي
٩١١٢	٩٩٧	٨١١٥	منذ تأسيس المجمع العلمي الى نهاية عام ١٩٢٨
١٣١٢٦	٣٨٣٠	٩٢٩٦	المجموع
٩٨٤		٩٨٤	كتب المجمع العلمي العربية
١٢١٥		١٢١٥	كتب المجمع الاجنبية افرنسية انكليزية المانية
١٢١٣		١٢١٣	كتب خزانة المجمع بحلب
٦٧٦		٦٧٦	كتب الجوائز وغيرها اجنبية في لغات مختلفة
١٧٢١٤	٣٨٣٠	١٣٣٨٤	المجموع

وعدد المجلات التي يبادلها المجمع العلمي العربي ٥٥ مجلة وجريدة عربية و٣٥ اجنبية مختلفة .

والباحثون والمدارس على اختلاف أشكالها · ولذا كان من الواجب على المجمع العلمي ان يتم مجاميعه المطبوعة من الامهات المبعثرة في جميع العلوم والفنون ، ويطرد عمله في اتمام السلسلة التي كان بدأ فيها في السنين السابقة من استنساخ نوادر الكتب العربية من خزائن اوربا ومصر والاستانة وغيرها ، يجعلها المجمع رهن ارادة اعضائه وغيرهم من المشتغلين بالعلم ريثما تمكن حالة البلاد العلمية والاقتصادية من نشرها للناس ·

وكان اهل العلم في كل دور يأسفون على الفرص التي سنحت لجمع بقايا ماخلفه السلف ولكن من الاقطار العربيـة كمصر ما وفق الى تدارك الامر قبل استفحاله · ومنها ما لم يكتب له الحظ حتى اليوم لاستدراك ما فات ، ومنهـا كالشـام ما احتفظ بشيء ضئيل من ذاك المجد الاثيل · فقد قال الامام المرحوم الشيخ محمد عبده في احدى رسائله مرة ينعي على أمته داء التفريط في آثارها ·

« هل سمعت انا حفظنا شيئًا حتى غير الصور والرسوم مع شدة حاجتنا الى حفظ كثير مما كان عند أسلافنا · لو حفظنا الدراهم والدنانير التي كان يقدر بهـا نصاب الزكاة ، ولا يزال يقدر بها الى اليوم ، أفما كان يسهل علينا تقدير النصاب بالجنيهات والفرنكات ونحو ذلك ، ما دام المثال الاول موجوداً بين ايدينـا · ولو حفظ الصاع والمد وغيرهما من المكاييل ، افما كان ذلك مما ييسر لنا معرفة ما يصرف في زكاة الفطر ، وماتجب فيه الزكاة من غلات الزرع بعد تغيير المكاييل ، وما كان علينـا الا ان نقيس مكيالنا بتلك المكاييل المحفوظة فنصل الى حقيقة الامر بدون خلاف ·

« أظنك توافقني على انه لو حفظ درهم كل زمان ودينـاره ومده وصاعه ، لما وجد ذلك الخلاف الذي استمر بين الفقهاء يتوارثونه خلفاً عن سلف ، كل منهم يقدر المكيال والميزان بما لا يقدر به الآخر · ولو نظرت الى ما كان يوجب الدين علينا ان نحافظ عليه لوجدته كثيراً لا يحصى عده ، ولم نحفظ شيئًا منه فنتركه كما تركه من قبلنا ، ولكن ما نقول في الكتب وودائع العلم هل حفظناها كما كان ينبغي ان نحفظهـا او أضعناها كما لا ينبغي ان نضيعها · ضاعت كتب العلم وفارقت ديارنا نفائسه · فاذا أردت ان تبحث عن كتاب نادر او مؤلف فاخر او مصنف جليل او اثر مفيد فاذهب الى خزائن بلاد اوربا تجد فيها ذلك ·

« اما بلادنا فقلما تجد فيهـــا الا ما تركه الاوربيون ولم يحفلوا به من نفائس الكتب التاريخية والادبية والعلمية . وقد تجد بعض النسخة من كتاب في دار الكتب المصرية مثلاً ، وبعضها الآخر في دار الكتب بمدينة كمبردج في البلاد الانكليزية . ولو اردت ان أسرد اليك ما حفظوا وضيعنا من دفاتر العلم لكتبت لك كتاباً يضيع كما ضاع غيره وتجده بعد زمن في يد اوربي في فرنسا او غيرها من بلاد اوربا . نحن لا نعنى بحفظ شيء نستبقي نفعه لمن يأتي بعدنا ، ولوخطر ببال احد منا ان يترك لمن بعده شيئاً جاء ذلك الذي بعده أشد الناس كفراً بتلك النعمة ، واخذ في إضاعة ما عني السابق بحفظه له ، فليست ملكة الحفظ مما يتوارث عنـــدنا ، واما الذي يتوارث فملكات الضغائن والاحقاد تنتقل من الآباء الى الاولاد حتى تفسد العباد ، وتخرب البلاد ، و يلتقي بها اربابها على شفير جهنم يوم المعاد » اه .

كان من أعظم اماني المجمع في السنين الغابرة ان تنشأ في دمشق مدرسة عالية للآداب يتخرج فيها رجال يجمعون ادوات الثقافة العربية المتينـــة ، ويتمحضون لخدمة الادب على الطرق الجديدة في البحث ، بالمعنى الذي يفهمه الغربيون من الآداب . وها قد تمت له بفضل فخامتكم هذه الامنية منذ صدر امركم العالي بانشاء مدرسة الدروس الادبية العليا . ولا شك ان تلاميذ هذا المعهد ستكون منهم الكتلة الصـــالحة للعناية بالأبحاث الادبية والتاريخية والفلسفية ، يحسنون التأليف ويحسنون الكلام ، بل يجودون اساليب التفكير ويعرفون الطرق الموصلة الى إجادته ، ومعلوم ان من اعظم ما انتهى بوقوف حركة العلم والادب في ديارنا ، ضياع النظام في التعلم وونى الهمم في التعليم والانتـــاج . والانظار او النظريات لا تفيدنا بعد الآن كما تفيدنا العمليات . ونحن اذا لم نجر في ثقافتنا على الاصول التي جرت عليها كل أمة من أمم الغرب يستحيل ان نستعيد للعلم مكانته التي كان بلغها في بلادنا بعد الذي أحاط به علمكم الشريف من نكبات مدارس العلم وذهاب الاوقاف الا قليلاً .

لا جرم ان عنايتكم بتحقيق هذه الامنية من انشاء مدرسة الدروس الادبية ، وامركم بانشاء مدرسة عاليـــة للالهيات ايضاً تضاف كلتاهما الى الجامعة السورية ستدخل العلم العربي الاسلامي في هذه الارض الطيبة في دور جد ما كان لها منذ قرون ، وسيكون

ذلك مطبوعاً بصبغة العصر واساليبه الحديثة التي طالما تعبت رؤوس العلماء من اهل المدنية الحديثة حتى بلغوا باوضاعها العلمية هذا المبلغ الباهر من النفع الظاهر . اما انتم فتسجل لكم دمشق ، المهد الاول للعلم العربي ، هذه اليد البيضاء على الدهر بمداد من الشكر ، مكتوبة على صفحات القلوب التي تحس الجميل وتعرف للمحسن احسانه .

* * *

كانت دار الآثار من أظهر اعمال المجمع العلمي فصدر امر فخامتكم بان ترتبط بامثالها من دور الآثار في الدولة السورية بوزارة المعارف من حيث ادارتها وان تتمتع — عملاً بقرار رقم ١٣٦ بتاريخ ٨ ايار سنة ١٩٢٨ — بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي وان تحتفظ موقتاً ببنـاء المجمع العلمي الذي بقي وحده مالكه وان يكون لدار الآثار مجلس ادارة برئاسة رئيس المجمع العلمي العربي ويكون محافظ دار الآثار امين سر هذا المجلس ويكون من اعضائه مدير دار الآثار في المفوضية العليا ومستشار الفنون الاسلامية بدمشق ومستشار المعارف في دولة سورية او معاونه ورئيس ديوان وزارة المعارف وفي هذا المجلس اربعة اعضاء منتخبين اثنان عن المجمع واثنان يعينهما وزير المعارف من وجوه المدينة ومن المعروف عنهم انهم قاموا بابحاث اثرية او اظهروا اهتماماً بدار الآثار . وقـد اجتمع هذا المجلس اجتماعه الاول يوم ١٦ تموز سنة ١٩٢٨ في بهو المجمع العلمي تحت رئاسة هـذا العاجز بصفته رئيساً للمجمع العلمي العربي وكان من اعضائه المسيو و يرولو والمسيو ديلوري والمسيو راجي ومن اعضائه السيد شفيق جبري عن وزارة المعارف والامير جعفر الحسني محـافظ دار الآثار والامير مصطفى الشهابي والسيد عبد الله رعد عن المجمع العلمي والدكتور يوسف عرقنجي بك وخالد بك العظم عن الاهالي ويجتمع هذا المجلس كل ثلاثة اشهر مرة واحدة على الاقل او بدعوة من امين سره عند الاقتضاء ، ومع ما يرجى لدار الآثار من الارتقاء في اوضاعه الحاضرة فان المجمع العلمي — وهو مؤسس هذه الدار ومفخرته التي وفق الى ايجادها بثقة الامة به — يحاذر ان يفقد المتحف بعض العطف عليه كالسابق ، لان تأثيرات المجمع ذات شأن في هذا الباب . وكان الرأي ان يؤلف للمتحف مجلس ادارة كمثل هذا ، فيه الاخصائيون و يبقى ارتباطه بالمجمع مباشرة وهو ابنه يغذيه و يربيه ، فان عشر سنين مضت على تأسيسه لا تكفي حتى يبلغ هذا الوليد رشده ،

فعسي ان تجعل حكومتكم السامية هذا موضع النظر حرصاً على توفر العناية بدار الآثار ولئلا تضيع شيئاً من القوى التي تحتاجها وهي لمّا تبرح في دور الطفولة ·

* * *

دعي المجمع خلال هذه السنة الى عدة مؤتمرات دولية منها المؤتمر الخامس للعلوم المغربية العالية الذي عقد في اول شهر نيسان في مدينة رباط الفتح في الغرب الاقصى· ومنها المؤتمر الدولي للعلوم التاريخية الذي عقد في اوسلو عاصمة النروج في شهر آب · ودعي الى مؤتمر المستشرقين الدولي السابع عشر الذي عقد في مدينة اكسفورد من البلاد الانكليزية فانتدبت حكومة فخامتكم هذا العاجز واضع هذا التقرير لينوب عن دولة سورية ، وكذلك فعل المجمع فانتدبه ايضاً ليقوم بهذه المهمة · فصدعت بامر فخامتكم والقيت خطاباً بالعربية عرضت فيه لخدمة علماء المشرقيات للمدنية العربية بنشرهم آثارها القيمة ، وذكرت مصغراً من تاريخ النهضة العربية الاخيرة وطلبت في آخره الى المؤتمرين ان يقرروا عقد المؤتمر الثامن عشر في مدينة دمشق · وجرت مناقشة في الموضوع بين بعض اعضاء اللجنة والمؤتمرين ومن جملتهم مندوب مصر الذي دعا المؤتمر القادم الى ان يلتئم في القاهرة عملاً باشارة جلالة الملك فؤاد الاول ، لكن المؤتمر كان قد وعد هولاندة ان يعقد مؤتمره المقبل في بلادها فتقرر اجتماعه بعد ثلاث سنين في مدينة ليدن الهولاندية · وقد كان في المؤتمر ستة عشر عضواً من اعضاء المجمع العلمي من علماء المشرقيات وعلماء الشرق ·

ولقد فجع المجمع العلمي في هذه السنة بثلاثة من اعضائه الاب جرجس شلحت (حلب) والحكيم محمد أجمل خان (الهند) والشيخ سليم البخاري (دمشق) فطالت عليهم حسرته لخدماتهم الجلى للآداب العربية · وضم المجمع الى جملته السادة الاعلام السيد جميل العظم من دمشق والسيد عبد العزيز الميمني الراجكوتي في عليكرة من بلاد الهند والشيخ ابي عبد الله الزنجاني من فارس والسيد كرنكو من بريطانيا العظمى والسيد عبد الحي الكتاني من فاس والسيد عبد الرحمن من دلهي في الهند والسيد عبد الحق من حيدرآباد لدكن في الهند والسيد مصطفى صادق الرافعي وحافظ بك ابراهيم من مصر · ولا يزال

المجمع يفكر في ان يضم الى جملته كل من خدموا و يخدمون لغتنا عرباً كانوا او من غير ابناء العرب . وبعد هذا جريدة باسماء اعضائنا كلهم في الاقطار المختلفة .

* * *

هذا ويقيني ان العشر السنين التي أتت على المجمع فكانت دور تمرين واستقراء واستجماع قوى اذا كملت له باكمال ادوات الاشتغال على الصورة التي عرضتها لا تأتي له سنون قليلة حتى يستطيع ان يخرج للناس معجماً جيداً للغة العربية فيه معظم مصطلحات العلوم والفنون ، ومعلمة عربية اي دائرة معارف او موسوعة فيها ما في المعلمات الافرنجية من ضروب المعارف البشرية التي ابتدعها الغربيون والشرقيون والعرب منهم خاصة ، فتدخل لغتنا في طور ما كان لها في العصور التي سموها الطراز المذهب لكثرة علمائها وادبائها . وفي ذلك الفخر لحكومتكم الوطنية وللدولة المنتدبة المعظمة حامية الآداب وناشرة المعارف . وفقكم الله لى ما يعلي شأن العلم وينير العقول في حمى وطننا العزيز .

محمد كرد علي
وزير المعارف
ورئيس المجمع العلمي العربي

اعضاء المجمع العلمي

« في سنة ١٩٢٨ »

الرئيس : السيد محمد كرد علي

« الاعضاء »

	السادة :	محل الاقامة
١	الدكتور اسعد الحكيم	دمشق
٢	السيد انيس سلوم	〃
٣	السيد جميل العظم	〃
٤	السيد خليل مردم بك	〃
٥	السيد رشيد بقدونس	〃
٦	السيد سليم الجندي	〃
٧	السيد سليم عنحوري	〃
٨	السيد شفيق جبري	〃
٩	السيد عارف النكدي	〃
١٠	الشيخ عبد القادر المبارك	〃
١١	الشيخ عبد القادر المغربي	〃
١٢	الكافلمير عبد الله رعد	〃
١٣	السيد فارس الخوري	〃
١٤	الدكتور مرشد خاطر	〃
١٥	الشيخ مسعود الكواكبي	〃
١٦	الامير مصطفى الشهابي	〃
١٧	الشيخ ابراهيم منذر	بيروت
١٨	السيد امين الريحاني	〃

« الاعضاء »

	السادة :	محل الاقامة
١٩	السيد بولس الخولي	بيروت
٢٠	السيد جبر ضومط	〃
٢١	الامير شكيب أرسلان	〃
٢٢	السيد عبد الباسط فتح الله	〃
٢٣	الشيخ عبد الرحمن سلام	〃
٢٤	الشيخ عبد الله البستاني	〃
٢٥	السيد عمر الفاخوري	〃
٢٦	الدكتور فيليب حتي	〃
٢٧	الفيكونت فيليب دي طرازي	〃
٢٨	الشيخ مصطفى الغلاييني	〃
٢٩	السيد عيسى اسكندر المعلوف	زحلة
٣٠	الشيخ احمد رضا	النبطية
٣١	الشيخ سليمان ظاهر	〃
٣٢	السيد جرجي يني	طرابلس الشام
٣٣	الشيخ سليمان احمد	اللاذقية
٣٤	السيد ادوارد مرقص	〃
٣٥	الشيخ محمد زين العابدين	انطاكية
٣٦	الشيخ بدر الدين النعساني	حلب

« الاعضاء »

السادة :	محل الاقامة
٣٧ المنسنيور جرجس منش	حلب
٣٨ الشيخ راغب الطباخ	〃
٣٩ الشيخ عبد الحميد الجابري	〃
٤٠ السيد عبد الحميد الكيالي	〃
٤١ السيد قسطاكي الحمصي	〃
٤٢ الشيخ كامل الغزي	〃
٤٣ السيد ميخائيل الصقال	〃
٤٤ السيد اسعاف النشاشيبي	القدس
٤٥ السيد عبد الله مخلص	حيفا
٤٦ الشيخ سعيد الكرمي	طول كرم
٤٧ الشيخ محمد بهجة البيطار	مكة المكرمة
٤٨ الشيخ رضا الشبيبي	النجف الاشرف
٤٩ الدكتور امين المعلوف	بغداد
٥٠ الاب انستاس الكرملي	〃
٥١ السيد جميل صدقي الزهاوي	〃
٥٢ السيد عز الدين علم الدين	〃
٥٣ السيد كاظم الدجيلي	〃
٥٤ السيد معروف الرصافي	〃
٥٥ الشيخ احمد الاسكندري	القاهرة
٥٦ السيد احمد امين	〃
٥٧ احمد تيمور باشا	〃

السادة :	محل الاقامة
٥٨ السيد احمد حسن الزيات	القاهرة
٥٩ احمد زكي باشا	〃
٦٠ احمد شوقي بك	〃
٦١ الدكتور احمد عيسى	〃
٦٢ احمد لطفي السيد بك	〃
٦٣ السيد اسعد خليل داغر	〃
٦٤ حافظ ابراهيم بك	〃
٦٥ الشيخ محمد رشيد رضا	〃
٦٦ السيد عباس محمود العقاد	〃
٦٧ الشيخ محمد الخضر حسين	〃
٦٨ الدكتور نقولا فياض	الاسكندرية
٦٩ السيد مصطفى صادق الرافعي	طنطا
٧٠ السيد زكي مغامز	الاستانة
٧١ السيد حسن حسني عبدالوهاب	تونس
٧٢ الشيخ محمد بن ابي شنب	الجزائر
٧٣ السيد عبد الحي الكتاني	فاس
٧٤ السيد عبدالعزيز الميمني الراجكوتي	عليكرة (الهند)
٧٥ السيد عبدالحق	حيدرآباد الدكن 〃
٧٦ السيد عبدالرحمن	دلهي 〃
٧٧ الشيخ ابي عبدالله الزنجاني	فارس

* * *

« الاعضاء »

السادة :			محل الاقامة
٧٨	السيد مارسيه	Marçais	تونس
٧٩	〃 ماسه	Massé	الجزائر
٨٠	〃 كي	Guy	ازمير
٨١	〃 ميشو بلير	Michaux-Bellaire	طنجة
٨٢	〃 فرّان	Ferrand	باريز
٨٣	〃 دوسو	Dusraud	〃
٨٤	〃 ماسينيون	Massignon	〃
٨٥	〃 بوفا	Bouvat	〃
٨٦	〃 جويدي	Guidi	ايطاليا
٨٧	〃 نلينو	Nallino	〃
٨٨	الاب آسين	Asin	اسبانيا
٨٩	السيد لوبس	Lopès	البرتقال
٩٠	〃 مونته	Montet	سويسرا
٩١	〃 هيس	Hess	〃
٩٢	〃 سنوك هورغرنيه	Snouck-Hurgronje	هولانده
٩٣	〃 هوتسما	Houtsma	〃
٩٤	〃 اراندونك	Arendonk	〃
٩٥	〃 مرجليوث	Margoliouth	انكلترا
٩٦	〃 بفن	Bevan	〃
٩٧	〃 هومل	Hommel	المانيا
٩٨	〃 ساخاو	Sachau	〃
٩	〃 بروكلمن	Brockelmann	〃
١٠	〃 هوروفيتز	Horovitz	〃

« الاعضاء »

السادة :		محل الاقامة
١٠١ السيد هرزفلد	Herzfeld	المانيا
١٠٢ « هارتمان	Hartmann	«
١٠٣ « ميتفوخ	Mittwoch	«
١٠٤ « سترستن	Zetterstéen	السويد
١٠٥ « اوستروب	Œstrup	الدانيمارك
١٠٦ « بول	Buhl	«
١٠٧ « پدرسن	Pedersen	«
١٠٨ « موجيك	Mzik	النمسا
١٠٩ « ماهلر	Mahler	المجر
١٠٠ « كوفالسكي	Kowalski	بولونيا
١١١ « كراشقوفسكي	Kratchkovsky	روسيا
١١٢ « موزل	Musil	تشكيوسلوفاكيا
١١٣ « ماكدونالد	Macdonald	اميركا
١١٤ « كرسيكو	Karsikko	فنلاندا

اعضاء المجمع الراحلون

١ الشيخ طاهر الجزائري في دمشق
٢ السيد نخلة زريق في القدس
٣ السيد اغناطيوس غولدصهير في بودابست
٤ السيد مرتين هارتمان في برلين
٥ السيد رينه باسه في الجزائر
٦ احمد كمال باشا في القاهرة
٧ السيد مصطفى لطفي المنفلوطي في القاهرة
٨ الدكتور يعقوب صروف في القاهرة
٩ السيد اوجنيو غريفيني في القاهرة
١٠ السيد رفيق العظم في القاهرة
١١ السيد محمود شكري الالوسي في بغداد
١٢ السيد حسن بيهم في بيروت
١٣ الاب لويس شيخو في بيروت
١٤ الدكتور صالح قنباز في حماة
١٥ السيد مالنجو في دمشق
١٦ السيد الياس القدسي في دمشق
١٧ السيد براون في كمبريدج
١٨ السيد كليمان هوار في باريز
١٩ الاب جرجس شلحت في حلب
٢٠ الحكيم محمد أجمل خان في الهند
٢١ الشيخ سليم البخاري في دمشق

المتبرعون للمجمع العلمي
« بمال او آثار او كتب مخطوطة او مطبوعة »

« أ »

السيد ابراهيم اطفيش	مصر
ابو كامل المعلم	دمشق
السيد ابراهيم زيدان	مصر
احمد تيمور باشا	«
احمد شوقي بك	«
احمد اغا الخانجي	دمشق
السيد احمد الطويل	«
الدكتور احمد عيسى بك	مصر
السيد احمد امين الديك	«
الشيخ احمد الاسكندري	«
الشيخ احمد فهمي العطار	دمشق
احمد زكي باشا	مصر
الشيخ احمد عارف الزين	صيدا
الامير احمد مختار الجزائري	دمشق
الشيخ احمد رضا	النبطية

احمد عزت باشا العابد	دمشق
السيد اديب البهنسي	〃
اديب مصري	مصر
ادارة المسرة	جونيه
السيد ارنست هرزفلد	المانيا
〃 اسكندر الخوري البيتجالي	القدس
〃 اسعاف النشاشيبي	〃
〃 اسعد خليل داغر	مصر
اكاديمية لينچاي الملكية	رومية
السيد الياس انطون الياس	مصر
〃 امين الدالاتي	دمشق
〃 امين هندية	مصر
〃 امين زيدان	〃
امير البحرين	البحرين
« ب »	
السيد براون	كمبريج
البعثة الافرنسية	دمشق
السيد بدر الدين الشركسي	قنيطرة
〃 بشارة الاصفر	دمشق
〃 بفن	كمبريج
الشيخ محمد بهجة الاثري	بغداد
السيد بهاء الدين الجابي	دمشق
بلدية دمشق	
بلدية حمص	
« ت »	
السيد توفيق شامية	دمشق
الشيخ توفيق المنيني	〃
« ج »	
جامعة سيام	
جامعة ليون	
جامعة بوردو	
جامعة ستراسبورغ	
الجامعة المصرية	
جرجي بك رزق الله	بيروت
الامير جعفر الحسني	دمشق
السيد جميل الكواكبي	〃
الجمعية الآسياوية	باريز
السيد جينادري	دمشق
« ح »	
السيد حافظ زكية	حمص
لدكتور حبيب فشيشو	دمشق
الدكتور حسن رعد	طرابلس الشام
السيد حسن حسني عبدالوهاب	تونس
〃 السيد حسام الدين الكزبري	دمشق
حمدي بك النصر	〃
حمدي بك الجلاد	〃
السيد حمدي الكيلاني	〃
الشيخ حمدي الحابي	〃

* * *

« خ »	
الامير خالد الحسني الجزائري	دمشق
خالد بك الخاني	«
خالد بك العظم	«
السيد خالد معاذ	مصر
« خالد يحيى	طرابلس الشام
خزانة كتب الامة	برلين
السيد خورشيد الشركسي	دمشق
خليل بك مردم بك	«
السيد خير الدين الزركلي	القاهرة
« د »	
دار الكتب المصرية	
السيد داود صدقي الماردبني	دمشق
السيد درويش الدهان	«
« ديمتريوس قاضي	«
« ر »	
المسيو راجي	«
السيد رسلان البلموط	«
رفيق بك العظم	مصر
السيد رضا الجوخدار	دمشق
« رضا الشربجي	«
رؤف بك الايوبي	«
« ز »	
زكي بك مغامز	الاستانة
السيد زعل الدغيم	خسفين

« س »	
سامي بك البكري	دمشق
الامير سعيد الحسني الجزائري	«
الشيخ سعيد الرافعي	مصر
الشيخ سليم البخاري	دمشق
سليم بك عنحوري	«
السنيور سبرانزا	«
سليمان صالح الاكتع	«
« ش »	
السيد شفيق الحسيني	حمص
« ص »	
السيد صالح القشطوني	دمشق
الدكتور صالح شوري	«
السيد صادق العطار	«
« صبحي الطباع	«
« صبري اديب الكاشف	«
« صدقي نور الله	جبلة
صفوح بك المؤيد	دمشق
« ط »	
الشيخ طاهر الجزائري	«
الامير طاهر الحسني الجزائري	«
طلعت بك حرب	مصر
« ع »	
الشيخ ابي عبدالله الزنجاني	ايران
« عبد المعطي السقا	مصر

عبد القادر بك العظم	دمشق
عبد الرحمن بك اليوسف	»
الشيخ عبد القادر المغربي	»
» عبد الواسع اليماني	مصر
عبد الله بك الاستاذ	دمشق
السيد عبد الجواد الحسيني	حمص
عثمان بك العظم	دمشق
عزت احمد بك العظم	»
السيد عزالدين علم الدين	بغداد
عطاء الله بك الايوبي	دمشق
البرنس عمر طوسون باشا	مصر
السيد عمر الخشاب	مصر
» عين الملك خان	دمشق
» عيسى البابي الحلبي	مصر
» عيسى اسكندر المعلوف	زحلة
» عبده خير الله	دمشق
« غ »	
» غريغور بوس حداد	دمشق
« ف »	
» فارس قمحة	»
الامير فاعور الفاعور	القنيطرة
فائز بك العظم	دمشق
فخري بك آل جميل	بغداد
فخري بك البارودي	دمشق
الشيخ فرج الله زكي الكردي	مصر

السيدان فريد ونديم الغزي	دمشق
فريد بك العمري	»
السيد فؤاد الفرا	»
» فهمي ابو	»
جلالة ملك فيصل الاول مليك العراق	بغداد
« ق »	
القومندان بورجوا	حمص
« ك »	
الامير كاظم الحسني الجزائري	دمشق
السادة كالمان ليفي الكتبيون	باريز
« ل »	
لجنة التأليف والترجمة والنشر	مصر
« م »	
الماريشال ليوتي	باريز
مأمون بك المؤيد	دمشق
مجلس النواب المصري	مصر
مجلس النواب الافرنسي	باريز
محمد باشا العصيمي	دمشق
السيد محب الدين الخطيب	مصر
» محيي الدين رضا	»
الشيخ محمد الخضري	»
السيد محمد جمال	بيروت
» محيي الدين الازهري	النبطية

الامير محمد نجل الشيخ عيسى آل خليفة شقيق امير البحرين	البحرين
السيد محمد ابراهيم الباكر	البحرين
» محمد عبد الواحد الطوبي	مصر
» محيي الدين الكردي	»
» محمد فائز السفرجلاني	دمشق
» محمد حاجي قولي	حلب
» محمد علي الحلبي	دمشق
» محمد الحمصي	»
» محمد شفيق السيوفي	»
» محمود شغلول	»
» محمد خير الجوخدار	»
» محمد ابو قورة	»
الشيخ محمد رشيد رضا	مصر
السيد محمد هراوي	»
مدرسة اللغات الشرقية	باريز
السيدة مريام هاري	»
مرعي باشا الملاح	حلب
الشيخ مسعود الكواكبي	دمشق
الامير مصطفى الشهابي	»
السيد مصطفى محمد	مصر
» مصطفى البابي	»
المطبعة الاميركية	بيروت
مكتبة الخانجي	مصر
مكتبة سان باولو	البرازيل

السيد ممدوح هنانو	حلب
» منير البرازي	حماة
» منير الدمشقي	مصر
منيف بك اليوسف	دمشق
السيدان مهدي وعبده مرتضى	»
السيد ميخائيل نجاش	لبنان
» ميخائيل فغالي	بوردو
المسيو ميليا	باريز
الامير ميرزا مصطفى	سلمية
« ن »	
السيد نجيب متري	مصر
» نعيم عرابي	دمشق
« هـ »	
المسيو هنري دي جوفنيل	باريز
« و »	
وزارة الاشغال	مصر
وزارة الاشغال	باريز
وزارة المالية	دمشق
وزارة الزراعة	»
وزارة الاوقاف	مصر
وزارة الزراعة	»
وزارة المعارف والفنون	باريز
وزارة المعارف	مصر
« ي »	
السيد يحيى الصواف	دمشق

الدكتور يعقوب صروف	مصر	السيد يوسف ابراهيم	جبلة
البرنس يوسف كمال	〃	〃 يوسف السبع	دمشق
السيد يوسف توما البستاني	〃	〃 يوسف امين شدياق	لبنان

محاضرات المجمع

جريدة اسماء المحاضرات والمحاضرين منذ انتظم شأن المجمع وذلك ما عدا حفلات التكريم وحفلات المراثي التي أقامها المجمع لبعض اعضائه وغيرهم :

—« سنة ١٩٢١ »—

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	«تاريخ القاء المحاضرة»
طرفة ابن العبد (ادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	١٧ نيسان ١٩٢١
الحسبة في الاسلام (اجتماع)	السيد محمد كرد علي	١٣ حزيران 〃
احياء اللغة العربية (ادب)	〃 متري قندلفت	٢٢ منه
الملاريا وكيفية الوقاية منها (صحة)	الدكتور مرشد خاطر	١ تموز ١٩٢١
الشعر وتأثيره في الاخلاق (اجتماع وادب)	الشيخ عبد الرحمن سلام	١٤ منه
العلم (اجتماع)	السيد انيس سلوم	١٩ منه
القضاء في الاسلام (ادب وفقه)	〃 عارف النكدي	٢٤ منه
الجباية في الاسلام (اجتماع)	〃 محمد كرد علي	٣١ منه
أحيحة ابن الجلاح (ادب وتاريخ)	الشيخ عبد القادر المغربي	١٠ ايلول
الحقوق المدنية في الشرق (قانون)	〃 سعيد مراد الغزي	١٣ تشرين الاول
العلم بالعمل (اجتماع)	السيد انيس سلوم	٢٤ منه
صناعة الانشاء العربي (ادب)	الشيخ سعيد الكرمي	١ كانون الاول

—« سنة ١٩٢٢ »—

الاخلاق والاجتماع (اجتماع)	الشيخ عبد القادر المبارك	٦ تشرين الاول
كيف تحقق الآثار التاريخية (تاريخ)	السيد عيسى اسكندر المعلوف	١٣ منه

الدكتور يعقوب صروف	مصر	السيد يوسف ابراهيم	جبلة
البرنس يوسف كمال	«	« يوسف السبع	دمشق
السيد يوسف توما البستاني	«	« يوسف امين شدياق	لبنان

محاضرات المجمع

جريدة اسماء المحاضرات والمحاضرين منذ انتظم شأن المجمع وذلك ما عدا حفلات التكريم وحفلات المراثي التي أقامها المجمع لبعض اعضائه وغيرهم :

—« سنة ١٩٢١ »—

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	«تاريخ القاء المحاضرة»
طرفة ابن العبد (ادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	١٧ نيسان ١٩٢١
الحسبة في الاسلام (اجتماع)	السيد محمد كرد علي	١٣ حزيران «
احياء اللغة العربية (ادب)	« متري قندلفت	٢٢ منه
الملاريا وكيفية الوقاية منها (صحة)	الدكتور مرشد خاطر	١ تموز ١٩٢١
الشعر وتأثيره في الاخلاق (اجتماع وادب)	الشيخ عبد الرحمن سلام	١٤ منه
العلم (اجتماع)	السيد انيس سلوم	١٩ منه
القضاء في الاسلام (ادب وفقه)	« عارف النكدي	٢٤ منه
الجباية في الاسلام (اجتماع)	« محمد كرد علي	٣١ منه
أحيحة ابن الجلاح (ادب وتاريخ)	الشيخ عبد القادر المغربي	١٠ ايلول
الحقوق المدنية في الشرق (قانون)	« سعيد مراد الغزي	١٣ تشرين الاول
العلم بالعمل (اجتماع)	السيد انيس سلوم	٢٤ منه
صناعة الانشاء العربي (ادب)	الشيخ سعيد الكرمي	١ كانون الاول

—« سنة ١٩٢٢ »—

الاخلاق والاجتماع (اجتماع)	الشيخ عبد القادر المبارك	٦ تشرين الاول
كيف تحقق الآثار التاريخية (تاريخ)	السيد عيسى اسكندر المعلوف	١٣ منه

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	«تاريخ القاء المحاضرة»
طُرفة أدب من آداب العرب (ادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	٢٠ منه ١٩٢٢
الكتب والمطالعة (اجتماع)	السيد انيس سلوم	٢٧ منه
الشعر او حرفة الادب (ادب)	الشيخ عبد الرحمن سلام	٨ تشرين الثاني
اصول الاتحاد (حقوق)	السيد فارس الخوري	١٧ منه
الاخلاق والحقوق الدولية (حقوق)	« فوزي الغزي	٢٣ منه
المرأة في ادوارها التاريخية (تاريخ واجتماع)	الشيخ سعيد مراد الغزي	١ كانون الاول
« « «	« « للسيدات	٤ منه
خلاصة اعمال المجمع منذ نشأته	السيد محمد كرد علي	٧ منه
صفحة من تاريخنا الاجتماعي (اجتماع وتاريخ)	الشيخ عبد القادر المغربي	١٥ منه
الصناعات الدمشقية القديمة (تاريخ)	السيد عيسى اسكندر المعلوف	٢٢ منه
مصانع الشام وهندستها (تاريخ)	« محمد كرد علي	٢٩ منه
فن الطب والصيدلة في فرنسا (طب)	الدكتور شارل	٣١ منه
	— « سنة ١٩٢٣ » —	
الحركة الدائمة (طبيعيات)	السيد عبد الله رعد	١٢ كانون الثاني
من لا يكرم نفسه لا يكرم (اخلاق)	« انيس سلوم	١٩ منه
محاضرة اخلاقية (اخلاق)	الشيخ محيي الدين الخاني للسيدات	٢٧ منه
هواء المدن (صحة)	الدكتور مرشد خاطر	٥ شباط
تاريخ العلم في الشام (تاريخ)	السيد محمد كرد علي	٩ منه
القدوة بالصحابيات من خير الاعمال الصالحات (اخلاق)	الشيخ عبد القادر المغربي للسيدات	١٦ منه
مخطوط تاريخي دمشقي (ادب)	« « « للرجال	١٦ منه
الصناعات والواجبات (اقتصاد)	السيدة مسرة ادلبي (للسيدات)	٠٠ منه
التراسل بحمام الزاجل (تاريخ)	السيد عيسى اسكندر المعلوف	٢٣ منه
لكل امريء من دهره ما تعودا (اخلاق)	« انيس سلوم	٢ آذار

« عنوان المحاضرة »		« اسم المحاضر »	«تاريخ القاء المحاضرة»
الصدق في القول والعمل	(اخلاق)	الشيخ عبد الله العلمي (للسيدات)	٢ آذار ١٩٢٣
تأثير الطرق في هواء المدن	(صحة)	الدكتور مرشد خاطر	٩ منه
العلم في سورية في القرون الاخيرة	(تاريخ)	السيد محمد كرد علي	١٦ منه
نبأ عجب من أنباء العرب	(ادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	٢٤ منه
تاريخ الطب عند العرب	(تاريخ)	الدكتور اسعد الحكيم	٣٠ آذار
« «	(تتمة)	« «	٦ نيسان
تتمة القضاء في الاسلام	(فقه وتاريخ)	السيد عارف النكدي	١٣ منه
خديجة والاسلام		الشيخ عبد القادر المغربي للسيدات	»
الطب العربي	(تاريخ)	الدكتور اسعد الحكيم	٢٠ منه
وصف آثار تاريخية في متحفنا الوطني	(تاريخ)	السيد عيسى اسكندر المعلوف	٢١ منه
اثنا عشر كوكب	(تاريخ وادب)	الشيخ عبد القادر المغربي للسيدات	٢٧ منه
سكان الشام ولغاتهم	(تاريخ)	السيد محمد كرد علي	٣ ايار
عائشة الباعونية	(تاريخ وادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	١٠ منه
بين العرب والروم في الشام	(تاريخ)	السيد محمد كرد علي	٢ حزيران
تعزيز اللغة العربية	(ادب)	« انيس سلوم	٨ منه
آداب المرأة	(اخلاق)	الشيخ خالد النقشبندي	٨ منه
حياة شيخ الاسلام ابن تيمية	(تاريخ وفقه)	« بهجة البيطار	١٥ منه
صفحة من تاريخ بني أمية	(تاريخ)	السيد محمد كرد علي	٢٢ منه
السيد الفيومي	(اجتماع)	الشيخ عبد القادر المغربي للسيدات	٢٣ منه
الالعاب الاولمبية والرياضة البدنية	«	السيد عيسى اسكندر المعلوف	٢٩ منه
فصحاء الاعراب	(تاريخ وادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	٦ تموز
الارادة القوية	(اخلاق)	السيد انيس سلوم	١٤ منه
آخر عهد الحكم العربي في بلاد الشام	(تاريخ)	السيد محمد كرد علي	٣ آب

«عنوان المحاضرة»	«اسم المحاضر»	«تاريخ القاء المحاضرة»
فصحاء الاعراب (ادب)	الشيخ عبد القادر المغربي للسيدات	٦ آب ١٩٢٣
آخر عهد الحكم العربي في بلاد الشام (أئمة)	السيد محمد كرد علي	١٠ منه
سو يسرا في افريقية او بلاد النجاشي (تاريخ)	〃 عبد الله رعد	١٧ منه
محاسن ما شاهدت في طوافي حول الارض (رحلة واجتماع)	السيد حنا خباز	٢٤ منه
اللغة العربية العامية ومنزلتها من الفصحى (ادب ولغة)	〃 الياس القدسي	٣١ منه
الكرم وتأثيره في عالم الاجتماع (اخلاق)	〃 سليم عنحوري	٧ ايلول
سائح يصف العالم الاسلامي (رحلة)	الشيخ عبد القادر المغربي	١٤ منه
إعراس الخليفة المأمون ببوران بنت الحسن (ادب)	السيد قسطاكي حمصي	٢١ منه
الراديوم (فن)	الدكتور فيليب بركات	٢٨ منه
الحرية الشخصية (حقوق)	الدكتور احسان الشريف	٥ تشرين الاول
اليابان وزلازلها (تاريخ وجغرافية)	السيد اديب التقي	١٢ منه
عمل الذهب بالطريقة الصناعية (فن)	السيد عبد الوهاب القنواتي	٢٦ منه
صيارفة الشام منذ مائة عام (تاريخ)	الشيخ عبد القادر المغربي للرجال	٩ تشرين الثاني
شهداء النساء في نشأة الاسلام	〃 〃 〃 〃 للنساء	٧ كانون الاول

—« سنة ١٩٢٤ »—

آثار شرقي الاردن وموجز من تاريخه وجغرافيته	السيد اديب وهبة	٤ كانون الثاني
وفي ختام الحفلة قصيدة	〃 حليم دموس	
الزلازل في سورية (تاريخ)	〃 عيسى اسكندر المعلوف	١١ منه
الاولاد وتربيتهن (اجتماع)	الشيخ عبد القادر المغربي للسيدات	١١ منه
آثار شرقي الاردن (الجزء الثاني)	السيد اديب وهبة	١٨ منه

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	«تاريخ القاء المحاضرة»
الحياة السعيدة (اخلاق)	السيد انيس سلوم للسيدات	١٨ منه ١٩٢٤
عهد بني ايوب في الشام (تاريخ)	« محمد كرد علي	٢٤ منه
درس في التعليم والتأديب (اخلاق وتربية)	الشيخ احمد النويلاتي للسيدات	٢٥ منه
عثرات الافهام (ادب)	« عبد القادر المغربي	١ شباط
البنت في البيت والمدرسة والعالم (اخلاق واجتماع)	السيد عيسى اسكندر المعلوف (للسيدات)	١ منه
في الاخلاق والآداب (ادب)	الشيخ عبد القادر المغربي للسيدات	٧ منه
التعاون والتحاب (اجتماع)	« « « «	١٤ منه
مزايا الشعر الاندلسي (ادب)	السيد عيسى اسكندر المعلوف	٢٢ منه
الحياة الاجتماعية (اخلاق)	« انيس سلوم للسيدات	١٥ منه
تتمة محاضرة آثار شرقي الاردن	« اديب وهبة	
دولة المماليك البحرية في الشام (تاريخ)	« محمد كرد علي	١٥ منه
تتمة مزايا الشعر الاندلسي (ادب)	« عيسى اسكندر المعلوف	٢٢ منه
واجبات المرأة في الهيأة الاجتماعية (اجتماع واخلاق)	الشيخ احمد النويلاتي للسيدات	»
كلمة في تربية الطفل الاولية (تربية)	السيدة مسرة ادلبي	«
الزوجة في البيت والعالم (اخلاق واجتماع)	السيد عيسى اسكندر المعلوف «	٢٩ منه
محاضرة اجتماعية (اجتماع)	« حنا خباز	« «
الصحة والتداوي (ادب)	الشيخ عبد القادر المغربي «	٧ آذار
عهد الجراكسة والمماليك ووقائع التتار القدماء في الشام (تاريخ)	السيد محمد كرد علي للرجال	« «
عهد تيمورلنك في الشام «	« « «	١٤ منه
الترتيب (اجتماع)	« انيس سلوم للسيدات	« «
تسامح الاسلام (اخلاق)	الشيخ احمد النويلاتي «	٢١ منه

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	«تاريخ القاء المحاضرة»
كلمة اجتماعية (اجتماع)	كريمة السيد مصباح محرم للسيدات	٢١ آذار ١٩٢٤
فنون الشعر الاندلسي كالموشحات والازجال (ادب)	السيد عيسى اسكندر المعلوف	〃 〃
عهد المماليك الشراكسة الى ظهور العثمانيين (تاريخ)	〃 محمد كرد علي	٤ نيسان
الادارة الملكية في الحكومات العربية الاسلامية (حقوق وتاريخ)	〃 شاكر الحنبلي	١١ منه
كتاب اخبار الحمقى والمغفلين (ادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	١٩ منه
وفي ختام الحفلة قصيدة (ادب)	السيد جميل صدقي الزهاوي	〃 〃
عهد الدولة العثمانية في الشام من ٩٢٢ هـ الى ١٠٠٠ هـ (تاريخ)	〃 محمد كرد علي	٢٤ منه
الشجاعة (اخلاق)	〃 انيس سلوم	٢ ايار
ديون الدولة العامة (مالية)	〃 فارس الخوري	١٦ منه
كيفية ارضاع الطفل وتربيته الاولية (تربية وصحة)	السيدة مسرة ادلبي للسيدات	٢٣ منه
تاريخ بلاد الشام في القرن الحادي عشر (تاريخ)	السيد محمد كرد علي	〃 〃
بشار بن برد (ادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	٣٠ منه
قصيدة في عمل بني أمية (اجتماع)	السيد محمد سليمان الاحمد (بدوي الجبل)	〃 〃
الام في البيت والمدرسة (تربية)	〃 عيسى اسكندر المعلوف للسيدات	٣٠ منه
عائشة رضي الله عنها (تاريخ واخلاق)	الشيخ احمد النويلاتي للسيدات	٦ حزيران
ذم التقليد او البدع (اخلاق)	كريمة السيد شاكر الحنبلي 〃	〃 〃

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	« تاريخ القاء المحاضرة »
صفحة اجتماعية (ادب)	الشيخ عبد القادر المبارك	٦ حزيران ١٩٢٤
تأثير الشعر الاندلسي في الشعر الغربي (ادب)	السيد عيسى اسكندر المعلوف	
تتمة ديون الدول العامة (مالية)	« فارس الخوري	١٣ منه
تأثير الشعر الاندلسي في الشعر الاوربي (ادب)	السيد عيسى اسكندر المعلوف	٢٠ منه
حقوق المرأة في الاسلام (اجتماع وفقه)	الشيخ عبد القادر المغربي للسيدات	» »
الاعتدال (اخلاق)	السيد انيس سلوم	٢٧ منه
الشام في القرن الثاني عشر (تاريخ)	« محمد كرد علي	٣ تشرين الاول
اقدم سكان سورية بشهادة الآثار «	« عيسى اسكندر المعلوف	١٧ منه
الغيبة والنميمة (اخلاق)	الشيخ عبد القادر المغربي للسيدات	٢٤ منه
خواطر سائح (اجتماع)	الدكتور محجوب ثابت	٢٧ منه
الاخلاق العامة في تطور الامم (اجتماع وتاريخ)	« اسعد الحكيم	١٤ تشرين الثاني
الاخلاق عند العرب «	الشيخ بهجة البيطار للسيدات	» »
تبدل الحياة البيتية في الشرق الاقصى (اجتماع)	للسيدة فروسين درويك الاميركية تعريب الآنسة ماري عجمي للسيدات	٢١ منه
الاصطياف في ربوع سورية «	السيد عبد الله رعد	٢٨ منه
خذ من اخلاقهم (اي العرب) من امثالهم (اخلاق وادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	١٢ كانون الاول
واجبات المرأة في الهيأة الاجتماعية (اجتماع)	السيدة روز شحفة للسيدات	١٩ منه
خطاب حفلة المجمع السنوية	السيد محمد كرد علي	٢٦ منه
وفي ختام الحفلة خطاب	للسيد انيس سلوم	
الحبشية والعربية (ادب)	« عبد الله رعد	

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	«تاريخ القاء المحاضرة»
موضوع اقتصادي اخلاقي	الشيخ خالد النقشبندي للسيدات	١٩٢٤

—« سنة ١٩٢٥ »—

الجامعة السورية وكلية الالآهيات (اجتماع)	الشيخ بهجة البيطار	٠٩ كانون الثاني
ظاهر العمر واحمد باشا الجزار (تاريخ)	السيد محمد كرد علي	١٦ منه
حوادث اوائل القرن الثاني عشر 〃	〃 〃 〃	٢٣ منه
وقائع الجزار 〃	〃 〃 〃	٣٠ منه
عهد ابراهيم باشا المصري 〃	〃 〃 〃	٦ شباط
الحالة الاجتماعية في الشام من خروج المصريين الى سنة ١٣٠٠ (تاريخ)	〃 〃 〃	٣ منه
كيف نطيب الحياة الزوجية (اجتماع)	السيدة مسرة ادلبي للسيدات	٢٧ منه
المرأة وواجباتها الوطنية والزوجية 〃	〃 سارة خطيب 〃	١٣ آذار
التجارة القديمة عند الامم (تاريخ)	السيد عيسى اسكندر المعلوف	٢٠ منه
الفنون الجميلة (ادب وتاريخ)	〃 محمد كرد علي	٣ نيسان
امثال العرب (ادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	٦ «
اسباب الفقر وعلاجه (اقتصاد واخلاق)	السيد انيس سلوم	٩ «
تتمة اسباب الفقر وعلاجه	〃 〃	١٧ «
مناظرة عالمين في مجلس المأمون (تاريخ ودين)	الشيخ عبد القادر المغربي	٢٨ «
درس اقتصادي (اقتصاد)	السيدة روز شحفة للسيدات	٠٠ «
بلاغة الجاحظ (ادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	٨ ايار
اخلاق المرأة (اخلاق واجتماع)	السيدة مسرة ادلبي للسيدات	١٥ «
الجيوش البرية والبحرية (ادب وتاريخ)	السيد محمد كرد علي	٢٢ «
موضوع اقتصادي (اقتصاد)	السيدة سارة خطيب للسيدات	٢٩ «
صناعة الانتقاد عند العرب (ادب)	السيد عيسى اسكندر المعلوف	٥ حزيران
سياحة الى بغداد (رحلة)	〃 〃	١٩ منه

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	«تاريخ القاء المحاضرة»
شعراء الشام في القرن الثالث (ادب)	السيد خليل مردم بك	٢٤ حزيران ١٩٢٥
آلات الطب والجراحة والكحالة عند العرب (طب)	الدكتور احمد عيسى	
—« سنة ١٩٢٦ »—		
— فترة في المحاضرات بمناسبة حوادث الشام الاخيرة —		
سهل بن هارون في عهد الرشيد والمأمون (ادب)	السيد محمد كرد علي	٣ كانون الاول
تاريخ الزراعة في بلاد العالم العربي	الامير مصطفى الشهابي	١٧ منه
اليابان هل يعرفها العرب وبماذا كانوا يسمونها (جغرافية وتاريخ)	الشيخ عبد القادر المغربي	٣١ منه
—« سنة ١٩٢٧ »—		
جزائر اليابان أهي واق الواق ؟ (تاريخ وجغرافية)	〃 〃 〃	١٤ كانون الثاني
كلمة عن اناتول فرانس (ادب)	السيد شفيق جبري	٢١ منه
ابو حيان التوحيدي 〃	〃 محمد كرد علي	١٨ شباط
الزواج الشرعي (فقه واجتماع)	〃 محمد علي ظبيان للسيدات	٢٥ منه
〃 〃	〃 〃 〃 للرجال	
بحث في اسفار التوحيدي (ادب)	〃 محمد كرد علي	
البلاغة سبيل الوزارة وعمرو بن مسعدة وعصره الزاهي (ادب)	〃 〃 〃	١١ آذار
رحلة الى حلب والشام منذ مئتي عام (تاريخ وادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	١٨ منه
الكتب والمكاتب في الشام 〃	السيد محمد كرد علي	
تركة السلف وتفريط الخلف 〃	〃 〃 〃	٨ نيسان

« عنوان المحاضرة »	« اسم المحاضر »	«تاريخ القاء المحاضرة»
فضل علماء المشرقيات على الحضارة العربية	السيد محمد كرد علي	٢٥ آذار ١٩٢٧
عمر بن عبد العزيز (تاريخ واجتماع)	« عارف النكدي	٢٢ نيسان
تتمة محاضرة عمر بن عبد العزيز	« عارف النكدي	١٣ ايار
موضوع اخلاقي ادبي (ادب)	السيدة خيرية رئيس للسيدات	٢١ منه
حمانا الله من الجهل (اجتماع)	الشيخ عبد القادر المغربي «	٢٣ حزيران
درس في الهجرة النبوية (تاريخ واخلاق) «	« « «	٣ تموز
الطب العربي في الشام (تاريخ)	الدكتور اسعد الحكيم	٧ تشرين الاول
السوريون في البرازيل (تاريخ واقتصاد)	السيد موسى كريم	١٩ منه
الاوقاف وماضيها ومستقبلها (اجتماع وتاريخ)	« محمد كرد علي	٢٨ منه
المرأة العراقية (اخلاق)	« جميل بيهم	١١ تشرين الثاني
محاضرة في اللغة (ادب)	الشيخ ابراهيم المنذر	١٨ منه
اديرة الشام وكنائسها (تاريخ وادب)	السيد محمد كرد علي	٢٦ منه
حياة اللغة العربية (ادب)	الدكتور مرشد خاطر	٢ كانون الاول
كيف يستفاد من التاريخ بمناسبة ادبار الشام (ادب وتاريخ)	السيد محمد كرد علي	٩ منه
ابن خلدون في المدرسة العادلية الكبرى (تاريخ وادب واجتماع)	الشيخ عبد القادر المغربي	١٦ منه
تتمة ابن خلدون في المدرسة العادلية الكبرى	« « «	٢٣ منه

—« سنة ١٩٢٨ »—

بحيرة سانا اومعضلة النيل (تاريخية)	السيد عبدالله رعد	١ كانون الثاني

«عنوان المحاضرة»	«اسم المحاضر»	«تاريخ القاء المحاضرة»
تقرير باعمال المجمع العلمي خلال السنين الثلاث الماضية	السيد محمد كرد علي	١٣ منه ١٩٢٨
تعاليم العلامة الشيخ طاهر الجزائري وحياته وعبقريته (ادب وتاريخ)	» » »	٢٠ منه
حياة العلامة الشيخ طاهر الجزائري العلمية وآثاره ومؤلفاته (ادب وتاريخ)	» » »	٢٦ منه
أهم ادوائنا الاقتصادية (اقتصاد)	الامير مصطفى الشهابي	٣ شباط
شاعر النيل حافظ ابراهيم وشعره الاجتماعي (ادب)	السيد محمد كرد علي	١٠ منه
حياة الالفاظ (ادب)	» شفيق جبري	١٧ منه
دمشق في المرآتين (تاريخ وادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	٢٤ منه
تتمة دمشق في المرآتين	« « «	٢ آذار
بين دمشق وطهران (رحلة ووصف الشعوب)	السيد فخري البارودي	٩ منه
تتمة بين دمشق وطهران	» » »	١٦ منه
محاضرة طبية في الخصاء (طب وتاريخ)	الدكتور يوسف عرقتنجي	٦ نيسان
مناظرة العلماء في مجالس الخلفاء والامراء (علم وتاريخ وادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	١٣ منه
امثال العرب مرآة اخلاقهم (لغة وادب)	» » »	٢٠ منه
علم الروحانيات الحديث (فلسفة وعلم الروح)	» مأمون الارزنجاني	١١ ايار
مضار الخمور (ادب واجتماع)	» عبد القادر المغربي للسيدات	٢١ حزيران
بين الشرق والغرب (وصف الشعوب)	السيد محمد كرد علي	٢٦ تشرين اول
الفرق بين التربيتين الشرقية والغربية	» » » للسيدات	٢ تشرين الثاني
وليمة ابن واسانه (تاريخ وادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	»

« عنوان المحاضرة »		« اسم المحاضر »	« تاريخ القاء المحاضرة »
تتمة وليمة ابن واسانه	(تاريخ وادب)	الشيخ عبد القادر المغربي	٩ تشرين الثاني
المرأة في امثال العرب	«	« « « للسيدات	٩ منه
أهم ادوائنا الاقتصادية	(اقتصاد)	الامير مصطفى الشهابي	١٥ منه
جوامعنا ومساجدنا	(تاريخ)	السيد محمد كرد علي	٣٠ منه
مدارسنا القديمة والحديثة	«	« « «	٧ كانون الاول
عبد الحميد الكاتب	(ادب)	« « «	١٤ منه
تحليل حياة عبد الحميد الكاتب من رسائله	(ادب)	« « «	٢١ منه

آراء الصحف والمفكرين

في المجمع العلمي العربي

قالت جريدة (الاوربان) التي تصدر في بيروت : لم يخطئ الافرنسيون بحمايتهم حياة المجمع العلمي العربي . لقد جاءت فرنسا الى سورية لتضمن تحرير سكانها العرب جنساً ولغةً وعوائد . فمن واجب فرنسا تحقيق ذلك اولاً ثم تأييد هذا المعهد الذي قدر له ان « يكون ينبوع حياة لكل ماهو عربي » .

قام اليوم المجمع العلمي العربي واليه تتجه انظار البلاد الاسيوية بل البلاد العربية ايضاً . وضم اليه مشاهير مستشرقي الافرنسيين والانكليز والالمان والاميركان . وبين اعضائه الوطنيين احبار مسيحيون وعلماء وشعراء وفلاسفة افاضل . وهو يرمي الى تحقيق ثلاثة امور : تقدم الآداب والعلوم ، والتحرير الادبي والاجتماعي ، وعقد الروابط الادبية في العالم العربي بقطع النظر عن القومية والمعتقدات الدينية .

وقد قاد المجمع العلمي العربي في هذا المضمار رئيسه محمد بك كرد علي وزير المعارف الذي جمع بين رقي اهلية الرجل الاديب وصفات الرئيس الاداري السامية فاليه يرجع الفضل في تأسيس هذا المعهد البديع ونموه وهو لم يزل الذي يدب فيه من روحه اه .

هذا المعهد الذي وصفه السيدان دوكه ودوسو في تقريرهما الى لجنة الانتدابات والمجمع العلمي الافرنسي بانه مجمع علمي حقيقي وفق في برهة قصيرة الى ان يؤسس متحفاً عربياً ذا شأن عظيم وزاد المسيو دوسو على ذلك بانه يرجع الفضل بهذا لرئيسه ولمدير المتحف .

وعدا ذلك فان معظم العلماء المستشرقين والصحف العربية التي في البلاد الواقعة تحت الانتداب وفي البلاد الاجنبية مجمعة بالثناء على الجهود التي بذلتها هذه الجمعية المفيدة لغاية علمية صرفة فنتمنى لها التقدم والنجاح اه .

وقالت جريدة « لاسيري » تحت عنوان تقدم المجمع العلمي العربي في دمشق :

يحق منذ الآن لمعهدنا الفني ان يفاخر جميع بلاد الشرق الاقرب العربي وحتى مصر بانه هو اول مجمع علمي عربي . فلدمشق صفات تجعلها أحق المدن بهذا التفوق .

ويحق للمجمع ايضاً ان يغتبط لان الحكومة المصرية دعته الى موازرتها في تأليف المعلمة العربية التي سيشترك في وضعها نخبة الاخصائيين من رجالات مصر وتونس والجزائر والعراق وترجو بالاشتراك مع السيد كرد علي ان يثبت الموازرون من اعضاء مجمع دمشق العلمي و يبرهنوا بقيمة اعمالهم « ان العرب بمجموعهم لا يقلون كثيراً عن بعض أمم الحضارة الحديثة » .

وقال الاستاذ المحقق السيد احمد حسن الزيات في الطبعة الرابعة من كتابه الممتع تاريخ الادب العربي : « مما يسجل في صحائف الدهر ويذكر بالإعجاب والفخر ان اخواننا السوريين كانوا أسبق الامم العربية الى إنشاء المجامع العلمية على ضيق موارده وغلّ سواعدهم كما كانوا اسبقها الى الترجمة والصحافة والتمثيل . فقد أنشئ المجمع العلمي بدمشق في اليوم الثامن من شهر يونيو سنة ١٩١٩م اجابة لمقترح العلامة الكبير محمد بك كرد علي زعيم نهضة سورية الادبية ووزير معارفها العمومية ورئيس مجمعها العلمي . وضم هذا المجمع صفوة العلماء والادباء في الشام والعراق ومصر وطائفة من علماء المشرقيات في اوربة . واصدر مجلة شهرية لنشر دراساته القيمة ومحاضراته الممتعة ومقالاته المفيدة .

ولا تزال مصر وهي عاصمة البلاد العربية واغناها وارقاها عاطلة من هذا المجمع على شدة حاجتها اليه ، ووقوف نهضتها العلمية والادبية عليه ، لاسباب يرجع اكثرها الى الاضطراب السياسي في هذا البلد اه .

وقالت جريدة الرفيل التي تصدر بالافرنسية في بيروت :

يتعذر عليّ تلخيص الخدمات التي قام بها هذا المعهد . وليسمح لي ان أعلن هنا الثناء على المجمع العلمي الذي تغتبط اللغة العربية ، لغة سورية ولبنان ، بالجهود التي بذلها افاضل كتاب سوريين لكي ينشروا تأثيرها ويعرفوا الملأ جمالها . ولقد لقيت آدابنا توفيقاً في الزمرة من الرجال المخلصين الوطنيين اعظم المدافعين عن تراثنا القومي واحسن العاملين واكثر الدعاة الى الادب العربي . وانا لنعترف بالجميل الصادر عن كل واحد منهم في سبيل العمل العظيم من تأسيس المجمع العلمي الذي يبعث الينا مراسلنا الدمشقي كل اسبوع بخلاصة من اعماله . واذا كان لا بد من التنويه باسماء العاملين فانا نقدم إشكرنا وعجابنا اولاً لمن بث الحياة في هذا المجمع الادبي والى رئيسه المشهور

محمد كرد علي بك وهو غني عن الثنـاء على علمه وعمله . وكذلك نوجه اطيب الثناء الى السلطة الافرنسية فانا نعلم مبلغ مناصرتها الادبية لهذا المجمع فانهـا بمعاونتهـا له اثبتت رغبتها الخالصة في نشر الآداب العربية في كل مكان . ويسرنا ان نذكر انها عاونت المجمع على عمله كل المعاونة .

لا جرم ان الحكومة السورية تعرف انه يعوز الجمعيات العلمية الصرفة شيء من الثروة ورأس مال مهم لكي يتسنى لها ان تعيش وتزهو . فمن خصائص الحكومة ان تستحصل كل ما يعوزها . أليس من حق المجمع العلمي العربي ان يعتمد على معونة دولة سورية المادية ؟ وانا لنرجو ان تساعده الحكومة السورية بسخاء كما اننا نأمل بان يكون المجمع العربي في دمشق زاهراً زاهياً ليثابر على خدمة آدابنا باقدام وقوة اه .

كتب الاستاذ جيب مدرس الادب العربي في مدرسة اللغات الشرقية بلندرا ما يأتي : ولا أعرف بين المجلات العربية مجلة تضاهيها (أي مجلة المجمع العلمي العربي) في مراعاة القوانين الادبية الخالصة وتطعيم السنن الصالحة للسلف بالمذاهب الفنيـة للخلف . وليس في ذلك ما يتعجب منه من حظي بمعرفة المجمع ورئيسه واعضائه معرفة شخصية .

وقالت مجلة النهضة النسائية بمصر : ان المجمع العلمي اسدى للعلم والعلماء خير الفوائد ، فتضافر رئيسه واعضاؤه على تقديم عصارة افكارهم وخلاصة ابحاثهم للمجمع واللغـة فأحيوها بعد موات فأخصبت وأخضلت نواحيها . ومن يراجع هذا التقرير ويتصفح المجلة التي يصدرها المجمع شهرياً يجدها طافحة بكل طارف وتليـد من أفانين اللغـة . وتلك خدمات جلى للمجمع واعضائه الجهابذة لا ينكرها الا كل جاحد .

واني أهنئ المجمع وأتمنى له حياة نافعة طويلة ليكون منهلاً من المعارف سائغاً لجميع الناطقين بالضاد فيرتشفوا منه ويلتقطوا درره وجواهره الغالية .

وقالت جريدة « الرأي العام » في دمشق من مقالة :

لم يكن تأسيس المجمع العلمي الا نتيجة شعور القوم بوجوب الاخذ بدين القوميـة وان هذه النواة الصالحة التي أنتجها ذلك الشعور الطيب ستثمر ثمراً يانعاً ان لم يكن عاجلاً فآجلاً . ما دام الدافع الى انتاجهـا الحرص على رفع بنيان القومية عالياً . والغيرة على جعل قوائم هذا البنيان قوية متينة . وليس ادل على اطراد تقـدم المجمع العلمي نحو

الغـاية التي ينشدها له المفكرون من اعماله . . ولا يسع المنصف الا الاعتراف بانه لولا ما بذلوه من جهد (اعضاء المجمع ورئيسه) لأقفل المجمع ابوابه منـذ حين واصبح خبراً في بطون التاريخ . . .

وقالت جريدة المقتبس في دمشق : اذا جاز لنا ان نفخر حقاً بنشاط الحركة الادبية في البلاد ، وان نشيد بالنهضتين العلمية والادبية وما بلغتاه من مكانة سامية وما ادركته لغة العرب — بعد ان دكت صروح الكائدين لها ، العاملين على افسادها ومحو آثارها — من فوز باهر فان القسط الأوفر في هذا كله يعود الى الحركة النشيطة التي قام بها المجمع العلمي العربي في دمشق ، فلقد بذل المجمع ما في وسعه لاذاعة ادب العرب ، ونشر مفاخر الجدود ، والعناية بمخلفاتهم وتراثهم المجيد ، والمحافظة على آثارهم الجليلة واستنباط بعض هذه الآثار وجمعها . وهكذا فقد وفق في بضع سنوات الى ان يحدث حدثاً عظيماً و يقوم بقسطه الجليل في النهضتين العلمية والادبية .

و كيف لا يكون للمجمع العلمي هذا القسط الجليل في النهضتين وقد غصت دار الكتب فيه بمئات الزائرين يومياً يعكفون على المطالعة والدرس ساعات طوالاً ، ويبحثون في الكتب الخطية النادرة على ما هم بحاجة اليه في شتى فروع العلم وكتب الادب .

وما ان دار الآثار فيه تضيق ايضاً بجمهرة الوافدين من مختلف الاقطار والامصار لتكحل الطرف وتشبع نهم النفس الغرثى بما تراه من بديع الآثار وجليل الطرف ونادر التحف التي هي انصع دليل على ما بلغته هذه الديار الشـامية من مكانة رفيعة في سلم الحضارة والتمدين .

اما محاضرات اعضاء المجمع فلقد كانت دروساً بليغة في بعض فروع العلم ودروس الآداب ، وافانين الحياة ، وضروب المباحث يتلقاها المستمعون فمنهم من يتذكر ، ومنهم من يستفيد ما هو بحاجة اليـه ، ومنهم من يقع على مباحث جليلة لا تمكنه حالته الخاصة من العثور عليها واستنباطها من مظانها .

هذا عدا ما أذاعه المجمع من مصطلحات علمية ، وما اشار اليه من اغاليط الكاتبين ، وما احياه من الفاظ دارسة ، وكلمات عذبة كانت آثارها طامسة .

ان العمل الكبير التي توفقت سورية للقيام به وناءت كواهل ما سواها من الامصار

العربية دون احتمال اعبائه والقيام بحاجته لهو عمل تغبط عليه سورية كل الغبطة ·

هذا الى ان اجتماع فريق كبير من المستشرقين وكبار شعراء العرب وادبائهم وعلمائهم قد دعا بطبيعة الحال الى تقريب المناهج الادبية ، وتوحيد الثقافة العامة ومناحي التفكير واساليب التعبير والبيان في اقطار العرب فكان المجمع العلمي العربي واسطة اتصال هذه الاقطار التي فرقتها ومزقتها السياسة على ما تشاء واصبحت واحدة في تفكيرها ومناحيها وثقافتها ·

ولقد صرف المجمع العلمي جهده منذ تأسيسه حتى يوم الناس هذا للاتصال بالمحافل العلمية الراقية الغربية والاندية الادبية الكبرى في اوربة واميركة فتم له ما أراد وكان بذلك خير واسطة لحفظ مكانة البلاد العلمية في نظر الاغيار وصحح معتقدات اولئك العلماء بنا فأصبحوا يرجعون بكل دقيق وجليل لرأي المجمع العلمي العربي في مشاريعهم العلمية عن البلاد السورية بنوع اخص والعربية بنوع اعم وبذلك اصبحنا لا نسمع الا نادراً بتلك الترهات والاباطيل التي طالما رواها رجال الغرب عنا وعن بلادنا وزالت تلك التهم الفظيعة نوعاً التي شدما الصقها بنا أولئك الرجال لان المجمع قطع السبيل على الجاهلين اه ·

وقالت جريدة العهد الجديد في بيروت : اهدى الينا الاستاذ العلامة محمد افندي كرد علي نسخة من التقرير الرابع باعمال المجمع العلمي العربي الذي يرأسه في حاضرة بلاد الشام ونحن قبل كل شيء من المعجبين بالفكرة الجليلة التي حملت الحكومة السورية العربية على التفكير بانشاء المجمع المذكور لما يمكن ان يؤديه من الخدم المشكورة لفائدة اللغة وآدابها وتاريخ بلاد الشام قبل كل شيء آخر ، واذا كنا لا نطمع بان يكون المجمع المذكور صورة عن المجامع المعروفة في اوربة فلان العناصر القوية التي اساغت العلوم والفنون على انواعها وهضمتها ، لا تزال سورية فقيرة بها فقراً يبدو ظاهراً للعيان ، ويحول دون طمعنا بان يكون مجمعنا قائماً بالغاية التي توجدها المجامع عادة ، ولكن هذا كله لا يمنعنا عن التهليل لهذا العمل الذي يعد نواة صالحة ، اذا تعهدتها الايدي بالعناية اللازمة وتوفرت لها العناصر التي تغذيها وتمدها بالوسائل اثمرت ثمرها المرجو · ذلك هو رأينا في المجمع العلمي العربي فنحن ننظر اليه من ناحيته المشرقة النيرة غير ناسين مايقف في طريقه من عثرات وعراقيل نرجو ان تزول ·

واذا نحن قايسنا الاعمال الاولية التي قام بها المجمع والتي تدعو الى الشكر والاعجاب بالمجهود الطيب ، المبذول لنموه وازدياده ، الفينا انه سائر في الطريق الذي شرع له ، وانه لا بد بالغ الغاية المتوخاة من تأسيسه ، واذا شكرنا القائمين بهذا العمل المشكور فالشكر عام يتوزعه الاعضاء كل حسب مجهوده واثره فيه اه ·

وقالت جريدة البلاغ البيروتية : ان المجمع العلمي العربي في سورية عنوان نهضتها العلمية والادبية ودليل بين على مبلغ رقيها ، واذا نظرنا الى الفائدة التي اداها من وجوده نراها لا تقتصر على سورية وحدها بل تشمل سائر ابناء الناطقين بالضاد في بلاد الشرق ، وقد ضم بين جوانحه خيرة العلماء والفضلاء من ادباء البلاد الناهضين واسدى اللغة العربية اكبر خدمة ادبية · فنقدم لحضرات رئيسه واعضائه الكرام جزيل مدحنا وثنائنا على جهودهم الثمينة وندعو الله ان يأخذ بايديهم لمتابعة اعمالهم في سبيل خير اللغة والادب العربيين انه اكرم مسؤول ·

وقال الشيخ ابراهيم منذر بمناسبة انتخابه عضواً جديداً من قصيدة قدمها قبل أطروحته :

ولولا رجال في دمشق عرفتهم اكارم لا يأتون الا المعاليا
حموا لغة الاعراب من كل لكنة وشادوا بها دور الهدى والمغانيا
لما كان لي في منبر الشام موقف قطعت اليه هضبها والفيافيا
ولا عجب في ذاك ، فالشام كعبة يحج اليها الصادق الحر هانيا
اذا نهضت صانت لسان جدودها وجلت عن الاوطان تلك الدواهيا
وان فشلت تهوي وتجتاح عجمُها حماها وتخبي نورها والدراريا

وقالت « لاسيري » ايضاً : حقاً ان النشاط الدمشقي يظهر في جميع مناحيه ، فبينما يزعم بعضهم ان غايات البوتقة السياسية يستغرق جميع الاهتمام فاذا هم يعلنون افتتاح معرض للصنائع العربية في ٨ الجاري (حزيران) وقد كنا دعينا قبل اشهر لحضور معرض ثمار مهم وكان ذلك للكثيرين وحياً حقيقياً وكم نحن بعيدون عن الغبطة الموحشة التي كانت راضية عنها البلدة الاسلامية القديمة (دمشق) ·

وسيكون هذا المعرض في بناية المتحف العربي والشيء الوحيد الذي نؤاخذه عليه

كونه لم يصلنا الاعلان عنه الا يوم افتتاحه . ان القائمين به هم السيد كرد علي والمسيو دليله دلوج وقد منحها المفوض السامي ورئيس الحكومة جميع المساعدة . ولا تدعي هذه الشهادة الاولى للماضي الذي يجب احياؤه بانها تمثله بحق او تحقيق من المرة الاولى ما كلف الدول المعظمة جهوداً وابحاثاً طويلة ودعوة اكيدة . ولكن هذا لا ينقص من فائدته الحقيقية وسنجد في دمشق بفضل كتلة من ذوي النيات الحسنة معرضاً فنياً حقيقياً منها الطنافس النفيسة التي ارسلها جامع حلب الكبير حتى ان بعضها ليليق بالمتاحف الاجنبية الكبيرة وستخرج من عزلتها عدداً من الاشياء الثمينة التي كانت مبعثرة ومجهولة لتبتهج بها غواة الفن وهواته وليستفيد منها من يحلمون باحياء هذه الصناعات البديعة التي كانت مفخرة دمشق . وستتم هذه النظرة الى الماضي نحاس . اخشاب جميلة واسلحة مرصعة .

وقد بدا للقائمين به فكرة عملية وهي ان يجربوا نوعاً من المعرض والسوق معاً ليطلع الجمهور والزائرون في كل سنة على جميع الصنائع العربية الحديثة . وهنا مجال واسع للعمل ونعرف ان السلطة المنتدبة تسعى منذ سنوات لاحياء الصنائع العربية الصغيرة وقد اتى هذا المشروع بثمرة رغم ابطائه وقد نمت التجارة والزجاجة والمصنوعات النحاسية نمواً محسوساً وان كانت هذه الاخيرة غير متقنة وشاع استعمال الحرير البلدي حتى ان محصولات هذه الصنائع وخصوصاً الحرير لا يمكن ان تقاس بما كانت عليه قبل عشر سنين وقد لوحظ هذا بدهشة وسرور في معرض الفنون والصور في باريز وسيكون ذلك اوضح منه اذ ذاك في هذا الاسبوع في دمشق فهم يؤكدون بانه ستكون صناعة المنسوجات الحريرية مفاجأة حقيقية .

وعقدت جريدة « لاسيري » التي تصدر بالافرنسية في بيروت فصلاً افتتاحياً بقلم رئيس تحريرها الاستاذ السيد جورج فيسيه جاء فيه :

ان نجاح معرض الصنائع الشرقية في دمشق ادهش الذين لا يقدرونه قدره ، وعدد هؤلاء مع الاسف كبير ، ان اقبال سكان دمشق العظيم على المتحف العربي وجه الانظار هذا الى المعهد والى الجهاز الذي نشأت منه واعني به المجمع العلمي العربي .

ومن المؤسف ان يظهر الغواة او « المتخصصون » بانهم لا يميزون الا الفن مهملين جميع الجهات النيرة في مشهد حياة سورية الزاهية بالالوان واني اتمنى انهم سيبدؤون

ويفحصون الاشياء القيمة فحصاً حقيقياً لكي نبدي رأياً في الحالة العقلية يكون الى الصحة في هذا المحيط من سنة ١٩٢٨ .

لا جرم اننا لا نبحث الا في امر جديد فلا تدعي دار الآثار ولا دار الكتب تحقيق ما يزين المدن الغربية الكبيرة لأن أشهر من خضع لقانون الزمن الذي لا يرحم . فقد ابتدأت مدن اوربا بمثل هذه الاعمال بصعوبة ومضى عليها سنوات فسنوات كأنها نهر كبير تجري اليه رويداً رويداً موج سيول الفن والعلم البطيء . وربما قد يكفي ساعة لهدم الجهود الصابرة المستمرة منذ قرون طويلة . وقد دقت هذه الساعة مراراً في مزولة تاريخ دمشق . وهذا يوضح لنا الضعف الذي رآها فيه الاحتلال الافرنسي . فيلازم الماضي دمشق فيكتفون بان يقاوموه بالحاضر . ومن الغريب انه لم تمح ذكرى العصور الزاهرة وهذه الازمنة المجيدة التي دفنها الخفار التوراني (التركي) عدة قرون . وليس هذا الشبح الا لهيباً ضئيلاً يترنح كالجن على البلاط المتفكك الذي يغشى الاموات العظام . نعم وان يكن هذا لهيب فيجب الانحناء أمام الذين ابوا ان تخمد الى الابد . فقد اتوا لاحيائها كما يفعل حجاج الذكرى الاتقياء تحت قوس النجمة .

ولم يبق عليهم الآن سوى المثابرة وان يفقهوا بانه لا يمكن ان يعمل شيء ذات حياة الا بالسلام ويوصلهم باسرع مما يظن بعضهم الى الغاية المنشودة . ان المشروع قائم وهو ينمو ويعظم .

وتكلم عن موجودات داري الكتب والآثار ثم قال : يحق لنا اذاً ان نقول ان هذا العمل العظيم آخذ بالتقدم وخصوصاً دار الآثار فانها لا يمضي عليها زمن الا وتصبح دار تسلية لا لأطفال البلاد فقط بل لجميع الغرباء ايضاً . ان سورية لم تنبش بعد جميع كنوزها المدفونة والذي ظهر من الظلمات اختفى حين بعثه لكي يصهر في المتاحف الغربية . ونلمس هنا المسألة التي يتوقف عليها كل مستقبل الآثار السورية وقد نعود اليها في كل حين وهي سلب ثروة جوف الارض المشين .

فاذا كان متحف المجمع العلمي العربي في دمشق يبشر بمستقبل زاهر فالفضل راجع في ذلك لمديره الامير جعفر عبد القادر « وهو الوحيد بين مواطنيه الذي درس الآثار القديمة في مدرسة اللوفر » كما جاء في التقرير الذي هو تحت بصرنا . ولاسباب شتى

فكر بعض العاملين في المجمع العلمي العربي وفي مقدمتهم الوزير الفاضل محمد كرد علي « بان يرسلوا طالباً نبيهاً الى مدرسة السجلات في فرنسا ليدرس تنظيم الكتب والمكاتب واستخراج المخطوطات على الاصول الحديثة » .

وقد خرجت دار الكتب ودار الآثار من المجمع العلمي العربي مزودتين بكل معداتها وهذا مما يبرر الآمال والجهود التي بذلها مؤسسوهما وان الفكرة التي تدفعهم هي جديرة باكثر من هذا المقال الموجز وسنعود لهذا البحث قريباً .

وكتب الدكتور صلاح الدين وصفي في جريدة الف باء مقالة جاء فيها :

وكان في وفرة عدده (اي الجمهور يوم استماع تقرير الرئيس في السنة الفائتة) دليلاً ناطقاً وبرهاناً جلياً على ان النابهين في دمشق يرقبون خطى المجمع في سيره المطرد نحو الرقي باعتبار انه مفخرة من مفاخر البلاد العربية جمعاء لا سورية فقط .

لاحقة

معرض الصنائع الشرقية

في المجمع العلمي العربي

تحت رعاية حكومة فخامتكم والمجمع العلمي العربي و برئاسة هذا العاجز بصفته وزيراً للمعارف افتتح يوم ٨ حزيران سنة ١٩٢٨ معرض الصنائع الشرقية فخصصت ردهة محاضرات المجمع لعرض الآثار الشرقية الاسلامية القديمة ، وقاعتان كبيرتان لعرض الصنائع الشرقية الحديثة . وقد عرض في القاعات الثلاث السجاد والنحاس والاخشاب والزجاج والاسلحة والمخطوطات والجلود والصور والاقمشة وكل ما هو من الفنون الجميلة . ودعت لجنة المعرض ارباب هذه الصناعات وغواتها في جميع المدن السورية والدول المشمولة بالانتداب الفرنسي والبلاد المجاورة لها فلبى بعضهم الطلب مثل مديرية الاوقاف بدمشق والجاليات الاجنبية وبعض اعيان دمشق وتجارها فكان مجموع من اشتركوا في هذا المعرض ٨٦ شخصاً وعرض فيه ٦٢٧ قطعة منوعة . ولقصر المهلة لم تتمكن بقية مدن سورية ولا الدول المجاورة من الانتفاع من هذا المعرض خلا نفراً قليلاً منهم حتى يصح ان يقال انه كان مقصوراً على مدينة دمشق فقط .

وكان الاقبال على معرض الصنائع فوق ما كان يرجى وذلك لتعطش الجمهور لمثل هذه المظاهر الفنية والصناعية واهتمامه بالنهضة الاقتصادية . وقد زار المعرض نيف واربعون الفاً في خلال الثمانية الايام (٨ — ١٥ حزيران) التي ظلت ابوابه مفتحة فيها منهم ثلاثة عشر الف سيدة .

وقد تفضلتم وتفضل فخامة المسيو بونسو المفوض السامي للجمهورية الفرنسية في سورية ولبنان فجعلتما هذا المعرض تحت رعايتكما العالية وزرتماه يوم ١٠ حزيران بحضور اركان السلطتين المنتدبة والوطنية واعيان المدينة ورؤسائها الروحيين وارباب الصنائع والفنون وممثلي الدول المعظمة . والقى هذا العاجز خطاباً باللغتين العربية والفرنسية ابنت

فيه الغرض من تنظيم هذا المعرض واثنيت على من عاونوا في ترتيبه من رجال الفنون والصنائع ولا سيما الامير جعفر عبد القـادر الحسني والمسيو دي لوره وتوفيق طارق بك والمسيو كاڤرو ·

وكانت نتائج المعرض مرضية محسوسة شعر بها من عرضوا مصنوعاتهم في القاعتين الخاصتين بالنفائس والاعلاق الحديثة · وبفضل عناية القائمين بالمعرض وشدة احتياطهم أعيدت جميع الاشياء المعروضة الى اصحابها دون ان يفقد منها شيء او يلحق بها ضرر · وقد منحت هيأة التحكيم اوسمة الاستحقاق الذهبي الى اربعة من العـارضين · والى ستة آخرين اوسمة فضية والى احد عشر عارضاً منهم اوسمة نحاسية · فكان هذا المعرض فرداً في بابه في هذه الديار لم يسبق له مثيل وعسى ان تحدث معارض أخرى نافعة في عهد وزارتكم العاملة · م · ك

النجوم الثوابت

« واسماؤها العربية والافرنجية »

لا أظن احداً من أدباء العرب يجهل المستر فلبي وعلاقته بالبلاد العربية ورحلته الى نجد منذ عشر سنوات ونيف وكنت قد قرأت رحلته هذه على اثر صدورها في كتاب له سماه « قلب البلاد العربية » فرأيته يقول فيها ان الصورة النجومية المعروفة عند الافرنج بالصليب الجنوبي يسميها اهل نجد أُمَيا مصغرة فبحثت عن هذه اللفظة فلم اجد لها ذكراً في ما لدي من كتب اللغة ثم عمدت الى كتب الفلك فلم أجدها فقلت لعل المستر فلبي مخطئ فيما نقله عن اهل نجد. وهو امر بعيد الاحتمال لان المستر فلبي يحسن العربية كأنه احد ابنائها وهو يعرف الصليب الجنوبي معرفتنا ببنات نعش الكبرى اوالثريا. ثم مازلت أبحث عن اسم الصليب الجنوبي عند العرب الى ان قادني البحث الى تحقيق اسماء سائر الصور والنجوم مع ما يقابلها عند الافرنج مما ذكره وبستر في مادة « كنستلاشن » اي صورة نجومية ومادة « استار » اي نجم وقد أورد في هاتين المادتين اسماء الصور المشهورة والنجوم المعروف لها اسماء عندهم ومعظمها من اصل عربي وانما وقع فيها شيء كثير من التحريف فتعذّر ردّه الى اصله كما سيجيء . ولا يخفى ان الافرنج كانوا يعمدون احياناً الى اسم الصورة بالعربية ويسمون به نجماً في تلك الصورة فسموا نجماً في التنين تنّيناً وسموا قلب العقرب بالعقرب وسعد الذابح بالجدي واحياناً بالذابح وسموا سرّة الفرس فرساً وأمثلة ذلك كثيرة . واذا كان الاسم العربي كلمتين فانهم كانوا يأخذون احياناً واحدة منها دون الاخرى فظهر الدب مثلاً سموه ظهراً وسموا القفزة الاولى اولى فقط وسموا الثانية قفزة لكنهم حرفوها وسموا القفزة الثالثة ثالثة . وسموا نيّر العوائذ بالعوائذ وهي عند العرب اربعة كواكب في التنين وعند الافرنج واحد منها . ومثله العذارى فهي عندهم اسم لنجم واحد وعند العرب اسم لعدّة نجوم .

وكنت في بحثي لا أكاد انتهي من لفظة حتى أرتطم في غيرها الى ان منّ الله عليّ وانتهيت من الجداول فأرسلت بعض الالفاظ التي حققتها الى علامتنا احمد تيمور باشا فعلق عليها شيأ وأشار عليّ ان أرسل بالجداول برمتها الى العلامة السيد عبد الحميد

البكري ففعلت وبعثت الى سماحته بالجداول كلها كما وردت في وبستر مع ما يقابلها بالعربية فتفضل حفظه الله وأجابني على الفور واستحسن ما كتبته وخالفني في الفاظ علّق عليها تعليقاً يدل على سعة علمه ودقة بحثه كما سأذكره ان شاء الله . ثم تركت الجداول يائساً من المثور على اسم عربي لبعض النجوم التي أوردها وبستر او ارجاعها الى اصلها العربي وكان ذلك منذ اربع سنوات . ثم رأيت الآن ان أنشر الجداول على علاتها وأطرحها على الادباء ليصلحوا ما يرون فيها من الخطإ فان الغرض من النقد هو تمييز الصحيح من الفاسد وان من يبين لي الفاسد مما سأذكره يكون له عليّ المنة والفضل . واني استأذن العلاّمة سماحة السيد البكري في نشر بعض ماعلقه اعترافاً بفضله وعلمه وان تبعة ماأنشره عليّ لا عليه لانه كتب ما كتبه لاطلاعي وفائدتي ولم يخطر بباله قط انه سينشر . على انني رأيت نشره اولى لكي لا يفوت الادباء ما ذكره من الفوائد الجمة . هذا وقد اقتصرت على جداول (وبستر) مع إضافة الفاظ قليلة لم يذكرها واني لم اذكر اسماء النجوم عند العرب التي لم اجد ما يقابلها عند الافرنج .

جدول النجوم الثوابت	Table of fixed Stars
آخر النهر . الظليم . وهو ثبتا النهر	Acamar
آخر النهر . الظليم . وهو نيّر النهر اي الفا النهر (١)	Achernar
جبهة العقرب . وهو بيتا العقرب (٢)	Acrab

(١) يسمي الافرنج هذا النجم والذي قبله آخر النهر ويظن ان الاول منهما هو الذي رصده الصوفي وسماه آخر النهر او الظليم وكان في ايامه من القدر الاول (انظر اريدانوس في المعلمة البريطانية) وكتب اليّ السيد البكري في تعليقه على هذا النجم ان الاسم الاول تحريف آخر النهر اي بابدال ما يقابل الزاء والنون بما يقابل الميم عندهم .

(٢) لايخفى ان العقرب عند العرب اسم صورة فأطلقه الافرنج على الثاني منها ، والعرب تسمي هذا النجم مع الثلاثة التي معه الاكليل او اكليل الجبهة تمييزاً له عن الاكليل الشمالي والاكليل الجنوبي وهما صورتان .

نيّر الصليب الجنوبي · انور الاعيار او البقر ؟ نيّر نُعَيْم ؟ (١) Acrux

(١) لم تعرف العرب الصليب الجنوبي بهذا الاسم ولعله الاعيار وهي على ما جاء في التاج « كواكب زهر في مجرى قدمي سهيل نقله الصاغاني واحدها العَيْر شبهته بعير العين اي حدقتها او غير ذلك من معاني العير » · ونقل أُستاذنا الدكتور صروف عن الصوفي في الصفحة ١٢٥ من بسائط علم الفلك ما نصه : « وزعم قوم ان تحت سهيل قدمي سهيل وان قدمي سهيل كواكب زهر بيض لا ترى بالعراق ولا بنجد وان اهل تهامة تسميها البقر ولم يذكر بطليوس شيأً من هذا » · وذكر الدكتور فانديك في محاسن القبة الزرقاء شيأً مثل هذا ولعله عن الصوفي قال : « وتحت سهيل عدة كواكب صغار تسميها اهل العراق ونجد وتهامة البقر » · وهذا يشبه ما نقله الدكتور صروف عن الصوفي الا ان الصوفي حسب رواية الدكتور صروف ينكر رؤية هذه النجوم بالعراق ونجد ، ولا يخفى ان الصوفي كتب ما كتبه وهو بشيراز وأفقها أفق جنوبي العراق العربي · وذكر المستر فلبي كما تقدم ان اهل نجد تسمي الصليب الجنوبي نُعَيماً · وكتب اليّ السيد البكري ما نصه قال : « ذكرتم في آخر جدول الصور المولدة انكم لم تعثروا على اسم عربي لما تسميه الفرنجة بالصليب الجنوبي ولقد بحثت كثيراً عما يقابل هذا الاسم فلم اعثر الى الآن على شيء في هذا الصدد غير اني عثرت في كتاب النجوم للعلامة فلاماريون عن بلينيوس انه منذ عهد بطليوس وكواكب قنطورس مع الصليب الجنوبي ترى في أفق الاسكندرية · وكان الصليب الجنوبي يدعى عرش قيصر تمجيداً للقيصر اغسطس · فهي قديمة حسب هذه الرواية او ان هذه الصورة أُهملت الى ان جاء روير سنة ١٦٧٩ فاستكشفها فأصبحت معدودة من الصور الحديثة · وقد ذكرتم ايضاً في تعليقكم على هذه الصورة ان المستر فلبي روى عن عرب نجد انهم يدعونها نعيماً وهذا في نظري غير بعيد لان كواكب هذه الصورة ترى في كل البلاد الشمالية التي لا يقل عرضها عن ١١َ ٣٤° ومن هذه البلاد عدن ونجد » · انتهى كلام السيد البكري · قلت اني رأيت الصليب الجنوبي في عدن وكنت قد رأيته قبلاً في السودان وهو تحت سهيل وان من يراه مرة واحدة يقول هذه الاعيار او البقر او نعيم على ما ورد في كتب اللغة وما رواه الصوفي والمستر فلبي · وقد كتبت الى المستر فلبي أسأله اثبات ما ذكره في رحلته ·

Acubens	نيّر السرطان · الزباني الجنوبي من السرطان (١)
Adhafera - Aldhafera	ضفيرة الاسد · زيتا الاسد وعربيتها ظاهرة
Adhara	كبرى العذارى · ذلتا او ابسيلون الكلب الاكبر (٢)
Adib - Thuban	نير التنين او الثعبان (٣)
Agena	الوَزْن · بيتا قنطورس (٤)
Aladfar	الاظفار · اظفار النسر الواقع · ايتا الشَلْياق
Al bali	سعد بالع · سعد بُلَع · ابسيلون الدلو
Albireo	منقار الدجاجة · بيتا الدجاجة · واللفظة ليست عربية
Alchiba	الخِباء · منقار الغراب · نيّر الغراب · والخباء اسم الصورة كلها
Alcor	السُها والسُهى والعَيْدق (٥) · وهو نجم خفي ملاصق للعَناق من بنات نعش الكبرى
Alcyone	نير الثريا · وسط الثريا · عَقْد الثريا · القيونة (يونانية)

(١) يقول و بستران انها من الزباني العربية وهذا من اغرب ما رأيت في التحريف ·

(٢) العذارى خمسة نجوم في الكلب الاكبر والافرنج يطلقون هذه اللفظة على واحد منها ·

(٣) قال و بستران اللفظة الاولى من ضباع العربية ولكن الضباع نجوم في العواء وليست في التنين · اما اللفظة الثانية فلم يذكر اصلها العربي · وذكر فانديك نيّر التنين اي الفا التنين ولم يذكر له اسماً وذكر أستاذنا الدكتور صروف نجمين في التنين سماهما الذئبين كذلك الدكتور فانديك فانه ذكر الذئبين وهما زيتا وايتا التنين بين العوائذ والفرقدين وهما كذلك في لاين ولا يمكن ان يكون احدهما هذا النجم لانه بين الفرقدين وذنب الدب الاكبر والذي يتبادر الى الذهن انه احد الذئبين وهو ليس كذلك · فما اسمه بالعربية ؟ فانه لا يعقل ان منجمي العرب لم يذكروه ·

(٤) هذا ما ذكره لي السيد البكري · (٥) اللفظة الافرنجية من خوّار العربية فكأنهم قالوا في وصفه كوكب خوار اي ضعيف وقد تكون اللفظة الافرنجية من الحور بالحاء المهملة وهو نجم آخر من بنات نعش الكبرى سيذكر ·

الدَّبران · عين الثور · ثاني النجم · التابع (١)	Aldebaran
الذراع اليمنى · نيّر الملتهب اي قيفاوس · واللفظة العربية	Alderamin
ضفيرة الاسد وقد مر ذكرها	Aldhafara or Aldhafera-Adhafere
الفِرْق · الثاني من الملتهب	Alfirk
	Algedi - Dabih
جنب الفرس · جناح الفرس · جمّا الفرس (٢)	Algenib
جنب فرساوس · مرفق الثريا · وهو نيّر فرساوس	Algenib
جبهة الاسد · جمّا الاسد	Algieba
نيّر رأس الغول · وهو بيتا فرساوس	Algol
جناح الغراب الايمن	Algorab
الهَنْعَة · المَيْسان (٣)	Alhena
الحوَر · الجوْن · الالية · وهو الثالث من بنات نعش الكبرى قرب المقرز واللفظة من الالية العربية	Alioth
القائد · هو طرف الذنب في الدب الاكبر (٤)	Alkaid

(١) ومن اسمائه تابع النجم اي الثريا وحادي النجم والمِجْدح والمُجْدَح والفنيق ·

(٢) هو احد نجوم مربع الفرس ويسمى مع سُرّة الفرس الفَرغ المؤخر او الفرغ الثاني · (٣) الهنعة عند العرب من منازل القمر وهما نجمان في التوأمين يقال لهما الميسان والزِر وفي المخصص الذَر بالذال المعجمة والصواب الاول على ما أظن وهما عند الفلكيين جمّا واكسي التوأمين ولما كان الفلكيون من الافرنج يطلقون الهنعة على الاقدر منهما تكون الهنعة عندهم جمّا التوأمين اي الميسان · ثم ان الميسان عندهم اي عند الافرنج نجم آخر في الجبار سيذكر · ولا يخفى ان الجوزاء عند العرب تشمل التوأمين والجبار فتارةً يريدون بها التوأمين وتارةً الجبار وتارةً كليهما · (٤) يسمي ذنب الدب الاكبر عند العرب بنات نعش الكبرى ويسمى القائد هذا عند الانكليز احياناً بنات نعش اي باسم النجوم كلها ·

القطربوس · وهو كوكب في العواء (١)	Alkalurops
القفزة الثانية · من كواكب الدب الاكبر (٢)	Alkaphrah
نيّر الكاس او الباطية · وقد اطلق الافرنج اسم الصورة بالعربية على النير منها	Alkes
الماق · الموق · عَناق الارض · رجل المسلسلة	Almach or almak
المتقدّم للقطاف · المقدّم للقطاف (٣)	Almuredin - vin Demiatrix
النصل · هو كوكب في الرامي من النعائم الواردة	Al nasl
احد نجوم النِطاق وهو اقربها الى الافق	Alnitak
الاوسط الذي في النِطاق (٤)	Alnitam or alnilam
النياط · وهما كوكبان بينهما قلب العقرب	Al Niyat
الفَرْد · قلب الشجاع · عنق الشجاع · سهيل الفرد · سهيل الشام (٥)	Alphard
نيّر الفَكّة (٦)	Alphecca
سُرّة الفرس · رأس المرأة · رأس المسلسلة (٧)	Alpherat or alpheratz

(١) كتب اليّ السيد البكري تعليقاً على هذه اللفظة قال : « لعلها كاذ كرفانديك تصحيف لاسم عصا الراعي باليونانية · (٢) هي من القفزة العربيــة فقرأوا الزاي المعجمة راءً مهملة · (٣) اللفظة الانكليزية من الموردين العربية · (٤) في صورة الجبــار او الجوزاء ثلاثة نجوم تسميها عامة اهل الشام الميزان « وهو خلاف الصورة المعروفة بهذا الاسم » وتسميهــا العرب مِنطقة الجبــار والنِطاق والنِظام والنَظْم والفَقَار والنَسَق فأخذ الافرنج الاسم الاول اي المنطقة وسموا به النجم المتقدم منها اي أبعدها عن الأُفق والاسم الثاني اي النطاق وسموا به أقربها الى الأُفق اما الاسم الثالث اي النظام فقرأوه النطام بالطاء المهملة فقالوا النطام ثم قلبوا الطاء لاماً وقالوا النلام وسموا به الاوسط من هذه النجوم · (٥) هو نيّر الشجاع وكانت العرب تسمي نير الصورة احيــاناً بالقلب · والشجاع صورة من صور السماء · (٦) الفكة صورة من صور السماء فسمى الافرنج نيرها باسم الصور العربيــة · (٧) سرة الفرس كوكب مشترك بين الفرس والمرأة المسلسلة ويقال لهذا النجم مع جناح الفرس الفرغ المؤخر كما تقدم ·

Alphirk -alfirk

الرِشاء · عقدة الخيطين · وهو نيّر الحوت Al Rischa

الشَماريخ · وهي كواكب قنطورس والسبع جميعاً Alshomarish

الشاهين · بيتا العقاب (١) Alshain

النسر الطائر · نيّر العقاب Altair

الطَرْف والطَرْفة · وهو بيتا السرطان (٢) Al Tarf

احدى العذارى · ايتا الكلب الاكبر · العذراء الوسطى والكلمة عربية Aludra

الجنوبي من القفزة الاولى · في الدب الاكبر Alula australis

الشمالي من القفزة الاولى · في الدب الاكبر (٣) Alula Borealis

كوكب في الحية · ثيتا الحية واللفظة من الحية العربية Alya

كوكب في الدلو لا أعرف اسمه ولا اصله العربي Ancha

كوكب في النهر لا أعرف له اسماً عربياً (٤) Anchat. or angetenar

قلب العقرب · نيّر العقرب Antares

Apollo. see Castor

السماك الرامح · حارس السماء · حارس الشمال · وهو نيّر العوّاء Arcturus

الرِدْف · ذنب الدجاجة · واللفظة تحريف الردف العربية Arided

عُرقوب الرامي · وهو احد الصُرَدين والآخر هو ركبة الرامي وسيذكر Arkab

---

(١) من اسماء العقاب عند الفرس شاهين تارازد اي الشاهين الخاطف فأخذ الافرنج اللفظة الاولى وأطلقوها على نجم في العقاب والثانية على نجم آخر سيذكر ·

(٢) الطرف في لاين هو نير السرطان فاذا كان الامر كذلك هو النجم المسمى عند الافرنج (acubens) وقد تقدم ذكره · (٣) اي القفزة الاولى من قفزات الظباء فتكون اللفظة الافرنجية من الاولى العربية · (٤) هي سيف و يستر من « حنايات النهر » وقد يكون اصلها « عند شط النهر » ·

نيّر الارنب · وتسمى الارنب عرش الجوزاء وكرسي الجوزاء واصل اللفظة ظاهر	arneb or arsh
احد النعائم الصادرة وهو زبنا الرامي ولا أعرف له اسمًا بالعربية ولا اصل اللفظة الافرنجية	ascella
الحمار الجنوبي · في السرطان	asellus australis
الحمار الشمالي · وهما حماران هذا والذي قبله	asellus borealis
كوكب في السفينة لا اعرف له اسمًا عربيًا ومعنى اللفظة ورقة	aspidiske
السلوقي الاول · الشمالي من السلوقيين (١)	asterion
استروبي · وهي احدى بنات الثريا اي نجومها واللفظة يونانية	asterope
عاتق الثريا · الكُلاَّب والكُلُّوب · وهو اوميكرون فرساوس	atik
اطلس وهو كوكب في الثريا	atlas
ظلف الفرس · وهو كوكب في الدجاجة واللفظة تحريف ظلف الفرس	azelfafage
أُدحي النعام · وهي عند العرب نجوم في وسط النهر وعند الفرنج واحد منها (٢)	azha
السماك الاعزل · وهو نير العذراء واللفظة عربية (٣)	azimech
سعد البِهام · سعد البهائم · وهما نجمان في الفرس	Baham
بطن قَيْطس	Batenkaitos or Baten kaitos
البَيْض · وهي عند العرب كواكب في النهر وعند الافرنج واحد منها	Beid

(١) السلوقيان من الصور المولدة ولم تعرفها العرب بهذا الاسم وهما بين بنات نعش الكبرى وحلبة الاسد وهذا النجم اي استريون وهو الشمالي من السلوقيين هو بينا السلوقيين ولا بد ان العرب وضعت له اسمًا ولكنني لم اعثر عليه اما الجنوبي منهما وهو الفا السلوقيين فقد سمته العرب كبد الاسد وسمته الفرنجة قلب كارلوس وسيذكر (عن السيد البكري) ·

(٢) هي من أُدحي العربية او كما قال و بستر من الفارسية وأُرجح الرأي الاول ·

(٣) ويسمى السنبلة باسم الصورة وساق الاسد واللفظة الافرنجية من السماك العربية ·

الناجذ . المرزم . وهو النير الذي على المنكب الايسر من الجبار (١)	Bellatrix
القائد . وهو المتقدم من بنات نعش الكبرى اي في طرف الذنب (٢)	Benetnasch,alkaid.
منكب الجوزاء . يد الجوزاء . نيّر الجبار (٣)	Petalgeuse or Betelgeux

(١) يطلق المرزم ايضاً على كوكبين آخرين وهما الثاني من الكلب الاكبر والثاني من الكلب الاصغر . (٢) بنات نعش عند العرب ذنب الدب الاكبر اما الافرنج فيطلقون هذا الاسم كما تقدم على واحد من نجوم بنات نعش وهو القائد (٣) المشهور عند الافرنج ان اللفظة من ابط الجوزاء بالعربية وهي ليست كذلك وكتبت الى السيد البكري استفتيه في ذلك وقلت اني لم أعثر على ابط الجوزاء في كتاب عربي قديم ولعل الافرنج قرأوا يد الجوزاء بالياء المثناة بد الجوزاء بالباء الموحدة فأجابني حفظه الله بما يؤيد رأيي قال : « كل هذه الاسماء هي اسم نجم واحد هو (النير الذي على المنكب الايمن) حسب رواية الصوفي وهو ايضاً (منكب الجوزاء او يد الجوزاء اليمنى) على رأي الغ بك وكذلك هو (منكب الجوزاء) على ما ذكر البتاني . وسماه اسماعيل باشا الفلكي (منكب الجبار وكتفه) . اما فانديك في كتابه محاسن القبة الزرقاء فقال : (والنير الاعظم الذي على المنكب اليمني سمي منكب الجوزاء وابط الجوزاء ايضاً) فترى مما تقدم ان كل من ذكرنا من اصحاب الازياج اجمعوا على تسمية هذا النجم بمنكب الجوزاء الا الاستاذ فانديك فانه انفرد بتسميته يد الجوزاء مجاراة للفرنجة الذين تواضعوا على هذه التسمية على ما فيها من التحريف . حتى ان العلامة تشامبرز عندما اراد ان يخرج اصل اللفظ وقع في خطإ آخر فقال : « .... وهذه العادة (عادة تسمية النجوم باسماء مخداعة) كانت ايضاً متبعة ايام العرب . ومن المحقق ان معظم الاسماء التي كانت مستعملة عندهم لا تزال مستعملة الى الآن غير انها محرفة . فان (Betelgueze) (الجبار ٩) انما هو (Ibt-al-jauza) (ابط الجوزاء) اي : (The shoulder of the Jauza.) فوضع الابط موضع (Shoulder) اي المنكب . ولقد ذهب بعض المشتغلين بالفلك في عصرنا الحاضر الى ابعد من هذا في التحريف فدعا هذا النجم نفسه باسم (بيت الجوزاء) . وانما وقع في هذا الخطإ الفاضح لانه ذهب في ترجمة اللفظ الفرنجي ترجمة حرفية .

Biham , Baham	
Botein	البُطَين . وهي عند العرب ثلاثة نجوم على الية الحمل وفخذه وعند الافرنج النير منها
Canopus	سهيل . سهيل اليماني . الفحل . نير السفينة (١)
Capella	العيّوق . العنز . رقيب الثريا . وهو نير العنّاز (٢)
Caph	الكف الخضيب . سنام الناقة . وهو الثاني اي بيتا من ذات الكرسي
Castor	رأس أُذُأُون . رأس التوأم المقدَّم . اول الذراع وهو نير التوأمين
Castor & Pollox	الذراع المبسوطة . ذراع الاسد المبسوطة (٣)
Cebalrai	كلب الراعي . بيتا الحوّاء (٤)

(١) يظهر ان سهيلاً كان صورة عند العرب الجاهلية بدليل قولهم « ان تحت سهيل قدمي سهيل » كما تقدم في الحاشية الثالثة . وربما كان الهاً عبدوه كما يستدل من اللام في آخر اسميه اي سهيل والفحل ولعل اصلها أل او ابل اي اله . وقد ذكرت ذلك بالامس للعلامة الاب انستاس وقلت له ايضاً اظن الجدي اي نجم القطب كان معبوداً ولعله جدّ او سعد فكتب اليّ في الصباح التالي يقول : وجدت في هذه الآونة اي منذ فارقتك امس الى هذه الساعة ان الجدي معبود عند الاقدمين من العرب وغيرهم والبحث طويل . ورأيت ان سهيلاً الهاً آخر هو شوايل من اشهر آلهة المصريين اي النور . والفحل فتاح ابل فحثنا وخُنفتا . (٢) يقال ان العيوق مصحف عتود وقيل انه من اليونانية ومعناه العنز وعندي انه الاله يعوق وكان من الهة العرب في جاهليتهم .

(٣) كانت صورة الاسد كبيرة عند العرب وكان له ذراعان الذراع المبسوطة والذراع المقبوضة فالمبسوطة هي هذه اي رأس التوأم المقدم ورأس التوأم المؤخر والمقبوضة هي الشعرى الغميصاء ومرزم الكلب الاصغر وهما في الكلب الاصغر وسيأتي ذكرهما . (٤) اللفظة الافرنجية من كلب الراعي العربية وكلب الراعي ايضاً نجم في الجاثي يقال له رأس الجاثي وهو ليس بعيداً عن هذا وسيأتي ذكره وكلب الراعي ايضاً نجم في قيفاوس .

خارا · السلوقي الثاني	Chara
كَبِد الاسد · نيّر السلوقيين (١)	Cor Caroli
الفَرْد · قلب الشجاع · وقد مر ذكره	Cor Hydrae, Alphard
قلب الاسد · المَلَكي	Cor Leonis, Regulus
قلب العقرب · وقد تقدم ذكره	Cor Scorpii, Antares
عنق الحية · مخرج عنق الحية	Cor Serpentis, unuk al Hay
الدَبَران · وقد مر ذكره	Cor Tauri, aldebaran
نجم في الجاثي لا اعرف له اسماً عربياً ولا اصل الاسم الافرنجي	Cujam
كرسي الجوزاء (٢)	Cursa
سعد الذابح (٣)	Dabih
ذلتا · وهو نجم في المسلسلة لا اعرف له اسماً عربياً	Delta
نير رأس الغول · وقد ذكر	Demon Star, algol
نجم في ذنب العُقاب · احد الظَليمين · ايتا العقاب	Deneb
ذنب العُقاب · ذنب النسر الطائر · زيتا العقاب (٤)	Deneb
الرِدْف · ذنب الدجاجة · وقد ذكر	Deneb, arided
ذَنب الدلفين · عمود الصليب · تابوت ايوب	Deneb

(١) السلوقيان من الصور المولدة وكان هذا النجم معروفاً عند العرب وسماه الغ بك كبد الاسد اما الاسم الافرنجي اي قلب كرلس فهو نسبة الى كرلس او شارل الثاني ملك انكلترة (عن السيد البكري) · (٢) كرسي الجوزاء عند العرب ثلاثة نجوم في الارنب او في النهر وعند الافرنج واحد منها هو بيتا النهر · واللفظة عربية وعربيتها ظاهرة · (٣) سعد الذابح نجمان في الجدي اي الفا وبيتا الجدي اما الافرنج فيسمون الفا الجدي اي انورهما بالجدي فقط وقد ذكر ويسمون الخفي منهما اي بيتا الجدي ذابحاً وهو هذا · (٤) عن محاسن القبة الزرقاء لفانديك ·

ذنب الجدي · اخفى المحبين او المحلفين (١)	Deneb algedi
الضفدع الثاني · ذنب قيطس الجنوبي (٢)	Deneb kaitos
الخفي في ذنب قيطس الجنوبي	Deneb kaitos
الصرفة · ذنب الاسد · ذنب الليث · ذُنب الاسد (٣)	Denebola
ذنب قيطس الشمالي	Dheneb
الضفدع الثاني · وقد ذكر	Difda
الشعرى · الشعرى اليمانية · الشعرى العَبُور (٤)	Dog Star-Sirius
الثاني من جبهة العقرب · ذاتاالعقرب · واللفظة من جبهة العربية	Dschubba
ظهر الدب	Dubhe

(١) في الجدي نجمان يسميها العرب سعد ناشرة والمحبين والمحلفين وهما جمّا وذلنـا الجدي وقدسمى الغربك الثاني منهما ذنب الجدي وعنه اخذ الافرنج اما الاول اي انورهما فيسميه الافرنج ناشرة وسيذكر (عن فانديك بتصرف) · (٢) عندالعرب نجمان بهذا الاسم اي الضفدع احدهما هذا ويقال له الضفدع الثاني وهو على الشعبة الجنوبية من ذنب قيطس والآخر الضفدع الاول وهو النير الذي على فم الحوت الجنوبي وسيذكر ·

(٣) اللفظة الافرنجية ترخيم ذنب الاسد او ذنب الليث · (٤) تسمى الشعرى عند الافرنج سيريوس وهي يونانية معناها المحرقة اوالمسعرة ولعل سيريوس والشعرى من اصل عربي واحد كما يتضح من مادة سَعَرَ · مثال ذلك سعر النار اي اوقدها واشعلها وسُعِر الرجل على المجهول ضربته السموم وسعّر النار وأسعرها فتسعّرت واستعرت · والساعور والساعورة اي النار · والسُعار والسُعْر الحرّ · والسعير النار الى آخر ما جاء من هذه المادة · وعند الاطباء سيرياسيس اي ضربة الشمس المعروفة عندهم بالرعن ويوافقهـا السُعار والسُعْر والسَعْر لفظاً ومعنىً · ولا يعقل ان العرب الذين عرفوا الشعرى منذ آلاف السنين قد اخذوا هذه اللفظة عن اليونانيـة · اما تسميتها بالشعرى فلانها تطلع في الايام المعروفة عند العرب بالباحور والباحوراء وعند الافرنج بايام الكلب اي كلب الجبار وهو من اسماء الشعرى ·

العُرْف · الزُبرة · ظهر الاسد	Duhr
الذيخ · وهو نجم في التنين	Ed asich
الاثافي · وهي ثلاثة نجوم في التنين واللفظة الافرنجية تحريف الاثافي	El-athasi
القفزة الثانية · واللفظة الافرنجية تحريف القفزة	El kophrah
قرن الثور الشمالي · كعب ذي العنان (١)	El Nath
انف الفرس · جحفلة الفرس · فم الفرس	Enif
الراعي · هو كوكب في قيفاوس · والراعي ايضاً رأس الحية وسيذكر	Er Rai
ثاني العوائذ · في التنين · وهو احدى عيني التنين	Etamin or Ettanin
الضفدع الاول · فم الحوت · وهو نير الحوت الجنوبي اما الضفدع الثاني فقد ذكر	Fomalhaut
الفرود · الاغربة · وهي عند العرب نجوم في الكلب الاكبر وعند الافرنج نجم فيه	Furud
	Gemma see alphecca
ذنب التنين (٢)	Giansar
جَناح الغراب الايمن	Gienah
جَناح الدجاجة	Gienah

(١) هو نجم مشترك بين الثور والعنّاز واللفظة من الناطح العربيـة وليس هو الناطح الذي في الحمل وسيأتي ذكره · (٢) مما جاء في معجم و بستر في اصل هذه اللفظة انها من جوزهر اي رأس التنين وذنبـه وجاء عن الجوزهر في مفاتيح العلوم ما نصه « الجوزهر هو النقطتان اللتـان تتقاطع عليهما الدائرتان من الافلاك تسميان العقدتين · والجوزهر كلمـة فارسية وهي كوزچهر اي صورة الجوز وقيل كوي چهر اي صورة الكرة والاول أصح و يسمى ايضـاً التنين وهذه صورته في الاصل واحدى العقدتين تسمى الرأس والأخرى الذنب » ·

المِرْزَم · مرزم الكلب الاصغر · مرزم الذراع · مرزم الغُميصاء (١)	Gomeisa
	Graffias, acrab
اخفى العوائذ · في التنين	Grumium
الناطح · نير الحَمَل (٢)	Hamal
رأس التوأم المؤخر · رأس ارقلاس او هرقل (٣)	Hercules-pollox
سعد الهمام في الفرس	Homan
القِلاص والقلائص · قِلاص النجم اي الثريا · وهي نجوم في الثور (٤)	Hyades

(١) عند العرب ثلاثة نجوم تعرف بالمرزم احدها الناجذ وهو على المنكب الايسر من الجبار وقد ذكر · والثاني في الكلب الاكبر ويسمى مرزم الشعرى ومرزم العَبُور وسيأتي ذكره · والثالث هو هذا ويسمى مرزم الغميصاء · والذراع المقبوضة هي هذا النجم مع الغميصاء وليس هو الغميصاء كما يظن من اسمه الافرنجي فالغميصاء ويقال لها الشعرى الشامية نجم آخر في الصورة عينها اي في الكلب الاصغر وسيأتي ذكرها ·

(٢) هو انور الشرطين او انور الاشراط عند من قال الاشراط ثلاثة فيكون احدها هذا والافرنج يسمونه باسم الصورة اي الحمل ويسمون الثاني الشَّرَطان وسيأتي ذكره ويسمون الثالث وهو اخفاها مشارطيم وسيذكر · (٣) لقد مرَّ بنا ان رأس التوأم المقدم ورأس التوأم المؤخر يقال لها عند العرب الذراع المبسوطة · (٤) قال السيد البكري في تعليق له على هذه النجوم « هذه اللفظة اي هيادس من اصل يوناني معناه الماطرة وهي كواكب في شرق الثريا من صورة الثور تدعوها العرب القلاص · وهذا المعنى في الاصل اليوناني قريب من معنى الثريا عند العرب لغة واصطلاحًا · اما اللغة فان اشتقاق الثريا فيها يرجع الى الثراء او الثروة اي كثرة المال · والاصل في ذلك الثرى اي الارض الندية التي اصابها الندى · ويقال رجل ثروان وامرأة ثروى تصغيرها ثريّا · واما اصطلاحًا فقد ذكر البيروني عند الكلام في منازل القمر قال : « وزعم بعضهم انها سميت بذلك لان المطر الذي يمطر بنوءها تكون منه الثروة وهو الغنى » · فترى من هذا كيف ان وحدة الفكر والطبع في الانسان تظهر في لغاته ونزعاته مهما اختلفت اصول الشعوب

Izar	الإزار · مراق" الازار · المئزر · في العواء
Jusa - Giansar	ذنب التنين
Kaus australis	الجنوبي من النعام الواردة
Kaus Berealis	راعي النعائم · في شمال القوس
Kaus Meridionalis	الذي على مقبض القوس
Keid	القَيْض · وهي كواكب في النهر
Kids	الجَديان او السَخْلتان · وهما نجمان في العنّاز
Kiffa australis	الكِفّة الجنوبية · الزُباني الجنوبي
Kiffa Borealis	الكِفّة الشالية · الزُباني الشمالي
Kitalpha	نير قطعة الفرس · واللفظة الافرنجية ترخيم قطعة الفرس
kochab	جَنْب الدب الاصغر · انور الفرقدين · والفرقدان نجمان في الدب الاصغر يسميهما الانكليز حارمي القطب
kornephorus	نجم في الجاثي لا اعرف له اسماً عربياً ومعنى الاسم اليوناني حامل الدبوس
Lesath	لسعة العقرب · تالي الشولة · واللفظة من لسعة العربية
Maia	مَيّة · وهو نجم في الثريا لم يذكر له العرب اسماً ·
Marfik	مَرْفق الحواء
Markab	مَرْكَب الفرس · مَتْن الفرس · جَناح الفرس · هذا وساعد الفرس هما الفَرْغ المقدم ·

« للبحث صلة » الطبيب امين المعلوف

وتباينت احوال الاجتماع » انتهى ما كتبه السيد البكري · قلت واثباتاً لما ذكره فان الثريا في اساطير اليونان هن بنات بلايوني احدى بنات الماء عندهم ومعنى اللفظة باليونانية الكثيرة او الثروى او الثريا لانها على ما زعموا اوفر عدداً من القلاص ولعلها سميت بذلك لا لكثرة عددها بل لان منها الثروة او الغنى على ما ذكر البيروني فيكون معنى الثريا واحداً عند اليونان والعرب (انظر الثريا في المعلمة البريطانية) ·

الفاظ عربية لمعان زراعية

— ٦ —

اجزاء المحراث الحديث . — المحراث الحديث مركب من بضعة اجزاء . منها قوامه المسمى بالفرنسية (Age) وهو قطعة أفقيـة تشد بهـا سائر قطع المحراث ولعل لفظتي السِّلْب والوَنْج اللتين تستعملان في المحراث البلدي تصلحان اسماً لهذه القطعة .

ومنهـا نصل من حديد امام السكة يشق الارض عمودياً ويسمى بالفرنسية (Coutre) وقد اسميته سكين المحراث لانه يشبه السكين المعروفة شكلاً وعملاً .

ومنها نصل عريض يشق الارض أفقياً اسمه (Soc) ولعل اصلح لفظـة له السِّنَّة والسِّنُّ والسِّكَّة . ومنها قطعة من حديد وراء السنة تزحف على التراب اسمها (Sep) وقد تكون لفظة الدُّجْر والدَّجْر صالحة لان تكون اسماً لها .

ومنها الآلة التي تقلب قطعة التراب بعد ان تفصلها السكين عمودياً والسنة أفقياً . وهذه الآلة تدعى (versoir) وقد كنت ترجمتها بلفظة مِقْلَب .

ومنها الآلة التي تعدل عمق الحرث وعرضه وهي بالفرنسية (Régulateur) اي ميزان المحراث .

ومنهـا السيفان (Mancherons) وهما القطعتان اللتان يمسك بهما لضبط حركة المحراث . وكل منهما تنتهي بمَسْدَق (Poignée) وهي الخشبة التي يقبض عليها الحراث .

* * *

وخصاء الدواجن على اشكال . قال ابو زيد خصيت الفحل خصاء اذا نزعت أنثييه (خصيتيه) وهو بالفرنسية (Ablation) او (Arrachement) وهو ايضاً المَتْن . ونريد استعمال الخصاء لكل انواع العمل فتكون اللفظة الفرنسية التي تقابلها (Castration) ويكون ما يقـابل المتن (Ablation) فاذا رضضتها فقد وجأته وهو الوجاء وبالفرنسية (Martelage) اما اذا شددتهما حتى تَنْـدُرا فقـد عصبته عصباً وهو (Castration par ligature) او هو ما يسمى (Bistournage).

وحافر الفرس على ثلاثة اقسام الغلاف (Paroi) وهو ما تراه من الحافر والفرس

واقف . والصحن (ابن الاعرابي) (Sole) وهو باطن الحافر ثم النسر (Fourchette) وهو من باطن الحافر القسم البارز الرخو الذي بشكل الحرف اللاتيني v مقلوباً او الرقم ٨ .

والغلاف على اقسام منها السنبك اي مقدم الحافر (Pince) وهو القسم الذي يستقبلك اذا وقفت امام الفرس ، والحاميان (Mamelles) وهما جانبا الحافر عن يمين السنبك وشماله ، والدابرة (Talon) وهي ما يلي مؤخر الرسغ (ابو عبيد) .

ولا احد يجهل ان عمر الخيل يعرف من بعض علائم في قواطعها اي اسنانها الامامية (Incisives) . وللخيل في كل فك ست اسنان قاطعة على شكل قوس . ولكل زوج منها اسم . فالسنان اللتان في مقدم الفك هما الثَّنِيَّتان (Pinces) و يلي كلاً منهما الى داخل الفم رَباعية فهما رباعيتان (Mitoyennes) و يلي كل رباعية سناً تسمى قارحاً فهما قارحان (Coins) . ويكون بين القوارح والاضراس فاصل لا اسنان فيه لدى صغار الخيل اما ذكورها البالغة فانه ينبت لها فيه انياب (Crochets) فيكون في كل فك نابان واحد وراء كل قارح . ولا ينبت للاناث انياب الا ما ندر . ووراء الانياب الاضراس (او الطواحن) (Molaires) . ويكون للخيل البالغة ستة اضراس في كل فك اي ثلاثة في كل ناحية من ناحيتيه . ومتى ازداد تأكل السن يقال انها مُسِحَت (Rasée) اما اذا شاخ الفرس وتأكلت السن كثيراً فيقال انها قد تَسوَّت (Nivlée) .

ومن العيوب في قوائم الخيل التزيدات والانتشارات وهما اصلح ما وجدته في المخصص لما يسمى بالفرنسية (Tares dures) و (Tares molles) . فالتزيدات في القوائم حصول زوائد عظمية فيها بسبب تهيج سمحاقات العظم والتهابها . وتكون هذه الزوائد صلبة مندمجة قاسية لها مجس العظم الصحيح . واكثر ماتحصل في المفاصل . ومن التزيدات المضرة الجَرَد وهو يحصل في اسفل الوجه الداخلي من العرقوب فوق الوظيف قليلاً ويقابله بالفرنسية لفظة (Eparvin) . والفرس الذي يبتلي به لا يظل صالحاً للعمل في الغالب . وقد يحصل الجرد على وجه العرقوب الخارجي فيسمى بالفرنسية (Jarde) وفي هذه الحال لا يكون خطراً . ومن الغريب ان اللفظ واحد في اللغتين .

والتزيدات التي تحصل في الوظيف تسمى بالعربية المَشَش و بالفرنسية (Suros) وقد يحصل على كل وظيف زائدة عظمية واحدة كما يحصل عليه بضع زوائد متتابعة · والفرس يعرج عند حصولها ثم لا يلبث العرج ان يزول · وليس هذا العيب من العيوب الخطرة ·

وعلى العكس من المشش الدَخس (Forme coronaire) فهو خطر جداً · و يحصل في أُطْرة الحافر (Couronne) في الأمام والجانبين فيشاهد انتفاخ عظمي بين الحافر والرسغ ينتهي بالتحام بعض السلاميات ببعض فيصبح الفرس مقعداً حتى يفطس ·

واذا صلبت القطعة الغضروفية الواقعة عند الدابرة اي مايلي مؤخر الرسغ بينه وبين مؤخر الحافر فذلك هو العَرَن و بالفرنسية (Forme cartilagineuse) · وهذا الداء يقلل قيمة الفرس لانه يجعله عاجزاً عن القيام بمعظم الاعمال ·

وكل التحام يحصل في مفاصل الدابة في اي موضع كان من قوائمها بسبب ظهور زوائد عظمية يسمى القُفَاص ولعله بالفرنسية (Fausse ankylose)·

و يصاب غلاف الحافر بشق سواء في السنبك او الحامين او الدابرة · وهذا الشق يسمى بالعربية النَحْلة و بالفرنسية (Seimes) ·

و يصيب الفرس في الرسغ والحوشب وحتى الوظيف احياناً تشقق ناشيء عن التهاب الجلد في الشتاء خاصةً · وهذا الداء تسميه العامة « جلغام » وهو بالعربية الشُقاق و بالفرنسية (Javart cutané) ·

وسألني احد اعضاء المجمع عن اللفظة التي تستعمل للدلالة على ما ينصب في الزرع لزجر الطير وابن آوى والثعلب وغيرها فقلت هو الِمجْدار والنُطّار واللعين والخيال ·

« للبحث صلة »

مصطفى الشهابي
عضو المجمع العلمي

الكلمات غير القاموسية

جواب الشيخ احمد رضا
على اقتراح الاستاذ « المغربي »

(الاول) كلمات عربية قحة لم تذكر في المعاجم ولكنها وردت في كلام فصحاء العرب الذين يحتج باقوالهم كتبدى بمعنى ظهر في شعر عمرو بن معدي كرب الخ ٠

أقول بصحتها اذ ليس الشرط في صحة استعمال الكلمة ورودها في المعاجم بل الشرط سماعها عن العرب فاذا وردت الكلمة في كلام الموثوق بعربيتهم صح استعمالها وان لم تذكر في المعاجم ٠ ولا يصح الاستدلال على منعها بانه لو صحت عندهم لذكروها في معاجمهم وقد رأوها كما رأيناها ٠ لاحتمال ان يكون تركهم لها لعلة أخرى ومتى حصل الاحتمال بطل الاستدلال ٠

(الثاني) كلمات عربية لم تذكرها المعاجم ولكنها وردت في كلام فصحاء العرب الذين لا يحتج باقوالهم الخ ٠

اقول ان ورد مثل هذا في كلام أئمة اللغة ونقلتها الذين يوثق بامانتهم اخذنا ورودها في كلامهم مأخذ التنصيص على نقلهم لها وهم مع امانتهم وورعهم في النقل ومع علمهم بان اللغة توقيفية لا يقدمون على استعمال ما لم يروه صحيحاً سائغاً لا سيما اذا تكرر في كلامهم فكأنهم يقولون خذوه منا لاننا سمعناه عن العرب ٠

(الثالث) كلمات عربية المادة لا يعرفها العرب او يعرفونها بمعان أخر كهيأة المحكمة وتشكيل الحاكم الخ الخ ٠

اقول : لم يزل المعنى الاصطلاحي معروفاً عند جهابذة العربية واول مايتلقاه التلميذ : الكلام له معنيان معنى في اللغة ومعنى في الاصطلاح فهل مع هذا ينكر المعنى الاصطلاحي او يرفض استعماله فيما اصطلح عليه فيه فهو اذاً صحيح واستعماله صحيح بلا مناقشة ٠

(الرابع) كلمات عربية المادة ولدها المتأخرون من اهل الامصار ولا يعرفها العرب الاولون ولم ينطق بها فحول الكتاب المقرمون مثل خابره واحتار وتفرج الخ ٠

اقول : ارى ان الكلمة التي استعملها المتأخرون ان كانت ذات اصل في اللغة واستعملت مجازاً في معناها الجديد بحيث شاعت وصارت كالحقيقة العرفية صح استعمالها وان لم تكن ذات اصل في اللغة بل هي مولدة صرفة كانت معدودة في المولد ولا ارى مانعاً من استعمال المولد الشائع ولكنه غير فصيح فهو كاستعمال الوحشي اللغوي صحيح غير فصيح .

(الخامس) كلمات دخيلة أعجمية الاصل منها الثقيلة على اللسان مثل اتومبيل ومنها الخفيفة مثل فلم الخ .

اقول : ان التعريب مفتوح الباب في اللغة لا سيما فيما لم يكن له اسم عند العرب وارى ان الكلمة ان كانت خفيفة على اوزان العرب صح استعمالها كما هي كما استعمل العرب الاولون لجام الاعجمية وغيرها . وان كانت ثقيلة عربت بالنحت والتشذيب حتى ترجع الى اوزان العرب او نضع غيرها موضعها عربياً صرفاً .

(السادس) الاساليب والتراكيب المتسربة الى اللغة عن الاجنبية ولا يعرفها العرب الاقدمون كذر الرماد في العيون الخ .

اقول : التوقيف في اللغة انما هو في الالفاظ اما في الاساليب فلا اعرف احداً قال به فاذاً لا غبار على تلك الاساليب ولا بأس من استعمالها .

(السابع) كلمات عربية لا يستعملها احد من الفصحاء بل يتحاشون النطق بها مثل بدي آكل ، جيب الكتاب الخ .

اقول : مثل هذا لا يصح استعماله وهو هتك لحرمة اللغة بالانحياز الى العامي والعدول عن الفصيح .

آراء وافكار

الاشكرلاط والاشقرليط

في اللغة الفرنسية لفظة حار علماؤهم في ردها الى اصل معقول وهي (Ecarlate) ومعناها احمر بلون الشمس قبل غروبها · فقال قوم انها من البروفنسية وآخرون من الاسبانية وجماعة من الانكليزية ومنهم من ذهب الى انها من الفارسية وبعضهم قال انها من العربية «شكرلاط» فردّهم بعض الباحثين بقوله ان هذه اللفظة المزعوم انها عدنانية لا ترى في كتبهم · اما الانكليز فان وبستر يذكر انها فارسية من (سكرلات) والحال ان الفرس يقرون بانها حديثة في لغتهم وانها أعجمية ·

اما نحن فنذهب الى انها من لغتنا الضادية من (أشقراللاط) فقالوا : « اشقرلاط واشقرليط واشكرلاط واشكرليط وسقلاط وسقلاطون وسكلاطون الى غير هذه التصحيفات ، حين لا يظهر معنى اللفظ لاول وهلة ·

ومعنى « اشقراللاط » اشقر اللون · وقد عني الاشقر لون الاحمر على اختلاف إماته (جمع أمت وهو اختلاف اللون الواحد بعض الاختلاف) لان السلف كثيراً ما يتساهل في استعمال الالفاظ ومعانيها · فقد يأتي اسم اللون الواحد بمعانٍ شتى قد لا تخطر على البال ، لكن تباين القبائل احدث تباين المعاني ، اما ان الليط هو اللون فهذا ما اتفق على ايراده جميع اللغويين وربما جاء لليط بمعنى اللون الاحمر الذي يُرى في الأفق عند الشروق وعند الغروب · وهذا ما يؤخذ من كلام صاحب شرح القاموس · قال في مادة ل ي ط : الليط بالفتح : اللون ويكسر · وكذلك اللياط · وليط الشمس لونها ··· يقال هو أنور من ليط الشمس · ويقال أتيته وليط الشمس لم يقشر اي قبل ان تذهب « حمرتها » في اول النهار والجمع الياط اه ·

ولا جرم ان هذه الحمرة هي التي يسميها الافرنج « احمر اشقرلاط » (Rouge écarlate) · ومن الادلة على ان هذه الشقرة هي الشقرة التي نتحدث عنها ان السلف سموا شقائق النعمان بالشقراء وان الشقر نبات احمر حمرته كحمرة الشقائق المذكورة وهناك دليل

آخر على ان الشقرة هي هذا اللون الاحمر القرمزي انهم سموا الديك الشُقْر والشُقَر وذلك لحمرة عرفه . فلاشك في ان «الاشقراليط اوالياط اواللاط» هو من لغتنا العزيزة .

وقد اختلف الناس في ايراد لغاتها . فصاحب نفح الطيب يقوله « الاشكرلاط » قال في (١ : ١٠٣) : « وأقبيتهم (اي أقبية اهل الاندلس) من الاشكرلاط » وقد اخذها عن الأعجمية (Escarlata) .

وقال صاحب التاج وقد ذكرها بصورة سكرلاط (اي بسين مهملة في الاول وبلا همز) في مادة س ق ل ط : السقلاط كاسجلاط زلة ومعنى . وهو الذي تسميه العامة سكرلاط . وجاء في شعر المولدين « ارفل منها في سكرلاط » اه والسيد مرتضى قد وهم . فالسقلاط او السجلاط غير السكرلاط وقد تشابهت الحروف والصيغة . فهذه احدى زلاته .

وجاءت بصورة سقلاطوني في الكنز المدفون ونقلها عنه صاحب مجاني الادب اذ قال (٢ : ٢٣٣) في فصل عنوانه : « فائدة في ماخصت به كل بلدة » : ... وسقلاطوني بغداد . فقال الاب شيخو في الشرح (٧ : ٣٠٣) : سقلاطوني نوع من الاكسية المنسوجة (كذا . كأن بعض الاكسية لا تكون كذلك) رومية معربة اه . ولم يذكر لنا روميتها وفي النسخة الخطية التي كانت عندي من الكنز المدفون : وقال في السقلاطوني « الاشكرلاط او الاشقرليط » . فانظر الى هذه اللغات المختلفة وكثرتها واختلافها ومع ذلك لا ترى لها وجوداً في دواويننا اللغوية مهما كانت واسعة . وقد ذكر العلامة دوزي في معجمه في مادة (أ ش ك ر ل أ ط) الأشكَرلاط وضبطها بفتح الهمزة واسكان الشين المعجمة واسكان الراء يليها لام الف ثم طاء . وقد نقلها عن كتاب الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ص ٨٤ وعن المقري (١ : ١٣٧ في السطر ٢٠) . ثم قال : وفيها لغة أُخرى هي اشكيلاط وقد نقلها عن كتاب الف ليلة وليلة (في الجزء ١٠ في الصفحة ٣٠٥ في السطر ٢ وما يليه) . ولعل هناك غير هذه اللغات التي لم نقع عليها ، اذ لم نتتبعها كلها .

هذا ما بدا لنا في هذا اللفظ ومن أراد ان يزيد فيه شيئًا او يخطئ نظرنا فنحن له من الشاكرين .

الاب انستاس ماري الكرملي

صاحب مجلة لغة العرب

مطبوعات حديثة

هدية الكشاف المسلم

لمجلة (الكشاف المسلم) التي تصدر في بيروت ، عادة في اهداء مشتركيها كتاباً تختاره في كل سنة ، ففي هذه السنة وقع اختيارها على ثلاث محاضرات الاستاذ الفاضل عبد القادر المغربي عضو مجمعنا ، كان القى احداها وهي : (محمد « ص » والمرأة) في حفلة اقامتها (جمعية تهذيب الشبيبة السورية) ببيروت ، السنة الماضية ، والثانية والثالثة من محاضراته في ردهة المجمع ، واحدة عنوانها : (ابن خلدون في المدرسة العادلية ، والاخرى عنوانها : (محاكمة وزيرين في امر ابن خطير بن ، فطبعتها في مجموعة واهدتنا نسخة منها ·

حسن انتقاء الاستاذ المشار اليه لموضوعات محاضراته ، وجزالة اسلوبه في انشائه مما لا حاجة الى التنويه به ، فلا نذكر هنا الا ايضاح الموضوعات المارة الذكر : فالاولى موضوعها بيان المنزلة الكريمة التي احل الاسلام المرأة فيها والثانية فيها لابن خلدون تفصيل ما جرى في دمشق اثناء زيارته اياها واقامته في مقر المجمع العلمي اليوم ومصادفة ذلك لحصار تيمور ، والثالثة فيها ذكر واقعات ناشئة عن منافسة كانت بين وزيري المقتدر العباسي ، وهما ابو الحسن بن الفرات ، وعلي بن عيسى ، وثلاثتها مما تلذ قراءته لمن لم يكن حاضر القائها · مسعود الكواكبي

معجم المطبوعات العربية والمعربة

وهو شامل لاسماء الكتب المطبوعة في الاقطار الشرقية والغربية مع ذكر اسماء مؤلفيها ولمعة من ترجمتهم وذلك من يوم ظهور الطباعة الى نهاية سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩١٩ م ·

جامع هذا الكتاب ومرتبه السيد يوسف اليان سركيس احد المولعين بالكتب ومن

مشاهير قدماء الورافين عرفته منذ عشرين سنة كلفاً بالبحث في الكتب والتنقيب عنها وكتابه هذا جامع لجميع ماطبع من المصنفات العربية والمعربة في الشرق والغرب .

أجاد واضع هذا السفر المفيد لمعرفة المؤلفات والمؤلفين قديماً وحديثاً شرقاً وغرباً وسهل السبيل على الباحثين والمنقبين في الكتب وفيه من سهولة المأخذ وقرب التناول ما يكفي الاديب مؤنة البحث وعناء التنقيب ويغنيه عن مراجعة فهارس عديدة وفيه فوائد جمة اقتبسها من الكتب التي يعتمد على صحتها و يصح الرجوع اليها ثم ينبه اليها في هامش الكتاب لمن أراد الرجوع اليها والتوسع فيها . وهكذا يجب على من نقل كلام غيره ان يشير اليه لتحصل الثقة بصحة النقل و يرجع اليه عند التحقيق وقت الحاجة .

ولا يجوز ان يبخس من قيمة هذا الكتاب القيم نسيان جامعه بعض المؤلفات للمؤلفين الذين ذكرهم لانه لا يتأتى ان يكون هذا التصنيف الواسع كاملاً في طبعته الاولى لما يتطلب من البحث والتنقيب وكثرة الاطلاع .

والمعجم المذكور يظهر اجزاءً ليسهل اقتناؤه ومطالعته وقد ظهر منه الى الآن سبعة اجزاء في ٣٣٦ صفحة بقطع كبير من الالف الى حرف العين مع الطاء وعندما يتم طبعه يمكن لجامعه استدراك ما فاته وما لم يطلع عليه بوضع ذيل للاستدراكات وهو شيء قليل على ماظهر لنا في الاجزاء الثلاثة الأول ومع ذلك فقد خدم مؤلفه العربية خدمة جليلة بوضع هذا المعجم المفيد الذي يهم كل من شغف بحب الكتب الاطلاع عليه وهو جدير بان لا تخلو منه مكتبة عالم او اديب والكتاب مطبوع احسن طبع على اجود ورق .

حسني الكسم

النشرة الدورية

« لدار الكتب المصرية »

طبعت بمطبعتها سنة ١٩٢٨ في ١٧٨ صفحة بقطع الربع

هذه النشرة تنقسم الى ثلاثة اقسام : الاول منها خاص باسماء الكتب على الحروف الهجائية بدون مراعاة فن كل كتاب اولغته كترتيب كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة .

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : شباط سنة ١٩٢٩ م الموافق شعبان ورمضان سنة ١٣٤٧ هـ ٩٨

مطالعات لغوية

جاء في هذه المرة الجزآن التاسع والعاشر من المجلد الثامن من مجلة المجمع وفيهما مباحث كثيرة اختلست بعض سويعات من وقتي الضيق لاجل التعليق عليها . وها أنذا بادئ بالكلام على كتاب المنذر وملاحظات الاستاذ احمد رضا عليه فأقول :

كل من المجهذين المنذر ورضا من فرسان العربية المجلّين واني لأوافق الاستاذ رضا على ما وفّره من حق الاستاذ المنذر وما نوّه به من فضله وأضع ختمي في هذا التنويه بجانب ختمه .

ثم أدخل في الموضوع :

فأنا موافق للشيخ احمد رضا على تجويزه مناولة الطعام ومظاهرة الشعب ومخالف للشيخ المنذر في منعهما لا بل متعجب من قول فاضل مثله بعدم جوازهما مع انهما مستفيضتان في أفصح الفصيح وواردتان في المعاجم المشهورة .

في الجزء الاول في القسم الثاني من الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد صفحة ٩٩ « كان رسول الله اذا لقيه احد أصحابه فتناول يده ناوله اياها فلم ينزع يده منه حتى يكون الرجل هو الذي ينزع يده منه » .

في العبارة تناول وناول وكلاهما مكرر في تلك الصفحة وفي غيرها . وهو حديث مروي عن الاوائل اذ يقول فيه : حدثنا خلف بن الوليد عن ابي جعفر الرازي عن ابي درهم عن يونس بن عبيد عن مولى لأنس بن مالك قال : صحبت رسول الله صلعم الخ الى الكلام الذي فيه الشاهد .

ثم في الصفحة ١٠٩ من ذلك القسم نفسه ما يأتي :

« أخبرنا عارم بن الفضل اخبرنا حماد بن سلمة عن عبد الرحمن بن ابي رافع عن عمته سلمى عن ابي رافع قال : ذبحت للنبي (صلعم) شاة فقال يا ابا رافع ناولني الذراع فناولته ثم قال ناولني الذراع فناولته ثم قال ناولني الذراع قال فقلت يا رسول الله وهل للشاة الا ذراعان فقال لو سكتّ لناولتني ما دعوت به » ·

ونكتفي بهذا القدر فانه كافٍ ·

واني أتذكر البيتين الشهيرين اللذين قائلهما ممن يوثق بلغته وأظنه حسان بن ثابت الانصاري :

ان التي ناولتني فرددتها قُتِلت قتلت فهاتها لم تُقتَلِ
كلتاهما حلب العصير فعاطني بزجاجة ارخاهما للمفصلِ

ففيها كل من ناول وعاطي ·

ولنرجع الى النصوص ·

جاء في لسان العرب في مادة عطا : والاعطاء والمعاطاة جميعاً المناولة ·

وهنا عاطى وناول ايضاً مصرح بكل منها ·

ثم يقول : والمعاطاة المناولة وفي المثل عاط بغير انواط اي يتناول ما لا مطمع فيه ولا متناوَل وقيل يضرب مثلاً لمن ينتحل علماً ولا يقوم به ·

ثم يقول : وعاطاه اياه معاطاةً وعِطاءً قال : (مثل المناديل تعاطى الأشربا) اراد تُعاطاها الأشرُب فقلب ·

ثم يقول : الازهري الاعطاء المناولة ·

ثم يقول: والمعاطاة ان يستقبل رجل رجلاً ومعه سيف فيقول: أرني سيفك فيعطيه فيهزُّه هذا ساعةً وهذا ساعةً في سوق او مسجد وقد نُهي عنه ·

ثم يقول : وعاطى الصبي اهله عمل لهم وناولهم ما ارادوا وهو يعاطيني ويعطّيني بالتشديد اي ينصفني ويخدمني ويقال عطّيته وعاطيته اي خدمته وقمت بامره ·

ثم ينشد لذي الرمة البيت الآتي :

تعاطيه احياناً اذا جيد جَودةً رُضاباً كطعم الزنجبيل المعسَّل

واما فعل ظاهرَ بمعنى عاون فانظر ما يقول اللسان ايضاً :

وظاهر فلان فلاناً عاونه والمظاهرة المعاونة وفي حديث علي عليه السلام انه بارز يوم بدر وظاهر اي نصر واعان .

ثم يقول :

واما قوله عز وجل (وكان الكافر على ربه ظهيراً) قال ابن عرفة اي مظاهراً لاعداء الله تعالى وقوله عز وجل (وظاهروا على اخراجكم) اي عاونوا .

ثم يقول :

وظاهر عليه اعان واستظهره عليه استعانه . وفي ترجمة عبد الملك بن مروان في الجزء الخامس من طبقات ابن سعد : كان اهل المدينة قد اخذوا على بني أمية العهود والمواثيق ان لا يدلّوا على عورة لهم ولا يظاهروا عليهم عدواً . وفي اساس البلاغة : وظاهره عاونه وتظاهرا .

وفيه : وهو يعاطيه الكأس ويتعاطونها وعاطى الصبي اهله اذا عمل لهم وناول ما ارادوا .

اما مسألة « مداركة الخطر » و « معاطاة المهنة » فلا اراهما من الباب نفسه . ففي اساس البلاغة : ودارك الطعن تابعه وطعن دراك .

وفي لسان العرب : والدراك المداركة يقال دارك الرجل صوته اي تابعه .

والذي أراه ان الاستاذ المنذر لم ينكر وجود (دارك) من حيث هي لكنه أنكر استعمالها بمعنى (تدارك) فلا يقال (دارك الخطر) والصواب عنده ان يقال (تدارك الخطر) لان (دارك الخطر) يكون معناها (تابع الخطر) وهو غير المقصود من (تدارك الخطر) اي تلافاه .

والاستاذ رضا يرى ان المداركة كالتدارك وان معنى كلتيهما اللحوق والمتابعة فما داموا يقولون : تدارك الامر وتدارك الخطر الخ فلما ذا لا يقولون : دارك الامر ودارك الخطر ؟ ولست على هذا الرأي وذلك لانهم قالوا تدارك الامر وتدارك ما فرط منه بالتوبة وتداركه الله برحمته وتدارك خطأ الرأي بالصواب ولم يقولوا : داركه الله برحمته ولا دارك ذنبه بالتوبة ولا دارك خطأه بالصواب . نعم ان تخريج ذلك ممكن من جهة معنى المتابعة ولكنه مخالف للنصوص ولاصطلاح العرب في كلامهم .

وكذلك ارى ان يقال (تعاطي المهنة) لا (معاطاة المهنة) واذا قيل (معاطاة المهنة) فلا بد من تخريجها على انها من باب يعاطيه اي يخدمه فقولك (يعاطي المهنة) يكون بمعنى (يخدم المهنة) ومعاطاة الشيء ليست كمعاطاة الشخص كما لا يخفى فلا يخلو هذا التخريج من تكلف وبقي ان العرب في كلامهم قالوا : يتعاطى معالي الامور ويتعاطى العمل الفلاني الخ ولم يقولوا يعاطي معالي الامور ويعاطي العمل الفلاني .

و بالاختصار لاأوافق الاستاذ المنذر على انكار (ناول) و (ظاهر) ولكنني أوافقه على انكار (معاطاة المهنة) و (مداركة الخطر) .

* * *

واما راق له وتعهد له وشكا منه وحرمه منه .

فالاستاذ المنذر يمنعها كلها والاستاذ رضا يلتمس لها تخريجات اما على زيادة اللام بين الفعل المتعدي ومفعوله ويقال لها لام التوكيد واحياناً لام التمليك واحياناً لام التقوية . واما على تضمين الفعل معنى فعل آخر . ويقول ان (شكامنه) منصوص عليها . ويورد شاهداً من الاساس .

واني لأري الموقف هنا دقيقاً بل أراه أدق مما يتوهم الكثيرون فلا الاستاذ المنذر ولا الاستاذ رضا يقدر ان يجعل الكلام على اطلاقه في منع او تجويز .

اما قولهم : م نشكو فهو دليل على ورود (شكا منه) وان كانت اللغة الفصحى هي شكاه لا شكا منه .

واما فعل (تعهد) فان كان بمعنى (تفقد) فهومما يتعدى رأساً يقال (تعهدت ضيعتي) اي تفقدتها . وان كان بمعنى جدد العهد اوتحفّظ كما هوفي لسان العرب فلامانع من ان ترد بعده اللام فقولك (تعهدت له) معناه (تحفظت له او امامه اوجددت العهدله اوامامه) وهو سائغ لا غبار عليه . واما (راق له) فلا يصح الا على تأويل او تضمين وان زيادة اللام بين الفعل المتعدي ومفعوله لا اراها مما نقدر ان نجعله قاعدة نحوية بل هي مما يراعى فيه المسموع عن العرب . انظر الى نص المخصص في قسم الافعال الذي يتعدى الى المفعول الاول بوسيط وذلك كقولهم اخترت من الرجال زيداً ثم تحذف من فيقال اخترت الرجال زيداً قال : (وفي التنزيل) (واختار موسى قومه سبعين رجلاً) وهذا القسم الثاني

من هذين القسمين من البابين هو الذي نعترض ونعنى باحصائه وتعليله اذ كان باباً غير مطرد وانما يقتصر فيه على (المسموع) قلت والباب الذي نحن فيه هو من هذا القبيل ايضاً يقتصر فيه على المسموع ولا يكون مطرداً . واليك هذا المثال الآخر من المخصص ايضاً وهو قال سيبويه : وليس استغفرالله ذنباً وامرتك الخير اكثر في كلامهم جميعاً وانما يتكلم به بعض العرب وليس كل ما كان متعدياً الى الفعل بحرف جر جاز حذفه الا ما كان مسموعاً الا ترى انك تقول مررت بزيد وتكلمت في زيد ولا تقول مررت زيداً ولا تكلمت زيداً كما قلت امرتك الخير ودخلت البيت في معنى امرتك بالخير ودخلت في البيت) .

قلت وكما ان حذف حرف الجر في تعدية الافعال يقتصر فيه على المسموع كذلك التعدية بحرف الجر في الافعال المتعدية بدون واسطة يقتصر فيها على المسموع . ثم قال ابن سيده : (واذكر ما حكى اهل اللغة من هذا القسم الثاني اعني الفعل الذي تعدى بحذف حرف الجر مما يتعدى الى مفعول او مفعولين . ابن السكيت . شكرتك وشكرت لك ونصحتك ونصحت لك وفي التنزيل (ان اشكر لي ولوالديك) وفيه (ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم) وانشد :

نصحت بني عوفٍ فلم يتقبلوا رسولي ولم تنجح لديهم وسائلي

ومكنتك ومكنت لك قال الله عز وجل : (ولقد مكناكم في الارض) واشتقتك واشتقت اليك وبلغتك وبلغت اليك وهديته الطريق والى الطريق وعددتك مائة وعددت لك وسرقت زيداً مالاً وسرقت من زيد وكذلك سلبت قال عنترة :

ولقد أبيتُ على الطوى وأظلُّه حتى أنالَ به كريم المأكلِ

اي اظل عليه ويقال جمّلك الله وجمل عليك وقال الله تعالى : « انما ذلكم الشيطان يخوّف اولياءه » اي يخوّفكم باوليائه . وقوله تعالى : « لينذر يوم التلاق » اي لينذركم بيوم التلاق و « لينذر بأساً شديداً » اي لينذركم ببأس شديد . ابوعبيد . شغبت عليهم وشغبتهم ورحت القوم ورحت اليهم (ومنه قول العامة بمصر رحت المدينة) . ابن دريد . تروحت اهلي وتروحت الى اهلي اي قصدتهم متروحاً . ابوعبيد . تعرضت معروفهم ولمعروفهم ونأيتهم ونأيت عنهم وحللتهم وحللت بهم ونزلتهم ونزلت بهم وأمللتهم وأمللت عليهم من الملالة ونعم الله بك عيناً ونعمك عيناً . ابن دريد .

وانعم الله لك عيناً وكل ذلك حكاه الفارمي وزاد وانعمك الله عيناً · ابو عبيد · طرحت الشيء وطرحت به ومددته ومددت به وأتأنت الرجل بمتاعه وأتأنت له وقد شيّب الحزن رأسه و برأسه · ابو عبيد · بتّ القوم وبتّ بهم وحُقّ فلان ان يفعل ذلك وحُق له · ابوزيد · افطرت الشهر الذي شكّه الناس يريدالذي شك فيه الناس · ابن دريد · هذا امر لا احفل به ولا احفله · وقال : حسدته على الشيء وحسدته الشيء (قلت ومنه قول المتنبي :

وفي تعب من يحسد الشمس نورها ويجهد ان يأتي لها بضريب)

ابو حنيفة · جنيتك وجنيت لك (قلت ومنه : ولقد جنيتك اكمؤاً وعساقلاً) وصدتك وصدت لك· ابن دريد · ظفرت بالرجل وظفرته واويت الى الرجل واويته أو يتاً نزلت به قال الفارمي فاما قولهم وعدته كذا فأراه متعدياً في اوليته بغير وسيط وقد زعم قوم انه لا يقال وعدته كذا الا على نية اسقاط الوسيط · (الى ان يقول) · ابن دريد · غاليت السلعة وغاليت بها وثويت بالبصرة وثويتها واستيقنت الخبر و بالخبر وجاورت في بني فلان وجاورتهم وكلت لك وكلتك ووزنت لك ووزنتك ورهنت عنده رهناً ورهنته رهناً وخذل القوم عني يخذلون خذلاً وخذلاناً وخذلوني خذلاناً وخذلاً و يأتي عليّ اليومان لااذوقهما طعاماً اي لااذوق فيهما وكنت آتيك كل يوم طلعته الشمس وأنشد .

(يا ربّ يوم فيه لا أُظَلَّلُه)

اي لا أُظلّل فيه وقال بعضهم :

(في ساعة يُحَبُّها الطعامُ)

اي يُحَبُّ فيها الطعام وهذا في المواقيت جائز ثم قال رأيت العرب قد ألفت المحالّ حتى جرى الكلام بالغائب المتصل فقالوا خرجت الشام وذهبت الكوفة وانطلقت الغور فانفذت هذه الحروف في البلدان كلها للمضمر فيها ومن هذا لم نقل ذهبت عبد الله ولا كتبت زيداً لانه ليس بناحية ولا محل هذا قول الكوفيين واما البصريون فانكروا ذلك فيما كان مخصوصاً وانما يفعلون هذا في المبهم كالمذهب والمكان والظروف التي لا حدود لها ولا نهاية وهي في الاقطار الستة خلف وامام وفوق واسفل ويمين وشمال ·

(الى ان يقول) : تعلقتك وتعلقت بك وكفتك وكلفت بك وانما سهل في الباء

لانها اصل لجميع ما وقعت عليه الافاعيل اذا كنيت عنهـا بفعلت الا ترى انك تقول ضربت اخاك فاذا كنيت عن ضربت قلت فعلت به قال الله تعالى : (وزوجناهم بحور عين) اي زوجناهم حوراً عيناً وهذه لغة لأزد شنوءة تقول زوّجته بهـا وغيرهم يقول زوّجته اياها ٠

(الى ان يقول) : وحاشيته القوم اي من القوم (قلت ومنه : ولا احاشي من الاقوام من احد) وجعجعت الابل وجعجعت بها حركتها للاناخة والنهوض وعضضته وعضضت عليه واعترّه واعترّ به تعرض لمعروفه اقطعته النهر واقطعته به جاوزته به اقذعت الرجل واقذعت له رميته بالفحش علقت الدابة وعلقت عليها من العليق وعشوت النار وعشوت اليهـا ٠ اطـاعه واطاع له لم يعصه ٠ حط الرَّحْلَ البعير وحط عنه وذلك اذا طني فالتوت رئته بجنبه فحط الرحْلَ عن جنبه بساعده دلكاً على حيـال الطنى حتى ينفصل عنه ٠ احمشت القدر واحمشت بها اكثرت وقودها وحضن الطائر بيضه وعلى بيضه وحضنت بين القوم وحضنتهم اصلحت بينهم وحدس الرجل ناقته وحدس بها اذا اضجعها ثم وجأ بشفرته في منحرها واستخبت الخبر واستخبت عنه ومسح عنقه ومسح بها ضربها وحظرت الشيء وحظرت عليه ٠ ابن جني ٠ عطوت الشيء وعطوت اليه واعشت القوم واعشت بهم اعجلتهم عن امرهم وتعمدته وتعمدت له وهو ضد الخطأ وعرمنا صبيك وعرم علينا أشر ومرح علينا وقاع الفحل الناقة وقاع عليها ضربها ووشعت الجبل ووشعت فيـه علوته وابضعته الكلام وابضعته بالكلام بينته له وبعته الشيء وبعته منه اشتريتـه ووزعتـه ووزعت به كففته وزُعت الناقة وزعت بزمامها كذلك وزعت الرجل وزعت به قدمته وعطا الشيء وعطا اليه تنـاوله ووعـته ذلك ووعدته به وحَسيت الشيء وحسيت به احسسته وحفوا به وحفّوه احدقوا به رحضج البعير حمله وبحمله طرحه وحدجه ببصره وحدج اليه به رماه به وحدثته الحديث وحدثته به ومتحت الدلو ومتحت بها جبذتها لأ ى و بحثت عن الخبر و بحثته (قلت كان بعض ادباء الاتراك اختلفوا على جواز قولهم مسألة مبحوثة فبعضهم اجازها وبعضهم اوجب ان يقال مسألة مبحوث عنها و بحسب هذا النص من المخصص قولهم مبحوثة جائز) كشفتها ٠ وكذلك استخثته واستخثت عنه وأحبرت الضربة جلده و بجلده اثرت فيه واستحييت الرجل واستحييت منه وطوّحته وطوحت به (قلت اما الحريري

فاختار الثاني في قوله طوحت بي طوائح الزمن) حملته على ركوب مكاره يخاف هلاكه فيها وثأره وثأر به ادرك ثأره وناحته المرأة وناحت عليه وهجهجت السبع وهجهجت به صحت به وزجرته وهششته وهششت به بششت ومذقته ومذقت له لم أخلصه واقنت الشيء واقنت به جعلته قوتي واوفقت السهم واوفقت به وضعته في الوتر لارمي به وكتّبت الناقة وعليها صررتها واوكيت القربة واوكيت عليها ربطتها بالوكاء ورجزت به ورجزته انشدته ارجوزة وزجلت الشيء وزجلت به رميته ونجل به ابوه ونجله وجأجأت الابل وجأجأت بها دعوتها للشرب واشرفت الشيء واشرفت عليه علوته وشرفته وشرفت عليه فضلته واشـاط دمه وبدمه اذهبه واشدت ذكره وبذكره اشعته وضبط على الشيء وضبطه وصففت الدابة وصففت لها عملت لها صفة وأنصته وانصت له سكت وذهلت الشيء وذهلت عنه (بفتح عين الفعل) وذهلته وذهلت عنه (بكسر العين) تركته على عمد وأذهلته الامر وأذهلته عنه ونوهت به ونوّهته رفعت ذكره وخفرت الرجل وخفرت به وعليه أجرته والغزت الكلام والغزت فيه عميّته وفزّت نسي عن الشيء وفزّته أبته وتكلم فما اسقط كلمة وماسقط في كلمة انتهى .

ولست اقول ان هذه الأفعال التي احصاها ابن سيده هي كل ما جاء من الافعـال متعدياً بالحرف او رأساً فإن كتب اللغة تذكر افعالاً أخرى كثيرة غير هذه ومن جملتها عفوت عنه وعفوته وهذا الثاني هو الذي سمعه الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي من فم السيد جمال الدين الافغاني في قوله (عفوت شاه العجم) وانا سمعت الجملة نفسها من السيد جمال الدين لكن بتعدية الفعل بعن . ومن جملتهـا حجر عليه وحجره وغدر به وغدره ودمّرهم ودمّر عليهم ومنعه الشيء ومنعه منه وخطب الناس وخطب فيهم و برح المكان و برح منه واستعانه واستعان به واستنجده واستنجد به و بايعه و بايع له وغير ذلك . ولكننـا لم نجد بين الافعال التي تتعدي رأساً وبوسيط فعل (رافه) و (راق له) ولا (حرمه) و (حرم منـه) بل الفعل انما هو (راقه الشيء) و (حرم الامر) واما لام التقوية فأكثر ما تستعمل بعد المصدر واسم الفاعل من الافعال المتعدية رأساً فيقالـــ (هذا الفعل ينصب مفعولين) ولا يقال (ينصب لمفعولين) وانما اذا جاء من الفعل مصدر او اسم فاعل تغيرت الحال فيقال (فعل ناصب لمفعولين) و يقال (نصبه لمفعولين) وهذا مستفيض جداً في كلام العرب لا تجد ى شواهده حتى في كلام الطبقة العليا وحتى

في كلام الذين يستشهد بكلامهم . وفي سيرة عبد الملك بن مروان انه كان كثير الاعتماد على قبيصة بن ذؤيب لا يحجب عنه اي ساعة جاء من ليل او نهار وكانت السكة اليه : تأتيه الاخبار قبل عبدالملك فيقرأ الكتب قبله « ثم يأتي بها منشورةً الى عبدالملك فيقرأها اعظاماً لقبيصة » . وفي سيرة محمد بن الحنفية « قال ابن الحنفية وفدت على عبد الملك فقضى حوائجي وودعته فلما كدت ان اتوارى من عينيه ناداني ابا القاسم ابا القاسم فكررت (اي فرجعت) فقال لي : اما تعلم ان الله يعلم انك يوم تصنع بالشيخ ما تصنع ظالم له (اي ظالمه) يعني حين اخذ ابن الحنفية مروان بن الحكم يوم الدار الخ » وفي حديث عبيد الله بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم « ثم دعا مصعب خاله نعيم بن مسعود فقال لقد كنت مكرماً لك محسناً فيما بيني وبينك » والشاهد هنا في (مكرماً لك) .

وفي الأغاني الصفحة ٣٤ من الجزء الاول (لولا رعايتي لحرمته) اي رعايتي حرمته وفيه في الصفحة ٤٨ من الجزء المذكور (التقديم لغنائه) اي تقديم غنائه . وفي الجزء الثاني من طبقات ابن سعد صفحة ٧٠ : (جئنا زوّاراً لهذا البيت معظمين لحرمته) وفيه شاهدان على اللام .

واما وضع اللام بعد الفعل على المفعول فهو قليل جداً كما في قول الشاعر :

(ولا الله يعطي للعصاة مناها)

ولا احسبه جائزاً الا على التضمين وذلك في مثل :

(حلفت بمن حجّت قريش لبيته)

اي قصدت له . وفي الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد في الصفحة ٣٥ من الجزء الاول : « أقطع رسول الله (صلعم) لعبيدة بن الحارث والطفيل موضع خطتهم اليوم » اي اقطعها فيكون على تضمين وهب لهما . وفي الجزء السابع من الطبقات صفحة ٩ : (واقطعهم وولاهم الولايات) فتكون جاءت على الوجهين . ومثل ذلك (حرم من الشيء) لا تجوز الا على تضمين (منع من الشيء) ولا يكون التضمين قاعدة ولكن يؤوّل به ما جاء من الاقوال الشاذة .

واما وصل الشيء بمعنى وصل اليه فلا يحتاج الى تضمين لان وصل ضد هجر قال في لسان العرب : (وصلت الشيء وصلاً وصلةً والوصل ضد الهجران) ثم قال : (وفي

حديث النعمان بن مقرّن انه لما حمل على العدوّ ما وصلنا كتفيه حتى ضرب في القوم اي لم نتصل به ولم نقرب منه حتى حمل عليهم) فأنت ترى انه صريح بمعنى وصل اليه . وفي الاساس (وصلني بعد الهجر) فهو اذاً متعدٍ بلا حرف . واذا رجعنا الى كلام الفصحاء نجد له شواهد كثيرة من ذلك ما قرأته في رحلة ابن جبير الاندلسي : (واتفق لنا من ذلك ان وصلنا جدّة) .

واما (ورد البلد) و (وردني الكتاب) فهو محمول على المجاز كما قال الشيخ احمد رضا ومنه (وان منكم الا واردها) وان جاز قولك (ورد عليه الكتاب) جاز قولك (ورده الكتاب) لان (ورد عليه) من باب المجاز ايضاً فلا معنى لصحة هذه دون هذه . وأتذكر ان عامياً من اهل حوران قلت له مرةً : ألم ابعث الى فلان اقول له كذا وكذا . فقال لي : كل ذلك قد ورَدَه . اي انتهى اليه .

* * *

واما اوامر وحوائج ومشايخ فلا خلاف في صحتها .

فالامر بمعنى الشأن او الحادثة جمعه امور واما الامر مصدر امر فجمعه اوامر قال في لسان العرب : (وامرته بكذا امراً والجمع الاوامر) ثم قال في محل آخر : (والآمرة الامر وهو احد المصادر التي جاءت على فاعلة كالعافية والعاقبة والجازية والخاتمة) فالمسألة لا تحتاج الى اخذ ورد . ومثلها (الحوائج) الواردة في الحديث الشريف . ولنفرض ان الحديث مروي بالمعنى فكيف نصنع بقول الاعشى الذي اورده الشيخ احمد رضا :

الناس حول قبابه   اهل الحوائج والمسائل

ثم اني قرأت في طبقات ابن سعد في سيرة محمد بن الحنفية : (وامره برفع حوائجه فرفع محمد دينه وحوائجه وفرائض لولده ولغيرهم من حامته ومواليه فاجابه عبد الملك الى ذلك كله) وهي مكررة في مواضع كثيرة من ذلك الكتاب .

واما جمع شيخ على مشايخ فهو صحيح لا نزاع فيه ومنصوص عليه في المعاجم و يزيد ذلك تعزيزاً قول مثل ابي الطيب المتنبي :

سأطلب حقي بالقنا ومشايخٍ   كأنهم من طول ما التثموا مُرد

واما المخابرة بمعنى (المطالعة او المفاوضة) فهي خطأ محض وقد كنت اول من

ارسل الى الشام في ايام ولاية الملك فيصل بن علي بالغاء جملة (قلم المخابرات) واشرت عليهم بان يقولوا (ديوان الرسائل) .

وما جاء من استفتاء الاستاذ احمد رضا للمجمع العلمي من جهة تصحيح (المخابرة) قياساً لها على (المبادلة) من البدل فلو حضرت هذه المذاكرة لكنت في جهة المنع لأن هذا القياس يبعد بنا كثيراً واللغة عمدتها السماع لا القياس .

فلهذا انا على رأي سعادة الاخ الاستاذ عارف بك نكد في بحثه المتعلق باقتراحات العلامة الشيخ عبد القادر المغربي الوارد في الجزء العاشر من المجلد الثامن من مجلة المجمع واقول : اعفونا من (خابر) فان (طالع) و (راسل) و (راجع) و (خاطب) و (فاوض) وغيرها تغنينا عنها . وفي لسان العرب : (نابأت الرجل أنبأته وانبأني) فالمنابأة اذاً صحيحة وهي في المعنى المقصود من (المخابرة) من الخبر . فلنستعمل المنابأة بالاقل .

واما استعديت واستحقيت فقد ورد في اللغة ابدال الحرف الثاني من المضاعف ياء كما نقل الشيخ احمد رضا عن المزهر قولهم قصيت اظفاري بمعنى قصصت والتصدية التصفيق والفعل منه صددت اصد ومنه اذا قومك منه يصدون الخ .

قلت وصدد قرية من قرى حمص والنسبة اليها (صدّي) ولا يقال (صددي) وفي زحلة عائلة يقال لها بنو الصدّي . فادغام الدالين دالاً واحدة مشددة بعدها ياء يدل على ان هذه القاعدة من مناهج العرب في كلامها .

واما التنويه بخطة المجلة فهو جائز، فقد مرّ بك عن المخصص نوهته ونوهت به رفعت ذكره .

واما تأنيث بلد فهو ضعيف لكنه يؤول كذا، بل (اتتني كتابه) اي رسالة . فالبلد يُحمل على البلدة ومثله قول اهل الشام (نزلت المطر) و (المطر نازلة) ولا يصح الا على تأويل المزنة او الرحمة لان العامة تسمي المطر بالرحمة وكل هذه لغات ضعيفة .

واما اربع مجلدات فهي على ان مجلدات جمع مجلدة لا مجلّد وكثيراً ما قرأت في كلامهم (مجلدة) في موضع (مجلد) .

واما (برهة) فقد قيل فيها المدة الطويلة وقد قيل فيها المدة بدون اشتراط الطول والاول هو الاغلب والثاني هو اصطلاح العامة .

واما (قصر على كذا) من الفعل المعلوم بمعنى (قصر على كذا) من المجهول فليس بخطإ .

واكثر ما تستعمله الجرائد المصرية فتراها تكتب مثلاً : كانت الحفلة قاصرة على الاهل والاصحاب ·

واضافة الشيء الى نفسه معروفة في الكلام العربي مثل يوم الجمعة (فاذا نودي للصلاة من يوم الجمعة) ومثل مدينة دمشق وكتاب لسان العرب وهو مؤول باضافة المسمى الى الاسم ومنه طعام الغداء ·

والراتب هو الثابت واستعماله بمعنى الوظيفة التي يجعلها السلطان لعماله صحيح · وقد قرأت في سيرة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه من كتاب الطبقات : انما يبيعون في فيء المسلمين والجزية الراتبة · اي الدائمة · ومثله قولهم : كان له جار من السلطان · اي رزق جار عليه من السلطان فهو صفة لموصوف محذوف · وراتب مثله تقديره رزق ثابت · وقرأت في رحلة ابن جبير المارة الذكر في طبعة أظنها مصرية صفحة ١٠ في ذكر مدينة الاسكندرية : (يفدون من الأقطار النائية فيلقى كل واحد منهم مسكناً يأوي اليه ومدرساً يعلمه الفن الذي يريد تعلمه واجراء يقوم به جميع أحواله) · وفي صفحة ١٩ (والاجراء على كل موضع منها متصل) اي اجراء الرزق · فاللفظة بهذا المعنى لم تكن في اصل اللغة لكنها من حيث هي صحيحة وانما كسبت معنى جديداً ملابساً لما وضعت له في الاصل وهذا شأن الفاظ لا تحصى فالفقه لم يكن في الاصل بمعنى علم الشريعة والشريعة لم تكن في الاصل بمعنى ما سنه الله على لسان رسوله والحج لم يكن في اصل اللغة زيارة البيت الحرام والعامل ليس معناه في الاصل الوالي او المأمور من قبل السلطان وهلم جراً ·

واما في مادة وقف فقد جاء المجرد والمزيد وعلى كل منهما نصوص · وابن خلدون استعمل المجرد في قوله : يقفنا على حوادث الامم الماضية · وهو الأفصح ·

ولكن هناك شواهد من أفصح الفصيح على استعمال (اوقف) جاء في الجزء الثالث من طبقات ابن سعد صفحة ١٨١ عن مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه ما يأتي نقلاً عن خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال عن جعفر بن محمد · وهو :

« سمعت رجلاً من الانصار يحدث ابي عن هُنَي مولى عمر بن الخطاب قال كنت اول شيء مع معاوية على علي فكان اصحاب معاوية يقولون لا والله لا نقتل عماراً ابداً ان قتلناه فنحن كما يقولون فلما كان يوم صفين ذهبت انظر في القتلى فاذا عمار بن ياسر مقتول

فقال هني فجئت الى عمرو بن العاص وهو على سريره فقلت ابا عبد الله قال ما تشاء قلت انظر أُكلك فقام اليّ فقلت عمار بن ياسر ما سمعت فيه فقال قال رسول الله صلعم تقتله الفئة الباغية فقلت هو ذا والله مقتول فقال هذا باطل فقلت بصر عيني به مقتولٌ قال فانطلق فأرنيه فذهبت به فأوقفته عليه فساعة رآه انتُقع لونه ثم اعرض في شق وقال انما قتله الذي خرج به » .

فهنا يقول (اوقفته عليه) ولا جرم ان الاخ الشيخ احمد رضا سيجد هذا النص فصيحًا و يفرح به .

ومن شواهد (وقف) مجرداً في الطبقات الكبرى ايضا في الجزء السابع صفحة ٧٢ عند ذكره ردة اهل دباء في ايام ابي بكر : (فلم يزالوا موقوفين في دار رملة بنت الحارث حتى توفي ابو بكر) اي معتقلين .

واما (لهم اسوة حسنة في كثير) فليس فيها ما يقال : اصلاً . ومنه التنزيل (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) و (قد كان لكم اسوة حسنة في ابرهيم) ومنه قول الرسول ايضًا في حديث عثمان بن مظعون الذي اراد ان يختصي ويسيح في الارض فقال له رسول الله صلعم : (اليس لك فيّ اسوة حسنة فانا آتي النساء وآكل اللحم واصوم وأفطر ان خصاء أمتي الصيام وليس من أمتي من خصى او اختصى) وفي رواية اخرى : (ان الله لم يبعثني بالرهبانية) قالها مرتين او ثلاثاً .

واما الرؤيا بمعنى الرؤية فضعيفة جداً وان جاءت في كلام المتنبي .

واما الرفاهة فليست خطأً بل عليها نصوص لا في القاموس فقط بل في لسان العرب واساس البلاغة وهما الرفاهة والرفاهية وانما الخطأ (الرفاه) وقد وقع هذا العاجز في هذا الخطإ مرةً انسلّ الى كلامي من كتابات العامة وذلك من نحو ثلاثين سنة وصادف ان وقعت مناقشة لغوية بيني وبين المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي فأمسك هذه اللفظة عليّ وقال لي : سنبين لك أغلاطك . وسرد بعض الفاظ أصاب في بعضها وتعنت في بعضها وأخطأ في شيء منها وانما اصاب في (رفاه) وكان حقها ان تكون (رفوه) من رفه رفهًا ورفوهًا او ان تكون (رفاهة) او (رفاهية) وقد جاوبت الشيخ ابرهيم يومئذ قائلا : اني لا أنكر اغلاطي ولكن سبحان الذي اوقعني في الغلط ولم يستثن الشيخ ... ثم سردت له عدة

كلمات وَهِم هو فيها مع سعة علمه في اللغة ولا يسلم احد من العثار ·

واما (الاعدام) فاني لاأقولها الا في معنى الفقر · ومرةً اضطررت الى كتابة يفهمها العامة فقلت : (حكم عليهم باعدام الحياة) فاعترض جاهل يدعي العلم في اللغة وليس منها في قبيل ولا دبير فقال : ماهذا التعبير ؟ اعدام الحياة أفليس لفظ الاعدام وحده كافياً ؟ فأجيب : كلا ليس كافياً لان الاعدام وحده انصرف الى معنى الفقر الشديد ولذلك وجب لدلالته على القتل ان يقال (اعدام الحياة) او (اعدام الوجود) · وسمعت مرة رجلاً من لبنان يدعو على ابنه فيقول له : الله يعدمك العافيـة · فما دام قد انصرف الاعدام بدون مفعول بعده الى معنى الفقر التام فلابد من التصريح بالمفعول فيما لو استعمل في معنى آخر ·

واما (حرّر الكتاب) فهو صحيح قال في لسان العرب : وتحرير الكتابة اقامة حروفها واصلاح السقط وتحرير الحساب اثباته مستوياً لا غلث فيه ولا سقط ولا محو وفي الاساس كما نقل الشيخ احمد رضا : حرّر الكتاب حسّنه وخلّصه باقامة حروفه فلم أفهم لماذا منع الاستاذ المنذر هذا التعبير ·

واما (بين قلبي وبين جفونهـا حرب البسوس) فقد تابع الاستاذ المنذر فيهـا الامام الحريري في درة الغواص تخطأة هذا التركيب · واكثر انتقادات الحريري في درة الغواص عقب عليها العلماء واخرجوها كما يقال من باب شرقي · وليس من باب اوسع من باب العربية · وكنت اطلعت بمصر على كتاب في خزانة السادة الوفائية يقال له (بحر العوّام فيما اصاب فيه العوامّ) فيه غرائب لاتجيئ على بال · فقلت للمرحوم الشيخ علي يوسف : اياكم ان تطبعوا هذا الكتاب لان نشره يفسد على الامة نحوها وصرفها ·

ومن جملة ماعاب الحريري وردوا عليه فيه (بين زيد وبين عمرو حرب) وقـد اورد الشيخ احمد رضا شواهد الجواز · وانا أضيف اليها بيتاً من رجل كان متمكناً جداً في اللغة هو ابن هانئ الاندلسي من طائيته التي اولها :

الؤلؤٌ دمع هذا الغيث ام نُقَط ما كان احسنه لو كان يُلتَقط

وبيت الشاهد :

بين السحاب وبين البرق معركة معامع وظُبىً في الجوّ تُختَرطُ

واما (لم يمد يطيق) فتخريجها لم يزل شيئاً من هجنتها وركاكتها وأرى الاولى اهمال هذه التراكيب اصلاً ·

ولم افهم مراد الاخ رضا بقوله ان (مان يمون موناً) خفيفة جارية على سنن اللغة فلا بأس في ان يقرّها المجمع ·

فان كانت (مانه يمونه موناً) بمعنى قام بكفايته وتكفل بمعيشته فهي لفظة واردة في هذا المعنى مستغنية في ذلك عن رأي المجمع اقرّها ام لم يقرّها · وان كان المقصود تحويلها الى المعنى الذي تستعملها فيه العامة مثل قولهم : (فلان يمون على فلان) اي ينوب عنه او يبتّ بالامر عنه او يتصرف عنه بدون مشورته فليس لذلك وجه لائق ·

والبرنامج قد دخلت في اللغة وصارت معروفة والناس يستعملون اليوم ماهو احدث تعريباً منها وهي البروغرام · فالمرجو من الاخ المنذر ان لا يضيق عليها كما نرجوه ان لا يضيق على (ساذج) ايضاً بل نحن احوج الى ساذج منا الى برنامج لان (ساذج) لا يقوم مقامها الا (بسيط) والبسيط ذو معانٍ كثيرة وقد استعمل الفصحاء ساذجاً من قبل وذكرها ابن سيده وصاحب لسان العرب واستعملها ابن خلدون عند كلامه على (سذاجة البداوة) و بالاختصار لسنا في غنى عن برنامج ولا عن ساذج ولو ارادوا المبادلة معنا لاعطيناهم بهاتين اللفظتين مائتي لفظة من اسماء الناقة او البادية واحتفظنا بها لاحتياجنا اليها وعلى المحتاج ان يوسع خلقه ·

لوزان : ٢٩ دسمبر سنة ١٩٢٨ **شكيب ارسلان**

من اعضاء المجمع العلمي العربي

اهم ادوائنا الاقتصادية

« وتلافيها »

— ٣ —

تكلمت في المحاضرة التي القيتها في اوائل شباط من هذه السنة على الاعشار ومضارها وضرورة استبدال الضريبة العقارية بهـا وهي الضريبة التي توضع على اجرة الارض (او محصولها الصافي او ريعها) لا على الغلات كلها . وبحثت ايضاً في ضريبة المكوس وفداحتها وتأثيرها في مرافقنا الاقتصادية لاسيما مصنوعاتنا الوطنية . اما هذه المحاضرة فنتناول قسماً آخر من ادوائنا الاقتصادية وهو توزع الارض على طبقات الشعب الشامي وطرائق امتلاك الارض واستثمارها وهما موضوعان خطيران لا يقل تأثيرهما الاقتصادي عما ذكرته في المحاضرة السابقة .

توزع الارض على طبقات الشعب الشامي . — لا بد قبل الخوض في هذا البحث الدقيق ان ألقي على حضرتكم كلمتين في آراء الاقتصاديين في الملك وكيف يجوز امتلاكه اذ لا يخفى على احد ان المساواة بين بني الانسان في امتلاك النشب ما وجدت قط وان الموسرين ما برحوا قليلي العدد على عكس الفقراء ، وان نزاع الغني والفقير على الثروة عهده الأزل . وعلى قدر ازدياد الثروة في العالم يفحش البون بين ريع الفقير وريع الغني . ولقد نشأت في الشعوب بسبب هذا التفاوت طبقات ينظر بعضها الى بعض شزراً فطبقة الاغنياء يكون معظم رجالها عاطلين عن العمل لانهم ليسوا في حاجة الى الكدح في إنماء المال ، وطبقة الفقراء من العمال لا يرون في البلغة التي يتبلغون بها حافزاً يحفزهم الى العمل فيظل سعيهم محدوداً وهم بعد يئسون من امكان ادخار شيء من المال يترفعون به عن مرتبتهم الدنيا قليلاً . ورأت الحكومات في العالم المتمدن ان هذه الحال لا تدعو الى انماء الثروة العامة فراح رجال تلك الحكومات يتذرعون بوسائل تؤدي الى تنقيص ثروة الموسر حتى يستفيق من سباته فيعمل وتزيد رزق الفقير حتى يتسرب اليه الأمل بالخلاص من الاملاق فيكد ويسعى . وسأذكر لكم هذه الوسائل عما قليل .

ولا يظن احد ان امكان امتلاك الملك لاسيما الارض مع ما يستلزمه من الاستئثار والتصرف به على الاشكال التي نراها بديهية في يومنا هذا هو من الامور التي حصلت عليها البشرية بسهولة . ففي ايام روما الاول ما كان يسمح للفرد ان يملك الا البيت وقطعة صغيرة من الارض حوله . وظل العبيد والاجانب والنساء لا يستطيعون تملك الارض قروناً طويلة في أجيال من الناس كثيرة . وبينما كانت المدنية العربية الاسلامية ناشرة ظلها في الشرق والغرب والناس من مختلف الطبقات يتصرفون بالارض تصرفاً مطلقاً لا يضيره كون الملك للامام كان فلاحو اوربة على الاطلاق عبيداً يباعون مع الارض و يشترون والملك للسيد صاحب الفدّن دون غيره . يتضح من هذه الأمثال ان البشرية ما وصلت الا بشق الانفس الى جعل امتلاك الارض او التصرف بها في متناول كل فرد . وما كان البشر في حاجة الى امتلاك الارض عندما كان الانسان نصف وحشي يقتات من الصيد وتربية الدواجن او زرع مساحات طفيفة من ارض الله الواسعة . ولما كثر نسله اخذوا يستأثرون بالارض ويقتسمونها بينهم مشاعاً ثم زادت حاجتهم الى الارض فزاد استئثارهم بها فنشأت أملاك الأسر ثم اخذ الناس يتداولون هذه الاملاك بحق الفتح والنصر ينتزعها الغالب من المغلوب قهراً الا من كانوا رحماء كالعرب إبان فتوحهم فهم قد أقروا اهل الذمة على ارضهم ولم يتملكوا سوى ما شروه بمالهم او ما هجره اصحابه . وبعد لئن عمت قواعد المساواة منذ القرون الوسطى لدى العرب وعلى اثر الثورة الفرنسية في اوربة اخذ عدد الاملاك الشخصية يزداد مع كل ما للتملك الشخصي من حقوق . و يؤمل ان تزداد السهولة في انتقال ملك الارض من شخص الى آخر كما تنتقل الاملاك غير الثابتة تقريباً .

ومن المعلوم ان الارض في قوانين بلادنا على خمسة أقسام وهي الارض المملوكة والاميرية والموقوفة والمتروكة والموات تضاف اليها المحلولة والارض التي توضع في عداد الاملاك العامة بموجب القرار ١٤٤ . وليس من شأني في هذه المحاضرة البحث في هذه الاقسام بل يهمني ان اذكر الفرق بين الارض المملوكة والاميرية . فالاولى هي التي يتملكها صاحبها ملكاً صحيحاً تاماً بحيث يستطيع وقفها والكف عن زرعها مدة طويلة مثالها الحدائق المنضمة الى البيوت وبعض البساتين المحيطة بدمشق وهي الارضون

العشرية والخراجية . ومساحة الارض المملوكة في الشام قليلة ليست ذات شأن ومعظم ارض بلادنا من القسم الثاني اي الارض الاميرية وهي التي يعود تملك رقبتها لبيت المال وهذا يخول الاهلين استثمارها اي حق التصرف بها بصك يسمي (سندالتصرف) وليس من كبير فرق في الامور الجوهرية بين المتصرف بالارض الاميرية وبين مالك الارض المملوكة . فالاول وان كان لا يملك الارض قانونياً فان له سلطة كافية في استثمارها وتجزئتها وبيعها وهبتها وابدالها ورهنها وهي تنقل الى ورثته من بعده . وهنالك بعض امور تفرق هذا القسم عن الاملاك الصرفة مثل ان المتصرف بالارض الاميرية لا يسمح له بوقفها الا باذن كما لا يسمح له بان يوصي بها بعد مماته . وهو اذا توفي يكون للورثاء من الدرجة الواحدة حصص يتساوى فيهـا الذكر والانثى اما في الارض المملوكة فللذكر مثل حظ الانثيين .

يتضح من ذلك ان الارض التي يتصرف بها ابناء الشعب الشامي في معظم اقاليم الشام لا تختلف حقوق التصرف بها عن حقوق امتلاك الارضين في بلاد العالم الا قليلاً . وبعد فمن هم الذين يتصرفون بالارضين الشامية او لنقل يتملكونها مادام الفرق العملي طفيفاً بين المتصرف والمتملك . يجب لمعرفة ذلك ان يكون لدينا احصاآت في هذا الصدد قريبة من الحقيقة ومما يؤسف له ان احصاآت كهذه لكل انحاء الشام لا اثر لها لكن لديّ معلومات في بعض الاقطار الشامية يمكن الركون اليها وهي كافية لان نحصل منها على فكرة في هذا الموضوع . مثاله ان الاحصاآت الزراعية التي قامت بها لجنة خاصة سنة ١٩٢١ عندما كنت مديراً للزراعة دلت على ان في قضاء حماة (ما عدا الحمراء) ١٢٤ قرية منها مائة قرية اي ثمانون في المائة من المجموع هي بتصرف بضع أسر كبيرة . وفي قضاء سلمية ١٢٨ قرية منها ٤٠ تملكها الدولة ملكاً خاصاً و٧٥ تملكها أسر حماة المذكورة اي اننا اذا أخرجنا قرى الدولة من المجموع يكون لتلك الاسر ٨٣ في المائة من قرى القضاء . وفي قضاء حمص (ما عدا جب الجراح) ١٧٦ ضيعة منهـا ٣٢ للدولة و١١٦ لأسر كبيرة تعد على الاصابع والباقي وهو ٢٨ ضيعة يتصرف بها الفلاحون بالاشتراك مع تلك الأسر في معظمها . وفي قضاء جب الجراح السابق (وهو اليوم تابع لقضاء حمص) ٨٩ ضيعة كلها من املاك الدولة الخاصة . وفي قضاء الحمراء السابق (وهو

اليوم تابع لقضاء حماة) ١٠٦ ضياع كلها ايضاً من املاك الدولة الخاصة . وللدولة ٥٧٥ قرية في ولاية حلب وحدها وهي تشمل مساحة تقدر بنحو خمسة ملايين دونم وهذه القرى موزعة على اربع مناطق منها جبل الأحص وفيه ١٣١ قرية ومنطقة قنسرين (العيس) وفيها ١١٠ قرى ومنطقة بالس (مسكنة) وفيها ١٣٨ قرية ومنطقة منبج وفيها ١٩٨ قرية . ولها (للدولة) عشرات الملايين من الدونمات في البلعاس وشرقي الشومرية وفي لواء دير الزور . اما الأسر الكبيرة في حلب فهي تملك اكثر من مائتي ضيعة في أقضية معرة النعمان وجبل سمعان ومنبج وغيرها . وليست الارض معظمها بتصرف المتوسطين والفلاحين الا في حوران وبعض المناطق الجبلية كلبنان وجبل حوران وأقضية النبك وجيرود والزبداني ، ويغلب على ظني ان ما يزيد على نصف قرى فلسطين وشرقي الاردن يملكها المتوسطون والفلاحون .

يمكن الاستنتاج مما ذكرت ان اكثر من نصف الارضين الزراعية في بلاد الشام هي اما للدولة او لأسر محدودة . ومن البلاد التي يمتلك فيها افراد قلائل مساحات عظيمة بلاد الانكليز فان نصف انكلترة يملكه ٤٥٠٠ شخص لا غير ، ونصف ايرلندا يملكه ٧٤٤ شخصاً ، ونصف ايكوسيا ٧٠ شخصاً . وسبب ذلك ان الأسر الكبيرة هنالك كان أقطعها الملوك ارضين واسعة ظلت تنتقل من الأب الى ابنه البكر دون غيره من الابناء . ومما هو معلوم ان الاملاك الثابتة في بلاد الانكليز لا يرثها الا الابن البكر وهو يعول اخوته و باقي افراد الأسرة وكثير من الآباء يحبسون الارض على ابكارهم . اما في فرنسا فالمسألة على نقيض ما ذكر تماماً لان الثورة الفرنسية كانت قضت على املاك الأسر الكبيرة وارباب الدين فامتلكها الفلاحون ، ثم ان الابناء يرثون في فرنسة جميعهم ولكل ابن الحق بان يطالب بحصته من الارض نفسها لا من ثمنها فحسب ، ولهذا تجزأت الارض في تلك البلاد الى قطع كبيرة العدد وهنالك معظم الارضين الزراعية بيد المتوسطين والفلاحين . وكذا في بلجيكا والمانيا ورومانيا وبلغاريا وكثير من البلاد الاوربية .

قلت ان مساحات عظيمة من ارضي الشام هي اليوم اما للدولة او لعدد صغير من الأسر الكبيرة . فهل هذه الحال هي مفيدة للبلاد اقتصادياً ام هي مضرة ؟ انني لا اشك

بانها مضرة كل الضرر بل ان تجارب اربع عشرة سنة قضيتها في البحث في هذه الموضوعات جعلتني أضمها في جملة ادواء بلادنا الاقتصادية للأسباب التي سأوجزها فيما يلي . ولأبدأ باملاك الدولة اي الاملاك التي أدير شؤونها منذ نحو ست سنين ومعظمها كما تعلمون كانت ملكاً خاصاً للسلطان عبد الحميد ثم انتقلت منه الى بيت مال الدولة العثمانية بموجب الارادتين السنيتين المؤرختين في ٢٦ آب ١٣٢٤ و ٢٠ نيسان سنة ١٣٢٥ رومية وبعدها انتقلت الى بيت مال الدولة السورية بموجب المادة ٦٥ من معاهدة لوزان .

يمكن ان تستثمر هذه الاملاك كسائر الاملاك الزراعية بوسائل ثلاث وهي استثمارها مباشرةً او ايجارها لقاء اجور مقطوعة او ايجارها لقاء قسم من المحصول . فاستثمارها مباشرةً بواسطة موظفين وعمال مأجورين هو من اسقم الوسائل واقلها انتاجاً واكثرها نفقات ولقد أجمع علماء الاقتصاد على ان الدولة لا تصلح للمشروعات الاقتصادية وسببه ان عدم التزاحم في تصريف المنتوجات يجعل رجالها قليلي الإقدام على العمل وان تبدل هؤلاء الرجال تبعاً لعوامل السياسة يحول دون اطراد الاعمال هذا عدا ان رجال الحكومات قلما يكونون ذوي خبرة في الامور الزراعية والتجارية وقد نعتهم احد الاقتصاديين بانهم الرجال الذين لا يعملون . وقال آخر ان العمل التجاري او الزراعي اذا كانت الدولة هي التي تشرف عليه تزداد نفقاته الى ربعها وتنقص منتوجاته كذلك فتكون النتيجة خسارة النصف . وأتذكر ان الحكومة العثمانية كانت اوجدت في بلاد الشام اثناء الحرب الكبرى (١٩١٤—١٩١٨) كتائب من الجيش تشتغل بالفلاحة في البقاع وبيسان ومرج ابن عامر وغيرها . فاطلعت على حساباتها فألفيتها تنفق بقدر ما تنتج تقريباً ومنها التي كانت تزيد نفقاتها على منتوجاتها . والفرد الذي يشتغل في الارض لحساب غيره لا يكون ميالاً الى الجد والانتاج ، فلقد جربت حكومة البلاشفة في الروسية تجارب عديدة في نزع الارضين من اصحابها وجعل العمل فيها مشتركاً باسم الدولة او الجماعة فكانت النتيجة الاخفاق وتدني المحصول والمجاعة لان الاثرة طبع من طبائع الانسان فهو يؤثر نفسه على اقاربه و يؤثر هؤلاء على غيرهم . ومن العبث حمله على الكد اذا لم يكن سعيه لصالحه وصالح من يود . ابطلت حكومة الشيوعيين تملك الارض على اثر الثورة

الروسية وجملتهـا مشاعاً بقانون ٢٦ تشرين الاول ١٩١٧ لكن الفلاحين كانوا استولوا على معظم املاك الوجهاء وتقاسموها . ثم أصدرت تلك الحكومة في ١١ حزيران ١٩١٨ قانوناً يقضي بانشاء مزارع شيوعية كما يقضي بمصادرة كل ما يزيد لدى ارباب الزراعة على حاجاتهم من الحبوب والآلات فكانت النتيجـة خراب تلك البلاد بسبب القحط واضمحلال المزارع والقرى الشيوعية التي تديرها الدولة . ولما رأت حكومة البـلاشفة انه ليس بالامكان الدوام على هذه الحال ورأت ان الفلاح متشبث بارضه وبمنتوجها رجعت عن خطتها الشيوعية وأصدرت في ٢٧ آذار ١٩٢٠ مرسوماً ينص على ان كل أسرة تعمل في ارض زراعية يمكنها ان تحتفظ بتلك الارض ثم أصدرت في ٣٠ تشرين الاول ١٩٢٢ قانوناً للارضين لا يقر تملكها بالطبع (لانه اذا أقر ذلك يكون قد قضى على مبدإ الشيوعية) لكنه يقر امكان التصرف بالارض الى مدة غير محدودة وامكان ايجارها وتشغيل عمال فيهـا اي صار بوسع الانسان ان يستثمر الارض على الطريقة التي يريدها وصار عمله فيها لنفسه لا يشاركه احد في ثمار مسعاه .

ذكرت هذه الأمثال لأبين في الخلاصة انه ليس من الموافق اقتصادياً ان تستثمر دولة سورية ارضيها الواسعة مباشرةً فهل يوافقها ويوافق البلاد ان تستغلها بالوسيلة الثانية التي أوردتها وهي ايجارها باجور مقطوعة ؟ هنـا يرد الى البال الاعتراض الهائل الذي يوجهه الاقتصاديون الى كل مالك ارض لا دخل له باستغلالها ، وهو ان الحكمة في وجود حق امتلاك الارض شخصياً كون هذا الشكل يزيد في الانتاج وفي النفع العام . فاذا اقتصر المالك على رؤية غيره يعمل في ارضـه واكتفى بقبض اجرة تلك الارض فأي فائدة عامة تبقى من امتلاكه لها وهلا يرجح في تلك الحال ان يمتلكها مستأجرها ؟ هذه مسألة هامة سأعود الى البحث فيها عند ذكر أملاك الأسر الكبيرة . وعلى كل ليس للدولة فائدة من ايجار ارضيها باجور مقطوعة . ولا يقدم ارباب الفلاحة على الاستيجار بهذا الشكل لان معظم تلك الارضين واقعة في مناطق شرقية يختلف مقدار المطر الذي يهطل عليهـا اختلافاً كبيراً بين سنة وأخرى حتى انه لا يمكن التنبؤ بالمحصول ولا تجوز المجازفة بدفع أجرة معينة .

بقيت الوسيلة الثالثة وهي المزارعة او ايجار الارض لقاء قسم من المحصول . فان

هذا الشكل من استغلال الارض هو المتبع اليوم في أملاك الدولة وهو أدعى الى تزييد الغلات من الوسائل الاخرى ذلك ان فائدة الملاك والفلاح فيه مشتركة و يكاد الاثنان يكونان شريكين لكن الدولة لايمكنها ان تقدم الى الفلاح في هذه الشركة سوى الارض ولا تجيز لها قواعد الاقتصاد او قوانين الحكومة ان تشارك بقسم من رأس مال الاستغلال لهذا تروتها تلقي حبل الفلاح على غاربه وتدعه يستثمر الارض كيفما شاء و برأس المال الذي يستطيع تداركه . اما هي فانها تكتفي بتخمين المحصول بعد حصد الحصائد ورجادها ثم تستوفي حصتها منها . وهذه الحصة تنقسم قسمين : العشر وهو يعادل ١٢/٥ في المئة ، واجرة الارض وهي تختلف باختلاف المناطق ففي بعض المناطق الشرقية من حمص وحماة حملت الحكومة على جعل الاجرة لا شيء لمدة ثلاث سنين تشجيعاً للعربان وغيرهم على الفلح والزرع واحياء القرى الغامرة . وفي منطقة الحمراء جعلت الاجرة خمسة في المئة من المحصول وفي مناطق حلب كلها سبعة ونصف وفي حمص وحماة وحوران وغيرها عشرة فيستنتج من ذلك انه اذا أنزل العشر مما تستوفيه الحكومة من محاصيل الفلاحين في املاكها الخاصة (وهذا العشر يستوفى اليوم من المتصرفين بالارض) فان الاجرة الزهيدة التي تبقى لها لا تبرر امتلاكها تلك الارضين الشاسعة وقد يكون افيد لها ولفلاحيها معاً ان تملكهم الارض فيزداد فيها سعيهم وتزداد المنتوجات فيربح بيت المال في المستقبل من العشر وحده اكثر مما يجبيه اليوم من العشر والاجرة معاً . أمعنت النظر في هذه المسألة الهامة على اثر استلامي مصلحة أملاك الدولة في آذار سنة ١٩٢٣ ولبثت أدرسها من كل وجوهها نحو سنتين فما زادني الدرس الا قناعة بلزوم تخلي الحكومة عن ارضيها للاهلين فشافهت اولي الامر بذلك وبعد ان أيقنت انهم لن يعارضوا فيه قدمت الى المفوضية العليا في اوائل سنة ١٩٢٥ تقريراً خلاصته ما يلي :

اولاً كل الارضين التي انتقلت الى الدولة من السلطان عبد الحميد وكل الارضين المحلولة اذا كان فيها فلاحون يستغلونها يجب بيعها منهم دون غيرهم بشرط ان يجعل الثمن على خمسة عشر قسطاً سنوياً بلا فائدة . وهذا الثمن تقدره لجنة موضعية و يوافق عليه وزير المالية . ثانياً تجزأ ارضو الدولة التي ليس فيها فلاحون الى أجزاء كبيرة ومتوسطة وصغيرة فتباع الاولى والثانية منها بالمزايدة العلنية وتباع الثالثة بالتراضي . ثالثاً تباع

عقارات الدولة في المدن والبلدان بالمزايدة العلنية ٠

وعلى اثر ذلك اجتمعت لجنة لهذا الغرض في المفوضية العليا فجلبت قوانين بعض البلاد في هذا الصدد ووضعت أسس قرار أذاعته المفوضية العليا فيما بعد وهو القرار ٢٧٥ المؤرخ في ٥ ايار سنة ١٩٢٦ الذي يقضي بادارة شؤون املاك الدولة وبيعها وفاقاً لمضمون المواد الثلاث التي ذكرتها في تقريري المبحوث عنه ٠ ولا يشترط على الشاري ان ينتظر خمس عشرة سنة لاخذ سند تمليك بالارض التي تؤجر له مع الوعد بالبيع بل بامكانه ان يصبح مالكاً وان يأخذ ذلك السند في اي تاريخ يدفع فيه اقساط الثمن كافة ٠ ولكنه اذا أعوزه المال فأمامه ذلك المجال الواسع اي برهة خمس عشرة سنة ٠ وهذه البرهة قد وضعت خصيصاً لفلاحي املاك الدولة الذين جلهم فقراء لايملكون ثمن الارض كاملاً ولقد بعنا في السنة الماضية بموجب هذا القرار وعلى الشكل المذكور خمس قرى في حوران وقريتين في حمص ومثلها في حماة ٠ ويباع في السنة الحاضرة ٤٠ قرية نصفها في حمص وحماة والنصف في حلب ٠ وسيدوم هذا العمل الى ان تصبح قرى الدولة ملكاً لمستأجريها وتسعون بالمائة منهم فلاحون والباقي من ارباب الزراعة المتوسطين ٠

ورب مفكر في الامر يقول مافائدة البلاد من تمليك الفلاحين قرى الدولة وتركهم عرضة لفتك المتغلبة بهم حتى يستولوا على تلك الارضين كما استولوا على غيرها من قبل وهلا تكون النتيجة عندئذ انتقال حق الملك من الدولة الى المتغلبة فيكون الفلاح قد هرب من الدالف تحت المزراب ٠ لا شك ان هذا الخوف هو في محله لكن القرار ٢٧٥ قد احتاط لهذا الامر فنص على ان لادارة املاك الدولة الحق بمنع المشتري لمدة كذا من السنين من بيع ارضه اوايجارها او رهنها او هبتها الا باذن من مدير تلك الادارة والقصد من ذلك ان لا تنتقل الارض الى المتغلبة اصحاب الاملاك الواسعة ٠ ونص ايضاً على امكان جعل الارض التي يشتريها الفلاح او قسم منها غير قابلة للحجز اي لا يجوز نزع يد الفلاح منها حكماً او تواطؤاً ٠ وكل هذا اي منع التصرف بالارض الا باذن وعدم امكان نزع اليد يذكران في سند التمليك وفي السجلات العقارية ٠

وترون في الخلاصة ان قضية املاك الدولة قد حلت على أنفع الاشكال الاجتماعية والاقتصادية وهو بيعها من مستأجريها وكلهم فلاحون او متوسطون باثمان معتدلة تدفع

في برهة خمس عشرة سنة ولم يعد أمامنا ما نتمناه الا ان تسمح اوقاتنا ببيع عدد كبير من القرى في كل سنة وان تجود علينا السماء بامطار تمكن الفلاح من دفع القسط الزهيد الذي يستحق عليه من ثمن الارض في كل سنة ·

ولنعد في بحثنا الى الارضين الواسعة التي يملكها عدد صغير من الأسر الكبيرة فان هذا البحث شائك لا يسهل الجولان فيه لانه يتناول منافع فردية يسيء المنتفعين بها ان تمس · لكن نفع البلاد يجب ان يقدم على المنافع الفردية والاصلاح يجب ان يتناول هذه الاملاك كما تناول املاك الدولة · ولا أريد ان اذكر لكم كيفية امتلاك افراد تلك الاسر لهذه القرى والدساكر فمنهم من امتلك بحق وبعضهم بغير حق ومنهم من انتقلت ارضهم اليهم عن اجدادهم وهؤلاء أقطعهم اياها ملوك العرب والاسلام وامراؤهم لخدمات سياسية خدموها و يشك اليوم فيما اذا كان احفادهم يسيرون على مبادئ اجدادهم التي استحقوا بها امتلاك الارض في غابر الايام · وبعد مالنا وللماضي ونحن انما نعالج الحالة الحاضرة فالشيء الذي تهمنا معرفته هو ما اذا كان أرباب الارضين الواسعة في بلاد الشام يستغلونها حق الاستغلال ام لا وفي الحالة الثانية هل يجب ان تنتقل تلك الارضون الى من يحسن القيام عليها وكيف يجب ان تنتقل ·

اذا القيتم نظرة على قرى الوجهاء شمالي الشام خاصة الفيتم ٩٠ في المئة منها مؤجرة للفلاحين على طريقة المزارعة اي لقاء قسم من المحصول ، ووجدتم ان صاحب الارض لا يشارك الفلاح بتقديم جزء من رأس مال الاستثمار بل يكتفي بتقديم الارض فحسب والفلاح يستغل الارض لحسابه · غير انه اذا اعوز هذا الفلاح المال فسرعان ما يقرضه السيد كل ما يكون محتاجاً اليه ولكن بربا فاحش يجعله عبداً مشدوداً الى الارض حتى يموت · و يأخذ صاحب الارض ربع المحصول او ثلثه احياناً فيدفع منه العشر لبيت المال و يحتفظ بالباقي لقاء اجرة ارضه · والسيد المحترم لا يرى ضياعه الا إبان استحصاد الزرع فهو يمضي معظم السنة في المدينة و ينفق فيها المبالغ التي يحصل عليها من املاكه الزراعية · وهو لا يهتم لاصلاح هذه الاملاك كحرث الارض القاسية بالسواحب وتسليمها للفلاحين وكفتح الطرق وتجفيف المستنقعات والقيام باعمال الري وفتح القني القديمة وبناء ابنية صالحة للفلاحين والدواجن وغير ذلك من الاعمال التي يتوجب على

صاحب الارض اتيانها لا على الاكار لان هذه الاصلاحات الزراعية تزيد قيمة الضيعة وتسهل استغلالها وفائدتها تعود على صاحب الارض فهو الذي ينبغي له ان ينفق عليها . ولوفعل لما كان عليه لوم . ولكن أصحاب الأملاك الواسعة في بلادنا على قسمين قسم انهكهم فرط الاسراف ووقر الربا فرهنوا ارضهم وعاشوا عيشة من لا يكاد يحصل على شيء من المال حتى يبتلعه المرابون وسائر الدائنين . فرجال هـذا القسم لا فائدة للارض منهم لانه ليس بامكانهم انـ يأتوا فيها عملاً من الاعمال التي تزيد قيمتهـا وتسهل استغلالها فتكثر منتوجاتها . ورجال القسم الثاني هم الموسرون الذين لديهم من المال ما يمكنهم من الانفاق في عمارة القرى الا انهم يرجحونـ تزييد ممتلكاتهم وشراء قرى جديدة كلما فاض لديهم شيء من المال وسنحت لهم فرصة مناسبة وهؤلاء ايضاً لا فائدة للارض منهم لان عملهم يقتصر على استلام حصتهم من غلتها وانفاق ثمن هذه الحصة في شراء ارض أخرى او في التمتع بملذات المدن .

ويتضح مما ذكرت انه لو كان أصحاب القرى الواسعة يعيشون في قراهم ويتذوقونـ لذة الاصلاحات الزراعية فيهـا ويشاركون الفلاح في قسم من رأس مال استغلالـــ الارض ويقرضونه ما يحتاج اليه من المال بفائدة معتدلة او بلا فائدة لما كان في امتلاكهم تلك القرى الواسعة ضرر يذكر على الجماعة . فأما وحالة اكثرهم في بلادنا هي على ما اوضحت فانه من الضروري انـ نجد حلاً لهذه المعضـلة مثلما وجدنا حلاً لقضية املاك الدولة الواسعة . ووسائل الحل التي ترد الى الخاطر كثيرة . وقد طبقت كل حكومة اوربيـة ما يوافقها منها وما يسير مع نفسية الشعب وروح القوانين لديها . فالثوار الشيوعيونـ مثلاً رأوا ان أسهل وسيلة وأنجعها ضبط ارضي الأمير الكبيرة عنوة وبلامقابل وتوزيعها على الفلاحين او استثمارها على الطريقة الشيوعية . ومن البـديهي ان هذا العمل بربري لا تجيزه أخلاقنـا وعوائدنا ولا يقره العدل العربي الذي نتحلى به شرائعنـا . وبعض الحكومات وضعت على الاملاك الزراعيـة ضرائب متصاعدة تزداد نسبتها بازدياد هذه الاملاك . مثـاله ان الشخص الذي يملك ثلاثة آلاف هكتار من الارض يُلزم بدفع عشرة في المئة من ريع الالف الهكتار الاولى وعشرين بالمائة من ريع الالف الثانيـة وخمسين بالمائة من ريع الالف الثالثـة وهكذا حتى يرى صاحب الارض الواسعة انه

ليس له فائدة اقتصادية من امتلاك القرى والدساكر فيبيعهـا ممن ليس لهم ارض واسعة ويكتفي بالمساحة التي يقبلها العقل والمنطق وهي التي تجعله يجد ويجتهد ويعيش برفاهية عيشة الساعي المتلذذ بسعاه لا عيشة الوكل الكسول .

وبعض الحكومات تخصص في موازنتها مبالغ طائلة فتشتري بهـا ارضين وتبيعها من الاكارين على أقساط ، او تقرضهم هذه المبالغ على ان يبتاعوا بها ارضاً زراعية يعملون فيهـا . وبعض هذه الحكومات لا تطالب الفلاحين بفائدة وتعفيهم من قسم من رأس المال . وبعضها كألمانيا لاتدفع للفلاح سوى ثلاثة ارباع ثمن الارض وتستردها (الثلاثة ارباع) في ستين سنة اي تجزؤها الى ستين قسطاً وتستوفي عنهـا فائدة مقدارها ٤ في المائة . اما في فرنسا فمع انالبلاد لا تشكو وطأة أصحاب الاملاك الواسعة فقد خصصت الحكومة بقانون١٩ آذار سنة ١٩١٠ مبالغ طائلة تقدر بالملايين لكي تقرضها لخمس عشرة سنة لقاء فائدة قدرها ٣ في المائة لارباب الزراعة المتوسطين والفقراء الذين يودون شراء الارض واستغلالها ، هذا عدا ما ارصدته تلك الحكومة من الاموال العظيمة لجمعيات التعاون الزراعي سواء أكانت غاية هذه الجمعيات اقراض الفلاحين او استغلال الارضين . وأعظم عمل في هذا الباب هو الذي أتته حكومة ارلندة فهي قد اقرضت لهذا الغرض نحو ثلاثة مليارات من الفرنكات حتى أصبح اليوم اكثر من نصف ارضيها ملكاً لمن كانوا من قبل مستأجرين .

ورب معترض يقول ما الفائدة من إرصاد الاموال لشراء الارض اذا لم يشأ ارباب الاملاك الكبيرة بيع ما يملكونه . ويجـاب عن هذا بان كثيراً من الدول قد اتخذت قوانين تحظر على الفرد امتلاك ما يزيد على مساحة محدودة كأن تكون تلك المساحة مائة هكتار او الفاً او اكثر او اقل حسب نوع الارض وطريقـة استغلالها ومقدار ريعها . ويضطر صاحب الارض الى بيع الزائد فتشتريه الحكومة منه وتوزعه على الذين تعوزهم الارض وفاقاً للاشكال التي مر ذكرها . ومن البديهي ان الحكومة لا تستطيع القيام بهذا العمل الا تدريجاً لان شراء الارضين باثمان عادلة يستلزم الاقتصاد في مواد الموازنة السائرة حتى يتوفر في كل سنة من المال ما يكفي لشراء جانب من الاملاك الكبيرة .

والخلاصة ان قضية تقليل الاملاك الواسعة وتزييد الاملاك المتوسطة والصغيرة في بلادنا ليست من الامور السهلة · ولئن كان من السهل توزيع ملاك الدولة على الفلاحين والمتوسطين من ارباب الزراعة فان توزيع املاك الأمر الكبيرة على شكل عادل هو من الصعوبة بمكان واسهل شيء لو ان رجال هذه الأمر يكفون البلاد مؤنة البحث في هذا الموضوع بان يرصدوا اموالهم لاصلاح الارض وتزييد منتوجاتها بدلاً من الانفاق فيما لا خير فيه · فالمنتوجات الزراعية هي اكبر مورد لبلاد الشام ومن ادوائنا الاقتصادية المهمة ان تظل مساحات واسعة من بلادنا بائرة او قليلة المحصول لان العاملين فيها هم غير مالكيها ولان المالكين لا يريدون او لا يستطيعون القيام على عمارتها ·

طرائق امتلاك الارض واستثمارها · — كثيراً ما نقول في أحاديثنا ان بلاد الشام فقيرة وانها لا تحتوي على معادن مفيدة اقتصادياً الا واحداً او اثنين وانها تعيش من منتوجات الارض خاصة وان فيها مشاريع زراعية مهمة اذا أقدم عليها اوجدت شيأ من الرخاء في البلاد ، مثل تجفيف سهلي الغاب والعمق واسقائها واصلاح اسداد وكري جداول قديمة على الخابور في الجزيرة وغير ذلك ، وان هذه الاعمال تحتاج الى المال واننا فقراء لا نستطيع الاقدام عليها وحدنا واننا إذن تعوزنا رؤوس المال الاجنبية ، وانه لمن الغريب كون اغنياء الفرنسيين لم يحركوا ساكناً الى الآن (مع ان الربح في هذه الاعمال العظيمة مضمون لهم ولنا ، والبلاد تنظر الى شركات الري والزراعة غير نظرها الى باقي الشركات) وان ارباب المصارف العقارية لم يؤسسوا الى الآن فروعاً لهم في بلاد الشام مع انك تراهم في كل بلد من البلاد التي للدول الاوربية فيها يد ·

والجواب عن كل ذلك بسيط وهو ان طرائق امتلاك الارض واستثمارها في بلادنا تقوم سداً دون ذلك ناهيكم بعدم استقرار السياسة على شكل · مثاله ان سهل الغاب الذي يحتاج تجفيفه واسقاؤه وتهيئته للزرع الى مليوني ليرة ذهبية تقريباً هو مركب من أرضين يتصرف بها الاهلون وأخرى للدولة وثالثة تعد من الاملاك العمومية · فالارض التي للاهلين ليس لها حدود ثابتة لان التصرف بها قائم على أسناد التمليك (الطابو) المعروفة مع كل ما فيها وفي حدودها من غموض وابهام · وكثير من الاهلين يتصرفون

بالارض مشاعًا ولا يعرفون لهم ارضاً ثابتة · اما الاملاك العمومية فهي لم تحدد والمعتدون عليها في كل أطرافها خلق كثير · والنزاع قائم بين بعض الاهلين وبعض في معظم قرى الغاب على الحدود · فيتضح من ذلك ان ارباب رؤوس المال لا يخاطرون باموالهم في مشروعات كمشروع الغاب قبل ان تعرف ماهية الارض الشرعيـة على الأقل · وهذه لا تعرف ما لم تمسح لجان الكدسترو كل قطعة وتبين حدودها على وجه الضبط ثم تمر لجان التحرير والتحديد فتحكم في ماهية الارض وفي من هو صاحبها الحقيقي · واللاسباب نفسها لا يريد أصحاب المصارف العقارية تأسيس فروع لهم في بلاد الشام لان كل صاحب مصرف عقاري اذا كانت غايته شريفة وكان يريد استثمار امواله بفوائد قانونيـة معقولة لا يقدم على إقراض ارباب الزراعة عندما يكون في تصرفهم بالارض التي يرهنوها لدى المصرف العقاري اقل شائبة او غموض قد يؤديان الى نزاع ، ذلك ان غاية ارباب المصارف العقارية الشرفاء لا تكون الضغط على المديون حتى يستولوا على ارضه (شـأن كثير من المرابين الذين لا يجهلهم احد من أصحاب الاملاك في بلادنا) بل غايتهم استثمار أموالهم استثماراً طبيعيًا يستفيد منه الدائن والمدين · وامتنـاع اصحاب المصارف العقارية عن المجيء الى بلادنا جعل الذين يمكنهم اسلاف المحتـاجين الى المال على قسمين الاول هو المصرف الزراعي وفروعه والثـاني هم المرابون · فالمصرف الزراعي من أنفع مؤسسات الحكومة وله قانون محكم الوضع ينم على خبرة واضعيه لكن رأس ماله كان ولا يزال صغيراً ولقد استعان المصرف التونسي به فوضع لديه مالاً كثيراً ضمنـه بيت المال واشترط المصرف التونسي ان يأخذ لقاء أمواله فائدة مقدارها (٩) في المائة فاضطر المصرف الزراعي ان يجعل الفائدة التي يأخذها من المستقرضين (١٠) في المائة لكي يبقى له واحد في المائة لقاء تعبه على الأقل · فالعشرة في المائة اذا أضيفت اليها نفقات الكشف واتمام المعاملة فانها تبلغ (١٢) في المائة او اكثر احياناً وهذه النسبة هي كما ترون كبيرة لا تبررها الأرباح الضئيلة التي تربحها الزراعة في ايامنـا هذه فحبذا لو درست وزارة المال وادارة المصرف الزراعي قضية تنزيل تلك الفائدة الى حد يتمكن معه اصحاب الفلاحة من وفاء ديونهم وانعاش زروعهم ·

اما المرابون فحدث عن أعمالهم ولا حرج واني لأحفظ لهم مع فلاحي الثمانمائة قرية

ونيف التي هي من املاك الدولة الخاصة أفعالاً وحيلاً لاتأ نيها الأبالسة . وقد اضطرتني قلة أمطار الموسم الماضي ان أحمل الحكومة على اقراض هؤلاء الفلاحين (٣٥٠٠٠) ليرة ذهبية ثمناً للبذار لعلهم يكفون عن مراجعة المرابين او لعلهم يعرضون عنهم لان المرابي يكون اتبع للفلاح من ظله . ولا شك في ان المراباة هي من الاعمال الرابحة جداً لكننا اذا طرحنا الأخلاق جانباً نجد ان السرقة ايضاً هي اربح الأعمال بشرط ان يفلت السارق من يد الدركيين والشرط ... رغب اليّ في احد الايام رئيس من رؤساء المحاكم ان أثمن مزرعة عظيمة من مزارع الغوطة لان احد المرابين استولى عليها على شكل قصه عليّ الرئيس فيما بعد وهو ان المرابي أسلف المديون بضعة آلاف من الليرات لقاء فائدة مركبة تبلغ (١٥) في المائة أضيفت الى رأس المال ولم يرض الدائن باسترهان المزرعة بل اشتراها شراءً قطعياً بلا مقابل لضمان الدين (على ان يعيدها من تلقاء نفسه بعد دفع المبلغ) فأصبح لدى ذلك المرابي اولاً اسناد بنحو ضعفي المبلغ الحقيقي الذي أقرضه ثانياً اسناد تمليك بالمزرعة وقيمتها تبلغ ثلاثة أضعاف ذلك المبلغ . وعندما استحق الدفع على المدين ووجد نفسه غير قادر على وفاء الدين رفع المرابي امره الى القضاء وطلب ان تنزع يده من الارض لانها ملك لذلك الدائن المرابي بموجب سند تمليك قانوني وطلب ايضاً ان يدفع المدين ما استحق عليه دفعه بموجب أسناد الدين . وفي الخلاصة كان طلب المرابي ان يسترجع في بضع سنين خمسة أضعاف المبلغ الذي أسلفه . لكن القضاء اوقفه عند حده على ما علمت فكان حكمه عادلاً . هذا مثال من اعمال المرابين وهم يكثرون في كل بلاد ليس فيها مصارف عقارية على أنواعها .

ومن الطرائق الفاسدة في استثمار الارض ان تكون تلك الارض مشاعة بين اصحابها يقتسمونها مهاياة في كل سنة او سنتين او اكثر . ومضار هذه الطريقة كثيرة ذلك ان الأكار الذي لا يعرف لنفسه في القرية ارضاً ثابتة لا يهتم في اصلاح الارض وعمارتها كفتح القني وغرس الشجر وتسميد التربة وغير ذلك من الاعمال . وانني اضرب لكم مثلاً بلدة سلمية فقد كانت ارض تلك البلدة مشاعة بين اصحابها منذ عهد قريب اي قبيل جلاء الترك عن هذه البلاد ولم يفكر احد من اصحابها آنئذ بكري القنوات القديمة التي تخترقها في كل نواحيها ، تلك القنوات التي كانت جعلتها رياضاً غناء ايام دول

اجدادنا العرب . فلما أفرزت ارضها بسعي احد قائمي المقام وعرف كل صاحب ارض ارضه وما ينتهي اليها من القني اخذوا يكرونها بجد واعنتهم على ذلك ببضعة آلاف من الليرات عندما كنت مديراً للزراعة فصار لديهم اليوم اكثر من عشرات آلاف دونم تسقى بمياه غزيرة وقد غرسوا الكروم والاشجار وزرعوا الخضر والبقول والنباتات الصناعية مما لم يكن لهم عهد به من قبل ومن البديهي ان ربع ارضهم قد تضاعف وشتان في بلاد كبلادنا بين محصول الأعذاء وغلة المسقوي من الارض .

ما برحت منذ عشر سنين أفكر في ايجاد وسيلة عملية لافراز القرى المشاعة ولا يخفى على احد ما في ذلك من الصعوبة لانه يستحيل على سكان قرية من القرى ان يتفقوا على الافراز ولا بد من ان يقسروا على هذا العمل قسراً ولذلك يجب ان تمسح ارض القرية وتخمن اثمان المناطق المشاعة فيها وتعين حصة كل صاحب حق في كل منطقة مشاعة وكذا المساحة التي يستحقها فيها ثم يجب بعدئذ ان ترسم مخططات وفاقاً لما ذكر وان يوضع مشروع الافراز وان تحكم في المنازعات لجنة يرأسها قاض له سلطة الحكم وان يطبق مشروع الافراز على الارض وان يسلم كل صاحب ارض مفروزة سند تمليك ومخططاً بها .

يتضح من ذلك ان حل هذه القضية الهامة ليس بالامر المستسهل وانه لا يمكن الوصول بها الى نتيجة مرضية الا بواسطة فرق الكدسترو ولجان التحديد والتحرير يضاف اليها اخصائيون بالزراعة وخبراء . وقد الفت في ادارة المصالح العقارية لجنة كنت احد اعضائها درست هذه المسألة نحو ثلاثة اشهر ثم وضعت مشروع قرار مسهب في كيفية السير بافراز الارض المشاعة ولعلكم تسمعون عن قريب ان هذه المعضلة التي طالما تحدث ارباب الزراعة بها اخذت تتضائل وبدأ ضررها في البلاد يزول .

عضو المجمع العلمي

مصطفى الشهابي

الزماح
Pygargue

١ً تمهيد — يعيرنا الغربيون بان السلف كان كثير الخرافات مولعاً بها يوردها في جميع المباحث . ومن جملة ما يأخذونه علينا مسألة الزُمَّاج ، فانهم يقولون ان ما اورده العرب في هذا الموضوع لا يحتمل الوقوع .

قلنا : اننا كثيراً ما نظرنا الى مثل هذه المفتريات فلم نر لها إسماً سوى ان الشعوبية يختلقونها علينا وعلى اجدادنا ، ولو نظرنا اليها نظر المنصف لم نجد فيها اثراً من الخرافة . ودونك ما جاء في امثال الميداني بحرفه :

« أشأم من الزماح » (١ : ٣١٢ من طبعة بولاق الاولى)

« هذا مثل من أمثال اهل المدينة . والزماح طائر عظيم ، زعموا انه كان يقع على دور بني خطمة من الاوس ، ثم في بني معاوية كل عام ايام التمر والثمر ، فيصيب طعماً من مرابدهم ، ولا يتعرض احد له . فاذا استوفى حاجته طار ، ولم يعد الى العام المقبل . وقيل : انه كان يقع على آطام يثرب ، و يقول : خرب خرب [١] فجاء كعادته عاماً فرماه رجل منهم بسهم فقتله ، ثم قسم لحمه في الجيران ، فما امتنع احد من اخذه الاّ رفاعة بن مرار ، فانه قبض يده و يد اهله عنه ، فلم يحل الحول على احد ممن أصاب من ذلك اللحم حتى مات . واما بنو معاوية فهلكوا جميعاً حتى لم يبق منهم ديار . قال قيس بن الخطيم الاوسي :

أعلى العهد اصبحت ام عمرو ليت شعري ام عاقها الزماح

انتهى بحرفه .

وقد نقل كلام هذا المثل بنصه صاحب « فرائد اللآل في مجمع الامثال » في (١ : ٣٢٣ و٣٢٤) ولم يشر الى كتاب الميداني . واورد ابن مكرم البيت المذكور في مادة (ز م ح) باختلاف زهيد اذ قال : « ام غالها » في مكان « ام عاقها » ورواية

(١) الذي ورد في الاوقيانوس لعاصم افندي : حرب حرب . وهي رواية تخالف جميع روايات المصنفين من السلف .

اللسان أحسن وأشبه . ثم قال : [قال] الازهري : الزماح : طائر كانت الاعراب تقول انه يأخذ الصبي من مهده . وزمَّح الرجل : اذا قتل الزماح ، وهو هذا الطائر الذي يأخذ الصبي اه . وتاج العروس أورد نصّ اللسان ولم يشر الى مأخذه . ولم يغير منه حرفاً .

وحياة الحيوان الكبرى ذكرت الزماج بجيم في الآخر وهو غلط ظاهر من فعل النساخ لا يحتاج الى تنبيه اوله من أغلاط الطبع لانه كان عندي نسخة خطية من هذا التصنيف وفيه الزماح بحاء مهملة في الآخر . وجميع كتب اللغة لم تزد شيئًا على ما ورد في كتاب الامثال للميداني . واما كتب اللغة الصغيرة من قديمة وحديثة فانها لم تتعرض لذكره .

حقيقة الزُمَّاح

يؤخذ مما استشهدناه من الكلام هذه الامور :

١ً — الزُمَّاح طائر من الجوارح قد يتعرض لاخذ الاطفال من مهدهم .

٢ً — لا يكون طول السنة بل في وقت التمر او الثمر .

٣ً — من قتله واكل من لحمه مات .

٤ً — ان بعض الاعراب كان يتعرض لقتله ، ولولا اعتياد بعضهم لهذا الامر لما ذكروا فعلاً لذلك اذ قالوا : زمح الرجل اذا قتل الزماح .

٥ً — ان اصحاب بعض المعاجم الواسعة الافرنجية العربية او بالعكس لم تذكر اسم هذا الطائر لاعتبارهم اياه من الخرافات . فمدّ القاموس للانكليزي « لين lane » أغفله وكذلك فعل كل من نقل او اخذ عنه .

ونحن نجيب عن جميع هذه المطالب :

١ً — يؤخذ من كلام علمائنا الاقدمين ان الطائر الجارح المذكور هو ما يسميه الفرنسيون (Pygargue) و بالانكليزية (Sea-eagle) وبلسان العلم (haliaetus) وهو مفتول العضل شديد الفتك مأسور الخلق ، يأخذ الاطفال من مهدهم ولا يبالي . وهذه شهادة علماء الغرب ننقلها عن معجم لاروس الوسط المصور قال في مادة (Pygargue) ما هذا معناه :

« الزماح جنس من الجوارح من طائفة البؤوز وتشمل عدة انواع مبثوثة على البسيطة .

وللزماح اسم آخر هو عقاب البحر وهو عقاب كبير عركيّ (صياد سمك) ريشه أطحل اوأسود ، ابيض الزمكّى والعنق ، وأحياناً ابيض الهامة ايضاً . وله منسر أعقف قوي ومخالب عظيمة عقفاء . يجاور الأنهار والبحيرات ويتخذ وكنه في الصخور المنيعة التي لا ترام ، ويهجم على حيوانات الماء والبر ، ويتعرض للبهم بل ويأخذ الاطفال . والنوع الفرنسي الوحيد المنتشر في آسية الى غرنلند هو الزماح المُبْياض (Haliaëtus Albicilla) وهو الذي يسميه العوام (كاسر[1] العظام) (Orfraie) ويبلغ طوله متراً وطول جناحيه اذا انتشرا مترين و٥٠ سنتيمتراً . وهو أطحل اللون وأصدأ ورأسه ارمد والذنب أقهب وكلما طعن في السن يكمد . وهناك ضروب أخرى من هذا الجارح اكبر من هذا ، منها ما هي سوداء ومنها ما هي طحلاء ، الا ان رأسها أبيض وهي خاصة بافريقية الحارّة ، ودون هذه الألوان قوة وقدرة الزماح الأبيض البطن (Haliaétus leucogaster) ويرى في ديار الهند الى اوقيانية . وهناك نوع متحجر هو الزماح العَرَكيّ (Haliaëtus Piscator) عاش في فرنسا في الحقبة المتوسطة الحداثة » انتهى .

فيستنتج من هذا انزماح يثرب (اوالمدينة) كان من الجنس الافريقي العظيم القوي ، وهو يذهب الى جزيرة العرب في الخريف الذي هو وقت الثمر والتمر لكنه لا يأكل شيأ منها انما يقف على تلك الاشجار مترصداً فريسة له ومعلوم ان الجوارح كلها لا تذوق الاثمار على أنواعها . وانما العوام من اهل المدينة توهموا هذا الوهم لرؤيتهم اياه يقف على الاشجار الضخمة ، لا انهم رأوه يأكل من اثمارها . وبذلك انحلت العقدتان الاوليان من الاعتراضات الخمسة .

اما ان الذي قتله أُطعم من لحمه غيره فمات . فلا يستبعد . لان الاقدمين كانوا يقتلون الحيوانات بالسهام وأغلب الاحيان تكون سامّة لضجاج فيها . ولو فرضنا ان ليس هناك سمّ فان جرح الطائر قد يؤدي الى النتن والعفونة فيتأذى من ذلك اللحم كل

(١) راجع معنى كاسر العظام في حياة الحيوان الكبرى للدميري (٢ : ٢٣٣) من طبعة مصر .

من يأكل منه . ولو فرضنا فرضاً ثالثاً ان الذي يأكل من لحم الطائر المذكور لا يأكل منه الا واللحم غريض فان لحم الجوارح على كل حال يكون صعب الهضم و يسبب في الديار الحارّة امراضاً مهلكة فيكون نصيب من يأكل من لحم ذلك الطائر الهلاك لا محالة .

ان هذا الطائر يرى الى اليوم يتردّد الى رابوع جزيرة العرب وثغورها وقد رأيت بنفسي اربعة منها في تشرين الاول من سنة ١٨٩٤ حين عودتي من اوربة الى بغداد : وقد ذكر لي ربان الباخرة ان تلك الجوارح الضخمة هي الزماميج وهي لا ترى الا في ذلك الوقت . وهذا ما يُستقرى من استعمال السلف فعلاً يدلّ على انهم كانوا قد اعتادوا قتل أمثالها .

بقي علينا ان نذكر سبب اهمال بعض المعاجم لهذه اللفظة . السبب واضح من ان بعضهم اعتبر هذا الجارح الكاسر من خرافات العرب وقد رأيت انه ليس كذلك . وهذا (البستان) للامام البستانيّ يذكر الزماح ويقول عنه : « طائر يزعمون انه يأخذ الصبي من مهده وانه يميت لحمه الآكل منه » انتهى . ولو قال : « طائر قد يأخذ الصبي من مهده وقد يميت الآكل من لحمه . ثم يزيد على ذلك : وهو من الجوارح الكبار من طائفة البؤوز » لاكتفينا به وجارينا علماء العصر في مصطلحاتهم وتعاريفهم .

ولهذا العقاب اسماء كثيرة منها ما يأتي مرتبة على حروف المعجم باعتبار الحرف الزائد كالاصل : الأبغث ، الاغثر ، البُلَت ، البُلَح ، السَّبَل ، العَوْف ، الفيئة ، الفَيْنة ، كاسر العظام ، المقعقعة ، المكلَّفة ، الهُما ، الهُماء ، الهُماي ، الهُمايُون .

ومن الغريب ان من تكلم عن كل اسم من هذه الاسماء لم يعرف انها لطائر واحد ، كما انه لم يعرف مختلف هذه الاسماء ، وان الاوصاف التي ذكروها كأنها متباينة ما هي الا واحدة في الجوهر .

الاب انستاس ماري الكرملي
صاحب مجلة لغة العرب

. . .

الجزائر

الجزائر مدينة معروفة مشهورة وهي مبنية على خرَب مدينــة فينيقية ثم رومانيــة اسمها ايقوسيوم (Icosium) وقد ذكر ابو عبيد البكري بقايا آثارها كما سيأتي :

قال ابن خلدون في العبر (ط · بولاق ج ٦ ص ١٥٤ و ط · الجزائر ١٢٦٣ ١٨٤٧ ص١٩٧) ثم اختط ابنه بُلُكّين بامره (اي بامرابيه زيري بن مناد الصنهاجي المتوفى في رمضان سنة ٣٦٠ هـ) وعلى عهده مدينة الجزائر المنسوبة لبني مَزْغنَّة بساحل البحر · وذكر ابن عذارى في كتاب البيان المغرب (ط ليدن ١٨٤٨ — ١٨٥١ ج ٢ ص ٢٣١) انه في ١٥ رمضان ٣٣٧ قد وصل الى الخليفــة الناصر وهو بقصر الزهراء قرب قرطبة منصور وابو العيش ابنا ابي العافيــة ومعهما حمزة بن ابرهيم صاحب جزائر بني مَزْغنَّى ·

وذكر جزائر بني مزغنى ووصفها ابن حوقل وهو من علماء القرن الرابع في كتاب المسالك والممالك (ط · ليدن ١٨٧٣ ص ٤٢و٥١و٥٢) ·

وقال المقدسي المتوفى سنة ٣٧٥ في احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ط · ليدن ١٩٠٦ ص ٢٨) وجزيرة بني زَغنَّاية وتعقبه طابعه في حاشيته ان هذا الاسم ورد في النسخ المخطوطات بصورة مزغنّان ومزغنّاي ومزغنّة ومزغنّى وزغنّاي وزغنّاية وزغنّى وقال لفظة (مز) معناها بنو · وقال المقدسي ايضاً (في ص ٢١٧ و٢٢٨) وجزيرة بني زغناية على ساحل البحر وفي ص ٢٤٦ جزيرة زغنّاي ·

وقال الاصطخري وهو من علماء القرن الرابع في كتاب مسالك الممالك (ط · ليدن ١٩٢٧ ص ٣٧و٣٨) وجزيرة بني مزغنّا مدينــة عامرة يحف بها طوائف من البربر وذكرها ايضاً في ص ٣٩و٤٦ ·

وقال ابو عبيد البكري المتوفى سنة ٤٨٧ في المسالك والممالك (ط · الجزائر ١٩١١ ص ٦٥ و٦٦) مدينة جزائر بني مزغني هي مدينة جليلة قديمة البنيان فيها آثار للأُول وآزاج محكمة تدل على انها كانت دار مملكة لسالف الامم وصحن دار الملعب فيهــا قد فرش بحجارة ملونة صغار مثل الفسيفساء فيها صور الحيوان باحكم عمل وابدع صناعة لم

يغيرها تقادم الزمان ولا تعاقب القرون ولها أسواق ومسجد جامع وكانت بمدينة بني مزغنى كنيسة عظيمة بقي منها جدار مدير من الشرق الى الغرب وهو اليوم قبلة الشريعة للعيدين منقش كثير النقوش والصور ومرساها مأمون وله عين عذبة يقصد اليه اهل السفن من افريقية والاندلس وغيرهما وقال ايضاً (في ص ٨٢) مرسى الجزائر وتعرف بجزائر بني مزغني وقد تقدم ذكر مدينتها وهو مرسى مأمون مشتى بين جزيرة سطفلة من الشرق الى الغرب وبين البر ٠

وقال الشريف الادريسي المتوفى سنة ٥٤٨ في كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (ط ٠ ليدن ١٨٦٤ ص ٥٦) وجزائر بني مزغنّا و(ص٨٩) الجزائر لبني مزغنا ومدينة الجزائر على ضفة البحر وذكرها ايضاً في ص ١٠١ ٠

وذكر ابن بشكوال في كتاب الصلة (ط٠مجريط ١٨٨٣ ص٤٦٥ عدد ١٠١٩) في ترجمة قاسم بن موسى الضني (بالنون) ان مولده في جزائر بني زَغَنّى ٠

وقال ياقوت المتوفى سنة ٦٢٦ في معجم البلدان (ط٠مصر ١٣٢٤ ج٣ ص٩٣) الجزائر جمع جزيرة اسم علم لمدينة على ضفة البحر بين افريقية والمغرب بينها وبين بجاية اربعة ايام من خواص بلاد بني حماد بن زيري بن مناد الصنهاجي وتعرف بجزائر بني مزغنّاي وربما قيل لها جزيرة بني مزغناي ثم أورد كلام ابي عبيد البكري ٠

وقال ابو الفداء المتوفي سنة ٧٣٢ في كتاب تقويم البلدان (ط٠ باريس ١٨٤٠ ص٢٧) يصف بحر الروم ثم يأخذ مشرقاً بميلة الى الشمال حتى يصير عند الجزائر فرضة بجاية وقال ايضاً (ص١٢٥) قال الادريسي ومدينة جزائر بني مزغنّان على ضفة البحر ٠٠٠ ومن الجزائر الى مرسى الدجاج ٣٨ ميلاً وقال (ص١٢٦) وفي شرقي مستغانم مدينة يقال لها جزائر بني مزغنّان فرضة مشهورة من عمل بجاية وقال (ص١٣٧) وغربي بجاية جزائر بني مزغنان وهي فرضة مشهورة من عمل بجاية وجزائر بني مزغنان حيث الطول سح والعرض لح ل والجزائر معروفة ومزغنان بفتح الميم وسكون الزاي وكسر الغين المعجمتين ثم نونان بينهما الف الاولى مشددة عن الشيخ شعيب اه ٠

هل بقي شك بعد هذه النصوص في ان الجزائر جمع جزيرة ٠

هذا وان بني مَزَغَنّى المنسوبة اليهم قبيلة من قبائل البربر لا زالت الى يومنا هذا

بقية منها متوطنة بارض واقعة شرقي مدينة الجزائر وتبعد عنها بنحو ٨٠ كيلو متراً وهذا الوطن متاخم طريق السكة الحديدية الممتدة بين الجزائر وقسنطينة ٠

واما حذف المضاف اليه وتحلية المضاف باداة التعريف فهذا امر مشهور في لغة العرب اما يقال البيت والمراد بيت الله الحرام والمدينة والمقصود مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد أشار الى هذا المنحى ابن مالك في الفيته :

وقد يصير علما بالغلبة مضاف أومصحوب أل كالعقبة

واستشهد على ذلك بقول ضابئ البرجمي :

ومن يك امسى بالمدينة رحله فاني وقيار بها لغريبُ

قد مرّ في النقول المذكورة آنفاً ان بعضهم يقول جزيرة وبعضهم جزائر وذلك ان عند اتيان الاتراك الى هذه المدينة كانت جزيرة كبيرة وثلاث جزيرات صغار متجاورة أمام المرسى القديم وكان بنى الاسبانيون حصناً كبيراً وسموه البنيونش ولما استولى خيرالدين باشا اخو عروج في ٢٨ رمضان سنة ٩٣٦ هدمه وردم مابين الاربع الجزيرات والبر فكان رصيف طوله ٢٢٠ متراً وعرضه ٢٥ متراً وعلوّه اربعة أمتار ٠ وكانت هذه الجزيرات تتصل بها سلسلة صخور لا تظهر على وجه الماء الا اذا كان البحر رهواً وزيادة على ذلك كانت جزيرة صغيرة بعيدة ومنفردة عن تلك الجزيرات والصخور قد رأيتها ولكن سُطّحت الآن ورُدم ما بينها وبين رصيف الميناء الحالي ٠

واما برج الفنار المثمّن الشكل فبناه حسن باشا ابن خير الدين باشا ولا يزال على حاله الى يومنا هذا ٠

وفي ظني ان جزيرة سطُفْلة التي ذكرها البكري هي الجزيرة الكبيرة التي بُني فيها البنيونش ٠

واما إطلاق لفظة الجزائر على القطر فمن باب استعمال الخاص وارادة العام وأظن ان الاتراك هم الذين استعملوا هذا اولاً بقولهم (جزائراوجاغى) واما في القديم فلا اعرف الا قولهم المغرب الاوسط وحدوده هي حدود القطر الجزائري تقريباً ٠

واما ماشوهد من كتابة « ضرب في جزائر » على «سكة» بحذف اداة التعريف يحتمل (١) ان يكون لصعوبة نقشها (٢) اوللاعتياد على عدم وجود اداة في اللغة التركية

مثل (ال) وانما يستعملون اسماء الاشارة مثل (بو وشو وأو او اول (٣) او اعتباطاً كما حذفت في العيوق في قولهم هذا عيوق طالماً وقد اشار الى ذلك ابن مالك في الفيته بقوله :

وحذفَ الـ ذي ان تنادِ اوتضف اوجبْ « وفي غيرهما قد تنحذف »

واستشهد بقول الشاعر :

اذا دَبرانٌ منك يوماً لقيته أؤمل ان ألقاك غدْواً بأسْعُدِ

واما قول القائل مستنتجاً من « ضرب في جزائر » ان الترك كانوا ينفون الى بلاد الجزائر بعض من يغضبون عليهم او يرتكبون جرائر فأطلقوا على مايظهر اسم (جزائر[1]) بمعنى (ارض الجزاء) على هذه الديار الخ .

أقول سبحان الله واستغفر الله هذا العالم العربي الجزائري اظنه من (اصحاب القهوة المرّة) بفتح الميم وترقيق الراء كما يقولون هنـا وكيف يصح هذا القول وصفحات التاريخ شاهدة والاقوال الصحيحة متواترة متواردة نعم كان في الاتراك او المنسوبين اليهم الذين اتوا الى هذا الوطن من بين من تخيّر العطون او تحرّى الظعن الصـالح والطالح والولي الحميم والدني الذميم والعالم الجليل والبطل النبيل فمدّن الجميع هذا الوطن وانقذه من الوهن وأسس الادارات وأمّن الطرقات وبنى القنـاطر وحمى المسافر وشهد له بالتنظيم الاعداء وسطروه في تواريخهم آباء وابناء وانما اخنى عليهم الذي اخنى على لبد ولم يبق على احد .

ولما كنت لا أعرف لغة الاتراك حرت في هذا الارتباك فهل يصح (واسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) في هذه اللغة تركيب كلة من لفظة (جزاء) ولفظة (يير) او (يَرْ) بمعنى ارض قياساً على (مبارك ير) اي ارض مباركة ؟ وهل (جزاير) بمعنى ارض الجزاء او ارض النفي مستعمل في المحاورات والخطابات والكتابات عند الخاصـة والعامة ؟ فان أجيب بنعم فيكون من باب التوارد مع بعده عن التاريخ والله ولي التوفيق .

م . ابن ابي شنب

---

(١) يعني ان اصلها (جزا) جزاء (ير) ارض بالتركية .

الكلمات غير القاموسية

جواب الاستاذ رشيد بقدونس
على اقتراح الاستاذ «المغربي» (١)

قرأت في مجلة المجمع العلمي اقتراحاً في الكلمات غير القاموسية وقد ساقني حبي وولعي ، لا علمي وعرفاني ، بهذه اللغة الكريمة الى ذكر ما يجول في فكري :

الصنف الاول : يجب ان نضمه .

الصنف الثاني : ما كان يستغنى عنه بما هو أخف منه من مادته ، لاسيما اذا كان مما يدّعى فيه التحريف لانه لم يصادف الا في عبارة واحدة مثلاً ، يهمل وغيره يقبل .

الصنف الثالث : ما كان من وضع الاعاجم المتأخرين او العرب المعاصرين ينظر فيه نظرة دقيقة فان وجد في العربية القديمة لفظ أفصح منه يؤدي معناه حق التأدية استغني عنه والا استعمل .

من الغريب ان كلمة (budget) الافرنسية هي عربية محرفة عن كلمة بُلْغَة وهذه استثقلها الاتراك فاستعملوا المحرف ، اي بودجه ، مرةً وما قد اخترعوه مقابلاً لها ، اي الميزانية ، مرة أخرى . فهلا يجب ان يعاد النظر في الميزانية .

الصنف الرابع : يقبل منه كل ما لا غنى لنا عنه .

الصنف الخامس : ترد كل كلمة أعجمية لم يستعملها العرب الذين يعتد بعربيتهم خفيفة كانت او ثقيلة . ولا ارى ان نقيس انفسنا على الاجداد الذين عربوا كلمات كثيرة . اما في الجاهلية فانهم لم يعربوا عن قصد ، على ما اظن ، ولكن كثرة الاختلاط بالروم والفرس وخفة تلك الالفاظ التي اخذوها وعدم تعصب الامم اذ ذاك للقومية التي نعرفها اليوم سهّل دخول تلك الكلمات في كلامهم .

واما في القرون التي بدأ العرب فيها يترجمون الكتب العلمية فقد أدخلوا كلمات كثيرة الى العربية في اول ترجمة ثم اتى من بعدهم أناس اتسع لهم الوقت للتدقيق

(١) راجع اصل اقتراح الاستاذ في مجلد السنة الماضية (ج ١ ص ٢٩) .

والاصلاح والتهذيب فنبذوا كلمات كثيرة استبدلوا بها أخرى عربية محضة ٠

وقد كنت طالعت قبل ثلاثين سنة « الرسائل السبع لابن سينا » التي طبعت في مطبعة الجوائب في القسطنطينية ورأيت رسالة منها محشوة بالفاظ يونانية كالاسطقس وغيرها مما لست أذكره الآن ٠ واني موقن بان من اتى من بعد ابن سينا قد استبدل بها او باكثرها غيرها ٠ ولو كان في الوقت متسع ومن المحيط الذي انا فيه مساعد لأتيت بكثير من الأمثلة ، على اني لست تارك ذلك الا الى وقت قريب ان شاء الله ٠

وكذلك يفعل من يعرّب اليوم شيأً من الكتب الاجنبية يصل الى كلة فلا يعرف ما يقابلها ولا يتسع له الوقت للتنقيب فيأخذها كما هي او بتعديل قليل ، ولكن من يأتي بعده او المجامع العلمية تجد ، بعد التنقيب ، كثيراً من الالفاظ مما يقابل تلك ٠

ويقال انا مضطرون اضطراراً لا محيد عنه الى اخذ الكلمات الاعجمية ، اما انا فأرى غير ذلك : يمكن ان نقسم العلوم الى قسمين منها ما ألف فيه العرب ومنها ما لم يؤلفوا فيه ، فما ألفوا فيه ينبغي ان نطالعه بانعام ولا نترك كلة الا بعد ان ندرسها حق الدرس ونتحرى مايقابلها في احدى اللغات الحية كالافرنسية اوالانكليزية او الالمانية او الايطالية ونضعها في موضعها في دفترين دفترمن العربية الى الافرنسية مثلا ودفتر من الافرنسية الى العربية حتى اذا كمل الكتاب حصل لنا منه قاموس في مصطلحات ذاك العلم عربي افرنسي وآخر افرنسي عربي وكلاهما مرتب على حروف الهجاء ٠

فاذا أردنا تأليف كتاب او تعريب كتاب في هذا العلم رجعنا الى ذينك الكتابين ٠ والكلمات التي زيدت في ذاك الفن لما حصل فيه من الرقيّ والتكامل نضع لها اسماً عربياً نصطلح عليه « راجع الفقرة الآتية » ٠

واما العلوم التي لم يؤلفوا فيها فانا نطالعها في الافرنسية مثلاً ونأخذ الاصطلاحات العلمية التي فيها ونجمعها على حدة ٠ ثم ندققها كلة كلة ونسعى في تحري مايقابل كل كلة باللغة العربية واذا عجزنا أتينا بكلة عربية واصطلحنا عليها في ذاك المعنى ولو لأدنى ملابسة ، واذا عجزنا عن هذا ايضاً فاني أذهب الى ابعد من ذلك فأخترع كلمة مهملة من أحرف عربية ثلاثية او رباعية او خماسية او سداسية موافقة للاوزان العربية واضعها لذلك

المعنى وانشرها ولااستعمل كلمة اجنبية مهما كانت قيمتها [١] . واني لأعترف ان في هذا كله صعوبة واي صعوبة ولكن ...

الصنف السادس : يقبل .

الصنف السابع : فيه تفصيل أجاد فيه من أجاب من قبل .

مجموعة صلاح الدين الصفدي

عثر احد تلاميذ ثانوية الموصل النجباء في مكتبة الحزب الوطني في الموصل على كتاب مخطوط قديم مجهول فجاءني به يسألني تصفحه لعلي أقف على شيء من امره .

وجدته مجلداً تجليداً شرقياً بجلد احمر قد اسود . طوله ٢١ س وعرضه ١٥ س ونصف . قد كتب على ورق ثخين بحبر أحمر في رؤوس المواد واسود في المتن . عدد اوراقه ١٨٢ ورقة . في كل صفحة ٢٠ سطراً . على حافة الكتاب كتابة عسرة القراءة اذا أُمعن النظر فيها تقرأ (مجموعة صلاح الدين الصفدي) . وكلمة الصفدي أعسرها قراءة . على ان الدال والياء في آخرها ظاهرتان .

وقد تحققت ان المجموعة للصفدي من تصفح الكتاب . ففيه مراسلات للمؤلف مع معاصره ابن نباتة وغيره وبذكر صور تواقيع كتبها اذ كان رئيساً لديوان الانشاء . وفي مكان يقول ما نصه : « تذكرت ابياتاً كنت نظمتها في سنة اربع وعشرين وسبعمائة بصفد ايام الشباب وهي :

اي خطب به رماني زماني ودهاني بالبعد بعد التداني الخ »

ومعلوم ان الصفدي توفي سنة ٧٦٤ هـ . وكان تلقى العلم عن ابن نباتة وغيره وتولى ديوان الانشاء بصفد والقاهرة ثم في حلب .

هذا الكتاب حلقة من سلسلة طويلة على ما يظهر فقد جاء في آخره ما نصه : « تم الجزء الثلاثون من اجزاء المصنف ومن خطه نقلته والحمد لله ... » ثم قيل دونه بقلم غير قلم الناسخ : « يتلوه الجزء العاشر من هذه النسخة وهو الجزء الحادي

(١) ليس هذا عمل فرد وانما هو عمل المجامع العلمية العربية المتحدة .

والثلاثون من تجزئة المصنف بعد البسملة والحمدلة : مسألة البناء على الضم قد يكون » . انتهى . والمفهوم انه أراد ان يقول : يتلوه المجلد العاشر و يبدأ بالجزء الحادي والثلاثين وهذا يبدأ بعد البسملة والحمدلة بالكلام على البناء على الضم .

فيكون هذا المجلد الذي نبحث فيه المجلد التاسع . وهو ينقسم الى اربعة اجزاء السابع والعشرين والثامن والعشرين والتاسع والعشرين والثلاثين . لكن الجزء السابع والعشرين ناقص في اوله . والباقي منه ١٦ ورقة فقط . اما الجزء الثامن والعشرون ففي ٤٩ رقة . والتاسع والعشرون في ٥٥ ورقة . والثلاثون في ٦٢ ورقة .

يبدأ الجزء بصفحة بيضاء كتب فيها بخط ثلثي (الثامن والعشرون [مثلاً] من اجزاء المصنف رحمه الله تعالى) . وهكذا من دون ذكر اسم الكتاب ولا اسم المصنف . وفي الصفحة التاليـة يقول « بسم الله الرحمن الرحيم . عفوك اللهم . الحمد لله حق حمده . والصلاة والسلام الأطيبان الاكملان الاعمّان على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين الى يوم الدين » . ثم يبدأ بذكر ما اراد ذكره غير معنون في الغالب ولا مبوب . ولا يلتزم ان يكون ما يكتبه في موضوع واحد . فهو أشبه بكتاب الكشكول من هذه الجهة . واما تقسيم الكتاب الى أجزاء فلا يفيد شيأ سوى مطلق التقسيم .

جاء في آخر الجزء السابع والعشرين ما نصه : « آخر الجزء السابع والعشرين من اجزاء المصنف ومن خطه نقلته » . وفي آخر الجزء الثامن والعشرين : « تم الجزء الثامن والعشرون من اجزاء المصنف مفقوداً من خطه . نقلتـه من نسخة المحمودية » . وفي آخر الجزء الذي يليه : « تم الجزء التاسع والعشرون من اجزاء المصنف مفقوداً من خطه نقلته من خط العلامة العز الموصلي رحمهم الله تعالى اجمعين » .

خط النسخة جيد وهو من النوع النسخي . وليس عليها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ . غير ان الورق يشبه ان يكون من ورق القرن الثامن والتاسع الهجريين .

اما محتويات الكتاب فشتى من نظم ونثر . فمن النظم ابيـات مفردة ودوبيتـات ومقاطيع وقصائد وموشحات ومواليات وكان وكان . والنثر قصص ومنقولات تاريخية وصور تواقيع ومراسلات وغير ذلك . قسم منه من نظم الصفدي ونثره وانشـائه

ومراسلاته خصوصاً مع ابن نباتة الشاعر . والقسم الاعظم منقولات ومقتبسات . يتخلل ذلك فقرات تاريخية وغيرها يهم الاطلاع عليها .

انقل ما يأتي من الجزء السابع والعشرين منتقياً قال :

« قلت وقد عمّ الفنا في سنة تسع واربعين وسبعمائة وكان من قطيا الى بيروت ومعظمه بغزة .

قد قلت للطاعون وهو بغزة قد جال من قطيا الى بيروت
اخليت ارض الشام من سكانها وحكمت ياطاعون بالطاغوت

وقلت ايضاً وقد بلغني في العام خبر جماعة من الاصحاب بانهم توفوا في صفد رحمهم الله تعالى .

لما افترست صحابي يا عام تسع اربعينا
ما كنت والله تسعاً بل كنت سبعاً يقينا

قلت وقد أفرط الطاعون بدمشق وقتل خلقاً كثيراً بالحبة التي اشتهر امرها :

أسفي على اكناف جلّق اذ غدا الـ ـطاعون فيها ذا زناد وار
الموت ارخص ما يكون بحبة والظلم زاد فصار بالقنطار

وقلت ايضاً :

رعى الرحمن عصراً قد تولى يجازي بالسلامة كل شرط
وكان الناس في غفلات امن فجا طاعونهم من تحت ابط

وقلت وقد كان يقتل بطلوع بثرة خلف الاذن .

تعجبت من طاعون جلق اذ غدا وما فاتت الآذان وقعة طعنه
فكم مؤمن تلقاه أذعن طائعاً على انه قد مات من خلف اذنه

وقلت وقد كان يقتل بطلوع خيارة في الاربية :

ثل هذا الطاعون عرش دمشق بقضاء من ربنا سبحانه
فلكم مات بالخيارة شخص كان يبدو كأنه ريحانه

وقلت وقد كان يقتل بان يبصق الانسان دماً :

يا رحمتا لدمشق من طاعونها فالكل مغتبق به او مصطبح

كم هالك نفث الدما من حلقه او ما تراه بغير سكين ذبح » .

انظر ايها القارئ الى هـذا الاديب ترجمياً من تتبعه حوادث الطاعون وأشكاله وظواهره فكأنه طبيب يصف اعراض المرض في نوعيه الخياري والرئوي ويذكر كون الخيارة تطلع في الاربية او تحت الابط اوخاف الاذن وكون الرئوي يصحبه نفث الدم . اقول وكلة (خيارة) كنت قد اخترتها مقابل (Bubon) الافرنجية . فسررت لما رأيت الصفدي يؤيدني في هذه التسمية باستعماله اياها قبل مئات السنين . فعلى الاطباء ان لا يجهدوا انفسهم في التفتيش على كلة غيرها .

وقد ادرج الصفدي في مجموعته هذه بعد ذلك رسالة للعلامة زين الدين بن الوردي واسمها (النبا في الوبا) . اولهـا بعد البسملة (رب يسر . الله لي عدة . من كل شدة ...) . ولما ذكر اسم ابن الوردي قال (نفع الله بحياته) . والرسالة في اربع صفحات ونصف الصفحة .

وفي الجزء الثلاثين رسالة لابي بكر الخوارزمي منها رسالة كتب بها الى جماعة الشيعة بنيسابور لما قصدهم محمد بن ابرهيم واليها . اولها « سمعت ارشدالله سعيكم وجمع على التقوى امركم ما تكلم به السلطان الذي لا يتحامل الا على العدل ... » وفيها قدح بالخلفاء الراشدين وبني أمية وبني العباس وانتصار للعلويين . وهي طويلة تقع في نحو ١٢ صفحة .

هل مجموعة صلاح الدين الصفدي هذه معروفة . وهل منها مجلدات في المكاتب المعروفة . لا ادري . غير ان جرجي زيدان لم يذكرها بين مؤلفات الصفدي في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية . بل ذكر له (التذكرة الصلاحية) وقال هي مطولـــة في الادب والشعر في ٣٠ مجلداً مرتب نحو ترتيب كتاب المستطرف حسب المواضيع . وهذه المجموعة غير مرتبة . وذكر له (ديوان الفصحاء وترجمان البلغاء) وقـال انه مجموع قطع بليغة نظماً ونثراً جمعها للسلطان الملك الاشرف منها نسخة في ڤينا بخط المؤلف . ولم يزد جرجي على ذلك . فيفهم ان هذا الديوان في مجلد واحد . اما هذه المجموعة فمجلدات عدة لم اعلم عددها . لكنها لا تقل عن عشر مجلدات على اقل تقدير . وليست مقتصرة على قطع بليغة .

وخلاصة الكلام ان هذه المجموعة جديرة بالاهتمام .

الموصل : آب ١٩٢١ الدكتور داود الچلبي

فصح وشوارد

أنست من المجمع ميلاً الى نشر الألفاظ المختارة ، وها انذا أضيف الى ماذكره في عدد مضى شيأ مما وقفت الى الوقوف عليه . فمنها من باب هروته بالهراوة .

طرقه بالمطرقة (ـُـ) طرقاً .

وعرجن فلاناً : ضربه بالعراجين والعُرجون اصل العِذق الذي يعوج وتقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابساً سمي لانعراجه ج عراجين .

وهراه يهريه هرياً وتهرّاه مثل هراه يهروه اي ضربه بالهراوة وهي العصا اوالضخمة كهراوة الفأس والمعول ج هراوى وهُرِيٌّ وهِرِيٌّ .

وقمعه (ـَـ) قمعاً : ضربه بالمقمعة وهي العمود من حديد وقيل كالمحجن يضرب به رأس الفيل — وخشبة يضرب بها الانسان على رأسه ليذلّ ويهان ج مقامع .

ونزكه (ـُـ) نزكاً : ضربه بالنَيزك (فارسي تعريب نيزه) وهو الرمح القصير والنيزق لغة فيه وقد تكلمت به الفصحاء ج نيازك يقال شككته صدور النيازك .

وفأسه (ـَـ) فأساً : ضربه بالفأس .

وعمده (ـِـ) عمداً : ضربه بالعمود .

وأعمل الرمح اعمالاً : طعن بعامله وعامل الرمح صدره وهومايلي السنان دون الثعلب .

وعنزه (ـُـ) عنزاً : طعنه بالعَنزة وهي شبه العكازة اطول من العصا واقصر من الرمح ولها زُجٌّ من اسفلها . ويقال جاء يتوكأ على عنزة . وعنزة الفاس حدها .

وقضبه (ـِـ) قضباً : ضربه بالقضيب وهوالغصن المقضوب اي المقطوع ج قضبان وهو ايضاً اللطيف من السيوف وفي الاساس سيف قضيب ليس بصفيحة — والقوس عملت من قضيب او من غصن غيرمشقوق — والسيف القطاع فعيل بمعنى فاعل ج قُضُب .

وقطع فلاناً بالقطيع (ـَـ) قطعاً : ضربه والقطيع السوط المنقطع طرفه والقضيب تبرى منه السهام .

وقفعه بالمقفعة (ـَـ) قفعاً : ضربه وتناوله بها وهي خشبة يضرب بها الاصابع .

وسنّ فلاناً (ـُـ) سنّاً : طعنه بالسنان وهو نصل الرمح .

وتسيّفه مثل سافه (ـــِ) سيفاً اي ضرب به بالسيف وسايف القوم واستافوا وتسايفوا تضاربوا بالسيوف وقد استيف القوم اي ضُربوا بها والسيّاف الضارب بالسيف ·

ورمحه (ـــَ) رمحاً : طعنه بالرمح ورامحه مرامحة طاعنه به والقوم تراموا ·

وزجّه (ـــُ) زجّاً : طعنه بالزُجّ وهو الحديدة التي في أسفل الرمح ومنه قيل في المثل جعل الزج قدام السنان اي فضّل الادنى على الاعلى — ونصل السهم ·

وحصاه (ـــِ) حصياً : ضرب به بالحصاة ·

وحظاه بالحظوة يحظوه : ضرب به بها والحَظوة والحُظوة : كل قضيب نابت في اصل الشجرة لم يشتد بعد ج حِظاء وحَظوات — وسهم صغير قدر ذراع يلعب به الصبيان ·

وألّه (ـــُ) ألاً : طعنه بالألّة وهي السلاح — وجميع ادوات الحرب — وعود في رأسه شعبتان ·

وتاخه (ـــِ) تيخاً ضربه بالمتيخة · والمِيتخة والمِتّيخة والمِتْيخة : اسماء لجريدة النخل او اصل العرجون — وكل ما ضرب به من عصا او درّة او غير ذلك ·

وخفقه بالمخفقة (ـــِ ـــُ) خفقاً ضربه بها ضرباً خفيفاً والمِخفقة الدرّة يضرب بها — وقيل سوط من خشب ·

وجلده بالمجلد (ـــِ) جلداً ضربه والمِجلد السوط — وقطعة من جلد تمسكها النائحة بيدها وتضرب بها وجهها وخدّها ·

ووبَله بالميبلة (ـــِ) وبلاً : ضربه وقيل تابع عليه الضرب وعبارة الاساس ووبله بالسياط تابعها عليه كالوابل والميبلة الدرة اي السوط يضرب به ·

وهمز الفرس : نخسه بالمهماز · والمِهمز والمهماز حديدة في مؤخر خفّ الرائض ج مهامز ومهاميز · وهمز فلاناً : ضربه بالمِهمزة وهي المقرعة — او عصاً — او عصا في رأسها حديدة يُنخَس بها ·

وغرّه (ـــُ) غرّاً : فعل به ما يشبه القتل والذبح بغرار الشفرة ·

* * *

وشفهه (ـــَ) شفهاً : ضرب شفته ·

وضلمه (ـــَ) ضلماً : ضربه في ضلمه ·

وعرشه (ـُـ) عرشاً : ضربه في عرش رقبته وهو احد عُرشَي العنق وهما لحمتان مستطيلتان في ناحيتي العنق او في اصلها وقيل هما موضع المحجمتين ٠

ولحمه (ـَـ) لحماً : ضربه فأصاب لحمه ٠

ونسى فلاناً (ـِـ) نسياً : ضرب نساه ٠ والنسا عرق من الورك الى الكعب وعن الاصمعي هو عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر فاذا سمنت الدابة انفلق فخذاها بلحمتين عظيمتين وجرى النَسا بينهما واستبان واذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان وماجت الربلتان وخفي النسا ٠ مثناه نسوان ونسيان ج أنساء (المصباح) ٠

ووشحه توشيحاً : ضربه في موضع الوشاح ٠ وورِكه (ـِـ) وركاً : ضربه في وركه ٠ ووراه (ـِـ) ورياً : اصاب رئته ٠

ويَفَخَهُ يَيْفَخُهُ يفخاً كأنّخه اي ضرب يافوخه فهو ميفوخ ٠

ووجَهه (ـِـ) وجهاً : ضرب وجهه وردّه ٠

وصلّيت الظهرَ : ضربت صلاه واصبته ٠ والصَلا وسط الظهر من الناس ومن كل ذي اربع — وما انحدر من الوركين وقيل الفرجة بين الجاعرة والذنب وقيل ماعن يمين الذنب وشماله وهما صلوان ج صلوات واصلاء ٠

وعضله (ـُـ) عضلاً : ضرب عضلته ٠ وجوّفه تجويفاً : طعنه في جوفه ٠

ولهزه (ـَـ) لهزاً : ضربه بجمع يديه في اللهازم والرقبة واللهزمة عظم ناتئ في اللحي تحت الاذن وهما لهزمتان ويقال اللهزمتان مضغتان عليان تحت الاذنين وفي الاساس ودفع في لهزمته وهما مجتمع اللحم بين الماضغ والاذن ٠

وقفاه (ـُـ) قفواً : ضرب قفاه ٠ وكوّعه بالسيف : ضربه حتى اعوجت اكواعه ٠

وكبده (ـُـ) ضرب كبده ٠ وكتفه (ـِـ) ضرب كتفه ٠

وكرسعه ضرب كرسوعه بالسيف والكرسوع طرف الزند الذي يلي الخنصر وهو الناتئ عند الرسغ وقيل عُظيم في طرف الوظيف مما يلي الرسغ من وظيف الشاء ونحوها ٠

وكرعه (ـَـ) اصاب كراعه يقال رماه فكرعه ٠ والكراع من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس وهو مستدق الساق مذكر ومؤنث وقيل الكراع من الدواب مادون

الكعب ومن الانسان ما دون الركبة ٠ ولبّه (ـــُ) لبّاً : ضرب لبته وهي المنحر ٠
ومتنه (ـــُ) وامتنه ضرب متنه ٠ وعظم فلاناً (ـــُ) عظمة : ضرب عظامه ٠
وخشمه (ـــِ) كسر خيشومه ٠ وعقبه (ـــُ) ضرب عقبه ٠ واختوى الفرس : طعنه في خوائه اي بين يديه ورجليه ٠ ورفقه (ـــُ) ضرب مرفقه ٠
وركبه ضرب ركبته وقيل اخذ بشعره فضرب جبهته بركبته ٠
وخربه (ـــِ) ضرب خربته وهي ثقب رأس الورك ٠ وذقنه ـــُ ضرب ذقنه ٠
وعمده : ضرب عمود بطنه ٠ وقفاه (ـــِ) قفياً : ضرب قفاه كالواوي ٠
وخفه : ضرب خفه وقيل كسره — وقطعه — واصابه ٠
وقذّه — ضرب مقذّه والمقذ ما بين الاذنين من خلف — ومنتهى منبت الشعر من مؤخر الراس قيل ومن مقدمه ايضاً — ومقص الشعر من خلف وامام ٠
وقذله (ـــُ) ضرب قذاله والقذال جماع مؤخر الرأس وقيل ما بين نقرة القفا الى الاذن وقيل القذالان ما اكتنف فأس القفا عن اليمين والشمال ٠
وسرّه (ـــُ) طعنه في سرته قال الشاعر :

نُسُرُّهم ان هم اقبلوا وان ادبروا فهم من نُسبُّ

اي ان اقبلوا نطعنهم في بطونهم وان ادبروا نطعنهم في ادبارهم ، والاول مأخوذ من السرّة والثاني من السبّة ٠
وصدغه (ـــَ) ضرب صدغه بحجر او عصا او غيرهما ٠
واربه (ـــِ) ضربه على إرب له والارب العضو ٠ وبطنه وبطّنه : ضرب بطنه ٠
وحلقمه : ذبحه وقطع حلقومه ٠ وجنبه (ـــُ) كسر جنبه ٠ وجبهته — صككت جبهته ٠ وجاف زيداً بالطعنة بلغ بها جوفه وكذا جافه بها — واياها ٠ وحقّ فلاناً : ضربه في حاقّ رأسه اي وسطه — او حُقّ كتفه ٠
وحاقه (ـــُ) ضربه فاصاب حاقه ٠ واستقفاه بالعصا : جاء من خلفه وضرب قفاه بها ٠

* * *

وقالوا ظلفه (ـــِ) ظلفاً اصاب ظلفه ومثله اكتلاه اكتلاءً اي اصاب كليته وهو كَلِيٌّ ٠ وشوى فلاناً واشواه : اصاب شواه لامقتله ٠ وشغفه (ـــَ) اصاب شغافه وهو

حجاب القلب . وشقأه (ـَـ) اصاب مشقأه اي مفرق الرأس وكذا صدَره (ـُـ) : صدره .

وصلاه (ـُـ) صلواً ، صلاه . صمخه (ـُـ) : صماخه وهو خرق الاذن الباطن الذي يفضي الى الرأس (تميمية) . وطحله (ـَـ) طحْلاً وطحَلاً — طحاله .

ضبعه (ـَـ) ضبعاً مد اليه يديه للضرب .

وظهره (ـَـ) اصاب ظهره ومثله عرض الشيء اي اصاب عُرضه .

ووظف البعير (ـِـ) وظفاً : وظيفه . ويداه يديه يدياً : يده فهو يادٍ . وذاك مَيْديٌّ . ونابه (ـِـ) نابه .

ووتن فلاناً (ـِـ) وتناً ووتيناً : وتينه وهو عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه وقال ابن سيده هو عرق لاصق بالقلب من باطنه اجمع يسقي العروق كلها الدم و يسقي اللحم وهو نهر الجسد ج وُتن واوتنة .

وصبعه (ـَـ) اصبعه . وطرّفه طرفه . ورجله (ـُـ) رجله . وكبده (ـِـ) كبده . وكرعه (ـَـ) كراعه . وكلاه (ـِـ) كلياً كليته وآلمها فهو مكليّ . ومعده معدته .

ومأنه (ـَـ) مأننه وهي السرة أوماحولها = والطفطفة وقيل شحمة لاصقة بالصفاق من باطنه ج مأنات ومؤون . ومثنه (ـُـ) مثناً ومثوناً مثانته .

وفأده (ـَـ) فؤاده . وفأسه (ـَـ) فاس رأسه وهو حرف القمحدوة المشرف على القفا .

ونخذه (ـَـ) نخذه . وقد فُخذ الرجل اي اصيب نخذه وفي الاساس كسرت نخذه .

وفرصه (ـِـ) فريصته وهي اللحمة بين الجنب والكتف التي لاتزال ترعد من الدابة = وقيل لحمة بين الثدي والكتف ترعد عند الفزع يقال ارتعدت فريصته اي فزع .

وعضده (ـُـ) عضده . وخاره (ـُـ) خوْراً : خورانه وهو مجرى الروث .

وترقاه يترقيه ترقاة : ترقوته .

ورأسه (ـَـ) رأسه ، ورآه (ـَـ) رأياً رئته فهوراءٍ . وقلبه (ـِـ) قلبه . وفهقه (ـَـ) فهقته وهي عظم عند مركب العنق وهو اول الفقار وقيل عظم عند الرأس مشرف على اللهاة ج فهاق . سحره (ـَـ) سحره فهو سحير ومسحور والسَحْر والسَحَر والسُحْر الرئة ج سحور واسحار . وشدَخه (ـَـ) مشدّخه وهو مقطع العنق .

وسمخه (ـَـ) سماخه فعقره تقول سمخني بحدة صوته وكثرة كلامه .

وساقه (ـُ) ساقه · وحركه (ـُ) حاركه وهو اعلى الكاهل · وحشاه (ـُ) خشاه وحقاه (ـُ) حقوه وهو الخصر فهو حقي · وجلده (ـِ) جلده · وجافه (ـُ) جوفه وقداحنقت به الطعنة اي اصابت حق وركه ·

وارغثه : طعنه في رُغَثائه وهي عرق في الثديين يدر اللبن ·

وأبَضَ البعير (ـِ) أبضاً اصاب عرق إباضِه ·

وظفر الرجل (ـِ) ظفراً : غرز في وجهه ظفره وكسر ظفره وقيل قلمه وكذا ظفَّره واظفره للمعنى الاول · وأمْتُهِجَ الرجل نزعت مهجته وقيل معدته ·

* * *

ومثل احال القوم اغابوا واغلسوا · والغلس ظلمة آخر الليل يقال رأيت منك غلس الظلام خيالاً · واسدفوا والسدفة ظلام الليل ·

وافحموا وفحمة الليل اوله وقيل اشد سواده وقيل ما بين غروب الشمس الى نوم الناس خاص بالصيف ج فحام وفحوم ·

واغسق الرجل · والغسق ظلمة اول الليل او دخول اوله حين يختلط الظلام ·

واشفق · والشفق الحمرة في الافق من الغروب الى العشاء الآخرة قال الاصمعي سمعت بعض العرب يقول « عليه ثوب كأنه الشفق » ·

واصبح · والصباح اول النهار وهو نقيض المساء تقول (آتيه صباح مساء) ببناء الجزئين على الفتح ·

وأعصر · والعصر العشي الى احمرار الشمس = والغداة = واليوم = والليلة ·

وأظهروا · والظهيرة حد انتصاف النهار وقيل انما ذلك في القيظ يقال اتيته حد الظهيرة وحين قام قائم الظهيرة ج ظهائر ·

وطفل وأطفل · والطَفَل الظلمة وطَفَل الغداة بعيد طلوع الشمس تقول آتيه في طفل الغداة وطفل العشي قبيل غروب الشمس كقوله « والشمس رأدَ الضحى كالشمس في الطفل » ·

واوغروا : دخلوا في وقت الوغرة والوَغْرَة شدة توقد الحر يقال نزلنا في وغرة القيظ على ماء كذا ·

ووَهَنَ (ـ) وهناً : دخل في الوهن من الليل والوَهْن نحو نصف الليل او بعد ساعة منه وقال الأصمعي هو حين يدبر الليل ومثله أَوْهَن .

وأمسى امساءً وممسىً . والمُمسيُ والمَسيُ اسمان من الإمساء .

وألأل القوم وأَلْيَلوا وفي اللسان أَلال القوم وأليلوا . والليل من مغرب الشمس الى طلوع الفجر الصادق او الى طلوع الشمس مذكر و يؤنث . واقصروا . والمقصَر العشي .

واغسى الليلَ : دخل في غساه يقال اغسيت يارجل . ذلك عند المغرب أو بعيده وأغس من الليل اي لا تسر اوله حتى يذهب غسوه كما يقال افحم عنك من الليل اي لا تسر حتى تذهب فحمته . واغسبنا امسينا ودخلنا في الليل . واغسمنا دخلنا في الغسم وهو اختلاط الظلمة .

وأراح . والرواحُ من الزوال الى الليل و يقابله الصباح ، يقال خرجوا برواح من العشيّ اي باول منه ، وافعل ذلك في سَراح ورواح اي صباحاً ومساءً لان السراح يكون صباحاً والرواح مساءً .

واجتهم : دخل في جُهمة من الليل وهي اول مآخير الليل وذلك مابين الليل الى قريب من وقت السحر وقيل بقية سواد من آخره ويقال مضى من الليل جهمة .

واشرق : دخل في شروق الشمس .

واهجروا . والهاجرة نصف النهار في القيظ خاصة عند زوال الشمس مع الظهر او من عند زوالها الى العصر لان الناس يستكنُّون في بيوتهم كأنهم قد تهاجروا يقال خرج وقت الهاجرة — وشدة الحر . ج هاجرات وهواجر .

وقال بعضهم اذا غابت الشمس فانت مغيب ومُغرِب ومُوجِب ومُشفِق ومُسدِف .

وقالوا اسحروا واستحروا اذا صاروا في السحر او خرجوا فيه .

وترأد الضحى وتراءدها : كان فيها .

وجاء فلان مقصراً اي حين قصر العشاء اي كاد يدنو من الليل .

وانهر : صار في النهار . وغلسنا الماء : اتيناه في الغلس .

* * *

ويقال اشهر من الشهر واسنى · من السنة · وايوم من اليوم · واعوم من العـام · واسوع من الساعة ــ اذا اتى عليه شهر وسنة وعام و يوم وساعة ·

وأسنت الرجل في السنة : دخل فيها مقلوب أسنت · وسَنَّهَ عنده اقام عنده سنة ·

واعوم إعواماً : مضى له عام اوصار في اوله · ولقيته ذات العويم اي بين الاعوام واستعماله للزمان المتقادم · وعام معيم : طويل ·

وحال عليه الحول (ـُ) حولاً وحوولاً : اتى عليه ومر · وحالت الدار وحيل بها : اتى عليها احوال · واحتال الشيء اتى عليه حول ، وحال الحول مضى وتم ، واحال عليه الحول مثل حال ·

و بره (ـَ) برهاً : اتى عليه برهة من الدهر · واحان الشيء · وفلان أتى عليه حين وكذا أحين ، واستحين توقع الحين المناسب ، ويقال لات الحين كذا اي لات الحين حينه ·

واشهر القوم أتى عليهم شهر · وفي المكان اقاموا فيه شهراً · وعن ثعلب اشهرنا دخلنا في الشهر ·

وقالوا : ساوعه : استأجره اوعامله بالساعة ، و ياومه : عامله بالايام ، وحاينه : عاملة واستأجره بالحين اي في وقت معين · وزامنه عامله بالزمن · و يشبهه عاومه وسانهه وساناه ورابعه (للربيع) وقابظه وجامعه (بالجمعة) وشاتاه وصايفه وشاهره ولايله الخ ·

النبك : سالم خليل رزق

آراء وافكار

كيف تلفظ الضاد والظاء

جاءنا من الأديب (رشيد سلمان سلبي) الطالب في الجامعة الاميركية ببيروت كتاب قال فيه بعد المقدمة :

اعرض على مسامعكم سؤالين بسيطين قد شغلا فكري ولم أتوفق لحلها واظن انهما من الأهمية بمكان . (اولاً) كيف نلفظ الضاد المعجمة ؟ فان البعض يقول ان هذا الحرف يلفظ كما تلفظ الدال المهملة مع التفخيم ، بينما البعض الآخر يقول كلا بل يجب ان تلفظ كما تلفظ الظاء المعجمة مع التفخيم (اي كما يلفظها العراقيون) .

ثانياً يقول بعض النـاس انه يجوز ان تلفظ الظاء المعجمة كما تلفظ الزاي المعجمة مع التفخيم (اي كما يلفظها الاتراك) ؟ فرجائي من حضرتكم ان تجيبوني على سؤالي .

وقد أجاب على هذين السؤالين الاستاذ صاحب التوقيع فقال :

اولاً من المعلوم ان العربية لغة الضاد ، والعربي ناطق بالضـاد ، وهذا يثبت ان هذا الحرف غير موجود في لغة اخرى ، فلو كان تلفظه كالدال المفخمة لاشترك في النطق به الترك ، اذ يقولون لهذا الطعام المعروف بالمحشي : دولمه — ضولمة ، ويقولون للخال اخي الام : دايي — ضايي ، ومنها : قباضاي ، يلفظون الدال في ذلك وامثاله دالاً مفخمة ، لافرق بينها وبين الضاد التي تلفظها العامة عندنا اليوم غلطاً في قولنا : ضَرَبَ وأبيض ، وكذلك الافرنسيون في نطقهم بالدال من : قوماندان ونحوها بما يكاد يكون مثل ضادنا العامية .

الحروف لها مخـارج وصفات ، هي مميزات احدها عن الآخر ، فالضاد كما كانت ينطق بها العرب مخرجها جانب اللسان مستطيلاً الى ما يلي الاضراس ، وتوصف بصفات الاستعلاء والاطباق والاستطالة والاصمات والدال مخرجها طرف اللسان واصول الثنايا العليا ، وتوصف بالاستفال والانفتـاح والقلقلة ، فبين الحرفين كل هذه الفروق ، ولذا لا يصح تلفظ الضاد دالاً مفخمة .

كذلك لا يصح تلفظ الضاد ظاء ، لان الظاء مخرجها طرف اللسان واطراف الثنـايا العليا بلا استطالة ، فهي مخالفة في المخرج وفي هذه الصفة للضاد ، ولو لم يكن بينهما فرق

في اللفظ لما اختلف معنى (القيض) اي قشرة البيضة ، عن (القيظ) اي الصيف ، ولا اختلط معنى (الأضراب) اي الامثال ، بمعنى (الاظراب) اي الاسنان الاربع خلف النواجذ ، اما تلفظ العراقيين بالضاد فهو اقرب الى الصحة ، والاصح منه تلفظ عرب البادية فهم يأتون بالضاد على وجهها .

(ثانياً) قد مر مخرج الظاء و صفتها ، واما الزاي فتخالفها بان مخرجها طرف اللسان وبين الثنايا السفلى والعليا ، وفي صفات الاستفال والانفتاح والصفير ، فلا يصح جعل الظاء زايا مفخمة ، لان التفخيم صفة عارضة ، ولو صح هذا لتقارب النطق بين نحو (الظرافة) بمعنى الكياسة ، و (الزرافة) بمعنى ذلك الحيوان المعروف .

هذا والاتراك لا يلفظون الزاي دائماً مفخمة مثل : (زور با) بمعنى متمرد ، بل تكون تارة عندهم رقيقة مثل : (زَوْزَك) بمعنى متجمل او مخنث .

على ما ذكر يحسن بالعربي الذي يريد النطق بالحروف على ما نطقت به العرب الخلص ان يصغي الى التلفظ بهذه الحروف من افواه القراء المجودين ويتعود التلفظ بها مثلهم ، فقد قيل في التجويد :

وليس بين فعله وتركه سوى رياضة امرئ بفكه

من اعضاء المجمع
مسعود الكواكبي

ابن الجوزي

قرأت ما كتبه السيد يعقوب نعيم سركيس في مجلة مجمعنا العلمي (م ٨ ص ٦٢٩) عن ابن الجوزي وابنه وحفيده وكنت طالعت قبلاً ما كتب بهذا الصدد في مجلة لغة العرب الغراء لسنتيها الرابعة والخامسة .

وقد تساءل الكاتب عن كتاب طبقات الحنابلة لابن رجب الذي يظن انه قد ترجم لابن الجوزي مؤلف كتاب مناقب بغداد هل هو كتاب طبقات الحنابلة الموسوم بـ (المنهج الأحمد في تراجم الامام احمد) (هكذا في الاصل) . ام هو غيره فأقول :

ان ابن رجب كما ذكره الكاتب قد توفي سنة ٧٩٥ هـ ١٣٩٣م . اما العليمي الحنبلي صاحب المنهج الأحمد في تراجم اصحاب الامام احمد فقد توفي سنة ٩٢٧ هـ ١٥٢١م ولذلك قد يكون ابن رجب قد ترجم لابن الجوزي كما ترجم له العليمي الحنبلي .

على ان الاستاذ محمد جميل الشطي الحنبلي قد اختصر من المنهج الاحمد ترجمة ابن الجوزي الجد جمال الدين وابن الجوزي الاب محيي الدين في كتابه مختصر طبقات الحنابلة صفحة ٣٦ و ٥ وذكر ابن الجوزي الحفيد في ترجمة ابيه فقال :

« وقُتل سنة ست وخمسين وستمائة هو واولاده الثلاثة الشيخ جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن وشرف الدين عبد الله وتاج الدين عبد الكريم وكلهم أفاضل وكلهم تولّي حسبة بغداد قتلوا لما دخل هولاكو ملك التتار الى بغداد وقتل الخليفة المستعصم واعيان الدولة واكابر العلماء رحمهم الله تعالى آمين » .

وقفّى الاستاذ الشطي على ذلك بقوله : « ومن آثاره بدمشق المدرسة الجوزية في سوق البزورية وجامع الجوزي في سوق العمارة » والمفهوم ان هذين المعهدين هما من آثار محيي الدين يوسف بن جمال الدين عبد الرحمن الجوزي .

اما كتاب رقم الحلل في نظم الدول الذي نقل عنه السيد عبدالعزيز الميمني الراجكوتي في ملاحظاته وأشار السيد سركيس الى انه ليست عنده نسخته فهو أرجوزة تاريخية وشرحها لناظمها لسان الدين الخطيب وقد طبع الكتاب في حاضرة تونس سنة ١٣١٦ هـ ١٨٩٨م في ١٢٢ صفحة .

وفيما ذكرناه ما يؤيد رأي السيد سركيس من نسبة كتاب مناقب بغداد الى ابن الجوزي الحفيد المسمي والملقب والمكنى كجدّه وان هذا الحفيد من الذين تولوا حسبة بغداد فاذا كان الّف كتاباً في مناقبها فهو اهل لهذا التأليف واقدر الناس عليه والله اعلم .

عبد الله مخلص

كلمة في كتاب مناقب بغداد

قرأت المقال الممتع الذي كتبه الاستاذ يعقوب نعوم سركيس (٨ ــ ٦٢٩)

واعترفت بالشك في عزو الكتاب غيران بتّه بعزوه الى حفيد ابن الجوزي الحافظ فيه كلام فان الاستاذ لم يتعرض للحوالة الاخرى التي هي اصدق من كل من نقل كلامه وهو عزو سبط ابن الجوزي هذا الكتاب الى جده فان شهادته مما لا يتطرق اليه ادنى ارتياب بقي امر ذكر سنة ٦٥٤ هـ في هذا الكتاب فلعل حفيده هذا اوغيره يكون زاد في الكتاب شيأً وليس ثمة احد يكون نسب الكتاب الى هذا الحفيد فعزوه اليه مجرد تخرّص .

عليكرة (الهند) : عبدالعزيز الميمني الراجكوتي

تبدى ايضاً

قد ذكر الاستاذ ميخائيل الصقال عدة ابيات شواهد لتبدى بمعنى ظهر (راجع ص ٦٣٤ من المجلد الثامن) ولكن كلها من اشعار المتأخرين . وهذا المعنى الذي اكثر ماوجدته في اشعار القدماء . ولم اذكر بيتاً واحداً بمعنى دخل البادية او نزل في البادية وان كان هذا المعنى صحيحاً . وليكون تنبيهي اكبر فائدة اذكر هاهنا ما وجدته في الاشعار الفصيحة .

قال قيس بن الخطيم وهو جاهلي :

(تبدت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب)

وقال ايضاً :

(تبدت لي لتقتلني فأبدت معاصم نخمة منها وجيدا)

وقال معن بن اوس وهو مخضرم :

(تبدّى فتدنو ثم تنأى بوصلها لتبلغ مني او لتقتلني قتلا)

وقال المرار بن منقذ العدوي وهو اسلامي :

(لحسبتَ الشمس في جلبابها قد تبدّت من غمام منسفرْ)

وقال مزاحم العقيلي يصف القَطَا وهو اسلامي :

(لما تبدّى لها طارت وقدْ علمت انْ قد اظلّ وان الحي غاشيها)

وقال الشماخ وهو مخضرم قديم :

(قامت تبدّى لي بأصليّات)

وغير هذه الشواهد ولكن رجائي انها تشفي الغليل ·

بكنهام : (ف · كرنكو)

مطبوعات حديثة

خطط الشام

« الجزء الخامس »

لقد سبق ان وصفنا هذا الكتاب الممتع حين تكلمنا على اجزائه السابقة جزءاً جزءاً وبين ايدينا الجزء الخامس في التاريخ المدني ، وموضوعاته : (الجيش) و (الاسطول) و (الجباية والخراج) و (الاوقاف) و (الحسبة والبلديات) و (التبرع والمرافيء والطرق) و (البريد والبرق) و (المصانع والقصور) ·

وهذه الأبحاث القيمة بعضها كان مبعثراً في تضاعيف كتب التاريخ والفن حتى جمعها البحاثة صاحب الخطط في أبواب جامعة حافلة مستقلة برأسها مما تسهل معه المراجعة والدراسة والبعض الآخر كان – الى ان أخرج الاستاذ كتابه مهملاً غير مدون في كتاب ·

ونحن نعرض بعض ما جاء في هذه الأبواب ليكون الناظر على شيء من معرفة قيمة الكتاب ·

فلقد ذكر في فصل « الجيش » شيأ عن جيوش الاشور بين والفراعنة والعبرانيين ثم اليونان والرومان فالجيش العربي ، وهنا نبسط في القول فنوّه ببعض قوانين هذا الجيش وتعبئته وتقسيماته والقاب رؤسائه وادوات التدميرفيه وسلاحه واسباب المواصلات واجناس افراده حتى انتهى الى الجيش العثماني فذكر طائفة الانكشارية والجيوش النظامية الحديثة ·

وفي فصل « الاسطول » ألمّ بحرية الفينيقيين والعبرانيين والفراعنة ثم الرومان واليونان فالعرب ذكر أمجادهم على ظهر البحر وفتوحاتهم في طوله وعرضه وما وصف به

اسطولهم شعراً ونثراً وندد بتقاعس اخواننا فينيقيي اليوم ... عن انشاء اسطول تجاري ولو صغيراً .

وفي فصل « الجباية والخراج » اتى بلمحة عن الضرائب قبل الاسلام ثم نشأتها الاولى في الاسلام وحالها في عهد الراشدين فالأمويين فالعباسيين الى العثمانيين وذكر عدل بعض الخلفاء في جبايتها وجور الآخرين وتفننهم في تنويعها وسلب الاهلين وسرقتهم باسم ضرائب ما أنزل الله بها من سلطان ولا خطرت على قلب بشر مما أثقل كاهل الامة فانتهت بنا الى حيث نحن .

وفي فصل « الاوقاف » ذكر تاريخ الوقف واسبابه وحدوده واوضاعه واقسامه ، ووصف ما يقع فيه من سوء استعمال وتلاعب وحيل وابان عن اضرار الاوقاف الاهلية وما جرته من ضغائن واحقاد بين ذوي القربى واصحاب الحقوق وما تحملته البلاد من جرائها من تأخر في العمران وتدن في الزراعة .

وما هذه الاوقاف الاهلية في نظرنا الا حيلة يحتالون بها على الناس وعلى الله وتعالى الله ان يُخدع علواً كبيراً .

وفي فصل « الحسبة والبلديات » فصّل ماقام به العرب في هذا الباب تفصيلاً جميلاً فذكر مساعيهم في الاعمال العمرانية واساليبهم في الحضارة وماوضعوا لذلك من الانظمة والقوانين .

وفصل « الترع والمرافئ والطرق » من أمتع فصول هذا الكتاب واكثرها فائدة ففيه تاريخ لكثير من الشركات التي قامت في هذا القطر من تعبيد طرق وانشاء سكك حديدية وحوافل كهربائية مع ذكر شروطها وما طرأ عليها من تبديل او تعديل وشأن المواصلات في حياتنا شأن كبير لذلك كان هذا البحث خطيراً جداً .

وفصل « البرق والبريد والهاتف » فيه على اختصاره فوائد جمة .

وخاتمة الفصول في « المصانع والقصور » وهو فصل مشبع بالذكريات مملوء بآثار السلف الصالح واعماله الخالدة .

وهذه الابحاث كلها قيم خليق بالعرب عامة و بابناء الشام خاصة ان يقفوا عليها في هذا الكتاب على وجه التفصيل .

عضو المجمع العلمي
عارف النكدي

كلمات في سبيل مصر

« وهي مجموعة ما نشر من سنة ١٩١٨ الى سنة ١٩٢٧ لصاحب السمو الامير »
« عمر طوسون · طبعت بالمطبعة السلفية الشهيرة بالقاهرة وعدد صفحاتهـا »
« ٢٧٨ صفحة كبيرة »

الامير عمر طوسون من الامراء الذين ذاع صيتهم واستفـاضت شهرتهم في صادق الوطنية والحرص على خير مصر · واتذكر انني كنت قرأت في الجرائد والمجلات المصرية جزءاً كبيراً من الرسائل والمقالات والمحاضرات التي جمعها اخيراً في هذا الكتاب المفيد وهي بلا ريب من انفع ما يخدم به مثل الأمير وطنه في ايامه العصيبة ·

وتنقسم موضوعات الكتاب قسمين الاول سياسي اجتماعي والثـاني علمي · ففي الاول ترى الامير يتتبع سير السياسة في مصر منذ سنة ١٩١٨ الى السنة الحاضرة تتبع الذين امضهم ضياع استقلالها فتارة يوجه مع بعض الامراء نداء الى المصريين ينبؤنهم به انهم مع الامة المصرية في السراء والضراء يشاركونها في المطالبة بحقوقها واستقلالهـا التام (نداء ٣ كانون الثاني ١٩٢٠) وطوراً يدعو اهل الاسكندرية الى السكون وعدم مقابلة الشر بمثله على اثر حوادث ١٩٢١ فيها · ثم يلتمس مع عدد كبير من الامراء من جلالة الملك ان يعيد النظام النيابي الى مصر وذلك سنة ١٩٢٥ (ص ٨٨) ويبعث الى « التيمس » مقالة يبرهن فيها بالارقام والوقائع على ان مصر كان بامكانها الاحتفاظ بالسودان وقمع الفتن فيه ، اواخر القرن الماضي بدون الاستمداد من الانكليز ولهذا يجب ان لا يعد هؤلاء شركاء بفتحه · ويورد بضع صفحات من كتابه « المالية المصرية » فيبين فيها ان الارض المزروعة في مصر مقدارها (٥٦٠٠٠٠٠) فدان وهي تكفي لمعيشة (١٦٨٠٠٠٠٠) شخص وعدد سكان مصر في آخر سنة ٩٢٣ (١٣٨٠٠٠٠٠) ويزيد عددهم في كل سنة (٢٥٠٠٠٠) نسمة ولهذا لا يستبعد ان تضيق الارض الزراعية بسكانها في سنة ١٩٣٥ · ومهما بلغت مساحة الارض الغامرة التي يمكن عمارتها فالامير يعتقد ان جميع الارض الزراعية في مصر لن تحمل عدداً اكبر من عدد المصريين بعد ربع قرن · وليس امام المصريين عند ذاك قطر غير السودان يسعون في طلب الرزق من

ارضه الواسعة فالسودان إذن لازم لمصر « لزوم الروح للجسد » .

وفي القسم العلمي من الكتاب ابحاث مهمة اكثرها في اعمال محمد علي باشا العظيمة كالمعامل التي اوجدها والمدارس التي أسسها والمستشفيات والثكنات التي شادها والجيش الذي نظمه والتلاميذ الذين ارسلهم الى اوربة في طلب العلم وغير ذلك من آثار هذا الرجل الكبير عماد النهضة الاخيرة . وفي آخر الكتاب محاضرة ممتعة عنوانها « مالية مصر من عهد الفراعنة الى الآن » اورد فيها ما حواه عدد كبير من كتب التاريخ العربية والفرنجية في ارتفاع مصر وخراج ارضها والإتاوة التي كانت يرسل بها الى مقر الخلافة او الملك . ومهما يكن في الارقام مما لا يعول عليه فان هذه المحاضرة تكاد تكون صورة لما تقلبت فيه البلاد من رخاء او ضنك في عصور التاريخ المختلفة .

و يعثر القارئ في تضاعيف الكتاب على بعض الفاظ تركية كانت متفشية في القرن التاسع عشر وهي اذا ما استعملت في الكتب العربية اليوم تكون مستهجنة لا تستساغ مثل « باشماون الدائرة » و « السراي » و « الوابور » و « الطبجية » و « البيادة » و « السواري » واشباهها . و يفيد في هذا المقام ان استطرد فاذكر ملحوظة طالما رددها الخاطر وهي انه من الغريب جداً ان تظل مصر الى اليوم تعلم جيشها الحركات العسكرية باللسان التركي مع انه كان وضع بعض اعضاء مجمعنا باللغة العربية جميع مايلزم من الالفاظ والجمل في تعليم الحركات العسكرية لكل اقسام الجيش مع اسماء اجزاء البندقية والمدفع وغيرهما من الادوات الحربية . وهذه الالفاظ والجمل تستعمل اليوم في الدرك السوري وجيش العراق وشرقي الاردن والحجاز ونجد وهي اجمل واطلى واسهل تناولاً من الالفاظ التركية .

والخلاصة بعد هذا الاستطراد ان الكتاب ثمين جداً من حيث ابحاثه الوطنية والعمرانية وهو يدل على صادق وطنية المؤلف في الاولى وعلى تتبعه الزائد في الثانية .

عضو المجمع العلمي

مصطفى الشهابي

من تاريخ الحركات الفكرية
« في الاسلام »

تأليف السيد بندلي جوزي ، طبع سنة ١٩٢٨ في مطبعة بيت المقدس في القدس ص ١٨٢ الجزء الاول

مؤلف هذا الكتاب أستاذ في جامعة باكو في روسيا وهو عربي الاصل ذكر في مبحثه هذا اثر الاقتصاديات في قيام الامم وان الاسلام بزعمه كان اول ما يرمي اليه من مبادئه نشر روح التضامن بين افراده والنظر الى الطبقات البائسة من العرب على صورة اشتراكية وعلى ذلك قامت دعوته ، وان هذا المعنى هو الذي كان الحاكم في كل عصر على المجتمع الاسلامي في الصدر الاول وبعده ، وان معظم من قاموا بأمر الدول كانت غايتهم اشتراكية ، هكذا كان حال بابك الخرمي وكذلك الحال في الباطنية والاسماعيلية والقرامطة والبهائية وغيرهم . كل هذا ليخدم على ما يظهر من طرف خفي النظام الشيوعي في البلاد التي تأثر بمدنيتها ولكن في قالب علمي البسه لباس التاريخ وتقوّل اموراً على الاسلام لم تخطر في بال المسلمين حتى الآن . وهو وان اجاد من حيث ايراد الامثلة التي دلت على اطلاعه على المظان العربية والافرنجية لكنه كان ضعيفاً في استقرائه واستنتاجه متوسطاً في بيانه . ومهما كان لون ما خالف به هدي الدين المحمدي وفيه له بعض المعذرة فان في مبحثه مجالاً للنظر . فعسى ان يوفق الباحثون الى إمتاع التحقيق في مثل هذه الأبحاث الطريفة .

محمد كرد علي

الجزء الاول

« من كتاب فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات »

تأليف المحدث الشهير السيد الشيخ عبد الحي بن السيد الشيخ عبد الكريم الادريسي الكتاني الفاسي ، وهو مؤلف لذكر من يروي عنهم المؤلف سماعاً واجازةً وشيوخ كل ، ذيلاً على طبقات الحفاظ والمحدثين للحافظ ابن حجر والحافظ السيوطي ، فيه تراجم المؤلفين في السنة من أواسط القرن التاسع الى زماننا هذا بلغ في هذا الجزء الى ترجمة المولوي

الدمشقي وقال سيبدأ الجزء الثاني بترجمة المناوي ، وهو في اكثر من اربعمائة صفحة كبيرة ، له خطر عظيم عند اولي هذا الشأن ، مطبوع هذه السنة في المطبعة الجديدة الفاسية ، وقد جاء فيه ذكر لشيخ ولد سنة ٧٣١ وتوفي سنة ١٢٣٥ وآخر ولد سنة ٧٥٦ وتوفي سنة ١٢٧٦ فيكون كل منهما عاش اكثر من خمسمائة سنة ، وهذا ما لم يقم على وقوعه دليل من عهد نوح عليه السلام .

من اعضاء المجمع
مسعود الكواكبي

كتاب

« التراتيب الإدارية ، والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية ، التي »
« كانت على عهد تأسيس المدنية الاسلامية ، في المدينة المنورة العلمية »

أهدي الى المجمع الجزء الاول من هذا الكتاب المطبوع في المطبعة الاهلية بالرباط سنة (١٣٤٦) ، اهداه مؤلفه السيد الشيخ عبد الحي الحسني الادريسي الكتاني الفاسي ، وهو مستوف للمقاصد التي جاءت في اسمه بدقة واهتمام اقتضاهما الاطلاع الواسع الذي للمؤلف بمناسبة كونه من علماء الحديث ، وقد ذكر مآخذه مفصلة في مقدمة أنافت على سبعين صفحة ، غير صفحات الكتاب البالغة اربعمائة وثمانين من القطع الوسط ، واهم هذه المآخذ الكتاب المعدود من النوادر الذي ظفر به ، وهو كتاب « تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله (ص) من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية » تأليف ابي الحسن علي بن محمد الخزاعي التلمساني من علماء القرن الثامن ، فجاء كتاب التراتيب تكملة جليلة لكتاب الخزاعي جمعت كل ما ورد في شؤون الادارة الاسلامية زمن نشأتها الاولى مما يتعلق بالامور التعبدية والادارية والكتابية والحربية والمالية والعمالات والحرف والصناعات ثم كيفية تدوين هذه الاحكام ، فهو دستور للقوانين الاسلامية وتاريخ لمدنيتها الاولى ، احسن ترتيبه وفصل تبويبه ، فعسى ان يكون الجزء الثاني مجهزاً للطبع ليتم به النفع ان شاء الله .

مسعود الكواكبي

كتاب
« إنارة الأغوار والأنجاد »

تأليف العلامة الشيخ محمد عبد الحي الكتاني الحسني الادريسي ، مطبوع في تونس بمطبعة النهضة في زهاء ستين صفحة ، وهو جواب سؤال عن صحة ماظهر في القرن الثاني عشر للهجرة من زعم ان النبي صلى الله عليه وسلم انما وُلد من الجنب او السرة ، جمع ما كان سبق من البحث في هذا الموضوع وحقق فساد هذا الزعم وان النبي لم يكن له ميزة في امر الولادة ، وان مثل هذا لا يجوز التقول فيه بما لم يرو عن ارباب هذا الشأن فجزاه الله خيراً .

مسعود الكواكبي

كتاب
« تاريخ المؤامرات السياسية وتطوراتها الاجتماعية والقانونية »
« من أقدم العصور الى احدثها »

مؤلفه الأستاذ المحامي محمد عبد الله عنان وناشره ادارة مجلة الهلال بمصر ، وهو قالب آخر لكتاب كان وضعه الاستاذ المؤلف باسم « تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة » ، افتتح الكتاب بمقدمة اتى فيها على تاريخ المؤامرة وشيءٍ من فلسفتها ، ثم فصل حال المؤامرة في نظر الشرائع وفي قانون العقوبات المصري والشريعة الاسلامية ، وذكر المؤامرات السالفة في العصر القديم بفارس واليونان ورومة ، ثم ما كان منها في العصور الوسطى في الدول الاسلامية والبيزنطية ، ثم ما هو في العصر الحديث في ايطاليا وفرنسا وانجلترة وروسيا وبعض مؤامرات اخرى .

وقع هذا الكتاب فيزهاء مائتين وثمانين صفحة من القطع الوسط فيه معلومات مفيدة مغنية عن مطولات تاريخ هذه الانقلابات العديدة ، وهو مزدان برسوم كثيرين من أبطال هذه الوقائع ، فعسى ان يتبعه مؤلفه بتتمة لما بعد ذلك الى يومنا هذا في سائر الدول والحكومات .

مسعود الكواكبي

ديوان
« بدر الدين الحامد »

حماة بلدة شعرية بطبعها فهي سخية في انتاج الشعراء ، لم يكد يمضي عصر الهلالي الذي صار بعد في شعره بدراً وبقي هو هلالاً ، حتى طلع في أفق حماة شاعر اسمه بدر وهو ما زال في التربيع الاول ، هذا الشاعر الفطري هو بدر الدين الحامد ، تصفحت نسخة الجزء الاول من ديوانه المهداة الى المجمع مطبوعة بمطبعة الاصلاح في منبت الشاعر ، فاذا فيها من أنواع الاغراض الشعرية نحو من الف ومائتي بيت تثبت جودة الخيال وجزالة السبك ، و يبدو عليها التدرج في الرقي بالنظر الى تواريخ نظمها المبينة بالسنة الغربية (بالغين المعجمة) ، وبعض القصائد مضى عليه نحو ست سنين ، مع ان الشاعر اليوم في الثامنة والعشرين من عمره ·

اخراج الشاعر للناس شعره تباعاً عمل حسن ، اذ يدعوه الى ان لا يهجر الأدب بعدما عُرِف به ، وان يجتهد في اجادة اللاحق اكثر من السابق ، هذا فيما يتعلق بالشاعر نفسه ، وفي عرض شعر الصبا ترغيب للنشء في الانتساب الى الادب اذ يحرك فيهم غيرة المباراة ·

هذا ونؤمل من الشاعر الشاب ان يكون فيما يستقبل من شعره اكثر اعتناءً بقواعد العروض والقوافي لتكون قصائده تامة الإحكام ، كاملة الانسجام ·

مسعود الكواكبي

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : آذار سنة ١٩٢٩ م الموافق رمضان وشوال سنة ١٣٤٧ هـ

اقدم كتاب في العالم على رأي (١)

أو جاويذان خرد

كانت معرفتي بهذا الكتاب باديء بدء وأنا في غيسات شبيبتي برامپول ادرس الفارسية في كتاب المعجم في آثار ملوك العجم (طبعة ايران سنة ١٣٠١ هـ) الذي الفه الاديب فضل الله لنصرة الدين احمد بن اتابك يوسف شاه قال ما معناه ان جاويذان خرد لهوشنك ترجمه الحسن بن سهل وزير المأمون وقد سرده ابوعلي مسكويه في مقدمة كتابه (٢) « مظهر آداب العرب والفرس » .

ثم رأيت ترجمته الفارسية مطبوعة وانا في بِشاوَر طبعها الموبذ البارسي (المسافر المظلوم مانكجي ليمجي هوشنك هاتريا الملقب بالدرويش الفاني) كذا كان يسمي نفسه كان رحل الى ايران لجلب الكتب القديمة نحو سنة ١٢٦٨ هـ فحصل على نسخة منها وطبعها بقطع صغير سنة ١٢٩٤ هـ ببومباي في ٤٣٦ ص . وهذه الترجمة عملها محمد حسين بن الحاج شمس الدين سنة ١٠٦٥ بامر بعض امراء صُوبة (عمالة) مالوه (بالهند) وقد

---

(١) هذا المقال قرأه العلامة السيد عبد العزيز الميمني الراجكوتي الاستاذ في جامعة عليكرة من بلاد الهند واحد اعضاء المجمع العلمي العربي — في مؤتمر المستشرقين الخامس (للهند) في جلسته المنعقدة في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٨ م في لاهور . (٢) ليس هذا الاسم لكتاب مسكويه الموجود بخزانة رامپور .

قدم وأخر وزاد وتصرف في الكتاب تصرفاً كثيراً جرياً على سُنَّة مسكويه وتبعه طابعها الموبذ فألحق بآخرها مواعظ ونصائح .

والكتاب لم ار ذكره في التواريخ القديمة العربية والفارسية اصلا[1] بلي ذكره الخفاجي[2] وبهرام بن فرهاد البارسي صاحب شارستان چهارچمن المطبوع ببومباي سنة ١٢٧٠هـ وقد سرد الكتاب مترجماً الى الفارسية ص ٣٢ — ٤٥ وهو متأخر كصاحب نامهٔ خسروان المطبوع باوربا ص ٢٧ وكان في آخر القرن الـ (١٣) الهجري والحاج خليفة .

ثم وقفت على ان كتاب مسكويه بوجد بخزانة رامبور ونهضت بُعيد عيد الفطر سنة ١٣٤٦هـ (٢٨ مارس سنة ١٩٢٨ م) اليها لاعرض طبعة الاستاذ رودُلف غاير من ديوان الاعشى الذي صرف في اتقانه شبيبته اي نحو ربع القرن على نسخة غير منقوطة منه توجد هناك وبعد الفراغ من ذلك نسخت من كتاب مسكويه اصل جاويذان خرد وحذفت ملحقاته وهي طويلة . والنسخة جميلة عتيقة صحيحة يظهر انها كتبت في نحو القرن السابع مخرومة الآخر تحتوي على وصايا لقمان لابنه اي قد بقيت آداب الروم برمتها .

وبينما انا انقب عن مخطوطاتها اذ وقع بصري على رسالة في ٢٢ صفحة هذه ترجمتها : « كتاب تصفية الاذهان ونفاذ الفكر وشحذ القلوب تأليف كنجور بن إسفنديار تولى الله مكافأته » وثبت تحت العنوان خطان سنة ١١٠٤هـ و١١٥٥هـ والظاهر انها كتبت في القرن الـ(١١) وهي مصحفة للغاية ورديئة بالمرة وثبت لي بعد امعان النظر انها هي (جاويذان خرد) قبل ان تتصرف فيه يد مسكويه ولا يبعد ان يكون الاصل الذي وقف عليه الجاحظ ويتحقق لك ذلك من ان مسكويه ترك اسجاع ذوبان كما قد اعترف بذلك وهي موجودة في التصفية التي اعلمت لها في الحواشي علامة (ت) بل انه تصرّف في نقل خبر الكتاب تصرفاً مجحفاً بالمعنى تجزم بذلك من قراءة حاشيتنا على قول المأمون « أفرّ من اللؤم ثم ارجع اليه ؟ » ولولا ما بالنسخة من السقم لجعلتها الاصل . وثبت خبر

---

(١) في حفظي اني قرأت اسمه في بعض تآليف الجاحظ او غيره ولكن فاتني تقييده .

(٢) طراز المجالس ص ١٠٨ .

اخراج الكتاب باوله كما هي العادة لا كما ألحقه الاستاذ بالآخر ولا ذكر فيه للجاحظ ولا لكتابه ألبتة ولا عزي الى هوشنك الملك — وقد جاء فيه ذكر اوراق ذو بان فأثبته في محله هكذا (و١) اي الورقة الاولى وهلجرا غير انه لا يوجد فيه الاوراق الاربعة ٢٥و٢٧ — ٢٩ و يظهر من سياق العبارة عند مسكويه أن ليست عنده ايضاً هذه الاوراق فلعل هذا الخرم من الحسن بن سهل من جهة ان يكون أضاع هذه الاوراق او يكون لم يقدر على ترجمتها من سقم او خلل فيها . والله اعلم — واما الارقام الغير المصحوبة بالواو فهي النسخة مسكويه الموجودة بخزانة رامبور .

واما عزو الكتاب فالأكثرون على انه لهوشنك وترجمه من اللسان القديم الى اللسان الفارسي كنجور بن اسفنديار وزير ملك ايرانشهر ونقله الى العربية الحسن بن سهل اخو ذي الرياستين الفضل بن سهل وزير المأمون كذا في ترجمة مسكويه وفي اكثر المواضع في الخبر ايضاً غير سند الجاحظ فان الذي فيه « حدثني الواقدي قال قال لي الفضل بن سهل » وغير تصفية الاذهان فان الذي فيه في جملة المواضع الفضل بن سهل وأراه الصواب وهما أخوان توليا وزارة المأمون والفضل متقدم .

واما هوشنك فانك ترى اخباره عند الطبري والثعالبي في غرر اخبار ملوك الفرس وحمزة (برلين ص١٠ و١٢) ومروج الذهب (بهامش النفح ١ — ٢٧٨) والتواريخ الفارسية المتقدمة وشاهنامه وغيرها . وهم مختلفون فيه اختلافاً عظيماً قال الطبري (١— ٨٤ ليدن) ذكر نسابو الفرس انه مهلائيل بن قينان وهو اوشهنج الذي ملك الأقاليم السبعة وكان بين موت جيومرث (آدم الفرس) الى مولد اوشهنج وملكه ٢٢٣سنة (وعند حمزة ١٧٠ ونيف) . وقالوا ان قينان هو ابن أنوش بن شيث بن آدم اه اي انه حفيد حفيد آدم وفي المروج سياقة نسبه هكذا : هوشنج بن فروال بن سيامك بن ميشا بن كيومرث وفي كتاب (فارس نامه) لابن البلخي وكان مستوفي فارس في زمن السلطان محمد السلجوقي .... بن فروال .... بن ميشي الخ وقيل انه اخو كيومرث وقيل ولده كما في المروج وقيل انه ابو خنوخ (اخنوخ) وخنوخ ادريس . وقيل كان له اخ يسمى برد (صوابه يَرْدُ) وهذا كان اباخنوخ اي ابا ادريس و يرد هذا يدعى عندهم وبكرت كما قال ابن البلخي وفي نامهٔ خسروان انه هو ادريس النبي (ص) الى غيرها من الاقوال

التي تورث السآمة والتواريخ القديمة كما قال ابو معشر مدخولة فاسدة ·

وملك اربعين سنة قال ابن البلخي اصل اسمه هوشهنك اي العقل والادب وفي شارستان انه بمعنى الامر الاول ايضاً وأمه هرانك من بنات كيومرث وهو عندهم ادريس المسمى والد الحكماء · وقال صاحب شارستان بعد سرد جاويذان برمته انه لطهمورث الملك ولي عهد هوشنك وقد تقدم منه عزوه اياه الى هوشنك ·

هذا وقد عرفت ان الكتاب منسوب في تصفية الاذهان الى كنجور رأساً (لا ترجمةً) ولا ذكر هناك لهوشنك البتة · وهذا هو الكتاب :

كتاب جاويذان خرد

خلّفه اوشهنج الملك وصيةً على من خلَفه

« ونقله من اللسان القديم الى اللسان الفارسي كنجور بن إسفنديار وزير »
« ملك ايرانشهر ونقله الى العربية الحسن بن سهل اخو ذي الرياستين وتممه »
« الاستاذ ابو علي احمد بن محمد مسكويه رحمه الله تعالى ، بان ألحق به حِكم »
« الفرس والهند والعرب والروم »

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الاستاذ ابو علي احمد بن محمد مسكويه أطال الله بقاءه ، بعد حمد الله والثناء عليه بما هو اهله والصلوة على محمد النبي وآله الطيبين الأخيار ·

اني كنت قرأت في الحداثة كتاباً لابي عثمان الجاحظ يعرف بكتاب[1] (استطالة

---

(١) لم أقف له على عين ولا أثر في تآليفه التي سردها في مقدمة الحيوان ولا في الثبت الذي أورده ياقوت في الادباء بلى ذكره الخفاجي في طراز المجالس (ص١٠٨) كما ذكر جاويذان خرد وكتاب مسكويه وكان وقف على جميعها وأورد فصولاً من جاويذان — و (استطالة الفهم) في معنى جاويذان ·

الفهم) يذكر فيه كتاباً يعرف باسم (جاويذان خرد) ويحكي كلمات يسيرة فيه ثم يعظمه تعظيماً يخرج عن العادة في تعظيم مثله فحرصتُ على طلبه في البلدان التي جلتُ فيها حتى وجدته بفارس عند موبذان موبذ فلما نظرت فيه وجدت له أشكالاً ونظائر كثيرة من حكم الفرس والهند والعرب والروم وان كان هذا الكتاب أقدمها (٣) وأسبقها بالزمان فانه وصية اوشهنج لولده وللملوك من خلفه وهكذا الكتاب كان بُعيد الطوفان وليس يوجد لمن كان قبله سيرة ولا أدب يستفاد .

فرأيت ان أنسخ هذه الوصية على جهتها ثم ألحق بها جميع ما التقطته من وصايا وآداب الامم الاربع أعني الفرس والهند والعرب والروم ليرتاض بها الأحداث وتذكّر بها العلماء ماتقدم لهم من الحكم والعلوم والتمست بذلك تقويم نفسي ومن يتقوّم به بعدي وغرضي الأقصى فيه الأجر والمثوبة من الله عز وتعالى وهو وليّ الخيرات والمثيب على الحسنات ولا قوة الا به .

« قال اوشهنج »

من الله المبتدأ واليه المنتهى [١] وبه التوفيق (٤) وهو المحمود من عرف الابتداء شكر ومن عرف الانتهاء أخلص ومن عرف التوفيق خضع ومن عرف الافضال أناب بالاستسلام والموافقة

اما بعدُ فان أفضل ما أعطي العبد في الدنيا الحكمة ، وأفضل ما أعطي في الآخرة المغفرة [٢] ، وأفضل ما أعطي في نفسه الموعظة ، وأفضل ما سأل العبد العافية ، وافضل ما قال [٣] كلمة التوحيد .

(و٢) رأس اليقين المعرفة [٤] بالله وملاك العلم العمل وملاك العمل السُنّة واصابة السنة لزوم القصد [٥] .

الدين بشعبه كالحصن باركانه فمتى تداعى واحد منها تتابع بعده سائرها .

---

(١) ت وبالله التوفيق والله المحمود . (٢) ت الرحمة .

(٣) ت ما قال العبد لا إله الا الله . (٤) ت المعرفة وملاك المعرفة العمل .

(٥) ت القسط .

(و٣) اعمال البر على اربع شعب : العلم والعمل وسلامة الصدر والزهد . فالعلم بالسنن ، والعمل[1] باصابة السنة (٥) وسلامة الصدر بامانة الحسد والزهد بالصبر .

(و٤) جماع امر العباد في اربع خصال : العلم والحلم والعفاف والعدالة . فالعلم بالخير للاكتساب وبالشر للاجتناب والحلم في الدين للاصلاح وفي الدنيا للكرم والعفاف في الشهوة للرزانة وفي الحاجة للصيانة والعدالة[2] في الرضى والغضب للقسط .

العلم على اربعة اوجه : ان تعلم[3] اصل الحق الذي لا يقوم الا به وفروعه التي لا بد منها وقصده الذي لا يقع الا فيه وضده الذي لا يفسده الا هو .

العلم والعمل قرينان كمقارنة الروح للجسد لا ينفع احدهما الا بالآخر .

الحق يُعرف من وجهين ظاهر يعرف بنفسه وغامض يعرف بالاستنباط[4] من الدليل وكذلك الباطل .

(٦) اربعة أشياء نتقوّى بها على العمل الصحة والغنى والعزم والتوفيق .

(و٥) طرق النجاة ثلاث : سبيل الهدى وكمال التقوى وطيب الغذاء .

العلم روح والعمل بدن والعلم اصل والعمل فرع والعلم والد والعمل مولود وكان العمل لمكان[5] العلم ولم يكن العلم لمكان[5] العمل .

(٦) الغنى[6] في القناعة والسلامة في العزلة والحرية في رفض الشهوة والمحبة[7] في ترك الطمع والرغبة . واعلم ان التمتع في ايام طويلة يوجد بالصبر على ايام قليلة .

الغنى الاكبر في ثلاثة اشياء[8] : نفس عاملة تستعين بها على دينك وبدن صابر تستعين به في طاعة ربك وتتزود به لمعادك وليوم فقرك وقناعة بما رزق الله باليأس عما عند الناس .

أخرج (٧) الطمع عن قلبك تحلّ القيد عن رجالك وتُرح بدنك .

الظالم نادم وان مدحه قوم ، والمظلوم سالم وان ذمه قوم ، والمقنع غني وان جاع

(١) ت بالمعرفة والزهد وسلامة الصدر بامانة الحسد . (٢) والعدل في الرضى والسخط للقسط والاستقامة . (٣) ت تتعلم . (٤) ت يستنبط بالدليل . (٥) ت بمكان في الموضعين . (٦) ت الغنيمة . (٧) ت رفض الرغبة . (٨) ت عالم تستعين به .

وعري ، والحريص فقير وان ملك الدنيا .

الشجاعة[١] سعة الصدر بالإقدام على الامور المختلفة [٢] والصبر [٣] احتمال الأمور المؤلمة والمكاره الحادثة والسخاء[٤] سماحة النفس لمستحق البذل وبذل الرغائب الجليلة في مواضعها [٥] والحلم ترك الانتقام مع إمكان القدرة والحزم انتهاز الفرصة .

(و٧) الدنيا [٦] دار عمل والآخرة دار ثواب وزمام[٧] العافية بيد البلاء ورأس السلامة تحت جناح العطب وباب الأمن مستور بالخوف فلا تكونن في حال من هذه الثلاثة غير (٨) متوقع لأضدادها ولا تجعل نفسك غرضاً للسهام المهلكة فان الزمان عدو لابن آدم فاحترز [٨] من عدوّك بغاية الاستعداد واذا فكرت في نفسك وعدوّها استغنيت عن الوعظ .

اجل قريب في يد غيرك وسوق حثيث من الليل والنهار واذا انتهت المدة [٩] كان قد حيل بينك وبين العُدَّة فاحتلْ قبل المنع واكرم أجلك[١٠] لصحبة السابقين .

(و٨) اذا آنستْك السلامة فاستوحش من العطب واذا فرحت للعافية فاحزن للبلاء فاليه يكون الرجعة واذا بسطك[١١] الامل فاقبض نفسك بقرب الاجل فهو الموعد .

الحيلة خير من الشدة ، والتأني افضل من العجلة ، والجهل في الحرب خير من العقل والتفكر هناك في العاقبة مادة الجزع .

(و٩) (٩) ايها المقاتل احتل تغنم ولا تفكر في العاقبة فتنهزم [١٢] .

التأني فيما لا تخاف عليه الفوت افضل من العجلة الى ادراك الامل .

اضعف الحيلة انفع من اقوى الشدة ، واقل التأني أجدى من اكثر العجلة والدولة[١٣]

---

(١) ت حد السماحة سعة الصدر والإقدام . (٢) ت المتلفة وأراه الصواب .
(٣) ت وحدّ وسع الصدر احتمال المكاره المؤلمة . (٤) ت وحد السخاء . (٥) ت وحدّ .
(٦) ت أيها الملك ان الدنيا . (٧) ت واعلم ان زمام . (٨) واحتذر . (٩) ت المدة حيل .
(١٠) ت أحالك (؟) بحسن صحبة .. (١١) ت ابسطك الأمل فاقبض نفسك محبة الأجل (كذا) . (١٢) في ت زيادة اذا لم تصل بسيفك فصله (كذا) بالقاء خوفك .
(١٣) ت والعجلة .

رسول القضاء المبرم ، واذا استبدّ الملك برأيه عميت عليه المراشد .

(و ١٠) يحرم[1] على السامع تكذيب القائل الا في ثلاث هن : غير الحق صبر الجاهل على مضض المصيبة ، وعاقل ابغض من احسن اليه ، وحماة أحبّت كَنّة[2] .

ثلاث لا يستصلح فسادهن بشيءٍ من الحيل : العداوة بين الاقارب ، وتحاسد الاكفاء ، والركاكة في الملوك . وثلاث لا يستفسد صلاحهن (١٠) بنوع من المكر : العبادة في العلماء ، والقناعة في المستبصرين ، والسخاء في ذوي الاخطار . (و ١١) وثلاث لا يشبع منهن : العافية والحياة والمال .

اذا كان الداء من السماء بطل الدواء واذا قدّر الرب بطل حذر المربوب ونعم الدواء الاجل وبئس الداء الامل والمال[3] .

ثلاث هن سرور الدنيا وثلاث غمها فأما السرور فالرضى بالقسم والعمل بالطاعة في النعم ونفي الاهتمام لرزق غد واما الغم فحرص مسرف وسؤال ملحف وتمنى ما يلهف[4] .

الدنيا اربعة اشياء البناء والنساء والطلاء والغناء .

اربعة من جهد البلاء كثرة العيال وقلة المال والجار السوء[5] وزوجة خائنة .

(١١) شدائد الدنيا في اربعة الشيخوخة مع الوحدة والمرض في الغربة وكثرة الدين مع القلة وبُعد الشُّقّة مع الرُجلة .

المرأة الصالحة عماد الدين وعمارة البيت[6] وعون على الطاعة .

(و ١٢) ليس بكامل الامر من[7] غزا ولم يبن على امرأة تزوجها أو بنى بناءً ولم يكمله او زرع زرعًا ولم يحصده .

ثلاث ليس للعاقل ان ينساهن : فناء الدار[8] وتصرف احوالها والآفات التي لا امان منها .
ثلاث لا تدرك بثلاث الغنى بالمنى والشباب بالخضاب والصحة بالادوية .

(و ١٣) اربع خلال اذا اعطيتهن فليس يضرك ما فاتك من الدنيا عفاف[9] طعمة

(١) ت محرم . (٢) ت كَنّتها . (٣) لا يوجد في ت . (٤) ت وهموم تتلف .
(٥) ت وجار السوء . (٦) ت البيت على الطاعة . (٧) ت من تزوج امرأة ولم الخ .
(٨) ت الدنيا . (٩) ت كفاف .

وحسن خليقة وصدق حديث وحفظ امانة ·

ستة اشياء (١٢) تعدل الدنيا الطعام المريء والسيد الرؤوف والولد البر[١] والزوجة الموافقة والكلام المحكم وكمال العقل ·

(و١٤) صقلك السيف وليس له من سنخه جوهر خطأ وتركك الحب قبل اوانه[٢] في الارض السبخة جهل وحملك الصعب المسن على الرياضة عناء[٣] ·

الدليل[٤] الناصح غريزة الطبع ، القائد المشفق حسن المنطق ، العناء[٥] المعنّى تطبع من لا طبع له ، الداء العياء رعونة مولودة ، الجرح[٦] الدَّوِي المرأة السوء ، الحمل الثقيل الغضب ·

ثلاثة اشياء حسنها[٧] عند ثلاثة مواضع المواساة[٨] عند الجوع والصدق عند السخط والعفو عند القدرة[٩] ·

العاقل لا يرجو ما يعنّف برجائه ولا يسأل ما يخاف (١٣) منعه ولا يضمن ما لا يثق بالقدرة عليه ·

ثلاث ليس معهن غربة حسن الادب وكف الاذى واجتناب الرِّيَب ·

(و١٥) ثماني خصال من طباع الجهال : الغضب في غير معنى ، والإعطاء في غير حق ، وإتعاب البدن في الباطل ، وقلة معرفة الرجل صديقه من عدوه ، ووضعه السر في غير اهله ، وثقته بمن لا يجربه ، وحسن ظنه بمن لا عقل له ولا وفاء ، وكثرة الكلام بغير نفع ·

(و١٦) من ظلم من الملوك[١٠] فقد خرج من كرم الملك والحرية وصار الى دناءة الشره[١١] والنقيصة والتشبه بالعبيد والرعية ·

اذا ذهب الوفاء نزل البلاء ، واذا مات الاعتصام عاش الانتقام ·

اذا ظهرت الخيانات تمحّقت[١٢] البركات ·

(١) ت السوي · (٢) لا يوجد قبل اوانه في ت · (٣) ت عياء وهو الداء العُضال (٤) ت سئل الحكيم ما الدليل الناصح قال غريزة الطبع قيل فما القائد المشفق الخ على هذه الوتيرة · (٥) ت العياء المعي · (٦) ت الجزع · (٧) ت في · (٨) ت السماحة · (٩) الغضب · (١٠) من ظلم المملوك · (١١) ت الشر والمعصية وتشبه · (١٢) استخفت ·

الهزل آفة الجد ، والكذب عدو الصدق (١٤) ، والجور مفسد العدل . فاذا استعمل الملك الهزل ذهبت هيبته واذا استصحب الكذب استُخفّ به واذا أظهر الجور فسد سلطانه .

(و١٧) الحزم انتهاز الفرصة عند القدرة وترك الونى فيما يخاف عليه الفوت .

الرياسة لا تتم الا بحسن السياسة ومن طلبها صبر على مضضها .

باحتمال المؤن يجب السؤدد ، و بالإفضال تعظم الاخطار ، و بصالح الاخلاق تزكو الاعمال اذا كان الرأي عند من لا يقبل منه ، والسلاح عند من لا يستعمله ، والمال عند من لا ينفقه ، ضاعت الامور .

(و١٨) على الملك ان يعمل بثلاث خصال : تأخير العقوبة في سلطان الغضب ، وتعجيل مكافأة المحسن ، والأناة فيما يحدث . فان له في تأخير العقوبة امكان العفو وفي تعجيل المكافأة (١٥) بالاحسان المسارعة بالطاعة من الرعية والجند وفي الأناة انفساح الرأي واتضاح الصواب .

(و١٩) الحازم فيما أشكل عليه من الرأي بمنزلة من اضلّ لؤلؤة فجمع ما حول مسقطها من التراب فنخله حتى وجدها كذلك الحازم جامع جميع الرأي في الامر المشكل ثم يُخلّصه و يسقط[١] بعضه حتى يخلص منه الرأي الخالص .

لا ضعة[٢] مع حزم ، ولا شرف مع عجز ، والحزم مطية النجح ، والعجز يورث الحرمان .

اربع خصال[٣] : ضعة في الملوك والاشراف : التعظم ومجالسة الأحداث والصبيان والنساء ومشاورتهن[٤] وترك مايحتاج اليه من الامور فيما يعمله بيده و يحضره بنفسه .

(و٢٠) لا يكون الملك ملكاً حتى يأكل من غرسه و يلبس من طرازه و ينكح من بلاده و يركب (١٦) من نتاجه .

إحكام هذه الامور بالتدبير والتدبير بالمشورة والمشورة بالوزراء[٥] الناصحين المستحقين لرتبهم .

---

(١) ت الخطأ . (٢) ت لا ضيعة . (٣) ت ضيعة . (٤) ت ومشاورتهم وترك ما يحتاج من الامور ان يعملها بيده أو يحضرها بنفسه ان لا يعملها (كذا) . (٥) ت بالوزراء المستجمعين الرأي .

استحق[١] على من دونك بالفضل وعلى نظرائك بالانصاف وعلى من فوقك بالاجلال تأخذ بوثائق[٢] أزمة التدبير ٠

يجب على العاقل من حق الله عز وجل التعظيم والشكر ، ومن حق السلطان الطاعة والنصيحة ، ومن حقه على نفسه الاجتهاد في الخيرات واجتناب السيئات[٣] ، ومن حق الخلطاء الوفاء بالود والبذل للمعونة[٤] ، ومن حق العامة كف الاذى وبذل الندى وحسن المعاشرة ٠

(و ٢١) لا يكمل المرء الا باربع[٥] : قديم في شرف وحديث في نفس واخطار في مال[٦] وصدق عند بأس[٧] ٠

من لم يبطره الغنى ولم يستكن في الفاقة ولم يَهُدّه (١٧) المصائب ولم يأمن الدوائر ولم ينس العواقب فذاك الكامل ٠

الكمال في ثلاثة : الفقه في الدين ، والصبر على النوائب ، وحسن التقدير في المعيشة ٠

يستدل على تقوى المرء بثلاث : التوكل[٨] فيما لم ينل ، وحسن الرضى فيما قد نال ، وحسن الصبر عما فات[٩] ٠

(و ٢٢) ذروة الايمان اربع خلال : الصبر للحكم والرضى بالقدر والإخلاص بالتوكل[١٠] والاستسلام للرب ٠

(البقية للآتي)

(١) ت استطل ٠ (٢) ت بوثاق ٠ (٣) ت الذنوب ٠ (٤) ت بالمعونة ٠
(٥) الرجال الا باربعة ٠ (٦) ت عند نتال (؟) (٧) ت عند الناس ٠
(٨) ت حسن التوكل ٠ (٩) وحسن العزاء عما قد فات ٠ (١٠) ت للتوكل ٠

فصحاء الاعراب(١)

العرب اسم لقبائل من بني سام تسكن جزيرة العرب من جميع جهاتها · وتتكلم اللغة العربية على اختلاف لهجاتها · وكلتا العرب والأعراب تكادان تكونان في الاصل بمعنى واحد · بيد ان البلغاء خصوا كلمة (الأعراب) بالعرب الذين يسكنون البوادي · ولما كان يغلب على سكان البوادي جفاء الاخلاق وغلظ الاكباد وخشونة الطباع أصبح يفهم من كلمة (الاعراب) كل من اتصف بهذه الصفات · واذا قالوا فلان فيه أعرابية ارادوا ان فيه جفاءً وخشونة · وقد قال احد شعراء البادية :

(واني على ما كان من عُنجُهيَّتي ولوثة أعرابيتي — لأديب)

يقول ان محيط البادية وخشونة اهلها لم يؤثرا في نفسه · وانه مع هذا بقي رقيق الحاشية مهذب الأخلاق · ومهما قيل في الاعراب سكان البادية من الذم والتحقير وتصغير الشأن فان فيهم صفات جميلة · ومزايا جليلة · يكفينا عن ذكر جميعها ذكر ذرابة ألسنتهم · وصحة سلائقهم · وخلوص كلامهم من اللحن والعجمة حتى أصبحوا بعد الاسلام إماماً يقتدى بهم · وينسج على منوالهم ·

على انه ليس كل أعراب البوادي فصحاء فان منهم قبائل جاورت الأعاجم فاستعجمت لغتها وفسدت سليقتها وتشوهت لهجتها : فلم تعد موضعاً للثقة بها في الاحتجاج · ولا التعويل عليها في الاستشهاد ·

وكان علماء العربية في القرون الاسلامية الاولى ينتجعون البادية ويخالطون اهلها ليتلقفوا منهم كلمة او شعراً يدونونه ويتخذونه حجة في تفسير آية او حديث ·

وأشهر هؤلاء العلماء (ابو زيد الانصاري) و (عمرو بن العلاء) و (الأصمعي) و (الكسائي) : فقد ذكروا أن عمرو بن العلاء ملأت كتبه التي دوّن فيها ما سمعه من العرب بيتاً الى قريب السقف · وأن الكسائي رجع من البادية وقد أنفد خمس عشرة قنينة من الحبر ·

(١) احدى محاضرات الاستاذ « المغربي » كان القاها في ردهة المجمع العلمي في ٦ تموز سنة ١٩٢٣ م ·

والعلمُ الذي تكفّل ببيان نقل اللغة وطرائق حفظها وتدوينها . وسرد اسماء رواتها . وترتيب طبقات علمائها . وما وضعوا من التصانيف فيها — أصبح اليوم علماً مستقلاً وقد سمّوه (تاريخ آداب اللغة العربية) مجاراةً للافرنج في هذه التسمية .

ومن أحلى مباحث هذا الفن وأفكهِ البحث الذي خصّوه بـ (فصحاء الأعراب) . ويريدون بهم رجالاً من فصحاء عرب البادية سكنوا الامصارَ الاسلامية : كالبصرة والكوفة فخالطوا اهلها وأمدّوا علماءها باخبار قبائلهم وأشعار شعرائهم مما وفر على علماء اللغة عناء الرحلة الى البادية والضرب في الفيافي .

هؤلاء الفصحاء من أعراب البادية وما أُثر عنهم من نوادر الاخبار وغريب اللغة . هم الذين جعلناهم موضوع محاضرتنا هذه . وهم كثيرون : منهم من عُرِفَ اسمه ومنهم من لم يعرف : نذكر منهم على سبيل التمثيل : رؤبة بن العجاج ثم يأتي بعده ابو الدُقيش . ابو مهدية . ابو سوّار . ابو المنتجع . ابو البيداء . ابو ضمضم . ابن كركرة الخ . ومن النساء ام الهيثم . ام البهلول . ام الخُمارس . عشرمة المحاربية . وغيرهن .

وكان كل من هؤلاء الفصحاء واسع الرواية . غزير المادة . قوي الحفظ . حتى قالوا ان ابا مالك عمرو بن كركرة كان يحفظ اللغة كلها .

وقال الاصمعي : جاء فتيان الى (ابي ضمضم) بعد صلاة العشاء فقال لهم : ما جاء بكم يا خبثاء ؟ قالوا جئناك نتحدث قال : كذبتم بل قلتم كبر الشيخ وبلغت منه السن فعسى ان نأخذ عليه سقطةً او هفوة . اسمعوا : ثم أنشدهم لمئة شاعر كلهم اسم (عمرو) قال الاصمعي فعددت انا وخلفُ الاحمرُ الشعراء الذين اسمهم (عمرو) فلم نقدر ان نعدّ اكثر من ثلاثين شاعراً .

وقد اشتغل بعض فصحاء البادية بالعلم والتعليم بعد نزولهم الامصار وصنفوا كتباً في اللغة . وبعضهم كانت تفسد ملكته وتتشوّه عروبته بكثرة مخالطة السوقة والنبط والسواديين فيدع علماء اللغة الاخذ عنه . وكان بعضهم يشعر من نفسه بالحاجة الى اخذ العربية عن علماء الامصار فيأخذ عنهم : كأبي مسحل الاعرابي الذي قدم من البادية واخذ النحو عن الكسائي .

وحكى الجاحظ قال : كان غلام من فصحاء الاعراب يطيف بابي الاسود الدؤلي

يتعلم منه النحو فقـال له ابو الأسود يوماً : ما فعل ابوك يا غلام ؟ قال اخذته الحمى : ففضخته فضخاً . وطبخته طبخاً . وفتخته فتخاً (قهرته ، ذللته ، فتنه) . فتركته فرخاً . قال ابو الاسود : فما فعلت امرأته التي كانت تشارّه وتمارّه وتهارّه وتضارّه ؟ قال : طلقها وتزوجت غيره فرضيت وحظيت وخظيت وبظيت . قال ابوالاسود : علمنا رضيت وحظيت وخظيت (اي سمنت) فما معنى بظيت يا ابن اخي ! قال كلمة من العربية لم تبلغك بعد . فقال له : ياابن اخي : كل كلمة لا يعرفها عمك ابو الاسود استرها كما تستر الهرة قذرها . لكن المعاجم ذكرت انبظيت اذا ذكرت بعد خظيت كانت للاتباع وأفادت شدة اكتناز اللحم وتراكبه فما يقول ابو الاسود ؟

وقال بعضهم : لايشترط في صحة الكلمة العربية ان نسمعهـا من رجلين حرّين عدلين كما في الشهادة . وانما يكفي انسمعها من أعرابيّ فصيح : رجل او امرأة . حرّ اوعبد .

ونذكر على سبيل المثـال اخذ علماء اللغة عن آحاد من الأعراب والنساء والعبيد : مـن ذلك ما حكاه ابو زيد في نوادره قال : قلت لأعرابيـة بالعيون ابنة مئة سنة : مالكِ لا تأتين اهلَ الرُفقة (وكانت تمشي بعيداً عن الرفاق) قالت : اني أخزى ان أمشي في الرفاق » فقولها (اخزى) بمعنى استحي . كلمة استفادها ابوزيد من هذه الاعرابية . وان أعرابيةً أخرى قالت لابنتها « احفظي بيتك ممن لا تنشدين » ومعنى قولها لاتنشدين لا تعرفين . (وفي هاتين الحكايتين دليل على عنـاية العرب بصيانة المرأة العربيـة والابتعاد بها عن مواطن الريبة) .

وقال الاصمعي : جاءت جارية من العرب الى قوم منهم فقالت لهم : تقول لكم مولاتي « أعطوني نَفْساً او نَفْسين أمعس به مَنيئتي فاني أفِدة) فقولها اعطوني نفساً الخ (النَفْس) مقدار كف من الدباغ و (المنيئة) الجلد الذي يراد دبغـه و (أفدة) مستعجلة لا وقت معي لتحضير دباغ .

وقال ابو حاتم : قلت لأم الهيثم : ما الوغد قالت الضعيف . قلت انكِ قلتِ مرةً الوغد العبدُ . قالت ومن أوغد منه ؟ تعني ان العبد لا يخلو من ضعف فصار الوغد يطلق على كل ضعيف فلم يكن بين كلاميها الاول والثاني تناقض .

وسألها ابو حاتم ايضاً : عن نوع من الحَبّ وهو الذي نسميه (بزرقطونا) ما اسمه

بالعربية الفصحى؟ قالت : أرني منه حبّات . فأراها إياها. فأفكرت ساعة ثم قالت هذه (البُجْدُق[(١)]) . ولم يسمع (البُجْدق) من غيرها .

وقال ابو حاتم ايضًا : قلت لأم الهيثم : هل تبدّل العرب من الجيم ياءً في شيءٍ من كلامها ؟ قالت نعم : تسمي الشَجَرة شِيَرة . قال شاعرهم (يخاطب شجرات غير مثمرات ولا مورقات) :

(اذا لم يكن فيكن ظلٌّ ولا جَنى فأبعدكُنَّ الله من شِيَرات)

اصلها شجرات ابدلوا من الجيم ياءً صارت شَيَرات ثم كسروا الشين لئلا تبدل الياء الفًا لانفتاح ما قبلها . وحدثني الامير طاهر الجزائري ان عرب الجوف اليوم (دومة الجندل) يبدلون الجيم ياءً . واخبرني جماعة من اهل نجد ان اهل الكويت كذلك فيسمون جابر يابر ويقول احدهم للآخر ياي منين اي جائي منين .

ورفع رجل صوته بالسوق يسأل عن امرأة ضالّة فسمعه أعرابي فقال له : « لَوَنَّ عليها خماراً أسود) ؟ يريد بقوله (لَوَنَّ) (لعلّ) . فعلماء اللغة سمعوا (لَوَنَّ) بمعنى (لعل) من هذا الأعرابي الواحد فقبلوها ودوّنوها . وتوشك ان تكون (لَوَنَّ) بمعنى (لعل) لغة عامتنا اليوم مذ نقول (لَوَنَّك تزورنا في هذا المساء) و يحتمل ان تكون (لوَنك) هذه محرّفة عن (لو أنك) وتكون لو للتمني .

وقال ذو الرمة : ما رأيت أفصح من أَمة بني فلان : قلت لها : كيف مطركم ؟ قالت : (غِثْنا ما شئنا) اي انزل الله علينا من الغيث بقدر ما نشاء . فكلمة غثنا بمعنى أمطرنا منها سمعت .

وليس هذا فقط بل قد يحتجون بما يقول (صبيان الأعراب) ايضًا و يستشهدون بكلامهم : من ذلك ما رواه ابو عبيدة : ان صبيان الأعراب يلعبون بالزحلوقة و ينشدون :

(لمن زحلوقة زُلّ بها العينان تنهل) (ينادي الآخرَ الأُلّ الاحلّوا الاحلّوا)

فكلمة (أُلّ) بمعنى (أول) لم تسمع الا من أفواه صبيان الأعراب .

---

(١) (بجدق) كذا في القاموس لكن في لسان العرب (بخدق) وفي المزهر (بجدق) وفي أقرب الموارد (بجذف) ؟ ؟

وقال الأصمعي : سمعت إصبية (بحمى ضرية) وهو حمى كليب وائل المشهور يتراجزون فصدّوني بعلم الله عن حاجتي . ووقفت عليهم انظر اليهم . واكتب ما اسمع منهم . اذ أقبل عليّ شيخ من الأعراب فقال لي : أتكتب كلام هؤلاء الأقزام الأدناع (يعني الأوباش الأسافل) !!

بقي ان (مجانين الأعراب) هل يصح الاستشاد باقوالهم ؟ قال بعضهم نعم . أما احتجّ علماء العربية باشعار مجنون ليلى ؟ وانكر الآخرون جواز ذلك . وقالوا ان جنون المجنون غير داخل في هذه القاعدة . قال ابوحاتم : أخبرني (ابوالعلاء العثماني) انه سمع (اعرابيًا) يرقّص ابنته و يغني لها و يقول :

(محكوكة العينين معطاء القفا   كأنما قُدّت على متن الصفا)
(تمشي على متن شراكٍ أعجفا   كأنما تنشر فيه مصحفا)

فقلت لابي العلاء : ما معنى قول هذا الرجل المرقص ؟ قال لا أدري قلت أن لنا علماء بالعربية لا يخفى عليهم ذلك . قال فأتهم فأسألهم . قال ابو حاتم : فأتيت ابا عبيدة فسألته عن معنى البيتين قال : ما أطلعني الله على علم الغيب . فلقيت الاصمعي فسألته عنهما . قال احسب انناظم البيتين نفسه لا يعرف معناهما . فسألت (اباز يدالانصاري) قال : هذا المرقّص ابنته اسمه (المجنون ابن جُندب) . وكان مجنوناً . ولا يعرف كلام المجانين الا مجنونٌ مثلهم . ثم قال لي أسألتَ عن معنى البيتين احداً ؟ قلت نعم . سألت ابا عبيدة والاصمعي . لكن لم يعرفه احد منهما .

واشترط بعض علماء اللغة في كلام الواحد من الأعراب ان لا يخالفه الجمهور والاّ كانت اللغة الفصحى هي ما عليه الجمهور . و يكون قول الواحد او الاثنين شاذاً لا يقاس عليه . (مثال ذلك) ما قاله الكسائي في فعل (نما الشيء) اذا كثر وزاد . قال هو في كلام العرب (نما الشيء ينمي) بالياء ولم اسمعهم يقولون (نما ينمو) بالواو الا من اخوين من قبيلة بني سُلَيم . وبعد ان سمعت ما قاله الأخوان سألت جماعة من بني سليم هل كانوا يعرفون (نما ينمو) بالواو أجابوا انهم لا يعرفونه . وعلى هذا نكون نحن اليوم في قولنا نما ينمو متكلمين بكلام الاخوين السُلَيميين لا باللغة الفصحى .

فاذا شاعت اللغتان في كلام العرب على السواء كانتا فصيحتين وصح للمرء ان ينطق

بابتهما شاء . مثال ذلك ما روي ان اعرابياً سأل عمر بن الخطاب : ما ترى في رجل ظحّى بضبي ؟ فعجب عمرُ من قوله . وقال له (ما عليك لو قلت ضحى بظبي ؟) قال الاعرابي : (يا امير المؤمنين إنها أشكل لِغة) اي اغزل واغنج فكان عجب عمر من قوله « لِغَة » وهي بكسر اللام لغة في المضمومة — اشد . فتركه وشأنه ولم يحجْر عليه واسعاً .

وعلماء اللغة لا يضرهم تمسك كل قبيلة بلغتهـا وتعصبها لها وانما يهمهم ان يعرفوا لغة كل قبيلة ثم يجمعوا اللغات بعضها الى بعض ويؤلفوا منهـا جميعها لغةً واحدة هي (لغة العرب) ثم يبيحون لنا ان نتكلم بها كلها على السواء توسعةً ورحمة .

سأل اللحيـانيُّ أعرابياً : أتقول اسود مثل حنك الغراب او مثل حلك الغراب ؟ قال اقول مثل حنكه . وسأل ابو حاتم ام الهيثم : كيف تقولين : هـذا الشيءُ اشدُّ سواداً مما ذا ؟ قالت (من حَلَك الغراب) يعني باللام على عكس الأعرابي الذي سأله اللحياني . قالـــ : أفتقولينها (من حنك الغراب) بالنون قالت لا أقولها ابداً . ولكن علماء اللغة لا يبالون بام الهيثم بل يجوّزون لنا انـ نراعي لغتهـا ولغة غيرها ولو غضبت وصخبت .

وليس الشأن في الكلمتين اذا كانتا عربيتين اصليتين لقبيلتين مختلفتين بل الشأن في الكلمتين تكون احداهما عربية قحة والأخرى أعجمية دخيلة في اللغة العربيـة : فان علماء اللغة بل القرآن الكريم اباحوا لنا استعمال الدخيل بشروط ليس هنا محل بيانها .

وكان بعض الأعراب الخلّص يستظرف بعض الكلمات الأعجمية و يدخلها في شعره على جهـة التملح والتفكه و يدع مرادفاتها مـن اللغة الفصحى على عكس (ابي مهدية الأعرابي الفصيح الشهير) الذي كانـ يتقزّز من الكلمات الأعجمية . و يتشاءم بهـا أشد التشاؤم .

(ابو مهدية) عربي قحّ : وكان يسمع اهل الحضر في العراق ينطقون عند الاستفهام بكلمة كردية وهي (شون بوذ) يعنون (كيف هذا ؟) و (شون بوذ) في الفارسية الفصيحـة (چه بود) فكان ابو مهدية ينفر من هذه الكلمة و ينهاهم عن استعمالها واستعمال غيرها مـن الكلمات الأعجمية مثل (زودا) يعني عجّل و (بستان) يعني خذ وانعكس الامر في الآخر فجعل اصحاب ابي مهدية يلومونه على هجر هـذه الكلمات الأعجمية وعدم

استعمالها . و يقولون له تارةً يا ابا مهدية قل (شون بوذ) وطوراً يقولون له (شنبذ شنبذ) يا ابا مهدية الى ان أضجروه فقال :

(يقولون لي شنبذ ولست مشنبذاً طوَالَ الليـالي ما اقام ثبير)
(ولا قائلاً «زودا» ليعجل صاحبي و « بستان » في قولي عليَّ كبير)
(ولا تاركاً لحني لاتبـع لحنهم ولو دار َصرْف الدهر حيث يدور)

و (ابو مهدية) هذا هو صاحب القصـة المشهورة مع اليهود : ذلك انه لما شـاخ وأسنّ جعلوه عاملاً في (اليمامة) ولما وصل اليها رأى فيها قوماً من اليهود تمكنوا منها بالثروة والغنى والنفوذ . فلما بلغ ابا مهدية خبرهم ونفوذ كلمتهم استدعاهم اليه فقال لهم : ما قولكم في السيد المسيح ؟ قالوا قتلناه وصلبناه . قال : هل غرمتم ديته ؟ قالوا : لا . قال إذن والله لا تبرحون مكانكم حتى تغرَموا ديتـه . وهكذا نال مأربه منهم وأنزلهم على حكمه . لا جرم ان ابا مهدية هو الذي — لو كان حياً اليوم — لعرف كيف يتلافى المشكلة الصهيونية بالوسائل المنطقية التي لا تقبل النقض .

بفضل علماء اللغة وما كابدوه من اللأواء في معاشرة الاعراب الفصحاء حتى الصبيان منهم والعبيد والاماء — ضُبطت اللغة وأحصيت كلماتها . ووضعت أسُسها . ورفعت قواعدها .

وأقدم من انتبه الى وجوب السعي في ضبط اللغة هو المؤدّب الاول (ابو الاسود الدؤلي) المتوفى سنة (٦٩هـ) فقد كانت تجتمع الناس حواليه فيعلمهم النحو تعلما .

ولعل الصحيح ان اول تأليف او اول اثر علمي ظهر في الاسلام هو صحيفة ابو الاسود المعروفة عند النحاة (بتعليقة ابي الاسود) . وهي التي ضمنها القواعد الاولى في علم النحو وتقسيم الكلمة الى (اسم وفعل وحرف) .

قال ابن النديم صاحب الفهرست : رأيت في مكتبـة عند بعضهم قمطراً كبيراً . فيه نحو (٣٠٠) رطل من جلود وقراطيس مصرية وورق صيني وخراساني وتهامي . وفيها خطوط بعض الصحابة . قال وبينها اربعة اوراق احسبها من ورق الصين . وعليها عنوان هكذا : هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من ابي الاسود رحمة الله عليه بخط يحيى بن يَعْمَر اه . ويحيى بن يعمر هذا من أشهر اصحاب ابي الاسود .

هكذا ابتدأ التأليف في الاسلام في القرن الاول : صحيفة صغيرة كتبها ابوالاسود

تتضمن بضع مسائل في علم العربية . ثم لم ينصرم القرن السادس للهجرة حتى بلغ امر العناية بالتأليف والعكوف على العلم ان الملك عيسى بن الملك العادل (الذي نحن الآن بقرب ضريحه) امر فقهاء زمانه ان يجرّدوا له مذهب ابي حنيفة النعمان من مذهب صاحبيه (ابي يوسف ومحمد) فجرّدوه له في عشر مجلدات وسموه (التذكرة) فكان الملك عيسى يُديم قراءته حتى حفظه عن ظهر قلب وكتب على كل جلد منه (حفظه عيسى) (حفظه عيسى) .

والزمان الذي توفرت فيه العلماء على ضبط اللغة وتدوينها واخذها عن فصحاء الأعراب — هو القرن الثاني والثالث والرابع للهجرة . وأشهر علماء الامصار في القيام بهذا العمل الجليل هم علماء البصرة والكوفة . وكان البصريون أشدّ احتياطاً . واكثر اشتراطاً . من اخوانهم الكوفيين فكانوا فوق الاستيثاق من فصاحة الأعراب وفصاحة قبائلهم يشترطون اخذ اللغة عن كثيرين : فاذا سمعوها من واحد اعتبروها شاذة . وهذا على عكس الكوفيين فانهم يشيدون القواعد على الشاهد الواحد . وكان البصريون يعيرونهم و يقولون لهم نحن نأخذ اللغة عن حرَشة الضباب (صياديها) وأكلة اليرابيع (يعني سكان البوادي) وتأخذونها انتم عن أكلة الشواريز[1] والكواميخ (المخللات) .

قال ابو عكرمة الضبي يوماً للمبرد (وهو امام اهل البصرة في النحو) نحوُك لا يساوي شيأً عند ابن قادم (وابن قادم من علماء الكوفة) قال المبرد فقلت له : ولماذا ؟ قال لان ابن قادم يعرف شواهد في اللغة عجيبة لا تعرفها انت . قلت أنشدني منها . فجعل ينشدني ويضحك إعجاباً بما ينشد . فكان مما انشدني شعرٌ استشهد به على ان (الرُزْز) لغة في (الرُزّ) وهو قوله :

(قربا يا صاح رُزْزه   واجعل الاصل أوزّه)
(واصفف القينات حقا   ليس في القينات عزّه)

قال المبرد : فقلت له من يقول هذا الشعر : قال : يقوله بعض العرب المتحضّرة . قلت : بل بعض النبَط المتقذّرة . (والنبط جيل من الناس اصلهم عرب ثم استعجموا او عجم ثم استعربوا .

(١) الالبان المجمدة و يشبه ان تكون القشدة . و يعني بأكلة الشواريز اولئك الأعراب الذين افسدت الحضارة سلائقهم .

و بالجملة فان البصريين كانوا أوثق من الكوفيين وأشدّ احتياطاً في ضبط اللغة وساعدهم على ذلك قرب مدينتهم من جزيرة العرب . وكانوا لا يأخذون عن فصيح من فصحاء الأعراب ما لم يمتحنوه كما نمتحن طلاب المدارس اليوم . ويجربوا صحة سليقته وسلامة عروبته : من ذلك ان (ابا عمرو بن العلاء) (احد اعلام اللغة العربية) استضعف (ابا خيرة) الاعرابي وارتاب في فصاحته . فامتحنه قائلاً : كيف تقول حفرت الإران ؟ قال : اقول (حفرت إراناً) فقال له ابو عمرو (لانَ جلدُك يا ابا خيرة) يريد انه لم تبق فيه خشونة جلد اعراب البادية بل اصبح جلده ليناً ناعماً كجلود اهل الحضر ويكون قد صارت لغته مشوبة بالفساد مثل لغتهم .

اما غلطه فهو جمعه (إرة) على (إران) و (إرة) هي الحفرة وتجمع على (إرين) كعزة وعزين وعضة وعضين . وابو خيره قال في جمعها (إران) واخطأ لأن (إران[1]) لفظ مفرد معناه خشب النعش أو التابوت فالصواب ان يقول حفرت إرين .

وقال ابن جني سألت الشجري (وهو أعرابي من عقيل كانوا يرجعون اليه في كلمات اللغة) ومعه ابن عم له يدعى (غصناً) دونه في الفصاحة — قال : فقلت لهما كيف تصغران (حمراء) قالا (حميراء) قلت و (صهباء) قالا (صهيباء) قلت و (حمقاء) قالا (حميقاء) . وما زلت اسألهما هكذا الى ان دسست في الاسئلة كلمة (عِلْباء) وهي عصب في العنق . فقال غصن . تصغير (علباء) (عليباء) وتبعه عمه (الشجري) فقال : (عُلَيْبَ) وفتح الباء وقبل ان يمدها و يأتي بالهمزة تراجع كالخائف المذعور ثم قال : (آه عليبيٌ) .

أراد الشجري ان يقول اولاً (عُليباء) بالمد على وزن (حميراء) ظناً ان الفها وهمزتها زائدتان ثم انتبه فجأة الى ان همزة (علباء) مقلوبة عن (ياء) . وليست زائدة فقال للحال (عليبيٌ) . وهكذا فاز في الامتحان واستحق شهادة (دوكتور في اللغة) . اما ابن

(١) ومن العجيب ان كلمة (إران) العربية وجدت مرقومة على بعض التوابيت الحجرية الفنيقية بمعناها وبلفظها او بما يقرب من لفظها فهي اذاً فينيقية الاصل واللغة الفينيقية واللغة العربية كلتاهما سامية .

اخيه غصن فسقط في الامتحان .

قال ابن جني وسألت (الشجري) هـذا يوماً كيف تجمع دكان قال (دكاكين) قلت و (سرحان) قال (سراحين) قلت و (عثمان) قال (عثمانون) قلت هلا قلت (عثامين) قال : ايش هذا (عثامين) ؟ أرأيت انساناً يتكلم بما ليس من لغته ! ! !

وقال ابن جني ايضاً : حدثني المتنبي شاعرنا وما عرفته الا صادقاً . قال : كنت عند منصرفي من مصر في جماعة من الأعراب واحدهم يتحدث . فذكر في كلامه فلاةً واسعة . فقال (يحير فيها الطرف) (يعني بالياء بعد الحاء حار يحير) فقال آخر من رفاقه الأعراب يلقنه سراً من الجماعة : (يحار يحار) اي بالالف بعد الحاء .

وشك الاصمعي في كلمة (استخذى) بمعنى خضع أهي مهموزة ام غير مهموزة ؟ قال : فقلت لأعرابي أتقول : (استخذيت) بالياء ام (استخذأت) بالهمزة ؟ فقال لا اقول هذه ولا هذه . قلت ولما ذا ؟ قال لأن العرب لا تستخذى (اي لا تخضع) .

وسأل ثعلب (ابا الزوّاد) الاعرابي فقال له : ما تعاني في بلادك (اي ما هو عملك ؟) قال . الإبل . قال : مامعنى قول العرب في صفة البعير : (نعم معلق الشربة هذا)[1] قال : أرادوا سرعته بحيث اذا كان مع راكبه شربة معلقة أجزأته حتى يصل الى الماء الآخر . قال : أصبت . فما معنى قولهم : (بعير كريم الا ان فيه شارب خور) . قال : الشارب هنا وجمعه شوارب بمعنى عروق مجاري الاكل والشرب في الحلق) . والخور الضعف . يريدون ان البعير كريم غير ان في حلقه ضعفاً فهو لا يقدر ان يستوفي ما يأكله و يشربه . فقال ثعلب اذ ذاك لعمري قد جمع ابو الزوّاد علماً وفصاحة فاكتبوا عنه واحفظوا قوله .

وقال الجوهري : سألت أعرابياً من بني تميم بنجد وهو يستقي من البئر ببكرة نخيس . والنخيس هي البكرة التي يتسع ثقبها من استمرار دوران المحور فيها فيلقمون الثقب خشبة

---

(١) وفي كتب الأمثال ان المعلق القدح الذي يعلقه الراكب معه وقوله (هذا) اشارة اليه وان مافيه يكفي الشارب المسافر ريثما يصل الى منزله . ثم اصبحت العبارة مثلاً يضرب لمن يكتفي برأيه في الامور .

ليضيق • وهذه الخشبة تسمى (نخاساً) • وتسمى البكرة اذ ذاك (نخيس) • قال الجوهري فوضعت اصبعي على (نخاس) البكرة وقلت للأعرابي : ما هـذا ؟ واردت ان اعرّف منه ان (النخاس) بالخاء المعجمة او هو (نحـاس) بالحاء المهملة • فقال : هذا (نخاس) فقلت لا هو (نحـاس) بالحاء أليس الشاعر يقول : (وبكرةٍ نُحاسها نُحاس) فقال : ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين •

هكذا كان فضل هؤلاء الأعراب الفصحاء على اللغة العربية وضبط كلماتهـا وتفسير ما أبهم من اشعارها واخبارها وكان للقرآن العظيم نصيب من ذلك : فقد روي ان أعرابياً ظلمه اخوه فشكاه الى ابن عباس فقال :

(تخوّفني مالي أخٌ لي ظالم فلاتخذلنّ المال ياخير من بقي)

فقال له ابن عباس (تخوّفك) تعني تنقصّك ؟ ؟ قال الاعرابي نعم هكذا قصدت • فقال ابن عباس الله اكبر هذا شاهد من قول العرب لقوله تعالى (او يأخذهم على تخوّف) اي يتنقص من خيارهم •

وقال ابوحاتم : قرأ عليّ أعرابي القرآن فلما وصل الى آية (طوبى لهم وحسنُ مآب) قرأها (طيبى لهم وحسنُ مآب) وكانت لغـة قومه كذلك • فقلت له قل (طوبى لهم) فقال (طيبى لهم) فعدت فعاد • فقلت له اخيراً وانا حنق قل طوبى (طوطو) فأجابني ببرود : (طي طي) فغلب عليّ الضحك وسكت •

الى هذا الحد كان فصحاء العرب يتعصبون للغتهم و يحرصون عليها و ينفرون من الذين يفسدونهـا • و يشوهون محاسنها : واعجب مثـال على ذلك الأعرابي الأسود والجاحظ •

قال الجاحظ : رأيت عبداً اسود لبني أسد قدم علينـا من اليمامة • فبعثوه ناطوراً في البساتين • وكان وحشياً لطول تغرّبه في اليمامة ورعي الإبل • فأصبح بعد ان صار ناطوراً لا يجتمع الا بالأكرة وفلاحي النبط الفاسدي اللغة • فكان لا يفهم منهم ولا يفهمون منه • فلقيته يوماً فأنس بي • وكيف لا يأنس بالجاحظ أفصح الفصحاء ؟ وكان مما قاله لي : اباعثمان (لعن الله بلاداً ليس فيها عرب) • أباعثمان ! ان هذه العرب في جميع النـاس كمقدار القرحة في جلد الفرس فلولا ان الله رقّ عليهم فجعلهم

في حاشيةٍ من الارض لطمست هذه العجمان آثارهم . »

هذا ما قاله للجاحظ في القرن الثالث ذلك العبد الأعرابي المفرط في حب قومه العرب . وظاهر انه أراد بالعرب الذين رقّ لهم ربهم فخبأهم في حاشية الدنيا بمعزل عن الشعوب — عرب الجزيرة الذين ندعو الله ان يحفظ لغتهم فتبقى سالمة من العجمة تحقيقاً لظن ذلك الأعرابي الاسود الصادق الوطنية المتمسك أشد تمسك باهداب القومية .

وفصحاء الأعراب الموثوق بهم وبعروبتهم هم البعيدون عن مجامع الأسواق ومثابات الأعاجم . واشهرهم في ذلك فصحاء تميم وقيس وأسد وسعد بن بكر .

قال ابو عمرو بن العلاء : لقيت أعرابياً بمكة . فقلت له ممن انت ؟ قال من بني أسد . قلت ومن اي البلاد ؟ قال من عُمان . قلتُ فأنى لك هذه الفصاحة ؟ قال إنا سكنا قطراً لا نسمع فيه ناجخة التيار « يعني صوت أمواج البحر وقت اشتداد العواصف » اي انهم لا يسكنون السواحل حيث يتردد التجار والطرّاء من الأعاجم فتفسد لغتهم .

اما البلاد التي كثر فيها هؤلاء الطرّاء فقد فسد لسان اهلها الى الحد الذي ذكره ابو زيد الانصاري (المتوفى سنة ٢١٥ هـ) فقد قال . قلت لبعض الكتاب : مافعل ابوك بحماره ؟ قال باعِه ؟ قلت ما حملك على ان تقول (باعِه) قال : وانت ما حملك على ان تقول (بحماره) قلت حملني على ذلك باء الجر الداخلة على حماره . قال ومن الذي جعل باءك تجر و بائي لا تجر ! ! !

وكان علماء العربية اذا اختلفوا فيما بينهم من اجل كلمة غريبة تحاكموا الى (فصحاء الاعراب) الذين يفدون على الأمصار : قال بعضهم لقيني (ابو محلم) ومعه أعرابي فقال جئتكم بهذا الأعرابي لتعرفوا منه كذب الأصمعي : أليس كان يقول في بيت عنترة في ناقته :

(شربتْ بماء الدُحرُضَيْن فأصبحت زوراء تنفر من حياض الديلم)

فهو يزعم ان المراد بالديلم الاعداء لانهم أعاجم والعرب كانوا يعدون جميع الأعاجم اعداءهم . فسلوا هذا الأعرابي ما معنى الديلم ؟ فسألناه فقال : (الديلم) حياض بالغور أوردتها ابلي غير مرةٍ . لكن القاموس فسّر الديلم بالامرين معاً : بالأعداء وبماء لبني عبس قوم عنترة .

وادعى الأصمعي ايضاً : انه يقال (أبرقت السماء وأرعدت) بالهمز اما في التهديد فيقال : (بَرَق زيد ورَعد) ثلاثياً من دون همز . وخالفه ابوزيد وابوحاتم وقالا : يقال في التهديد رَعد وبَرَق وأرعد وأبرق . وبينما هم كذلك اذ وقف عليهم أعرابي محرم بالحج . فقال له ابو زيد يا أعرابي : كيف تقول (رعدت السماء و برقت) ام (أرعدت وأبرقت) ؟ فقال اقول (رعدت و برقت) فقال له : وكيف تقول للرجل . فقال الأعرابي : أمن التخيف تريد ؟ يعني أمن التهديد ؟ قال نعم . قال (رَعد وبَرَق وارعد وأبرق) فحكم الأعرابي لابي زيد وابي حاتم .

وأشهر المحاكمات الى فصحاء الأعراب الرجوع اليهم في المسألة التي اختلف فيها الكسائي الكوفي وسيبويه البصري في مجلس هرون الرشيد وهي (كنت أظن ان العقرب اشد لسعة من الزنبور فاذا هو هو او إياها) فقال الرشيد . اختلفتما وانتما رئيسا بلديكما فمن يحكم بينكما فقال الكسائي : هؤلاء الأعراب ببابك اسألهم . فأدخلوهم فاذا هم اربعة (ابوفقعس) و (ابودثار) و (ابوالجراح) و (ابوثروان) ولما سألوهم وافقوا الكسائي : لانه فيما يقال رشاهم والصحيح انهم عرفوا منزلة الكسائي من الرشيد وانه يعلم ولديه فحكموا له . فالخُبث منهم لا من الكسائي . ويقال ان سيبويه قال للرشيد : انهم وافقوا الكسائي من دون ان يتكلموا بالجملة المختلف فيها ولو امرتهم ان ينطقوا بها لما طاوعتهم ألسنتهم ولا سلائقهم .

ولنذكر لكم ايها السادة أمثلة من رحلة علماء اللغة الى فصحاء الأعراب في طلب غريب اللغة . قال الأصمعي : كنت أغشي بيوت الأعراب . اكتب عنهم كثيراً . حتى ألفوني وعرفوا مرادي . فأنا يوماً مارٌّ بعذار (موضع بالبصرة) . قالت لي امرأة : يا ابا سعيد إئت ذلك الشيخ فان عنده حديثاً حسناً فاكتبه ان شئت . قلت أحسن الله إرشادك . فأتيت شيخاً هِماً فسلمت عليه . فردَّ عليَّ السلام وقال من انت ؟ قلت انا عبد الملك ابن قريب الأصمعي قال : ذو (اي الذي وكان الشيخ من قبيلة طي) يتتبع الأعراب فيكتب الفاظهم ؟ قلت نعم وقد بلغني ان عندك حديثاً حسناً معجباً رائعاً . وأخبرني اولاً باسمك ونسبك . قال نعم : انا حُذيفة ابن سُوَر العجلاني . ولد لأبي سبع بنات متواليات وحملتْ أمي . فقلق ابي قلقاً كاد يفلق حبة قلبه من خوف بنت

ثامنة · فقال له شيخ من الحيّ : ألا استفثت بّن خلقهن أن يكفيك مؤونتهن · فقال : لا جرم لا أدعوه الا في أحب البقاع اليه فانه كريم لا يضيم قصد قاصدبه· ولا يخيب آمال آمليه · فأتى البيت الحرام وقال :

(يا ربّ حسبي من بنات حسبي   شيّبن رأسي وأكلن كسبي)
(ان زدتني أخرى خلعت قلبي   وزدتني مما يدقّ صلبي)

فاذا بهاتف يقول :

(لا تقنطنّ غُشيت يا ابن سور   بذكر من خيرة الذكور)
(ليس بثمود(١) ولا منزور(٢)   محمد من فعله مشكور)
(موجّه في قومه مذكور)

فرجع ابي واثقاً بالله جل جلاله · فوضعتني أمي فنشأت أحسن ماانشأ غلام · عفةً وكرما · وبلغت مبلغ الرجال · وقمت بامر أخواتي وزوّجتهن وكنّ عوانس · ثم قضى الله تعالى ان سترتهن ووالدتي · ثم منّ الله عليّ ان اعطاني فأوسع واكثر وله الحمد وولدت رجالاً كثيراً ونساء · وان بين يديّ اليوم من ظهري ثمانين رجلاً وامرأة ·

واجمل من هذه ما حدث به الاصمعي ايضاً قال : سهدت ليلةً من الليالي بالبادية وكنت نازلاً عند رجل من بني الصيداء من اهل القصيم فأصبحت وقد عزمت على الرجوع الى العراق · فأتيت ابا مثواي (اي صاحب البيت النازل فيه) فقلت له : اني قد هلعتُ من الغربة واشتقت اهلي ولم أفد في قدمتي هذه عليكم كبير علم · وانما كنت اغتفر وحشة الغربة وجفاء البادية للفائدة فأين الفائدة ؟ فأظهر المضيّف توجعاً ثم ابرز غداء فتغدّيت معه وامر بناقة له مهرية فارتحلها واكتفلها (جعل عليها كفلاً والكفل مايحفظ الراكب من خلفه) ثم ركب واردفني وأقبلنا (اي استقبلنا) مطلع الشمس فما سرنا كبير مسير حتى لقينا شيخ على حمار · وهو يترنم · فسلم عليه صاحبي وسأله عن نسبه : فاعتزى أسدياً من بني ثعلبة · فقال أتنشد (اي لغيرك) ام تقول (اي من نظمك) ؟ فقال كُلاًّ

---

(١) رجل ثمود كثر عليه السؤّال حتى انفدوا ماعنده · اي انه يبقى غنياً كثير المال ·
(٢) المنزور الذي يُلَحّ عليه فيعطي · فهذا يعطي من دون الحاح اي سخي جواد ·

فقلت اين نؤم ؟ فأشار بيده الى ماء قريب من الموضع الذي نحن فيه · فأناخ الشيخ وقال لي صاحبي خذ بيد عمك فأنزله عن حماره · ففعلت · فألقى له كساء يجلس عليه · ثم قال : انشدنا يرحمك الله · وتصدّق على هذا الغريب بابيات يعهن عنك ويذكرك بهن · فقال : إي ها الله ذا · ثم أنشدني :

(تعزّ فان الصبر بالحر أجمل   وليس على ريب الزمان معول)
(فلو كان يغني ان يُرى المرء جازعاً   لنازلةٍ اوكان يغني التذلل)
(لكان التعزي عند كل مصيبةٍ   ونازلةٍ بالحر اولى وأجمل)
(فكيف وكلٌّ ليس يعدو حِمامه   وما لامرئٍ عما قضى الله مزحل)
(فان تكن الايام فينا تبدلت   ببُؤسى ونُعمى والحوادث تفعل)
(فما لينت منا قناةً صليبةً   ولا ذللتنا للتي ليس تجمل)
(ولكن رحلناها نفوساً كريمةً   تُحمّل ما لا تستطاع فتحمل)
(وقينا بعزم الصبر منا نفوسنا   فصحت لنا الاعراض والناس هزّل)

قال الأصمعي فقمت والله وقد أنسيت اهلي وهان عليّ طول الغربة وشظف العيش · سروراً بما سمعت · ثم قال لي الشيخ يابنيّ : من لم تكن استفادة الادب أحبّ اليه من الاهل والمال لم ينجب · والابيات التي تمثل بها الأعرابي ذكرها ابوتمام في حماسته ونسبها الى ابراهيم بن كُنيف النبهاني ·

وحكت عَريب[1] المغنية المشهورة في زمن بني العباس (توفيت سنة ٢٧٧ هـ) قالت كنت في طريقي الى الحج اطلب الأعراب وأستنشدهم الأشعار واكتب عنهم النوادر فوقف عليّ شيخ أعرابيٌّ يسأل صدقةً فاستنشدته فأنشدني :

(ياعَزُّ هل لك في شيخ فتى أبدا   وقد يكون شباب غير فتيان)

قالت فاستحسنت البيت والله ولم اكن سمعته وقلت للاعرابي انشدني مابعد هذا البيت قال هو يتيم · فاستحسنت قوله واحسنت اليه · وحفظت البيت · وغنيت به ·

---

(١) عريب على وزن عظيم وليس هو مصغراً لانه ورد اسمها قافية في بعض القصائد والقافية مبنية على اريب مريب مصيب عريب ·

وقال الأصمعي : انشدتني (عشرمة المحاربية) وهي عجوز حيزبون من بني محارب وكانت زَوْلة (داهية فطنة ظريفة) قالت :

(وما لبس العشاق من حلل الهوى ولا خلعوا الا الثياب التي أبلي)
(ولا شربوا كأساً من الحب مرةً ولا حلوة الا شرابهمو فضلي)
(جريت مع العشاق في حلبة الهوى ففتهمو سبقاً وجئت على رسلي)

هذا ماقالته الأعرابية العجوز من بني محارب في الغزل اما الأعرابية الفتاة من بني سعد ابن بكر فانها قالت قولاً أعجب وأطرب :

(ايا أخويّ الملزميّ ملامةً أعيذكما بالله من مثل مابيا)
(سألتكما بالله الا جعلتما مكان الاذى واللوم ان تأويا ليا)
(أيا أمّتــا حب الهلاليّ قاتلي شطون النوى يحتل عُرضاً يمانيا)
(اشم كغصن البان جعد[1] مرجل شغفتُ به لو كان شيئاً مدانيا)
(فان لم أوسّد ساعدي بعد هجعةٍ غلاماً هلالياً فشلت بنانيا)
(ثكلتُ ابي ان كنت ذقت كريقه سلافاً ولا ماء الغمامة غاديا)

وهذا الشعر هو نهاية في حسن الخيال ، ودقة التصور ، وبديع الوصف ، فالأعراب مهما عيبوا بالخشونة والغلظة فان خشونتهم وغلظتهم لم تفسد عليهم حسن تصورهم ، ودقة وصفهم ، وصفاء اذهانهم ، قال ابن فارس سمعت ابي يقول : سئل أعرابي ما القلم ؟ قال لا أدري ، فقيل له توهمه ، ففكر ثم قال : هو عود قُلِم من جانبيه كتقليم الأظفور فسمي قلماً .

ومن تصورات الاعراب الغريبة ماروواه بعضهم عن أعرابية من بني نمير ، سئلت ما بال الكن ايتها النميريات رُسْحاً (اي لا أكفال لكن) ؟ فقالت : أرسحتنا نار الزحفتين وفي هذا المعنى قال شاعرهم :

(وسوداء المعــاصم لم يغادر لها كَفَلاً صلاء الزحفتين)

ومن ذلك ان نساء الأعراب يقعدن في ليالي الشتاء حول النار التي يوقدنها بهشيم

(١) اي كريم ويكون بمعنى لئيم .

نبات العرفج · فاذا علا لهيبها ونفشي هكذا وهكذا رجع النساء الى الوراء زحفاً على اكفالهن ثم يخمد اللهب فيقبلن على النار زحفاً ايضاً ثم يضعن المشيم فيرتفع اللهب فيزحفن الى الوراء ثم الى الامام دواليك · ثم على تمادي الايام وتكرر الزحف حول نار العرفج تصبح النميريات رُسحاً لا أكفال لهن و يورثن الرَسَح لاولادهن ·

فهل سمعتم أيها الافاضل اغرب من هذا التصور وهل يقبل الشعراء يا ترى هذا الاعتذار من النميريات عن رَسحهن ؟

ومما يروى من ذكاء الاعرابيات ان اعرابية خطبت لابنها · وكان بعدُ حدثاً · فأحبت أم العروس أن تراه فزارتهم وبينا هي في الخباء تكلم أم الغلام دخل الغلام وقال يا أماه (أدوِّي ؟) اي أتسمحين لي ان اعمد الى علبة اللبن فانزع عن وجهه الدواية (وهي قشطته) فآكلها ؟

هكذا أراد الغلام لكن أمه خجلت ان يقول ذلك امام ام العروس فيصغر في عينها · فبادرته قائلةً (اللجام معلق بعمود البيت) فبقولها هذا اوهمت أم العروس ان ابنها انما أراد بقوله (ادوِّي) أتسمحين لي ان اذهب الى الدوية وهي البيداء التي تدوي بالرياح فأطارد على ظهر الخيل واصطاد الوحش · فهو إذن بطل من الابطال · جدير بالعروس ذات الحسن والدلال ·

وللاعراب أكاذيب احصاها عليهم علماء العربية · ولكن هناك كذبة لا اعلم كيف مشت على الاصمعي · فقد قال سمعت اعرابياً يقول (عطس فلان فخرج من انفه جاملمة) فسألته ما (جاملمة) ؟ قال : هي خنفساء نصفها حيوان ونصفها طين · قال الاصمعي فلا انسى فرحي بهذه الفائدة · ولا يخفى ان هذه كذبة مزدوجة لان الخنفساء لا تنزل من الانف · وهب انها نزلت لا يكون نصفها طيناً ! ! وقد يقال ان الاصمعي لا يجهل ذلك لكنه فرح بالكلمة من حيث دلالتها على مزاعم الاعراب واكاذيبهم ·

ولئن روى الاصمعي عن الاعراب كذبة الجاملمة · فطالما روى عنهم كلمات بنور التقوى مشعشعة · قال الاصمعي سمعت اعرابياً يقول وهو متعلق باستار الكعبة · رب أتراك معذبي · وتوحيدك في قلبي · وما إخالك تفعل · ولئن فعلتَ · وأدخلتني النار تكون قد جمعتني فيها مع قوم طالما أبغضتُهم من أجلك ! !

ومثل هذه الكلمة ما قاله أعرابي آخر وقد مرض فقيل له انك تموت · قال واذا متُّ فإلى اين يُذهب بي ؟ قالوا الى الله · قال فما كراهتي ان يُذهب بي الى من لم أر الخير الا منه ·

وقيل لاعرابي آخر يسوق أمامه غنماً : لمن هذه الشياه يااعرابي؟ قال لله في يدي !!

ووصف أعرابي رجلاً ثرثاراً لا يسكت فقال : ان حدثته بحديث سابقك اليه . وان سكتّ عنه أخذ في الترهات (اي الأباطيل) .

وقال رجل من عمال الدولة لاعرابي ما أحسبك تعرف كم تصلي في كل يوم وليلة ؟ فقال له فان عرفت واجبتك بالصواب أتأذن لي ان اسألك مسألة واحدة قال نعم : قال مبتدئاً من صلاة الظهر .

(ان الصلاة اربع واربع ثم ثلاث بعدهن اربع)

(ثم صلاة الفجر لا تضيع)

قال العامل صدقت . هات مسألتك . قال الاعرابي : كم فقار ظهرك قال لاادري . قال أفتحكم بين الناس وتجهل هذا من نفسك؟ فيظهر ان هذا الاعرابي يقترح على الحكومة ان تمتحن عمالها في فن التشريح .

واختصم اعرابيان الى بعض الولاة في دَين لاحدهما على صاحبه فجعل المدعى عليه يحلف بالطلاق والعتاق . فلما اكثر قال له المدعي دعني من هذه الأيمان التي لهاتاً وبلات واحلف بما اقول « لا ترك الله لك خفّا (يعني الجمال) يتبع خفاً . ولاظلفاً (البقر والغنم) يتبع ظلفاً . وحتّك من اهلك ومالك حتّ الورق من الشجر إن لم يكن لي عليك هذا الحق» . فأعطاه حقه ولم يحلف له .

وروى العتبي الشاعر قال : أضل قوم الطريق فاستأجروا اعرابياً ليدلهم على الطريق فقال لهم :

— اني والله لا اخرج معكم حتى اشرط لكم واشرط عليكم .

— فهات مالك .

— يدي مع ايديكم في الحارّ والقارّ ولي موضعي من النار موسع عليّ فيه . وذكر والدي عليكم محرّم .

— فهذا لك . فما لنا عليك إن اذنبت ؟

— إعراضة لا تؤدي الى تعب وعتب . وهجرة لا تمنع من مجاملة السفرة .

— فان لم تُعتب [اي ترضنا بعد ان نكون أعرضنا عنك وهجرناك] .

— فحذفة بالعصا أخطأت ام اصابت . .

وهذا الحديث لا يعرف قدره ولطافة ما اشترطه الاعرابي فيـه الا الذين سافروا

في البادية واجتازوا مفاوزها وذاقوا لذة الجلوس حول النار في ليالي شتائها ·

هذا واخبار (فصحاء الاعراب) ايها السادة كثيرة · ونوادرهم مستملحة عجيبة · حتى قال الجاحظ (انا استظرف امرين استظرافاً شديداً : احدهما استماع حديث الاعراب · والامر الآخر احتجاج متنازعين في الكلام (علم العقائد) وهما لا يحسنان منه شيأ · فان هذين الامرين يثيران من غريب الفكاهة ما يضحك كل ثكلان وان تشدد · وكل غضبان وان احرقه لهيب الغضب اه) ·

واراكم ايها السادة قد مللتم فلنختم اخبار الأعراب بهذا الخبر الظريف ·

كان (أبان) ابن عثمان رضي الله عنه من أهزل الناس وأعبثهم و بلغ من عبثه انه كان يجيء بالليل الى منزل رجل في اعلا المدينة له لقب يغضب منه فيناديه يا فلان انا أبان بن عثمان ثم يعبث به ويلقبه بلقبه الذي يكرهه فيشتمه الرجل أقبح شتم · و (أبان) يضحك · قال راوي الخبر فبينا نحن ذات يوم في مجلس أبان وعنده اشعب المزاح المشهور اذ اقبل اعرابي · ومعه جمل · والاعرابي اشقرازرق ازعر (شرس الاخلاق) غضوب · يتلظى كأنه افعى · و يتبين الشر في وجهه ما يدنو منه احد الا شتمه ونهره · فقال اشعب لأبان هذا والله من البادية · أدعه أدعه فأسرعوا اليه وقالوا له · ان الامير (ابان) بن عثمان يدعوك · فأتى فسلم عليه · فسأله ابانُ عن نسبه · فانتسب له · فقال ابان حياك الله ياخالي (اوهمه أبان بذلك أن أمه من قبيلة الاعرابي او لعلها من قبيلته بالفعل) · حبيب ازداد حباً · فجلس فقال له ابان : اني في طلب جمل مثل جملك هذا منذ زمان · فلم اجد كما اشتهي بهذه الصفة وهذه الهامة واللون والصدر والاوراك والاخفاف · فالحمد لله الذي جعل ظفري به عند من احبه · أتبيعه ياخال ؟ قال نعم ايها الامير · فقال فاني قد بذلت لك به مئة دينار (وكان الجمل يساوي عشرة دنانير) فطمع الاعرابي وسُرّ وانتفخ و بان الطمع في وجهه · فأقبل أبان على اشعب ثم قال له ويلك يا اشعب ان خالي هذا من اهلك واقاربك (يعني انه مثله في الطمع لان اشعب مشهور بذلك) فأوسع له مما عندك · فقال له نعم بابي انت وزيادة فقال له (ابان) يا خالي انما زدتك في الثمن على بصيرة وانما الجمل يساوي ستين ديناراً · ولكني بذلت لك مئة لقلة النقد في بلدنا اليوم · وإني أعطيك به عروضاً (امتعة) تساوي مئة دينار · فزاد طمع

الاعرابي · وقال قد قبلت ذلك ايها الامير · فأمرَّ ابان الى اشعب · فأخرج شيئًا مغطى · فقال له الامير : اخرج ما جئت به يا اشعب · فأخرج جَرْد عمامة خزٍ خَلَقٍ تساوي اربعة دراهم · فقال الامير قوّمها يااشعب · فقال رافعًا صوته : عِمامة الامير تُعرف به · و يشهد بها الأعياد والجمع ويلقي بها الخلفاء — خمسون ديناراً · فقال الامير ضعها بين يدي الاعرابي · والتفت الى كاتبه (ابن زَنْبَج) فقال : أثبت قيمتها في جريدة خاصة فقيّدها ووُضعت العمامة بين يدي الاعرابي · فكاد يدخل بعضه في بعض غيظاً · ولم يقدر على الكلام ·

ثم قال الامير : هات قلنسوتي · فأخرج اشعب قلنسوة طويلة خَلَقة قد علاها الوسخ والدهن · وتخرّقت · تساوي نصف درهم · فقال الامير لأشعب قوّم· فقال : قلنسوة الامير تعلو هامته · و يصلي بها الصلوات الخمس · و يجلس للحكم بها بين الناس ثلاثون ديناراً · فالتفت ابان الى كاتبه ابن زنبج وقال أثبت فأثبت القيمة · ووُضعت القلنسوة بين يدي الأعرابي · فتربد وجهه وجحظت عيناه · وهمّ بالوثوب ثم تماسك وهو متقلقل في مكانه · ثم قال الامير لأشعب هات ما عندك · فأخرج خفين خَلَقين قد نَقِبا وتقشّرا وتفتقا · فقال له الامير قوّم · فقال اشعب : خُفّ الامير يطأ بهما الروضة المطهّرة و يعلو بهما منبر النبي صلى الله عليه وسلم — اربعون ديناراً · فقال الامير ضعهما بين يدي الأعرابي فوضعها · ثم قال للاعرابي : أضمم اليك متاعك · وقال لبعض الخدم اذهب فخذ الجمل وقال لآخر امضِ مع الاعرابي فاقبض منه ما بقي لنا عليه من ثمن الأمتعة وهو عشرون ديناراً · فوثب الأعرابي فأخذ الامتعة وضرب بها وجوه القوم لا يألو في شدّة الرمي بها · ثم قال لأبان : أتدري أصلحك الله من اي شيء أموت ؟ قال لا · قال اموت لاني لم ادرك اباك عثمان فأشترك والله في دمه إذ ولد مثلك · ثم نهض مثل المجنون حتى أخذ برأس بعيره فسار به وهو يدمدم· وضحك أبان حتى سقط · وضحك كل من كان معه ·

ثم كان الاعرابي بعد ذلك اذا لقي أشعب يقول له هلمّ اليّ يا ابن الخبيثة حتى أكافئك على تقويمك المتاع يوم قوّمته· فيهرب أشعب منه ·

النجوم الثوابت

« واسماؤها العربية والافرنجية »

— ٣ —

مركب • وهو كوكب في السفينة	Markeb
نير التحابي • واحدها تحياة (١)	Mebsuta
الاوسط من النعائم الواردة	Media - kans Meridionalis
المغرز • مغرز ذنب الدب	Megrez
الهَقْعة • رأس الجبار (٢)	Meissa

(١) لا شبهة في اصل هذه اللفظة فهي من مبسوطة العربية لكنه لا يراد بها الذراع المبسوطة بل نجم آخر في التوأمين هو ابسيلون الجوزاء في رجل التوأم المقدم شمال الهنعة ولعله نير التحابي واحدها تحياة • قال أستاذنا الدكتور صروف رحمه الله في وصف التوأمين « والعرب تسمي النيرين اللذين على رأسيهما الذراع المبسوطة واللذين على رجلي التوأم الثاني الهنقة (وهو خطأ مطبعي وصوابه الهنعة) واللذين على قدم التوأم المتقدم وقدام قدمه التحابي » • وفي عجائب المخلوقات للقزويني شيء مثل هذا قال « والعرب تسمي الاثنين النيرين اللذين على رأسيهما الذراع المبسوطة واللذين على قدم التوأم المتقدم وقدام قدمه التحابي » • وفي التاج « التحابي كواكب ثلاثة حذاء الهنعة •••• وهي بين المجرة وتوابع العيوق » فهذا كله يوافق ابسيلون التوأمين وايتا التوأمين وهذا يسميه الفرس پيش باي والافرنج الرجل المتقدمة وسيأتي ذكرها (عن محاسن القبة الزرقاء لفانديك) • لذلك اظن ان النجم الذي يسميه الانكليز مبسوطة على ما جاء في وبستر هو انور التحابي لا الذراع المبسوطة فهذه رأس التوأم المقدم ورأس التوأم المؤخر وقد ذكرت في محلها • (٢) اللفظة الافرنجية ترخيم الميْسان وهو احد نجمي الهنعة في التوأمين وقد تقدم ذكره في الهنعة وان ما يريده الانكليز بالميسان ليس هذا النجم بل لمدا الجبار في رأسه و يسمى الهقعة عند العرب كما ذكر الاستاذ نالينو في تفسير الهقعة في ذيل ترجمته لزيج البتاني فانه قال انها لمدا الجبار

احد المحابي · زبنا التوأمين (١)	Mekbuda
منكب ذي الاعنة · كتف ذي الاعنة · منكب ذي العنان (٢)	Mənkalinan
منقار قيطس · نير قيطس	Menkar
منكب الفرس · ساعد الفرس · ظهر الفرس (٣)	Menkib - Scheat
المراق · مراق الدب الاكبر (٤)	Merak
اخفى الاشراط (٥)	Mesartim
نجم في السفينة · لا اعرف له اسماً عربياً ولعله حيزومها او جؤجؤها	Miaplacidus
نير المنطقة · في الجبار (٦)	Mintaka
الأعجوبة · أعجوبة قيطس (٧)	Mira

ولا يخفى ان الاستاذ ثقة يرجع اليه · اما سبب تسمية هذا النجم بالميسان فهو ان العرب ذكرت الهنعة والهقعة في الجوزاء وهي تشمل عندهم التوأمين والجبار ولشدة المشابهة بين هاتين اللفظتين جاءت الواحدة منهما مكان الأخرى في كثير من المؤلفات العربية ولاسيما المخطوطة منها فوقع الالتباس ·

(١) هي من مقبوضة العربية ولكنها ليست الذراع المقبوضة فهذه الشعرى الغميصاء مع مرزم الشعرى في الكلب الاصغر وقد تقدم ذكرها · (٢) اللفظة الافرنجية تحريف منكب ذي العنان وهو ظاهر · (٣) اللفظة الاولى الافرنجية من منكب العربية واللفظة الثانية من ساعد · والعرب تسمي هذا النجم مع مركب الفرس او متنه الفرغ الاول والفرغ المقدم وهو من منازل القمر اما الفرغ المؤخر فهو جنب الفرس مع سرة الفرس او رأس المسلسلة وقد مر ذكره · (٤) يسمي الانكليز المراق مع ظهر الدب بالدليلين لانه يستدل بهما الى نجم القطب · (٥) الاشراط عند بعضهم ثلاثة نجوم في الحمل انورهما الناطح وثانيها النطح واخفاهما هذا واللفظة الانكليزية على ما جاء في بستر عبرانية الاصل (انظر الحاشية ٤٥) · (٦) انظر ما تقدم في النطاق والنظام والمنطقة ·

(٧) لم اعثر على اسم لهذا النجم فكتبت الى سماحة السيد البكري انه أعجوبة قيطس قال حفظه الله هو كوكب في صورة قيطس يرمز له بحرف اوميكرون اليوناني · ذكر

Mirach, Mirac	المراقّ · جنب المسلسلة · بطن الحوت · قلب الحوت · المئزر · الرشاء (١)
Mirak see Izar	الازار · مراقّ الازار · المئزر · وهو كوكب في العوّاء وقد ذكر
Mirak, Merak	المراقّ · مراق الدب الاكبر وقد ذكر
Mirfak see Algenib	جنب فرساوس · مرفق الثريا وقد ذكر
Mizar	العَناق (٢)
Muphrid	المفرد · مفرد الرامح · وهو كوكب في العواء
Murzim	مرزم العبور · مرزم الشعرى عين الكلب الاكبر (٣)
Nair al Zaurak	نير الزورق (٤)
Naos	كوكب في السفينة · لعله السُكّان (٥)
Nashira	سعد ناشرة · في الجدي (٦)

العلامة فلاماريون ان الاستاذ هفليوس رصد هذا الكوكب خمس عشرة سنة اي من سنة ١٦٤٨ الى سنة ١٦٦٢ وهو من الكواكب المتغيرة ومدة تغيره ٣٣٣ يوماً تقريباً وهو الذي دعاه أعجوبة قيطس او الاعجوبة ·

(١) والمراق كوكب في الدب الاكبر والمئزر كوكب في العواء والرشاء نير الحوت وقد ذكرت كلها · (٢) هو الأوسط من بنات نعش الكبرى والسها ملاصق له · اما اللفظة الافرنجية فمن مئزر العربية ولا اعرف نجماً في الدب الاكبر تسميه العرب بالمئزر ·

(٣) مرّ بنا ان المرزم عند العرب ثلاثة نجوم وقد ذكرت · (٤) هو عند العرب نجم في النهر وعند الافرنج نير الفُوْرنقس ·

(٥) هو نجم في السفينة واللفظة الافرنجية يونانية معناها السفينة ولعل هذا النجم هو ما اسماه العرب السكان ·

(٦) سعد ناشرة عند العرب نجمان في ذنب الجدي يقال لها المحبّان والحافان · وناشرة عند الافرنج هو انورهما ويسمون الآخر ذنب الجدي وقد تقدم ذكره ·

نير الضباع · في العواء (١)	Nekkar
النِهال · بينا الارنب (٢)	Nihal
من النعائم الصادرة · في الرامي (٣)	Nunki
الثاني من الفَكَّة (٤)	Nusakan
فخذ الدب الاكبر · واللفظة عربيتها ظاهرة	Phacd or Phecda
لعله حَضَار (٥)	Phact
اخفى الفرقدين	Pherkad
الثريا · النجم · أَلْيَة الحَمَل (٦)	Pleiades
الجَدْي · جُدَيّ الفرقد · نجم القطب (٧)	Polaris
رأس التوأم المؤخر · رأس ارقلاس او هِرَقل (٨)	Pollux

(١) الضباع عند العرب اربعة كواكب في العواء وهذا انورهما واللفظة الافرنجية تحريف البَقّار وهو من اسماء العواء فكأنهم قرأوا البـاء نوناً · (٢) النهال نجم في الارنب وهو الثاني منها و يطلق النهال على الصورة كلها · (٣) لا اعرف اسماً خاصاً لهذا النجم وهو من النعائم الصادرة اما الاسم الافرنجي اي نونكي فمن البابلية حسب رواية و بستر · (٤) قصعة المساكين من اسماء الفكة بالعربية واللفظة الافرنجية تحريف المساكين ·

(٥) هو نير الحمامة ولا يخفى ان الحمامة صورة حديثة اقتطعت من نجوم الكلب الاكبر التي هي خارج الصورة وذكر علامتنا فانديك ان نير الحمامة والثاني منها هما حضار والوزن اما الوزن فيسميه الافرنج وزناً وسيأتي ذكره فيكون الثاني هو النجم المعروف بحضار وهو ايضاً رجل قنطورس ·

(٦) انظر تعليق السيد البكري على القلاص ·

(٧) جاء في كتب اللغة ان المنجمين يسمونه جُدَيًّا مصغراً تمييزاً له عن صورة البرج المعروفة بالجدي ولعل القدماء كانوا يعبدونه كما ذكر لي احد صابئة العراق وهم لا يسمونه جدياً بل أَوَاثِر أو أَباثِر ·

(٨) تقدم ان هذا النجم هو احد نجمي الذراع المبسوطة ·

النثرة · نثرة الاسد · المعلف (١)	Praesepe
الشعرى الشامية او الغميصاء (٢)	Procyon
الرجل المتقدمة · بيش پاي بالفارسية · في الجوزاء اوالتوأمين (٣)	Propus
رأس الاسد · واللفظة الافرنجية ترخيم رأس الاسد	Rasalas
رأس الجاثي · كلب الراعي (٤)	Ras Algethi
رأس الحواء · الراعي (٥)	Rasalhague
رأس الثعبان · نور العوائذ	Rastaban - alwaid
قلب الاسد · المالكي · وقد ذكر	Regulus - Cor leonis
رجل الجبار · رجل الجوزاء	Rigel
رجل قنطورس · حضار · وهو نير قنطورس (٦)	Rigil kentaurus
ثاني الدلفين او الصليب (٧)	Rotanev
ركبة ذات الكرسي	Ruchbah

(١) قال السيد البكري في تعليقه على هذا النجم : النثرة منزلة من منازل القمر في صورة السرطان · وقد ذكر العلامة عبدالرحمن الصوفي في أرجوزته على الصور السمائية ان المعلف هو المعروف عند العرب بالنثرة ويؤيد هذا ما ورد في زيج الغ بك حيث ذكر في صورة السرطان المعلف والنثرة على اعتبار انها نجم واحد · وذكر كذلك العلامة اسماعيل الفلكي المصري في كتابه الدرر التوفيقية بعد ان وصف صورة السرطان بانها بقعة بيضاء لبنية وان هذه البقعة تسمى بالنثرة او المعلف · (٢) يقال للشعرى الغميصاء مع مرزمها اي مرزم الغميصاء الذراع المقبوضة وقد تقدمت · (٣) معنى اللفظة الافرنجية الرجل المتقدمة كالفارسية · (٤) وكلب الراعي نجم آخر في الحواء وقد تقدم ذكره ·

(٥) والراعي نجم في قيفاوس وقد ذكر · (٦) وحضار نجم في الكلب الاكبر او الحمامة وقد ذكر · (٧) الصليب عند العرب الدلفين لا الصليب الجنوبي وقد سمى البتاني هذا النجم بالجنوبي المقدم من ضلع الصليب الاول · وسمى نير الصليب الشمالي من الضلع الاول من الصليب وسيذكر · ولا اعرف اسماً عربياً لهذين النجمين غير ما ذكر ·

Rukbat	ركبة الرامي · وهو احد الصُرَدين (١)
Sabik	السابق (٢)
Sadachbia	سعد الاخبية · في الدلو
Sadalmelik	سعد الملك · نير الدلو
Sadalsuud	سعد السعود · ثاني الدلو
Sadr	صدر الدجاجة
Saiph	نير السيف · في الجبار
Salm	كوكب في الفرس لا اعرف له اسمًا عربيًا (٣)
Scheat see Menkib	منكب الفرس · ساعد الفرس · وقد ذكر
Schedar	صدر ذات الكرسي · نيرذات الكرسي · واللفظة من صدر العربية
Seginus	الثاني من الضباع في العواء · اما نير الضباع فقد ذكر
Shaula	الشَولة في العقرب
Shelyak	الثاني من الشَلياق او النسر الواقع (٤)
Sheratan	النَطح · وهو احد الشَرَطين في الحَمَل (٥)
Sirius	الشِعْرى · الشعرى اليمانية اوالعبور · كلب الجبّار (٦)

(١) الصرد الآخر وهو عرقوب الرامي وقد ذكر · (٢) قال السيد البكري في تعليقه على هذا النجم « السابق كوكب في صورة الحواء وهو المرموز له بحرف ايتا اليوناني · (٣) هو كوكب في مربع الفرس المعروف عند العرب بالدلو وربما كانت هذه اللفظة من سَلْم العربية وهو الدلو بعروة واحدة ولا اعرف نجمًا سموه بالسَلْم · او انها اي اللفظة من سُلَّم وهي كواكب قالوا انها اسفل من العانة ولا ادري في اي صورة هي · (٤) من اسماء صورة النسر الواقع عند العرب الشلياق والسلحفاة فسموا انورها باسم الصورة اي النسر الواقع وسماه الافرنج بالواقع فقط وسيذكر اما الثاني فسماه الافرنج الشلياق وهو من اسماء الصورة عند العرب والثالث سموه سلحفاة وهي من اسماء الصورة وسيأتي ذكر السلحفاة ·

(٥) تقدم ذكر الشرطين والاشراط · (٦) تقدم ذكر الشعرى وسبب تسميتها بذلك ·

كوكب في الدلو (١)	Skat
السماك الاعزل · السُنبلة · ساق الاسد · في العذراء اوالسنبلة	Spica
نير الدُلفين · الشمالي من الضلع الاول من الصليب	Sualocin
السُلَحْفاة · في الشلياق او النسر الواقع (٢)	Sulafat
الغَفْر (٣)	Syrma
القفزة الثالثة · في الدب الاكبر	Talitha
الجنوبي من القفزة الثانية	Tania Australis
الشمالي من القفزة الثانية	Tania Borealis
تارازد · في العقاب (٤)	Tarazed
في السرطان · ولا اعرف له اسماً عربياً	Tegmine
في النهر · ولا اعرف له اسماً عربياً (٥)	Theemin
الثعبان (٦)	Thuban, Adib
عُنق الحية · مخرج عنق الحية · وقد تقدم	Unuk al Hay - Cor Serpentis
النسر الواقع · في الشلياق او اللورة (٧)	Vega or Wega

(١) لا اعرف اسماً عربياً له ولا اصل الاسم الافرنجي ولعله تحريف ساكب الماء وهو من اسماء الدلو · قال السيد البكري في تعليق له على هذا النجم « هو كوكب في صورة الدلو وموقعه في ساق ساكب الماء و يرمز له بحرف دلتا اليوناني » · (٢) انظر الحاشية الحادية والثمانين · (٣) الغفر من منازل القمر وهي ثلاثة كواكب في العذراء هذا انورها · (٤) تقدم ان من اسماء العقاب عند الفرس « شاهين تارازد » فسمى الافرنج كوكباً من الصورة شاهيناً وقد ذكر · والآخر تارازد وهوهذا والثالث الطائر وقد ذكر ·

(٥) يقول و يستغربها من توأم او توائم ولا اعرف كوكباً اسمه توأم ولا صورة يقال لها توائم · (٦) فانني ان اذكر تعليقاً للسيد البكري على هذا الكوكب قال حفظه الله : « هو احد كواكب التنين بين رأس الدب الاصغر وذنب الدب الاكبر و يرمزله بحرف الفا اليوناني ولعله ثعبان كما يوهم اسمه · (٧) انظر الحاشية الحادية والثمانين ·

المتقدم للقطاف · مقدّم القطاف · في العذراء وقد ذكر	Vin Demiatrix - almuredin
وسط التوأم المؤخر	Wasat
الوزن (١) في الكلب الاكبر	Wezen
الوزن (٢) في الحمامة	Wezn
المؤخر في يد الجوزاء اليسرى	Yed Posterior
المقدّم فيها	Yed Prior
الاوسط من بنات نعش الصغرى (٣)	Yildun
الثانية من العوّاء · اي عواء البرد في العذراء	Zaniah
الزورق في النهر	Zaurak
زاوية العواء اي عواء البرد · في العذراء (٤)	Zavijava
الزُبرة · عُرف الاسد · ظهر الاسد · وقد ذكر (٥)	Zosma, Duhr
الزُباني الجنوبي · الكفّة الجنوبية	Zuben el Genubi, Kiffa Australis
الزُباني الشمالي · الكفّة الشمالية (٦)	Zubenes Chamali, kaffa Borealis

(١ و ٢) قال السيد البكري في تعليق له على هذا النجم «الوزن غير الوزن في صورة قنطورس كوكب في صورة الكلب الاكبر و يرمز له بحرف دلتا اليوناني» وجعل الدكتور فانديك هذا النجم من العذارى وجعل الوزن في الحمامة وقد تقدم ذكر حضار والوزن في الحاشية السابعة والستين ·

(٣) لا أعرف له اسماً عربياً وفي تعليق عليه للسيد البكري ما يأتي قال حفظه الله: «يلوح لي ان اصل الاسم فارسي او تركي · وهو الكوكب الذي يلي كوكب القطب من ذنب الدب الاصغر و يرمز له بحرف دلتا اليوناني» قلت ومما يؤيد قول سماحته ان و بستر ذكر ان هذه اللفظة هي على الغالب تحريف ييلديز بالتركية ·

(٤) اللفظة الافرنجية تحريف زاوية العوّاء · (٥) تحريف زبرة اي عرف ·

(٦) اي زباني العقرب وكفة الميزان ·

هذا ما امكن تحقيقه من اسماء الكواكب الثابتة التي ذكرها و بستر في مادة «استار» وقد اعتمدت في تحقيقها على كتب اللغة ولا سيما مدّ القاموس للاين وعلى عجائب المخلوقات للقزويني ومحاسن القبة الزرقاء لفانديك و بسائط علم الفلك لاستاذي الدكتور صروف رحمهم الله جميعاً . واخذت كثيراً عن زيج البتاني وترجمته للاستاذ نالينو . اما مؤلفات الصوفي وأُلُغ بك والتيزيني فلم ار شيأ منها على ان العلامتين الدكتور فانديك والدكتور صروف اخذا شيأ كثيراً عنها فاكتفيت به .

الطبيب امين المعلوف
عضو المجمع العلمي العربي

المستشرقون من اعضاء المجمع

فريتس كرنكو
Freitz Krenkow

ترجمته بقلمه

ولدت في ٢ آب سنة ١٨٧٢ ميلادية بقرية صغيرة مسماة شونبرغ (Schoenberg) في شمالي المانيا . وكان والدي في خدمة الحكومة الالمانية وكان يرغب في ان اكون ضابطاً في الجيش الالماني كما كان احد اعمامي . الا ان والدي مات قبل ان ابلغ السادسة فانتقلت والدتي بي و باختي الصغيرة الى بيت ابيها الذي كان احد اعيان تلك القرية فربيت في بيته ودرست في المدرسة الثانوية في القرية التي ولدت فيها .

ولما بلغت السادسة عشرة من عمري احببت ان اكون معلماً في العلوم الرياضية غير ان اقاربي ظنوا ان التجارة انفع لي فدخلت مكتب بعض التجار في مدينة لوبك (Luebeck) وكانت لي في ذلك الوقت معرفة جيدة باللغتين الانكليزية والفرنسية فضلاً عن اللغة اللاتينية واللغة اليونانية . ولم اترك ساعة تسنح لي الا اشتغلت فيها بالكتب التي وقعت بيدي .

ثم بدأت بتعلم اللغات الاوربية واللغة الفارسية وكل ذلك بغير معلم سوى الكتاب . وقد نظمت في تلك الاوقات اشعاراً باللغة الالمانية غير رديئة . ولا يزال بعضها محفوظاً عند اصدقائي الى الآن بعد ان نسيتها . وفي سنة ١٨٩٢ انتقلت الى برلين وهناك زرت لاول مرة شخصاً مشهوراً بمعرفة اللغات المشرقية الاستاذ ساخو فلاقاني بلطفه المعتاد . ولكن نصح لي بان اترك هذا الامر لان الاشتغال به لا يصلح الا لذي الوقت الواسع والمال الكثير . فلم اعمل بنصيحته بل ازددت في الدراسة . وبعد سنتين سافرت الى انكلترا فتوظفت عند تاجر اشتغلت معه سنين كثيرة الى ان حصلت على مال لا يستهان به وأسست في لستر (Leicester) مصنعاً للاقمشة كان يشتغل فيه اكثر من الف عامل وعاملة . ومع كثرة اشغالي الفكرية لم تفتني ساعة الاطالعت فيها الكتب العلمية . وقد حصل

لي ميل شديد الى دراسة آداب اللغة العربية والتمدن الاسلامي ولا سيما مايتعلق باوائل الاسلام والقرون التي سبقته ·

ولما اعلنت الحرب العظمى التي نكب بها العالم اصابتني في نهايتها مصيبة فتألمت منها المآ عصبيًا اوجب عليّ ترك اشغالي وسفري الى اوسترالية سفرة استغرقت سنة كاملة · وبعد رجوعي من سفري اواخر سنة ١٩٢٢ عدت الى مزاولة التجارة مرة أخرى وبقيت أتعاطاها حتى شهر آب من سنة ١٩٢٧ ولم احصل منها على الربح فتركتها وتفرغت للعلم ·

اما ما نقلته من الكتب ونشرته بعد المقابلة بنسخ أخرى واعملت فيه يد التهذيب فكثير · منها قصيدة طُفيل الغنوي البائية مع ترجمة انكليزية في مجلة الجمعية الاسيوية الانكليزية سنة ١٩٠٦ ·

بانت سعاد لكعب بن زهير مع مقدمة المانية في مجلة الجمعية الالمانية سنة ١٩٠٨ ·

شعر ابي دَهبل الجُمحي رواية الزبيري بكّار مع زيادات وحواش وملاحظات في مجلة الجمعية الانكليزية سنة ١٩١٩ ·

طبقات النحاة لابي بكر الزُبيدي مع مقدمة وشروح عليها باللغة الايطالية في مجلة الجمعية الايطالية سنة ١٩١٩ ·

ديوان مزاحم العُقيلي بترجمة انكليزية طبع في مدينة ليدن سنة ١٩٢٠ ·

كتاب المجتنى لابي بكر بن دريد طبع بعناية دائرة المعارف في حيدرآباد سنة ١٣٤٢ وقد شوّه طابعوه مع الاسف محاسنه وحذفوا منه الشكل وأسقطوا بعض الجمل كأنهم احدثوا فيه اغلاطاً ·

ديوان النعمان بن بشير الانصاري وفي ذيله ديوان بكر بن عبد العزيز العجلي ولكن المحل نشره ابو عبد الله السورتي وكتب في عنوانه انه ناشره وقد طبع على الحجر في دهلي سنة ١٣٣٤ بنفقة صديقي المرحوم عماد الملك بهادر ·

حماسة هبة الله ابن الشجري البغدادي طبع ايضًا في مدينة حيدرآباد سنة ١٣٤٥ ولكن مع حذف الشكل والحواشي التي في اصل نسختي ·

ديوان طفيل الغنوي وديوان الطِرِمّاح بن حكيم طبعا في مجلد واحد مع مقدمة وترجمة وشروح وفهارس مطولة كل ذلك بالانكليزية في مدينة ليدن سنة ١٩٢٨ ·

الكتاب المأثور لابي العميثل الاعرابي عن نسخة قديمة كتبت سنة ٢٨٠ طبع في بيروت سنة ١٩٢٥ مع مقدمة المانية وفهارس ·

وقد هذبت كتاب الجمهرة لابن دريد الذي طبع حديثاً في الهند في ثلاث مجلدات كبار وانا الآن مشتغل بوضع فهارس مفصلة لهذا الكتاب تطبع في مجلد كبير ·

وقد هذبت بطلب من دائرة المعارف في حيدرآباد كتاب تنقيح المناظر لكمال الدين الشيرازي شرح كتاب المناظر لابي الهيثم البصري وهذا الكتاب يطبع الآن في حيدر آباد ·

وقد نقلت من ثلاث نسخ يمانية كتاب التيجان في تواريخ ملوك حمير لعبد الملك بن هشام عن وهب بن منبه التابعي وفي ذيله ما بقي من رواية عبيد بن شرية عن الامم البائدة فهذبته وهو يطبع ايضاً في حيدرآباد وقد اوضحت في رسالة مطولة في مجلة « تمدن الاسلام » (Islamic Culture) ان هذين الكتابين من اقدم الآثار المدونة باللغة العربية ·

وانا الآن مشتغل بتهذيب كتاب الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني في مجلدين هذبته على عدة نسخ احداها في ملكي بحواشٍ بخط السخاوي وقد فرغت من تهذيب المجلد الاول منه واملي ان افرغ من المجلد الثاني قبل نهاية هذه السنة وقد شرع بطبع هذا الكتاب في حيدر آباد ايضاً ·

وقد كتبت كثيراً من المقالات الادبية والعلمية بالانكليزية والالمانية وطبع ما كتبته منها في مجلات عديدة في بلاد مختلفة ·

وفي يدي الآن نسخة من كتاب معاني الشعر الكبير لابن قتيبة نقلته عن نسختين احداهما في قسطنطينية والاخرى في لندن تحتوي على نحو من الف صفحة ولكن هذا الكتاب يلزمه التهذيب المتقن لكثرة الأغلاط في الأصلين و يحتاج الى عمل شاق طويل واملي ان اوفق مع الزمان لطبعه ·

وانا الآن أتقن ما عدا لغتي الالمانية سائر لغات اوربا واعرف طرفاً من الفارسية والحميرية والتركية والعبرية والارامية · ورجائي ان يؤيدني الله برحمته باقي حياتي لاعمل على نشر الآداب الاسلامية وهو نعم الوكيل ·

(المجمع) وقد أرسل الينا المستشرق الفاضل المترجم آنفاً بالمقال الآتي عن تاريخ ابن عساكر ننشره فيما يلي شاكرين له :

تاريخ دمشق لابن عساكر

«ونسخه في لندن»

كثيراً ما نقرأ في المجلات العلمية الاوربية اخباراً عن نسخ محفوظة في خزائن المشرق من الكتب النادرة الوجود ومما يكاد يكون مفقوداً على ما ظن العلماء ، وقل ان نجد تنبيهاً الى نسخ حفظت في مكاتب الغرب على حين لا ذكر لها في الفهارس المطبوعة .

ومن في الشرق يعرف ان في لندن اكثر من اربعة آلاف مخطوط عربي لا ذكر له في تلك الفهارس ، منها نحو ثلاثة آلاف في خزانة دار حكومة الهند (India Office) وهي بقية خزانة ملوك دهلي وقد وصلت هذه الكتب الى انكلترا منذ اكثر من سبعين سنة وما عدا هذا العدد الهائل ففي المتحف البريطاني نحو الف مخطوط عربي من خطوط اليد لا ذكر لها في الفهارس المطبوعة لانها وصلت بعد طبع الجزء الاخير من الفهرس ، وبين هذه النسخ من الفرائد لجزء من تاريخ الاسلام للذهبي بخط المؤلف وفيه صورة سماعه على المؤلف بخط صلاح الدين الصفدي ونسخة قديمة على الرق من كتاب البارع لابي علي القالي كتبت في بلنسية من بلاد الاندلس سنة ٤٠٥ وغير ذلك . ومن هذه المخطوطات اجزاء من تاريخ دمشق لابن عساكر . كتبت هذه السطور اصفها لاني لا اشك ان لابناء الشام اهتماماً بمعرفة هذه النسخ ورجائي ان لا يمر زمن بعيد حتى ينشر هذا التأليف المهم برمته وذلك بعناية علماء الشام ، وحتى يكون تنبيهي تاماً اذكر النسخ المحفوظة في المتحف البريطاني كلها سواء كانت مذكورة في الفهارس المطبوعة ام غير معلومة الى الآن وهي :

١ — رقم ٩٠٥٢ or — بخط القاسم بن عساكر وهو ابن المؤلف كتبها باملاء والده بخطه الرديء وفي اول كل جزء منها صورة السماع فيها اسماء العلماء الذين حضروا وقت الاملاء وبينهم اسم البرزالي العلامة المشهور الذي ذيل التاريخ بعد . ومن هذه النسخة (ولا شك النسخ مثل هذه هي الاصل) يظهر أسلوب التأليف كله فان هذا المجلد يشتمل

على الجزء الثالث والاربع المائة الى التاسع والاربع المائة وكل جزء يحتوي على كراسة في عشر اوراق فقط مع ان في الوجه الاول والآخر من كل جزء طباقاً فيها اسماء الحاضرين وقت القراءة واحد هذه الطباق بخط البرزالي ، الا ان الورقة الاولى من الجزء الاول قد نزعت فيما اظن بيد الخائن الذي سرق المجلد من بعض دور الاوقاف ليخفي اسم مالكها الحقيقي ، واول ترجمة في هذا المجلد ترجمة لَبَطَة بن الفرزدق لكنها مبتورة الاول لسبب سقوط الورقة الاولى كما اشرت اليه . وآخر ترجمة ، ترجمة محمد بن ادريس الامام الشافعي وهي تملأ الجزئين في آخر المجلد ولا ادري أهي كاملة ؟ .

٢ — رقم or ٨٩٧٣ — نسخة في ١١٦ ورقة مكتوبة بغاية الحسن والصحة بالخط الاندلسي وتحتوي على الجزء الـ ٤٣١ الى الجزء ٤٤٠ واول ترجمة لعبد الواحد بن زيد وآخرها لعبيدة بن أشعب ، وهي مكتوبة بخط البرزالي قال في آخر هذه النسخة : وافق الفراغ منتصف شهر ذي الحجة سنة اربع عشرة وستمائة بدار الحديث النبوي عمّرها الله بالسلام على يدي العبد الفقير الخاطئ الراجي عفو ربه محمد بن يوسف بن ابي يدّاس (بياء مثناة وتشديد الدال المهملة) البرزالي الاشبيلي الخ . وبعد هذا وقعت في هذه النسخة عدة طباق فيها صور السماع للاجزاء التي من الجزء الـ ٣١٤ الى ٣٢٠ ولكن لم يظهر سبب وجود هذه الطباق في هذا المجلد .

٣ — رقم Add ٢٣٣٥١ — مجلد ٢٨٩ ورقة ليس فيها تاريخ كتابته واول تراجمه ترجمة زيد بن صوحان بن حجر وآخرها ترجمة سعيد بن غريض بن عاديا بن اخي السموأل ابن عاديا ، وهذه النسخة جيدة واظن انها من القرن التاسع للهجرة ، هذه النسخة مذكورة في الفهرسة المطبوعة .

٤ — رقم Add ٢٣٣٥٢ — مجلد كتب في الوجه الاول من الورقة الاولى : الجزء الخامس من كتاب تاريخ دمشق حماها الله الخ تصنيف الحافظ الناقد ابي الحسن علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر . وتحتوي هذه النسخة على ٢٦٠ ورقة وخطها كخط النسخة التي قبلها واول التراجم ترجمة سعيد بن عطية ويقال سعد بن عطية ابن قيس الكلابي وآخرها سليم مولى زياد ، هذه النسخة مذكورة في الفهرسة المطبوعة .

٥ — رقم or ٩٢٦٠ — نسخة أخرى من هذا المجلد بعينه ولكنها اقدم عهداً من التي

سبقت الا ان فيهـا زيادة يسيرة في آخرها فان اول ترجمة لسعيد بن عطية كما مر وآخرها ترجمة سماك بن الاحوص الصوفي ، وهي في ٢٦٤ ورقة .

٦ — رقم Add ٢٣٣٥٣ — مجلد مبتور الاول ذو ١٥٢ ورقة واول تراجمه ترجمة ابي مجلز ولكن سقط اولها كما اشرت اليه وآخرها ترجمة يزيد بن الاصم وهو يزيد بن عمرو و يقال يزيد بن عبد عمرو بن عدس العامري . وفي ختام هذه النسخة : آخر الجزء (كذا) السابع والثلاثين من الاصل من تاريخ دمشق لابن عساكر وكان الفراغ منه يوم الاربعاء الحادي والعشرين من شهر المحرم سنة ... وسبعمائة على يد ابراهيم ابن عبد .... بن محمود الحنبلي الخ . وبعد هذا بخط مختلف : قوبل باصله المنقول ... بحسب الجهد والطاقة فصح ولله الحمد والمنة ، كتب علي بن عثمان الماردبني[1] لطف الله به .

٧ — رقم Add ٧٢٤٨ — مجلد قديم الخط ولكن لم تؤرخ كتابته يحتوي على ٢٨٤ ورقة واظن هذه النسخة من القرن التاسع للهجرة فيها اغلاط في ضبط الاسماء في مواضع مختلفة ولكنها ليست بالرديئة لان الكاتب كتب خطاً حسناً سهل القراءة . و يبتدئ هذا المجلد بترجمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وآخر التراجم ترجمة عمرو بن بحر الجاحظ ولمكانة هذه الترجمة انقلها بامرها في آخر هذه الرسالة ليرى القارئ من اين اخذ ياقوت في الارشاد وسائر المتأخرين الذين كتبوا في الجاحظ .

٨و٩ — رقم or ٨٠٤٥ — نسختان حديثتا العهد كتبتا سنة الف للهجرة تقريباً او بعدها وفيها يكثر الخطأ والتحريف والتصحيف . ولا يخفى على القارئ الحاذق وضع الصحيح في اكثر المواضع . ولاشك أن الجزء الاول نقل من نسخة مخرومة من اولها لان الكاتب بعد البسملة يبتدئ هكذا : أخبرنا ابو بكر بن عبد الباقي انبأنا ابو محمد الجوهري انبأنا ابو عمر بن حيّوَيْه انبأنا احمد بن علي الفقيه اخبرنا محمد بن سعد قال : في الطبقة الاولى ممن شهد بدراً مسعود بن اصرم الخ . ومن هذا يظهر ان الجزء يبتدئ في وسط من كانت كنيته ابو محمد ويؤيد هذا ما يأتي في الوجه الثاني فان اول ترجمة فيه لابي محمد

(١) لعلي بن عثمان هذا ترجمة في الدرر الكامنة قال فيها انه مات سنة ٧٥٠ ولم اجد ترجمة لكاتب هذا المجلد .

ابن ابي الأعيس عبد الرحمن الدمشقي ثم تجيء الكنى على نسق . وفي هذا الجزء ترجمة طويلة للمحدث الكبير ابي هريرة من ورقة ٣١ الى آخر الورقة ٥٦ . وبعد هذا تلي تراجم الابناء والالقاب وآخرها ترجمة الفرخ مولى بني أمية . اما الجزء الثاني فبخط غير خط الجزء الاول ولكن الخطأ فيه اكثر فان اول التراجم ترجمة الفرزدق الشاعر فكتب : الفرودق (كذا بالواو) الشاعر اسمه همام بن غالب تقدم ، وما كنت اظن انه يخفى على احد الكتاب لقب هذا الشاعر المفلق البعيد الصيت غرباً وشرقاً . وبعد فراغ الكنى يأتي ذكر من عُرف بالقرابة وبعد هذا ذكر المنسوبين الى القبائل والصفات وغير ذلك . وفي الورقة الرابعة : هذا باب ذكر من ذكرناه من المجهولين . وآخر باب في هذا الجزء ذكر النساء على ترتيب حروف المعجم الا ان آخر التراجم ترجمة حواء ام البشر وليست بكاملة لان النسخة تنتهي مع كلام آخر . ومن جهل ناسخ هذه النسخة ايضاً انه كتب في العنوان : الجزء الاول من تاريخ ابن عساكر وسمى المجلد الثاني الجزء الثاني وان كانتا من اواخر تأليف ابن عساكر .

هذا ما وقفت عليه من نسخ تاريخ ابن عساكر في لندن وفوق كل ذي علم عليم .

بكنهام (انكلترا) : كرينكو

(المجمع) اما ترجمة الجاحظ التي وعد بها المستشرق الفاضل فسننشرها في الجزء الآتي .

الكلمات غير القاموسية

جواب السيد قسطاكي الحمصي

على اقتراح الاستاذ « المغربي »

(الصنف الاول) انا من اشد المتمسكين به واسبق انصاره ٠

(الصنف الثاني) انا ايضاً من اشد انصاره ، غير ان المثالين اللذين جاء بهما الاستاذ يختلفان عما نحن فيه ، اذ ان اقرار العلامة اليازجي لفظ تخيم هو صحيح قياسي وان لم يذكر في المعاجم كما قال الاستاذ ولي على هذا اللفظ رسالة اثبت بها صحته بشهادة أئمة اللغة كابن قتيبة بل بكلام سيبويه نفسه ٠

واما لفظ صدفة فقد ورد في مقدمة نهج البلاغة خطأ وتسرّب الى قلم الامام من حيث لا يشعر ، لكثرة وروده على اقلام كتبة الجرائد والمجلات والكتب المصرية ، ولو تنبه عليه الامام لما تأخر لحة عن تصحيحه ، ولا سيما ان للصدفة معنى آخر وان المصادفة هي المقصودة في موضعها وهي الفصيحة كما هو معلوم فلا حاجة بنا الى استعمال العامي في مكان الفصيح ٠

ولهذا فلا بد لنا من تحديد عصر نقف عنده في مفتتح اجتهادنا هذا كأن نقول الى آخر القرن السادس الاسلامي او السابع ، اي اعتبار الالفاظ التي لم تكن معروفة عند العرب ووردت في كتابة فصحاء القرن السادس هي كالاصيلة ٠ وأريد بالتحديد لتقهقر الفصاحة بعد ذلك القرن كما هو معلوم ٠

(الصنف الثالث) لا أُدافع فيه لكثرة فشوّه على أقلام المتفننين والمحامين وادارات الحكومة ، واكثره مما استعمله او وضعه المستعربون من علماء الترك وكان كثير منهم على بينة من علوم العربية واطلاع واسع على فن الوضع ٠

(الصنف الرابع) هذا الضرب من اللفظ يجوز لنا قبول بعضه ورد بعضه ، مثال ذلك قول الاستاذ في لفظ خابره ، اذ ان هذا اللفظ لما كان مشتقاً من فعل خبر الذي هو الاصل وهو يشف بلفظه عن الخبر ، وقد فشا استعماله منذ زمن بين كتاب الجرائد والمجلات بمعنى راسله وكاتبه حتى انك لا تكاد تجد واحدة منها تضع احد هذين اللفظين

بدل خابره ، وكان كذلك فاشياً بين اهل التجارة والصناعة ، ولما كان لفظ المخابرة بمعنى المزارعة لم يبق معروفاً او مستعملاً عند الامم التي هي اليوم عماد البلاغة العربية بل بات من اللفظ المُمات ، ارى ان نجوّزه بالمعنى الجديد ونعدّه لفظاً لا غبار عليه . واما (تفرج) فلدينا من الافعال الفصيحة رأى ، وأبصر ، ونظر ، وشاهد ، وعاين ، واطّلع ، وأشرف ، وسرّح طرفه ، ومدّ بصره ، وقلب طرفه ، وأجال ناظره . وفي المتعدي أراه ، وأشهده ، وأطلعه عليه وغير ذلك . فهل بعد هذا من حاجة للفظ استعمله العامة في غير موضعه ؟ ومثل ذلك (احتار) فلا شافع لهذا اللفظ سوى عاميته وابتذاله ، ولا يجوز لنا الرضى به مع وجود (حار وتحير) اللفظين الفصيحين ، وليت شعري أيرضى أدعياء التجدد بقبولنا (تفرّج واحتار) برد ركاكاتهم كالتحبيذ ، والفنّان ، والتدليل ، والشخصية البارزة ، والتعضيد و . . . و . . . ؟

وعلى الجملة فجدير بالمجمع العلمي ان يخصص صفحة او غير صفحة من صفحات مجلته يستعرض بها الألفاظ التي يقترحها اعضاؤه وغيرهم من العلماء والادباء وارباب الأقلام حتى اذا مرّ على عرضها ثلاثة اعداد من المجلة ولم يعترض عليها احد اعتراضاً مرضياً ، أدرجها في عداد اللفظ المولد عند اهل هذا العصر وأزال عنها وصمة الخطإ والغلط .

(الصنف الخامس) هذا صنف يجب فيه الوضع وهو اعظم ما نحتاج اليه في هذا البحث . اما (البالون) فقد وضع له احد أدباء القرن الاخير لفظ منطاد واستعمله كثير من كتابه وكتاب هذا القرن ووضع الاستاذ العلامة احمد زكي باشا لفظ سيارة للاوتوموبيل ووضع غيره لفظ غوّاصة ورعّاد لغير ذلك وغيرها من الالفاظ فجدير بمجلة المجمع ان تحرص عليها وتبحث عنها لتضمها في رأس ما يوضع بعدها للمسميات الكثيرة التي تحت نظرنا وبين ايدينا ، وهنالك الفاظ كثيرة أعجمية لا يأباها قانون الوضع عندنا لخفة لفظها على لساننا كاذكرالاستاذ المقترح ، فهذه على المجمع ان يعرضها على صفحات المجلة حتى اذا مارضي عنها العلماء ضمها في سلك اللفظ العربي وطلب الى الجرائد السيارة استعمالها ولا كتاب الاقلام والالسن واغتنت بها اللغة ، وهذا كله لا يتم الا بما ذكرته من تواطؤ العلماء عليه ومن اولى واجدر بهذه الخدمة من المجمع العلمي .

(الصنف السادس) لا غبار عليه ما لم يكن عامياً مبتذلاً .

(الصنف السابع) مردود مرذول .

آراء وافكار

تاريخ بعض الفاظ

في مقالة سبق لي ارسالها الى هذه المجلة في الموضوع الذي تجاذب اهدابه الاستاذان ابرهيم منذر واحمد رضا ذهبت الى صحة لفظة (راتب) بمعنى رزق مرتب لانسان يأخذه كل شهر او كل سنة او كل يوم . وأذكر اني قلت انه من الرتوب بمعنى الاستمرار وان مثله لفظة (جارٍ) التي تستعمل في هذا المعنى ايضاً وهي نعت لمحذوف تقديره (رزق) او (عطاء) او ما أشبههما اي (رزق جارٍ) او (عطاء جارٍ) وقد وجدت ابن جبير الاندلسي يسمي مثل ذلك (إجراء) فيقول : « واجراءٌ يقوم به جميع مصالحه » صفحة ١٠ من رحلة ابن جبير . ويقول : « والاجراء على كل موضعٍ منها متصل » صفحة ١٩ .

ومنذ ايام عثرت في وفيات الاعيان لابن خلكان على لفظة راتب في المعنى الذي نستعمله اليوم وذلك في ترجمة الخليل بن احمد قال :

« وكان له راتب على سليمان بن حبيب بن المهلب بن ابي صفرة الازدي وكان والي فارس والأهواز فكتب اليه يستدعي حضوره فكتب اليه الخليل جوابه :

ابلغ سليمان اني عنه في سعةٍ وفي غنيً غير اني لست ذا مالِ
شحاً بنفسي اني لا ارى احداً يموت هزلاً ولا يبقى على حال

(مع ابيات أخرى) .

فقطع عنه سليمان الراتب فقال الخليل :

ان الذي شق فمي ضامن للرزق حتى يتوفاني
حرمتني مالاً قليلاً فما زادك في مالك حرماني

فبلغت سليمان فأقامته وأقعدته وكتب الى الخليل يعتذر اليه واضعف راتبه فقال الخليل :

وزلة يكثر الشيطان ان ذكرت منها التعجب جاءت من سليمانا

لا تعجبن لخير زل عن يده فالكوكب النحس يسقي الارض احيانا

اذاً الراتب قديم الاستعمال .

المناداة — حدثني احد تجار بيروت ممن كان لي معه اخذ وعطاء منذ عشرين سنة فاكثر ، انه ذهب مرة الى اسبانية فبينما هو في احدى مدنها رأى في السوق مكاناً غاصاً بالناس مكتوباً فوقه (Almonada) فلم يفهم معنى هذه الكلمة اولاً ودخل بين الجمع فرأى بضائع تباع ودلالاً ينادي وعلم انه في المحل الذي نسميه عامتنا « بالحراج» وتسمي الدلال «بالمحرج» — لعلهم اخذوها من التضييق والاحراج لان الدلال لا يزال يُلح ويصر في عرض السلعة الى ان يصرفها باحسن ثمن ممكن — وعند ذلك فطن لمعنى كلمة (Almonada) وعلم انها (المناداة) وان الاسبانيين اخذوها من العرب ووجه التسمية مناداة الدلال على السلعة . ومنذ ايام قلائل كنت أراجع مقامات بديع الزمان الهمذاني فعثرت على هذه اللفظة بهذا المعنى نفسه وذلك في المقامة المضيرية حيث يقول :

« الله اكبر لا ينبئك أصدق من نفسك ولا أقرب من امسك اشتريت هذا الحصير في المناداة وقد أُخرج من دور آل الفرات وقت المصادرات » .

فعلمت ان العرب كانوا يقولون « المناداة » لما نسميه اليوم « بالحراج » وان هذه اللفظة كانت تستعمل بهذا المعنى في هراة كما تستعمل في الاندلس .

المصادرات — ظهر من كلام بديع الزمان ان الكتّاب كانوا يستعملون المصادرة بمعنى تبليص الانسان من ماله كما نستعملها نحن اليوم . وفي لسان العرب يقول في مادة (صدر) : « ومن كلام كتّاب الدواوين ان يقال صودر فلان العامل على مالٍ يؤديه اي فورق على مالٍ ضمنه » واظن لفظة (فورق) هنا غلطة طبع وصوابها (فورف) كما رأيتها في تاج العروس في شرح القاموس اذ يقول :

« وصادره على كذا (من المال) طالبه به » .

ثم ينقل عبارة اللسان بعينها « ومن كلام كتاب الدواوين ان يقال صودر فلان

العامل على مال يؤديه اي قورف على مال ضمنه » .

واما اساس البلاغة فلم يذكر المصادرة بشيء من هذا المعنى .

وكذلك لم أجد لها ذكراً في مختار الصحاح ولا في المصباح .

وظاهر من سكوت بعض المعاجم عن ذكرها ومن قول البعض الآخر انها « من كلام كتاب الدواوين » ان اللفظة مولدة في هذا المعنى .

بقي ان لسان العرب والقاموس يقولان ان المصادرة هي المطالبة بالمال والحال ان الناس يستعملونها اليوم بمعنى نزع المال من يد صاحبه . فاذا قلت : صادر الوالي فلاناً او صادره في امواله كان المعنى انه ابتزّه اياها ولم يكن المعنى مجرّد الطلب .

والجملة التي لبديع الزمان — وبديع الزمان الهمذاني حجة بين اهل عصره — تفيد انه يفهم المصادرة بالمعنى الذي نفهمه نحن اليوم لانه يقول ان الحصير « اخرج من دور آل الفرات وقت المصادرات وزمن الغارات » فلو كانت المصادرة مجرد المطالبة لما اقترنت « بالغارات » ومجرد الطلب لا يخرج الحصير حتماً من الدور المذكورة .

و بالاختصار ارى استعمال « المصادرة » بمعنى اخذ اموال الوالي او اخذ الوالي اموال الرعية في كلام بديع الزمان توثيقاً لهذه اللفظة اكثر من ورودها في لسان العرب والقاموس .

الخوان — قالوا فيه انه شيء يؤكل عليه . وكنت أتخيّله بساطاً توضع عليه الجفان ولكني رأيت في هذه المقامة المضيرية نفسها ما علمت منه انه قد يكون له قوائم اي انه « كالاسكملة » .

فإن البديع يقول :

« تأمل بالله هذا الخوان وانظر الى عرض متنه وخفة وزنه وصلابة عوده وحسن شكله . قلت هذا الشكل فمتى الاكل . فقال الآن عجل ياغلام لكن الخوان قوائمه منه » وقبل هذه الجملة جملة يقول فيها :

« فأتى الغلام بالخوان وقلبه التاجر على المكان ونقره بالبنان وعجمه بالاسنان وقال عمر الله بغداذ فما اجود متاعها واظرف صنّاعها » .

فأنت ترى ان الخوان ليس بنسيج ولا ببساط ولا باديم بل هو شيء يُنقَر باليد ويعجم بالسن وانه يقوم على ارجل فهو اذاً من خشب او من معدن .

وهنا خطر ببالي جدال وقع منذ نحو ثلاثين سنة بيني وبين الطيب الذكر الشيخ ابرهيم اليازجي اللغوي المشهور . فقد كان انتقد احمد شوقي في الفاظ رددت انتقاده اياها فجرَّ ذلك الى مناقشة نال فيها مني عفا الله عنه وتعقبني في الفاظ وردت في كتابي « آخر بني سراج » ورددت عليه وتعقبته في بعض الفاظ جرى بها قلمه . ومما عابه عليّ استعمالي « النواقيس » بمعنى الأجراس . فقال ان الناقوس خشبة يقرع عليها قسيس النصارى يدعوهم بها الى الصلاة ولم يكن الناقوس جرساً من المعدن كما نتوهم .

فأجبته : نعم هذا تحديد الناقوس في كتب اللغة وانه لكما قلت غير ان التقيُّد بمثل هذه التحديدات التي تصف الاشياء على حالتها الاولية ليس بصواب .

فالناقوس عندما كان العرب في المضارب كان خشبة يقرع عليها القسيس فلما صار العرب الى الامصار والحواضر أطلقوه على الأجراس المعدنيـة الطنَّانة الرنانة لان ترقي المسمى من حال البداوة الى حال الحضـارة لا يستلزم تبديل اسمه . ولقد دخل العرب الى الاندلس وأثَّلوا فيها تلك المدنية الزاهرة الباهرة واستعملوا الناقوس بمعنى الجرس وقد غلب الناقوس على الجرس لافادة هذا القرع الذي يدعو به القسوس الى صلاتهم وذلك لان الجرس قد يكون في الكنيسة وفي غيرها واما الناقوس فهو خاص بالآلة التي يقرع بها في الكنيسة دعوة للنصارى الى الصلاة .

قلت يومئذٍ : واراكم تستعملون « الشباك » بمعنى الحديد الذي في النوافذ فهل تظن ان اصل الشباك في اللغة هو هذه القضبان او الحلقات الحديدية المشتبكة التي توضع في الطيقان . كلا . بل اصلها من قصب . فلما ترقى العمران صـار القصب حديداً وبقي الاسم على ما هو عليه .

قلت : وهل البيت في الاصل هو هذا المبني من الحجر والجير المسقوف بالجذوع والتراب ؟ كلا . بل هو في الاصل بيت الشعر .

وهلم جرّا .

فهذا الباب هو من الأبواب التي ينبغي الانتباه اليها والاعتماد عليها لان فيها توسيعاً لمجال التعبير بدون خروج عن اللغة ·

تبدى — جرى اخذ ورد في لفظة « تبدّى » بمعنى « بدا » وبعضهم يجيزها ويستشهد عليها بشعر جاهلي وبعضهم لا يجد لها مسوغاً · ويظهر ان ورودها بمعنى « بدا» في كلام الادباء مستفيض · وقد قرأت في الجزء الثالث من يتيمة الدهر للثعالبي قصائد مشهورة في صفة الفيل · فمنها قصيدة لعبد الصمد بن بابك يقول فيها :

وكأن عوداً عاطلاً   في صفحتيه اذا تبدّى

ومنها قصيدة لابي الحسن الجوهري يقول فيها :

تلقاه من بعد فتحـ   ـسبه غماماً قد تبدّى

(لوزان) : شكيب ارسلان
احد اعضاء المجمع

مطبوعات حديثة

التربية الوطنية

« تأليف السيد عبد العزيز البشري »

كتاب قيم في موضوعه وعبارته ، سهل في منحاه وأسلوبه · واذا كانت اللغة العربية في حاجة الى كتب توضع لمدارسها ، فهي الى مثل هذا الكتاب أحوج ماتكون ، لينشأ الصغار منذ اول حياتهم على المبادئ القومية ، وتنمو فيهم الروح الوطنية · لذلك كان فضل الاستاذ في اخراج هذا الكتاب ، فضلاً جزيلاً ، يستحق عليه شكراً جميلاً ·

على انه يؤخذ على المؤلف عفا الله عنه انه أودع كتابه هذا شيئاً من المصانعة كان خليقاً به ان يجنّب رجال الغد مدارستها ، مخافة ان ينشأ احدهم مداهناً مرائياً وهوا كثر ما نشكو سوء اثره فينا ؛ فالمداهنة داء وبيل ينبغي ان نعمل على القضاء عليه · وهو قبيح

بالكبار فكيف ان يلقنه الصغار على مقاعد الدرس · وليس يشفع بذلك انها زلفى (لمليك البلاد حامي ثغورها ، وحارس دستورها ···) على مايقول ··· عضو المجمع العلمي

عارف النكدي

سلطنة المغول

L' Empire Mongol

تأليف السيد لوسيان بوفا (Lucien Bouvat)

هذا الكتاب الفرنسي العبارة هو الجزء الثامن من (تاريخ العالم) الذي يعني بنشره المسيو كافانياك (Cavaignac) ·

يتناول موضوع هذا الجزء تاريخ المغول في عهد تيمور او تيمورلنك وخلفائه ، اي ما يعرف بالدولة التيمورية ·

ولقد بسط المؤلف حياة تيمور او تيمور الاعرج كما كان يسميه العرب والمّ بها من جميع مناحيها ، وعدد الدول التي تغلب عليها ، والبلدان التي اكتسحها ، وهي تكاد تشمل آسيا باسرها وجزءاً خطيراً من اوربا · وذكر اشياء عن كثير من هذه الأصقاع · ومرّ بكلمة عما سماه النهضة التيمورية وما كان فيها من الادب الفارسي ، والادب التركي وعلم الحقوق والتوحيد وسائر العلوم والفنون ·

وفي الكتاب فوائد تهم الغربيين الذين لا يعرفون الشرق ، والشرقيين الذين لا يعرفون كيف يكتب اهل الغرب عن اهل الشرق · عارف

المدرسة والاجتماع

مؤلف الكتاب الفيلسوف الاميركي (جون ديوي Gchon Dewey)

ومعربه السيد ديمتري قندلفت

يشمل هذا الكتاب ثمانية فصول فيها المفيد الجيد· منها : ان على القائمين بامر المدرسة

ان لا تقف همتهم عند اثر المدرسة في التلميذ ، بل عليهم ان يرموا بعمامهم الى اثر ابعد مدى من ذلك ، الى الامة نفسها .

وان التهذيب ينبغي ان يسير على سنة الاجتماع بحيث تتبدل اوضاع التربية المدرسية تبعًا للانقلابات الاجتماعية . وان توضع المناهج التعليمية وفقًا لحالة التلميذ وميوله .

ومما نعاه المؤلف على ارباب المدارس عزلهم مدارسهم عن العالم الخارجي الاجتماعي ، واعتمادهم في تعليم البنات على أسلوب عطل من المعاني الاجتماعية .

وتعرض المؤلف لما لعلم النفس من الشأن في تربية الولد الاجتماعية . وقابل بين علمي النفس القديم والحديث . وأشاد بذكر (روضة الاطفال) وأثرها في تعليم الاحداث تعليماً ترتاح اليه نفوسهم ، ونوّه بالوسائل التي من شأنها ان ترقي الانتباه والتفكير . ثم نقد الأسلوب المتبع في تدريس التاريخ ونبه الى المنهج الذي يرى ان يؤخذ به .

وفي الكتاب كما ترى آراء مفيدة عززها بامثال سديدة من الوجهتين العملية والنظرية .

وحبذا لو خلا هذا الكتاب من مثل ما جاء به الملخص في الصفحة الـ ١٨٦ نقلاً عن بعض الصحف الانكليزية استدلالاً على اثبات مسائل علمية . ولا أدري متى كانت ما يرد في الصحف الغربية يمكن ان يتخذ حجة على أعيان العرب ، ولا متى كانت الامور العلمية توثق بما يدرج في الجرائد اليومية . وعلى كل فان هذه العبارة دات في وضعها على السماجة . وفي نقلها على السذاجة . عارف

رسائل اخوان الصفا

« وخلان الوفاء »

في القرن الرابع الهجري ظهرت في العراق آثار جمعية خفية اسمها (اخوان الصفاء) كانت تؤلف رسائل في العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية التي كانت تمثل ثقافة ذلك العصر وتذيعها .

ما ذا كانت الغاية الاصلية لهذه الجمعية ؟ وكم كان عدد مؤسسيها ؟ والى كم بلغ

عدد المنتسبين اليهـا ؟ ذلك ما لم تكشفه جلياً الف السنة التي مرت على هذه الحادثة ! بل غاية ما يغلب على الظن ان المؤسسين بضعة رجال من علماء احدى الفرق الاسلاميـة التي عرفت بالاسماعيلية ممن درسوا الفلسفة اليونانية والحكمة الهندية فأضحوا مزيجاً من الفلسفة والتشيع والتصوف ، ارادوا اقامة مدرسة من هذا المزيج يكونون هم زعماءها ، لكنهم لم يجسروا على مفاجأة الناس بهذا الفكر الذي لا يرضي الفلاسفة ولا تجيزه جمهرة علماء الاسلام ، فعمدوا الى بث هذا التعليم بواسطة هذه المؤلفات موهمين ان لهم في فلسفتهم اتباعاً كثيرين في البلاد وقواماً عليها وانه يوشك ان يكون لهم الامر ، يريدون ان يستفيدوا من استياء الناس اذ ذاك من اختلال سياسة الحكومة ، حتى اذا تشربت افكار الطلبة بهذا المبدإ وصار لهم من أشياعه منعة اعلنوه وتولوا زعامته ، فحشوا هـذه الرسائل بالصحيح و بالباطل مما يروق اصناف الناس بحيث يجد فيهـا طالب الدين قرآناً وسنة ، وطالب الأخلاق ادباً وتصوفاً ، وطالب الدنيا كشف مخبآت وقراءة افكار وعلم مغيبات وسحراً وكهانةً وكيمياء ، يدلنا على ذلك انها لم تكتب بلسان يصلح لاهل كل فن من فن من العلوم التي فيها بل جعل أسلوبها مفهوماً لكل من له بعض الثقافة ، وانه لا يكاد يظهر اختلاف في أسلوب انشائها ، وانه لم يتم لهذا الحزب ما كان عازماً عليه لانه لو كان حصل له ما توخاه لكان برز من خفائه واعلن انه هو صـاحب تلك المدرسة ولكانت انتشرت هذه الرسائل انتشاراً عظيماً مع ان شيأ من ذلك لم يحدث حتى ان نسخ هذه الرسائل بقيت نادرة الى سنة ١٨١٢ ميلادية اذ طبعت مرة في الهند ثم بعد نحو ربع قرن طبع احد المستشرقين الالمان في برلين خلاصة لها ، ثم وجد لها احد الالمانيين ايضاً مختصراً فطبعه سنة ١٨٨٦ .

اما الآن فقد طبعت هذه الرسائل بالمطبعة العربية بمصر على نحو ما عرف من حسن حروفها وورقها في اربعة أجزاء من القطع الوسط تنيف صفحاتها على الف وسبعمائة وقد صدرت بمقدمة للاستاذ طه حسين ثم بخلاصة تاريخية جليلة التحقيق للعلامة احمد زكي باشا .

هذا الكتاب لم يوضع في الاصل ليكون كتاب درس تؤخذ عنه العلوم التي فيه بل ذكر فيه نبذ يسيرة من كل علم تشويقاً الى سائره وحثاً على الدخول في هذه الجمعيـة التي هي منبع هذه العلوم لمن أراد الارتواء منها ، ثم انه لحق كل علم منها تصحيح او تهـذيب

او ما اظهر زيفه وبطلانه ، لكنه بقي له مزية الآثار القديمة وكونه في حاله الحاضرة أحسن كتاب يعلم منه شأن هذه العلوم التي هي دائرة معارف القرن الرابع ذلك العصر العربي الزاهر ، وتعاليم هذه الفرقة ، وكثير من المصطلحات التي يمكننا ان نستعين بها فيما يعوزنا اليوم من لوازم الفنون الحديثة ، فنشكر للساعين بنشره ليقتنيه العلماء الذين طالما تشوقوا الى الاطلاع عليه ٠

لم يسلم طبع هذا الكتاب من غلط كان يجدر ان يحصي فيجمل له جداول خطأ وصواب فان منه ما لا يبادر الذهن الى معرفته ومنه ما هو واقع في آيات قرآنية لا ينبغي ان نبقي على ما هي عليه ٠

من ذلك في الجزء الاول صفحة ١٨٠ سطر١٨ (تحيتهم يوم يلقونه) صوابه (وتحيتهم فيها) ، وصفحة ٢٧٦ سطر١٨ (الا مرحبا) صوابه (لامرحبا) ، وصفحة٢٩٥ سطر٢٣ (وقال الذين لايعلمون) صوابه (قالوا) ، وصفحة ٢٩٦ سطر ٢ (اذ قال المسيح) صوابه (قال) او (قال عيسى ابن مريم للحواريين) الى غير ذلك ٠

وفي الجزء الثاني صفحة ١٢٠ سطر٢ (نبعث) صوابه (نحشر) ، وصفحة١٤٣ سطر٨ (الكشوث) صوابه (الكشوث) ، وصفحة٢٢٧ سطر١٠ (ليحطمنكم) صوابه (لايحطمنكم) وصفحة ٢٤٦ سطر١٩ (الزبير) صوابه (الزير) ، وصفحة ٢٨٧ سطر١٥ (علماء) صوابه (علما) وصفحة ٣١٣ سطر٦ (الكرو بين) صوابه (الكروبيين) وفيه (الاثنين) صوابه الاثير ، وصفحة ٣٥٩ سطر٩ (محلقة) صوابه (مخلقة و) الى غير ذلك ٠

وفي الجزء الثالث لفظ (الزئبر) بالموحدة قبل الراء فقد تصحفت بالياء المثناة وفسرت بحاشية هكذا : « الزئير يراد به هنا التكاثف والتضام من زأر البستان والغابة (كذا غلطاً عن الغابة) تضامت فروع اشجارهما » والصحيح ان قول الاصل في الصفحة ٢٣١ « صورة الزئبر جوهرية في القطن مقومة له عرضية في النبات متممة له فاذا بطل الزئبر بطل وجدان القطن » يعين ان الزئبر بالباء وهو الزغب الذي يكون في الثوب والخز والقطيفة ويقال فيه الزغبر ايضاً ، ولامعنى هنا للزئير بالياء ولا يؤول بالمعنى المجازي الذي للزأرة بمعنى الاجمة لزئير الاسد فيها ٠

وكذلك لا يصح ما جاء في حاشية الصفحة ٢٥٦ من هذا الجزء من تفسير (المريخ) بانه

(الرجل الأحمق او كثير الادهان المزهو بنفسه) لانه ليس هذا المعنى اللغوي هو المراد من قول الاصل : (واصحاب المريخ) بل المراد منهم الذين استولى المريخ — وهو الكوكب المعلوم — على مواليدهم فانهم يكونون اهل شرور كما سبق في احدى الرسائل المسماة برسالة مسقط النطفة .

وهكذا لا محل للتصحيح الوارد في حاشية الصفحة ٣٩١ على قول الاصل : (او خل مصاعد) من ان (الصواب ان يقول خل يصعد ، لان المصعد من الأشربة ما عولج بالنار حتى تحوّل عما هو عليه طعماً ولوناً والا كان ما في الاصل تحريفاً وكان الانسب ان يقال او خل فصاعداً) اذ المراد ان الخل المصعد اي المقطر يكون في لونه ولمسه كماء الورد مع انه مخالف عنه في الطعم والرائحة فلا تتعين ماهيته حتى يختبر بحاسة الذوق والشم .

وفي الجزء الرابع صفحة ١٣٠ حاشية على قول الاصل : (واما المكديون فانكالهم على الناس) من مكد أوكد والمعنى مهزومون ومغلوبون . لا يصح هذا المعنى هنا والصحيح انه من الكدية وهي سؤال الناس ، وصفحة ٢٠٢ سطر ٢٢ (غذاءنا) صوابه (غداءنا) ، وفي صفحة ٢٣٨ حاشية على قول الاصل (الدم والبلغم والمرتان) المرت من الارض القفر . ومثله في صفحة ٤٣٦ . والصحيح ان لفظ (المرتان) تثنية المرة وهي الصفراء والسوداء ، وفي صفحة ٢٨٦ سطر ١ (ولا) صوابه (حلالاً طيباً ولا) ، وفي صفحة ٣٢٨ سطر ٢ (هذا) صوابه (هذان) ، وفي صفحة ٤٤٣ حاشية مفسر فيها الأسرب بدخان الفضة والصحيح انه الرصاص ، وفي صفحة ٤٥٣ حاشية على قول الاصل (محارفاً مجدوداً) المحارف ذو الحرفة ونحو هذا في الصفحة ٢٥٩ . والصحيح هو الذي لا يأتي بخير كما هو معنى المحدود ايضاً الذي جاء غلطاً بالجيم فكان عكس المراد . وفي صفحة ٤٦٢ سطر ١٨ (ما خلقنا) صوابه) ما (خلقناهما) الى غير ذلك .

من اعضاء المجمع
مسعود الكواكبي

كتاب المفضليات

ما من منتسب للأدب الا يعرف المفضليات التي اختارها ابو العباس المفضل الضبي

من أشعار العرب للخليفة المهدي اذ كان ولي عهد المنصور العباسي ، فهي مطبوعة غير مرة باوضاع مختلفة ، والآن أهدي الينا نسخة من طبعة لها في المطبعة الرحمانية بمصر ، عني بضبطها ضبطاً كاملاً مع شرح وافٍ لكثير من ألفاظها ، الاستاذ حسن السندوبي ، وزينها بترجمة للضبي لم تعهد مجموعة من قبل بمثل هذا الاستيعاب ، فجاء هذا الكتاب النفيس في ذاته بثوب قشيب يجدر بكل اديب اقتناء نسخته هذه ، ولو كان عنده غيرها ، لهذه المزايا التي امتاز بها ، فشكراً للشارح والطابع . مسعود الكواكبي

كتاب
« المرءة في نظر الاسلام »

قال مؤلفه أستاذ اللغة العربية في مدرستي العلمانية وفرنسسكان بحلب ، انه يعرب عن حقوق المرءة في الاسلام وفي المحيط البشري ، وان فيه رداً على ما كتب في السفور ، وانه أخرج الآن منه هذه القطعة (في اربع وعشرين صفحة مطبوعة بالمطبعة العلمية بحلب) ليسهل ابتياعه وقراءته لدى الناس كافة لا سيما قسم العوام .

قد غلب على المؤلف أسلوب الحريري في مقاماته حتى احتاج الى تذييل الصفحات بحل كثير من الألفاظ ، وما هذا شأن ما يكتب في هذا الموضوع خصوصاً اذا أريد ان ان يكون اكثر قرائه العامة كما قال ، ثم انه قبل ان ينتهي من بيان ان المرءة المسلمة غير مبخوسة الحقوق اخذ يصف عسف بعض المسلمين بحقوق زوجاتهم و يروي في ذلك وقائع نقلاً عن أستاذه الشيخ كامل الغزي ، مما لا يلائم ما هو في صدد اقامة البرهان عليه ، بل يلقن مدعي ظلم المرءة المسلمة ما يحتجون به على مدعاهم ، فكان يحسن بالمؤلف ان يستمد من أستاذه المواد التي يجب ان يبحث عنها في مثل هذا المؤلف ، ثم يعرض عليه ما يكتبه ليهذبه و يخلصه من الخطإ اللغوي ، ثم يجتهد في إخلائه من غلط الطبع ، وعساه ان يفعل ذلك في سائر اجزاء الكتاب . مسعود الكواكبي

كتاب مفتاح السنة
— أو —
« تاريخ فنون الحديث »

تأليف الأستاذ « محمد عبد العزيز الخولي » مدرس الشريعة الاسلامية بمدرسة القضاء الشرعي بمصر ، طبع ثانية بزيادات على الاولى ، في المطبعة العربية بمصر في نحو مائة وسبعين صفحة ، وهو كاسمه يتضمن أبحاثاً في علم الحديث بمعناه الواسع من ذكر تاريخه وحكم السنة من حيث التشريع وبدء التأليف فيه والمؤلفين من أصحاب المسانيد فمن بعدهم من حفاظ وشارحين ومتكلمين على الغريب ورجال الحديث والناسخ والمنسوخ وبيان طبقات المحدثين وما في جميع ذلك من الكتب المعتبرة وفيه طائفة صالحة من الأحاديث المخرجة في كتب عديدة من أمهات كتب السنة ذكرت نموذجاً لها مرتبة على بعض أبواب الفقه ، وقد ذكر المؤلف ان من اهم مآخذه كتاب (توجيه النظر في اصول الاثر) للمرحوم العلامة الشيخ طاهر الجزائري ثم الدمشقي .

مطالعة هذا الكتاب تكفي للحصول على فكر موجز بهذا الفن الجليل ، فجزى الله المؤلف خيراً .

مسعود الكواكبي

كتاب
« بلوغ المرام من أدلة الأحكام »

هو من مؤلفات العلامة الحافظ الشهير ابن حجر ، جمع فيه طائفة صالحة من الاحاديث النبوية المتعلقة بالأحكام ، مرتبة على ابواب الفقه ، أعادت طبعه المطبعة السلفية بمصر ، وقف على طبعه ، وذيل صفحاته بشرح بعض الألفاظ وايضاح بعض الأحكام ، الاستاذ محمد حامد الفقي من علماء الأزهر ، وذكر في مقدمة له ندد بها على اختلافات الفقهاء : ان الطالب يستغني بقراءة هذا المؤلف عن كثير من المطولات ويؤدي عبادته على مقتضاه ، وهذا غير مسلم ، لان هذا الكتاب لا يكفي للاجتهاد ، ومع ذلك اذا جاز لمقلد ان

يترك مذهب امامه للعمل بهذه الأحاديث ، فانه يجد فيهـا بعض روايات لا يمكن الجمع بينها فيحار بأيها يأخذ ٠

هذا وفي السطر السابع من الصفحة الخامسة غلط وجدنا التنبيه عليه واجبًا لوقوعه في آية قرآنية وهو : (جاءهم العلم كفيا) صوابه (جاءتهم البينات بغيا) وفي السطر الذي بعده من الآية عينها : (اختُلف) صوابه (اختلفوا) ٠ مسعود الكواكبي

تقويم البشير

« عن سنة ١٩٢٩ طبع بالمطبعة الكاثوليكية في بيروت صفحة ٢٥٥ »

أهدتنا ادارة جريدة البشير في بيروت تقويمًا عن السنة الاربعين تأليف الاستاذ الاب لويس معلوف اليسوعي فرأيناه حافلاً بالفوائد التي يستفيد منهـا ابنـاء الكنيسة الشرقية والكنيسة اللاتينية خاصة ، ثم ابناء لبنان ثم سائر البلاد ، وفيـه تقويم السنين والايام والمقاييس والسكك والطرق ، ونبذة في تاريخ سورية روعي فيها مقتضى الحال وفوائد لا يستغني عنها مثل ذكر ارباب المقامات الدينية والسياسية في بلاد الانتداب ٠ فنشكر لمؤلفه هذا الدؤوب المتواصل في خدمة طائفته ٠ م ٠ ك

اردشير وحياة النفوس

« او برا خيالية ذات اربعة فصول تأليف الدكتور السيد احمد زكي ابوشادي »

يفضل الادب الغربي الادب العربي بصنوف منها فن التمثيل من حيث الانشاء والمسرح ٠ ومن ضروب هذا الفن الجميل النوع المسمى (او برا او مغناة) ٠ وهي رواية تمثيلية شعرية ملحنة موسيقية وهي أقدم الانواع التمثيلية و يرجع تاريخها الى ماقبل الميلاد بعصور ، وقد دخلت الكنيسة في القرن الخامس واعتكفت فيها عهداً طويلاً ولم تخرج الى المسرح العام الا في العصور المتأخرة ٠ ومن انواعها (الاو برت والاو براقوميك) فالاو برت مغناة صغيرة مبهجة مطلقة الموضوع يتساوى فيها الكلام الملحن والكلام

المرسل خلافاً لما هو الحال في المغناة الهزلية فان التلحين الموسيقي يقل فيها عن الكلام المرسل .

ومما يسرنا اننا بدأنا نشاهد الأدب العربي يفسح مجالاً في ميدانه في هذه الأعوام الأخيرة لغرس هذا النوع الأدبي الفتان الذي تتمثل فيه نفسيات الامم واجتماعياتها أفضل تمثيل . ولا غرو فانه قائم على أجل مشخصات الاجتماع : التاريخ ، والشعر ، والموسيقي ، والتمثيل . ومن خيرة ما وقع عليه نظري من المغنيات : « مغناة اردشير وحياة النفوس » .

وهي مغناة شعرية خيالية ذات اربعة فصول مقتبسة الموضوع من قصص الف ليلة وليلة نظمها الشاعر العصري المبدع الدكتور السيد احمد زكي ابوشادي بعدان تصرف بوضعها فجاءت حلية جديدة في جيد الأدب العربي وغادة حسناء يزهو بها المسرح المصري الذي تنظر اليه سائر المدن العربية بعين ملؤها الغبطة والإعجاب .

وقد صدر المؤلف هذه المغناة بكلمة أوضح فيها الأسباب التي دعته الى نظم هذه القصة والغاية التي يحرص عليها في تأليفه هذا وهي : (اولاً) المغزى الادبي ، (ثانياً) خدمة الشعر القصصي التمثيلي ، (ثالثاً) الدلالة على إمكان وضع القصص الطويلة في القوالب الشعرية العربية ، (رابعاً) خدمة [الاوبرا] العربية .

وقد أصاب المؤلف الأهداف الثلاثة الأخيرة وأخطأ الاول وهو المثل الأعلى الذي يتطلع اليه هذا الفن الجميل .

ان حياة النفوس قد مثلت في هذه الرواية دور السفاح والدعارة وكان من الواجب ان تظهر بمظهر العفاف والطهارة فلا تدع لاردشير مجالاً للرقود معها على فراش واحد وهما ثملان بخمرة العنب عدة ايام .

وكأني بالمؤلف قد توخى في تأليفه الحرص على اصل القصة فلم يشأ ان يحدث فيها تبديلاً كما انه حرص على تمثيل بعض الحوادث المخالفة للعنعنات والاحوال النفسية التي يحسن عرضها في النوع الهزلي ولا يستحسن في غيره . فمن ذلك :

خلع الخادم باب مقصورة الاميرة وهي نائمة وكسره القفل ليقدم اليها هدية والدها . وقد كان من الممكن ان يدخل اليها بينما تكون العجوز نائمة على باب الغرفة وباب الغرفة

غير مقفل سهواً فيجد حياة النفوس واردشير راقدين ....

ومنها حمل الاميرة والامير وهما راقدان في فراش واحد الى قاعة الملك ...

ومنها تردد الملك بقتلها بعد ان استل سيفه وسؤاله وزيره (ماذاتقول أياوزيري؟) اذ ليس من الطبيعي ان يتردد الملك بالضرب لا سيما والوزير يحبذ عمله ، كما انه غير طبيعي ان يحول احد الجانبين دون قتل الآخر من غير ان يقتل وكلاهما مقصود بالقتل . وحبذا لو ان المؤلف تصرف في هذا الموقف فجعل الملك مهاجماً والوزير مدافعاً يعمل بحكمة ورباطة جأش على إخماد سورة غضب الملك ومنعه من قتل ابنته والامير اردشير في الحال مقترحاً تسليمها الى الجلاد ....

اما من حيث التصنيف فقد عرض المؤلف اعمال الوزير ودهاء العجوز وقصة الحلم بالاخبار بجملة غامضة وأطال ختام الرواية بعد ان عرفت نتيجتها وقد كان الاقتضاب ابقى لتأثيرها في النفس .

اما الحلة الشعرية التي أودع المؤلف هذه المغناة فيها فهي رقيقة الحواشي جديدة المباني شفافة غامة سهلة ممتنعة .

فنحن نشكر للدكتور ابي شادي جهوده التي يبذلها لتعريب هذا النوع من الادب الغربي الذي سد به ثلمة كبيرة في جسم الأدب العربي والثقافة العربية .

عضو المجمع العلمي
الدكتور اسعد الحكيم

رواية الملكين

مغناة (اوبرا) صغيرة مدرسية نثرية شعرية ذات ثلاثة فصول ، الفها الاب الفاضل الخوري مارون غصن وهي تمثل حادثة ملكي اسرائيل داود وشاول وانتصار الحق على الباطل وان على الباغي تدور الدوائر .

وقد قرأت هذه المغناة فألفيتها من خيرة ما يكتب في هذا الباب إنشاء وتصنيفاً مما يستدعي لواضعها خالص الشكر وأطيب الثناء .

الدكتور اسعد الحكيم

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) نيسان : سنة ١٩٢٩ م الموافق شوال وذي القعدة سنة ١٣٤٧ هـ ١٠٠

اقدم كتاب في العالم على رأي

او جاويذان خرد

— ٢ —

ليس للدين عوض ، ولا للايام بدل ، ولا للنفس خلف ·

من كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان لم يسر ·

من[1] جمع السخاء والحياء فقد استجاد الازار والرداء ·

من لم يبال بالشكاية فقد اعترف بالدناءة ·

من استرجع هبته فقد استحكم اللؤم ·

اربعة اشياء القليل منها كثير : الوجع والفقر والعار والعداوة ·

من جهل (١٨) قدر نفسه فهو لقدر غيره أجهل ، من انف من عمل نفسه اضطرّ الى عمل غيره (و٢٣) ، من استنكف من ابويه فقد انتفى من الرشدة ، ومن لم يتصنّع عند نفسه لم يرتفع عند غيره ·

اذكرْ مع كل نعمة زوالها ، ومع كل بلية كشفها · فان ذلك أبقى للنعمة وأسلم من البطر وأقرب الى الفرج[2] ·

---

(١) من هنا الى قوله (الى عمل غيره) ليس في ت · (٢) بعده في ت (و٢٤) من جمع السخاء والحياء فقد استجاد الإزار والرداء ومن لم يبال بالشكاية اعترف بالدناءة ومن استرجع في هبته فقد استحكم اللؤم · اربعة اشياء القليل منها كثير : الوجع والفقر والنار والعداوة ·

اذا لم يكن العدل غالبًا على الجَور لم يزل يحدُث ألوان البلاء والآفات ·

ليس شيء لتغيير نعمة وتعجيل نقمة أقرب من الاقامة على الظلم ·

الأمل قاطع من كل خير وترك الطمع مانع من كل خوف والصبر صائر الى كل ظفر والنفس داعية الى كل شرّ ·

باستصلاح المعاش يصلح امر العباد ، وبصدق التوكل يستحق الرزق ، و بالاستخلاص يستحق الجزاء ، و بسلامة الصدر توضع المحبة في(١٩)القلب ، و بالكف عن المحارم ينال رضى الرب ، و بالحكمة يكشف غطاء العلم ، ومع الرضى يطيب العيش ، و بالعقول تنال ذروة الامور ، وعند نزول البلاء تظهر فضائل الانسان ، وعند طول الغيبة يظهر مواساة الإخوان ، وعند الخبرة يستكشف عقول الرجال ، و بالاسفار يختبر الاخلاق ، ومع الضيق يبدو السخاء ، وفي الغضب يعرف صدق الرجال ، و بالإيثار على النفوس تملك الرقاب ، و بالأدب الصالح يلهم العلم ، وبترك الخطإ يُسلم من العيوب ، و بالزهد تقام الحكمة ، و بالتوفيق تحرز الأعمال ، وعند الغايات تظهر العزائم ، وبصاحب الصدق يُتقوّى على الامور ، و بالملاقاة يكون ازدياد المودّات ، ومع الزهد في الدنيا (٢٠) يثبت المواخاة ، ومن الوفاء دوام المواصلة ، ومن قبول[1] رشد العالم ركوب مطية العلم ، ومن استقامة النية اختيار صحبة الأبرار ، ومن[2] مصاحبة الغرور ركوب البحر ، ومن عز النفس لزوم القناعة ، ومن سلطان اليقين[3] التجلد على من يطمع في دينك[4] ، ومن الدخول في كامن[5] الصدق الوقوع[6] على ما لا تعرفه العوامّ ، ومن حب الصحة[7] الانقطاع عن الشهوات ، ومن خوف المعاد[8] الانصراف عن السيئات ، ومن طلب الفضول الوقوع في البلايا ، ومن لم تجد للاساءة اليه مضضا لم تجد للاحسان عنده موقعا ·

من جهل قدر نفسه فالناس لقدره أجهل من أنف من عمل نفسه اضطُرّ الى عمل غيره · (و٢٦) من ركوب رشد العالم ركوب مطيـة العلم الخ · والورقة الـ ٢٥ ساقطة من أم الاصل فليس ثم في الاصل علامة على سقوطها ·

(١) ت ركوب · (٢) ليست هذه الجملة في ت · (٣) ت النفس · (٤) ت دمك · (٥) ت مكان وهو الصواب · (٦) ت الوقوف وهو الصواب · (٧) ت الجنة · (٨) ت النار ·

قطيعة الجاهل تعدل صلة [١] العاقل ·

الحسود لا يسود ·

مُنازع الحق مخصوم ·

أولى الناس بالفضل أعودهم بفضله ·

أعون الاشياء (٢١) على تزكية العقل التعلم [٢] وأدل الأشياء على عقل العاقل حسن التدبير ·

المستشير متحصّن عن السقط ، المستبد مشهور في الغلط ·

من ألبسه الحياء ثوبه غطّى عن الناس عيبه ·

أحسن الآداب ان لا يفخر المرء بادبه ، ولا يظهر القدرة على من لا قدرة له عليه ، ولا يتوانى في العلم اذا طلبه ·

ثلاثة ضروب من الناس لا يستوحشون في غربة ولا يقصّر بهم عن مكرمة : الشجاع حيثما توجه فان بالناس حاجة الى شجاعته و بأسه ، والعالم فان بالناس حاجة الى علمه [٣] ، والحلو اللسان الظاهر البيان فان [٤] الكلمة تجوّز له بحلاوة لسانه ولين كلامه فان لم تعطَوْا في انفسكم رباطة الجأش وجراءة الصدر فلا يفوتنكم (٢٢) العلم وقراءة الكتب فانه علم وأدب قد قيّده لكم من مضى من قبلكم تزدادون به عقلاً [٥] ·

اجعل الحلم عُدّة للسفيه ·

ثم قال ابو عثمان الجاحظ : قال الحسن بن سهل اخو ذي الرياستين الفضل بن سهل

---

(١) ت وصل · (٢) في ت الى هنا آخر الورقة الـ ٢٦ ثم يتلوها الورقة الـ ٣٠ فهنا في أمّ الاصل خرم مقدار ثلاثة اوراق ثم (و ٣٠) العلم برشدك وترك ادّعائه ينفي عنك الحسد والمنطق يبلغ بك حاجتك والصمت يكسبك المحبة وانت في الاستماع اكثر فائدة أحسن الأدب ان لا يفخر المرء بادبه الخ .

(٣) ت الى علمه وفهمه · (٤) ت فان الكلام منه يجوز له ؟ (٥) ت لتزدادوا به عقلاً ومهارة (؟) وفهماً · و بالله التوفيق · تم الموجود من ذلك على الوفاء والتمام وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب ·

فهـذا ما تهيأ لنا ترجمته من الأوراق التي اخذناها من كتاب (جاويذان خِرَد) على انا أسقطنا الكثير منهـا لانقطاع آخر الكلام عن اوله لان ذو بان لم تسمح نفسه بدفع الاوراق الينا على الولاء والنظم والتأليف وتركنا سائرها اذ لم يكن لنا مطمع فيها ومن لم يتعظ بالقليل لم ينفعه الكثير · وفيما أوردناه غنىً وكفاية وبلاغ لمن أراد الانتفاع به · والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وسلم ·

(٢٣) حكى ابو عثمان الجاحظ خبر هذا الكتاب في كتابه المسمى (استطالة الفهم) فقـال حدثني الواقدي قال قال لي الفضل بن سهل : لما دُعي للمأمون بكُوَر خراسان بالخلافة (١) وجاءتنا هدايا الملوك ووجّه ملك كابلستان بشيخ يقال له ذو بان وكتب يذكر انه وجّه بهدية ليس في الارض أسنى ولا أرفع ولا أنبل ولا أفخر منها فعجب (٢) المأمون وقال سل الشيخ ما معه من الهدايا فسألتـه فقال ما معي شيء اكثر (٣) من علمي قلت فأي شيء علمك فقال (٤) تدبير ورأي ودلالة · فأمر المأمون بانزاله واكرامه وكتمان أمره ، فلما أجمع على التوجه الى العراق (٥) لقتـال اخيه محمد فقال رأي مصيب وملك

---

(١) ت تحاماه الملوك وسرّوا بمكانه من الولاية ووجّه ملك الجبل — وفي الترجمة كابل كما هنا · (٢) فأعجب المأمون بذلك وقال لي الخ · (٣) ت اكبر · (٤) ت رأي ينفع ودلالة تجمع وتدبير يقطع · (٥) ت العراق بعث الى الشيخ فقال ما ترى في التوجه الى العراق قال رأي وامر رسو (لعلها وثيق) وحزم مصيب وملك قريب والسر ماض · فاقض ما أنت قاض · قال فمن نوجه على مقدمتنـا قال العير الأعور ، الطاهر المطهّر ، يسير ولا يفتر ، قويٌّ مرهوب ، غلوب غير مغلوب · قال فكم نوجّه معه من الجنـد : قال أربعة آلاف · صوارم الأسياف طوال الرماح لا ينقصون في العدد ، ولا يحتاجون الى المدد · قالـــ فما رأيت المأمون سُرّ سروراً كسروره ذلك اليوم ، ووجّه طاهر ابن الحسين · فلما تهيأ للخروج سأل ذو بان في اي وقت يخرج من النهار ؟ قال يخرج بعد طلوع الفجر يجتمع له الامر ويصير الى النصر ، فخرج في الوقت · فلما كتب طاهر بذكر مقدمه دعا المأمون بذو بان وقالـــ له قد قرب صاحبنا من العدو وقربوا منه فهل عندك دلالة او عليه بينة · قال نعم قد تعرّفتُ ذلك من شأنه ، اذا صار الى فسطاته ،

قريب . ثم حكى الجاحظ عن ذو بان باسناده انه كان (٢٤) يسجع سجاعة الكهان ويصيب في كل ما يسأله المأمون . فلما ورد كتاب فتح العراق عليه دعا بذو بان وأكرمه وامر له بمائة الف درهم . فلم يقبلها وقال أيها الملك ان ملكي لم يوجهني اليك [1] لأنتقصك فلا تجعل ردّي نعمتك تسخطاً [2] فاني لست أردّها عن استصغار لقدرها وسوف أقبل منك ما يفي بهذا المال ويزيد وهو كتاب يوجد في الخزائن تحت الإيوان بالمدائن . فلما قدم المأمون بغداد واستقرّت به دار ملكه اقتضاه ذو بان حاجته . فأمر بان يكتب الصفة ويذكر الموضع — فكتبه [3] ذو بان وعيّن على الموضع وقال اذا بلغت الحجر ووصلتَ الى الساحة فاقلعها تجد الحاجة فخذها ولا تعرض لغيرها فيلزمك (٢٥) غِبُّ ضَيْرها فوجه المأمون في ذلك رسولاً حصيفاً فوجد هناك صندوقاً صغيراً من زجاج أسود وعليه قفل منه [4] وأدخل يده فأخرج خرقة ديباج ونثرها فسقط منها أوراق

(صوابه قُسْطانة بلدة على مرحلة من الري على طريق ساوة) فحينئذ يكون نصر مربع يفرّق تلك الجموع بقتل ذربع ، والنصر له لا عليه . فلما كتب طاهر بقتل علي بن عيسى وكذلك استيلائه على عسكره وأمواله وحسن ما أولاه الله عز وجل من النصر والظفر دعا المأمون بذو بان وامر له بعشرة آلاف دينار الخ . فهذه هي أسجاع ذو بان التي أغفل عنها ابن مسكويه .

(١) ت هدية لأنقصك . (٢) ت سخطاً لك . قال فلا بد من قبض الهدية اومسألتي حاجةً قال اما هذا فنعم كتاباً من كتبنا لا يوجد الا بالعراق فيه مكارم الأخلاق وعلوم الآفاق من كتب عظيم الفرس فيه شفاء النفس من صنوف الآداب مما ليس في كتاب عند عاقل لبيب اوفطن أديب يوجد في الخزائن الخ . (٣) ت فكتب صِرْ الى وسط الإيوان بلا زيادة ولا نقصان واجعل القسمة بالذرعان ثم احفر المدر واقلع الحجر فاذا وصلت الى الساحة فاقلعها تجد الحاجة فخذها ولا تتعرض لغيرها الخ . (٤) ت منه فحمله وردّ الحفر الى حاله الاول قال فحدثني الفضل بن سهل قال اني لعند المأمون اذ دخل ذلك الصندوق عليه فجعل يتعجب منه فدعا بذو بان فقال أهذه بغيتك . قال نعم أيها الملك قال فخذها وانصرف ولا تفتحه بين ايدينا . قال ذو بان أيها الملك لستَ ممن تنقضه رغبته زمام عهده ولا تحل طعمته (؟ طُعْمته) عقد وفائه . ثم تكلم بلسانه ونفخ في القفل فانفتح وادخل يده الخ .

فعدّها فاذا هي مائة ورقة ثم نفض الصندوق فلم يكن فيه سوى الأوراق فردّ الاوراق الى الخرقة وحملها ونهض (٢٦) ثم قال أيها الملك هذا الصندوق يصلح لخبيئات(١) خزائنك فأمر به فرُفع . قال الحسن(٢) بن سهل فقلت يرى امير المؤمنين ان أسأله(٣) ما في الكتاب ؟ . فقال ياحسن أفرّ من اللؤم ثم ارجع اليه(٤) . فلما خرج صرت اليه في منزله فسألته(٥) عنه فقال هذا كتاب (جاويذان خرد) أخرجه(٦) (كنجور وزيرملك ايرانشهر(٧)) من الحكمة القديمة . فقلت أعطني ورقة منه أنظر فيها . فأعطاني فأجلت

---

(١) ت لرفيع خبيئات الخ . (٢) ت الفضل بن الخ . (٣) ت عن هذا الكتاب وما الذي فيه قال يافضل أفرّ الخ . (٤) ت اليه أمرته ان لايفتحه بين ايدينا قطعاً للطمع فيه ثم أطلبه بالمسألة عند تجديد (؟ تجدد) الرغبة فيه والله لا كان هذا ابداً . قال الفضل بن سهل فلما الخ . اقول قوله افرّ الخ يدل على انه تقدم بعدم مسألة ذو بان مع ان ابن مسكويه قد ترك تلك العبارة عن ت في الحاشية . فهذا صريح في ان تشحيذ الأذهان هي اصل كتاب ابن مسكويه . (٥) ت عن ذلك مسألة غير راغب فيه فقال الخ . (٦) ت تأليف كنجور . (٧) بعده في ت وذلك انه كان بعض الأكاسرة زاهداً في الكتب والأدب زائغاً منها متكبراً عن النظر فيها متعظماً عن الاشتغال بشيء منها وكان له وزير يقال له كنجور بن إسفنديار فصنع ترجمة كتاب ولم يُعلمه احد[ا] وجعلها في رقّ وألقاه الى الملك وكان الترجمة « هذا كتاب تصفية الأذهان ونفاذ الفكر وشحذ القلوب من تأليف واضع (الأصل واضح) عمود الحكمة » فلما نظر الملك الى هذه الترجمة شغفه حبها فقال لكنجور لقد علمت ان هذه الترجمة قد غلبت على هواي وقادت عزمي وبعثت رأيي على طلب هذا الكتاب فاسأل عنه سؤالاً حفياً يرجع بجلية الخبر وابعث الأدلاء في تفتيش منازل الحكماء فان وجد في شيء من مملكتي كنت اولى الناس باصطناع صاحبه وأدات(؟) من قرابته وان وصف انه في شيء من أقاليم الروم والهند كتبت الى ملك ذلك الاقليم وسألته ان يمن عليّ بدفع نسخة منه اليّ وكافأت مهديه مكافأة مثلي على وجوب (لعلها وجود) طلبته . فقال كنجور لست أغفل عن ذلك ايها الملك باستفراغ مجهودي والله المعين وصار الى منزله فلم يخرج حتى وضع هذا الكتاب وهو من أنبل كتب العجم فقلت له اعطني الخ .

فيها نظري وأحضرت لها ذهني فلم أزدد مما فيهـا الا بُعداً فدعوت بالخضر [١] بن علي وذلك في صدر النهار فلم ينتصف حتى فرغ من قراءتهـا بينه وبين نفسه ثم اخذ يفسرها وانا اكتب ثم رددتُ الورقة واخذتُ منه أخرى والخضر [١] عنـدي فجعل يفسر وانا اكتب حتى اخذتُ منه (٢٧) نحواً من ثلاثين ورقة وانصرفتُ في ذلك اليوم ثم دخلت يوماً عليه فقلت يا ذوبان هل يكون في الدنيا [٢] أحسن من هذا العلم . فقال لولا ان العلم مضنونٌ به وهو سبيل الدنيا والآخرة لرأيت ان أدفعه اليك بتمامه ولكن لا سبيل الى اكثر مما اخذت . ولم تكن [٣] الاوراق التي اخذتها على التأليف [٤] لانها تتضمن اموراً لا يمكن إخراجها . فحدثني الحسن بن سهل قال قال لي المأمون يوماً اي كتب العرب أنبل وأفضل [٥] فجعلت أعدد كتب المغازي والتواريخ حتى ذكرتُ تفسير القرآن . فقال كلام الله لا يشبهه شيء ثم قال اي كتب العجم أشرف فذكرت كثيراً منها ثم قلت كتاب (جاو يذان خرد) يا أمير المؤمنين فدعا بفهرست كتبـه وجعل يقلبه (٢٨) فلم ير لهذا الكتاب ذكراً فقال كيف يسقط ذكر هذا الكتاب عن الفهرست . فقلت يا أمير المؤمنين هذا هو كتاب ذوبان وقد كتبت بعضه . قال فأتني به الساعة فوجهت في حمله فوافاه الرسول وقد نهض للصلاة فلما رآني مقبلاً والكتاب معي انحرف عن القبلة واخذ يقرأ الكتاب [٦] فلما فرغ من

(١) ت بالخليل فقط هنا وفيما يأتي . (٢) ت من يحسن مثل هذا الكتاب . فقال يجوز ان يكون فيها من يحسن ترجمة هذا الكتاب ولا يجوز ان يكون فيها ان (؟ من) يحسن مثل هذا الكتاب . فقلت هل نعرف الذي يترجمه . قال نعم وأصفه لك قال هو طُوال أنزع اذا تكلم يتمتع يخرج منه كلام هو فيه إمام يفوق اهل زمانه عما يرتفع من تبيانه اسمه الخليل يقوم بامر جليل لو كان له عمر طويل ولولا العلم سبيل الدنيا والآخرة وهو الكرامة الفاخرة ، ومن معرفة قدره الظن (؟ الضن) به لرأيت ان أدفعه الخ . (٣) ت قال الفضل بن سهل ولم تكن الخ . (٤) ت والنظم غير انا كتبنا أبواباً يشهد لها القلوب بحقيقة الصحة وتحلف لها الألسن بغاية النهاية . قال الفضل بن سهل قال لي المأمون يوماً الخ . (٥) قلت المبتدى (كذا) قال لا قلت فالمغازي . قال لا قلت فالتاريخ . قال لا فسكتُّ . قال تفسير القرآن لان كلام العرب (؟ لعله الرب) لا شبيه له وتفسيره لا شبيه له . ثم قال فأي كتب العجم الخ . (٦) ت وكلما فرغ الخ .

وصل قال لااله الاالله فلما طال[1] ذلك قلت ياأميرالمؤمنين الصلوة تفوت وهذا لا يفوت فقال صدقت ولكن أخاف السهو في صلاتي لاشتغال قلبي به[2] ثم صلى وعاود قراءته ثم قال اين تمامه قلت لم يدفعه اليّ فقال لولاان العهد حبل طرفه بيد الله وطرفه (الآخر) بيدي لاخذته منه فهذا والله الحكمة لا ما نحن فيه من ليّ ألسنتنا في فجوات أشداقنا (٢٩) .

قال الاستاذ ابوعلي احمد بن مسكويه : (أدام الله علوّه) فهذا آخر كتاب أوشهنج وخبره مع ذوبان وقد سمعت شغف المأمون به وبخل الناس بما تضمنه وستسمع مما أضفناه اليه ما لا يخفى زيادة حسنه عليه من قرائح الحكماء ونتائج أفكارهم واتفاقهم مع تباعد أقطارهم .

وأبدأ بكلام أفتتح بذلك دفائن الحكماء وأسرارهم وأغراضهم لتؤمه بفكرك وتسلك طريقه حتى يؤديك الى مقصدك ولا تعدل عنه فتضل وتقع في التيه الذي لاآخر له فان الطريق اذا كان قصداً قرب الوصول منه الى الغرض الاقصى واذا كان غير قصد فكلما زاد إمعاناً فيه ازداد من غرضه بُعداً ، وأسأل الله الذي بيده مفاتح الخيرات العصمة والتوفيق وهو حسبنا (٣٠) ونعم الوكيل .

فأقول كل انسان يحب نفسه وكل من أحب شيأ أحب ان يحسن اليه فليت شعري عمن لا يعرف نفسه كيف يحسن اليها ومن لا يعرف طريق الاحسان كيف يسلكه . ولقد سمعت وزيراً من وزراء عصرنا وقد أقام لنفسه وظيفة استقرّ فيها طباخه وصاحب شرابه وزيّن مجلسه كل يوم بريحان الوقت وفاكهته وأحضر اليوم الذي دعاني فيه من أغانيه ما كان يعجبه ويطرّب له فقال في عرض كلامه ان عشت فسأحسن الى نفسي . فتدبرت كلامه وفعاله واذا هو لا يدري كيف يحسن الى نفسه ولا يفرّق بين الاحسان الى بدنه بركوب الشهوات وبين الاحسان الى نفسه بمعرفة الحقائق والتقرب الى الله عزّ وجل بانواع القُربات (٣١)

(١) ت طال عليه قعد وجعل يقرأه فقلت الصلوة الخ . (٢) ت بلذيذ ما في هذا الكتاب وماأجد للسهو حائلاً الاذكرت الموت وجعل يقرأ « انك ميت وانهم ميتون » ثم وضع الكتاب وقام وكبّر فلما فرغ من صلاته نظر فيه حتى اتى [على] آخره ثم قال فأين تمامه الخ قال الفضل بن سهل وهذا صدر الكتاب من الله المبتدا واليه المنتهى الى آخر ما يوجد من الكتاب .

فكان من عاقبة امره ان حسده نظراؤه فأزالوه عن موضعه ونكبوه في نعمته وأشمتوا به أعداءه ثم وقع في أمراض لم يجنها عليه الا انهما كه في مطعمه ومشربه وتمكنه من نيل لذّاته ٠

ثم أقول ايضاً لو كانت معرفة النفس امراً سهلاً ماتعبت بها الحكماء ولا تبرّمت بها الجهال ولما أنزل في الوحي القديم (يا إنسان اعرف ذاتك) وقد قال الله عزّ من قائل في محكم كتابه (ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك) الى آخرالآية ٠ وروينا في الخبر الصحيح ان من عرف نفسه عرف ربه ٠ وفي حديث آخر من عرف ربه لم يشقَ ٠ وقال المسيح عليه السلام بماذا نفع امرؤ نفسه ؟ باعها بجميع ما في الدنيا ثم ترك ما باعها به ميراثاً لغيره (٣٢) وأهلك نفسه ولكن طوبى لامرىء خلّص نفسه واختارها على جميع الدنيا ٠ وفي الوحي القديم من لم يعرف نفسه مادامت في جسده فلا سبيل له الى معرفتها بعد مفارقتها جسده ، من لم يتفكر في كل شيء خفي عليه كل شيء ، من لم يعرف معدن الشر لم يقدر على النجاة منه ٠

اعلم ان الأفلاك المختلفة دائرة بالحركات المختلفة للعلل المعروفة عند الراسخين في العلم فلذلك يقع التضادّ بين الخلق في عالمنا هذا ولا يقع هناك تضادٌ البتة ٠ والكون والفساد لاحق بعالم النشء والبلى وليس هناك كون ولافساد فرياح الآفات تهبُّ عندنا بالهلكات وتتبعها الزلازل والرجفات ولا سبيل الى الاحتراس منها الا بالهرب منها الى (٣٣) حيث لا يلحقها شيءٌ من مكروهها ٠

تمييز الباقي من الفاني أشرف النظر ، اطّراح المؤَن أشرف قنية ، نظر النفس للنفس هو العناية بالنفس ، ردع النفس للنفس هو العلاج للنفس ، عشق النفس للنفس هو المرض للنفس ، النفس العزيزة هي التي لا تؤثر فيها النكبات ، النفس الكريمة هي التي لا تثقل عليها المؤونات ، ولاتصديق بما لا برهان عليه ، الكذب فضّاح ، والكاذب يستشهد ابداً بالحلف ، لسان العلم الصدق ، من عدِم الفهم عن الله عزّ وجل لم يجز ان يستمع موعظة حكيم ٠

فهذه جمل نحكمها قبل تفصيلها بالجزئيات ٠ ولولا انا قد أحكمنا لك الاصول كلها في كتابنا الموسوم بـ (تهذيب الأخلاق) لأوجبنا لك ايرادها (٣٤) ههنا ولكن هذا

كتاب غرضنا فيه ايراد جزئيات الآداب بمواعظ الحكماء من كل أمة وكل نحلة وتبعنا فيه صاحب كتاب (جاويذان خرد) كما وعدناك به في اوله . ولأن الموضوع الاول كتاب فارسي فوجب ان نبدأ اولاً بآداب الفرس ومواعظهم ثم نتبعها بآداب الأمم الآخرين .

فمن ذلك مواعظ آذر باد .

« ثم أتبعه بهذه الأبواب والفصول نترى (٣) مااخترته منآداب بزرجمهر (٤) حكم تؤثر عن انوشروان (٥) جوابات كسرى (٦) نسخة كتاب وصية لبزرجمهر الى كسرى لما سأله ذلك (٧) مجلس العلماء بحضرة بهمن (٨) وقال حكيم الفرس آذر باد (٩) صدر من كلام حكيم آخر فارسي (١٠) وصية أخرى للفرس (١١) فصل — (١٢) فصل من كلام حكيم آخر (١٣) ومما يؤثر من حكم الهند (١٤) ومن حكم العرب (١٥) مايؤثر عن امير المؤمنين علي عليه السلام وعن غيره (١٦) ما اخترته من وصايا لقمان لابنه — وهو آخر الموجود بالنسخة التي سقطنا عليها وهي عتيقة جميلة تنتهي على ص ٢٤٨ » .

(المجمع) لعل هذه الرسالة من اوضاع الشعوبيين الذين كانوا يعظمون من شأن الفرس وتقديمهم . وتهوين امر العرب وعلومهم .

ترجمة (١)

عمرو بن بحر بن محبوب ابي عثمان البصري المعروف بالجاحظ

« منقولة عن تاريخ ابن عساكر من النسخة المحفوظة في المتحف البريطاني »

« رقم Add ٧٢٤٨ »

حدث عن حجاج بن محمد الأحور(٢) المصيصي(٣) وابي يوسف يعقوب بن ابراهيم القاضي(٤) وثمامة بن أشرس النميري المتكلم (٥) . حكى عنه ابو سعيد الحسن بن علي العدوي(٦) وابوبكر عبدالله بن ابي داود(٧) ودعامة بن الجهم(٨) وابوالعباس محمد بن يزيد المبرّد الازدي (٩) ويموت بن المزرّع (١٠) وابوالعيناء محمد بن القاسم (١١) وابودُاَف

(١) (المجمع) هذه الترجمة هي الموعود بها في العدد الماضي ارسل بها الينا الاستاذ المستشرق الفاضل ف كرنكو والهوامش التي عليها له . وقد رأينا من الفائدة ان نعارض ترجمة الجاحظ المنسوخة من النسخة اللندنية بترجمته في نسخة المجمع المحفوظة بدار الكتب العربية بدمشق ونشير الى المخالفة بقولنا (وفي الدمشقية كذا) فليتفطن له .

(٢) وفي الدمشقية محمد الأعور . (٣) توفي ببغداد سنة ٢٠٦ انظر التهذيب ج ٢ ص ٢٠٥ . (٤) مشهور رأس الحنفيــة مات سنة ١٨٢ . (٥) مات سنة ٢١٣ . لسان الميزان ج٢ ص٨٣ . (٦) ولد سنة ٢١٠ ومات سنة ٣١٧ او ٣١٩ وكان مشهوراً بوضع الحديث . لسان الميزان ج٢ص٢٢٩ . (٧) هو عبدالله بن سليمان بن الاشعث السجستاني ولد سنة ٢٣٣ وتوفي سنة ٣١٦ ووالده المحدث الكبير احد الستة . لسان الميزان ج ٣ ص ٢٩٣—٢٩٧ . (٨) لم أجد له ترجمة ولكن اسمه مكرر في الاسانيد الآتية .

(٩) النحوي المشهور المتوفى سنة ٢٨٥ .

(١٠) مات سنة ٣٠٤ او ٣٠٥ بطبرية وقيل بدمشق . الارشاد لياقوت ج٧ص٣٠٣ وطبقات النحاة للزبيدي ١٥٩ وبغية الوعاة ص ٤٣٠ .

(١١) مات سنة ٢٨٣ . الارشاد ج٧ ص ٦١ ونكت الهميان للصفدي ص٢٦٥ .

هاشم بن محمد الخزاعي (١) ٠

أخبرنا ابوالحسن علي بن احمد الفقيه وابومنصور بن زريق اخبرنا ابوبكر الخطيب (٢) أخبرنا ابوالحسن علي بن احمد النُعيمي (٣) املاء من حفظه حدثنا ابو احمد الحسن بن عبد الله بن سعيد حدثنا عبد الله بن سليمان بن الاشعث قال : دخلت على عمرو بن بحر الجاحظ فقلت له : حدثني بحديث ٠ فقال : حدثني حجاج بن محمد حدثنا حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن عطاء بن يسار عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا أُقيمت الصلوة فلا صلوة الا المكتوبة ٠ قال النعيمي : لا أعلم لحجاج بن محمد عن حماد بن سلمة غير هذا الحديث ٠ قال الخطيب : حدثني العتيقي (٤) بلفظه (نحوه) ٠

وأخبرنا ابو الحسن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسن بن ابي الحديد حدثنا جدّي ابو عبدالله الحسن بن احمد حدثنا ابوالحسن احمد بن محمد العتيقي (٤) بدمشق حدثنا محمد ابن عبدالله بن المطلب الشيباني بالكوفة اخبرنا ابو بكر بن داود قال : كنت بالبصرة فأتيت منزل الجاحظ عمرو بن بحر فاستأذنت عليه فاطلع اليّ من خوخة فقال (زاد ابن ابي الحديد لي) : وقالا (٥) : من هذا ؟ فقلت : رجل من أصحاب الحديث ٠ قال : متى عهدتني أقول بالحشوية ٠ فقلت : انا ابن ابي داود ٠ فقال : مرحباً بك وبابيك فانزل ٠ ففتح لي وقال (زاد ابن ابي الحديد لي) : وقالا (٥) : ادخل ايش تريد ٠ فقلت : تحدثني بحديث ٠ فقال : اكتب أخبرنا حجاج عن حماد عن ثابت عن انس (٦) : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على نفسه (٧) ٠ قلت : حدثني آخر فقال : ابن ابي داود لا تكذب (٨) ٠

---

(١) لم أجد له ترجمة وله ذكر في الاسانيد الآتية ٠ (٢) مؤلف تاريخ بغداد ومنه اخذ ابن عساكر كثيراً في هذه الترجمة توفي سنة ٤٦٣ ٠ (٣) توفي سنة ٤٢٣ ٠ لسان الميزان ج٤ ص ٢٠٢ ٠ (٤) هو ابوالحسن احمد بن محمد احد شيوخ ابي بكر الخطيب توفي سنة ٤٤١ ٠ السمعاني ص٣٨٤ ٠ (٥) وفي الدمشقية ايضاً وقالا ولعل صوابه بالافراد ٠
(٦) بالاصل ثابت بن انس ٠ (٧) وفي الدمشقية على طنفسة ٠
(٨) وفي الدمشقية لا يكذب ٠

قال الخطيب : وقرئ على محمد بن الحسن الأهوازي(١) وانا أسمع فأقرّ به قيل له حدثكم ابوعلي احمد بن محمد الصولي(٢) بالأهواز حدثنا دعامة بن الجهم حدثنا عمرو بن بحر الجاحظ حدثنا ابو يوسف القاضي قال : تغديت عند هارون الرشيد فسقطت من يدي لقمة وانتثر ما كان عليها من الطعام فقال : يايعقوب خذ لقمتك فان المهدي حدثني عن ابيه المنصور عن ابيه محمد بن علي عن ابيه علي بن عبد الله عن ابيه عبدالله بن عباس قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم : من اكل ما سقط من الخوان فورت (٣) اولاداً كانوا صياما (٤) .

ذكر ابو عثمان الجاحظ في كتاب الحيوان(٥) قال : احتاج اصحابنا الى التسليم من عض البراغيث ايام كنا بدمشق ودخلنا انطاكية فاحتالوا لبراغيثها بالأسرة فلم ينتفعوا بذلك لان براغيثهم تمشي . و براغيثهم نوعان الابجل (٦) والبق .

قال ابوالعنبس النميري (٧) وحدث عن الجاحظ انه قال : سافرت مع الفتح يعني ابن خاقان الى دمشق وذكر حكاية .

اخبرنا ابو الحسن بن قبيس وابو منصور بن زريق قالا : قال لنا ابو بكر الخطيب : عمرو بن بحر (زاد ابن زريق : بن محبوب) وقالا : ابو عثمان الجاحظ المصنف الحسن الكلام البديع التصانيف كان من اهل البصرة واحد شيوخ المعتزلة وقدم بغداد فأقام بها مدة وقد أسند عنه ابو بكر بن ابي داود الحديث . وهو كناني قيل صليبة (٨) وقيل مولىً وكان تلميذ ابي اسحق النظّام (٩) .

اخبرنا ابو منصور بن زريق حدثنا ابو بكر الخطيب قال : ذكر يموت بن المزرّع

(١) توفي سنة ٤١٨ . لسان الميزان ج٥ ص١٢٤ . (٢) انظر لسان الميزان ج ١ ص٢٨٦ ولم تؤرخ وفاته . (٣) وفي الدمشقية مرزق ولعل صوابه فرزق .
(٤) وفي الدمشقية صباحا . (٥) انظر كتاب الحيوان ج ٥ ص ١١٣ .
(٦) وفي الدمشقية الابجل . (٧) وفي الدمشقية الصيمري . (٨) وفي الدمشقية ايضاً (صلبية) وفي الاساس (عربي صليب خالص النسب) فلعل صوابه كناني قيل صليب .
(٩) هو ابراهيم بن سيّار بن هانئ المتكلم المشهور توفي سنة ٢٢٠ تقريباً .

ان الجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب مولى ابي القلمّس عمرو بن قلع الكناني ثم الفُقيمي (١) وهو احد النساة وكان جدّ الجاحظ اسود وكان جمالاً (٢) لعمرو بن قلع . قال يموت : والجاحظ خال أمي .

اخبرنا ابو الحسن بن قبيس وابو منصور بن زريق حدثنا ابو بكر الخطيب اخبرني محمد بن الحسين الازرق اخبرنا محمد بن الحسن بن زياد الموصلي انه سمع ابا بكر العمري (٣) قال سمعت الجاحظ يقول : نسيت كنيتي ثلاثة ايام فأتيت اهلي فقلت : بمن أكنى فقالوا : بابي عثمان .

اخبرنا ابو الحسن بن ابي العباس المالكي وابو منصور محمد بن عبد الملك الشافعي (قال ابوالحسن : حدثنا . وقال ابو منصور اخبرنا) ابو بكر احمد بن علي الحافظ اخبرني ابوالفرج الحسين بن عبدالله بن ابي علاقة المقريء اخبرنا ابو بكر احمد بن جعفر بن سلم اخبرنا ابو دلف هاشم بن محمد الخزاعي اخبرنا عمرو بن بحر الجاحظ سنة ثلاث وخمسين ومائتين حدثني ثمامة بن أشرس قال : شهدت رجلاً يوماً من الأيام وقد قدّم خصماً له الى بعض الولاة فقال : أصلحك الله ناصبي رافضي جهمي مشبّه مجبّر قدري يشتم الحجاج بن الزبير الذي هدم الكعبة على علي بن ابي سفيان و يلعن معاوية ابن ابي طالب . فقال له الوالي : ماادري مم اتعجب ؟ من علمك بالانساب اومن معرفتك بالمقالات . فقال : اصلحك الله ماأخرجت من الكتّاب حتى تعلمت هذا كله .

كتب اليّ ابو نصر عبدالرحيم بن عبدالكريم بن هوازن اخبرنا ابو بكر احمد بن الحسين اخبرنا ابو عبد الله الحافظ حدثني ـ ح ـ واخبرنا ابو الحسن بن قبيس اخبرنا ابو منصور بن زريق اخبرنا ابو بكر الخطيب اخبرني محمد بن احمد بن يعقوب اخبرنا محمد بن نعيم الضبي اخبرنا محمد (٤) بن جعفر المزكّي اخبرنا علي بن قاسم الخوافي

(١) لم أقف على تاريخ هذا الرجل في الكتب التي بايدينا .
(٢) وفي الدمشقية حمالاً .
(٣) لعله محمد بن عبد الله بن عمر بن القاسم الذي سيرد ذكره فيما يأتي .
(٤) وفي الدمشقية (اخبرنا ابوبكر محمد الخ) .

الاديب (١) حدثني بعض اخواني انه دخل على عمرو بن بحر الجاحظ فقال : يا ابا عثمان كيف حالك ؟ فقال الجاحظ سألتني عن الجلة (٢) فاسمعها مني واحداً واحداً · حالي ان الوزير يتكلم برأيي ، و ينفذ امري ، و يواتر الخليفة الصلات الي ، وآكل من لحم الطير اسمنها ، والبس من الثياب الخرها(٣) (٤) واجلس على الين الطبري (٥) ، وانكئ على هذا الريش ، ثم اصبر على هذا حتى يأتي الله بالفرج · فقال له الرجل : الفرج ما انت فيه · قال · بل احب ان تكون الخلافة لي ويعمل محمد بن عبد الملك بامري و يختلف الي فهذا هو الفرج ·

اخبرنا ابوالحسن ايضاً اخبرنا ابو منصور بن زريق حدثنا ابوبكر الخطيب اخبرني الصيمري (٦) اخبرنا ابو عبيدالله محمد بن عمران المرزباني (٧) حدثني محمد بن العباس (٨) حدثنا محمد بن يزيد المبرّد قال : سمعت الجاحظ يقول لرجل آذاه انت والله احوج (٩) الى الهوان (١٠) من كريم الى إكرام ، وعلم الى عمل ، وقدرة الى عفو ، ومن نعمة الى شكر ·

قال الخطيب واخبرني محمد بن الحسن الاهوازي حدثنا إيزَدْيار (١١) بن سليمان الفارسي قال : سمعت ابا سعيد الجنديسابوري يقول : سمعت الجاحظ يصف اللسان فقال : هو أداة يظهر بها البيان ، وشاهد يعبر عن الضمير ، وحاكم يفصل الخطاب ، وناطق يردّ به الجواب ، وشافع تدرك به الحاجة ، وواصف يعرف به الاشياء ، وواعظ ينهى عن القبيح ، ومغنٍ يرد(١٢) الاحزان ، ومعتذر يدفع الضغينة ، وملهٍ تؤنق(١٣)

---

(١) انظر السمعاني ص ٢١٠ ظ وبغية الوعاة ص ٣٤٦ كان شاعراً مطبوعاً لم يؤرخ · (٢) وفي الدمشقية عن الجلة ولعل صوابه عن الحالة · (٣) وفي الدمشقية ألينها · (٤) هذه الكلمة او ما يشبهها سقطت من الاصل · (٥) وفي الدمشقية (على الليّن الطري) · (٦) بالاصل : الضميري بالضاد المعجمة وتقديم الميم وهو ابوعبدالله الحسين بن علي بن محمد توفي سنة ٤٣٦ انساب السمعاني ص ٣٥٩ · (٧) توفي سنة ٣٨٤ · وفيات الاعيان لابن خلكان وغيره من كتب التراجم · (٨) هو اليزيدي النحوي توفي سنة ٣١٣ · (٩) بالاصل اهوج · (١٠) وفي الدمشقية هوان · (١١) اسم فارسي معناه خليل الله ضبطته لقلة معرفته · (١٢) وفي الدمشقية ايضاً (يرد) ولعل صوابه يبرّد · (١٣) وفي الدمشقية (يوثق) ·

الاسماع وزارع يحرث(١) المودة ، وحاصد يستأصل العداوة ، وشاكر يستوجب المزيد ، ومادح يستحق الزلفة ، ومؤنس يذهب الوحشة .

اخبرنا ابو العز بن كادش(٢) حدثنا ابو يعلي بن الفراء (٣) حدثنا ابوالقاسم اسمعيل ابن سعيد بن اسمعيل المعدل حدثنا ابوعلي الحسين بن القاسم بن جعفر الكوكبي(٤) حدثني احمد بن صدقة (٥) قال : سمعت الجاحظ يقول : قليل الموعظة مع نشاط الموعظة (٦) خير من كثير وافق من الاسماع نبوة ومن القلوب ملالة .

اخبرنا ابو سعد اسمعيل بن ابي صالح احمد بن عبد الملك حدثنا ابو صالح حدثنا ابو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي حدثنا نصر بن محمد بن احمد بن يعقوب قال : سمعت منصور بن احمد بن جعفر بطرسوس قال : سمعت الحسن بن علي بن زفر (٧) قال : سمعت عمرو بن بحر الجاحظ قال : خمس يُضنين : سراجٌ لا يضيءُ ، ورسول بطيءٌ ، وطعام ينتظر به ، وابريق يسيل ، وبيت يَكِفُ .

أخبرنا ابو القاسم بن الحصين (٨) حدثنا ابوالقاسم التنوخي (٩) حدثنا ابوالفضل محمد ابن عبد الله الشيباني حدثنا ابو سعد داود بن الهيثم (١٠) بالانبار قال : رأيت

(١) بالاصل يحدث . (٢) اسمه احمد بن عبيدالله ولد سنة ٤٣٧ ومات سنة ٥٥٦ وقد ورد ذكره في الارشاد مراراً محرفاً في بعض الاماكن وكذا في تذكرة الحفاظ للذهبي ج٤ص١٢٢ . انظر لسان الميزان ج١ص٢١٨ . (٣) هو محمد بن الحسين المتوفي سنة ٥٢٧ . مرآة الجنان ج٣ص٢٥١و٢٥٢ . (٤) انظر لسان الميزان ج٢ص٣٠٩ لم يؤرخ . (٥) لعله ابو بكر الضرير الذي كان معاصراً للجاحظ . انظر نكت الهميان للصفدي ص٩٩ . وقد ذكر ابن حجر اباعلي احمد بن صدقة وهو متأخر . لسان الميزان ج١ص١٨٧ . (٦) وفي الدمشقية (الموعوظ) . (٧) هو الحسن بن علي بن زكرياء ولد سنة ٢١٠ وتوفي سنة ٣١٩ . لسان الميزان ج٢ص٢٢٨ . (٨) بالاصل الحسين وهو خطأ وانما هو هبة الله بن محمد بن محمد بن الحصين وتوفي سنة ٥٢٥ . تاريخ الدول للذهبي ج٢ص٣٣ . (٩) هو علي بن المحسن بن علي مات سنة ٤٤٧ . انساب السمعاني ص١١٠ . (١٠) مات سنة ٣١٦ . بغية الوعاة ص ٢٤٦ .

الجاحظ يكتب شيأ فتبسم . فقلت ما يضحكك . فقال اذا لم يكن القرطاس صافيا ، والمداد ناميا ، والقلم مؤاتيا ، والقلب خاليا ، فلا عليك ان تكون كاتبا (١) .

أخبرنا(٢) الحسن بن قبيس اخبرنا وابو منصور بن زريق حدثنا ابو بكر الخطيب اخبرني الحسن بن محمد المعدّل (٣) حدثنا احمد بن محمد بن عمران حدثنا محمد بن يحيى النديم حدثنا يموت بن المزرّع قال : قال عمرو بن بحر الجاحظ : ما غلبني قط احد الا رجل وامرأة . فاما الرجل فاني كنت مجتازاً في بعض الطرق فاذا انا برجل قصير بطين كبير الهامة طويل اللحية متزر بمئزر بيده مشط يشق به شقة (٤) . ويمشطها بيده فقلت في نفسي : رجل قصير بطين ألحى فاستزريته فقلت : ايها الشيخ قد قلت فيك شعراً . قال : فترك المشط من يده وقال قل فقلت :

كأنك صعوة في اصل حش أصاب الحش طش بعد رش

فقال لي : اسمع جواب ما قلت . فقلت هات فقال :

كأنك كندر (٥) في ذيل كبش تدلدل هكذا والكبش يمشي

واما المرأة فاني كنت مجتازاً في بعض الطرقات فاذا انا بامرأتين وكنت راكبا على حمارة فضرطت الحمارة فقالت احداهما للأخرى : وي !! حمارة الشيخ تضرط . فغاظني قولها فاعيت (٦) . ثم قلت لها : انه ما حملتني أنثى قط الا ضرطت . فضربت بيدها على كتف الاخرى وقالت : كانت أم هذا منه تسعة اشهر في جهد جهيد .

(١) بالاصل غايبا .

(٢) انظر كتاب الاذكياء لابن الجوزي طبعة مصر ١٣٠٦ ص ١٠١ .

(٣) وفي الدمشقية محمد الخلاّد .

(٤) بالاصل يسقي به شقه . وكذا في كتاب الاذكياء ولا ادري ما معناه .

(٥) بالاصل كندب ولا اصل له في اللغة .

(٦) وفي الدمشقية فاعنت ولعل صوابه فعييت (اي عن الجواب) .

قال وحدثنا القاضي ابوالعلاء الواسطي حدثنا محمد بن عبدالله (١) النيسابوري (٢) قال سمعت ابا بكر محمد بن احمد بن بالويه (٣) يقول : سمعت ابا بكر محمد بن اسحق (٤) يقول : قال لي ابرهيم بن محمود ونحن ببغداد : الا ندخل على عمرو بن بحر الجاحظ . فقلت مالي وله . قال انك اذا انصرفت الى خراسان سألوك عنه فلو دخلت عليه وسمعت كلامه . ثم لم يزل بي حتى دخلت عليه يوماً فقدّم الينا طبقاً عليه رطب فتناولت منه ثلاث رطبات وامسكت ومرّ فيه ابرهيم فأشرت اليه ان يمسك . فرمقني الجاحظ فقال لي : دعه يافتى فقد كان عندي في هذه الايام بعض اخواني فقدّمت اليه الرطب فامتنع فحلفت عليه فأبى الا ان يبرّ قسمي بثلاثمائة رطبة . .

اخبرنا ابوالقاسم بن الحصين حدثنا ابومحمد الحسن بن عيسى بن المقتدر حدثنا احمد بن منصور اليشكري حدثنا بعض مشايخنا . قال محمد بن عمر بن جميل حدثنا احمد ابن محمد البلاذري حدثنا محمد بن عبدالله بن القاسم العمري قال : سمعت الجاحظ يقول رأيت جارية ببغداد في سوق النخاسين ينادى عليها فدعوت بها وجعلت أقلبها فقلت لها ما اسمك . قالت مكة . قلت : الله اكبر قد قرُب الحج أتأذنين ان أقبل الحجر الاسود قالت : اليك عني او لم تسمع الله يقول : لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس .

اخبرنا ابوالحسن بن قبيس حدثنا وابومنصور بن زريق اخبرنا ابوبكر الخطيب حدثنا الصيمري حدثنا المرزباني اخبرني محمد بن يحيى حدثنا ابو العيناء قال : كان الجاحظ يأكل مع محمد بن عبد الملك الزيات فجاؤا بفالوذجة فتولع محمد بالجاحظ وامر ان يجعل من جهته مارقّ من الجام فأسرع في الاكل فينتطف (٥) مابين يديه . فقال ابن الزيات : تقشعت سماؤك قبل سماء الناس . فقال الجاحظ : لان غيمها كان رقيقاً .

---

(١) وفي الدمشقية ابن عبيد الله . (٢) هو المحدث المشهور بالحاكم ابن البيع مصنف المستدرك وتاريخ نيسابور المتوفى سنة ٤٠٥ . (٣) روى عنه الحاكم كثيراً في كتاب المستدرك ولكن لم اجد له ترجمة وقد ذكر ابن حجر في لسان الميزان ج ١ ص ٢٨٢ — ابنه احمد المتوفى سنة ٣٧٩ . (٤) لعله محمد بن اسحق بن راهويه قاضي مرو ونيسابور المتوفى سنة ٢٨٩ . (٥) وفي الدمشقية فتنظّف .

قال (١) وحدثنا ابو العيناء قال : كنت عند ابن ابي دواد (٢) بعد قتل ابن الزيات (٣) فجيء بالجاحظ مقيداً وكان في اسبابه وناحيته وعند ابن ابي دواد محمد بن منصور (٤) وهو اذ ذاك يلي قضاء فارس وخوزستان فقال ابن ابي داود للجاحظ : ما تأويل هذه الآية ؟ « وكذلك أخذُ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد » . فقال تلاوتها تأويلها أعزّ الله القاضي . فقال : جيئوا (٥) بالحداد . فغمزه بعض اهل المسجد ان يعنف بساق الجاحظ و يطيل امره قليلاً ففعل . فلطمه الجاحظ فقال : اعمل عمل شهر في يوم وعمل يوم في ساعة وعمل ساعة في لحظة فان الضرر على ساقي وليس بجذع ولا ساجة . فضحك ابن ابي دواد واهل المجلس منه وقال ابن ابي دواد لمحمد بن منصور انا أثق بظرفه ولا أثق بدينه .

قال واخبرني الصيمري اخبرنا المرزباني اخبرنا ابوبكر الجرجاني حدثنا المبرد حدثني الجاحظ قال : كنت وقفت انا وابو حرب على قاصّ فأردتُ الولوع به فقلت لمن حوله انه رجل صالح لا يحب الشهرة فتفرقوا عنه . فتفرقوا فقال لي الله حسيبك اذا لم ير الصياد طيراً كيف يمدّ شبكته .

اخبرنا خالي ابو المعالي محمد بن يحيى بن علي القاضي اخبرنا سهل بن بشر الاسفرايني

(١) انظر الارشاد لياقوت . (٢) بالاصل ابن ابي داود وكذا في المواضع كلها حيث وقع ذكره ودواد غير مهموز وينصرف وهو بضم الدال الاولى . له ترجمة مطولة في وفيات ابن خلكان طبعة ١٣١٠ ج ١ ص ٢٢ — ٢٦ . مات سنة ٢٣٣ بعد ابن الزيات بمدة يسيرة .

(٣) هو الوزير محمد بن عبد الملك وله ترجمة في وفيات ابن خلكان كان ظلوماً فقتله المتوكل سنة ٢٣٣ .

(٤) لم اقف له على ترجمة مخصوصة قد ذكر ابن حجر رجلين اسمهما محمد بن منصور ولكن لم اتحقق هل هذا احدهما وان كانا في عصره .

(٥) قوله جيئوا الخ وجد بالنسخة الدمشقية مايلي (بحداد . فقال أعزّ الله القاضي ليفك او ليزيدني قال بل ليفك عنك قال فجيء بالحداد الخ) .

اخبرنا ابوالحسن محمد بن الحسين بن احمد بن السري النيسابوري بمصر اخبرنا ابومحمد الحسن بن رشيق العسكري (١) حدثنا يموت بن المزرّع قال : سمعت خالي عمرو بن بحر الجاحظ يقول : امليتُ على انسان مرة أبا عمرو فاستملى ابا بشر وكتب ابا زيد ٠

اخبرنا (٢) ابوالحسن بن قبيس حدثنا وابو منصور بن زريق حدثنا ابو بكر الخطيب اخبرنا الحسن بن الحسين بن العباس النعالي (٣) اخبرنا ابو الفرج علي بن الحسين الاصبهاني (٤) حدثنا يحيى بن علي (٥) حدثني ابي قال : قلت للجاحظ اني قرأت في فصل من كتابك المسمى كتاب البيان والتبيين (٦) ان مما يستحسن من النساء اللحن في الكلام واستشهدت ببيتي مالك بن اسماء بن خارجة يعني قوله :

وحديث ألذّه هو مما   ينعت الناعتون يوزن وزنا
منطق صائب وتلحن أحيا   ناً وخيرالحديث ما كان لحنا

قال هو كذاك ٠ قلت أفما سمعت بخبر هند بنت اسماء بن خارجة مع الحجاج حين لحنت في كلامها فعاب ذلك عليها فاحتجّت ببيتي اخيها ٠ فقال لها ان اخاك اراد ان المرأة الفطنة(٧) فهي تلحن بالكلام الى غير المعنى في الظاهر لتستر معناه وتورّي عنه ويفهمه من ارادت بالتعريض كما قال الله تعالى : « ولتعرفنهم في لحن القول »٠ ولم يرد الخطأ من الكلام ٠ والخطأ لا يستحسن من احد ٠ فرجم(٨) الجاحظ ساعة ثم قال : لو سقط اليّ هذا الخبر لما قلت ما تقدّم ٠ فقلت له فاصلحه ٠ فقال الآن وقد سار الكتاب في الآفاق ؟ هذا لا يصلح ٠ او نحو هذا من الكلام ٠

---

(١) توفي سنة ٣٧٠ ٠ لسان الميزان ج٢ ص٢٠٧ ٠ (٢) انظر الارشاد لياقوت ٠
(٣) مات سنة ٤٣١ ٠ لسان الميزان ج٢ص٢٠١ ٠
(٤) صاحب كتاب الأغاني مات سنة ٣٥٦ ٠
(٥) هو يحيى بن علي بن يحيى المنجم ٠
(٦) كتاب البيان ج ١ص ٦٣ و٩٢ ٠
(٧) وفي الدمشقية فطنة (اي ان المرأة المذكورة كانت فطنة ومن ثم كانت تلحن الخ)٠
(٨) وفي الدمشقية فوجم وهو الصواب ٠

قال واخبرنا محمد بن الحسن بن احمد الاهوازي (١) انشدنا الحسن بن عبد الله اللغوي (٢) انشدنا علي بن احمد بن هشام انشدنا ابو العيناء للجاحظ :

بطيب العيش ان تلقى حكيما   غذاه العلم والرأي (٣) المصيب
فيكشف عنك ضرة (٤) كل جهل   وفضل العلم يعرفه الأديب
سقام الحرص ليس له شفاء   وداء الجهل ليس له طبيب

قال واخبرني الصيمري اخبرنا المرزباني اخبرنا ابوبكر الجرجاني (٥) انشدنا المبرد للجاحظ :

ان حال لون الرأس عن حاله   ففي خضاب الرأس مستمتعُ
هبْ من له شيب له حيلة   فما الذي يحتاله الاصلعُ

وقال واخبرني الصيمري اخبرني المرزباني حدثني احمد بن محمد المكي حدثني ابوالعيناء عن ابراهيم بن رباح(٦) قال : أتاني جماعة من الشعراء فأنشدوني كل واحد منهم يدعي انه مدحني بهذه الابيات وأعطي كل واحد منهم عليها وهي :

بدا حين اثري باخوانه   ففلل عنهم شباة العدم
وذكره الدهر صرف الزمان   فبادر قبل انتقال النعم
فتى خصه الله بالمكرمات   فمازج منه الحيا بالكرم
اذا همة قصرت عن يد   تناولها بجزيل الهمم
فلا ينكت الارض عند السؤال   ليقطع زواره عن نَعَم

قال ابراهيم : فكان اللاحقي (٧) منهم واحسبها له . ثم آخر من جاءني الجاحظ وانا

---

(١) توفي سنة ٤١٨ روي عنه ابو بكر الخطيب . لسان الميزان ج٥ ص١٢٤ .

(٢) بالاصل البغوي بالباء وهو السيرافي اللغوي المشهور المتوفى سنة ٣٦٨ . الارشاد لياقوت ج٣ ص٨٤ وغير واحد من كتب التراجم . (٣) وفي الدمشقية والظن . (٤) وفي الدمشقية حيرة . (٥) مات سنة ٤٧١ . بغية الوعاة ص٣١٠ . اسمه عبدالقاهر بن عبد الرحمن . (٦) هو ابراهيم بن رباح (بالموحدة) ابن شبيب الجوهري الكاتب . انظر تاريخ الطبري . (٧) بعض اولاد أبان بن عبدالحميد اللاحقي الذي كان في زمان ابي نواس .

والي الاهواز فأعطيته عليها مالاً . ثم كنت عند ابن ابي دواد (١) فدخل الينا الجاحظ فالتفت اليَّ ابن ابي دواد فقال يا ابا اسحاق قد امتدحتُ باشعار كثيرة ما سمعت بشيء وقع في قلبي وقبلته نفسي مثل ابيات مدحني بها ابو عثمان . ثم انشدنيها بحضرته . (بدا حين اثرى باخوانه) الابيات . فقلت : وجد ايّدك الله مقالاً قال وعجبت من عمرو ومن سكوته ولم اذكر من ذلك شيئاً .

اخبرنا ابو محمد عبدالجبار بن احمد بن محمد الفقيه (٢) قال سمعت ابا سعيد عبد الواحد بن عبد الكريم (٣) يقول : سمعت الحسن بن محمد الصوفي يقول حدثنا ابوالحسن محمد بن صدقة حدثني عبدالواحد بن قسيم بن مضر حدثنا احمد بن اسماعيل السقطي قال سمعت اباسعيد البصري قال قدمت على الجاحظ بعد ما كبرت سنه فقلت له حدثني . فقال اكتب ، الامصار عشرة ، الصناعة بالبصرة والفصاحة بالكوفة والتخنيث ببغداد والغدر بالريّ والجفاء بنيسابور والحسد بهراة والطرمذة بسمرقند والمروءة ببلخ والبخل بمرو والتجارة بمصر .

اخبرنا (٤) خالي ابو المعالي القاضي حدثنا ابو روح ياسين بن سهل بن محمد بن الحسن قال : سمعت ابا منصور محمد بن احمد بن المنصور الفاني (٥) (٦) ح وقرأت على ابي القاسم زاهر بن طاهر عن ابي بكر البيهقي (٧) قالا : اخبرنا ابو عبد الله الحافظ قال سمعت عبد العزيز بن عبد الملك الأموي يقول : سمعت اسماعيل بن محمد النحوي (٨) يقول سمعت ابا العيناء (٩) يقول أنا والجاحظ وضعنا حديث فدَك وأدخلناه

---

(١) بالاصل أبن ابي داود . (٢) مات سنة ٥٣٦ . طبقات السبكي ج٤ ص٢٤٣ .

(٣) توفي سنة ٤٩٤ . طبقات السبكي ج ٣ ص ٢٨٤ . (٤) انظر نكت الهميان للصفدي ص٢٦٥ وترى ما أسقط من الاسناد فانه اسند زاهر بن طاهر عن ابي عيناء بلا واسطة . (٥) كذا بالاصل الفاني بالنون ولعل الصواب الفالي .

(٦) وفي الدمشقية القاني . (٧) توفي سنة ٥٣٣ عن بضع وثمانين سنة . لسان الميزان ج٢ ص٤٧٠ . (٨) لعله ابو علي الصفار المتوفى سنة ٣٠١ . بغية الوعاة ص ١٩٨ .

(٩) هو محمد بن القاسم المتوفى سنة ٢٨٣ كما مر في الحواشي .

على الشيوخ ببغداد فقبلوه الا ابن شيبة العلوي (١) فانه قال لا يشبه آخر هذا الحديث اوله . فأبى ان يقبله . قال اسماعيل وكان ابو العيناء يحدث بهذا بعد ما تاب .

اخبرنا ابو الحسن المالكي حدثنا وابومنصور بن زريق اخبرنا ابو بكر الخطيب اخبرنا علي بن ابي علي حدثنا محمد بن العباس الخزاز (٢) اخبرنا ابو بكر محمد بن القاسم الانباري (٣) حدثنا ابو عمر احمد بن احمد السوسنجردي (٤) العسكري حدثني ابن ابي الدنيا (٥) المحدث (٦) بسر من رأى قال : حضرت وليمة حضرها الجاحظ وحضرت صلوة الظهر فصلينا وما صلى الجاحظ وحضرت صلوة العصر فصلينا وماصلى الجاحظ . فلما عزمنا على الانصراف قال الجاحظ لصاحب المنزل : اني ما صليت لمذهب او لسبب أُخبرك به . فقال له (او قيل له) : ما اظن ان لك مذهباً في الصلوة الا تركها .

قال واخبرنا الصيمري حدثنا المرزباني حدثنا ابو بكر الجرجاني انشدنا المبرد لأبي كريمة (٧) (٨) يقوله للجاحظ :

لم يظلم الله عمراً حين صيّره ... من كل شيء سوى آدابه عاري
بتّت حبال وصالي كفُّه فقطعت ... لما استغيث (٩) به في بعض اوطاري
فكنت في طلبي من عنده فرجًا ... كالمستغيث من الرمضاء بالنار
اني أعيذك والمعتاذ محترسٌ ... من شؤم عمرو بعزّ الخالق الباري
فان فعلتَ فحظ قد ظفرت به ... وان ابيتَ فقد اعلنتُ أسراري

---

(١) كذا نقل ايضاً في نكت الهميان فلاادري من هو لانه ليس بين المحدثين المشهورين ابن شيبة العلوي والله اعلم . (٢) هو العلامة المعروف بابن حيويه ابو عمر المتوفى سنة ٣٨١ ومولده سنة ٢٩٥ . (٣) اللغوي المشهور مات سنة ٣٢٨ . (٤) وفي الدمشقية السوسي اي العسكري . (٥) وفي الدمشقية ابن ابي الدمال . (٦) هو ابوبكر عبد الله بن محمد المتوفى سنة ٢٨١ . (٧) هو من اصحاب الجاحظ ذكره مرات عديدة في كتاب الحيوان وسماه مرة احمد بن زياد انظر كتاب الحيوان ج ا ص ١١٥ ج٣ص١٠٨ و١٠٩ و١٥٧ و١٦٤ ج٤ص١٥٤ ج٥ص١٠٢ ج٦ ص١٢٨ و١٦٢ . (٨) وفي الدمشقية لابي كريمة البصري . (٩) وفي الدمشقية لما استعنت به .

اخبرنا ابو السعود بن المجلي(١) حدثنا ابو بكر الخطيب حدثني العلاء بن حزم الاندلسي حدثنا ابراهيم بن محمد بن زكرياء الزهري حدثنا ابو بكر (٢) محمد بن الحسن الزُبيدي (٣) حدثنا ابو علي اسماعيل بن القاسم (٤) (قال ابن حزم هوالقالي) ثم اخبرنا (٥) ابو القاسم صدقة بن محمد بن الحسن بن الحلبان اخبرنا ابو عبد الله محمد ابن ابي نصر الحميدي اخبرنا ابو محمد علي بن احمد اخبرنا عبد الله بن ربيع التميمي اخبرنا ابو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي حدثني ابو معاذ عبدان الخوي المتطبب قال دخلنا يوماً سرّ من رأى على عمرو بن بحر الجاحظ (٦) وقد فلج . فلما اخذنا مجالسنا اتى رسول المتوكل اليه فقال : مايصنع اميرالمؤمنين بشيء مائل(٧) ولعاب سائل . ثم اقبل علينا فقال ما تقولون في رجل له شقّان احدهما لو غرز بالمسال ما احسّ والشقّ الآخر يمرّ به الذباب فيعذب واكثر ما اشكوه الثمانون . ثم انشدنا ابياتاً من قصيدة عوف بن محلِّم الحرّاني يعني التي فيها :

ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعي الى ترجمان

وقد سبقت الابيات في ترجمة عبد الله بن طاهر .

اخبرنا (٨) ابو الحسن الفقيه المالكي وابو منصور القزاز اخبرنا ابو بكر الخطيب اخبرنا الحسن بن ابي طالب حدثنا احمد بن محمد بن عمران اخبرنا احمد بن محمد بن عاصم بن ابي سهل الحلواني . قال واخبرني الصيمري اخبرنا المرزباني اخبرنا ابو بكر الجرجاني قال : دخلت على الجاحظ في آخر ايامه وهو عليل فقلت له : كيف انت فقال كيف يكون من نصفه مفلوج ولو نشر بالمناشير ما احسّ ونصفه الآخر منقرس (٩) لو طار الذباب بقربه لآلمه والآفة في جميع هذا أني قد جزت التسعين ثم انشدنا :

(١) وفي الدمشقية المحلي . (٢) وفي الدمشقية حدثنا القاضي ابوبكر . (٣) مات سنة ٣٧٩ وقيل ٣٩٩ بغية الوعاة ص ٣٤ . (٤) هو صاحب الامالي توفي سنة ٣٥٦ . (٥) وفي الدمشقية ثم اخبرناه عالياً ابوالقاسم . (٦) وفي الدمشقية الجاحظ نعوده وقد فلج . (٧) وفي الدمشقية بشق مائل . (٨) انظر الارشاد لياقوت ج٦ ص ٧٩ حيث روي هذا الخبر عن المبرّد . (٩) بالاصل منفوس .

أترجو ان تكون وانت شيخ كما قد كنت ايام الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب دريس كالجديد من الثياب

قرأت على ابي محمد عبد الكريم بن حمزة عن ابي محمد عبدالعزيز بن احمد اخبرنا مكي بن محمد اخبرنا ابو سليمان بن زبر (١) قال : قال الحسن بن علي فيها يعني سنة [خمس] (٢) وخمسين ومائتين مات عمرو بن بحر الجاحظ بالبصرة .

اخبرنا ابو الحسن بن قبيس حدثنا وابو منصور بن زريق اخبرنا ابو بكر الخطيب اخبرنا المرزباني حدثني احمد بن يزيد بن محمد المهلبي عن ابيه قال قال لي المعتز بالله يا يزيد ورد الخبر بموت الجاحظ . فقلت لامير المؤمنين طول البقاء ودوام العز . قال وذلك سنة خمس وخمسين ومائتين . قال لي المعتز قد كنت احب ان اشخصه الي وان يقيم عندي فقلت له انه قد كان قبل موته عطلاً بالفالج .

قال (٣) احمد بن يزيد وفيه يقول ابو شُراعة

في العلم للعلماء ان يتفهموه واعظ
واذا نسيت وقد جمـ ـت علاعليك حافظ (٤)
ولقد رأيت الظرف دهـ ـراً ما حواه اللافظ (٥)
حتى اقام طريقه عمرو بن بحر الجاحظ
ثم انقضت ايامه وهو الرئيس الواعظ (٦)

قال الخطيب قرأت في كتاب عمرو بن محمد بن الحسن البصير عن محمد بن يحيي الصولي قال مات الجاحظ في المحرم سنة خمس و خمسين ومائتين .

---

(١) هو محمد بن عبدالله . (٢) سقط لفظ خمس من الاصل . (٣) انظر الارشاد لياقوت ج٦ ص٨٠ وفي روايته بعض الاختلاف . (٤) وفي الدمشقية الحافظ .
(٥) وفي الدمشقية لافظ . (٦) وفي الدمشقية الفائظ .

تنطع النحويين

وإعراب « لا ابا لك »

لي صديق من طلبة العلوم العربية نهك قواه واستغرق جميع اوقاته في تحصيل فن النحو بحيث لم تسمح له نفسه بان يهب منها ساعة واحدة للاشتغال بغيره من بقية العلوم جاعلاً دأبه وديدنه البحث والتنقيب عن فلسفة النحاة وتنطعهم في الكلام زاعماً « كما لقنه بعض شيوخه البله » ان من يتبحر في فن النحو يستغني عما سواه من العلوم منقولة كانت او معقولة ، على انه « و يا للأسف » لم يبلغ من علماء هذا العلم الدرجة التي يتمناها رغماً عن كونه جديراً بان يدعى لجوجاً فيه منقطعاً اليه ، وطالما دعوته للانحراف عن هذه الخطة وأوضحت له الحجة الصحيحة ومحضت له النصيحة فلم ينتصح عاداً نصحي اياه ضرباً من الهراء الذي يجب ان يضرب به عرض الحائط .

طلب مني هذا الصديق المرة بعد المرة ان أحبر نبذة في اعراب قول العرب « لا ابا لك » ونحوه وفي بيان ما يقصده العرب منها في اشعارهم ونثارهم قائلاً لي انه طالما جد واجتهد في الوقوف على ما قاله النحويون في إعرابها وعلى بيان ما يتوخاه العرب منها باحثاً عن ذلك في كتب اللغة واسفارها ومطولات كتب النحو فلم يفز من بحثه عنها بطائل يشفي غليله و يزيل ببيانه شكوله .

امتنعت عن إجابة طلبه اولاً لعلمي ان البحث عما يتعلق بهذه الكلمة من جهة إعرابها عقيم لا ينتهي الى نتيجة يحسن السكوت عليها لان إعرابها في الواقع ونفس الامر حريٌّ ان يعد من جملة المسائل المعقدة التي شغلت النحويين بحلها فكانت مزلة لأقدامهم معثرة لافهامهم . ثم بدا لي في طلب هذا الصديق ان أطلبه لأريه ما اتى به النحويون في إعراب هذه الكلمة — نموذجاً من تمحلهم وتلفافهم عله يعدل عن عقيدته بصوابية جميع اعتلالاتهم وصحة حججهم .

ولا يخفى ان النحويين في اوائل العصر العباسي قد شطوا عن الغاية المقصودة من هذا الفن وتمادوا على الخلاف فيما بينهم حتى انهم انقسموا في كثير من مسائله الى بصري

وكوفي واستطال بعضهم على بعض بالطعن والتنديد ولم يقتصروا في مؤلفاتهم على بيان أحكام النحو وتقرير قواعده اجتزاءً منه بالقدر الذي يكفي لصيانة لسان العربي عن الخطإ في كلامه بل اطالوا القول عند ذكر كل حكم وقاعدة بما لفقوه من العلل المتناقضة والاسباب المتعارضة التي تدرك بادنى تأمل انها من التمحل والتلفيق في مكان سحيق ، مثلاً قالوا في الأسماء والأفعال المبنية انما بنيت لشبهها الحرف .

كالشبه الوضعي في اسمي جئتنا والمعنوي في متى وفي هنا
وكنيابة عن الفعل بلا تأثر وكافتقار أصّلا

فأطالوا البحث في بيان هذه الأسباب والعلل وطرحوا منها في طريق الطالب لقواعد النحو — أشواكاً تعتاقه عن الوصول الى غايته المقصودة له من هذا الفن ، وكأن النحويين حاولوا بذكر تلك العلل والاسباب ان يجعلوا فن النحو في الفنون المعقولة مع انه من الفنون المنقولة البحتة التي يجب التسليم بها كما يجب التسليم بالتعبديات التي لا مجال للعقل بادراك اسبابها ، كيف لا وان الاعرابي حينما كان يريد ان يفوه بالكلمة المعربة او المبنية يفوه بها صفواً عفواً غير ملاحظ ولا عارف ان يلاحظ سبب نطقه بها كذلك غير انه هكذا تلقاها من ابناء قبيلته واهل بجدته وهو لو سمع الفاظ النحويين وكلماتهم الاصطلاحية لأنكرها عليهم ولفهم منها غيرما يفهمونه . فلو انك سألته عن معنى كلمة «البناء» مثلاً لما أجابك عنه بغير قوله: معناه « وضع شيء على شيء على جهة يراد بها الثبوت » او عن معنى كلمة « إعراب » لما أجابك بغير قوله معناها « الايضاح والافصاح عما في ضميرك » .

خذ لذلك مثلاً ما حكاه الأصمعي عن اعرابي قال له : يا اعرابي أتهمز إسرائيل قال اني اذاً لرجل سوء ، وقال له أتجر فلسطين قال اني اذاً لقوي . ومن هذا النوع حديث ابي الزهراء الوارد في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه اعرضنا عن ذكره لطوله ثم جاء المتأخرون ممن عني في علم النحو فألفوا فيه المتون المسهبة والحواشي المطولة ومشوا فيها على سنن أسلافهم في الاكثار من التعرض الى ذكر علل الاحكام وبيان اسبابها ، بل لم يكتفوا بذلك حتى أضافوا اليها ابحاثاً طويلة عريضة في مفاهيم عبارات المتون وشروحها مغلطاً بها بعضهم بعضاً فحشوا بها الكثير من الاخذ والرد في هذا الصدد حتى

كادت تكون كتب جدل ومناظرة لا كتب نحو وصرف فازدادت ضخامةً وعظمت حجماً وأصبح طالب علم النحو مضطراً الى تضحية قسم عظيم من حياته في دراستها ليحصل منها على خلاصتها المقصودة له منها وهي علم النحو فما كان مثله في الحصول على هذه الخلاصة من بين هاتيك الأبحاث المختلطة الا كمثل من يحاول استخلاص كتلة اسلاك ضئيلة بعثرتها الريح في اكداس من الشوك .

واذا أردت ان تتأكد صدق كلامي هذا فانظر في ألفية ابن مالك وشروحها وحواشيها وكتاب المغني وحواشيه وكتاب التصريح والهمع وشرحه وغير ذلك من الكتب المماثلة لهذه الكتب — يظهر لك صدق ما قلته .

على ان الامر الذي يزيد في صعوبة استخلاص المطلوب من هذه الكتب — ماتعمده مؤلفوها من اختصار عباراتها وصيغها وتعقيد تركيبها حتى شابه الكثير منها عبارات ملغز يقصد بها التعمية على من تحداه بحل لغزه ، فترى الطالب المسكين ، يتكبد في حلها عرق القربة ويستهلك في فهم المراد منها الوقت الطويل .

واني أقول ولا أخشى في قولي لومة لائم ان اللغة العربية اذا كان لها ما يعيبها فما هو شيء غير كتب نحوها التي تصورها في عين من يريد ممارستها ولا سيما اذا كان أجنبياً عنها — لغة مضطربة القواعد كثيرة الشواذ صعبة المراس لا يملك الطالب قيادها الا اذا وهبها جميع ايام حياته ، شاهدي على ذلك جملة كنت رأيتها في بعض الصحف الاخبارية قالها مستشرق في حق اللغة العربية خلاصتها : ان بقاءه هائماً على وجهه في مجاهل افريقية فوق رمالها النارية وتحت شمسها المحرقة — أهون عليه من ممارسة اللغة العربية والإحاطة بكتب نحوها .

انا لا انكر ما للكتب المطولة المؤلفة في علم النحو من الفوائد العظيمة لمن يطلب هذا الفن لذاته ليكون به نحريراً اختصاصياً فان بلوغه منه هذه الغاية يضطره الى استقصاء تلك الكتب وتتبعها والاستفادة منها وان ضحى بذلك معظم ايام حياته .

على ان جميع الامة العربية يكفيها وجود اختصاصي واحد او اثنين في فن النحو اذا كان وجود اختصاصي به معدوداً من فروض الكفاية التي اذا قام بها البعض سقطت عن الكل .

فأما طالب العلوم العربية الذي يشتغل بفن النحو لا لذاته بل ليتخذه آلة يتوصل بواسطتها الى غيره من باقي العلوم العربية — فهو غير محتاج في نيل بغيته هذه الى تلك الكتب المطولة التي تستغرق دراستها دهراً طويلاً من حياته بل حسبه ان يأخذ القدر اللازم من ذلك الفن من كتاب واحد يشتمل على ما لا بد منه من ابواب النحو وقواعده واحكامه على شرط ان يكون فصيح العبارة رشيق الألفاظ حسن التعبير معرضاً عن ذكر العلل والاسباب ومشاحنات النحويين ومعارضة بعضهم البعض كثير الأمثلة بحيث لا يذكر فيه حكم ولا قاعدة الا ويتبعها بمثل او أمثلة ايضاحاً لها وتسهيلاً لفهم الطالب وان لا يستغرق في قراءة هذا الكتاب اكثر من سنتين وان يكون الاستاذ الذي يؤخذ عنه هذا الكتاب فصيح اللسان بارعاً بصناعة التعليم مقتصراً في تقريره على ذكر اللباب دون القشور معرضاً عن الكلام الذي يقصد منه اظهار براعته ونبوغه في هذا الفن ، فمن لنا بمن يؤلف كتاباً هكذا في هذا الفن ومن اين لنا بمثل هذا الاستاذ الجليل ٠

هذا وقد آن لي ان أنجز لصديقي ما وعدته به من إعراب كلمة (لا ابا لك) وبيان ما يتعلق بها من بقية المطالب فأقول :

« إعراب لا اباالك باثبات الف ابا بلا تنوين »

اختلف النحويون في إعراب هذه الكلمة اختلافاً كبيراً وسلكوا فيه طرقاً شتى اختار منها في هذه العجالة الطريقة التي ارتضاها سيبويه والجمهور في إعراب هذه الكلمة دون بقية الطوائف مثبتاً على وجه التلخيص والاختصار بعض ما اورده النحاة فيها من الآراء التي لايخلو واحد منها من الانتقاد السالم من الانتقاد ٠

على انني ماخصصت هذه الطريقة بالذكر الا لأن النحويين اعتبروها امثل طريقة تستدعي اجتهادهم في حفظ سلامتها والاعتماد على صحتها دون باقي الطرائق التي يأباها الفن على زعمهم فأقول :

ذهب سيبويه وجمهور النحويين في إعراب هذه الكلمة (لا اباالك) الى ان (ابا) اسم للا التبرئة وهو مضاف معرب لفظاً منصوب بالالف بلا تنوين كما هو الحكم في اسم (لا) المضاف وان المجرور بعده مضاف اليه وان اللام زيدت بين المتضايفين لتأكيد معنى الاضافة وان خبر (لا) محذوف تقديره موجود مثلاً ٠

« الاعتراض على هذا الإعراب »

واورد على هذا الاعراب ان (ابا) حينئذ يكون معرفة باضافته الى المعرفة فكيف تعمل فيه (لا) مع انها لا حظ لها في العمل في المعارف كما انه لو قيل بعدم الإضافة لم يكن (ابا) معرباً اذ لا يعرب بالالف الا مع الاضافة لانه من الاسماء الستة .

« جواب هذا الاعتراض وانتقاد الجواب »

وأجيب عن ذلك كله بان اللام في هذه الكلمة معتد بها من وجه وغير معتد بها من وجه آخر .

فأما وجه الاعتداد بها فقد اضطرنا اليه كون اسم (لا) لا يضاف الى معرفة فلما وجد في هذا التركيب مضافاً اليها لان ابا من الاسماء الخمسة المعربة بالحروف لا تكون الا مضافة — اعتددنا باللام وقلنا جيء بها لتنزيل صورة تلك الاضافة فصار اسم (لا) حينئذ نكرة لفظاً وهو المعتبر عند النحويين وان كان مضافاً حقيقةً معنىً .

واورد على هذا التأويل ان الاضافة اذا كانت على معنى اللام نقدر فيها اللام ولا تظهر بين المتضايفين الا شذوذاً في قوله :

يا بؤس للحرب التي وضعت اراهط فاستراحوا

واجيب عن هذا بان لام الاضافة في هذه الكلمة اي في كلمة لا ابالك — مقدرة وان اللام الظاهرة انما وجدت لتأكيد اللام المقدرة لا هي الخ .

« عدم الاعتداد باللام »

واما وجه عدم الاعتداد بهذه اللام فلان ما قبلها معرب بدليل ثبوت الفه لان الاسماء الخمسة لا تثبت الفها الا لاعرابها واسم(لا) هنا لا يعرب الا مضافاً .

« خلاصة القول في هذه اللام »

اقول تلخص مما سبق ان هذه اللام معتد بها من حيث إزالتها صورة الاضافة رعاية لاسم (لا) الذي يكون نكرة في المعنى وان كان معرفة في اللفظ وانها اي اللام غير معتد بها رعاية لاسم (لا) ايضاً لانه معرفة معرب بالحرف وهو لا يكون كذلك الا اذا كان مضافاً لانه من الاسماء الخمسة .

« اعترض آخر وجوابه »

واعترض ايضاً بان الالف في (ابا) تشعر باضافته وتعريفه واللام في (لك) تشعر بتنكيره وعدم اضافته وفي ذلك تضاد ظاهر . واجيب بان جهة كل مختلفة فالاضـافة والتعريف من جهة المعنى والتنكير وعدم الاضافة من جهة اللفظ .

« اعتراض آخر »

مما أورد على هذه التقارير قول العرب (لا ابالي) (ولا اخالي) كقول الاعشى :

فأنت ابي ما لم يكن لي حاجة وان عرضت ايقنت ان لا ابالي

وقول الآخر :

وذي اخوة قطعت انساب بينهم كما تركوني مفرداً لا اخاليـا

فان ابا واخا هنا معربان بالحرف وهو الالف مع ان شرط اعراب الاسماء الخمسة بالحروف ان تكون مضافة لغير ياء المتكلم فلو كانت الاضافة ملحوظة في هذا التركيب لم يكن اعرابها بالالف لانهما يكونان حينئذ مضافين لياء المتكلم بل يكونان واجبي الاعراب بالحركة الخ — الى غير ذلك من الاخذ والرد وتتابع الاعتراضات واجوبتها مما لو قصدت استقصاءه لملأت به كتيباً على حدته ترى فيـه من ضروب التمحل والتعسف ما يؤيد لك قول القائل : (أضعف من حجة نحوي) كيف يذعن العقل لاعتبار وجود اللام تارة وعدم وجودها أخرى وكيف يبني على عدم الاعتداد بها اضافة ابا الى مابعده واللام ماثلة امام العين ، وهل يجوز لك ان تجمع بين معنيين متضادين في حرف واحد بان تجمع بين النفي والاثبات في حرف (لا) فتقول مثلاً (لا اكتب) معنـاها اذا اعتددنا بـ (لا) نفيُ فعل الكتابة عني ومعناه اذا لم نعتدد بلاثبوتُ فعل الكتابة لي : هذا لعمر الحق من الفلسفة التي ينكرها المنطق ولا يخضع لهـا العقل . وهل يسعنا اذا اردنا تفسير الاعتداد باللام وعدم الاعتداد بها ان نفسرها بغير النية فنقول حينئذٍ اذا نوينا وجود اللام زالت صورة الاضافة واذا لم ننوِ وجودها بقيت الاضافة وهل يباح للنحوي ان يطبق اعراب هذه الكلمة على حديث « إنما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى » فيقول انما الاعراب بالنيات وانما لكل نحوي من الاعراب ما نوى .

أتدري يا صاح ما هو الباعث على قيام هذه الضجة العظيمة حول اعراب هذه الكلمة

أتدري ما هو السبب في ذلك كله هو وسوسة النحاة وعسلطتهم في الف (ابا) فلو انهم تسامحوا قليلاً وطابت نفوسهم باعراب هذه الكلمة على لغــة من يقصر الاسماء الثلاثة اب اخ حمٌ في جميع احوالها لخلصوا من تلك الضجة وطرحوا عن عواتقهم ذلك العبء الثقيل .

ان اعراب هذه الكلمة على لغة القصر هو مذهب ابي علي الفارسي وابن يسعون وابن الطراوة وهو مذهب لا بأس به لانه اقل تحملاً من مذهب سيبويه والجمهور وخلاصة ماقالوه فيه ان ابا جاءت على لغة من يقصر الاسماء الثلاثة اي يلزمها الالف في جميع احوالها ككلمة قفا ومنها قولهم ان اباها وابا اباها وقولهم مكره اخاك وعليها حديث ما صنع ابا جهل وقول ابي حنيفة لا قود في مثقل ولو ضربه بابا قبيس فاعراب هذه الكلمة على هذا المذهب ان تقول لا نافية للجنس وابا اسمها مبني على فتح مقدر على آخره في محل نصب لانها اسم لا ولك جار ومجرور متعلق بمحذوف هو خبر لا تقديره معلوم او موجود وان اسم لا حذف تنوينه للبناء .

وقد اورد على هذا المذهب اعتراضان اوردهما اصحاب مذهب سيبويه والجمهور في اعراب هذه الكلمة .

الاعتراض الاول : قولهم ان حذف التنوين من اسم (لا) ليس لكونه مبنياً بل لانه مضاف الى ما بعده لعدم الاعتداد باللام المقحمة بينه وبين المضاف اليه حذف منه التنوين كما حذفت النون من اسم (لا) في قولهم لا غلامَيْ له لانه معرب لفظاً مضاف الى الهاء بعده لعدم الاعتداد باللام كما هو الحال والشأن في اسم لا ابالك اه .

واجيب عن هذا بان غلاميْ في هذا المثال اسم للا مبني على فتح مقدر على الياء التي يعرب بها المثنى في حالة نصبه وله جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر لا تقديره موجود او معلوم فالنون المحذوفة منه هي عوض عن التنوين في الاسم المفرد وغلاميْ غير مضاف وانما حذفت منه النون شذوذاً قصد التخفيف فلا يعترض به على قول ابي علي ورفيقيه ان حذف التنوين من ابا للبناء ، وقد حذفت النون تخفيفاً في غير هذا المثال ايضاً كقولهم (لا يديْ لامرىء) وقولهم بيضك ثنتان وبيضي مأيتا اي مأيتان .

الاعتراض الثاني : ان الذي يقول لا ابا لك جميع العرب والذي يقول مكره

اخاك ولا ابا لي ولا اخا لي بعض العرب ولا تخرج لغة قوم على لغة قوم آخرين ·

وقد اجيب عن هذا الاعتراض بان يقال لمن اورده هل عندك علم قاطع بان الذي لفظ هذه الكلمات اول مرة هو من غير القبيلة القائلة بقصر الاسماء الثلاثة وما ادراك بان يكون اول ناطق بها فرد من افراد تلك القبيلة ثم تسامعت بها العرب فمنهم من قالها حسب لغة اول من قالها لانه اعتبرها جارية مجري الامثال التي لا تغير ومنهم من لم يعتبرها كذلك فنطق بها حسب لغته فقال لا ابالك ولا اخ لك ولا اب لي ولا اخ لي الخ ·

بهذا الجواب ينتهي الخصام و يكون إعراب هذه الكلمة مسكي الختام ·

« استعمال هذه الكلمة على أشكال مختلفة »

وردت هذه الكلمة في اشعار العرب وعباراتهم على اشكال مختلفة منها لا ابا لك ولا اب لك ولا ب لك ولا ابك ولا ابا لغيرك ولا ابا لشانئك ولا ابا لكم ولا ابا لابيكم ولا اباك ولا اب له ولا ابا له ولا ابا لي ·

« ما ذا يريده العربي من هذه الكلمة »

هذه الكلمة خرجت مخرج المثل تقال لمن له اب ولمن لا اب له وتستعمل للمدح بان يراد بها نفي نظير الممدوح لان أقرب ما يناظر الابن ابوه فنفي الأب نفي للنظير واستعملوه في موضع الذم بان يراد منه انه مجهول النسب واستعملوه بالتعجب والتفجع وعند الحث على اخذ الحق وعند الاغراء على الشيء وقد يقوله الرجل الجافي من العرب عند المسألة والطلب وربما قالها الرجل منهم للخليفة والامير كأن يقول له انظر في رعيتك لا ابا لك وقال المبرد وابن هشام اللخمي قولهم لا ابا له فيه غلظة وجفاء واصله ان ينسب المخاطب الى غير اب معلوم شتماً له واحتقاراً به ثم كثر في الاستعمال حتي جعل في كل خطاب يغلظون فيه على المخاطب واستعملوه ايضاً لدفع العين وفي الحث على الاجتهاد في الامر لان من له اب وكل امره اليه فاذا انتفى الأب انتفى من يكل اليه امره فعند ذلك يحصل له اجتهاد في تقويم امره ومعاشه · وقال برهان الدين في النهاية اكثر ما يكون (لا ابا لك) في معرض المدح اي لا مكافيء لك غير نفسك · وقد يستعمل في الذم كما يقال لا أم لك واستعمال لا أم لك في المدح غير مقبول · وقال التبريزي :

وقول الاعرابي (لا ابا لك) كأنه يلوم نفسه وهي كلمة يستعملها العرب في نضاعيف كلامهم عند الجفاء والغلظة انتهت ·

عضو المجمع العلمي
كامل الغزي

فوائد لغوية

— أو —

«كلمات جديدة للاستعمال»

كتب بعض الفضلاء « ان من أعمال المجمع العلمي في ترقية اللغة العربية ان يبحث عن الألفاظ الضائعة التي يفيد استعمالها ولكنها مبعثرة في كتب اللغة ، فقد ذكر المرحومان احمد فارس واليازجي أن من هذه الألفاظ الكثير الموافق للمعاني العصرية والمطابق لاغراض الحياة لكن قلة استعماله أفضت الى نسيانه » ·

فرأيت اجابة لنداء هذا الفاضل ان أنشر في صحفنا المحلية نموذجات من هذه الكلمات المنسية التي أشار باحيائها العلامتان احمد فارس واليازجي آخذاً على نفسي الاختصار فيما أنشره كي تخف قراءته على المطالعين · وارجو من محرري الصحف ان يخدموا لغتهم باقتباس هذه الكلمات وإحيائها بالاستعمال · وبذلك تشيع سريعاً · ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ·

(فعل ترمس) — كثيراً ما يحدث في بلد من البلاد شغب او فتنة فتمسك السلطة المحلية مثيري تلك الفتنة ويكون من جملتهم فلان · اما فلان هذا فيدعي لدى الاستنطاق : بانه كان قد (ترمس) في اثناء الفتنة اي انه تغيب عنها ولم يشهدها ·

ففعل (ترمس) فسّره القاموس المحيط بما قلنا وعزاه شارحه التاج الى (ابن الاعرابي) وتصريفه هكذا : (ترمس) فلان عن ذلك الشغب فهو (مترمس) متغيب عنه وفلان

رجل حازم (يترمس) عن الفتن كلما شبت نارها . (والترمسة) في هذه الايام من خير الأعمال لإراحة البال . وهكذا .

(ملاحظة) لا يقال ان فعل (تغيّب) مثلاً يقوم مقام (ترمس) لاننا نقول : ان (التغيب) يكون عن الفتن وغيرها . اما (الترمسة) فيظهر من كلام اللغويين انها خاصة بالشغب والحرب .

وهذه الكلمة وكثير من أخواتها الفصيحة قد لا تقع في اول الامر من الذوق موقعاً حسناً . ولكن تكرّر استعمالها كفيل بصقلها . وتحسين موقعها .

(فعل وَسِنَ) — ذكرت صحف بيروت منذ ايام ان رجلاً نزل في بئر نتنة يبحث عن نقود سقطت فيها فاعتراه إغماء شديد من رائحة الغازات المنتشرة في البئر .

نقول نحن في الحكاية عن ذلك الرجل انه غُشي عليه . ولكن الغشي والإغماء يكونان من أسباب مختلفة أما الإغماء الناشئ عن نتن الآبار وعفونتها خاصة فان العرب استعملوا له كلمة خاصة وهي (الوسن) الذي معناه النوم الخفيف فيقال : فلان نزل في بئر الزيت وكانت عميقة وقد مضى عليها زمن وهي مسدودة (فوَسِنَ) اي أغمي عليه من نتنها وعفونتها . والبئر الفلانية (أوسنت) فلاناً . ونقول لآخر لا تنزل في آبار المصابن القديمة العهد فانها (موسِنة) تهلكك بعفونتها . ويجب على دائرة الصحة ان تردم الآبار (الموسِنة) أو تجعل الهواء يتطرق اليها فلا تعود (تُوسِن) أحداً .

(كلمة أشفّ) — واذا كان اخوك اكبر منك سناً نقول هو أسن مني . ولكن كلامك يحتمل ان يكون أسن منك بسنة اوسنتين اوعشرين فكيف نقول حتى يفهم الناس انه أسن منك قليلاً اي بسنة او سنتين مثلاً ؟ نقول ان اخي او صديقي فلاناً أشفُّ مني (بالفاء) اي اكبر قليلاً .

(كلمة البريم) — تؤلف الحكومة أحياناً جيشاً من جنود مختلفي الجنس واللون . وتسميه (الجيش المختلط) ولكن ألا يوجد كلمة عربية واحدة تقوم مقام هاتين الكلمتين ؟

نعم : كان العرب يسمون الجيش المؤلَّف من عدة قبائل ولكل قبيلة شعار ذو لون خاص — يسمونه (البَرِيم) وهذا الاسم مأخوذ من (البريم) الذي معناه خيط مركب من عدة ألوان : أحمر وأصفر ، او أسود وأبيض ، تشده المرأة على وسطها او عضدها تتزيّن به ، وعلى هذا يمكننا ايضاً ان نعرب كلة (Cordon) الافرنسية بكلة (بريم) العربية ،

(فعل أصفى) — وقد يشيخ الشاعر فيعجز عن معاناة النظم وابتكار المعاني الشعرية ، فتقول العرب عنه حينئذ : (أصفى الشاعر) كما يقولون (أصفى الرجل من الأدب اذا خلا منه) ولعلهم لا يريدون بهذا الا ان الشيخوخة حالت بينه وبين مظاهر الأدب من نظم شعرٍ أو إرسال مثَل او غير ذلك ،

وأصل قولهم (أصفى الشاعر) مأخوذ من قولهم (أصفت الدجاجة) اذا انقطعت عن البيض ، ومن هذا المعنى اخذوا قولهم ايضاً (أصفى الرجل) يريدون انه قد نفدت مادة رجولته ،

فهل يصح للحكومة بعد هذا الشرح ان تقول : (إنّ الموظف الفلاني قد أصفى) تعني انه شاخ وعجز عن اتقان العمل واستحق التقاعد ،

ومصدر (أصفى) بهذا المعنى (الإصفاء) فيراد به عجز المأمور عن متابعة العمل ، اذا شاءت الحكومة فلتستعملها ،

(كلمتا سمامة وسماوة) — تذهب الى المصوّر ليصورك فأول ما يسألك عن الصورة ، أتريدها كاملة او نصفية ؟

والصورة الكاملة تسمى باللغة الافرنسية (Statue) والصورة النصفية تسمى (buste) وقد استحسن بعض فضلاء تونس ان نستعمل كلة (سَمامَة) للصورة الكاملة : ففي كتب اللغة : ان السمامة تطلق على شخص الرجل بتمامه اذ يقال ، (فلان بهي السمامة ظاهر الوسامة) كما تقول اليوم (بهيُّ الطلعة) ولا نريد الا شخصه كله ،

اما الصورة النصفية فنستعمل لها كلة (سَماوَة) بالواو ، ففي كتاب الامالي لأبي علي القالي (جزء ١ ص٢٥) انه يقال لأعلى شخص الانسان (السماوة) ، وفي القاموس

وشرحه (سماوة كل شيءٍ شخصه العالي) فاذا قال لك صديق اني سأهدي اليك صورتي تسأله : (أَسمامة هي او سماوة ؟) فيجيبك (سماوة) فتقول له : (حبذا لو كانت سمامة) .

(كلمة التغلية) — هي من نوع (البرقيات) كما سماها صديقنا احمد تيمور باشا وعنى بها الكلمات المفردة التي لها معنى مركب : فكما ان الجملة التي ترسلها بالبرق تكون موجزة جد الايجاز بحيث تؤدي بلفظها القصير ، المعنى الكثير : كذلك (برقيات اللغة) هي كلمات مفردة في لفظها ، لكنها مركبة في معناها . من ذلك كلمة :

(التغلية) وهي مصدر (غلّى يغلّي) بتشديد اللام ومعناها ان ترى شخصاً من بعيد فتشير اليه . او تسلم عليه . فهذه الاشارة والتسليم من بعد يسمى (تغلية) .

يسألك سائل مثلاً هل رأيتَ فلاناً اليوم واخبرته بالامر الفلاني ؟ فتجيبه لم اجتمع به بعدُ وانما رأيته في المرجة (فغلّيت عليه) و (غلّى عليّ) تريد انه سلم عليك وسلمت عليه من بعيد ولم تتمكن من مخاطبته وجهاً لوجه .

وقد تكون الاشارة من بعيد بغير قصد السلام والتحية وانما لإفادة مرام آخر كأن تشير اليه باليد (الى أين ؟) فيشير اليك بيده (الى محل كذا) . والتغلية بهذا المعنى تصلح للجنود الذين يتعلمون التعليم العسكري اذا كانوا متباعدين في ميدان فسيح الاكناف وتبادلوا بينهم اشارات مخصوصة اصطلاحية فان اشاراتهم هذه من قبيل (التغلية) . ومثل الجنود في ذلك رجال الاعمال الهندسية اذا كانوا في الفلوات والساحات الكبرى والشوارع المتطاولة : فانهم اثناء ممارستهم أعمالهم يغلّي بعضهم الى بعض ويقول رئيسهم لمساعده مثلاً (أحسن التغلية) و (انتبه كيف تغلّي) و (فلان يغلّي أحسن منك) الخ .

ومثلهم البحّارة على ظهر السفن : فانهم يغلّي بعضهم الى بعض . و (التغلية) انواع وضروب ، منها ما يكون بحركات الايدي ومنها ما يكون بالمصابيح او الرايات الصغيرة

وفي الافرنسية كلمتا (Sémaphore) و (Signaux) فانه يصح ترجمتهما او ترجمة الثانية منهما بكلمة (التغلية) العربية .

ويمكن ان نشتق من (التغلية) كلمة (المغلى) بفتح اللام اسماً للمكان او الموقف الذي يخاطب منه الآخرون بالاشارات . واذا كان هناك ادوات تستعمل للاشارة نسميها (مغالي) واحدها (مغلاة) .

(الترع والتريع) — ومما يصح ان يعد من (برقيات اللغة) كلمة (الترع) وهو ان يباشر الانسان أعماله الشاقة بنشاط ومرح من دون تأفف ولا تذمر .

والرجل الذي هذه صفته يسمى (تريعاً) والمرأة (تريعة) . وكانت أم عروة ابن الورد (زعيم الصعاليك في الجاهلية) تريعة جريئة على اقتحام المصاعب والدخول فيها بنشاط وارتياح فعيروا ابنها عروة بذلك فقال :

(وعيرتموني أن أمي تريعة وهل ينجبن في القوم غير الترائع)

يقول ان المرأة اذا لم تكن تريعة ذات جرأة على تحمل المشاق لا تأتي بأولاد نجباء بل يجيء اولادها ضعافاً خائري العزيمة .

(كلمة ننثن) — ومن (برقيات اللغة) كلمة (تَنَدَّنَ) ومعناها ان يكون لك أصدقاء فتملهم وتهجرهم الى آخرين سواهم . وفلان (متنثن) لا يكاد يصاحب قوماً حتى يدعهم و يصاحب غيرهم .

(كلمة نقثاف) — ومنها كلمة (نقثاف) وقالوا في تفسير معناها هو (من يلتقط أحاديث النساء) ولا ندري كيفية استعمال هذه الكلمة . ولا في اي المقامات يمكن ان نستعملها . ولعل دوائر الشرطة تعرف كيف تستفيد منها . وفي اي المناسبات تستعملها .

(فعل تغا تغواً) — ومن هذه الكلمات او البرقيات فعل (تغا يتغي تغواً) وهل هو خاص بالجواري اي البنات الصغار يا ترى ؟ فان علماء اللغة يقولون : (تغت الجارية ضحكها) اذا أخفته وجعلت تغالبه و يغالبها بحيث كان يسمع منها صوت (تغ تغ) وهو اسم لصوت الضحك .

وكأن (التغو) اكثر ما يقع من الجواري لفرط حيائهن : فانهن لا يجرأن امام أساتذتهن او ضيوف بيوتهن على رفع الصوت بالضحك وانما هن (يتغون) و يغالبن ضحكهن خجلاً وحياءً . وهذا هو السبب في تمثيل اللغو بين بالجارية . والا فكل انسان رجلاً كان او امرأة فتىً او فتاة اذا غالب ضحكه وحاول إخفاءه حتى سمع منه صوت (تغ تغ) جاز ان نسمي فعله (تغو) .

« المغربي »

الاورنغ هوتن

او الربّاح

« ١ً · تعريف هذا القرد »

الاورنغ هوتن ، كلمة ماليسية مركبة من أُورَنْغ (ويكتبها الماليسيون بغين عليها اربع نقط ويلفظونهـا نوناً وغيناً) اي انسان وهُوتَن اي غابات او غياض · ومعناهما انسان الغابات او الغيـاض و يراد به قرد كبير قريب الشبه بالانسان وهو كثير الوجود في جزر سومطرة وبورنيو وجاوة ·

« ٢ً · هل عرف السلف هذا القرد وما اسمه »

هل عرف السلف هذا القرد ؟ — نعم ، عرفه لانهم دخلوا بلادهم منذ زمن مديد لا يُعرف على التحقيق وعلى كل حال ذهب الى تلك الارجاء (ارجاء سومطرة وبورنيو) سيرافيون (رجال من سيراف) عُرِفوا بشجاعتهم ونقلوا الى تلك الربوع الدين الاسلامي ، وكان بينهم من تزوّج نساء من تلك الجزر فبقوا فيها ، ومنهم من كانوا يعودون الى بلادهم العربية ليتاجروا بما يجلبونه منها · وهؤلاء كانوا يعرفون كل ما في سومطرة وبورنيو من الغلاّت والمعادن والنباتات والحيوانات · وهكذا كانوا قد عرفوا القرد الذي سماه الافرنج بالاسم المعروف في البلاد الماليسية باورنغ هوتن (Orang - outan) فأسقطوا الهاء على مألوف عادتهم من الكلمة الثانية وقالوا غلطاً (اورانك اوتان) ·

اما السلف فكانوا قد سموا تينك الجزيرتين باسم واحد يشملها وهو زابج وكانوا يطلقونهـا على جزيرة جاوة ، فكانت زابج تدل مرة على سومطرة وأخرى على بورنيو وتارة على جاوة وطوراً على مجموع الجزر التي ترى في تلك الانحاء ، كما يطلق الافرنج كلمة اوربة على بلاد عديدة ، وكما يشمل اسم إفريقية دياراً كثيرة ، وهكذا تصرف السلف بكلمة زابج (بزاي فألف فباء موحدة تحتية ثم جيم في الآخر) فدلّوا بها على جميع ما في تلك الارجاء من الخُرُص (جمع خريص وهو الجزيرة في البحر) ·

على ان غرابة لفظة زابج وخلو لغتنا من هذه المادة (مادة ز ب ج) وقلة استعمال

اللفظة في امور الدنيا دفعت الناس الى جهلها فصحفوها نقلاً عن الكتب لا سماعاً عن الناس فجاءت مشوّهة أقبح تشويه فمنهم من قرأها زابج وآخرون رابج وجماعة زباج وفريق رباح وطائفة زانج وكثيرون زنج الى غير هذه المصحفات التي تعد بالعشرات ولا تكاد تحصى لان كل كاتب رواها على صورة وادعى انها هي الصحيحة . اما الرواية التي لا شبهة فيها فهي (زابج) وما سواها فهي من التصحيفات القديمة ، وبعضها من التصحيفات الحديثة وكلها غلط من جهة التحقيق .

ومن المعلوم ان الأقدمين منا وضعوا الفاظاً عديدة منسوبة الى البلاد كالقبطيّ والبابلي ، والماذيّ ، والخطيّ ، والهنديّ ، الى غيرها التي لا تحصى بالعشرات بل بالمئات وربما ذكروا ذلك الاسم بغير ياء النسبة . فقد جاء في تاج العروس : الجهرميـة ثياب منسوبة اليه (اي الى جهرم بلد بفارس) من نحو البسط وما يشبهها او هي من الكتان . قال رؤبة :

بل بلد مثل الفجاج قتمه   لا يشترى كتانه وجهرمه

جعله اسماً باخراج ياء النسبة . ونقل ابن برّي عن الزيادي انه قد يقال للبساط نفسه جهرم انتهى . وهناك غير هذه الكلمة مما يدل على ان اسلافنا كانوا لا يعتدون بياء النسبة في بعض الاحيان حباً للاختصار .

وهكذا فعلوا في كلمة زابج فانهم نقلوها الى صورة زباج ثم الى رباح ونسبوا اليها عدة الفاظ لعدة معانٍ وكل صورة من تلك الصور وردت بمعنى يختلف عن صاحبه . فسموا الدويبة التي يكون فيها ضرب من المسك رَباحاً وزباداً وزباد أقرب الى زباج الا انهم قلبوا الجيم دالاً على لغة من لغاتهم القديمة كأبد وأبج ، اسدف واسجف . الماجشونية والمادشونية الجشيشة والدشيشة الى غيرها وهي كثيرة عندهم . وعلى هذا الوجه جعلوا لفظتين لحيوان واحد لا يُرى الا في سومطرة وجاوة اي في زابج وهو المعروف عند الافرنج باسم (Civette) نقلاً عن زباد .

وقالوا الرَباحِيّ وخصوا هذا الحرف بصنف من الكافور لا يكون الا في زابج (في رباح) قالوا : وهو صنف من الكافور نسبة الى رَباح (تصحيف زباج تصحيف زابج)

اسم بلد يجلب منه الكافور · والرباحي يعرف بلسان العلم باسم (Dryobalanops Aromatica) وله اسم واحد بالفرنسية وهو (Bornéol) ويسميه بعضهم (Camphre de Bornéo) اما بقية الانواع فيسمي بالكافور لا الرباحي · وكذلك في اللغة الفرنسية فان الواحد غير الآخر والرباحي الخر ·

ومن الألفاظ التي نشأت من اسم هذه الجزيرة او هذه الجزر الرُبّاح كُرُمّان وخصوه بالقرد الذي يُرى في تلك الانحاء اي بما سماه الافرنج باسمه المااليسي اي اورنغ هوتن · على ان السلف من اللغويين ظنوا ان الرباح هو الذكر من القرود · وسبب وهمهم هذا مبني على ان الضخم من الحيوانات المتشابهة هي ذكور لا اناث · فقد جاء في كتاب حياة الحيوان : الجُرَذ ذكر الفيران · وقال الاوز : البط واحدته اوزة · مع اننا نعلم ان الجرذ شيء والفأر شيء آخر · والبط غير الأوز وان كان الواحد يشبه الآخر في خلقه · ومن غريب ما قيل في هذا الباب ان بعض العلماء كانوا يعتقدون ان بعض الحيوانات قد تكون تارة ذكراً وتارة أنثى · فقد روى الدميري في حياة الحيوان الكبرى كلاماً عن الضبع نورده بحرفه قال : « ومن عجيب امرها انها كالأرنب تكون سنة ذكراً وسنة أنثى ، فتلقح في حال الذكورة وتلد في حال الانوثة » ثم زاد على ذلك بقوله : نقله الجاحظ والزمخشري في ربيع الابرار والقزويني في عجائب المخلوقات وفي كتابه مفيد العلوم ومبيد الهموم · وابن الصلاح في رحلته عن ارسطاطاليس وغيرهم انتهى · فاذا كان هذا معتقد بعض كبار العلماء فما قولك في صغارهم وفي عوامهم · إذن لا يجدر بنا ان نعلق كبير أمر على قولهم : الذكر من الحيوان الفلاني اوالفلاني ففي أغلب الأحيان لا يدل كلامهم المذكور الا على كبر الجسم في الحيوان الذي يذكرونه لا ذكورته ولا أنوثته على الحقيقة ومن هذا القبيل الكلام عن الرُبّاح (كُرُمّان) فيراد به كبير القرود · والاورنغ هوتن هو كذلك من كبار هذه الحيوانات ·

على ان جميع اللغويين لم يقولوا بان الرباح هو القرد الذكر بل ذهب بعضهم الى انه ولد القرد كما جاء في كلام بشر بن المعتمر من شعراء عهد الرشيد وقال الليث الرباح اسم للقرد وقال ابن الاعرابي الرباح القرد وهو الهوبر والحَوْدَل · وقيل هو ولد القرد وهو الرُبّح ايضاً كُزْفر (راجع كل ذلك في لسان العرب وتاج العروس) إذن تخصيص الرباح بالقرد

الذكر هو من أوضاع بعض اللغو بين الذين ضيقوا الخناق على اللغة ·

ولهذا يجدر بنا ان نعود الى المعنى الاول من وضع هذه اللفظة اي ان الربح (كزفر وهو ناشئ من قراءة زابج بصورة زبج وزنج كما ورد في عدة كتب مخطوطة ذكرها المستشرقون عند توليهم طبع كتب السلف) والرُبّاح (وهو ناشئ من قراءة زبّاج او الزباج لغة في زابج او الزابج) يعنيان نوعاً من القرود معروفاً في جزائر سومطرة وجاوة وبورنيو وهو المسمى عند اهالي تلك البلاد وعند ابناء الغرب أورنغ هوتن ·

وكان يجب ان يقال رُبجي اور باجي لكن السلف احدثوا تغييراً في اللفظ احداثاً لمعنى جديد ليدل كل مبنى على معنى غير معنى المبنى الآخر · لكن أ فعلوا ذلك عمداً ام لا ؟ تلك مسألة أخرى · والذي عندنا ان هذا التغيير في هذه المادة لم تكن عن قصد بل عن وهم ، لكن نعم الوهم ·

« ٣ · تاريخ دخول العرب ديار جزائر زابج »

لم يستطع الافرنج ان يهتدوا الى الآن الى السنة التي دخل العرب فيها ارجاء تلك الجزر · ووقوفنا على الاسم الذي شاع عند السلف عنها يدلنا على انهم ولجوا تلك الخرص قبل القرن الثامن والسبب هو ان الليث ذكر في كتاب العين الرباح بمعنى هذا القرد الخاص بجزر زابج ، فاذا كانوا قد عرفوه فقد عرفوا تلك الربوع · لان الليث ولد سنة ٦٩٤ وتوفي سنة ٧٨٣ م ، ولم يذكر اللغوي الكبير ذلك الاسم بمعناه الا سماعاً عمن سبقه من حملة اللغة ورواتها واللفظة تحتاج الى قرن او اكثر لذيوعها بين الناس · إذن اننا نرجح ان العرب دخلوا تلك الديار قبل القرن الثامن على أقل تقدير · وهذا كشف جليل للتاريخ وللاءفراع (للجغرافية) والفضل فيه عائد الى هذه اللفظة ، وكم من كلمة هدت العلماء الى حقائق لم يصلوا اليها بطرق او وسائل أخرى · فلا عجب بعد هذا اذا أقبل العلماء على درس اللغات وأسرارها وانتشارها ·

« ٤ · من اين نشأت سائر معاني الرُبَع والرباح »

من معاني الرباح (كرمان) الجدي والفصيل الصغير الضاوي · والرُبح (كزفر) يعني الفصيل والجدي وطائر · فمن اين جاءنا سائر المعاني ؟ ولا بد للباحث من ان يمعن في التحقيق ليصل الى غايته ·

قلنا : ان الرُبح بمعنى الفصيل لغة في الرُبع . وورود الحاء مبدلة من العين اكثر من ان تحصى وهي لغة قديمة لهم وهي لغة هذيل وثقيف وسعد . وتسمى الفحفحة فيجيء الربح بغير معنى القرد المذكور ناشئاً من هذه اللغة ولما كان الفصيل يأتي للجدي في بعض الاحيان حين ينفصل عن أمه جاءت الكلمة بمعنى الفصيل والجدي معاً . ومال الرباح الا ما طُ كلمة الربح ونقلها الى وزن فعال (كرمان) أمناً للبس . و بهذا القدر كفاية .

الاب انستاس ماري الكرملي

صاحب مجلة لغة العرب

كتاب منادح الممادح

في المكتبة الخالدية[1] ببيت المقدس نسخة من كتاب مشجر كتب بمختلف الاصباغ والليق وقد جاء في صدره : «كتاب منادح الممادح وروضة المآثر والمفاخر في خصائص الملك الناصر رحمه الله» .

قال عبد المنعم بن عمر بن حسان الغساني الاندلسي الجلياني وهذه : صورة المدبجة المشجرة المبهجة ذات النهرين أنشأتها في سنة ثمان وتسعين (كذا) وخمسمائة والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله اجمعين» .

ويعرف هذا الكتاب بالمدبجات وقد جاء في طبقات الاطباء[2] وفوات الوفيات[3] ان عبد المنعم هذا فضلاً عن انه كان طبيباً يقال له حكيم الزمان فقد كان اديباً يشار اليه بالبنان ، وانه كان مشهوراً بعمل المدبجات وان الكتاب الذي نحن بصدده قد ألفه سنة ٥٦٩ وهو يخالف التاريخ المذكور اعلاه ولكنه أصح منه زعماً وأصدق قيلاً لان السلطان صلاح الدين قد توفي سنة ٥٨٩ هـ ١١٩٣ م فلا يصح ان يكون قد انشأ المنشئ مدبجته بمديحه في سنة ٥٩٨ هـ ١٢٠٢ م والأصوب ان يكون ذلك في سنة ٥٦٩ هـ ١١٧٤ م كما ذكره ابن

(١) راجع وصفنا لهذه المكتبة في مجلة المجمع العلمي العربي مجلد ٤ صفحة ٣٦٦ .

(٢) طبقات الاطباء ج ٢ ص ١٥٧ . (٣) فوات الوفيات ج ٢ ص ١٦ .

ابي أصيبعة في طبقات الاطباء هذا اذا لم يكن في سنة ٥٦٨ وناسخ المدبجات نسخها ٥٩٨ سهواً . وقال الحاج خليفة في كشف الظنون [1] :

« ديوان التدابيج لابي الفضل عبدالمنعم بن عمر الجلياني المتوفى سنة ٦٠٢ جملته مائة بيت واثنا عشر بيتاً وهو مشتمل على أعاجيب من المدبجات المعجزة النظم .

وقد زيدت اسماء أجداده في طبقات الاطبا وفوات الوفيات الذي يظهر ان مؤلفه نقل عن صاحب الطبقات فقيل عنه عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن احمد بن خضر بن مالك بن حسان وترك ابن ابي أصيبعة او ناسخ كتابه عند ذكر تاريخ الوفاة بياضاً كأنه لم يتحققه بعكس ابن شاكر الكتبي فانه عينها في سنة ٦٠٢ هـ ١٢٠٦ م وكذلك الحاج خليفة وقد تقدم قوله .

وكنت ذكرت هذا الكتاب في مقالتي التي كتبتها عن المخطوطات النادرة المحفوظة في خزانة الكتب الخالدية [2] ونقلت اليها تاريخ وفاة المؤلف كما هي الا ان المجمع العلمي كان اختصر تلك المقالة المطولة فعند تمثيلها بالطبع جاء تاريخ وفاته سهواً سنة ٦١٣ هـ ١٢١٦ م في حين ان هذا التاريخ هو لوفاة الملك الظاهر بن صلاح الدين الذي قلتُ انه أحد ممدوحي عبد المنعم .

وفي هذا الكتاب جداول هندسية بخطوط ملونة وعدة قصائد تقرأ من اول حروفها ثم كلمات بعض الشطور فتلتئم مع الباقي .

ويظهر ان المدبجات التي فيها لم تكن مقصورة على مدح السلطان صلاح الدين وحده بل تناولت اولاده كما ستراه في المثال الذي سنذكره .

ومن هذا الكتاب نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق وأخرى في دار الكتب المصرية بالقاهرة وثالثة في الخزانة الزكية لصاحبها صديقنا العلامة الجليل الاستاذ احمد زكي باشا فيها ايضاً ورابعة في المكتبة الاهلية بباريز .

وقد كنتُ اجتمعت في المكتبة الخالدية بالمستشرق الدانيماركي پدرسن (Pedersen)

---

(١) كشف الظنون طبع القسطنطينية ج ١ ص ٥٠٦ .

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي م ٤ ص ٣٦٧ .

وهو من اعضاء مجمعنا العلمي فكان قصارى همه ان يطلع على هذا الكتاب النفيس ثم اطلع بعد ذلك على غيره مما احتوت عليه تلك المكتبة الغنية بمخطوطاتها ومطبوعاتها وكان ذلك قبيل الحرب العامة .

وهذا نصّ ما قاله عبد المنعم في مقدمة مدبجة وردت في اواسط الكتاب :

« واعلم ان أبيات هذه المدبجة المشجرة بسافها التي تسلك في سطر المدبجة طولاً مبدؤها من الغصن الذي في آخر شطر منها وهو مكتوب بالاحمر صاعداً الى الشجرة جملتها في العدد ثلاثة وخمسون بيتاً ميمياً . كلها مداخل بعضها في بعض ولنخرج أبياتها ان شاء الله تعالى بعد فراغنا من المدبجة ليستعان على قراءتها بعون الله وحسن توفيقه ومنّه وكرمه » .

ثم قال : « أنشأت هذه الرسالة المحبوكة للملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب في سنة خمس وثمانين وخمسمائة » .

وجاء في أواخر الكتاب ما نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم قال عبدالمنعم بن عمر بن حسان الغساني الاندلسي الجلياني في سنة اثنتين وستمائة و يجب ان تكون آخر مدبجاته لانه توفي بها . الحمد لله جاعل الملوك صفوة الأنام وجلوة الايام وقدوة الاحكام وأسوة الأحكام فهم نور لدى الأظلام ونار على الأعلام الى فنائهم يرتحل ارباب الأحلام وفي ثنائهم يرتجل أصحاب الأقلام فكم فيهم من ذي همم يرتاد جدب الخبير الماهر وذوي شيم يقتاد قلب البصير الطاهر كشمائل الملك الظاهر لانه اكمل الملوك النظار فهما وانفذهم في رمايا الاسرار سهما فنظره اذا فُوّق الى أغراض المشكلات أصمى وفض عرى الحوادث المعضلات فصما فنواصل الحمد لله الذي اختصّ هذا الملك بما لم يجر مثله في الأوهام و يسّر لنا تحبير ذكره بسابق الاذن منه والالهام وصلواته على سيدنا محمد أفصح ناطق بجوامع الكلام وأنصح صادق يدعو الى دار السلام صلى الله عليه وعلى آله وصحبه دراري آفاق الاسلام . اما بعد فانه لما أذن الله تعالى لي بالحركة الى المقام الظاهري الأرفع قادماً عليه بارفع وأعجب التحفة من المقال المبدع من مدبجة خرقت العوائد :

شبا بالحسام العضب كل منازعِ — وأورد بحر الفضل سامي المنازعِ
غياث الانام الظاهر الملك الذي — به حاب طالت معاذاً انــازعِ
شبا بالحسام العضب كل منازعِ — وأورد بحر العلم مسبح جازعِ
غياث الأنام الظاهر الملك الذي — به حاب طالت مقراً لهــازعِ
شبا بالحسام العضب كل منازعِ — وأورد بحر الفضل غامر شارعِ
غياث الأنام الظاهر الملك الذي — به حاب طالت معاذاً لضارعِ

الى ان يقولـــ :

شبا بالحسام العضب كل منازعِ — وأروى عُناة مالهم من موارعِ
غياث الأنام الظاهر الملك الذي — به الشام أضحت معلماً في المذارعِ
شبا بالحسام العضب كل منازعِ — وأروى الظبا اقدامه في الدوارع
غياث الأنام الظاهر الملك الذي — به الشام قد حازت فداح المقارع

وبين العجز من هذه الشطور كلمات بالحبر الأحمر تتألف منهــا أبيات أخرى ٠ وظاهر ان هذه المدبجة هي بمديح الملك الظاهر بن الملك الناصر صلاح الدين والكتاب كله من هذا النوع الا ان التكلف بادٍ على اشعاره باسباب مداخلتها بعضها ببعض بخلاف أشعار الناظم الاخرى فانها لا تخلو من سلاسة وسهولة ٠

عبد الله مخلص

آراء وافكار

بحث عن مخطوطات
« في مكاتب الاستانة »

أرسل المجمع العلمي الى الاستاذ زكي بك مغامز احد اعضائه في الاستانة بكلفه البحث عن مخطوطات قديمة توجد في مكاتبها المشهورة بندرة مخطوطاتها وهذه الكتب هي :

(١) المكاتبات لابي العلاء المعري .

(٢) مكايد الملوك للجاحظ .

(٣) ثمار الكتب لابي الفرج عبدالله الطبيب .

(٤) كتاب البصائر والبشائر لأبي حيان .

وقد أجاب حضرته المجمع على تكليفه بجوابين قال في الاول منهما ما يلي :

ذهبت الى مكتبة (كوبر يلي) وبحثت عن الكتب الثلاثة فاذا الاول منهـا بخط سقيم وقد فقد من اوله صفحة او بعض صفحات ومبدأ الصفحات الموجودة هكذا :

[اللغة العربية والتعمق فيها واستيفاء أقسام الفاظها ومعانيها الى آخره]

وهي تتمة عبارة سبقت ، ذهبت مع المخروم من الصفحات . والكتاب مجموع رسائل للمعري اولها مادار بينه وبين داعي الدعاة ابي نصر ابن ابي عمران بمصر بشأن تحريم اللحوم أو إباحتها . وقد كنت قرأت هذه الرسائل وترجمتها الى التركيـة عن كتاب مطبوع حديثاً في مصر باسم (رسالة الغفران) للاستاذ كامل الكيلاني : أضـاف هذه الرسائل الى الجزء الثاني من كتابه وذكر انه وجدها ملخصة في معجم الادباء لياقوت وتمنى لو كان ظفر بهذه الرسائل على شكلها الأصلي . والظاهر ان هذه الرسائل على شكلهـا الاصلي لاني وجدت اختصاراً بين ماذكره الكيلاني وماجاء في هذه الرسائل . وليس عندي معجم ياقوت لأراجعه وأتحقق الفرق . اما الرسائل الأخرى فهي موجودة في كتاب مطبوع في بيروت بنفقة خليل الخوري تحت عنوان (رسائل ابي العلاء المعري) الا رسالة الوزير ابي القاسم الحسين بن المغربي الى ابي العلاء المعري . وكل مايستحق اهتماماً في هذه الرسائل

هو الفرق بين ما نشره (الكيلاني) منها نقلاً عن ياقوت والعبارات الزائدة التي وجدتها في هذا الكتاب من رسائل الحيوان ورسالة الوزير ٠

اما الكتاب الثـاني وهو (مكايد الملوك) فهو بخط جلي سهل القراءة يحتوي على ماشاء الجاحظ ذكره من حيل الملوك ومكايدهم من روم وعجم وروم وترك ٠٠٠ ولا أظنه غير مطبوع لان كثيرين من المصريين وفدوا على هذه المكتبة واستنسخوا بعض الكتب منها ٠ فاذا كان الكتاب لم يطبع بعد استحق ان تكتب عنه مقالة لمجلة المجمع العلمي ٠

والكتاب الثالث ليس كاسمه (ثمار الكتب) بل هو في الطب والأدوية وهو منقول عن جالينوس اي كتاب طبي محض ولا أقدر على وصفه الا من الجهة العلمية ٠

وقال في جوابه الثاني :

بعد كتابي السابق اليكم ذهبت الى مكتبة الفاتح و بحثت عن كتاب البصائر والبشائر للشيخ ابي حيان علي بن محمد التوحيدي البغدادي المتوفى سنة ٣٨٠ ويقال له (بصائر القدماء و بشائر الحكماء) فاذا هو كتاب صغير الحجم في مجلدين لايزيد كل مجلد عن تسعين او ثمانين صفحة مكتوب بخط بين الرقعة والتعليق غير منقوط ٠ وأظن ان الناسخ قد استنسخه قبل ثلاثمائة سنة فهو من الكتب القديمة من حيث الخط ايضاً ٠ وقد أنفقت نحو ساعتين في تصفح بعض صفحاته فرأيت صعوبة كبرى في قراءته ولم أستطع قراءة بعض الجمل لتشابه الأحرف وغرابة أشكالهـا فلا بدّ من تعويد العين عدة ايام أشكال الأحرف واعمال الفكر في المعاني واستخراجها بالقرائن وقوة الملكة في اللغة ٠ والموضوع أدبي أخلاقي ديني فلسفي هكذا ظهر لي من تصفحي له مقدار ساعتين وهو من الكتب المهمة بالنظر الى قدم تأليفه ٠ فمطالعة هذا الكتاب والكتابة عنه يحتاجان الى التفرغ عدة ايام ٠ وربما تبقى بعض الجمل غير مفهومة وهذا يخل بقيمة الكتابة عن هذا الكتاب ٠ وقد رأيت على صفحاته أرقاماً جديدة مطبوعة بطـابع فـسألت خازن الكتب عن ذلك فقال ان بعض الألمانيين جاؤا المكتبة من زمن ليس ببعيد واستنسخوا جميع الكتاب بالتصوير الشمسي وهم الذين وضعوا تلك الأرقام ٠ فاستنتجت من ذلك ان الكتـاب لم يطبع بعد وان الألمانيين قدروا قيمته فجاؤا وأنفقوا المال في استنساخه بالتصوير الشمسي

واخذوا ما استنسخوه الى بلادهم وسيدرسونه و يحلون مشكلاته ويطبعونه مع شروح وحواشٍ منهم كما فعلوا بكثير من كتب العرب ·

تاريخ خمس كلمات

سرد الاستاذ العقاد في مجلة (الجديد) المصرية تواريخ خمس كلمات ذكر انه تصرف في ترجمتها او تحويلها مذ كان يعمل بالترجمة في بعض الصحف وهي :

(١) المشاعية

(٢) المصارفة

(٣) الخوالج

(٤) القَعَديون

(٥) المداورون

قال : (المشاعية) « كلمة اخترتها لترجمة البلشفية والدعوة الى إلغاء الملكية الفردية ونقل ملكية المرافق العامة الى الامة · واختار بعض الكتاب بعد ذلك ان يسميها الشيوعية فراجت هذه الكلمة ونسيت الاولى · وأظن ان نسيانها راجع الى صبغتها الفقهية الاصطلاحية التي لا تناسب التداول في الكلام المطروق ·

(المصارفة) « كلمة ترجمت بها الكلمة الانجليزية (Sxchange) وهي التي كانوا يترجمونها بالقطع ويعنون به (الفرق بين سعر ورق العملة في أمة وسعره في أمة أخرى) وقد سارت هذه الكلمة (المصارفة) بعض السير ولكنها لا تستعمل الآن لان الاهتمام بالفرق بين عملة الذهب وعملة الورق عندنا قد بطل او خف منذ سنوات ·

(الخوالج) « كلمة أردت ان أفرق بها بين العواطف والإحساسات الأخرى التي قد تخلو من العطف وتختلج بها النفوس · وهي كلمة محولة عن معنى قديم ولا تزال تستعمل الآن ولكن بغير ملاحظة هذا التفريق بين معنى العطف ومعنى الاختلاج ·

(القَعَديون) « هم (انصار الهزيمة) الذين يطلبون السلام باي ثمن ويسميهم

الاوربيون (Defeatist) اي الآخذين باسباب الخذلان . وقد نظرت في الترجمة الى قول الشاعر :

(فكأني وما أزيّن منها قعَديٌّ يزين التحكيما)

والقعديون عند العرب هم الضعفاء الذين كانوا يقعدون عن الحرب اذا نفرت لها القبيلة ويوصون بالتحكيم فراراً من القتال . وهؤلاء كما لا يخفى هم الذين يعنيهم الاوربيون بتلك الكلمة ومساعيهم هي بعينها مساعي الآخذين باسباب الخذلان . وانما فضلت الكلمة على كلمتي (أنصار الهزيمة) لانها من جهة كلمة واحدة لا كلمتان ومن جهة أخرى لان قولنا نصير الهزيمة معناه ان يرغب الرجل في الهزيمة ويؤثرها على الظفر ، وليس المعنيون بتلك الكلمة كذلك في الواقع . اذ هم ربما كانوا من أنصار الظفر وطلابه ولكنهم يقعدون عن الحرب ولا يغامرون بحياتهم اومصالحهم لطلب الانتصار . واحسب الكلمة صالحة للذيوع لو كثر الكلام في هذا الموضوع وجاءت المناسبة التي توجب الدعوة الى الكفاح او الدعوة الى التحكيم .

(المداورون) « هم الذين يدورون مع الفرص ، او هم الذين يسميهم الاوربيون (Opportunist) ولا اختلاف بين الكلمة العربية والكلمة الاوربية في اداء المعنى المقصود . وقد راجت الكلمة وذكرت بهذا المعنى في كلام كتاب كثيرين .

فمن تواريخ هذه الكلمات الخمس يتبين لنا طرف من العوامل التي تتيح للكلمة الذيوع ونرى ان صحة الاختيار ليست هي العامل الوحيد ولا العامل الاول في التداول والانتشار السريع وان المناسبة ربما كانت هي العامل الاول في تثبيت الاستعمال وتوكيده ولو كان في منشئه غير صحيح اه .

ملاحظتان

أنفذ الينـا السيد مصطفى الزرقاء من أفاضل حلب مقالتين احداهما باحثة فيما جاء في الجزء السابع من المجلد الثامن من مجلتنا ص ٤٢٩ للامير مصطفى الشهابي عضو المجمع عن اختياره لفظ (التبغيل) لمعنى السفاد بين حيوانين مختلفي النوع (Hybridation) واستحسانه ان يتوسع في لفظ البغل فيطلق على كل حيوان ابواه مختلفان في النوع ، قال ما ملخصه : ان لفظ البغل مشتهر كثيراً في مسماه اللغوي فاطلاقه على مثل ولد الكلب من الضبع يجيء غريباً ، فالاولى ان تخصص لفظة التبغيل بالسفاد الذي ينتج البغل ، واما فيما عدا ذلك فيتوسع في لفظ العِسبار الذي هو ولد الضبع من الذئب على كل ناتج بين نوعين مختلفين عدا البغل و يشتق منه فعل (العَسبرة) ويكون في هذا اللفظ مناسبة لاشتماله على مادة العَسب وهي ضراب الفحل .

والمقالة الثانية فيها بحث مبني على ماسبق للمجمع من وضعه لفظ (مرأب) مقابل لفظ (كاراج — Garage) وهو مستودع السيارات ، قال ما ملخصه : ان المقصود من لفظة كاراج المحل المعد لايواء السيارات فقط واما مايقع فيه من تعهد السيارات بشيء من الاصلاح فهو عرضي غير مقصود بالذات يصح ان يعتبر جزأ من مفهوم كلمة كاراج ، فالأحسن ترك لفظ المرأب للمصنع الذي تصلح فيه السيارات ونحوها واتخاذ لفظ (المراح) الذي هو اسم للمكان ليذهب منه للسفر او يرجع اليه للحلول فيه ، وهو المقصود من لفظ (كاراج) ، وقد دعم الأديب الموما اليه رأيه بشواهد من معتبرات الكتب ، فالمجمع يشكر له اهتمامه في خدمة اللغة ، وسيمحص هذا الاقتراح في فرصة مناسبة .

مطبوعات حديثة

المجمل
« في تاريخ الأدب العربي »

تأليف الشيخ محمد بهجة الأثري طبع بمطبعة العراق ببغداد سنة ١٣٤٧هـ ١٩٢٩م الجزء الاول ص ٣٠٨

يعرف قراء هذه المجلة مؤلف هذا الكتاب بما نشره في سنيها السالفة من ثمرات علمه وبحثه وبما نظر فيه حتى الآن من كتبه وكتب بعض العلماء من المحدثين والقدماء . وسفره هذا نموذج ظاهر من تحقيقاته في الأدب يدل على تذوقه أساليب القدماء ووقوفه على نشأة الأدب واللغة منذ عرف تاريخ هذا اللسان الى القرن الثاني وفيه فصول يستفيد منها طالب هذا العلم كالتي كتبها في تاريخ الادب واللغة وطبقات الشعراء ونقد مناهج القدماء وعصر صدر الاسلام والدولة الأموية وما كتبه في الخط والعلوم وعلوم العرب في الجاهلية والاسلام . كتب هذا بسلاسة وأشار الى أعمال علماء المشرقيات في هذه الأبحاث التي خاض غمارها والى مصادره القيمة التي زادت الكتاب امتاعاً فاستحق بما ألف ثناء الأدب ولغة العرب . م . ك

التاريخ السري
« لاحتلال انكلترا مصر »

ألفه مستر الفريد سكاون بلنت وراجعه ووافق على ما فيه الشيخ محمد عبده مشفوعاً بتمهيد بقلم السيد عبد القادر حمزة ص ٥٨٦ منها ١١٠ صفحات تمهيد الناشر طبع بمطبعة البلاغ الاسبوعي في مصر

من أفيد ما أخرجت المطابع في العهد الاخير هذا السفر النفيس الذي كشف غوامض كثيرة في تاريخ مصر الحديث وما تخلل عهد الخديو اسماعيل من العوامل التي أدت الى الاحتلال الانجليزي . والمؤلف مستر بلانت ايرلاندي عظيم عطف على

القضيــة المصرية وأقام طويلاً في مصر وعرف الشرق معرفة باحث غير متحزب لغير الحقيقة وتلمذ لنابغة مصر الامام محمد عبده فكتب ماكتب في هذه المسألة المهمة في تاريخ الشرق ورائده الصدق والامانة . والنــاشر الذي وضع مقدمة الكتاب فشرح أقوال المؤلف الاصلي وعقب عليها بحقائق في التــاريخ جديرة بالاعتبار — هو الاستاذ السيد عبد القادر حمزة صاحب البلاغين السياسي والأدبي ومن رجالات السياسة ومشهوري أرباب الأقلام في مصر . كتب ما كتب عن ذوق وتشبع بروح الموضوع فكان الرجل الذي هضم موضوعه وتمثله وأساغه . ولا يسقط القارئ في هذا الكتاب الا على حقائق يستفيدها وعبر يعتبر بها او يستعبر منها . ومع هذا كتب الكتاب ترجمة وتعليقاً بسلاسة عهدناها في الأقلام المصرية هذه الايام في معالجة المسائل السياسية والعلميــة والأدبية . فللاستاذ صاحب البلاغ كل الشكر على هذا الكتاب الممتع المفيد .

م . ك

الحكم المطلق

« في القرن العشرين »

تأليف السيد عباس محمود العقاد طبع بمطبعة البلاغ الاسبوعي ص ١١٠

رصيفنا الاستاذ واضع هذا البحث أشهر من ان يعرّف للقراء وقد عالج في مبحثه الديمقراطية فذكر نشأتها وثورتها ثم فشلها ومانشأ آخراً من الحكام الذين أطلقوا لانفسهم العنان في ادارة شعوبهم مثل مصطفى كمال في تركيا وموسوليني في ايطاليا و بريمودي ريفيرا في اسبانيا وتعرض لنابليون الثالث وبسمرك وغيرهما ، وحلى كتابه برسوم المشاهير من رجال السياسة فصورهم واعمالهم بقلمه و بالتصوير الشمسي .

م . ك

ديوانان نفيسان

« يتضمنان شعر النعمان بن بشير الانصاري رضي الله عنه وشعر بكر بن »
« عبد العزيز بن ابي دلف العجلي . طبعا في دهلي سنة ١٣٣٧ﻫ في ٨٤ صفحة »

وجدت النسخة الأصلية لهذين الديوانين في مكتبة جامع السلطان محمد الفاتح بالقسطنطينية عثر عليها المستشرق الانكليزي الكبير (ف . كرنكو) احد أعضاء مجمعنا العلمي فأرسل بها هدية الى (حضرة النواب عماد الملك السيد حسين البلجرامي نزيل حيدر آباد واحد أعضاء السلطنة النظامية سابقاً) فرأى (حضرة النواب) ان يستفيد العالم العربي من هذه النسخة فعهد في أمر نشرها واذاعة سرها الى الاستاذ (ابي عبد الله محمد بن يوسف السورتي) فطبعها في مطبعة (الرحماني) بدهلي وقدم لها مقدمة أثنى فيها على المستشرقين الذين نشروا جملة صالحة من آثار السلف وفي طليعة هؤلاء المستشرقين بالطبع الاستاذ (كرنكو) الذي نشر هذه النسخة من مطمورة العدم وكشف عنها أسداف الظلم فالشكر له وللاستاذ (السورتي) طابع الكتاب . «المغربي»

كتاب تفسير القرآن الحكيم

الاستاذ (السيد محمد رشيد رضا) وصحيفته (المنار) غنيان عن التنويه بمنزلتهما في نشر العلوم الاسلامية ، وقل من لم يطلع على التفسير الذي يعنى هذا العلامة بتأليفه ونشره في صحيفته بعنوان (تفسير القرآن الحكيم) جارياً فيه على طريقة المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في دروسه بالأزهر من ملاحظة الاحوال المدنية العصرية والسياسية ، فالآن صدر الجزء التاسع من هذا التفسير فيه تفسير (قال الملأ الى آخر الجزء) ، صفحاته (٦٦٨) غير صفحات الفهرس البالغة وحدها (٢٦) المرتبة على الحروف لبيان المطالب الهامة ، وهو يحتوي على تحقيقات من أدق ما وصلت اليه أفهام أساطين هذا الشأن ، منها رد كثير من الشبه ، وبيان زيف الفرق المتأخرة ، ومنها أبحاث ممتعة في الرؤية ، والقدر ، وبلاغات القرآن ، وفي آخره خلاصة لأحكام سورة الأعراف

في مائة صفحة ونيف ، اجمل فيها ابحاث العقائد ، واصول التشريع ، والخلق ، والتكوين والعمران البشري ، مما يصح ان يحسب مؤلفاً مستقلاً له كبير خطر عند العلماء ، فنتمنى للأستاذ المؤلف التوفيق الى اتمام هذا العمل الشاق الذي نصب نفسه له ، ونحض على اقتناء هذا التفسير جميعاً وهذا الجزء خاصة .

من اعضاء المجمع
مسعود الكواكبي

كتاب الكلمات

للاستاذ (السيد عبد الحسين نور الدين) مؤلف اسمه « الكلمات » وهي ثلاثة : الاولى في احوال العرب زمن جاهليتها ، والثانية في أحوال الامام علي ، والثالثة في أحوال معاوية وبني أمية ، أخرج منه الآن الجزء الاول مطبوعاً بمطبعة العرفان بصيدا ، وفيه تصوير ما كانت عليه الامة العربية في جاهليتها من التظالم وفساد الاخلاق وذكر بعض وقائعها ، ثم كيف كان تأثير الاسلام في قبائل العرب ، ثم التوسع في مآثر الامام علي رضي الله عنه في مغازي الاسلام ومزاياه وتفضيله على سائر الصحابة ، وهذا هو المغزى الاصلي من تأليف الكتاب .

هذه الامور اشبعت الكتب بتدوينها وأصبح نادراً في المسلمين من يجهل سابقة الأمام رضي الله عنه وعلو منزلته ، وقد مرت القرون على ذلك فلم يعد يتحقق من إعادة الذكريات امر ذو بال ، وأضحى على مفكري الفرق الاسلامية ان يحصروا جهودهم فيما يزيل كل الفروق التي بين الفرق و يجمعها على وحدة ، في كيانها نافعة ، ولشأنها رافعة .

مسعود الكواكبي

كتاب اخبار المهدي بن تومرت

« وابتداء دولة الموحدين لابي بكر الصنهاجي الملقب بالبيذق »

اخرج هذا الكتاب من الخزانة الاسكريالية باسبانيا ، المستشرق الاستاذ (لافي پروفنسال) وترجمه الى الافرنسية وطبعه مع ترجمته في السنة الماضية بمعرفة السيد بولس

جوثنر صاحب المكتبة الشرقية بباريس ، وهو سيرة محمد بن عبدالله المشتهر بابن تومرت والملقب بالمهدي ، السوسي الاصل ، الذي ظهر في المغرب في القرن السادس الهجري وأسس دولة الموحدين ، فيه شيء من رسائل المترجم وذكر نسبه وقرابته وسيرته والقبائل التي والته ·

مزية هذا الكتاب ان مؤلفه ممن صحب المترجم في أسفاره وفيه بعض أخبار لم تذكر في الكتب التي فيها أخباره ، فهو جدير بان يطلع عليه ارباب هذا الشأن ·

مسعود الكواكبي

كتاب عوائد العرب

أهدت الينا مطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) هذا الكتاب الذي هو نبذة من أحوال العرب سكان البادية وسكان القرى في بلاد حوران والبلقاء في مساكنهم ومآكلهم وملابسهم وضيافاتهم وافراحهم وزواجهم وتقاضيهم وبعض قوانينهم واخلاقهم وامور معيشتهم ، مؤلفه الخوري بولس سيور الذي أمضى مدة طويلة من حياته الدينية في تلك الأصقاع ، وقد جاء فيه ذكر الكثير من أسماء القبائل والأفخاذ الموجودين هناك وفي بلاد فلسطين والتابعين لحكومة مصر ، وفي كل فصل من هذه الفصول ذكر لما يقابل ذلك مما ورد في العهد القديم والعهد الجديد عن اليهود ، مع الاشارة الى موضعه منها ·

مسعود الكواكبي

شرح قانون العقوبات الاهلي

أهدي للمجمع نسخة من هذا الكتاب القيم لطبعته الثانية طبعاً انيقاً بمطبعة دار الكتب المصرية في ٨١٨ صفحة ، وهو تأليف احمد امين بك الاستاذ بمدرسة الحقوق الملكية بمصر ·

هذا الشرح وان كان لقانون خاص بالحكومة المصرية ، الا انه لما كانت القوانين الجزائية اكثرها متقارب المباني والمعاني لرجوعها الى اصول ومآخذ متحدة ، كان يجدر

بالحكام والمحامين عندنا الاطلاع على هذا الشرح المفيد في تطبيق الأحكام المتوافقة بين قانوننا وقانون مصر ، ومعرفة انظار الحقوقيين والحكام هناك وفي بلاد الانكليز والافرنسيس والالمان ، التي نظر المؤلف الى كتبهم عند وضعه هذا الشرح وأشار الى مطلب الحكم الذي أورده من تلك الكتب ، مما يشهد له بالاطلاع والاضطلاع .

مسعود الكواكبي

كتاب القضاء الجنائي

تأليف علي زكي العرابي بك الاستاذ بمدرسة الحقوق الملكية سابقاً ، وهو جزآن : الاول لقانون العقوبات الاهلي في ٣١٨ صفحة ، والثاني لقانون تحقيق الجنايات الاهلي ٢٧٦ صفحة ، يأتي بالمادة القانونية ثم بالتعديلات التي طرأت عليها ، ان كانت ، ويذكر القوانين التي لها مساس بها ، ثم يقفي على ذلك بتلخيص احكام المحاكم المصرية فيما يتعلق بتلك المادة ، لا سيما محكمة النقض والابرام « التمييز » .

من المعلوم ان محاكم مصر منظمة منذ خمسين سنة ، فيكون هذا العمل قد استلزم تتبعاً طويلاً كانت نتيجته هذا المؤلف النافع للحكام والحقوقيين ولغيرهم ، في مصر وغيرها اذ ان قوانين العقوبات في الممالك المتمدينة يستقي بعضها من بعض ، فلا يخلو الوقوف على الاحكام الصادرة بالاستناد اليها في بلاد راقية كمصر من تنوير الافكار .

مسعود الكواكبي

كتاب النقد التحليلي

« لكتاب في الأدب الجاهلي »

كنا قبلاً حين كتبنا عن كتاب (في الأدب الجاهلي) للاستاذ طه حسين ، ذكرنا انه لا يفوت نقد الناقدين ، فالآن اهدت الينا المطبعة السلفية بمصر هذا الكتاب الذي الفه في نقد ذاك ، الاستاذ محمد أحمد الغمراوي خريج دار المعلمين العليا بمصر وخريج جامعة لندن ، في ثلاثمائة وتسع عشرة صفحة ، عدا مقدمة قيمة بقلم العلامة

الامير شكيب أرسلان بلغت وحدها ستاً وخمسين صفحة من القطع الوسط ، وهو كاسمه نقد تحليلي مر بجميع مباحث الكتاب المنتقد ، وفيه الشيء الكثير من الشواهد النقلية والبراهين العقلية ، بعبارة هي غاية في البيان والمطابقة لآداب البحث شاهدة لمؤلف بغزارة المادة وكمال الاعتدال ، فاذا وفق الاستاذ طه الى الاجابة عن هذا النقد ، يتم لرواد الحقيقة عند ذلك تمحيص الخطأ والصواب ، وتكون هذه الشعبة التاريخية الأدبية قد نضجت بصورة ندخلها في الدراسة على انها من العلم المقطوع بصحته .

مسعود الكواكبي

شرح ديوان كثيّر عزة

كثير الخزاعي الشاعر الحجازي الشيعي الذي عرف باضافته الى عزة معشوقته لاكثاره من التشبيب بها ، روى شعره غير واحد من الأقدمين ، الا انه لا يعرف له اليوم ديوان مجموع .

كان ذلك ثلمة في الأدب العربي ، فسدها الشيخ (هنري بيرس) الاستاذ في المدرسة الابتدائية العليا ببرج الحراش (الدارالمربعة) لجمع ماتفرق من شعر هذا النابغة في ثلاثين كتاباً من الامهات ، وعلق عليه شرحاً مقتبساً منها ، ثم طبعت الجزء الاول منه في مائتين وخمس وثمانين صفحة من القطع المتوسط ، بالشكل الكامل ، مطبعة (جول كربونل) بالجزائر على نفقة كلية الأدب فيها .

مسعود الكواكبي

كتاب
« إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء »

هو مما ألفه قبل نحو ثلاثين سنة المرحوم [الشيخ محمد الخضري] الذي جعله ملحقاً بكتاب له في السيرة النبوية اسمه (نور اليقين) فيه كلام عن الخلافة وأحكامها ومباني الاسلام والسياسة الإسلامية وأخبار الخلفاء الاربعة الراشدين والامام الحسن بوجه موجز .

مسعود الكواكبي

قائمة المخطوطات العربية
« في الاسكوريال »

وضع هارتفيج ديرامبورغ وليفي بروفنسال · ثلاثة مجلدات نشرتها مدرسة اللغات الشرقية الحية الاهلية · وطبعت في المطبعة المكتبية المستشرقة لصاحبها بول جوتنر في باريز

في دار كتب الاسكوريال في اسبانية جملة قيمة من المخطوطات العربية يبلغ عددها الفي مجلد جمع نواتها الملك فيليب الثاني من انقاض المكاتب الاندلسية الاسلامية القديمة ثم اضاف اليها الملك فيليب الثالث في القرن السابع عشر عدداً عظيماً من المخطوطات العربية كانت تتألف منه خزانة كتب مولاي زيدان احد السلاطين المراكشيين من السلالة السعدية · اما كيفية انتقال هذه الكتب من مراكش الى اسبانية فجديرة بالذكر لما فيها من ذكرى وعبرة ·

قال ليفي بروفنسال في مقدمة المجلد الثالث من هذه القائمة ما خلاصته :

خرج على مولاي زيدان في عام ١٦١٢ ابو محلي واستفحل امره وقامت بينهما وقائع دامية دارت دائرتها على مولاي زيدان فاضطر في مايس من السنة المذكورة الى مغادرة قصره مع حاشيته والالتجاء الى سافي (Safi) « وهو ثغر على الساحل المراكشي » على ان يذهب منه الى السوس (Süs) فاستأجر من سافي مركباً بثلاثة آلاف دوق (٣٦٠٠٠ فرنك) الى أغادير وحمله جميع كنوزه وكتبه التي ورثها عن والده السلطان السعدي مولاي ابي العباس احمد المنصور الذهبي · وعند وصوله الى اغادير ابى الربان واسمه جان فيليب كاستلان ان يفرغ محمول المركب قبل ان يتقاضى الاجرة بتمامها · واذ لم يتمكن مولاي زيدان من دفعها فوراً غادر الربان ليلاً ساحل اغادير الى مرسيليا فاراً بمركبه وبما فيه من التحف والكنوز الثمينة · ولما بلغ ساله (Salé) التقى بثلاثة مراكب لقرصان اسبانيين فاستولوا عليه وذهبوا به الى اسبانية غنيمة باردة · فأمر الملك فيليب الثالث ان توضع الكتب في الاسكوريال وعددها نحو من اربعة آلاف مخطوط على ظهر الصفحة الاولى من كل منها عبارة تنص على ملكية السلاطين السعديين اياه ·

وفي ٧ حزيران عام ١٦٧١ حدث حريق عظيم في الاسكوريال التهم قسماً كبيراً من هذه الكتب ولم ينج منها سوى الفي مجلد وهي الموجودة اليوم في تلك الخزانة التاريخية .

وقد عهد عام ١٧٤٩ الى ميشل كازيري السوري الماروني بتصنيف هذه الكتب فصنفها حسب موضوعاتها مجلداً مجلداً من ١ الى ١٨٥٢ ووضع لها قائمة عامة ترجم فيها كل كتاب على حدة . وقد جاءت هذه القائمة بمجلدين طبعا في مدريد عام ١٧٦٠ - ١٧٧٠

وفي عام ١٨٨٠ ذهب العلامة هارتفيج ديرامبورغ احد اعضاء الجامعة الافرنسية الى اسبانية بمهمة علمية فاغتنم مدة اقامته الطويلة فيها فاشتغل بدرس المخطوطات العربية في الاسكوريال وبوضع قائمة جديدة لها وذلك لما وجده من خطإ ونقص في قائمة ميشل كازيري السابقة الذكر . وقد طبع عام ١٨٨٤ المجلد الاول من هذه القائمة وهو يبتدئ من المخطوط رقم ١ و ينتهي بالمخطوط رقم ٧٠٨ ونشر تحت عنوان : « مخطوطات الاسكوريال العربية » المجلد الاول (وهو المجلد العاشر من القسم الثاني من مطبوعات مدرسة اللغات الشرقية الحية) وهو خاص بكتب الصرف والبلاغة والشعر واللغة والادب وفقه اللغة والفلسفة .

وفي عام ١٩٠٣ طبع الكراس الاول من الجزء الثاني وهو يبتدئ من المخطوط المرقم برقم ٧٠٩ و ينتهي بالمخطوط ذي الرقم ٧٨٥ ونشر تحت عنوان : « الكراس الاول من المجلد الحادي عشر من القسم الثاني من مطبوعات مدرسة اللغات الشرقية » وهو خاص بكتب الأخلاق والسياسة . اما سبب طبع هذا الكراس على حدة فهو لاجل عرضه على مؤتمر المستشرقين الدولي السابع المنعقد في روما عام ١٨٩٩ .

ثم فاجأ الموت هارتفيج فلم يتم عمله .

وفي عام ١٩٢٤ عهد الى ليفي بروفنسال مدير جامعة الدروس المراكشية العليا في متابعة عمل هارتفيج واتمام قائمة المخطوطات العربية في الاسكوريال على ان يستعين بمذكرات العالم المتوفى هارتفيج وذلك بموافقة زوجته . فذهب الى الاسكوريال واقام فيها مدة طويلة . وفي عام ١٩٢٨ اخرج المجلد الثالث وهو الاخير من هذه القائمة واوله المخطوط ذو الرقم ١٢٥٦ وآخره المخطوط ١٦٣٣ وهي تتعلق بالعلوم الدينية والجغرافية والتاريخية .

اما القسم الباقي من المجلد الثاني واوله المخطوط ٧٨٥ الى المخطوط ١٦٣٢ ويختص بالطب والتاريخ الطبيعي والرياضيات والقضاء فانه لم ينشر بعد .

وقد تصفحت هذه المجلدات الثلاثة في مكتبة المجمع العلمي العربي الدمشقي فألفيتها صقيلة الورق متقنة الطبع حسنة التصنيف عني فيها في تعريف المخطوطات العربية بذكر اسم الكتاب واسم مؤلفه مع تاريخ ولادته وموضوعه والعبارة التي استهل بها مؤلف الكتاب وتاريخ كتابته ونوع خطه وعدد صفحاته وأبعادها وعدد سطورها .

فنحن نشكر باسم الامة العربية لمدرسة اللغات الشرقية الحية اهتمامها بنشر هذه القائمة التي أحيت بها ذكر مئات من أسلافنا الامجاد كما يشكرها على عملها هذا العلم والانسانية .

اسعد الحكيم

تصادم الالوان

« بين اجناس الانسان »

ألفه باسيل ماثيوز وترجمه اديب فرحات وهو يقع في ٣٠٦ صفحات من القطع الصغير والاحرف الكبيرة

اول ما وقع نظري على احرف هذا الكتاب الجميلة جزمت انها احرف المطبعة الاميركية في بيروت وتذكرت تلك الكتب الثمينة التي كانت طُبعت بها مثل كتاب « نباتات سورية وفلسطين ومصر وبواديها » وكتاب « علم النبات » وغيرهما للعلامة الفقيد الدكتور بوست وعجبت لايام جعلتني ارى بتلك الحروف التي احبها هذا الكتاب الجديد في التبشير والدعوة للدين المسيحي والطعن بالاديان السائرة حتى الدين الاسلامي « الدين الشديد التعصب ص ١٤١ » تحت ستار « الجامعة الانسانية العظمى وإزالة الحواجز والانقسامات بين اجناس البشر » وغير ذلك من الجمل التي لاتنطلي على احد .

وحبذا لو علم المؤلف والمترجم (والغريب ان الأخير مسلم) ان الدعوة الى قتل العاطفة القومية في الشرق بواسطة مدارس المبشرين وكتبهم واستبدال « عاطفة الجامعة الانسانية العظمى » بها هي اكبر الاخطار علينا مادام الاوربيون يلقنون ابناءهم

في مدارسهم وكتبهم ومجتمعاتهم اشد صنوف التعصب للقومية ·

ولقد حوى الكتاب بعض احصاآت ومعلومات مفيدة في علاقة بعض الشعوب ببعض وعباراته في الجملة بعيدة عن السماجة التي الفناها في كتب المبشرين اي انهذا الكتاب هو اكثر ضرراً على قوميتنا من أضرابه · « الشهابي »

المسلمون والنصارى

هو عنوان لمحاضرة قيمة تاريخية اجتماعية ألقاها في نادي الشبيبة الانجيلية بحيفا السيد عبد الله مخلص احد اعضاء مجمعنا العلمي العربي نشرتها بعد القائها جريدة الزهور الحيفاوية تباعاً · ثم أعيد طبعها على حدة بهمة الاديب السيد جميل البحري صاحب جريدة الزهور ومجلة الزهرة الغراوين · فجاءت كراساً (٣٢ صفحة بقطع الربع) صغير الحجم كبير الفائدة · فحبذا انتشار هذا الدرس المفيد في عموم البلدان الشرقية التي تعيش تحت سمائها طائفتا الاسلام والنصارى جنباً الى جنب ، وحبذا اقتناء جميع العائلات المسلمة والمسيحية هذه الرسالة الخالصة الصادرة عن قلب مخلص ·

أقام زميلنا الحيفاوي الفاضل في محاضرته هذه أسطع الدلائل وأوضح البراهين على ان الدين الاسلامي يعتبر النصارى أقرب الناس مودةً للمسلمين ويقرّ لرجال دينهم الحرمة اللائقة بهم · مبتدئاً بآيات القرآن الكريم وفيها من الوضوح والصراحة في هذا الصدد ما لا يحتاج بعدها الى مزيد · وقد أردفها مع ذلك ببراهين من السنّة ثم من التاريخ فسرد الأمثلة والقصص التي جرت في عهد الخلفاء الراشدين والدول العربية الاسلامية الأموية والعباسية والفاطمية وفي جميعها دروس ناطقة بما كان من الالفة والمحبة بين المسلمين والمسيحيين العرب في ذلك الزمن الزاهر ·

فحيا الله اخلاص الزميل المخلص وحيا معه كل من يعالج هذه المواضيع المفيدة وما اشد احتياجنا اليوم الى مثلها لمعالجة ادوائنا الاجتماعية ·

وفي صدر هذا الكتيب كلمة طيبة للاديب جميل البحري لابأس بان ننقل جملة منها

لما فيها من التفكير والعبر وقد اصاب كبد الحقيقة قال :

« ثم مضت الايام .... واذا باصابع السوء تلعب في المحيط الفلسطيني (واقد لعبت مثل هذا الدور المشؤوم في المحيط الشرقي باجمعه . ع ر) واذا بها تزداد تغلغلاً في صفوف الامة . واذا بعرى الاتفاق والاتحاد يكاد يفصمها سوء تفاهم بين ابناء الوطن الواحد . واذا بكلمتي مسلم ومسيحي يكثر ترددهما على الألسنة مقرونتين بشيء من الرغبة في التفوّق والظهور كلّ على الآخر . واذا بالمسلمين والنصارى .... تزداد الفئة منهما تباعداً عن الاخرى بعد ذلك التقارب الذي ضُرب بين الناس مثَله . وبعد تلك الوحدة القومية التي حمد الملأ مسماها ومسعى اربابها » .

ولا نأخذ على السيد البحري ناشر هذا الكتيّب المفيد الا طبعه اياه على ورق هش سريع التمزق ولعله يعني به عناية بتحقيقها في طبعة أخرى لانه على صغر حجمه وكبر فائدته يليق ان يظهر على جميع المناضد وان يحفظ في جميع الخزائن .

عبد الله رعد

عضو المجمع العلمي العربي

الجزء ٥ المجلد ٩

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) أيار : سنة ١٩٢٩ م الموافق ذي القعدة وذي الحجة سنة ١٣٤٧ هـ ١٠١

الاندلس(١)

« عبرة وذكرى »

ما ذكرت الاندلس مرة الا امتلكت نفسي بهجة وفجعة ، ما تزالان بي تتجاذبان دمعة من عيني حتى أرسلها ، وانا بعد لا أدري أجذلاً أرسلتها ام جزعا ٠

وكيف لا أجتذل وذكرى الاندلس تعود بصاحبها الى السنة الثانية والتسعين للهجرة ، اذ نحن والامر امرنا ، واذا الوليد ، وقد ربض في هذه العاصمة : دمشق ، ربضة الأسد ، وانتشرت ولاته في ما فتحه العرب من البلاد شرقاً وغربا ، فكان منهم على إفريقية(٢) موسى بن نُصَير ، وتأبى على موسى همته ان يقف دون الفتح بحر ، فيغزي مولاه طريفاً اسبانيا فيلم بها الماماً ليناً لا يتعدى مايعرف الى اليوم بمدينة طريف اوطريفة كما يقول الاسبان ٠ فيبعث موسى ثانيةً جيشاً اكبر ، يعقد لواءه لمولاه طارق بن زياد ، فيكون طارق فوق ظن مولاه به ، يواقع الجزيرة ويظهر على صاحبها ، ويهزم جيشه الضخم ، ويتتبع فلوله حتى يقضي عليها ويتوغل في البلاد غازياً فاتحا ، فتعنو له مستسلمة صاغرة ، ويهتاج هذا الفتح طماعية موسى فيأمر طارقاً بالوقوف ، حيث انتهى به الفتوح ،

(١) محاضرة الاستاذ عارف بك النكدي القاها في بهو المجمع العلمي في شهري آذار ونيسان سنة ١٩٢٩ ٠

(٢) إفريقية لفظ أطلقه العرب على المغرب الاقصى عامة وتونس منه خاصة لا كما يطلق اليوم على القارة بجملتها ٠

و يجتاز بنفسه البحر في جيش لجب ، فيمضي في الفتح ، وقد جعل هدفه القسطنطينية يقطع اليها البلاد فاتحاً حتى يعود الى المشرق عن طريقها ٠

وتنتهي الولاية في هذه الجزيرة الى عبدالرحمن الغافقي فيجتاز جبال البرانة او الثنايا ويصل الى تور[1] وهي في قلب مملكة شارلمان ٠

ايلام العربي مع هذه الذكرى ، ان هو اخذته عظمة الماضي فنسي لمحة من اللحمات انه ابن هذه الامة العربية المستضعفة اليوم لكل جيل ، المستعمرة في كل قطر ، فذهب به التيه بهذا المجد الغابر ، حتى خيل اليه انه يسير في جيش الفتح ، يسمع قعقعة السيوف ، وجرجرة الرماح ، وعجعجة المجاهدين ٠

* * *

ثم كيف لاينقطع القلب حزازة ، متى رجعت الذكرى الى ما كان من فشل هـذه الغزوة ، و كيف ملأ قومنا ايديهم بالغنائم فشغلتهم عن الحرب ، وعن كل تفكير الا فيها ، فأصيب صاحبنا الغافقي اصابة كانت فيها روحه ٠

ثم كيف تفرّق العرب في الاندلس نفسها وتنازعوا الرئاسة ، فانشق الاخ عن اخيه ، وثار الابن على أبيه ، ففشلوا وذهبت ريحهم ٠ استسلموا لعدوهم فراراً من الموت ، فوقعوا في العار وفي الموت ٠

ماترك الاسبانيول حيلة في الظلم والتقطيع الا اوقعها بهم ٠ حرّقوا ، وغرّقوا ، وبقرت بطونهم ، وسملت عيونهم ، وقطعت أيديهم وأرجلهم ، واستعبدوا وأذلوا ودجنوا ٠ ثم انهم أزعجوا عن ديارهم — الا من بدل دينه تبديلاً صحيحاً — فخرجوا خروج الغريب عن البلد الغريب ٠

أذكر هذا فأحس في قلبي وقع هذه المظالم ، وأسمع باذني ابا البقاء يقول :

دهى الجزيرة امر لا عزاء له   هوى له أحد وانهد ثهلان
اصابها العين في الاسلام فارتزأت   حتى خلت منه أقطار وبلدان
فاسأل بلنسية ما شأن مرسية   واين شاطبة ام اين جيّان

(١) عاصمة مقاطعة تورنيا على ٢٣٦ كيلو متراً الى الجنوب الغربي من باريس ٠

واين قُرطُبة دار العلوم فكم من عالم قد سما فيها له شان
واين حمص وما تحويه من نزه ونهرها العذب فياض وملآن
قواعد كن اركان البلاد فما عسى البقاء اذا لم تبق اركان

* * *

يا من لذلة قوم بعد عزهم احال حالهم جور وطغيان
بالامس كانوا ملوكاً في منازلهم واليوم هم في بلاد الضد عبدان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم عليهم من ثياب الذل الوان
ولو رأيت بكاهم عند بيعهم لهالك الامر واستهوتك أحزان
يا رب أم وطفل حيل بينهما كما تفرق أرواح وأبدان
وطفلة مثل حسن الشمس اذ طلعت كأنما هي ياقوت ومرجان
يقودها العلج للمكروه مكرهة والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد ان كان في القلب اسلام وايمان

الائمي انت بعد ، اذا انا لم ادر ادمعة الجزل ارسلت ام دفعة الجزع ؟ بلى لقد صدق ابوالبقاء ، فما لمصاب العرب بالاندلس عزاء ، ولا لجرحهم فيها شفاء ، وانى يكون ذلك والخطب منقطع النظير ، خص العرب وعم الانسانية جمعاء .

واذا كان العرب قد تركوا التفجع والتوجع فما فعلوا ذلك لبعد الصقع ، والعربي الحق يرى في كل بلد عربي موطناً له ، ولا لبعد العهد ، وار بع مئة سنة ليست في التاريخ شيأ ، فننسى بلداً كالاندلس عمره اجدادنا ثمانية قرون كاملة فأنشأوا فيه حضارة عز مثلها ، فكانت احدى مفاخر العالم على وجه الدهر .

كلا لا هو بعد الشقة ، ولا هو بعد العهد ، انسى العرب ذلك العهد ، ولكنها المصائب تترى آخذاً بعضها برقاب بعض الهت كل قطر عن غير نفسه . فأي بلد عربي وليس فيه جراحة ما تأتلي تمض احشاءه ، وتنتقص اجزاءه ، حتى شغلته عن البكاء على امسه بالبكاء على نفسه . (يبكي ومن شر السلاح الادمع)

ولسنا من المبالغة في شيء ان نحن قلنا ان حضارة العرب في الاندلس كانت احدى

مفاخر العالم وان مصاب العرب بها عم الانسانية جمعاء .

فمن كان قد علق بذهنه شيء مما تمليه ارساليات الغرب في تصغير شأننا ، وتهوين امرنا فداخله شكٌ في كلتنا ، فليرجع الى ماوصف به المؤرخ الافرنسي (لافاله Lavallée) مدنية الاسلام باسبانية وما اتى به من بيان مزايا العرب هناك في الصناعة والزراعة والغراس والبناء ، ووصف قصر اشبيلية ، وحمراء غرناطة ، وجامع قرطبة ، وخصائص الهندسة العربية ، والزخرف الشرقي ، واسلحة الاندلسيين . وقد قرر ان العرب هم اول من استعمل المدافع النارية في اوربا ، وانهم هم الذين هدوا الاوربيين الى صناعة البارود ، وعرفوهم بصناعة أخرى أشد تأثيراً في الاجتماع الانساني وهي عمل الورق .

قال : وانهم في جميع الفنون فاقوا المسيحيين وبلغوا الدرجة القصوى من الحضارة ، حينما كان أقرانهم ملفوفين في حنادس الجهالة والبربرية ، فكانوا فوقهم في العلم ، ومثلهم بالبأس ، وكانوا حكماء في المجالس ، أشداء في المآزق » [1] .

ثم ألق بسمعك الى مايقوله (كولود فرّار Claude Farrère) عن هذه الحضارة ، في مقدمة العباسة اخت الرشيد ننقله كلمة كلمة :

« أناخت على الانسانية في السنة الثانية والثلاثين بعد السبعمائة للميلاد كارثة لعلها أسوء ما شهدته القرون الوسطى ، تخبّط من جرائها العالم الغربي سبعة قرون اوثمانية قرون بل تزيد ، في لجة من الهمجية ، بدأت (النهضة) تقشع ظلماتها ، فعادت حركة (الاصلاح) تزيد فيها من جديد .

هـذه الكارثة التي أريد ان احتقر ذكراها ، هي ذلك النصر الهائل الذي احرزته غير بعيد عن « بواتيا » جماعات « الهركاس » المتوحشين من مقاتلة « الفرنك » يقودها شارل مارتال الكرولنجياني على فِرق من العرب والبربر فشِلت لان الخليفة عبدالرحمن ؟! أخطا فلم يحشدها اكثر مما كانت عدداً .

في هذا اليوم المشؤوم تقهقرت الحضارة ثماني مائة سنة . وحسب الانسان ان يكون قد تنزه في جنائن الاندلس ، او خطر بين أطلال لاتزال بعد تبهر الابصار ، من عواصم

(١) خلاصة تاريخ الاندلس للامير شكيب أرسلان ص ٣٦٥ .

السحر والخيال التي كانت عليهما اشبيلية وغرناطة وطُليطُلة ، ليتراءى له في شيء من الدوار المعجب ما كان يمكن ان تصل اليه فرنسا ، لو ان الاسلام الصناعي الحكيم الرصين المتسامح — اذ الاسلام هو كل هذا — استطاع ان ينتزع وطننا فرنسا من فظائع لاتجد لها اسماً اجتاحت بعد ذلك الغول القديمة : استعبدها بادئ الامر (الاوستراز يان Anstrasiens) اولئك السلابون الضواري ، ثم اقتطع القرصان النورماند (Normandes) اول قسم منها . ثم تجزأت وتمزقت وغرقت في بحور من الدماء والدموع ، واخلتها الحروب الصليبيــة من السكان ، وملأتها الحروب الخارجية والأهلية جثثاً ، كان ذلك يوم كان العالم الاسلامي يتمتع بلذة السلم من نهر وادي الكبير الى نهر الهندوس ، في كنف الخلافات الاسلامية الاربع : الأموية والعباسية والسلجوقية والعثمانية .

واذا كان (فرّار) ختم مقالته ذاهباً مذهب الخيال والاغراق ، في السلم الذي وصفه في ظل الخلافة ، فلقد كان مؤرخاً حقاً وهو يتغنى بحضارة الاندلس ، وكان مخلصاً صادقاً وهو ينعي على قومه ان يفخروا بيوم (بواتيا) اليوم الذي تراجعت فيه جيوش العرب مندحرة ، فصدمت الحضارة العربية صدمة لم يكن من مصلحة العالم المتمدن ان تكون .

بل مالنا وللماقاله (لافاله) المؤرخ الفرنسي الخطير ، وما كتبه (فرّار) الكاتب الفرنسي الكبير ، ولنعد الى ما كان من الاسبان انفسهم في الفترة الأخيرة .

فالاسبان وهم الذين لا يفتأون يحتفلون باليوم الثاني من شهر كانون الثاني ، وهو اليوم الذي في مثله من سنة ١٤٩٢ خرج ابوعبدالله آخر ملوك بني الأحمر من عاصمة الاندلس ، ذلك الاحتفال الفخم ، فتقرع فيه أجراس كنيسة الحمراء أربعاً وعشرين ساعة قرعاً متواصلاً .

هؤلاء الاسبان انفسهم قام منهم نفر من علماء المستشرقين ، تحللوا من قيود التعصب ، فنزعوا ما ألقاه على اعينهم من غشاوة ، فاذا هم يبصرون تلك الحضارة العربية الفتــانة ، وما فيها من عظمة وفن وجلال ، فتتجيهم صبابة منها ، ابقت عليها نزعات الجهل القديم ، والتعصب الذميم ، فاذا بها الى اليوم مفخرة اسبانيا الكبرى ، ومورد من موارد الرزق فيها .

وبينما الاسبانيول يحتفلون بذكرى جلاء العرب عن بلادهم ، شفاء لنزعة التدين ، وقضاء لحق الوطنية ، ينهض هذا النفر فيحتفل بذكرى قيام الخلافة الأموية بالاندلس تقديراً للجهود الانسانية ، وإعجاباً بالحضارة العربية .

أليس حقيقاً ان نتحدث اليكم على ذكر هذه الحفلة يقوم بها اعداء تاريخنا بالامس ، واصدقاء حضارتنا اليوم ؟ بكلمة عن هذا البلد الطيب تكون كالعبرة والذكرى ليس الاّ . اقول عبرةً وذكرى ، ذلك اني لا اطمع ان اقف فيكم موقف المؤرخ ، والكلام عن الاندلس حديثه وقديمه ، عربيه وغربيه ، مِلء الكتب وملء دورها ، فهل من سبيل الى غير مكرر ملول ؟ واذا كان من حاجة لمزيد في ناحية من نواحي تاريخ هذا القطر ، او في ما كان فيه من علم وادب ، وصناعة وزراعة ، وسائر مقومات العمران ، او كان في رجال هذا القطر ودولاته وسياسته ما تقتضي غوامضه شيأ من النور يكشف عن اسراره ، فهذا ما لا تتسع له المحاضرة والمحاضرتان ومن حق رجال التاريخ ان يفردوا لكل فرع من هذه الفروع التي اشرنا اليها كتاباً قائماً برأسه ، بل في رجال الاندلس من يستحق ان يؤلف فيه الكتاب المستقل .

اما انا ، فاكتفي بالعبرة ابسط فيها دخولنا الاندلس وخروجنا منه ، وقد توافقت فيهما الاسباب ، واتحدت العلل في القبيلين العرب والاسبان ، وبالذكرى أعيد عليكم فيها لمحة موجزة عن هذا التاريخ تكون كالفذلكة لهذه القرون الثمانية التي عمرنا فيها هذا القطر . نسرد فيها الأحداث الخطيرة ، ونسلسل ادوار الحكم ، بما يمكن حفظه .

ولعل الموضوع يكون أقرب تناولاً ان نحن قسمناه الى خمسة أدوار ، نمهد له بمجمل تاريخي جغرافي عن الاندلس العربية وتاريخها القديم ، اما الادوار الخمسة فهي :

١ — الفتح واسبابه .
٢ — الحكم الأموي .
٣ — ملوك الطوائف .
٤ — حكم امراء المغرب المرابطين والموحدين .
٥ — الجلاء واثار العرب في الاندلس وعاداتهم واخلاقهم .

لمحة جغرافيــة : الاندلس او ڤندالوسيا اسم مقاطعة من شبه جزيرة « البيرانه » سميت ڤندالوسيا او ڤندالوشيا باسم الڤندالـــ (Vandales) وهي امة نزلت شبه هذه الجزيرة في اوائل القرن الخامس .

وقديماً عرفت هذه المقاطعة بـ (بتيكيا) (Bétique) باسم نهر بتيس (Bétis) الذي يرويها وهو وادي الكبير اليوم ٠

مساحتها وحدودها : طول هذه الجزيرة من رأس بنياس في استور ياس (اشتوريش) شمالاً الى رأس طريف في بوغاز جبل طارق جنوباً ٥٤٠ ميلاً ومعظم عرضها من رأس كروس في قطلونية شرقاً الى قرب رأس فينستر في جليقية غرباً نحو ٦٣٠ ميلاً ٠

و يحدها من الشمال سلسلة جبال البرانس الفاصلة بينها وبين فرنسا وهي بمثابة برزخ عرضه ٢٤٠ ميلاً وبحر بسكي المسمى ببحر فرنسا ومن الغرب الاوقيانوس الاتلانتيكي ومن الشرق والجنوب البحر المتوسط وبوغاز جبل طارق الفاصل بينها وبين افريقية ٠

وتقدر مساحة هذه البلاد وما يتبعها من جزر متممة لها بنحو ستمائة الف كيلو متر مربع (٦٠٠٠٠٠) منها اليوم لاسبانيا (٥٠٤٥٢٠) كيلومتراً و(٩٢١٥٧) للبرتغال ٠

ويقول جغرافيونا ان مسيرة دَوْرها اكثر من ثلاثة اشهر ليس فيها ما يتصل بالبر الى مقدار يومين ٠

معادنها : وارضها غنية بالمعادن، منها : الرصاص ، والزئبق ، والتنك ، والحديد ، والفضة ، والنحاس ، والملح ، والفحم ، والرخام ، وحجر الدم ٠ وقديماً استخرجوا منها الذهب ٠

هواؤها : يختلف باختلاف اقاليمها فمنه الحار والمعتدل والبارد ٠

لمحة تاريخية : دخل الفينيقيون هذا القطر سنة ١٠٠٠ قبل المسيح فأنشأوا في سواحلها مستعمرات عديدة منها : طرطوشة (Tartessus) وقادس ٠ ثم تبعهم اليونان فبنوا ايضاً عدة مستعمرات منها : امبورية على ساحل قطلونية، وساغونتم (مربيدرو) في بلنسية ٠ وظل داخل البلاد مجهولاً لم يعرفه الرومان الا في الحرب البوتيقية الثانية ٠

واطلق اليونان على الساحل الشرقي اسم ايبيريا ، وسموا القسم الغربي من شبه الجزيرة ترتشيش واوسطها كلتيكا ثم توسعوا بعد ذلك فأطلقوا لفظ ايبيريا على البلاد كلها ثم سماها الرومان اسبانيا [1] ٠

---

(١) قيل اخذ هذا الاسم من لفظة (شافان) السامية ومعناها الارنب لكثرة ماوجد الفينيقيون منه في هذه البلاد ٠ وقيل من لفظة (ازبانيا) البسكية ومعناها شاطئ ٠

ومن امم اسبانيا القديمة الاستوريون (Asturiens) كانت مواطنهم في استور ياس (Asturie) والقسم الشمالي من مملكة لاون، وكانت قاعدة بلادهم (استور يكاوغسطا) وهم آخر من خضع للرومان .

اما اول من عرف من سكان هذه الجزيرة فهم القلطبريون (Celtiberiens) وهم خليط من القلط (Celtes) والايبر (Ybéres) ثم أنشأ الفينيقيون واليونان على ما قدمنا مستعمرات واسواقاً تجارية (وكالات تجارية) على شواطئ هذه الجزيرة . وفي القرن الخامس امتدت اليها سيادة قرطاجة (Carthage) الى ان تغلب عليها الرومان وظلوا اصحاب السلطان فيها الى ان غزاهم الميلانيون (Alains) والسواف (Suaves) والفندال (Vandales) سنة ٤٠٩ وفي ذلك العصر ايضاً انشأ فيها الفيزيقوط (Wisigoths) دولة عظيمة ما زالت قائمة الى ان قضى عليها العرب يوم استولوا على الاندلس في تموز من سنة ٧١١ بعد معركة شريش او شرش (كساريس Xérès) .

ملك العرب : دخل العرب اسبانيا فأطلقوا عليها اسم الاندلس ، اذ كانت هذه المقاطعة اول ما استولوا عليه من شبه هذه الجزيرة ، وغلبوا عليها اسم الجزيرة على اتصالها بالبر — كما سميت شبه جزيرة العرب ايضاً جزيرة .

و بسط العرب ملكهم على هذه الجزيرة جزرها و يابستها ، ساحلها وداخلها ، شرقها وغربها ، الا جزءاً يسيراً من الغرب الشمالي قرب خليج غاسقونيا في ولايات جبلية يسميها الاسبان استورياس ، وسماها العرب اشتورش والصخرة .

عدد السكان : ليس عندنا ما نعول عليه في عدد سكان الاندلس ايام العرب فقد أوصله بعضهم الى العشرين مليوناً وهذا عدد نشك في صحته وان قيل « انه بلغ من عمران الاندلس ان كان على وادي الكبير اربعة عشر الف قرية حتى كان المسافر لا يكاد ينقطع من العمارة ما بين قرى ومياه ومزارع والصحاري معدومة » .

الفتح : قلنا : ان موسى بن نصير عامل الوليد بن عبدالملك على افريقية ، اغزى مولاه طريفاً الاندلس ، فسار في اربعة مراكب فيها اربعمائة رجل ومائة فارس فنزل في موضع

سمي به [1] على المضيق الذي عرف بعد ذلك بمضيق جبل طارق فأغار وأصاب شيئاً ثم رجع وذلك سنة ٩١ هـ ·

وفي سنة الـ ٩٢ بعث موسى مولاه طارقاً في سبعة آلاف [2] جلهم من البربر والموالي ليس فيهم عرب الا القليل · فنزل طارق جبلاً منيعاً على شاطىء البحر يعرف الى اليوم به · وجعلت السفن تختلف بالرجال والخيل حتى توافى اليه جميع اصحابه ·

قيل وكان في جيش طارق يوليانوس احد رجالات اسبانيا [3] في جماعة من اهل

(١) طريف او طريفة ثغر اسباني حصين على مضيق جبل طارق سكانه اليوم ١٢٥٠٠ فيه حصن منيع بناه العرب تكتنفه الاسوار المنيعة والابراج · وفي البلدة داخل السور ثغر مغربي اتخذوه الآن سجناً · وظلت طريف في حوزة العرب الى سنة ٦٩١ — ١٢٩٢ · وفي ايام العرب كانت السفن التي تجتاز مضيق جبل طارق تقف في طريف وتدفع رسماً ولهذا زعم بعض كتبة الفرنجة ان لفظة (Tarif) بمعنى التعرفة بالفرنسية والانكليزية وما اشبهها في اللغات الاوربية مأخوذ من لفظة طريف لتقاضي رسم السفن فيها · وكانت طريف من اعظم ثغور العرب شأناً في تلك الانحاء بل كانت أم تلك الثغور وربيئة لمن تولاها على بحر الزرقاء اهـ (لاروس ودائرة المعارف العربية) ·

(٢) في دائرة المعارف العربية : ان طارقاً جاز في نحو ثلاثمائة فارس من العرب احتشد معهم من البربر نحو عشرة آلاف صيرهما عسكرين احدهما على نفسه ؟ ونزل به جبل الفتح وهو جبل طارق والآخر على طريف بن مالك النخعي ونزل به بمكان مدينة طريف ثم أداروا الاسوار على انفسهم للتحصن و بلغ الخبر رودريك فنهض اليهم بجيش يبلغ الاربعين الفاً فلقيهم في فحص شريش فهزمه طارق وطريف ·

(٣) في صبح الاعشى الجزء الـ ٥ ص ٢٤٢ وبعض الكتب العربية : كان من سير الأعاجم ان يبعث اكابرهم باولادهم ذكوراً كانوا او أناثاً الى بلاط الملك ، ليتأدبوا بادبه ، و ينالوا من كرامته ، حتى اذا بلغوا أنكح بعضهم بعضاً استئلافاً لآبائهم · وكان للذريق عامل على سبتة من بر العُدوة يسمى يُليان ، وله ابنة فائقة الجمال ، فوجه بها الى دار لذريق على عادتهم في ذلك فوقع نظر لذريق عليها فأعجبته ، فاستكرهها على

البلد يدلهم على العورات ويتجسس لهم الاخبار .

وبلغ الامر رودر يك (لذريق اورزريق) ملك طُليطُلة فجمع جموعه والتقى بطارق في موضع يقال له البحيرة ، فانهزم رودر يك*. وسار طارق متبعاً لاصحابه الى مضيق الجزيرة فمدينة إستجة فلقيه اهلها ومعهم من المنهزمين خلق كثير ، فقاتلوه قتالاً شديداً ثم انهزموا . ونزل طارق على عين بينها وبين مدينة استجة اربعة اميال فسميت عين طارق ، ومن استجة فرق جيوشه على مدن الاندلس ، فوجه فرقة الى قرطبة ، وأخرى الى رية ، وثالثة الى غرناطة ، وسار هو في عظم الجيش بريد طليطلة ففتحت كلها وكذلك تدمير . وخلي طارق رجالاً من اصحابه وسلك الى وادي الحجارة واستقبل الجبل فقطعه من فج يسمى فج طارق . فكان فتح الاندلس يوم الاحد في الخامس من شوال سنة اثنتين وتسعين .

وكتب طارق الى موسى بالفتح والغنائم ، فحركته الغيرة وكتب الى طارق يأمره ان لا يتجاوز مكانه حتى يصل اليه .

استخلف موسى على القيروان — عاصمة ولايته المغربية — ولده عبدالله ، ونهض سنة ثلاث وتسعين ومعه حبيب بن منده الفهري في جيش غفير من وجوه العرب والموالي وعرفاء البربر ، قيل انه ١٨ الفاً فأتم موسى الفتح متوغلاً الى برشلونة في المشرق واربونة في الجوف ، وصنم قادس في الغرب ، ثم أجمع ان يأتي الى المشرق من ناحية القسطنطينية ويتجاوز الى الشام ويخوض مابينهما من أمم الأعاجم مجاهداً الى ان يلحق بدمشق دار الخلافة .

وبلغ ذلك الوليد فاشتد قلقه بمكان المسلمين من دار الحرب ورأى ان ما هم به موسى

نفسها ، فاحتالت حتى أعلمت اباها بذلك سراً . فشق ذلك عليه وحلف ايزيلن سلطان لذريق ، ثم تلطف حتى اقتلع بنته من بيت لذريق ، ثم لم يلبث يليان ان كتب الى موسى بن نصير امير افريقية من جهة الوليد بن عبدالملك يحرضه على غزو الاندلس وحثه على ذلك ووصف له حسنها وفوائدها ، مادعاه الى ذلك وهوّن عليه امر فتحها ، فتوثّق منه موسى ودعا مولى له كان على مقدّماته يقال له (طارق بن زياد) فعقد له وبعثه اليها في سبعة آلاف ، وهيأ له يليان المراكب . . .

غرر بالمسلمين ، فبعث اليه بالتوبيخ والانصراف وامر الى سفيره ان يرجع بالمسلمين ان لم يرجع موسى عن عزمه ، فقفل لذلك موسى عن الاندلس وولى عليها ابنه عبد العزيز وانزله بمدينة قرطبة واتى القيروان سنة ٩٥ وارتحل الى الشرق سنة ٩٦ بما كان معه من الغنائم والذخائر والاموال ، وقدم على سليمان بن عبد الملك فسخطه ونكبه ....

اصبحت الجزيرة كلها في يد العرب الا ولايات جبلية أهمهــا اشتوريش وقنطبرية ونوارة التي لقبها العرب بالصخرة فانهــا دافعت عن استقلالها ولم يهم العرب امرها فخلوا عنهــا . فجملت بلاجيوس ملكاً عليها ثم الفونس الاول الكاثوليكي من بعده فكانت هذه الصخرة الاساس الذي بنى الاسبان عليه ملكهم القومي اول فأول .

لقد أجملنا حكاية هذا الفتح فبقي علينا ان نذكر علله واسبابه ، وفي رأينا انها تنحصر في عوامل اربعة :

(١) العوامل الطبيعية . (٢) العوامل السياسية . (٣) العوامل الاقتصــادية .
(٤) العوامل الدينية . ونحن مجملون هذه العوامل من وجهتيها : الايجابية والسلبية .

العوامل الطبيعية : مجاورة الجزيرة الاندلسية لملك العرب في الغرب فلقد كان بين العدوتين مضيق لا يتجاوز عرضه في بعض المواضع اثني عشر ميلاً (نحو ١٢ كيلومتراً) بحيث يرى اهل الجانبين بعضهم بعضاً ويتبينون زروعهم وبيادرهم .

انكشاف البلاد للعرب وسهولة اجتيازها .

هذا ما سهل الفتح و يسر نقل المقاتلة من العدوة الى الجزيرة .

العوامل السياسية : توحيد امر العرب، وتنظيم القيادة، واعتيادهم على الجهاد، وعدل امرائهم، واشتهارهم بذلك . ومن الجهة الاخرى تضعضع حالة الاسبان لانقسامهم بعضهم على بعض، مقاطعة وقومية، وتشتت آرائهم في انتخاب ملوكهم، وقيام بعضهم من جراء ذلك على البعض الآخر ، وخراب البلاد بالحروب الاهلية وظلم اولي الامر فيهم ، وسوء ادارتهم ، وإسرافهم في سفك الدماء ، واضطهاد اليهود واستباحة اموالهم وأرواحهم .

ظهر اثر هذه العوامل في تحريض نفر منهم العرب على فتح البلاد ، وفي ضعفهم عن مقاتلة العرب وفي التحاق قسم منهم بالفاتحين يدلونهم على عورات البلاد، وقعود القسم الآخر

عن مقاومة تذكر .

العوامل الاقتصادية : جهل الاسبان استثمار ارضهم ، والمجاعة التي وقعت قبيل الفتح ، ونستطيع ان نضيف الى ذلك الوباء الذي أصاب هذه الجزيرة في ذلك العهد فذهب بعدد عظيم من السكان قدروه بالنصف .

ثم رغبة العرب والبربر بما يجره الفتح من الكسب والغنائم .

العوامل الدينية : انشقاق الاسبان بعضهم على بعض دينا .

ثم رغبة المسلمين في نشر دينهم وما نفثه هذا الدين في صدورهم من الايمان بالقضاء والقدر .

هذا كله ساعد العرب على الفتح دع ما كان في صدور القواد من حب الشهرة . وهل وقف موسى طارقاً عن الفتح ، وعزمه على التوغل في بلاد الأعاجم الى القسطنطينية الا دليل على ذلك ؟ « للبحث صلة »

صلة العلم

« بين دمشق وجبل عامل »

تخيرت هـذا البحث دون غيره من المباحث التي تواردت على ذهني وتسابقت الى خاطري لامور : (الاول) لانه صحيفة من تاريخ قطر منسي عند كثير من النـاس . (الثاني) لبيان ان القطر العاملي على ضيق رقعته وقلة ساكنيه كان له في العلم شأن مذكور لم يكن لبلد مثله ساكناً ومكاناً[١] . (الثالث) لبيـان ان هذا القطر كان معروفاً باسمه ولاسيا في القرون الأخيرة التي أصبح فيها مثابة للعلم يرحل اليه من الآفاق[٢] (الرابع) لبيان الصلة العلمية بين فريق من علمائه وعلماء دمشق وما لطائفة من أدبائه من المكانة في معاجم الرجال الدمشقية وغيرها . (الخامس) لبيـان ان دمشق كانت من ديار العلم التي يرحل اليهـا العامليون . (السادس) لبيان ان تشيع جبل عامل المعروف عند علماء دمشق لم يكن ليكدر على العامليين نمير التسامح العلمي يوم يلقون دلوهم في الدلاء . (السابع) لما في هذا البحث من التذكرة والاعتبار باعصار خلت وصل فيها العلم بين سلف هذين البلدين علّ ابناءهما يطبعون على غراره ويجددون عهد تلك الصلة مهذباً من

---

(١) يحده شمالاً نهر الاولى (الفراديس) قرب صيداء والفـاصل مجراه بين الشوف ومقاطعـة جزين ثم يمتد غرباً على ساحل البحر الرومي الى ان ينتهي بضواحي عكاء وما يحاذي شماليه وجنوبيه شرقاً فينتهي من الشمال بحدود البقاع داخلة فيـه مشغرة من أعمال البقاع ومن الجنوب شرقاً بالحيط ووادي الأردن وحاصبيا و يبلغ من الأميـال المربعة زهاء خمسمائة ميل وسكانه من المسلمين الشيعيين نحو الثمانين الفاً ونصف هذا العدد تقريباً من غيرهم . (٢) ان فيما أورد المحبي عن ابي المعالي الطالوي عن الشيخ داود الانطاكي « دعتني همة علية او علوية ان أصعد منه (بعض ثغور الشام) جبل عاملة فصعدته منصوباً على المدح وكنت عامله واخذت عن مشايخها ما اخذت وبحثت مع فضلائها فيما بحثت » — لدليلاً على ما كان لهذا القطر من الشهرة العلمية واما الذين أموه للافادة والاستفادة من مختلف الامصار فان المتسع يضيق بعدّ أسمائهم .

شوائب تلك الأعصار ويسيرون معاً بمواهبهم في سبيل التجدد والاخذ من القديم والحديث بما ينفع أمتهم والناس .

وبعد فان اصاب هذا البحث الهدف الذي يرمي اليه مجمعنا الموقر فذلك ما أرجو والا فاني لا أضمن لنفسي حسن الاختيار .

دمشق المدينة الفاضلة :

كانت دمشق وما زالت نقطة الاتصال بين الشرق والغرب وملتقى الامم في القديم والحديث وفي الجاهلية والاسلام وفاضلة مدائن الشرق . واول منتزهات الدنيا الاربع غوطة دمشق . ونهر الابلة . وشعب بوان . وصغد سمرقند كما قيل . وجنة الارض بلا خلاف كما قال ياقوت . وجنة المشرق ومطلع نوره المشرق كما وصفها ابن جبير .

وكما خصت يد الابداع هذا البلد بمطرد الأنهار وبواسق الاشجار ونوافح الازهار وخصب الاديم واعتلال النسيم وبكل مافضلت به المدائن والامصار من خواص الاقليم خصت بنيها بفطر سليمة وأذواق مستقيمة واخلاق فاضلة وأيد عاملة ووجوه صباح واكف مطبوعة على السماح فكانت ومابرحت وطن الغريب ومستروح نفس الاديب على حد ماوصفها ابو الطيب المتنبي وبينه وبينها مهامه فيح منتقلاً من وصف شعب بوان الى وصفها ووصف بنيها :

ولو كانت دمشق ثنى عناني لبيق الثرد صيني الجفان
يلنجوجيُّ ما رفعت لضيفٍ به النيران نديُّ الدخان
تحل به على قلب شجاعٍ وترحل منه عن قلب جبان
منازل لم يزل منها خيال يشيعني الى النوبندجان

وكما قال فيها حافظ الاندلس الشيخ احمد المقري [1] من بعض مقاطيعه فيها :

قل لمن رام النوى عن وطن قولة ليس بها من حرج

---

(١) هبط دمشق سنة ١٠٣٩ وبعد مكثه فيها اربعين يوماً محترماً من جميع طبقاتها رحل الى مصر ثم عاد اليها وحصل له من الحرمة ماحصل في الاول وفارقها الى مصر وبينا هو على اهبة الرجوع اذ فاجأه حمامه سنة ١٠٤١ .

فرج الهم بـكي جلق   ان في جلق باب الفرج

وكما قلت من قصيدة طويلة :

أربيبة القِدَم التي تاريخهـا   قـد سطرته قرائح وأنامل
العبقرية فيك وهي مفاخر   مأثورة وفواضل وفضائل
ولأنتِ فاضلة المدائن كلها   وعلاك لم يدرك مداه فاضل
النـابغون بنوك نابه فضلهم   هيهات ان يخفيه غرٌّ خامل
أيديهم لصنائع وصناعةٍ   لم يثنها عن ذين شغلٌ شاغل

استأثرت هذه المدينة بعظمة التاريخ في كل ادوار التاريخ في عصوره الاولى يوم كانت عاصمة الاراميين والسريانيين ومطمح أبصار الفاتحين من الاشوريين والبابليين والفراعنة والاسرائيليين واليونان والرومان وفي الجاهلية والاسلام وهي بريفها الخصب ومائها العذب نجعة العرب باديهم وحاضرهم جاهليهم واسلاميهم يوم كانت عاصمة الملك العربي الغساني والعربي الاموي وعملاً كبيراً من أعمال العباسيين والاخشيديين والفاطميين والسلاجقة فعاصمة نور الدين وصلاح الدين وأعقابه من بني ايوب الاكراد فقاعدة نيابة سلاطين مصر الترك والجركس . فحاضرة الولاية التركية العثمانية . فعاصمة الدولة السورية في العصر الحاضر . وهي في العصور الاسلامية كلها منارة العلم ومحجته يرحل اليها رجاله وطلابه من الآفاق للافادة والاستفادة . بل هي البلد الاسلامي الاول الذي آخى بين علوم اليونان وفنون الاسلام ومشى بالمسلمين في طريق التجديد ووضع لهم أس حضارة حفظت للامم حضارتهم الى يومنا هذا ولم يكن اتخاذ العباسيين بغداد عاصمة لخلافتهم وحرمان دمشق أبهة سلطانها الذي ازدهر بالخلافة الاموية زمناً طويلاً ولا قيام خلفاء منهم أشربوا في قلوبهم العلم — ليفت في عضد العلم بدمشق بل مشى البلدان بنهضتهما العلمية المباركة كتفاً لكتف يوزعان النور على كل بلد يخفق في ربوعه علم الاسلام حيث تشاد المدارس وتعمر المساجد فتعمر بالذكر وحلقات العلم وما كان ليغيض من دمشق معينه ولا ليقبض من بغداد منبسط ظله وقد اخذت تنفكك من وحدة الخلافة أجزاء وسرعان ان تكونت منها دول في المشرق والمغرب وقام الى جنب كل دولةٍ دولةٌ للعلم ولكلٍ سلطانها وأبهته فخفلت بمعاهده في الشرق سمرقند

و بخاري وهمذان واصفهان ونيسابور وخوارزم وجرجان وحلب ومصر الى مدائن كثيرة يطول بعدّها الكلام ٠

وفي المغرب ازدهرت بمدارسه القيروان ٠ وقرطبة ٠ واشبيلية ٠ وغرناطة ٠ ومالقة والمرية ٠ وطليطلة وغيرها من بلاد الاندلس والمغرب ممالا يصل اليه الاحصاء وبالجملة فانه لم يقم للمسلمين سلطان في قطر الا وللعلم الى جنبه سلطان حتى اذا أفرط علماؤهم في حب الإمرة وهاموا في طلب السلطة والأثرة وصرعت عقولهم خيلاء السلطان واعشت ابصارهم أشعة التيجان وانتقلوا بارتياد مظاهر الملك من القصد الى الاسراف و بسياسة الرعية من العدل الى الاعتساف ونسوا او تناسوا ما يحدق بهم من الخطر المترصد لهم من شعوب غريبة غلبوا بعضها على سلطانها وأخرى خافتهم على تيجانها وثالثة بصرت بالفرصة سانحة لغلبتهم على ديارهم فما هي الا دورة من دورات الفلك حتى انكفأت عليهم الاعداء من هنا وهناك ومن المشرق والمغرب من التتر والروم ٠ ومن حملات الصليبيين فانتقص ملكهم الشرقي الواسع من اطرافه غزاة التتر من الشرق ٠ وانتزع سلطانهم الغربي المنبسط غزاة الافرنج من الغرب ٠ فصب من ذلك البلاء على العلم والعلماء وواجهت بغداد امضه من جيش الزاحف هولاكو الذي لم يكن لأتيّه حاجز وخليفتها العباسي مستغرق بسبانه وابناؤها سادرون في سدف الخلافات المذهبية مشغولون بسفاسفها عن دفع الخطر المحدق على عكس الشام التي صدت التيار الصليبي وصمدت له بعزمات ثابتة صابرت محنه احقابا فتقلص ظل العلم من بغداد كما نضب معينــه من قبل ومن بعد من بلاد الفرس والترك ومن المغرب والاندلس واستبقت دمشق ومصر على ذمائه وقد قيض الله لحراستها نور الدين وصلاح الدين ٠ وعقبــه من الايوبيين ومن خلفهم من الترك والجراكسة فحفظ ذانك البلدان الميراث العلمي الاسلامي بعد ان تقطعت اوصاله من البلاد الاسلامية المغلوبة على امرها ٠

غصت دمشق بوفود بقية سيف الغالب من رجالات العلم الذين اغتصب بلادهم وجاس خلال ديارهم وخاصة بغداد وما اليها وقد حل فيها من ظلم هولاكو ما حل ببيت المقدس من نبوخذ نصر (بختنصر) ٠ فكان لها مما حمله اولئك الوفود من علم وفن منهلٌ فياض لايجف له معين وموردٌ صافٍ يستعذبه الواردون ٠ وما برحت مع ما انتابهــا

من نوب الدهر وحل بها من صروف الايام حافظة مواريث العلم عاضة عليه بالنواجذ تحمل مصباحه المتوقد فياض النور على تتابع العصور الى يوم الناس هذا وهي في كل ماتعاقب عليها من الازمان مضطلعة بامره ومثابة لحملته وطلابه يؤمونها من البلد البعيد والقريب ويردون منهله الصافي وما كان جبل عامل بالخلاء عنه وهو من دمشق على قيد مرحلتين او ثلاث . وقد كان عملاً من اعمالها الى عهد انفصال بيروت عنها واتخاذها سنة ١٣٠٦ حاضرة ولاية عثمانية .

بدء تاريخ الصلة العاملية العلمية بدمشق .

أما بدء تاريخ الصلة العلمية العاملية بدمشق فان اعوزتنا النصوص التاريخية على تحديد زمنه والعلم به فلا يفيد ذلك انه لم يكن متمتعاً بتلك الصلة في عصور تاريخها الحافل بالعلم والنسبة الى القطر العاملي لم تكن معروفة قديماً وان عرفه قدماء المؤرخين بجبال عاملة وجبل الجليل والخليل من عهد اليعقوبي الى اليوم .

وتاريخ الانتساب اليه لا يمتد الى اكثر من ستة قرون وشهرته لا تزيد عن اربعة قرون . فمن الجائز بل الراجح ان يكون انتساب العامليين قبل هذا التاريخ الى الشام مراداً بها القطر لا البلد وجبل عامل بعض كورها وليس هذا الاستعمال باقل شيوعاً من استعماله في البلد بل هو المتبادر في العرف عند الاطلاق والمعروف من تاريخ تلك الصلة يبتدئ من المائة الثامنة .

— العلماء العامليون المعروفون بصلتهم العلمية الدمشقية —

من علماء المائة الثامنة :

(١) الامام الشيخ ابو عبد الله شمس الدين محمد بن مكي بن محمد بن حامد العاملي الجزيني . علم من اعلام هذه المائة غزير الفضل جم العلم جيد التصانيف مبرز في علمي المعقول والمنقول وكتبه الفقهية اللباب المحض في التحقيق وبلاغة العبارة مع وجازة المبنى واصابة المعنى وعليها وعلى شروحها وجلها للامام الشيخ زين الدين المعروف بالشهيد الثاني العاملي الجبعي المعول في الأخذ عنها وتدريسها الى يومنا هذا واكثرها مطبوع في ايران والهند . واليه يرجع الفضل في النهضة العلمية العاملية وبه يبتدئ تاريخها ولئن

تقدم عصره بقليل من الزمن بعض العلماء العامليين[١] وكلهم من رجال هذه المائة فانه لم يعرف لهم اثر في تاريخ تلك النهضة المباركة التي وضع أساسها صاحب الترجمة وترك لها من ولده ومريديه من رفع بناءها فكانت مدرسة جزين مسقط رأسه اول مدرسة شيدت في جبل عامل ثم عمرت على مثالها وطبعت على غرارها بآجال متقاربة مدارس جبع ومشغرة وميس وعيناثا والنبطية وكرك نوح وبعلبك بناء على إلحاق هذين البلدين بجبل عامل .

ديار هجرته وبعض شيوخه :

منبت أسلته جزين من أعمال لبنان الجنوبي وبها نشأ في حجر ابيه وكان من العلماء وهاجر الى الحلة وهي اذذاك بلد العلم الذي اصبح يرحل اليه بعد نكبة بغداد . فقرأ على الشيخ فخر الدين محمد بن الحسن بن يوسف المطهر الحلي[٢] الذي انتهت اليه الرئاسة العلمية بعد وفاة ابيه العلامة[٣] وعلى فريق من علماء العراق منهم السيد تاج الدين ابو عبد الله محمد بن القاسم بن مُعَيَّة الحسني الديباجي النسابة المشهور[٤] .

وفي دمشق أنفق معظم ايام حياته بين الافادة والاستفادة وهو اول عاملي عرف

(١) منهم الشيخ طمان بن احمد بن صالح العاملي المتوفى سنة ٧٢٨ والشيخ صالح بن مشرف العاملي والشيخ مكي بن محمد بن حامد العاملي الجزيني والد صاحب الترجمة .

(٢) من اعلام هذه المائة توفي سنة ٧٧١ . (٣) هو الشيخ العلامة جمال الدين ابو منصور الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي كان معاصراً للامام ابن تيمية وبينهما مناظرات كتابية تخرج بالعلوم العقلية على الفيلسوف نصير الدين الطوسي و بالفقه والاصولين على الامام المحقق الشيخ نجم الدين ابي القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد الهذلي الحلي وانتهت اليه الرئاسة في المعقول والمنقول وله اكثر من سبعين كتاباً في فنون من العلم توفي سنة ٧٢٦ .

(٤) من أعقاب اسماعيل الديباج بن ابراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي ابن ابي طالب ، واول من تلقب بابن مُعيّة من عقب اسماعيل ابو القاسم علي بن الحسن ابن الحسن بن اسماعيل . ومُعيّة هي أمه وهي بنت محمد بن حارثة بن عامر بن مجمع بن العطاف بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن الاوس .

بالرحلة الى هذا البلد في طلب العلم وفيه اجتمع بالعلامة قطب الدين محمد بن محمد البويهي الرازي[١] واستجازه فأجازه ٠

واما شيوخ إجازته في مختلف العلوم فلا يحصون كثرة وحسبك ما ذكر في بعض إجازاته من انه يروي مصنفات السنة عن اربعين عالماً ٠ دع ما يرويه من مصنفات الشيعة عن شيوخه الكثيرين ٠ فكان للمتأخرين عنه الى يومنا هذا حلقة الاتصال بسلسلة الاجازة بروايات الفريقين ومصنفاتهم ٠

وعظمت منزلته في دمشق واحله علماؤها وعظماؤها من نفوسهم محلاً كريمًا لغزارة علمه وحسن خلطته وعشرته فكان مجلسه الحافل فيهم في اكثر الاحايين ولم ينقطعوا عنه كما نقل ولده الشيخ ابوطالب محمد في الزمن الطويل الذي طوى صحيفته بين ظهرانيهم الا مدة سبعة ايام صنف في اثنائها كتاب اللمعة الدمشقية في الفقه الامامي إجابة لالتماس صديقه الشيخ شمس الدين محمد الاوي[٢] من اصحاب علي بن المؤيد ملك خراسان وما والاها[٣] وكان بينهما مودة ومكاتبة على البعد الى العراق ثم الى الشام وطلب منه التوجه الى بلاده في مكاتبة اكثر فيها من التلطف والتعظيم فأبى واعتذر ٠

نهاية امره السجن فالقتل :

ختم لهذا الامام ماختم لكثير من أئمة المسلمين من الشهادة وبقاء الذكر الجميل واصابه من حساده واعدائه الذين لايعرفون من الدين الا مظاهره ومن العلم الا رسومه وما يقربهم من ولاتهم وسلاطينهم زلفى ما أصاب غير واحد من عظماء الامة ومصلحيها من

---

(١) ولد ونشأ في ورامين من اعمال الري تخرج بالعلامة الحسن بن المطهر واجازه برواية جميع مصنفاته ومروياته وانتقل الى الشام بعد وفاة السلطان ابي سعيد واستشهاد الخواجه غياث الدين وغيره من الوزراء وجرت بينه وبين الشيخ تقي الدين بن السبكي مناظرات ذكرت في طبقات النحاة وله مصنفات وجلها في علمي المنطق والكلام توفي سنة ٧٦٦ بدمشق وصلي عليه في الحصن وحضر الصلاة عليه اكثر أعيان البلد ودفن في الصالحية ثم نقل الى مكان آخر ٠ (٢) نسبة الى آو قرية في الري وهو من العلماء ترجمه في امل الامل ٠

(٣) استولى على بلاده تيمورلنك توفي سنة ٧٩٥ ٠

أمثاله ممن لا يقوّم اعوجاجاً من سلطان بموعظة حسنة ولا يرد جماحاً من وال بحكمة بالغة بل يسيرون بالدين واحكامه على ما تمليه مشيئتهما ولهم من وراء ذلك نفوذ الامر والافتئات على مصالح الامة جزاءً وفاقا .

فاذا أرادوا نكاية بعالم يتخوفون ظهور امره ومزاحمته لهم على ما بايديهم من الولايات وغلبتهم على ما يتمتعون به من تافه حطام زائل وزخرف مجد باطل فليس لهم الا ان يلصقوا به تهمة المروق من الدين فالارجاف بذلك في العامة وهم اتباع كل ناعق فاتخاذ هياجهم وسيلة لدى السلاطين والولاة لحلول نقمتهم بالمرجف به تسكيناً لثائرة العامة ولشد ما غلب الجهل الفاضح على سلطان العلم الصحيح بمثل هذه الأضاليل والأباطيل .

انتقص جهلة الدين ممن يزعمون انهم من حملته ونزلوا به من معارج كرامته وسابق منزلته حيث ألصقوا به عداوته للعلم وهو والعلم توأمان لا يفترقان والقصوه عن اجتهاد العقل وهو والعقل اخوان لا يتنابذان وحسب هؤلاء المفتئتين على الدين والعلم والعقل بالقرآن حجيجاً و بالسنة خصيماً ان كانوا ممن يتدبرهما و يستنير بهديهما فهل يجدون فيهما غير ما يؤاخي بين الدين والعلم والعقل .

وما كان أسهل عليهم من تكفير من يخالفهم في الآراء او من لا يجرون معه في مضمار باسم الدين والدين منهم براء فأوذي من أمثالهم امام الحديث والتفسير والتاريخ محمد بن جرير الطبري[1] والامام ابوعبدالله المفيد محمد بن محمد الفقيه المتكلم الامامي[2] وابوالحسن الناشي علي بن وصيف البغدادي [3] والامام ابن تيمية[4] والقاضي الفيلسوف

(١) توفي سنة ٣١٦ ودفن ليلاً بداره لان العامة اجتمعت ومنعت من دفنه نهاراً .

(٢) اوذي مرات بفتن الرصافة والكرخ في بغداد توفي سنة ٤١٣ .

(٣) الشاعر المتكلم قتل حرقاً بالنار كذا جاء عن ابن شهراشوب وسكت ابن خلكان عن خبر قتله في ترجمته .

(٤) انتهت حياته بسجن دمشق سنة ٧٢٨ بعد أعوام طوى صحائفها السود بسجون دمشق ومصر .

ابن رشد [١] وقتل شهاب الدين السهروردي بحلب [٢] ولسان الدين بن الخطيب اديب الاندلس قتل في سجنه بفاس[٣] واوذي سيف الدين ابو الحسن علي بن ابي علي الامدي بمصر[٤] والشيخ داود الحكيم الانطاكي [٥] فر من مصر الى مكة بتهمة الانحلال من العقيدة والمأموني[٦] أبعد عن حضرة الصاحب بن عباد[٧] الى كثيرين من اقطاب العلم والفلسفة وأئمة الدين ممن يطول الكلام بذكرهم ونضيق عن استيعابه المجلدات الضخمة ·

لم تكن العصور التي تقدمت عصورهم باسلس مقادة وارضى عنانا واعذب مورداً وأصفى كأساً على من تقدمهم من الاعلام حتى في عصر ازدهار الاسلام في صدر الخلافة العباسية وعهد هبوب ريح العلم وانصراف المسلمين الى اقتباس فلسفة اليونان وحسبك بما كان لمسألة خلق القرآن من الهنات التي طمى سيلها وعم ويلها وأرهق في القول

(١) ابعده السلطان ابو يعقوب بن عبد المؤمن من مراكش الى الاندلس بعد ان آذاه وامر بابعاد كل من يتكلم بالعلوم الفلسفية وبحرق كتب الفلسفة ثم أعاده الى مراكش بعد ان جنح الى تعلم الفلسفة توفي سنة ٥٩٤ · (٢) ورد حلب في عهد الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين وناظر فقهاءها فكانت له الغلبة عليهم فاكثروا من التشنيع عليه وما كان جمع السلطان بينه وبين اكابر المدرسين والفقهاء والمتكلمين ليسمع ما يجري بينهم من المناظرات التي انتهت بظهوره عليهم وحسن موقعه لديه - الا لتزيدهم إغراقاً في التشنيع عليه فكتابة المحاضر بتكفيره الى الملك صلاح الدين فأمره بقتله وذلك في سنة ٥٨٦

(٣) قتل خنقاً وبعد دفنه أُخرجت رمته وأُلقي عليها الاحطاب وأُضرمت فيها النيران وكان ذلك في سنة ٧٧٦ · (٤) توفي بدمشق سنة ٦٣١ · (٥) توفي بمكة سنة ١٠٠٨

(٦) هو ابو طالب عبد السلام بن الحسين من اولاد امير المؤمنين المأمون الخليفة العباسي فارق وطنه بغداد لحاجة في نفسه وورد الري ومدح الصاحب بغرر القصائد فأكرم مثواه واحسن قراه فدبت اليه عقارب الحسدة من ندماء الصاحب وشعرائه وتقولوا عليه الاقاويل وتخذوا من السعايات ضروباً حتى تكامل لهم اسقاط منزلته لديه ففارق حضرته وبوده ان لا يفارقها بعد ان استأذنه بالرحيل في قصيدة من بارع الشعر توفي سنة ٣٨٣ ·

(٧) توفي سنة ٣٨٥ ·

باثباتها او نفيها غير واحد من أفاضل الامة .

وما كانت هذه الامة بما مُني به مصلحوها ببدع من الامم ولا عصورها بحدث من العصور (وان من أمة الا خلا فيها نذير) وناله من اعدائه ما نالهم وفي قصص الانبياء عبرة للمعتبرين وما كان عهد سقراط حكيم اليونان وهو يتجرع السم الا كعهد لوثير وكوبرنيك وغاليليو وأضرابهم وهم يصابرون المحن من حشويي أقوامهم في سبيل عقيدة او اكتشاف علمي وهكذا الحال في كل زمان وفي هذه الايام فكل نابه هدف لخامل وكل مجدد غرض لجامد تلك سنة الله في خلقه « وان تجد لسنة الله تبديلا » .

انتهت حياة صاحب الترجمة بسجنه مدة سنة بقلعة دمشق بوشاية تقي الدين الجبلي (او الخيامي) و بالقتل فالصلب فالرجم فالاحراق سنة ٧٨٦ بسعاية يوسف بن عيسى (او يحيى) في عهد سلطنة برقوق ونيابة بيدُمر الخوارزمي[1] .

عقب صاحب الترجمة : ان للشهيد خلفاً صالحاً اقتفى اثره في العلم والعمل فقد كان ولداه الشيخ رضي الدين ابوطالب محمد والشيخ ضياء الدين ابو القاسم علي واختهما أم الحسن فاطمة الملقبة بست المشايخ من أفاضل العلماء وولده المنصور الشيخ حسن من فضلاء المحققين وزوجه ام علي من فضليات نساء وقتها وكان يثني عليها ويأمر النساء بالرجوع اليها .

---

(١) اتفقت كلمة مترجمي الشهيد على ان قتله كان سنة ٧٨٦ في نيابة بيدمر وسلطنة برقوق فبيدمر على هذه الرواية كان حياً الى هذا العهد و يؤيدها قصيدة صاحب الترجمة التي بعث بها اليه وهو في سجن قلعة دمشق ومستهلها :

(يا أيها الملك المنصور بيدمرُ بكم خوارزم والاقطار تفتخرُ)

وما جاء في تاريخ بيروت لصالح بن يحيى من ذكره له في عدة مواضع بعد سنة ٧٤٨ التي ورد في تاريخ ابن الوردي في حوادثها « ان الملك المظفر بن الناصر بن قلاوون (اعدم) اخاه الأشرف فيها وفتك بالامراء وقتل من اعيانهم نحو اربعين اميراً مثل بيدمر البدري نائب حلب » .

وان بيتاً لا يستظل تحت سقفه من رجاله ونسائه الا من اخذ من العلم بنصيب لهو من اكرم البيوت فضلاً ونبلا .

وللمترجم له صلة نسب وصهر بمقدمي جزين المنتسبين الى الخزرج من الانصار [١] ولم تنقطع سلسلة العلم من أعقابه الى هذا اليوم [٢] . «للبحث صلة»

سليمان ضاهر

عضو المجمع العلمي

---

(١) رأيت في تعليقة على كتاب مخطوط كتبت سنة ١١٦٥ ان الكاتب لها يقول إنه من ذرية الشريف ابي عبد الله الشهيد محمد بن شرف الدين مكي المطلبي الحارثي الهمداني الخزرجي العاملي الجزيني .

(٢) ان أسرة شمس الدين العلية العاملية يذكر رجالها انتسابهم اليه . وقد فارق منذ تسعين عاماً بقية منهم جزين البلد المسيحي اليوم ومسقط رأس الشهيد وكثيرين من علية العلماء العامليين واحدى مدارس العلم الكبرى في زمن نهضة جبل عامل العلمية أمس .

رسالة في الكرم

سألني بعض الأدباء في دمشق عما يرادف كلمة (بَرْرَق) من العربي الفصيح وكنت لا أعرف لها مرادفاً . فرغبت اليه ان يمهلني في الجواب حيناً من الدهر ثم طفقت أتصفح كتاب القاموس المحيط للفيروزابادي حتى ظفرت بضالتي التي أنشدها وأعلمت السائل بها .

وقد عثرت خلال البحث عنها على كلمات فصيحة تتعلق بالكرم . يتداول الناس غيرها من عامي ودخيل . فارتاحت نفسي الى متابعة البحث والاستقراء وتدوين مايقع اليَّ من هذا النوع في رسالة مستقلة تقرب على الباحث كل قصيّ . وتذلل كل ابيّ .

حتى اذا توفر لدي جملة صالحة من ذلك نبهني صديق لي الى كتاب النخل والكرم المنسوب الى الأصمعي وهو مطبوع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت مع كتب أخرى نشرها الدكتور اوغست هفنر أستاذ العربية في كلية انسبروك والاب لويس شيخو مدير مجلة المشرق تحت عنوان : « البلغة في شذور اللغة » فاطلعت على نسخة منها من الطبعة الثانية صححها الثاني وضبط حواشيها ورتب لها فهارس على حروف المعجم . فألفيتها غزيرة المادة لكنها مشتتة المباحث خالية من الترتيب الذي يقرب الوقوف على مسائلها من الطالب والباحث فعارضتها بما جمعته واصطفيت منها ما لم اعثر عليه من قبل ثم استصفيت ما في المخصص لابن سيده وأضفت ذلك كله الى الرسالة حتى اشتملت على كثير من المباحث الطريفة والاسماء النادرة وأفردت لكل نوع من اجزاء الكرم مبحثاً مستقلاً أتيت فيه على كل ماوقع لي من الأقسام والأسماء والأصاف التي تتعلق به وتلائمه . الى غير ذلك مما لا يجده الباحث في غيرها من الكتب المطولة والأصول العظيمة .

وكنت أود ان استفرغ المجهود في ترتيبها وتهذيبها واستقراء المظان للتنقيب عمافيها من المسائل واستخراج ما فيها من العقائل ولكن القدر لم يشأ لي ذلك فقد فجعت بشقيقي الذي كان ساعدي الأشد وعضدي الأقوى ففترت بذلك عزيمتي وخاصر رغبتي الخور . ثم أشار عليَّ بعض الأدباء ان أنشر الرسالة على علاتها حذراً من ان يعرض لي ما يعوقني عن نشرها فتبقى في زوايا الإهمال . او تطوى بين ثنايا الايام والليالي و يذهب عملي بين سمع الارض وبصرها . فنزلت عند رغبته . ولم آل جهداً في التمحيص والتحقيق

في المسائل التي نقلتها والأصول التي اخذت عنهـا على الرغم مما كنت أجده من التحريف والتصحيف والخطإ في الأصول التي نقلت عنها ولا سيما كتاب الكرم المنسوب للأصمعي فان فيه كثيراً من الكلمات التي اشتبهت على الناسخ والناشر فتصرفا فيها على ما خيلت شرحاً وضبطاً وتأويلا ·

وكذلك رأيت في لسان العرب وتاج العروس ومبادئ اللغة للاسكافي والمخصص لابن سيده ضروباً من عبث النسخ والطبع مما شوّه نضرة هذه الاصول وجعل الوصول الى الحقيقة فيها أعزّ من الأبلق العقوق · ورأيت من المفيد جداً ان أبين شيأ مما عثرت عليه من الغلط في هذه الكتب ليأمن الباحثون الوقوع فيها اذا عولوا عليها بدون تمحيص وتثبت وآثرت الابتـداء بكتاب الأصمعي لانه أوفرها خطأً وتحريفاً واكثرها غلطاً وتصحيفاً على ان في نسبة هذا الكتاب الى الأصمعي مجالاً واسعاً للنظر والشك وان الباحث اذا أمعن النظر في تضاعيف سطوره لا يسعه الا الجزم بان نسبته الى الأصمعي خطأ محض والى القراء الكرام تحقيق ذلك وبيان رأي الناشر والمصحح فيه ·

(١) ان ناشر كتاب البلغة افتتحه بمقدمة (ص٢) بين فيها الاسباب التي حملته على نشر الرسائل المدونة في هذا المجموع · وبعد ان أفاض في مدحه قال : « وهو يبتدئ بثلاثة كتب تنسب الى الأصمعي اي كتاب الداران ثم النخل ثم الكرم الخ » ·

(٢) ثم افتتح كتاب النخل والكرم بمقدمة أخرى فقال : (في ص٦٣) « كتاب النخل والكرم للأصمعي ثم قال : (مقدمة) هذا أثر ثالث للغوي الامام ابي سعيد عبد الملك ابن قريب الأصمعي كنا استنسخناه في دمشق الفيحاء عن نسخة مصونة في خزانة كتب الملك الظاهر وهو في الأصل ملحق بكتاب قديم منسوب لابن قتيبـة الكاتب الشهير يسمى كتاب الجراثيم · ولما كان الدكتور اوغست هفنر مغرماً بمصنفات الأصمعي رغب الينا ان ينشره في مجلة المشرق مع تعليق بعض شروح لغوية عليه نقلاً عن معاجم العرب لا سيما اللسان فلبينا دعوته ونشرنا هذا الاثر الجليل في أعداد السنة الخامسة من مجلة المشرق بعد ان قابلناه بالتدقيق على النسخة الأصلية في سياحة باشرناها اذ ذاك الى عاصمة ولاية سوريّة[1] الخ ...

(١) هكذا ضبطت في الاصل بتشديد الياء والصواب تخفيفها كما في القاموس ·

ثم قال ان نسبة الدكتور هفنر هـذا الكتاب الى الأصمعي فهي على ما نظن تغليب لان نسختنا التي اخذ عنهـا لا تصرّح باسم الاصمعي . ومن المحتمل ان يكون الكتاب لابي عبيد معاصر الاصمعي المتوفى سنة ٢٢٤ للهجرة الخ ..

(٣) قال عند الكلام على الكرم (ص٧٣) « كتاب الكرم عن ابي حاتم السجستاني ثم قال في آخر الصفحة (كذا في الاصل) والظاهر ان ابا حاتم السجستاني روى كتاب الكرم عن الأصمعي ولعله روى ايضًا عنه كتاب النخل السابق ذكره الخ » ..

هذه جملة ما قاله الناشر والمصحح . وفيه تناقض بين . لان قوله في مقدمة الكتاب اي رقم [١] يبتدئ بثلاثة كتب تنسب الى الاصمعي الخ . صريح في ان كتاب الكرم للاصمعي اذ لم يذكر هناك ما ينفي نسبته اليه . وقوله في المقدمة الثانية اي رقم [٢] هذا أثر ثالث للامام اللغوي الخ .. يفيد الجزم بنسبته للاصمعي .

ثم قوله بعد ذلك : وهو في الاصل ملحق بكتاب قديم منسوب لابن قتيبة الخ . يناقض ما قبله .

وقوله بعد ذلك : ولما كان الدكتور هفنر مغرمًا بمصنفات الاصمعي رغب الينـا ان ننشره ... فلبينـا دعوته ونشرنا هذا الاثر الخ .. يفيد القطع بان هذا الكتاب للاصمعي .

ثم قوله : واما نسبة الدكتور هذا الكتاب الى الاصمعي فهي على ما نظن تغليب . وقوله : ومن المحتمل ان يكون لابي عبيد . ثم قوله : ومن المحتمل ان يكون لابي حاتم الخ . يفيد الشك في نسبته الى الاصمعي .

ومن البديهي ان هذه الأقوال متباينة جد التباين وليس شيء منها قائمًا على يقين بل كلها مبنية على الحدس والتخمين .

والذي يظهر لي ان نسبة هـذا الكتاب الى الاصمعي لا تصح بوجه من الوجوه لاسباب كثيرة .

منها ان الكتاب مفتتح بهذه الجملة « حدثنا الحسن بن علي الطوسي قال حدثنا ابو سعيد الحسن بن الحسين السكري ببغـداد قال اخبرنا ابو حاتم سهل بن محمد بن عمر السجستاني قال قال الطائفي : يقال لشجر العنب الخ .. » وليس في هذا السند ذكر للأصمعي .

ولو ان اباحاتم رواه عن الاصمعي كما توهمه الناشر لصرح بذلك ·

ومنها انه ذكر في الكتاب المذكور في الصفحة ٨١ والسطر ١٥ هذه الجملة (وقال الجوهري اكمح الكرم الخ) ·

وهذه الجملة اما ان تكون مدمجة في هذا الكتاب وهي لغير مصنفه وذلك يدعو الى عدم الوثوق به كلاً او بعضاً لاحتمال ان يكون غيرها مثلها من كلام غيره ·

واما ان تكون من اصل الكتاب فتكون حجة قاطعة على عدم جواز نسبة هذا الكتاب الى الاصمعي او ابي عبيد او ابي حاتم لان الاصمعي توفي سنة (٢١٣) او (٢١٦) او (٢١٧) · واباعبيد توفي سنة (٢٢٣) او (٢٢٤) · واباحاتم توفي سنة (٢٤٨) او (٢٥٠) او (٢٥٥) وقد كانت وفاة الجوهري سنة (٣٩٠) او (٣٩٨) او (٤٠٠) ولم يثبت ان الجوهري عاش نحو قرنين لتتأتى له الرواية عن الاصمعي او ابي عبيد او ابي حاتم ·

ومنها انه قال في متن الكتاب (في ص٨٥) قال أنس فاتحت في ذلك نفطويه في بغداد الخ ·· وقد كانت ولادة نفطويه سنة ٢٤٤ ووفاته سنة ٣٢٣ · فولادته بعد موت الاصمعي بنحو ثلث قرن تقريباً وبعده وفاة ابي عبيد بنحو ربع قرن وقبل وفاة ابي حاتم بنحو اربع سنوات ومن المحال ان يروي واحد من هؤلاء عن انس الذي فاتح نفطويه الذي ولد بعد وفاة الاولين وقبل موت الثالث بمدة لا تتأتى فيها الرواية عنه كما ان رواية واحد من هؤلاء عن الجوهري مستحيلة ايضاً ·

ومنها انه يقول في متن الكتاب أنشد الاصمعي كذا وقال الاصمعي كذا وذلك في مواضع كثيرة منها قوله في ص ٨٥ وأنشد للاصمعي · وقوله في ص٨٩ واما الاصمعي فقال · وفي ص٩١ وأنشد الاصمعي للاعشى · وقال الاصمعي · وأنشد فيها · وفي ص ٩٢ قال ابو سعيد السكري قال اخبرني الرياشي والزيادي عن الاصمعي · وفي ص٩٣ قال الاصمعي الى غير ذلك · ولو ان هذا الكتاب للاصمعي لم يقل فيه · قال الاصمعي وأنشد الاصمعي وأخبرني الرياشي عن الاصمعي · اذ لا يتأتى ان يروي عن نفسه بواسطة وبدونها ·

ولا تصح نسبة هذا الكتاب الى ابي حاتم لما ذكرناه آنفاً · ولانه يقول في متنه في ص٧٥ · وفي غير رواية عن ابي حاتم قال قال الخليل بن احمد الخ ·· ولو كان

لابي حاتم لم يقل ذلك وفي الصفحة نفسها يقول : قال ابو حاتم : وكذا في ص ٨٦ في مواضع متعددة . وفي ص ٩٠ يقول قال ابو سعيد الخ . وفي ص ٩٢ قال ابو سعيد السكري قال اخبرني الرياشي الى آخر ما تقدم وليس فيه ذكر لابي حاتم والمعروف ان ابا سعيد هو الذي روى عن ابي حاتم الى غير ذلك من الامور المتناقضة التي لا يمكن الجمع بينها .

فأصبح هذا الكتاب مجهول الاب دعياً في النسب لا يعلم من هو ابوه على التحقيق .

ويدل على بطلان نسبته الى واحد من هؤلاء الأئمة الأعلام امور جمة منها : كثرة ما فيه من إعادة البحث الواحد بالمعنى الواحد في موضعين فأكثر فقد ذكر الحبلة وغرسها وما يخرج منها من الزمع والسكر الى آخره في ص٧٣ وص ٧٤ ثم كرر معظم ذلك في ص ٨٦ وص ٨٧ وكذلك ذكر ضروب العنب في ص ٧٥ فما بعدها وكرر اكثرها في ص ٨٥ فما بعدها .

وذكر ما يدعم به الكرم والعمل في ص٧٨ واعاده في ص ٨٢ وص ٨٣ الى غير ذلك مما يتبين بالرجوع اليه والوقوف عليه .

ومنها : كثرة ما فيه من ركاكة التأليف والتعقيد مما لم يعهد أمثاله في كلام هؤلاء الأعلام . كقوله في ص ٨٤ والكظامة لها جدران جدر من كل ناحية وهما حافتاها . وقد كظم الكظامة بجدرين والجدر طين حافتيها .

فقد فسر الجدر في اول كلامه بالحافة وجعله في آخر كلامه طين الحافتين . وهذا على غاية من التناقض والسخافة . ثم قال بعد ذلك : والطي ويسمى الدبل وهي مدبولة بالطين والحجارة اي مطوية نطوى بالحجارة فربما قصُر الحجر منهـا فلا يلحق باخوانه فيجعل تحتـه حجير صغير ليرفع الحجر فذلك الصغير يسمى الوسيطة وهو المكان من المكانين اللذين فيهما العنب وليس فيهما شيءٌ وتسميـه المحجر والجمع المحاجر وهو الركيب والجمع الركب الخ .. فانظر الى ركاكة قوله وهو المكان من المكانين الى آخره . وما فيه من سخافة اللفظ والتعقيد والغموض مما يجعل المعنى اخفى من السهى وأعقد من ذنب الضب .

وكقوله في ص٩٤ وقال بعضهم : المَرِيث يعمل من سويق البلسن ومن البهش يعني المقل ومن المطل ومن الثفاريق ومن الحَدَل والحدل شجرة تكون بتهامة يقال لها

الأعاليف فذلك ما كان طحن ثم سقي الرُب · والحدل يعمل من الطَفْق وهو مما وصف الحصيص يربب بعصير العنب ثم يؤكل الخ ·

فان قوله : فذلك ما كان طحن الخ · وقوله وهو مما وصف الحصيص الخ غاية في الركاكة والسخف ·

ولقد فتشت كثيراً من كتب اللغة كالمصباح والصحاح والمختار والقاموس وشرحه واللسان فلم أجد من ذكر المريث والحَدَل والطَفْق بهذا الوزن وهذا المعنى ·

ويؤيد بطلان نسبته الى امثال هؤلاء الائمة ايضاً كثرة مافيه من التصحيف والتحريف والغلط والالفاظ الحوشية وقد وقع فيما كتبه الناشر والمصحح في ذيل الكتاب شيءٌ من الخطإ في ضبط الكلمات وتفسيرها ·

وهذا نموذج قليل مما جاء فيه من هذا القبيل :

قال في ص ٧٥ في ضروب العنب والشوكي · ولم أجدها في شيء من كتب اللغة ولعل صوابها التبوكي ·

وقال في ص ٧٥ ايضاً (والنَّوَّاسِيّ) الواو مشددة وقد ضبطه هنا وفي ص ٧٦ بفتح النون · وضبطه في ص ٨٥ بضمها وبتشديد الواو في المواضع الثلاثة · وقد قال في التاج (والنواسي) بضم النون · وجاءت في لسان العرب مضبوطة بالشكل بضم النون وتخفيف الواو · وفي المخصص بفتح النون وضمها مع تخفيف الواو · ولم ار من ضبط الواو بالتشديد ·

وقال في ص ٧٦ واما الأطراف فابيض طوال رقاق · قال الشارح نظنه يريد العنب المعروف باطراف العذارى وهو عنب ابيض طوال كأنه البلوط يشبه باصابع العذارى المخضبة الخ · · وظاهر ان قوله عنب ابيض الخ ينافي قوله يشبه باصابع العذارى المخضبة لان الأصابع المخضبة لاتكون بيضاء · وقد سبقه الى هذا الوهم كثير · وسيأتي انه عنب أسود وهو الملائم لقوله يشبه باصابع العذارى المخضبة ·

وقال في ص ٧٩ ثم يقال قد أثلث اي قد فصل ثلثه وأكل ثلثاه « هكذا ضبطها بالفاء والصاد المهملة وبفتحها » وذكر في الذيل : انها في الأصل قد فضل اي بالفاء والضاد · والصواب فضل كما كانت في الأصل كما في اللسان والمخصص والتاج ·

وفي ص ٨٠ فيسمون عنقود العنب الفنا · والصواب القنا بالقاف المكسورة كما في

المخصص واللسان والقاموس وغيرها . وفي ص ٨٠ ايضاً ويسمون كرم العنب الذي يعرش في اصول الشجر العظام العوادي الخ . ومثله في المخصص يعرش في اصول الشجر والصواب يغرس بالغين والسين كما يشعر به بقية كلامه و كما في تاج العروس .

وفي ص ٨١ فاذا عظمت جداً سميناها بنيقة ثم يكون حثراً ثم يكون غصناً وذلك اول ما يعقد فلا يزال غصناً حتي يأخذ في النضج و يري فيه السواد الخ . قال الشارح في الذيل : ومنه أغصن العنقود وغصّن اذا كبر حبه شيأ . ولا تخفى مافي قوله وذلك اول مايعقد . وقوله أغصن اذا كبر حبه . من التناقض . والصواب ثم يكون غضاً بالغين والضاد المعجمتين كما سيأتي عن اللسان والمخصص وغيرهما . وفي ذيل الصفحة نفسها الحمنة الحب الصغير كالحمنان ولم ار من ذكر الحمنة بهذا المعنى .

وفي ص ٨٣ فاذا غرسنا العنب عمدنا الى دعائم لحفرنا لها في الارض من هذا الجانب دعامة بخيال هذه الدعامة الخ . ولا معنى للخيال هنا والأقرب ان تكون بحيال اي بازائها او قبالتها . وفي الصفحة نفسها : وتسمى هذه الخشبة المعروضة بالأطر . ضبطها المصحح بضم الهمزة وفتح الطاء . وقال في الذيل الأُطَر والإطار جمع إطَرة وهي اضبانب الكرم الخ . ولقد فتشت لسان العرب والتاج والمخصص والمصباح والصحاح والمختار وغيرها فلم أر من ذكر الاطرة بهذا الوزن والمعنى ولا من ذكر انها تجمع على أطَر وإطار كما ذكره المصحح .

وذكر في ص ٨٥ في ضروب العنب (النُّوكَاجي) ولم اجد له ذكراً في شيء مما لدي من كتب اللغة .

وفي ص ٨٦ : ويقول العرب في العنب انه لشحم اذا كان ريّاناً والرمانة ريانة الخ . وفي اللسان ورجل ريانُ وامرأة ريّا . وفي القاموس وهو ريانُ وهي ريّا . وفي المختار والريان ضد العطشان والمرأة ريا . فقد جاءت في هذه الاصول بلا تنوين في الاول ولا تأنيث في الثاني . وفي المصباح فهو ريان وهي ريى[1] على وزن غضبان وغضبى . والمعروف عند النحاة ان فعلان اذا كان مؤنثه على فعلي يمنع من الصرف اي

---

(١) هكذا جاءت في النسخة المطبوعة بالمطبعة الخيرية .

فلا يدخله التنوين . وان فعلان لا يأتي مؤنثه على فعلانة الا في الفاظ معدودة. وليس ربان منها . ففي هذه الجملة خطآن يبعد كل البعد ان يقعا من مثل الأصمعي او ابي عبيد او ابي حاتم .

وفي ص٨٩ (قال الجذامي : نَبَّ العنب اذا ماقطع عنه ماليس يحمل) . ولم ار من ذكر (نبّ) بهذا المعنى . ولعل اصلها قنب كما سيأتي . وفي الصفحة نفسها مزج العنب اذا ما لوّز . ولبس في مادة لوز ما يدل على هذا المعنى . ولعل اصلها لوّن كما سيأتي .

وفي ص٩٠ والجباب الركايا الى ان قال والواحد الجبّ . ضبطه بفتح الجيم . وهو في اللسان وغيره بالضم .

وفي ذيل ص٩٠ وفي اللسان (الشُربة) الصف من الكرم وجاء في مادة شرب : والشَرَبَّة الطريقة من شجر العنب . وليست مذكورة في مادة شرب في نسخة اللسان المطبوعة .

الى غير ذلك من ضروب الأغلاط والتصحيف والتحريف مما ذكرنا منه بعضاً فيما مضى . وبعضاً فيما يأتي . وضربنا صفحاً عن الباقي خشية الإطالة على ان فيما تقدم من الأدلة وحده ، مقنعاً للباحث في ان هذا الكتاب لا تصح نسبته الى الأصمعي ولا الى غيره ممن أراد الناشر إلصاقه بهم .

ومما يذكر بالأسف ان كتابي المخصص واللسان لم يخلوا من عبث الطابعين وإهمال المصححين فقد رأيت كثيراً فيهما من الخطإ والتحريف . منه ما جاء في المخصص فى الجزء ١١ ص ٦٥ ويسمون ما فى جوف الهَبْرة خُبَّة ضبط فيه بالشكل . الهبرة بفتح الهاء وجاءت الخبة بالخاء المعجمة وسيأتي ان الهبرة بالضم . اما الخبة فلم ار من ذكرها بهذا المعنى ولعلها مصحفة عن الحبة بالحاء المهملة . وفي ص٦٧ و يقال للخشب التي يعرش فوقها (العوارض والمعاطج) ولم ار من ذكر المعاطج .

وفى الصفحة نفسها وتسمي الكروم التي تعرش في اصول الشجر الخ . والصواب تغرس كما في التاج وكما يشعر به بقية كلامه .

وفيها ايضاً و يسمي ذلك المكان (الضار) بالضاد المعجمة . والصواب (الصار) بالصاد المهملة كما فى التاج .

وفي ص ٧٠ (والهَرور) بفتح الهاء . وقد ضبطها التاج بضمها .

وفي ص ٧١ (والمَحْمِل) وقد ضبطه في كمنبر .

ومنه ما جاء في اللسان في مادة (هر) والهَرور ضبطت بالشكل بفتح الهاء وقد تقدم عن التاج انها بالضم .

وفي مادة (غض) والغض الحِبْن من حين يعقد الى أن يسودّ و يبيضّ . وقيل هو بعد ان يحدر الى ان ينضج الخ . ولا معنى لقوله الحبن ولا بقوله يحدر بل الصواب في الاول الحثن وفي الثاني يجدر كما نص عليه المخصص . وسيأتي تحقيق ذلك وغيره مما عثرت عليه في مواضعه ان شاء الله تعالى .

وقد رأيت ان أقدم على مبحث الكرم كلمة في النجم والشجر والجنبة لجزالة فائدتها . وان أضيف الى المباحث ما اعثر عليه من الفوائد اللغوية . لان الغاية من نشر هذه الرسالة تقريبها من الباحثين وعرضها على رجال العلم ليرشدوني الى ما فيها من الخطإ والزلل . ثم بعد ذلك أنحي عليها بالترتيب والتصحيح والتهذيب . ولست اعتقد السلامة من الغفلة والخطإ في كل ماجاء فيها ولا بلوغها الغاية في الجودة والإحاطة باطراف الحديث لان العصمة والكمال لله وحده .

عضو المجمع العلمي العربي
سليم الجندي

على ذكر الالفاظ

« غير القاموسية »

قد تناقض العلماء في مجلتنا عن الكلمات التي لا أثر لها في القواميس الكثيرة مثل لسان العرب وتاج العروس ولكن لم أجد في مقالاتهم اشارة الى ان في هذه المعاجم الفاظاً كثيرة لا اصل لها في اللغة العربية الا انها نتجت من تصحيفات قديمة فلقد وجدت ان الشواهد الشعرية تكررت في المعاجم مع روايات مختلفة لا اصل لها سوى تغيير الفاظ مشكلة ولو شئت لأوردت على ذلك أمثلة عديدة ولهذا السبب يلزم لمن يؤلف قاموساً جديداً ان يورد الشواهد الغير المتهمة في تفسير الألفاظ المتفسرة وحيث تكثر الأبيات المصنوعة لاسيما في كتب النحو يلزم ان يعرف اسم الشاعر وزمانه وهل هو جاهلي ام اسلامي ام مولد وكذلك في الاحتجاج بكلمات أصحاب النثر . ولهذا السبب كتبت في نسختي من كتاب لسان العرب أسماء الشعراء للابيات الغير المنسوبة الى قائلها كما أمكنتني هذه الزيادة لتكون لي حجة عند الحاجة وتحقيقاً ان البيت لشاعر معلوم . وهذه نبذة مما في حواشي الجلد الاول من لسان العرب فاما ما زدت من الشواهد والزيادات فكثير جداً لعله يزيد على حجم لسان العرب بعينه :

صفحة	سطر	
١٥	٦	عامر بن جُوين جاهلي
٢٢	٦	ابو حزام العكلي اسلامي
٢٧	١٣	الحلاء بن أرقم
٢٩	٧	عبدالله بن الزبير الاسدي اسلامي
٣٠	١٤	جابر بن جُنَي التغلبي جاهلي
٣٥	٩	نُصيب بن مِحْجَن اسلامي
٣٦	١٠	ساعدة بن جُؤَية مخضرم
٣٨	١٥	ابو جنبل الطائي جاهلي قديم

صفحة	سطر	
٤٠	٢٣	عمرو بن الاطنابة جاهلي
٤٣	٢٣	زهير بن ابي سلمى 〃
٤٩	٧	عمارة بن طارق اسلامي
٥١	١٢	ساعدة بن جؤية مخضرم
٨٥	٧	ابن الغيف العبدي اسلامي
٨٧	١٥	الاعشى مخضرم
١٠٢	٨	ذو الرمة اسلامي

صفحة	سطر	
١٠٣	٣	سلمة بن حنش وقيل اثيل العبدي جاهليان
١٠٥	٢٣	الكميت بن زيد اسلامي
١٠٦	٢٥	حفص الأموي «
١٠٧	١	ابو حزام العكلي «
١١٢	٩	دُكين بن رجاء «
١١٦	١٦	ابو الطمحان القيني مخضرم
١١٨	٩	الفرزدق اسلامي
١١٩	١٨	ابو ذؤيب الهزلي مخضرم
١٢٠	١٩	ابو ذؤيب
١٢٣	٢١	الراعي النميري اسلامي
١٢٦	٢١	حميد بن ثور الهلالي «
١٢٩	١٢	ابن احمر الباهلي مخضرم
١٤٠	٢٣	الفرزدق اسلامي
١٤١	١	ابن هرمة اسلامي
١٤٤	٢٠	ابو حزام العكلي اسلامي
١٤٥	٥	ابن قيس الرقيات «
١٤٦	٢٣	ابو حزام العكلي «
١٤٨	٢٠	هُدْبة بن الخشرم «
١٥٤	١٣	أبيّ بن هَرْثَم
١٥٩	٢١	ابو حزام العكلي «
١٦٤	٦	الشماخ بن ضرار مخضرم
١٧٤	١١	الداخل بن حرام الهذلي مخضرم
١٨١	١٣	عدي بن زيد جاهلي

صفحة	سطر	
٢٠٨	٥	خداش بن زهير جاهلي
٢١٣	١٧	أسامة بن الحرث بن حبيب الهذلي أظنه جاهلياً
٢١٤	١٧	المتنخل الهذلي جاهلي
٢٢٣	١٩	امرؤ القيس «
٢٣١	٢	ابو كامل اليشكري أظنه اسلامياً
٢٣٢	٢٢	ذو الرمة اسلامي
٢٣٦	٨	ابن غادية السلمي جاهلي
٢٣٩	٥	ليلى الاخيلية اسلامية
٢٤٤	١٩	ابو محمد الفقعسي اسلامي
٢٥٠	١٥	امرؤ القيس جاهلي
٢٥١	١٩	ابو جندب الهذلي جاهلي
٢٦٦	١٩	عُبادة السلمي
٢٧٧	٢٠	ابن مقبل اسلامي
٢٧٨	١١	عدي بن الرقاع العاملي اسلامي
٢٨٣	١٩	ساعدة بن جؤية جاهلي
١٨٧	١	طرفة جاهلي
٢٩٠	٩	قيس بن الخطيم جاهلي
٢٩٠	١٢	القُحيف او بشار بن برد اسلاميان
٢٩١	١٨	جميل اسلامي
٢٩٦	١٦	ابو زُبيد الطائي مخضرم
٣٠٢	١٠	ابو وجزة السعدي مخضرم
٣١٩	٩	الحرث بن مضاض جاهلي قديم
٣٢١	٦	علقمة بن عبدة جاهلي

صفحة	سطر	
٣٢٢	٧	مَعْقِل بن خويلد الهذلي جاهلي
٣٤٥	١٢	عامر بن جوين الطائي جاهلي قديم
٣٥٨	٢١	عبد الله بن الحجاج الثعلبي اسلاميّ
٣٦٠	١	الراعي اسلاميّ
٣٦٦	٢٤	علقمة بن سيّار
٣٧١	٢٢	الزبرقان بن بدر مخضرم
٣٧٤	١١	ذو الرمة اسلاميّ
٣٧٧	١٤	عمرو بن كلثوم جاهلي
٣٨١	١٥	ذو الرمة اسلاميّ
٣٨١	٢٠	ابو دُواد الرؤاسي اسلاميّ
٣٩٠	١٨	ابو النجم العجلي 〃
٣٩٣	١٢	خيار بن جزء مخضرم
٣٩٥	١٢	ابو كبير الهذلي جاهلي
٤٠٣	١٧	المتنخّل الهذلي 〃
٤٠٥	٢٤	حميد بن ثور الهلالي اسلاميّ

صفحة	سطر	
٤٠٩	٢٤	جميل اسلامي
٤١٣	١٥	قُريط بن أُنيف العنبري اسلاميّ
٤١٤	٢٠	عُقفان بن قيس اليربوعي جاهلي
٤٣٤	١٠	جرير اسلاميّ
٤٤١	١٨	ساعدة بن جؤية جاهلي
٤٤٥	١٧	صخر الغي الهذلي جاهلي
٤٥٤	٦	القُحيف اسلاميّ
٤٥٦	١٣	ابو محمد الفقعسي اسلاميّ
٤٥٩	٢٢	مفروق بن عمرو الشيباني
٤٦٤	١٠	الشمّاخ بن ضرار مخضرم
٤٦٥	٥	ساعدة بن جؤية جاهلي
٤٨١	٧	ساعدة بن جؤية
٤٨٤	٩	حميد بن ثور الهلالي اسلاميّ
٤٨٦	١٣	ابو زُبيد الطائي

وكذا في سائر المجلدات فأما التصحيف والتحريف والخطأ فكثير جداً ٠

(برمنهام) : ف ٠ كرانكو

فصح وشوارد

يقال دثّتهم السماء (ــُ) دثّاً اذا أصابتهم بدثٍّ وهو أضعف المطر وتقول ارض مدثوثة وقد دُثّت .

وصِيفَ القوم : اصابهم مطر الصيف وكذلك الارض فهي مصيفة ومصيوفة وكذلك صُيّف القوم .

ورُبعوا : مُطروا في الربيع والارض كذلك فهي مربوعة ، وأقطعوا انقطعت عنهم مياه السماء فرجعوا الى أعداد المياه . وقلدتنا السماء مطرتنا لوقت معلوم مأخوذ من قلد الحمى وهو يوم نوبتها . وخُرفت الناس والارض : أصابها مطر الخريف — والبهائم اصابها الخريف او أنبت لها ما ترعاه . وقيظوا اصابهم مطر القيظ . ومَطرت السماء القوم وامطرتهم : اصابتهم بالمطر . وأمطر الرجل صار في المطر — والمكان وجده ممطوراً وأُبِل القوم مطروا مطراً وابلاً . وجيدوا مُطروا مطراً جوداً اي مطراً غزيراً . وأحيوا اذا مطروا فأصابت دوابهم العشب حتى سمنت . وقالوا غثنا ما شئنا اي انزل علينا من الغيث بقدر ما اردنا .

ويقال دثّت السماء اذا انزلت الدثّ . ودامت تدوم دَيْماً : مطرت دِيمة والديمة مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق ج دِيَمٌ ودُيوم وكذلك دوّمت وادامت ودأمت ورَذّت السماء رَذاذاً امطرت الرذاذ وكذلك ارذّت والرَذاذ المطر الضعيف ، وارض مرذٌ عليها ومرذّة ومرذوذة اي اصابها الرذاذ وقال في الصحاح لا يقال مُرذّة ولا مرذوذة نقله عن ابي عبيدة ، ويوم مُرُذّ اي ذو رَذاذ ، وأرهمت : اتت بالرِهمة ويقال روضة مرهومة لا مُرهَمَة والرِهمة المطر الضعيف الدائم ج رِهَمٌ ورِهامٌ ، وركّكت السحابة وأركّت : جاءت بالرِكّ وهو المطر الضعيف القليل ج ركاك واركاك وحشكت السماء : امطرت الحشكة وهي فوق البغشة وهي المطرة الضعيفة وهي فوق الطشّة تقول منها بغشت السماء (ــَ) بغشاً اي امطرت المطر الضعيف الصغير القطر وقد بُغشت الارض فهي مبغوشة ، ورشّت وأرشّت : جاءت بالرشّ وهو المطر القليل ج رشاش ، وأماهت : انزلت ماءً كثيراً ، وودقت تدق ودقاً وأودقت : جاءت بالوَدق

وهو المطر وقيل الودق موضوع في الاصل لشيء يشبه الغبار في وسط المطر ثم استعمل للمطر تجوزاً ·

وأغبت : انزلت الغبية وهي المطرة غير الكثيرة او الدفعة الشديدة وهي فوق البغشة وبغرت (ـُ) بغوراً : انزلت البغْرة وهي الدفعة الشديدة من المطر و يقال له بغرة من العطاء لا تغيض اي دائم العطاء · وطشّت (ـِـُ) طشّاً وأطشّت اي انت بالطشيش والطشّ والطشيش : المطر الضعيف وهو فوق الرذاذ و يقال ارض مطشوشة اي اصابها الطش وطُش الرجل اصابه الطشاش ·

وثلجت السماء القوم : أمطرت الثلج عليهم ، وثُلجت الارضُ : أصابها الثلج — والقوم : سقط عليهم الثلج ، وأثلج القوم : دخلوا في الثلج — واليوم : كان ذا ثلج ، ووبلت تبِل وَبلاً : امطرت الوَبْل وكان الاصل وَبل مطر السماء فحذف للعلم به والوَبل هو المطر الشديد الضخم القطر يقال جاده وبل وابل ·

وطلّت السماء الارضَ (ـُ) طلاً : قطرت عليها الطلّ وهو المطر الضعيف وقيل أخفّ المطر وأضعفه ج طِلال وطِلَالٌ ·

وخشّ السحاب : جاء بالخشّ اي المطر القليل ، وقد رُصدت الارض اي اصابتها الرصدة فهي مرصودة والرصدة الدفعة من المطر ج رصاد ، وارض رِكٌ وركيكة ومُرك عليها وهي التي اصابها الركّ ، وارض مِصياف وهي التي كثر بها مطر الصيف واستأخر نباتها ، ومقطورة وهي التي أصابها القطر ، ورميلة وهي المطورة بالرَمل وهو القليل من المطر ، ومنفّضة وهي التي أصابتها النُفضة وهي المطرة تصيب القطعة من الارض وتخطئ الاخرى ، وموسومة وهي التي اصابها الوسميّ ، ومَرْشٌ وهي التي مرشَ المطر وجهها ج امراش وقيل ارض اذا مُطرت سالت سريعاً ج مُروش ، وقد وُلِيَتْ اي مُطرت بالوليّ ، ونهشمت : طال عهدها بالمطر فاذا مطرت ذهب تهشمها ، و يقال مكان مغزور اي اصابه مطر غزير ، وارض مضعّفة : اصابها مطر ضعيف ، ومجودة اصابها مطر جود تقول جاد المطر يجود اي وبل فهو جائد ج جود وجيدت الارض : سقاها الجود — والقوم مطروا مطراً جوداً و يقال هاجت بنا سماء جَوْد وسحابة جود ومطرنا مطراً جوداً ومطرنين جودين وصف كل ذلك بالمصدر مبالغة ·

وقالوا الدَّفَئِيّ من المطر الذي يجيء بعد الربيع قبل الصيف ، والخريف وهو المطر في فصل الخريف ومثله الصفري ، والمرابيع اول امطار الربيع والمربع والربيع المطر فيه ، والفتح والفتوح اول مطر الوسمي وهو مطر الربيع الاول سمي به لانه يَسِم الارض بالنبات .

والصيّف والصيفي : المطر يجيء في الصيف او بعد الربيع و يقال اصابتنا صيفة غزيرة وكذلك الصيف يقال سقاهم الصيف ، والرائحة واحدة الروائح للأمطار والسحب التي تجيء رواحاً و يقابلها الغادية وهي مطرة الغداة ج غاديات وغوادٍ .

وتقول غاث الله البلاد يغيثها غيثاً : انزل بها الغيث اي المطر — والغيث الارض اصابها ونزل بها و يقال غيثت الارض فهي مغيثة ومغيوثة على الاصل وقيل الغيث الذي يكون عرض مساحته بريداً اي شهراً وربما سمّي السحاب غيثاً ج غيوث وأغياث .

وقد رسّغ المطر اي ثرّى الارض وكثر حتى غاب فيه الرسغ يقال اصابنا مطر مُرَسّغ ، وأسّل تأسيلاً اذا بلغ نداه أسلة اليد وذلك كقولهم عظّم تعظيماً اذا بلغ عظمة اليد و يقال كيف مطرتم أسّلت ام عظّمت ، وعضّد وأعضد اذا بلغ ثراه العضد وأثرى اذا بلّ الثرى فهو مثرٍ ومنه قولهم « مابيني وبين فلان مُثْرٍ » اي انه لم ينقطع وهو مثل واصل ذلك ان يقول لم ييبس الثرى بيني وبينه .

ووجّه الارض توجيهاً : صيّرها وجهاً واحداً كما يقال تركها قرواً واحداً ، وار بع الغيث : انبت الربيع .

وقد خرفت الارض اي اصابها مطر الخريف وكذلك خرفت الارض والناس فهي مخروفة ، ورُبع القوم : مطروا في الربيع وكذلك الارض مربوعة ، وصيف القوم : اصابهم الصيف وكذا الارض فهي مصيوفة .

وأغمّت السماء : تغيرت وصارت ذات غمام ، وغامت تغيم غيماً : كانت ذات غيم وأطبق بها السحاب وكذلك غيّمت وأغيمت وأغامت وتغيمت والغيم السحاب ج غيوم الواحدة غيمة والغمام السحاب وقيل الارض قيل له ذلك لانه يغم السماء اي يسترها والقطعة منه غمامة ج غمائم .

وبُردت الارض : اصابها برَد ، وعهد المكان : اصابته العَهدة وهي اول مطر الوسميّ ج عهاد فهو مكان معهود وارض معهّدة : اصابها النفضة من المطر ·

والمثرودة والمُثَرَّدة : الارض التي اصابها تثريد من المطر اي لطخ من الثرد وهو المطر الضعيف ، والمطلول مااصابه الطلّ ، والمَديم : المكان اصابته الديمة وهي مديمة ·

* * *

وراح اليوم روحاً اذا كان ريحاً طيباً فهو رائح — و يراح ريحاً : طاب ريحه وقيل كان شديد الريح — والبيت دخله الريح يقال افتح الباب حتى يراح البيت — والزيح السيء : اصابته الريح — والشجر : وجد الريح — والقوم الريح : دخلوا فيها ، وريح الغدير اذا اصابته الريح فهو مروح ومريح — والقوم اصابتهم الريح فجاحتهم · واراح القوم دخلوا في الريح — والشيء وجد ريحه ، ويوم راحٌ شديد الريح وفي الحديث احرقوني ثم انظروا يوماً راحاً فاذروني فيه ، و يوم ريّح وريوح : طيب الريح وكذلك مكان ريّحٌ وعشية ريّحة ·

و يقال دُبر القوم اي اصابتهم الدبور وهي الريح الغربية تقابل الصبا ، وصبي القوم اصابتهم الصبا وهي ريح مهبها من موضع مطلع الشمس اذا استوى الليل والنهار مؤنثة ·

وجُنب القوم اصابتهم الجنوب في اموالهم ، واجنبت الريح هبت جنوباً — والقوم دخلوا في ريح الجنوب — والرياح تحولت الى الجنوب ، واجنبت الريح هبت جنوباً — والقوم دخلوا في ريح الجنوب — والرياح تحولت الى الجنوب ، والجَنوب ريح تقابل الشمال تأتي عن يمين القبلة ومهبها من مطلع سهيل الى مطلع الثريا ويقول العرب للاثنين اذا كانا متصافيين « ريحها جنوب » واذا تفرقا قيل شملت ريحهما ج جنائب وأجنُب ·

وقُبل القوم اصابتهم ريح القبول ، واقبلوا دخلوا في ريح القَبول وهي ريح الصبا لانها تقابل الدبور او لأن النفس تقبلها ج قبائل ·

وشملت الريح شمولاً : تحولت شمالاً — والخمرَ : عرضها للشمال فبردت ، وشمِل القوم وشُمِلوا اصابتهم الشمال : واشملوا دخلوا في ريح الشمال — والريح ذهبت شمالاً والشَمال الريح التي تهب من الشمال وبهذا المعنى تكون اسماً وصفة تقول هبّت الشمال وريح شمال ج شمالات وكذلك الشأمل والشمْل والشمَل والشوْمل والشيْمل والشمْيل

وتقول غدير مشمول اي تضربه ريح الشمال ونار مشمولة اي هبت عليها ريح الشمال .
وصُبي القوم : اصابتهم الصبا : واصبوا دخلوا فيهـا ، وسُمِم الرجل اصابه السهام وهو حرّ السموم ، وأنسع دخل في النِسع وهي الشمال وهو رجل منسوع ومشمول ، وأُنْج القوم اصابتهم ريح ذات نئيج ، وقد سُمّ اليوم اي كان فيه سموم — والنبات احرقته السموم وهي الريح الحارّة او ذات الحر الشديد النافذ في المسامّ ج سمائم .

* * *

وقالوا ضفدع الماء : صار فيه ضفادع ، ودعمص : صارت فيه دعاميص او كثرت دعاميصه والدُعموص دويبة تكون في الغدران اذا نشّت ، وجعِل الماء (ـَ) جعَلاً كثرت فيه الجعلان — وماتت فيه وكذلك اجعلت واجعل الماء كثرت فيه الجعلان والماء ماتت فيه الجعلان ومثله المُجعِل .

وملح الماء (ـُ) ملوحةً وملاحةً وملوحاً صار مِلحاً فهو ملح ، وأملح صار ملحاً وكان عذباً — والابلُ وردت ماء ملحاً — والابلَ سقاها ماءً ملحاً — والقدر اكثر ملحها ونقول أجّجت الماء اجّاً اي صيرته أجاجاً وأجّ الماء يؤُجّ أجوجاً : صار أجاجاً وهو الشديد الملوحة والملح المرّ من الماء كماء البحر ونقول ماء أجاج اي شديد الملوحة .

* * *

وبَأر بِئراً وائتبرها وابتارها : حفرها وقد أبْأرتُ فلاناً اي حفرت او جعلت له بئراً ، وأشبك القومُ حفروا الشبكة وهي الآبار المتقاربة والركايا الظاهرة ، وازعقوا حفروا فهجموا على ماء زعاق وهو الماء المر الغليظ الذي لا يطاق شربه .

وحفرت حتى عِنت وحتى أعينتُ اي بلغت العيون ، وأقمّ القوم : حفروا فهجموا على ماءٍ قعاعٍ — والبئر جاءت بهذا الضرب من الماء والماء القُعّ والقُعاع هو الغليظ الشديد المرارة وقيل القُعاع الماء الذي لا اشد ملوحةً منه تحترق منه أجواف الابل الواحد والجمع فيه سواء ، وحفر حتى أمهى وأماه اي بلغ الماء ، وقد اكدى الحافر اي بلغ الكدية فلايمكنه ان يحفر وهي الصفاة العظيمة الشديدة ، وأقعد البئر : حفرها قدر قعدة اوتركها على وجه الارض ولم ينته بها الى الماء ، وقنّى القناة احتفرها ، والقُناقن والقِنقِنُ الرجل يعرف مقدار الماء في باطن الارض فيحفر عنه اوالبصير بالماء في حفر القني وعبارة

ابن بري : المهندس الذي يعرف الماء تحت الارض ، وتكهّفت البئر صار فيها كهوف .

وقد حمأ البئر (ـَـ) نزع حمأتها ، وأحمأها القى الحمأ فيها ، وأنقنت كان فيها نقن وهو ترنوق البئر والدمن وهو الطين الرقيق يخالطه حمأة ، وحمأ البئر ايضاً القى فيها الحمأة فهو من الاضداد ، وحمئت البئر (ـَـ) حمأ فهي حمئة : صارت فيها الحمأة وكثرت ، وأحمأ البئر نقاها من حمأتها (ضد) .

وقعر البئر يقعَر قعراً نزل اليها حتى انتهى الى قعرها .

* * *

واعرورف البحرُ : ارتفع فصار له كالعرف بتراكم أمواجه ، وازبد : قذف بالزبد فهو مزبد والزبد ما يعلو الماء وغيره من الرغوة .

وأقلع السفينة : رفع قِلعها اي شراعها — وعمل لها قلاعاً اوكساها إياه فهي مقلعة وشرّعها عمل لها شراعاً وهو مثل ملاءة واسعة فوق خشبة تصفقه الريح فيمضي بالسفينة يقال ركبوا فيها فمدوا الشُرُع .

وجدّف الملاح : ساق السفينة بالجداف ، وقذف الملاّح : ساق القارب بالمقذاف وَمرَد السفينة دفعها بالمُردي وهو خشبة تدفع بها ، وجدفها : دفعها بالجداف ، واقلعها رفع قِلعها — واصحاب السفينة ساروا ولا يقال قلعت السفينة لان الفعل ليس لها .

وقد لجّجت السفينة او خاضت اللُجّة وهي معظم البحر .

وأبحر الرجلُ : ركب البحر ، ولجّج القوم وألجَّوا ركبوا اللجة ، وتدأّموا صاروا في دأماء البحر او الصواب صاروا في الدأماء وهي البحر .

وهُدِم الرجلُ اخذه الهُدام وهو الدوار يصيب الانسان في البحر وكذلك ديم به واستُديم به وأُديم به اي اخذه الدوام وهو بمعنى الهدام .

ويُمَّ يُيَمّ يمّاً : طرح في اليمّ وهو البحر ج يُموم .

* * *

وارتغى الرغوة شربها ، وقعر الاناء شرب جميع ما فيه حتى انتهى الى قعره .

وابترد شرب الماء البارد ، وأبرد له سقاه ماءً بارداً .

وفحم : شرب في فحمة الليل ، وقال يقيل قيلاً وتقيّل واقتال شرب في القائلة

وقيّله وأقاله سقاه في القائلة · والقيلة شرب نصف النهار وتقول شربت الابل قائلة اي في القائلة كقولك ظاهرة اي في الظهيرة ، وتريّق الماء شربه على الريق اي غدوة ، والجاشرية شرب يكون مع الصبح منسوب الى الصبح الجاشر ويقال اصبحت الجاشرية ، والرائق ما شرب على الريق غدوة ، والصبوح ما أصبح عند القوم من الشراب فشربوه وكل ما شرب غدوة والغبوق خلاف الصبوح ·

واصطبح شرب الصبوح ، واغتبق شرب الغبوق وهو ما يشرب بالعشي ، والخمر : شربها بالعشي ، وغبَقه (ـُ) سقاه الغبوق وكذلك غبّقه والابل والغنم سقاها بالعشي والغبْقان : الشارب الغَبوق وهي غبقى ج غباقى ·

وصبح القوم صبحاً : ناولهم الصبوح ·

وأفتى الرجل شرب بالفُتَيّ وهو قدح الشطار ، وفَرِقَ شرب بالفرَق وهومكيال وأقنز شرب بالقِنز وهو الراقود الصغير ، وكاب يكوب كوباً واكتاب شرب بالكوب وهو كوز مستدير الرأس لاعروة له او لا خرطوم له ويقال قدح لاعروة له ج اكواب وكاز يكوز كوزاً شرب بالكوز ومثله اكتاز — والماء اغترفه بالكوز وهو اناء من فخار له عروة وبلبل او هو اصغر من الابريق ، وزَرِع (ـَ) شرب بالذّرّاع وهو الزق الصغير يسلخ من قبل الذراع ، وخَرِس (ـَ) شرب بالخَرْس وهو الدنّ ج خروس ·

ونصَف القدح (ـُ) شرب نصفَه ·

والصابح الذي يصبح ابلَه الماء ، وشرَع الماشية اوردها الشريعة — وبفلان اورده الماء ، وشرّع الابل اوردها شريعة الماء فشربت ولم يستق لها ، وصبّح القوم الماء سرى بهم حتى اوردهم اياه صباحاً ، وقد غلّسوا الماء اي وردوه بغلس ، والشروع الابل العطاش الشارعة في الماء ، وعتّم الرجل وأعتَم أورد في العتمة او اصدر فيها ·

والصبحة سقية الصبح من صبح الابل الماء اذا سقاها غدوة ، وضيّح فلاناً وضوّحه سقاه الضَّيَاح وهو اللبن الرقيق الممزوج ·

وصبّح القوم سقاهم صبوحاً ، وأعرق زيداً سقاه معرّقاً ، وعفّه سقاه العفافة وهي بقية اللبن في الضرع بعدما امتك اكثره ، وعق الولد وعقّاه سقاه ما يسقط عقيه وهو شيء يخرج من بطن المولود قبل ان يأكل وهو الردج من السخلة والمهر ج اعقاء ، وماه

فلاناً يموه موهاً ويميه ميهاً وأماهه سقاه الماء ، ونسأه (ـَـ) سقاه النسء وهو الشراب المزيل للعقل ، واللبن الرقيق الكثير الماء ، وأنشفه سقاه النُشافة وهي الرغوة تعلو اللبن اذا حُلب يقال شرب النُشافة ، ومذقه ومذقله سقاه المذْقة وهو اللبن الممزوج بالماء ، وقيّله واقاله سقاه في القائلة ، واكثبه سقاه الكُثبة وهو القليل من الماء واللبن وقيل مثل الجرعة تبقى في الاناء وقيل ملء القدح منهما والطائفة من الشراب ، ومحضه (ـَـ) سقاه المحض وهو الخالص الذي لم يخالطه غيره من اللبن وغيره ج مِحاض .

ومدّ الابل وأمدّها سقاها مديداً وهو الماء بالدقيق او السويق .

واستعذب الرجل : استقى عذباً — ولاهله طلب لهم ماء عذباً ، وعضّض تعضيضاً استقى من البئر العضوض وهي البعيدة القعر الضيقة يستقى منهسا بالسانية وقيل الكثيرة الماء ج عُضُض وعِضاض .

وأغرب الساقي اكثر الغرب اي ما حول الحوض من الماء والطين .

والرَشوف الناقة تشرب الماء فترشفه ، والصبحان الذي يشرب الصبوح يقال هو صبحان غبقان ورجل صبّحان يتعجّل الصبوح ، وناقة آزِيَة وآزِيّة تشرب من الإزاء وهو مصب الماء في الحوض .

وقالوا تسمّل شرب السَمَلة اي الماء القليل ، وساد سُواداً شرب ماء مسودَة وهو الذي يأخذ عليه السُواد وهو صفرة في اللون ، واصطبّ الماء وتصابّه شرب صُبابته وهي البقية اليسيرة منه او من اللبن ومن كل شراب تبقى في الإناء والسقاء .

وضرّب شرب الضريب وهو اللبن يحلب من عدة لقاح في إناء ، وأضرى إضراء شرب الضريّ وهو الماء من البسر الاحمر والاصفر يصبّونه على النبق فيتخذون منه نبيذاً وتضيّح شرب الضياح ، وطرِق شرب الماء الطرْق وهو الذي خوّضته الابل وبوّلت فيه وبعرت ، وغرق (ـَـ) شرب الغُرقة وهي الشربة من اللبن ج غُرق ، وتعفّف شرب العُفافة ، وأغتبق شرب الغبوق ، وفظّ الفظّ (ـُـ) اذا عصره وشربه وكذلك افتظّه ويكون ذلك عند الحاجة في المفاوز والفَظّ هو ماء الكرش يعتصر ويشرب ومنه قولهم افتظّ الرجل وهو ان يسقي بعيره ثم يسد فمه لئلا يجترّ فاذا اصابه عطش شق بطنه فعصر فرثه فشرب منه ، وغدر (ـِـ) غدراً شرب ماء الغدير قال الازهري والقياس

َغدِر يغدَر بهذا المعنى ، وانتشف شرب النشافة ، ومضَّض شرب المضاض وكذا اذا شرب المضض والمُضـاض هو الماء لا يطاق ملوحة وضده القطيع وهو الصافي الزلال والمفض هو اللبن الحامض ، ومحِض (ـَ) محَضاً شرب المحض ورجل ماحض يشتهي المحض ، وتمزّز شرب المُزّ وهو ما طعمه المزاز ـ والخمر اللذيذة الطعم يقال شراب ورمان مزّ اي بين الحلو والحامض ، وتغمّر شرب بالغُمَر وهو قدح صغير وهو أصغر الاقداح ، واقهى دام على شرب القهوة وهي اللبن المحض — والخمر نقول انه عبد الشهوة اسير القهوة قيل سميت الخمر بذلك لانها تقهي اي تذهب بشهوة الطعام والمولدون يسمون شراب البن بالقهوة وربما سموا البنّ نفسه قهوة .

* * *

وثلّث الشراب طبخه حتى ذهب ثلثه ، ونبذ النبيذ (ـِ) عمله بان القى التمر اوالزبيب في الجرة وترك عليه الماء ليصير نبيذاً وكذلك نبّذه وانتبذه و يقال نبذ التمر اوالزبيب ونبّذ وانتبذ اي صار نبيذاً ، والمخمّر متخذ الخمر .

واختمر النبيذ صار خمراً — والشراب أدرك و بلغ اناه اذا جاد وصلح للشرب وقد ابزّل الشراب اذا سال منه المبزل .

وصرف الخمر وصرّفهـا شربها صرفاً ، وتسأر النبيذ شرب سؤره وهو بقيته ، وحمّق شرب الحُمق وهوالخمر ، وسمَر الخمر شربهـا ليلاً ، وتسلّج الشراب واستلجه الحّ في شربه كأنه ملأ به سلجانه اي حلقومه .

وخمّرَ فلاناً سقاه الخمر ، واحنذ له سقاه صرفاً يحنذ جوفه .

وعرّق الشراب وتعرّقه جعل فيه عرقاً من الماء اي مزجه ولم يبالغ فيه ، وامذى الخمر جعلها كالمذيّ وهو العسل الرقيق ، و قَذِيَ الشراب يقذى وقع فيه القذى ، وشمَل الخمر (ـُ) شملاً عرضها للشمال فبردت .

* * *

وأقثأ المكان كثر به القثاء — والقوم كثر ذلك عندهم ، واعشوشبت الارض كثر عشبها والعشابة كثرة العشب وارض عاشبة وعشيبة كثيرة العشب ، وأحظل المكان كثر

به الحنظل ، وارض كلئة كثيرة الكلأ ، وكلاءٌ موثق اي كثير موثوق به ان يكفي اهله عامهم .

واسترأل النبات طال تشبيهاً له بعنق الرأل تقول نبات مسترمل مسترئل ، وأبل العشب طال فاستمكنت منه الابل ، والسنيم من النبات المرتفع الذي خرجت سنمته اي نوره .

وأفغى نبات الحناء خرجت فاغيته — والريحان نوّر والفاغية نورالحناء وقيل غصن الحناء يغرس مقلوباً فيخرج زهراً أطيب من الحناء وذلك هوالفاغية وقيل الفاغية نور كل ماله رائحة طيبة ، وأقعل النور واقعال انشقت منه قُعالته والقُعال نور العنب وشبهه اوما تناثرمنه الواحدة قعالة ، وضحكت النخلة اخرجت الضحك اي انشق كافورها وكذلك اضحكت والكافور الطلع او وعاؤه والضحك طلع النخلة اذا انشق منه كامه .

وأخوصت النخلة اخرجت الخوص ، وصنّف الشجر صار أصنافاً ، وأعبل كان ذا عبل والعَبَل كل ورق مفتول كورق الطرفاء ، ودرهمت الخبازى صار ورقها كالدرهم ، وشجرة مبرودة طرح البَرَد ورقها .

وأحدجت شجرة الحنظل اتت بالحدج اي الحنظل وخشت النخلة تخشو خشواً أثمرت الخشو وهوالحشف من التمر ، وقنبعت الشجرة صارت زهرتها اوثمرتها في قُنْبُعة اي غطاء ، وأنعر الاراك أثمر وذلك اذا صار ثمره بقدر النعرة ، وعوّمت النخلة وعاومت حملت عاماً وعاماً لا وأشاشت النخلة أتت بالشيش وهو تمر لا يعقد نوى وان انوى لم يشتد نواه وازجف كان حشفاً غيرحلو ، وأرمخت اثمرت الرِمخة وهي بسرة البلح ، وادقلت اثمرت الدقل وهو أردأ التمر يقال ما أطعمونا الا الدقل ، وأسقرت صارت مسقاراً اي يسيل سقرها وهو دبسها .

وأوف الزرع وايف يُوأف آفاً اصابته الآفة وهو مؤوف ومئيف ، ونبّق النخل فسد وصار ثمره صغيراً مثل النبق ، وسُرفت الشجرة اصابتها السُرفة ووقعت فيها فهي مسروفة وسَرَفت السُرفة الشجرة اكلت ورقها وساست تسيس سياساً وقع فيها السوس . « للبحث صلة » (النبك) : سالم خليل رزق

آراء وافكار

موازنة بين كلمتين(١)

(مذمّر) و (سماوة)

حضرة الفاضل رئيس انشاء مجلة الطب العربي :

قلتم في الجزء الاول الصادر في هذه السنة من مجلتكم تعليقاً على كلة (مذمر) ان العلامة الاب انستاس الكرملي هو الذي وضع هذه الكلة لتقوم مقام كلة (buste) الافرنسية التي يراد بها الصورة النصفية وان «المغربي» وضع كلة (سماوة) للدلالة على ذلك المعنى ·

وكنتم قبل هذا التعليق سألتموني لماذا لم ارتض كلة (مذمر) وعدلت عنها الى (سماوة) مع ان (مذمر) تفيد معنى (buste) كل الافادة · هكذا قلتم وهاانا أملي رأيي عليكم :

اول من أشار بوضع كلة (سماوة) للصورة النصفية هو الشيخ مكي الخضر التونسي · وقد نشر ذلك في مجلة (الزهراء) · فلما اطلع على قوله الاب انستاس ذكر في مجلة (لغة العرب) ما قاله الشيخ مكي ثم عقبه بان كلة (سماوة) غير موافقة للكلة الافرنسية وان كلة (مذمر) اصلح منها للاستعمال ·

ولما قرأت قولهما راجعت كلة (المذمر) وتأملت في معناها وطرائق استعمالها فلم اجدها تفضل كلة (سماوة) لامن جهة دقة المعنى ومطابقته للمراد من كلة (buste) ولا من جهة رشاقة اللفظ وعذوبته · ولذا عولت على اختيار كلة (السماوة) فذكرتها في جملة (الكلمات الجديدة) التي أُشير على الكتاب والمحررين باستعمالها في كتاباتهم وأُنشر هذه (الكلمات الجديدة) في جريدة (القبس) · وقد قلت عند الكلام على (سماوة) مانصه :

« استحسن بعض الفضلاء ان نستعمل كلمة (سمامة) للصورة الكاملة : في كتب

---

(١) ننقل المقالات الثلاث الآتية عن مجلة المعهد الطبي العربي التي تصدر بدمشق وهي منشورة في أعدادها (٣ و٤ و٥ مجلد ٦) ·

اللغـة ان (السمامة) تطلق على شخص الرجل بتمامه اذ يقال (فلان بهيّ السمامة • ظاهر الوسامة) كما تقول بهي الطلعة • ولا نريد الا شخصه كله • اماالصورة النصفية فنستعمل لها كلمة (سماوة) بالواو : ففي كتاب الامالي لابي علي القالي (جزء ١ ص٢٥) انه يقال لأعلى شخص الانسان (السماوة) • وفي القاموس وشرحه : (سماوة كل شيءٌ شخصه العالي) •

هذا ماقلته استناداً الى نصوص علماء اللغة • وعباراتهم واضحة جلية تشف عن المعنى الذي نريده بكلمة (buste) كما يشف البلور الصافي عما اشتمل عليه •

اما عبارات علماء اللغة في تفسير كلمة (المذمر) فلا تشف عن المعنى الذي نريده بكلمة (buste) الا بتكلف: ففي القاموس وشرحه ان(المذمر) كمعظم القفا• وقيل(المذمر) اسم لعظمين في اصل القفا • وهذان العظمان كما يسميان (المذمر) يسميان ايضاً (الذفرى) وقيل (المذمر) هوالكاهل • وقدجمع الأصمعي بين هذه المعاني في تفسير (المذمر) فقال : (المذمر) الكاهل والعنق وماحوله الى(الذفرى)•و(الذفرى) كذكرى هي العظمان في اصل القفا او العظم خلف الاذن •

وانما سمي هذا المكان من القفا (مذمراً) بفتح الميم المشددة لتعلق فعل (التذمير) به • و (التذمير) ان يدخل الرجل (المذمر) بكسر الميم المشددة (والمذمر للابل كالقـابلة للناس) — يده في حياء الناقة فيلمس مذمر جنينها الذي في بطنها « اي يلمس قفاه او العظمين اللذين في قفاه او العظم الناتئ خلف اذنه او كاهله » — فيعلم اذ ذاك ان كان جنين الناقة ذكراً او أنثى •

وقال بعضهم في تفسير(التذمير) هو ان (المذمِر) يلمس (المذمَّر) اي لحيي الجنين : فان كانا غليظين كان الجنين فحلاً • وان كانا رقيقين كان ناقة » وهذا التفسير زادنا في معاني (المذمر) ان يكون بمعنى (اللحي) وهو عظم الفك •

فتلخص من هذا جميعه ان (المذمر) في لغة العرب هو عضو من اعضاء الجسم لا يعدو ان يكون (القفا) او (العظمين في القفا) او (العظم خلف الاذن) او (الكاهل) او (اللحي)•

هذه هي المعاني التي يتعاورها لفظ (المذمر) • وعبارة التاج التي نقلها الاصمعي وهي قوله « المذمر الكاهل والعنق وما حوله الى الذفرى » وهي التي استندالبها الاب انستاس — موجزة فسرها الاصمعي نفسه وأوضحها باكمل ايضاح •

في شرح نقائض جرير والفرزدق (جزء ١ ص ٣٥٢) طبعة اوربا عند قول الفرزدق :

(كيف التعذر بعدما ذمّرتم سقباً لمعضلة النتاج نوار)

ما نصه :

« ذمرتم اي مسستم مذمره عند نتاجه . وقال الاصمعي : للمذمر مكانان يمسها المذمر : فاحدهما مابين الاذنين : اذا وجده غليظاً تحت يده علم انه ذكر . واذا رآه عوج تحت يده علم انه أنثى . والمكان الآخر : ان يمس طرف اللحي فان وجده لطيفاً علم انه انثى وان وجده جاسئاً (قاسياً صلباً) علم انه ذكر اه » .

فبعد هذه النقول كلها لا يصح القول بان (المذمر) له معنى لغوي باعتباره يصح اطلاقه على الصورة النصفية للانسان . وانما (المذمر) مكان خاص او عضو خاص من النصف الاعلى للانسان بل ربما كان اكثر استعماله في الابل كما مر صراحة وهو لعمري لا يعدو المكان الواقع بين الكتف والرأس او هو مغرز الرأس في العنق كما قال الزمخشري في الاساس .

فالمذمر اذاً مما يحسن ان يهديه صديقنا العلامة الكرملي الى علماء التشريح عامة او علماء البيطرة خاصة .

الا ان يكون لدى الاب المحترم علم او قول لعلماء اللغة في تفسير (المذمر) لم نهتد بعد اليه . والسلام عليك وعليه . « المغربي »

فأجاب العلامة الكرملي بما يلي :

يعلم القوم اني هيأت معجماً من الفرنسية الى العربية كما هيأت دواوين لغوية أخرى وكنت قد وضعت منذ نحو ثلاثين سنة لفظة المذمر للكلمة الافرنجية (buste) وذلك بعد ان وقفت على كل ما جاء من الالفاظ التي تقارب المعنى المطلوب له وضع ما يقابله في لغتنا فلم اجد احسن منها ولا يمكن ان نجد في لغتنا ما يؤدي مؤداها والذي زادني تمسكاً بها ما قرأته في المخصص (١ : ٥٢) (قال) ثابت : السامة والساوة والآل : الشخص . وقد يكون الشيخ . والسامة والساوة : شخوص غير الآدميين وأنشد في الشيخ ... وفي السامة . وفي الساوة :

سماوته اسمالــ بردٍ محبرٍ وصهوته من أتحميٍّ معصب

يعني (بيتًا) تظلل فيه في قائلة في فلاة من الارض انتهى · وهذا مايسمى بالفرنسية (Silhouette) كما هو مدونــ في معجمنا و يسمى ايضًا في لغتنا السواد ، والجماء ، والسدف (والجمع السدوف) ، والشدف (والجمع الشدوف) ، والزول الى غيرها وهي كثيرة · فاذا كانت السماوة هي (buste) فما عسى ان تكون (Silhouette) · ولا جرم ان الصديق المغربي لو علم ان في لغة الفرنسيين لفظة أُخرى تقابل كل المقابلة كلمة (السماوة) لما رضي ان تكون هذه الأُخيرة مقابلة للبست (buste) ·

والذي يزيدنا تمسكاً بالمذمر ماجاء عن ابن مسعود · فقد قال : « انتهيت يوم بدر الى ابي جهل وهو صريع فوضعت رجلي في مذمره فقال : يارويعي الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعبًا · قال : فاجتززت رأسه · قال الاصمعي : المذمر هو الكاهل والعنق وما حوله الى الذفرى انتهى عن التاج · فهل يعقل انــ يكون معنى المذمر هنا القفا وحده او العظمين في اصل القفا اوالذفرى ؟ ام مجموع كل ذلك الى الكاهل حتى استطاع ابن مسعود ان يضع عليه رجليه الاثنتين ؟ فليصدقنا القارئ · والفرنسيون لايسمون بست (buste) الا اذا كان الى الكاهل(١) ولهذا أخطأ كل من نقل الى لغتنا هذه اللفظــة الى (صورة نصفية) اذ ليست كذلك و يخطئ من ينقلها الى قوله (السماوة) لاننا لو سلمنا انها بمعنى (أعلى شخص الانسان) فهذا يفيدنا نصفه الاعلى وهذا خطأ كالسابق · دع عنك قول من قال ان اللغويين جميعهم اتفقوا على ان السامة والسماوة بمعنى واحد · وكلتاهما لاتفيد الصورة الواضحة المبينة للانسان ، بل الشخص لاغير · والشخص هو ظل الشيء من غير ان يكون واضحًا فلايحسن بنا ان نوجه كلام السلف على غير معانيه كما لا يليق بنا ان نضع للالفاظ الافرنجية الفاظاً لاتقابلها كل المقابلة اذا دققنا النظر فيها تدقيق ناقد · اما اذا نظرنا اليها نظراً مجملاً بلاروية فهذا امر آخر لست من الذين يذهبون الى الأخذ به · وبعد هذا القول الواضح الجلي ليتبع الانسان مايهوى فهو حر في ما يتبع ·

« الكرملي »

* * *

(١) الكاهل بالفرنسية (Le haut des épaules) ·

وقد أجابه الاستاذ المغربي بما نصه :

حضرة الفاضل محرر مجلة المعهد الطبي بدمشق

قرأت في الجزء الرابع الصادر في هذه السنة من مجلتكم رد الصديق العلامة الكرملي على ما كتبته بشأن تفضيل كلمة (ساوة) على كلمة (مذمّر) كي تقوم مقام كلمة (buste) الافرنسية . وقد أعرب في رده عن الثبات في رأيه وتفضيل (المذمر) محتجاً بان صاحب (المخصص) فسّر (الساوة) بالشخص والشبح . ثم رأى ان قول صاحب المخصص لا ينهض حجة أزاء التصريحين اللذين نقلتهما عن (القالي) و (الزبيدي) : فقد صرّح الاول بان الساوة (أعلى شخص الانسان) وصرح الثاني بانها (شخصه العالي) هذا من جهة ومن جهة أخرى فان احداً من علماء اللغة لم يقل في تفسير (المذمر) سوى انه اسم عضو في أعلى شخص الانسان : كاهله او قفاه اوعظمان في قفاه او هو (كما قال الزمخشري في الاساس) مغرز الرأس في العنق . ومعنى كلمة (buste) — كما في دائرة المعارف الافرنسية — مجموع الرأس والعنق وأعلى الصدر . وهذا المجموع أحرى ان نطلق عليه كلمة (الساوة) الدالة على أعلى شخص الانسان (رأسه وعنقه وصدره) — من ان نطلق عليه كلمة (المذمر) التي معناها عضو واحد في أعلى شخص الانسان : إما كاهله وإما عنقه من جهة قفاه وإما حول عنقه وهو ماسماه الزمخشري (مغرز الرأس في العنق) . وكأن علامتنا الكرملي آنس في دليله النقلي ضعفاً فجنح الى تقويته بدليل آخر عقلي ذلك انه روي ما قاله ابن مسعود وهو « انتهيت يوم وقعة بدر الى ابي جهل وهو صريع فوضعت رجلي في مذمره فقال : يا رويعي لقد ارتقيت مرتقىً صعباً » .

ثم قال الأب « فهل يعقل ان يكون المذمر هنا القفا وحده او عظمي القفا ام مجموع كل ذلك الى الكاهل حتى استطاع ابن مسعود ان يضع عليه رجليه الاثنين ؟ فليصدقنا القارئ » انتهى قول الاب الفاضل .

واذا كان حضرة الصديق يحيل قضية النزاع بيننا على القارئ فاني مازلت أحيلها عليه نفسه : واول ما ألفت نظره اليه هو قوله في عبارته « رجليه الاثنين » فان كلمة الاثنين زادها الأب على عبارة ابن مسعود : فان ابن مسعود انما قال : (وضعت رجلي في مذمّره) . و(رجلي) بتخفيف الياء مفرد وليس هو مثنى حتى تشدّد ياؤه . فابن

مسعود وضع على كاهل الصريع رجلاً واحدةً وكزه بهـا وكزاً . ولم يضع كلتا رجليه قافزاً بهما على جثته قفزاً .

وقد فكرت ملياً لأعرف السبب الذي حمل صديقنـا الكرملي على قراءة (رجلي) بالتثنية لا بالافراد فانتبهت اخيراً الى قول ابن مسعود في تتمة عبارته السابقة على لسان الصريع يخاطب ابن مسعود (لقد ارتقيت مرتقىً صعباً) فالارتقاء على صدره يستدعي بالضرورة ان يكون قد وضع ابن مسعود الرجلين كلتيهما على صدره . فوجمت لهذه المفاجأة لكنني لم أشكّ قط في ان ابن مسعود انما وضع رجلاً واحدة على القتيل او وكزه بها وكزاً . لكن كيف قال له ابوجهل (ارتقيت) ؟ راجعت كتب المغازي واذا هي تقول « ثم ان ابن مسعود وطئ على عنق ابي جهل وعلا فوق صدره يريد حزّ رأسه فقال له لقد ارتقيت الخ » فالارتقاء انما جاء نتيجة لاعتلائه على صدره لا لوضع رجله في مذمره . ونزيد على ذلك ما رواه علماء الحـديث من ان ابن مسعود رضي الله عنه كان صغير الجثة بحيث يكاد الجلوس يوارونه من قصره . وضحك الصحابة يوماً من صغر رجله فقال لهم النبي (ص) ما تضحكون ؟ لرجلُ عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من جبل أُحد .

« المغربي »

تحفة تاريخية نادرة
« آخر خليفة عباسي . أثر له »

جاءتنا الرسالة الآتية من صاحب الامضاء وهو احد فضلاء الترك المتخصصين في الآداب التركية وممن لهم مشاركة كبرى في آدابنا العربية ايضاً قال :

أرسلت اليكم بنادرة أدبية وهي تقريظ للمتوكل على الله محمد بن المستمسك بالله يعقوب آخر خلفاء بني العباس بمصر كتبه على كتاب (زاد الغريب الضائع من بدائع الصنائع) للسيد محمد البردبني الحسيني الحنفي اختصره من كتاب (بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع) للكاشاني لما كان بالآستانة سنة ٩٢٥ مع الخليفة المتوكل على الله . لان السلطان سليم ابن بايزيد لما افتتح مصر نفى خلقاً كثيراً من اهل مصر الى القسطنطينية من جملتهم الخليفة واولاده وابناء عمه وصهره والسيد محمد البردبني وغيره من علماء مصر فمكثوا هنا نحو خمس او ست سنين ثم عادوا الى مصر في زمن السلطان سليمان بن سليم ومات الخليفة بمصر وهو متولي الخلافة ثاني عشر شعبان سنة ٩٥٠ والذين يزعمون انه توفي بالآستانة ودفن بجوار خالد بن زيد الانصاري او بشنبرلي طاش في مقبرة جامع (عتيق علي باشا) ليسوا على شيء فزعمهم باطل لا اصل له فاني حققت ذلك واستوفيت البحث عنه في تأليفي (تاريخ أوقاف الامم) وهذا التقريظ من الآثار النادرة والوثائق التاريخية التي لم يعثر عليها احد الى الان . والغالب على الظن انه بخط الخليفة لان في الكتاب عدة تقاريظ بخطوط مختلفة فلو كانت التقاريظ من خط مستنسخ الكتاب لكان جميعها بخط واحد فيظهر ان السيد محمد البردبني لما صنف هذا المختصر عرضه على الخليفة المتوكل على الله ثم على غيره فكل كتب ما بدا له بقلمه . ولابن كمال ايضاً عليه تقريظ هذا نصه :

« كتاب بابه فصل الخطاب . كتاب فيه حسن الانتخاب . كتبه الفقير احمد بن سليمان كمال عفا عنهم الملك المتعال » ولعمري إنه تقريظ بارد غير وارد ليس فيه بهجة للعربية ولا لهجة العلم . وعليه تقريظ ايضاً للفقيه المشهور ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الحلبي الحنفي صاحب (ملتقى الابحر) وغيره من المصنفات هذا نصه :

« كتاب كنظم الدر بل هو أنفس فترتاح أرواح اليه وانفس

كسته فروع الانس بردين مذغدا بترتيب بردني اصل بؤسس

نعم ظهر فبهر واحسن فأبر وابدى البدائع وأسدى الصنائع وزود الغريب الضائع وجود للمعتر والقانع واستخرج الدرر واستنبط الغرر جمع المحاسن وفرقها في العاملين وأثبت المحامد وحققها للآملين وطلع في سماء التأليف سعدا وأصفى لقلوب الملاهيف برائق لفظه وصادق معناه وردا فجزي الله مؤلفه كل خير وكف عنه وكفاه كل محنة وضير بما جد واجتهد وبقّى الزبد ونفى الزبد وشكر له ذلك السعي الجميل واثابه عليه الثواب الجزيل وجعله في نفسه وما يحب امينًا ويرحم الله عبداً قال آمينا . قاله وكتبه الفقير ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الحلبي الحنفي عامله ومحبيه بلطفه الجلي والخفي والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين » .

وابراهيم هذا كان نزيل القسطنطينية يؤم بجامع السلطان محمد الفاتح ويخطب به وكان ملازمًا بيته لا يخرج الا للصلاة والدرس ولا يلتذ بشيء سوى العبادة والعلم وكان يدرس بدار القرى التي أنشأها المفتي سعدي افندي توفي سنة ٩٥٦ وله من العمر ٩٠ سنة رحمه الله .

واما الخليفة المتوكل على الله فكان فاضلاً شاعراً ومن شعره :

لم يبق من محسن يرجى ولا حسن ولا كريم اليه مشتكى الحزن
وانما ساد قوم غير ذي حسب ما كنت أوثر ان يمتد بي زمني

ضمّن فيه شطرة بيت من لامية العجم للطغرائي والشطرة الثانية من البيت الاول نظير قول الطغرائي . « فلا صديق اليه مشتكى حزن »

وكتاب (زاد الغريب) المذكور محفوظ باحدى المكتبات في الاستانة لا يوجد منه سوى هذه النسخة وليس في مكتبات مصر ولا اوربا نسخة منه وليس له ذكر (في كشف الظنون) لانها هي النسخة الوحيدة منه فما رآها صاحب الكشف ليبحث عنها .

وهذا هو التقريظ :

الحمدلله الذي أبدع ماصنع من مخلوقاته وخلق ماأبدع في مصنوعاته وجعل العلماء ورثة الانبياء فيما أتوا به من التبيين بين الحلال والحرام ومشتبهاته ومنحهم بما مدحهم في

محكم الذكر وآياته فقال تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون . الله اعلم حيث يجعل رسالته) . أحمده على توفيقنا لسلوك سبل مرضاته وأشكره على ما علمنا من العلم وفهمنا من خفيساته . وأصلي وأسلم على نبيه محمد أفضل خلقه من اهل ارضه وسماواته صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وذرياته . وبعد فلما كان كتاب البدائع في ترتيب الشرائع تأليف الامام العالم أوحد زمانه فريد أوانه العالي القدر الرفيع الشأن ابي بكر المنتسب الى مدينة كاسان برّد الله مضجعه ونفعه بما من العلوم حفظه وجمعه مما كثر لفظه ومعانيه وانبسطت الألفاظ في تركيب مبانيه فتصدى لتلطفه وتلخيصه في نحو ربع حجمه مع عدم الاخلال والنقص مما انتظم في سلك نظمه مع زيادات يحصل بها لقارئه الافادة ويبلغ بها في الدارين الحسنى وزيادة السيد الجليل والمولى النبيل سليل السادة الأخيار فرع الموالي الشرفاء الأبرار ابو الجود محمد البردبني الحسيني الحنفي عامله الله بلطفه الخفي ذو الباع الطويل والاشتغال والتحصيل الآخذ العلوم عن السادة الأشياخ بهمة عالية وفهم نقاد يرهم بعقل عاقل وأذن واعية فبكبير همته وكثير تحصيله ومعرفته مجمل الحكم وتفصيله أطاعه القلم واللسان فصار من فرسان هذا الميدان فغاص في بحره الزاخر واستخرج منه نفائس الدرر والجواهر ونظمها أحسن نظم بابدع التحرير وأظهر غوامضها باوضح تقرير اذ هو اهل للنظر والتدقيق ومحل للتحرير والتحقيق فقلت فيه :

ومختصر زادت فضائله علاً ... على اصله الزاكي مع لطف حجمه
فوائده عمت فرائده نمت ... يصير اماماً من تصدى لفهمه

والله أسأل ان ينفع الغريب بزاده ويجعله عدة له يوم معاده ويعيده لاهله والأوطان قريباً بامان واطمئنان بجاه محمد نبي الرحمة المرسول الى خير أمة . وحرر ذلك وكتبه في سابع عشرين من شوال المكرم سنة ٩٢٥ العبد الفقير الى الله تعالى المتوكل على الله محمد بن العباس بن عبد المطلب عم النبي محمد صلى الله عليه وسلم فالحمد لله رب العالمين .

مطبوعات حديثة

ابراهيم باشا في سورية

« تأليف السيد سليمان ابي عزالدين طبع في المطبعة العلمية ليوسف صادر »
« في بيروت سنة ١٩٢٩ ص ٣٤٤ »

استقى المؤلف كتابه من مصادر انكليزية وافرنسية وعربية ، فذكر طرفاً من سيرة محمد علي الكبير قبل فتحه الشام والاسباب التي حملته على فتحها ووصف وقائع ابراهيم باشا على عكا وحمص وبيلان ونزيب والاناضول وذكر ما تم من إصلاح الادارة والقضاء في عهده وما وصلت اليه حالة الأمن والتجارة والصنائع ثم تعرض لتدخل دول اوربا ولانتقاض الدروز والنصيرية وغيرهم على ابراهيم باشا بعبث انكلترا حتى تم جلاء الحكومة المصرية عن الشام . وقد نسق المؤلف كتابه تنسيقاً جيداً وكتبه بسلاسة وحلاه ببعض صور المشهورين وبعض المصورات المختصرة فجاء كتابه من أحسن ما كتب في موضوعه يستحق ان يجعله مرجعاً من يهتمون بهذا الدور من تاريخنا . م . ك

كتاب تراجم علماء

« طرابلس الفيحاء وأدبائها »

تأليف السيد عبد الله حبيب نوفل طبع بمطبعة الحضارة في طرابلس
سنة ١٩٢٩ ص ٣٠٣

جرى مؤلف هذا الكتاب في تراجم من رآهم اهلاً لان يترجم لهم من اهل مدينة طرابلس على أسلوبَ اتبع فيه طريقة عصور الانحطاط في التأليف فيذكر مولد الرجل ومنشأه ووظائفه فقط ويحرص على ان يورد له شيئاً من الشعر ينقله و يرويه حتى ليخيل اليك ان معظم مترجميه شعراء والحقيقة غير ذلك . وقد توسع في ترجمة اهل بيته وذوي قرباه، وفيهم من لا يعد في العلماء ولا الادباء ، فذكر أزواجهم وبنيهم ووظائفهم في التجارة او شركات البواخر او دواوين الحكومة الى غير ذلك مما هو تافه ولا يليق ان

يدمج في تراجم الناس . وكان الاولى بالمؤلف لو اقتصر على اهل العلم والادب حقيقة ، فاذا أراد ان يدون سير التجار ووكلاء شركات البحار يخصهم بكتاب برأسه ، وكذلك اذا حدثته نفسه ان يذكر النابهين ممن اخذوا الرتب والأوسمة على عهد العثمانيين فان امثال هذه الطبقة ليست مما يدخل في مثل هذا السفر او يحشر مع الممتازين من الطبقات المختارة في المجتمع .

م . ك

كتاب فجر الاسلام

كلية الآداب في الجامعة المصرية قائمة بما كان حقاً عليها القيام به من العناية الخاصة بالأدب العربي ، لمكان مصر من لسان العرب وتأريخهم ودينهم ، فهي مصطفية لدروس الأدب أساتذة من أطول العلماء باعاً فيها ، مازلنا نطلع على آثار لهم قيمة ، بها و بالمؤلفات التي حدثت للتعليق عليها غنيت الآداب العربية وتأريخها .

قد كان يعوز درس الأدب العربي كتاب وافٍ بفلسفته يحدّث عن نواته الأصلية وما طرأ عليها من الأطوار الى ان تصورت في الصورة التي أفاضت الوف الكتب في حدها ورسمها وتدوينها ، ومن اولى بالتصدي لسد هذا العوز من أساتذة هذا الشأن في الجامعة المصرية « طه حسين » و « احمد امين » و « عبدالحميد العبادي » وهم المطلعون في علمهم والمضطلعون في عزمهم ؟ لذلك قام هؤلاء الاكفاء فصنفوا كتاباً يبحث عن حياة الامة العربية في عقليتها وسياستها وأدبها في القرن الاول للهجرة وسموه (فجر الاسلام) إيذاناً بان سيعقبه ضحى وربما استتبع الضحى ظهيرة والظهيرة اصيلا .

معني تضافر الثلاثة على تأليف هذا الكتاب أنهم جعلوه ثلاثة أجزاء : اولها في الحالة العقلية وضعه الأستاذ احمد امين ، الثاني في الحالة السياسية وضعه الأستاذ عبد الحميد العبادي ، والثالث في الحالة الأدبية وضعه الأستاذ طه حسين ، ثم اشترك الثلاثة في تدقيق كل جزء حتى أقروه كافة ، فكانوا متضامنين في ثلاثة الأجزاء جميعاً .

من المعلوم ان لهذه المباحث مآخذ لا تحصى عربية وأعجمية ، فالذي يعوز المؤلف فيها

هو ان يعرف ما هي المطالب التي يجب فتلها بحثاً وتمحيصاً ؟ وما هي المظان التي يجد فيها ما ينشده ؟ وان يقدر على التفريق بين الجدير بالثقة منها مما لا ينبغي التعويل عليه ، وان يكون ذا خبرة وذوق يمكنانه من استخلاص النتائج الصحيحة ، وترجيح بعض الأخبار المتناقضة ، وذا جرأة لايخشى معها انتقاد مخالف له في حكمه ، وان لا يكون متحيزاً الى فئة ينصر رأيها لغير الحق ، فالى اي حد حصل تأليف هذا الكتاب باجزائه الثلاثة ضمن هذه الشروط ؟ ليس لنا الآن ان نتكلم الا على هذا الجزء الاول الذي نجز طبعه برونق جميل على ورق جيد في اربع وخمسين وثلاثمائة صفحة .

انك لتجدن فيه مباحث مفصلة عن العرب في جاهليتهم ، وعن تأثرهم بالاسلام ، وتأثر الاسلام بالفرس واليونان والرومان ، وعن الحركة العلمية والدينية في القرن الاول الهجري ، كل ذلك حسن الترتيب والتبويب ، منقح العبارة ، مصوغ في أسلوب من يتألف القارئ لئلا يصادمه بعض قضايا لم يستأنس بها من قبل ، وهذا صنيع جدير بمدرسة حريصة على بث تعاليم هي قانعة بكونها عين الصواب اواقرب اليه ، والذي يلوح لنا ان التركيب الذي حصل من اجتماع هؤلاء الاساتذة الثلاثة أنتج تعديلاً كيمياوياً ظهر فيه تأثير خاص ، ما كان ليظهر لو بقي كل على انفراده ، فلعل الجزءين الاخيرين محتذى فيهما هذا الحذو كذلك .

هذا وفي الطبع غلط لم يوضع له جدول لبيان صوابه ، منه ماهو غير بيّن ، وها هي الغلطات الواقعة في آية او حديث او شعر فقط :

من اعضاء المجمع
مسعود الكواكبي

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥٨	٧	وبالعدل	وبالعدل
٧٨	١٤	نحول	محول
٨٧	٩	والاسباطَ	والاسباطِ
١٠٥	١١	أمه	أمة
١٠٨	١٣	الأماكن	الأماءكن

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٤٤	١٠	ادعؤن	ادعُن
٣١١	١٠	والسيف	أو السيف
٣٢٣	٤	بثمرة	بتمرة
٣٣٩	١٢	الفرقد	الفرقد
٣٤٥	٢٢	عبداه محمد	عبد اه بن محمد

مجموعة كتب
« أهديت الى المجمع العلمي »

أهدى حضرة الفاضل السيد محمد بن يحيى الصقلي صاحب المكتبة الشرقيـة في (الدارالبيضاء) احدى مدن المغرب الأقصى — الى مجمعنا العلمي مجموعة كتب نفيسة من مطبوعات المغرب . وها نحن نذكر فيما يلي بعض اوصافها شاكرين للمهدي هديته:

(١) كتاب (بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد) تأليف الشيخ ابي زكريا يحيى بن خلدون وهو اخو ابن خلدون صاحب المقدمة المشهورة . والكتاب جزآن يتضمن الاول منهما ترجمة الجزءين معاً الى اللغة الافرنسية ومترجمه هو المستشرق (الفريدبل) وقد قال في مقدمة الترجمة ما يلي :

اول من عثر على هذا المخطوط في مكتبة مدينـة الجزائر المستشرق برجيس (Pargis) سنة ١٨٤١ م فأعلن خبره في المجلة الآسيوية ونسبه الى عبد الرحمن بن خلدون المؤرخ صاحب المقدمة المشهورة لعدم وجود اسم المؤلف على هذا المخطوط ثم ان المستشرق دوسلان (de slane) صحح هذا الخطأ وحقق ان الكتاب تصنيف يحيى بن خلدون الأخ الأصغر لعبـد الرحمن بن خلدون المشهور (وقد قتل المؤلف يحيى سنة ٧٨٠ ه في مدينة تلمسان) وبنو عبدالواد من أشهر ملوك البربر الذين قاموا بالمغرب وجدهم الأعلى اسمه عبدالواحد . والكتاب مطبوع في مطبعة (فونطانة) الشرقيـة بالجزائر جزؤه الاول سنة ١٩٠٤ وجزؤه الثاني ١٩١١ .

(٢) حاشية ابي عبدالله سيدي محمد التاودي بن سودة المرّي على صحيح البخاري وهي اربع مجلدات في (١٨٤٥) صفحة بالقطع الكبير . وقد طبعت في المطبعة المولوية بفاس المحمية سنة١٣٢٨ﻫ بامر سلطان مراكش الأسبق مولاي عبد الحفيظ .

(٣) كتاب مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض وهو يشتمل على تفسير غريب الموطأ والصحيحين وضبط الألفاظ والتنبيه على مواضع الأوهام الخ وهوفي مجلدين في ٨١٣ صفحة بالقطع الكامل مطبوع سنة ١٨٢٩ ﻫ في المطبعة المذكورة بامر السلطان المشار اليه .

(٤) كتاب « معالم الايمان في معرفة اهل القيروان » تأليف الشيخ عبد الرحمن الأنصاري القيرواني المشهور بالدباغ المتوفى سنة ٦٩٦ﻫ . ولهذه الطبقات ذيل ألفه الشيخ ابو القاسم قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي القيرواني المتوفى سنة٨٣٧ﻫ . والكتاب مع الذيل في اربع مجلدات جاءنا منهما الجزآن الاول والثالث فقط وهما مطبوعان بدار الطباعة الرسمية بحاضرة تونس ١٣٢٥ ﻫ .

(٥) كتاب « نشرالبنود على مراقي السعود » للشيخ عبدالله بن ابراهيم العلوي الشنجيطي (الشنقيطي) وبهامشه كتاب « الضياء اللامع في شرح جمع الجوامع » للشيخ احمد بن عبد الرحمن القيرواني الشهير بابن حلولو والكتابان في علم اصول الفقه وهما في ثلاث مجلدات تشتمل على اكثر من الف صفحة . ولكن الطبع سقيم . والحرف مغربي قديم . تعسر قراءته على المشرقي .

(٦) كتاب « نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار » لمؤلفه الشيخ محمود بن سعيد مقديش الصفاقسي المتوفى سنة ١٢٢٨ ﻫ وهو جزآن في مجلد واحد في نحو خمسمائة صفحة وقد خرم من الجزء الثاني نحو عشر صفحات من اوله . طبع سنة ١٣٢١ ﻫ باعانة محمد الهادي باشا باي تونس ولكن طبعه وحرفه كالكتاب السابق . .

(٧) كتاب « تعريف الخلف برجال السلف » تأليف الشيخ محمد الحفناوي من علماء الجزائر المعاصرين وهو جزآن في نحو ٨٠٠ صفحة ضمنها تراجم علماء بلاد الجزائر وما يليها من الأقطار كالسودان ونحوه وقد طبع في مطبعة (فونطانة) الشرقية في الجزائر .

(٨) كتاب « موطأ الامام المهدي » والمراد بالمهدي محمد بن تومرت مؤسس دولة

الموحدين في المغرب . وموطأ المهدي هذا هو موطأ الامام مالك نفسه اختصره المهدي بحذف اسانيده مع تقديم وتأخير وزيادة تراجم وتفاصيل على أسلوب مفيد . والكتاب نفيس من حيث نسبته الى رجل من مشهوري رجال التاريخ الاسلامي . هو جزآن في مجلد واحد طبعا في مطبعة (فونطانة) الشرقية بالجزائر سنة ١٩٠٧ م .

(٩) كتاب « القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية » تأليف الشيخ ابن جزيء الغرناطي احد شيوخ لسان الدين ابن الخطيب (ولد سنة ٦٩٣ — ٧٤١ هـ) وهو جزء واحد في ٤٣٠ صفحة طبع في مطبعة النهضة بتونس سنة ١٩٢٦ م طبعاً حسناً وفي فاتحته مقدمة تتضمن التعريف بالمؤلف تعريفاً مسهباً .

(١٠) كتاب « فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتّاب هذا الزمان » بقلم الكاتب الأديب شاعر المغرب ومؤرخه السيد محمد نجل الصدر السابق السيد محمد المفضل غريط طبع بالمطبعة الجديدة بفاس سنة ١٣٤٦ هـ على نفقة الفقيه الأديب ابي فارس سيدي عبد العزيز بوطالب . وقد سرنا من هذا الكتاب ان طبعه وورقه وحرفه من طراز ما في بلادنا المشرقية . وحبذا لو ان اخواننا في المغرب يجتهدون في ان تكون خطوطهم وحروف مطابعهم من نمط خطوطنا ومطابعنا فيسهل علينا فهم ما يكتبون ويطبعون وهكذا نتبادل المنفعة وتعم الفائدة . وموضوع الكتاب مفهوم من اسمه فانه يترجم للمعاصرين من وزراء المغرب الأقصى وكتابه ويتخلل اخبار الوزراء طائفة من اخبار مراكش السياسية التي لها علاقة بالأوضاع الحاضرة . وعبارة الكتاب مسجّعة على طريقة (الريحانة) التي هُجرت في بلادنا المشرقية .

(١١) كتاب « الذيل لكتاب بشائر اهل الايمان في فتوحات آل عثمان » وهو يتضمن تراجم نخبة من فضلاء تونس وغيرهم تأليف الفاضل المؤرخ الشيخ حسين خوجه رئيس ديوان الانشاء بتونس وترجمان الدولة الحسينية المتوفى سنة ١١٦٩ هـ والكتاب جزء لطيف الحجم في ٢٤٧ صفحة وفي آخره ترجمتان لعالمين دمشقيين : الشيخ الحصني والشيخ عبدالغني النابلسي اجتمع بهما المؤلف في رحلته الى الشرق . وقد طبع الكتاب بحرف مشرقي في مطبعة تونس الرسمية سنة ١٩٠٨ م .

(١٢) « النصف الاول من كتاب مسامرات الظريف بحسن التعريف » وهو

يتضمن تاريخ فقهاء الدولة الحسينية الحاكمة اليوم في تونس تأليف الشيخ ابي عبد الله السيد محمد السنوسي . وقد انتهت تراجم الكتاب بترجمة الشيخ عبد الكبير بن يوسف درغوث مفتي الحنفية بتونس المتوفى سنة ١١٣٣ هـ بعد ان خدم الفتيا خمساً واربعين سنة .

(١٣) « خلاصة تاريخ تونس » وهو مختصر مدرسي يشتمل على ذكر حوادث القطر التونسي من أقدم العصور الى الزمن الحاضر مع تراجم النابغين من رجاله . تأليف الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب من أشهر فضلاء تونس ومؤرخيها وهو احد اعضاء مجمعنا العلمي والكتاب في (١٩٠) صفحة طبع في المطبعة التونسية سنة ١٣٤٤ هـ على نفقة صاحبي المكتبة العلمية المشهورة بتونس .

(١٤) كتاب « لب التاريخ » وهو يحتوي على خلاصة تاريخ دول الاسلام وتاريخ تونس قبل الاسلام وبعده تصنيف الاستاذ (محمد الحبيب) احد فضلاء تونس المعاصرين والكتاب مدرسي « يحوي أجوبة أسئلة امتحان التطويع في فن التاريخ » وهو في ٢٧٠ صفحة وقد طبع في المطبعة التونسية سنة ١٣٤٥ هـ على نفقة ناشره الأديب (محمد بو ذينه) .

(١٥) « موجز التاريخ العام للجزائر » منذ العصر الحجري الى الاحتلال الفرنسي تأليف الاستاذ الفاضل عثمان الكعاك ويظهر من مقدمة الكتاب ان الاستاذ المؤلف ممن تعلق عليه الآمال في النهضة الوطنية الجزائرية فقد قال في مقدمة كتابه ما نصه : « ويجب ان ترن كلمات الجزائر والحضارة الجزائرية والأدب الجزائري وارادة الامة الجزائرية — في أذن الجزائري الصغير والكهل والكبير — الرجل والمرأة على السواء كما ترن تلك الموصوفات في أذن كل اوربي يحب أمته ويجب ان تفعل في نفسه مفعولها في نفس الغربي — ذلك المفعول الذي كون حضارة الغرب وارادة الغرب اه » . والكتاب مجلد واحد في ٤٧٠ ص نشرته مكتبة العرب بتونس لصاحبها الوطني المشهور زين العابدين السنوسي .

(١٦) كتاب « محمد بن تومرت المشهور بمهدي الموحدين » او يقال في اسمه كما على غلافه ايضاً (كتاب أعز ما يطلب : مشتمل على جميع تعاليق الامام محمد بن تومرت مما املاه امير المؤمنين عبد المؤمن بن علي) . والكتاب جزء واحد في ٤٠٠ صفحة وقد طبع في مطبعة (فونطانة) بالجزائر سنة ١٣٢١ هـ وقد سبق تقريظ هذا الكتاب في الجزء الرابع من مجلة المجمع .

(١٧) كتاب « بدور الافهام او شموس الأحلام على عقائد ابن عاشر الحبر الهمام » تأليف الشيخ السيد المولود بن محمد الزربي البسكري المجاز من الأزهر والمدرس المتطوع بالحجاج من حكم اوراس بالجزائر والكتاب شرح على ارجوزة الشيخ عبد الواحد بن عاشر الاندلسي الاصل الفاسي الدار المتوفى سنة ١٠٤٠ هـ وهو جزء واحد في ٢٣٠ صفحة . وقد طبع بالمطبعة التونسية سنة ١٣٣٤ هـ .

(١٨) كتاب « عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية » تأليف الشيخ ابي العباس احمد الغبريني المتوفى سنة ٧١٤ هـ . وقد صححه عضو مجمعنا المرحوم محمد ابن ابي شنب وعارضه على اربع مخطوطات وقال في مقدمته على هذا الكتاب ان مؤلفه أورد فيه من تراجم علماء عصره وأخبارهم مايحتاج اليه المتشوق الى فرائد الفوائد الخ . وهو جزء واحد في ٢٣٦ صفحة وقد طبع في المطبعة الثعالبية بالجزائر سنة ١٩١٠ م .

(١٩) « الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية » وقد اعتنى بنشره عضو مجمعنا المرحوم الشيخ محمد بن ابي شنب وطبع في مطبعة جول كربونل بالجزائر سنة ١٩٢٠ م في نحو ٢٣٠ صفحة وفي آخره فهارس متنوعة خدم بها الناشر الكتاب خدمة تستحق الشكر .

(٢٠) كتاب « رقم الحلل في نظم الدول » تأليف ذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب السلماني : نظم ارجوزة في ملخص تاريخ دول الاسلام ثم شرحها شرحاً موجزاً لجاء الرجز وشرحه في نحو ١٢٢ صفحة والكتاب مطبوع في المطبعة العمومية بتونس سنة ١٣١٦ هـ .

(٢١) كتاب « زهرة الآس في بناء مدينة فاس » تأليف الشيخ ابي الحسن علي الجزنائي وقد طبع بمطبعة (باسنيذجوردان) بالجزائر سنة ١٩٢٢ م بعناية الشيخ (الفرادبيل) مدير مدرسة تلمسان مع ترجمة الكتاب الى اللغة الافرنسية بقلم (الفرادبيل) المذكور والكتاب مع ترجمته الافرنسية في جزء واحد .

(٢٢) « سمط اللآلي في سياسة المشير ليوتي نحو الاهالي » وهو كتاب (سياسي. اجتماعي تاريخي أدبي طبع بالمطبعة الرسمية المغربية على نفقة جامع شوارده علي الطرابلسي رئيس تحرير جريدة السعادة) والكتاب في نحو ٢٠٠ صفحة وموضوع الكتاب تقريظ معتمد الحكومة الافرنسية في المغرب الأقصى الجنرال ليوتي المشهور . « المغربي »

مطبوعات مختلفه

(عواطف وعواصف الشباب) · أصدر الجزء الثاني من هذه العواطف والعواصف كاتبها الأديب السيد لطفي اليافي وهي فصول في مواضيع اجتماعية مختلفة مكتوبة بقلم متمرد يعجب بمثله طائفة من شبان هذا العصر ·

(اليوبيل الفضي لجريدة الافكار) · « جريدة الافكار » البرازيلية لصاحبها عضو مجمعنا العلمي الدكتور سعيد ابي جمرة هي من أقدم صحف المهجر وأشدها اعتدالاً · وقد رأى الادباء ثمة حقاً عليهم ان يقيموا عيداً فضياً يعبرون به عن عواطفهم نحو هذا الأديب الكبير ففعلوا وجمعت الرسائل والقصائد وجميع مايتعلق بذلك العيد في كتاب لطيف الحجم والشكل ·

(جب يوسف الصديق وقبره) · عنوان كراسة تتضمن تحقيقات واستنتاجات بقلم عضو مجمعنا الاستاذ السيد عبد الله مخلص العالم الفلسطيني المشهور نشرت اولاً في مجلة الزهراء المصرية ثم جردت على حدة وطبعت في المطبعة السلفية ·

(النرجس) · عنوان كراسة ضمنها كاتبها الاستاذ السيد عبد الله مخلص جميع ما قيل في النرجس من النظم والنثر ·

(الطلائع) · كتاب يتضمن « صوراً وأحاديث موجزة عراقية وغيرها » لكاتبها الاديب البغدادي السيد محمود احمد ·

(السفينة النوحية في السكينة الروحية) · رسالة تبحث عن الروح وماهي والنفس وأحوالها · تأليف قاضي القضاة ابي العباس احمد بن الخليل بن سعادة الخويي الدمشقي المتوفى سنة ٦٨٧ هـ عثر على هذه الرسالة الاستاذ الشيخ راغب الطباخ عضو مجمعنا العلمي في مكتبة المدرسة الأحمدية في حلب فصححها وطبعها في مطبعته العلمية الحلبية ·

(الجديد في القراءة العربية) · أصدر الجزء الاول من هذا الكتاب الاستاذ السيد خليل السكاكيني احد مشهوري أساتيذ التربية والتعليم في فلسطين وقد ضمنه بيان طريقته الجديدة في تعليم (الالفباء) لمبتدئي المدارس ·

(العواطف الثائرة) · هو الجزء الاول من ديوان السيد عبد الرؤف الأمين

الملقب (بفتى الجبل) يتضمن ماقاله في موضوعات (الحماسة) و (السياسة) و (الاجتماع) . وفتى الجبل من شعرائنا الذين ضربوا بسهم في فنون الشعر المختلفة . وقد طبع ديوانه هذا في مطبعة العرفان طبعاً حسناً مزيناً برسوم طائفة من مشاهير أدباء العرب وشعرائهم .

(مختصر منهاج القاصدين) . كتاب « منهاج القاصدين » من مصنفات الشيخ عبدالرحمن بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ جمع فيه مايجب ان يتحلى به كل مسلم من الآداب والأخلاق والفضائل الدينية مستشهداً على ذلك بالآيات والأحاديث والآثار وقد تحدى في كتابه هذا الغزالي في احيائه وقد عمد الى كتاب المنهاج الشيخ نجم الدين ابوالعباس احمد من أحفاد ابن قدامة المقدسي فاختصره وسماه (مختصر منهاج القاصدين) وقد طبع هذا المختصر في مطبعة ابن زيدون بدمشق طبعاً حسناً اعتنى به ناشره ومصححه الشيخ محمد احمد دهمان من فضلاء دمشق بعدان عارضه على ثلاث نسخ خطية فالشكر له ونرجو ان يوفق الى أمثال هذه الخدمة العلية .

« المغربي »

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) حزيران : سنة ١٩٢٩ م الموافق ذي الحجة سنة ١٣٤٧ والمحرم ١٣٤٨ هـ

١٠٢

الانشاء الخطابي

للكتابة إنشاء خاص وللتكلم انشاء آخر ، ومن يجيد الواحد قد لايجيد الثاني ، بل ربما كان تناقض بين الاثنين ، فان السواد الاعظم من مشاهير الكتاب لم يكونوا خطباء و بخلاف ذلك قلما تجد بين الخطباء من لا يعد كاتباً .

واذا كان الكاتب غير الخطيب فليس ذلك فقط لانه لا يعرف ان يتكلم كما يعرف ان يكتب ، بل ايضاً لان كتابته لا توافق المنبر ، فان المكتوب يُنال بالنظر ويُذاق بالفكر ، واما المقول فلا يصل الى القلب الا اذا مر بالاذن ، وللأذن إحساس يجب ارضاؤه ، ونعومة يحاذر من تخديشها ، والشعور الذي يثيره السمع ليس كالذي تولده القراءة فضلاً عن ذلك فان عقلية الجمهور المحتشد في مكان عمومي تختلف عن عقلية الفرد المعتزل في غرفته .

إذن للسمع إنشاء كما للقراءة إنشاء ، فما هي اصول هذا الانشاء وقواعده ؟

قال ابن المعتز والشيباني : إن البلاغة بثلاثة امور : (١) ان تغوص لحظة القلب في اعماق الفكر وتتأمل بوجوه العواقب وتجمع بين ماغاب وحضر . (٢) ثم يعود القلب على ما اعمل به الفكر فيحكم سياق الأدلة ويحسن تنضيدها . (٣) ثم يبديه بالفاظ رشيقة مع تزيين معارضها واستكمال محاسنها .

هذه الأركان الثلاثة التي تقوم عليها البلاغة هي مايسميه الافرنج في تقسيمهم بالاختراع او الايجاد والتنسيق والتعبير .

فالاختراع اوالايجاد : هو استنباط الوسائل الخليقة باقناع السامع وتحريك عواطفه

وهذه الوسائل يقال لها الأدلة . وتسهيلاً لاستخراجها وضع الأقدمون من اليونان جدولا لما يمكن استعماله منها ، وأطلق عليه العرب اسم مواضع . قال ابن سينا : ان الحجج في الجدل والخطابة تكتسب من المواضع ، فمن طلب الاقناع وهو لا يعلمها كان كحاطب ليل يسعى على غير هداية لا لبخل في الموضوع بل لنقص في الاستعداد .

والتنسيق : هو تنظيم الخطبة وربط أجزائها بعضها ببعض وترتيبها ترتيباً جميلاً .

والتعبير : هو افراغ المعنى في القالب الموافق والباسه الحلة اللائقة به .

ولكن هذا التقسيم يشمل الكاتب والخطيب معاً فكلاهما يحتاج في البلاغة الى الاعتماد على هذه الأركان الثلاثة ولا يبدأ الفرق بين الاثنين الا عند الركن الثالث ذلك لان الخطاب لم يعمل ليقرأ بل ليسمع فيجب ان يتبع التعبير فيه الذوق ومايدعو اليه المقام من تقصير الجمل او تطويلها ، والتكرار تارة والتسجيع طوراً ، وانتقاء الألفاظ الموسيقية الخفيفة على السمع المؤثرة فيه ، والتحليق في سماء الخيال حيناً ، والنزوع الى النكتة حيناً آخر مع تطبيق ذلك على مايضاف اليه مما يكمله كالاشارة والملامح والنظرات ونبرات الصوت وسائر مايمكن الانسان الحي ان يعطيه من الحياة الى هذا الشيء الحي الذي يقال له خطاب .

وها نحن اولاء نبحث فيما يلي عما يتعلق بهذا التعبير و يجعل للانشاء الخطابي مسحة خاصة به مفردين فصلاً آخر لما نسميه مكملات الخطيب او مزايا المنبر .

— ١ —

ان الكلمات التي تتألف منها الجمل هي كحجارة الفسيفساء لها لونها الخاص وشكلها المحدود ولكنها تمثل صوراً مختلفة حسب تركيبها وتداخلها بعضاً في بعض فكما انك قد تجعل من قطع الفسيفساء صورة تدل على الحسن او القباحة واللذة اوالالم وغير ذلك من الاضداد تبعاً للطريقة التي تؤلف بها بينها كذلك تستطيع حسب اختيار الألفاظ وتركيبها ان تمثل هذه العاطفة او تلك تمثيلاً كاملاً او ناقصاً ولا يتم لك الاتقان والإجادة الا اذا وقع اختيارك في موقعه وكان لك اللفظ الموافق والتعبير الصادق .

من الألفاظ ماهو فخم كأنه يجر ذيول الارجوان أنفةً وكبرا .

ومنها ماهو ذو قعقعة كالجنود الزاحفة في الصفيح .

ومنها ما هو كالسيف ذي الحدين ·

ومنها ما هو كالنقاب الصفيق يلقيه الشعر على بعض العواطف ليستر من حدتها ويخفف من شدتها ·

ومنها ما له وميض البرق ·

ومنها ما له ابتسامة السماء في ليالي الشتاء ·

من الكلام ما يفعل كالمقرعة وهو كلام الانتقاد والتنديد · ومنه ما يجري كالنبع الصافي وهو المعد للرضى والغفران ·

ومنه ما يضيء كالشهب وهو كلام التعظيم ·

كذلك من الكلمات ما ليس له طابع خاص وانما يؤتى به لتقوية الجملة ودعم المعنى فهو يوافق كل حال ·

تلك هي الادوات المعدة لبناء الخطبة تتطلب مهندساً بارعاً ومصوراً حاذقاً ليؤلف بينها تأليفاً موافقاً ويخلع عليها برداً جميل النسج لامع الديباجة يترجم معنى العظمة او الجمال او اللطف او القوة كما في قطع الفسيفساء ·

ان البلاغة لا تقتصر على افهام السامع كلام القائل والا « لتساوت الفصاحة واللكنة والملحون والمعرب » وانما المقصود الافهام على سنة كلام البلغاء بان يجعل لكل طبقة كلام ولكل حال مقام فيخلع الخطيب من الفاظه على معانيه حلة نور وضياء ليتسنى للسامعين ان يشاركوه في تلك الرؤيا الجميلة التي تتجلى في خاطره وبين تصوراته ، ولا يكون الخطيب فيما يقول كالرجل الذي يكثر من الاشارات في الظلمة ثم هو يتعجب كيف لا يراه الناس ·

— ٣ —

ان الاساس الذي بني عليه الانشاء الخطابي هو العاطفة والشعور لان الغاية الاولى من الخطاب هي ان تنقل ما في قلبك من الاحساسات الى قلوب سامعيك · قال «دلامبر» ان الذي يكتفي بالاقناع دون التأثير هو متكلم لا بليغ وقال «رفالور» إن العواطف والاهواء هي الخطيب في الجماهير · وقال « ميرابو » السر كل السر في البلاغة الخطابية ان يكون الانسان ملتهباً بالعواطف · قال الحسين وسمع متكلماً يعظ فلم تقع موعظته من قلبه بموضع « يا هذا ان بقلبك لشراً او بقلبي » يريد ان الكلام الخالي من العاطفة

قد يكون مفعماً بالحقائق ولا يجد مع ذلك سبيلاً الى النفس ·

وبما ان الشعور هو اساس الخطبة كانت البساطة أجمل حلة يلبسها الانشاء الخطابي ولا أعني بذلك ان يكون الكلام مبتذلاً عامياً بل ان يوافق الزمان والمكان فللمعاني العظيمة كلام عظيم كما بينا · ولا يستلزم كون الجمهور من العوام ان ينزل الخطيب باساليب التعبير عن مقامها بل عليه ان يرفع العامة نحوه لان الفن فن اينما كان ·

— ٣ —

ويأتي بعد العاطفة الخيال لان الخطيب شاعر ان حققت ، الا ترى ان سرعة البداهة وحدة التصور وجيشان الخاطر وكل ما يمتاز به الشعراء موجود عند الخطباء فكأن القوة العقلية الواحدة باختلاف وجهتها وتباين مذاهبها قد انتجت عند بعض النوابغ تارة بلاغة القلم وطوراً بلاغة اللسان ·

لا ريب ان اللورد (بيرون) الشاعر الانكليزي المشهور عندما كان يجول بجواده فوق شواطئ الليدو وهو ينشد في الفضاء أشعاره السامية الغريبة ويلقي من حوله على الكائنات نظر السيد المعتز بمحتده ، المباهي بشبابه ، المفاخر بجمال طلعته ولمعان نبوغه وما اعطاه الله من واسع السلطان في مملكة الهوى ، مخضعاً لدى قدميه الفلاحة الحائرة والسيدة المتدللة ، منتصراً على مطامع الرذيلة ومخاوف الفضيلة ، لا ريب ان ذلك الامير لم يكن حينذاك شاعراً فقط بل كانت عواطفه الثائرة تندفق من فؤاد خطيب فيلبسها حلة من شعره الجميل ولكن بعد ان تُسكب في قالب خطابي بما فيها من غزارة وخيال وتصور خلاب ·

واذا نظرت فيما كتب هيكو اونظم مثل (كرمو يل) و(الرجل الضاحك) و(القصاص) تبين لك انه لم يكن يتخذ غير لغة الخطابة كأنما هو يتمرن على الدور السياسي الذي كان مخبأ له في طيات الزمان ·

كذلك لامارتين فقد حرك اوتار قيثارته على منبر السياسة فأفلح خطيباً كما أفلح شاعراً ·

وكما كان بيرون الشاعر خطيباً كان جوريس الخطيب شاعراً وقد روى مؤرخوه انه وهو ابن عشرين كان يتمشى كالملهم على شواطئ الكارون مردداً في الفضاء نثره

الجميل . وله صفحات شعرية خالصة في كتابه « حقيقة العالم المحسوس » كأنه وهو تحت وميض الالهام وبين عوالم الاحلام يسائل الوجود من كل نواحيه و يحني على صدر الارض واضعاً أذنيه مصغياً اليها كمن يجس او يبحث عن نبض العالم .

على ان هذا الخيال وما اليه من حدة التصور وغليان الخاطر ليس ضرورياً لكل خطيب فكما ان من المصورين من لم يكن مثل ليونارد دفنسي فمن الخطباء من لا يعرف التحليق في سماء الخيال وهو يستطيع بكلمة او صورة او صوت ان يحرك العواطف و يثير الأشجان . هكذا كان (والدك روسو) احد زعماء السياسة الفرنسوية في العصر الغابر القائل في احدى خطبه هذه الجملة المشهورة « يجب على المالك ان يعمل وعلى العامل ان يمتلك » .

وفي العرب كثير من الخطباء الشعراء او الشعراء الخطباء وقد افردنا لهم فصلاً خاصاً .

ومن الأمثلة الجميلة على الانشاء الخطابي الشعري هذه الفقرة التي نقتطفها من خطبة لجوريس :

« رأيت أحياناً في طريق الجبل بعض الفلاحات العجائز عائدات من الغابة حاملات فوق ظهورهن أحمالاً من الاغصان الخضراء . فكانت الريح عند مرورها بتلك الاغصان المورقة توقظ من حول الفلاحة العجوز حفيف الأحراج الواسعة ولكن العجوز لم تكن تسمع هذا الحفيف بل كانت تمشي بخطاها المتثاقلة دون ان تعي نشيد الأحلام الذي كانت تسره في أذنيها قطعة الغاب المحمولة على ظهرها » .

« أجل هكذا هو العامل المسكين يمشي محاطاً بنسمات الطبيعة دون ان يسمعها . كيف تريدون منه بعد جهده الطويل من طلوع الشمس الى غيابها ، عندما يشعر ان عمله المضني ليس عملاً حراً وانه قد يجرد منه في الغد لغير ما سبب ، عندما يجد نفسه مقيداً بادواته التي تضنيه وربما فارقها في غده مكرهاً ، كيف تريدون منه وهو على هذه الحال من التعب والاستعباد يساوره الوجل والاشفاق ان لا يتاح له في غده ما يطعمه و يطعم ذويه ، كيف تريدون منه ان يرتفع فكره بالحلم فوق ضجيج المصانع الذي يصم الاذان ليقول في نفسه ان هذا الضجيج الخارج من الادوات العاملة هو جزء من الموسيقى الكونية . . »

هذا الشيء سيعرفه في غدٍ عندما نعطيه الحرية .

ومثل ذلك هذه الفقرة الثانية من خطاب لهيكو في مجلس الأشراف عندما طلب جيروم نابوليون السماح له بالعودة الى فرنسا .

ايها السادة : لاحاجة لان اقول لكم انغايتي ليست اثارة الشجون اوالاحقاد ولكنني أشعر لدى صعودي هذا المنبر انيأؤدي واجباً علي . انالذي يدفع هذاالعاجز الى نصرة جيروم نابوليون وهو في منفاه ليس فقط عقائد نفسي بل كل تذكارات صباي . فكأن في هذا الواجب شيأ من الوراثة ويخال لي ان ابي ذلك الجندي القديم للملكية هو الذي يأمرني ان أقف وأتكلم . ولهذا أخاطبكم ياسادة كمن يؤدي واجباً على انني كما ترون لا أوجه كلامي الا الى اشرف واطهر وارصن ما في ضمائركم . من اجل هذا اريد ان أقول لكم في الختام كل رأيي في ظلم هذا القانون الفادح الذي اسألكم الغاءه .

ايها السادة : هذه المادة من القانون الفرنسوي التي تنفي الى الابد أسرة نابوليون من الارض الفرنسوية تبعث في نفسي شيأ لا أعرف له نظيراً ولا استطيع عنه تعبيراً . وتسهيلا لفهم ما اريد ان اقول سأفرض فرضاً مستحيلاً : لاريب ان تاريخ الخمس عشرة الاولى من هذا القرن ، هذا التاريخ الذي كتبتموه انتم ايها الابطال والقواد المحترمون الذين أحني رأسي أمامهم والذين يصغون الي في هذا النادي ، هذا التاريخ لا يزال له دويّ في أذن العالم قاطبةً وربما لاتجدون في أقصى المعمور رجلاً لم يسمع به فقدوجدوا في الصين في معابد الآلهة تمثال نابوليون . اجل اني افترض — وهذا هو الافتراض المستحيل ولكنكم تسمحون به — افترض ان في زاوية من هذا الكون الواسع رجلاً لم يعرف شيأ عن هذا التاريخ ولم يسمع ابداً اسم الامبراطور . وافترض انهذا الرجل جاء فرنسا وقرأ هذه المادة التي تقول : « ان أسرة نابوليون منفية الى الابد من ارض فرنسا » افتدرون ماذا يجول فيخاطر هذا الغريب ؟ انه أمام هذا العقاب الهائل ليتساءل من تُرى يكون نابوليون هذا ! ويقول في نفسه انه لاريب كان مجرماً عظيماً وانه من المؤكد ان عاراً لايمحى لاصق باسمه ومن يدري فلعله قد انكر آلهته و باع أمته وخان وطنه الى آخر ماهنالك . ان هذا الغريب ليتساءل بشيء من الجزع ماهي الآثام العظيمة التي استحق من اجلها نابوليون هذا ان يُعاقب هكذا في سلالته الى الأبد .

ايهـا السادة هذه الآثام سأعددها لكم : هي الدين مرفوع الرايات ، هي القانون المدني محكم الآيات ، هي فرنسا متسعة النطاق الى ابعد من حدودها الطبيعية ، هي يانا ، مارنكو ، واكرام ، استرلتز هي اغلى وابهى مهر من القـدرة والمجد يستطيع رجل عظيم ان يقدمه الى أمة عظيمة .

ايها السادة ان شقيق هذا الرجل العظيم يستعطفكم في هذه الساعة ، هو شيخ عاجز ، هو ملك قديم يسترحمكم اليوم ، أعيدوا له ارض الوطن . ان جيروم نابوليون لم يكن له في الشطر الاول من حياته الا رغبة واحدة ، ان يموت في سبيل فرنسا . ولم يكن له في الشطر الثاني من حياته الا فكرة واحدة ، ان يموت في ارض فرنسا . فلن تخيبوا هذا الرجاء .

— ٤ —

اما الاكثار من الأدلة والحجج والاغراق في الشرح والتفصيل ، والاسهاب في البيان والتعليل ، فذلك جائز في نثر الكاتب لان للقـارئ متسعاً من الوقت للتأمل والتبحر بخلاف السامع الذي يتلقى الجملة بعد الجملة ولا قبل له بالمراجعة او التوقف ، بل تراه مضطراً الى اتبـاع الخطيب والتقاط أقواله المتدفقة على سمعه ولهذا كان من اللازم ان تأتي هذه الأقوال واضحة صريحة مختصرة تفعل بالجزم والتأكيـد اكثر مما تفعل بالتعليل والبرهان .

ان القارئ حرٌ في متابعة قراءته او التوقف للاستراحة او التأمل ، واما السامع فهو معلق بشفتي الخطيب محمول معه في كل ناحيـة لا يستطيع الوقوف او الاعراض دون ان تنقطع عرى الالفة بينهما فيذهب من الخطاب رونقه او بعض رونقـه وتفوت السامع فائدته او جزء من فائدته .

وبقدر ما يقتصد الخطيب على السامع في الفاظه وجمله يوفر من انتباهه ليستطيع إدراك معانيه والتأثر بها لان اللغة كما لا يخفى هي في آن واحد آلة للنقل وعائق دونه .

فالانشاء الخطابي يختلف كثيراً عن انشـاء الكاتب لاضطرار الخطيب ان يتبع فيه احوال نفسه والمكان الذي يتكلم فيه والجمهور الذي يصغي اليه فتكون « اللفظة في وزن الاشارة والمعنى في طيقة اللفظة » فيفصل بين الجمل و يكرر بعض الكلمات او يكثر من

بعض النعوت مسهباً هنا موجزاً هناك متمهلاً في بعض المواضع مسرعاً في غيرها ، واقفاً حين يرى ضرورة الوقوف ليترك للسامع مجالاً يستوعب فيه ما اراد ان يلقيه اليه او يقصر انتباهه عليه .

ومهما يكن من اهمية الموضوع والاجادة في انتقاء الالفاظ وتخير المعاني فلا ينفع ذلك في محاربة ما يجلبه اسهابه او الضرب على ونبرة واحدة من العواقب التي لا تحمد . الا ترى ان إطالة النظر الى الغدير الجاري والاستمرار على سماع خريره العذب يفضيان بنا الى النعاس ؟ بل ان هدير الأمواج المتصاخبة ، وزئير الرياح العاصفة ، ولعلعة الرعود على ما فيها من تهيج الاعصاب تنتهي بنا الى النتيجة عينها اذا طال امرها وتعودت عليه الاذن وألفه الخاطر . فلا تكونن بلاغة الخطيب حجة له في إطالة الشرح والتمادي في الاسهاب .

ان العبرة كل العبرة هي ان يحمل الخطيب عقول سامعيه في سيل من العبارات الجميلة الموسيقية فيهز تلك العقول هز الطفل في السرير ويملك عليها جهد التفكير و يخدر فيها حاسة النقد و يجعلها في شبه غيبوبة من سكر الفصاحة ، ثم تأتي كلمة هي الكلمة الفاصلة المنتظرة مدعومة احياناً بنبرة في الصوت او ضربة على المنبر فتوقظ تلك النفوس وقد عرفتها وفهمتها وحيتها بابتهاج .

واللغة العربية قابلة للانشاء الخطابي اكثر من سواها لوفرة غناها بالالفاظ والتشابيه والاستعارات وما فيها من جزالة لفظ وفخامة تركيب ورنة تسجيع وغيرذلك فاذا ساعدها الاسلوب والخيال كانت على لسان البليغ خمراً تدب في الرؤوس وسحراً يسطوعلى النفوس .

وربما نزل الانشاء الخطابي احياناً عن نثر الكاتب في دقة المعنى وإحكام المبنى الا ان في فصاحة اللهجة وجمال اللفظ وجهارة الصوت وما الى ذلك ما يستر هذا العيب فيخرج السامع مأخوذاً بما سمع وان لم يحفظ منه شيأ قانعاً بما احس من التأثير راضياً بما حصل عليه من اللذة .

الدكتور فياض

الاندلس

« عبرة وذكرى »

— ٢ —

(٢) — الحكم الأموي :

يقسم الحكم الأموي في الاندلس الى ثلاثة عهود : الولاية — الامارة — الخلافة ٠

الولاية الأموية : بدأت بالفتح سنة ٩٢ — ٩٣ وانتهت بامارة عبدالرحمن الداخل سنة ١٣٨ ٠ واول والٍ عليها عبدالعزيز ، وليها لابيه موسى بن نصير على ماتقدم ذكره ، فثار به العسكر وقتلوه لسنتين من ولايته ٠

وتتابعت ولاة الأمويين عليها تارة من قبل الخليفة بدمشق ، وطوراً من قبل عامله على القيروان ٠ وكان مقتل الوالي الاول فتح باب اللدد على مصراعيه ، فظلت هذه الولاية ومدتها ست واربعون سنة وبضعة ايام ، مضطرباً للنزاع والصدام ، فلِّ ان استقام فيها لوالٍ امر ، اوطال له حكم ، حتى نيف عدد الولاة في هذه الفترة من الزمن على بضعة وعشرين والياً (١) ٠

---

(١) وهذه اسماؤهم مع اختلاف يسير في ترتيبهم :

	من سنة	الى سنة	مدة ولايته
عبد العزيز بن موسى	٩٥	٩٧	سنتان
ايوب بن حبيب اللخمي	٩٧		ستة اشهر
الحر بن عبد الرحمن بن عثمان		١٠٠	سنتان وثمانية اشهر
السمح بن مالك الخولاني	١٠٠	١٠٣	
الغمر بن عبدالرحمن بن عبدالله ؟			من قبل اهلها
عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي			
عنبسة بن سحيم	١٠٣	١٠٧	اربع سنين واربعة اشهر (من قبل يزيد ابن ابي مسلم عامل إفريقية)
عذرة بن عبد الله الفهري			

والسبب في ذلك مطامع الرؤساء، وتضارب الاهواء، ونزعة العرب الى العصبية الجاهلية الاولى. فقامت القيسية واليمنية تتنازعان السلطان — والقيسية واليمنية حزبان كان لهما في تاريخنا الى اجل غير بعيد شأن خطير.

كان عامل الاندلس منقطعاً به في اقصى ثغور المسلمين، بعيداً عن قلب الدولة ومادتها، فكان لا بد له من عصبة تؤيده في ولايته، وتحتفظ له بها، ولا تكون هذه العصبة مخلصة ثابتة، الا اذا كانت منه، وكان منها في عصبية واحدة. ففزع كل والٍ من ولاة هذا العهد الى عصبية، القيسي الى المضرية، واليماني الى اليمنية. والعصبية

	من سنة	الى سنة	مدة ولايته
يحيى بن سلمة الكلبي	١٠٧	١١٠	سنتان وستة اشهر (من قبل بشر بن صفوان الكلبي عامل افريقية)
عثمان بن ابي نسعة الخثعمي اللخمي	١١٠	١١٠	خمسة اشهر (من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي صاحب افريقية)
حذيفة بن الاخوص القيسي	١١٠	١١١	سنة (من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي صاحب افريقية)
الهيثم بن عبيد الكلابي	١١١	١١٣	سنتان (من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي صاحب افريقية)
محمد بن عبد الله الأشجعي	١١٣	١١٣	شهران
عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي	١١٣	١١٤	سنة وثمانية اشهر (من قبل عبيد الله ابن الحجاب صاحب افريقية)
عبد الملك بن قطن الفهري	١١٤	١١٦	سنتان (من قبل عبيد الله بن الحجاب صاحب افريقية)
عقبة بن الحجاج السلولي	١١٦	١٢١	خمس سنين (من قبل عبد الله بن الحجاب صاحب افريقية)
عبد الملك بن قطن الفهري	١٢١	١٢٤	(من قبل نفسه ثائراً)

تقتضي الرجل ان ينصر اخاه ظالماً او مظلوماً ، فخرج الوالي عن ان يكون حاكماً عاماً ، وأصبح زعيم عصبية ، يتعصب لذويه ، ويتحامل على اعدائهم . فكان من جراء ذلك ان انشقت الجماعة ، وهاجت الأحقاد ، وتقدمت الناس باحزابها ، لا على أقدارها .

ومن طبيعة السياسة الحزبية ان تشتد معها العداوة ، وتستحكم البغضاء ، وان يتربص كل فريق بصاحبه لوثبة يهتبلها منه ، فيُدال له عليه ، القيسي من اليمني ، واليمني من القيسي ، وكان الامر بينهما دواليك . وهُزل الامر حتى بلغ ان لا يكون للوالي حكم نافذ الا على قومه ، الوالي القيسي يطيعه القيسيون ، وينحاز عنه اليمانيون ، واليماني يخضع له اليمنيون ، ويعصيه القيسيون . وزاد هذا الخلاف التياث أمر أمية بالمشرق ، وتضعضع أحوالهم ، فشغلوا عن قاصية الثغور ، بكثرة الخوارج . فبقي اهل الاندلس فوضى : فتن دائمة ، وولاية متداولة ، وحال لا تستقر من القلق . واتفق جند الاندلس آخر الامر ان يجعلوا الولاية في القيسية واليمانية مداولة بين الجندين ، سنة لكل دولة . فقدم المضرية على انفسهم سنة ١٢٩ يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، فاستتم ولايته بقرطبة . ثم وافته اليمانية لميعاد ادالتهم ، واثقين بمكان عهدهم وتراضيهم واتفاقهم ، فبيتهم يوسف في قرى قرطبة بمالأة القيسية وسائر المضرية فاستلحموهم ، وتمت الغلبة للقيسية في معظم انحاء الجزيرة ، الى ان كان من امر عبد الرحمن ما نحن ذاكروه .

	من سنة	الى سنة	مدة ولايته
بلج بن بشر	١٢٤	١٢٥	سنة
ثعلبة بن سلامة الجذامي ؟			سنتان
ابو الخطار حسام بن ضرار الكلبي	١٢٥	١٢٩	اربع سنين وتسعة اشهر (من قبل حنظلة ابن صفوان صاحب افريقية)
ثوابة بن سلامة	١٢٩		سنة (من قبل عبد الرحمن بن حبيب صاحب افريقية)
عبد الرحمن بن كثير			(من قبل اهلها)
يوسف بن عبد الرحمن الفهري			(من قبل اهلها)

لهذا ، ولما انبعث عن ذلك من تبدل الولاة ، ظلت الولاية الأموية في الاندلس متناقلة ، غير متوارثة بين الآباء والابناء ، على ما وقع من ذلك في كثير من الولايات الأموية ، ولا سيما ما بعدت الشقة بينه وبين دار الخلافة كالاندلس ٠

شغلت هذه الفتن ولاة الأمويين عن الفتح فلم تنهض بهم همة اليه ، الا ما كان من فتوح عبد العزيز بن موسى ٠ ثم عقبة بن الحجاج السلولي الذي جاهد مظفراً حتى بلغ سكنى المسلمين في ايامه اربونة ، وصار رباطهم على نهر ردونة ٠ والهيثم بن عبيد الكلابي غزا مقوشة فافتتحها ٠

والسمح بن مالك الخولاني نهض بالفتح الى جنوبي فرنسا ٠ وعنبسة بن سحيم مات — وقيل قتل — وهو على حصار تولوثة (تولوز) ٠ وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقي فتح قرقشونة ، ونيم ، وغيرهما من جنوبي فرنسا ، واستولى على ارل ، وليون ، و بزانسون وانتهى الى تور ٠ وعبد الملك بن قطن الفهري غزا البشنكش (البسكة) ٠

واكثر هؤلاء كان جهادهم في العدو اقرب بنتيجته الى الغزو منه الى الفتح ٠ ومن بقي من هؤلاء الولاة لم يذكر لهم غزو ولا فتح بل انشغلوا في انفسهم ، وفي عصبياتهم ، وفي الحاجشة عن كراسيهم او صحونهم على لغة السياسة اليوم — عن المضي فيما كان يريده موسى بن نصير او في بعضه ٠

ونحن وان لم نكن ممن يستهويننا تبسط ذلك الفتح الى أبعد مما وصل اليه ، بعد ان ضاع الفتح كله ثمرته ونواته ٠

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر

وبعد ان انتهت تلك الأقطار التي كانت تمد تلك الجزيرة الى ما انتهت اليه ٠ غير انا كنا نود لو هذبت حواشي ذلك الفتح بتطهير مخارمه ومفازعه ، فلعل ذلك كان يكون أحفظ للملك ، وأبقى عليه ، وهو ما نشير في موضعه اليه ٠

موقف الاسبان : و يتسائل الانسان بعد ان صورنا له هذا العهد ، عما كان من امر الاسبان أصحاب البلاد الاصليين ، وقد رأوا هؤلاء الذين سلبوهم ملكهم منشقة كلمتهم ، منقسمين أحزاباً يقاتل بعضهم بعضاً ٠

لقد كان فتح الاندلس امراً خطيراً كان له دوي كبير ، فأصبح اسم العرب ملء

الأسماع والأبصار ، فانصدعت من جراء ذلك قلوب الاسبان ، وصغرت نفوسهم عن مقاومة العرب اول الامر ، فلم يشجعهم هذا الخلاف الذي نجم بين العرب على منازلتهم وعهدهم بالفتح وبأس العرب قريب . وأخرى هي ان العرب كانوا في حكمهم أعدل من الاسبان، فلم يكن ينال الاسبان الذين تفيأوا ظل الحكم الاسلامي وبقوا على نصرانيتهم ، شيء من الظلم الذي كان ينالهم ايام حكم امرائهم المسيحيين ، وللعدل روعة في النفوس وجلال، حمل اولئك الاسبان الجبليين الذين اعتصموا بتلك الولايات الجبلية ان يتربصوا الى حين .

فلما كثر بين العرب الخلاف واستحكم امره ، وكان قد مضى على الفتح ردح من الزمن ، اخذ الاسبان يتحيفون أطراف الملك العربي فتغلبوا على جزء من بلاد برشلونة ثم على برشلونة . وهذا الذي استخلصوه من العرب ان لم يكن شيئاً مذكوراً بالنسبة الى الجزيرة ، فهو شيء كبير بنفسه . وأخرى انه فتح على العرب باباً من مطامع الأسبان يدخلون منه الى سائر انحاء الجزيرة ، فيعيدونها الى حيازتهم وهو ما قد كان .

الحضارة والعمران : شجع عبد العزيز بن موسى الهجرة الى الاندلس ، فوفد عليه الناس من الشام والعراق ومصر وغيرها ، فأقطع كل قبيلة ناحية . وازدحمت الاندلس بالعرب ، وكثر اهل الشام في قرطبة عند ابي الخطار حسام بن ضرار الكلبي الوالي اليمني ، حتى لم تحملهم دار الولاية ففرقهم في البلاد . أنزل اهل دمشق البيرة لشبهها بها وسماها دمشق ، وأنزل اهل حمص اشبيلية وسماها حمص ، واهل قِنَّسرين واهل الأردن رية ومالقة وسماها الاردن ، واهل فلسطين شدونة وهي شريش وسماها فلسطين ، وأنزل اهل مصر تدمير وسماها مصر .

وانتشرت اللغة العربية في الجزيرة بانتشار العرب انفسهم فيها اولاً ، وبتغلبها على لغة البلاد بقوة الفتح ثانياً ، وأنشأ عبد العزيز بن موسى ديواناً للتوفيق بين الشريعة الاسلامية السمحة ، وقوانين اهل البلاد المفتوحة وعاداتهم ، رعاية للمصالح . ووضع السمح ابن مالك الخولاني بامر عمر بن عبد العزيز نظاماً للارض ، وبنى قنطرة قرطبة الشهيرة .

* * *

الإمارة الأموية : مدتها مئة وسبع وسبعون سنة ، بدأت في العاشر من ذي الحجة من سنة ثماني وثلاثين بعد المئة (٧٥٦) بصقر قريش — عبد الرحمن الملقب بالداخل . وانتهت سنة خمس عشرة وثلاثمائة ، في عهد عبد الرحمن الناصر . فتعاقب على هذه الامارة بعد عبد الرحمن الداخل ، ابنه هشام الرضي — فابنه الحكم بن هشام — فابنه عبد الرحمن الاوسط بن الحكم — فابنه محمد بن عبد الرحمن — فابنه المقتدر بن محمد — فأخوه عبد الله بن محمد — ثم حفيده عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله وهو ثامن الأمراء الأمويين وبه ختمت الامارة . فهو لما بلغه ان مؤنساً الخادم قتل المقتدر بالله العباسي بالمشرق ، أعلن خلافته وتسمى بامير المؤمنين وضربت السكة باسمه .

عهد الامارة : هذا العهد هو خير العهود التي عرفتها الاندلس العربية فقد كان فاتحته عبدالرحمن الداخل، وواسطته عبدالرحمن الاوسط، وخاتمته عبدالرحمن الناصر: ثلاثة لاندري أيهم أفضل من صاحبيه ، فكانوا رجال أمية بالغرب غير منازعين ولا مدافعين ، بل كانوا عرانين أمية عامة في المشرق والمغرب ، ومن رجالات الدهاء والحزم والسياسة في العرب .

عبد الرحمن الداخل : لما انقرضت الدولة الأموية بالشام ، وصار الامر الى بني العباس ، تتبعوا بقايا بني أمية ، ووضعوا فيهم السيف ، وفر من نجا منهم واستخفى . وكان عبد الرحمن بن معاوية بن هشام اذ ذاك بذات الزيتون [1] ففر منها الى

(١) لم اجد فيما عندي من الكتب ما يعرف منه موضع ذات الزيتون . وفي معجم البلدان الزيتونة موضع كان ينزله هشام بن عبد الملك في بادية الشام فلما عمر الرصافة انتقل اليها فكانت منزله الى ان مات ، فهل الزيتونة هي ذات الزيتون ؟ ان عبد الرحمن مات ابوه وهو صغير فكافله جده هشام صاحب الزيتونة ، فلعل الموضعين واحد ، فيكون عبد الرحمن قد لجأ الى موضع له سابق عهد فيه والله أعلم . او ان ذات الزيتون في جبل حوران المعروف اليوم بجبل الدروز .

فلسطين ، وأقام هو ومولاه بدر يتجسس الاخبار ، و يتنقل من موضع الى موضع ، الى ان دخل بلاد الاندلس . واليكم حديث خروجه من الشام ، يقصه بنفسه على مثال المذكرات السياسية اليوم . قال :

« لما أعطينا الامان ثم نكث بنا بنهر ابي فطرس ، وأبيحت دماؤنا ، اتانا الخبر ، وكنت منتبذاً من الناس فرجعت الى منزلي آيساً ، ونظرت فيما يصلحني واهلي ، وخرجت خائفاً حتى صرت الى قرية على الفرات ذات شجر وغياض ، فبينا انا ذات يوم وولدي سليمان يلعب بين يدي ، وهو يومئذ ابن اربع سنوات ، فخرج عني ثم دخل من باب البيت فزعاً باكياً فتعلق بي ، فجعلت أدفعه وهو يتعلق بي ، فخرجت لانظر ، واذا بالخوف قد نزل بالقرية ، واذا الرايات السود منحطة عليها ، واخ لي حديث السن يقول : النجاء فهذه رايات المسوّدة . فأخذت دنانير معي ، ونجوت بنفسي واخي ، وأعلمت أخواتي بتوجهي فأمرتهن ان يلحقنني مولاي بدراً .

وأحاطت الخيل بالقرية فلم يجدوا لي اثراً ، فأتيت رجلاً من معارفي ، وأمرته فاشترى لي دواب وما يصلحني ، فدلّ عليّ عبده العاملَ فأقبل في خيله يطلبني ، فخرجنا على أرجلنا هراباً والخيل تبصرنا ، فدخلنا في بساتين على الفرات فسبقنا الخيل الى الفرات فسبحنا ، فأما انا فنجوت والخيل ينادوننا بالامان ولا أرجع ، واما اخي فانه عجز عن السباحة في نصف الفرات فرجع اليهم بالامان واخذوه فقتلوه ، وانا انظر اليه وهو ابن ثلاث عشرة سنة . فاحتملت فيه ثكلاً ومضيت لوجهي فتواريت في غيضة أشبة ، حتى انقطع الطلب عني وخرجت فقصدت المغرب فبلغت افريقية » .

ثم ان اخته ام الاصبغ الحقته بدرا مولاه ومعه نفقة له وجوهر ، فلما علم به عامل افريقية وهو يومئذ عبد الرحمن بن حبيب بن ابي عبيدة الفهري ، لج في طلبه ، واشتد عليه ، فهرب منه فأتى مكناسة — وهم قبيل من البربر — فلقي عندهم شدة يطول ذكرها ، ثم هرب من عندهم فأتى نفزاوة — وهم اخواله — وبدر معه . قيل وخاص عبد الرحمن الى المغرب يحاول فيه ملكاً فلما أعياه الامر ورأى شدة عامله عبد الرحمن بن حبيب ، وما كان من فتكه بالعاص وعبد المؤمن ابني الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، رأى الاندلس أوسع لعمله ميداناً ، وأضمن منالاً ، لبعد الشقة ما بينها

وبين بغداد : دار الخلافة العباسية ، ولما بين اهلها من تنافس وشقاق . فرمى بهمته اليها .

وجه عبد الرحمن مولاه بدرا الى من في الاندلس من موالي المروانيين واتباعهم يدعوهم الى نفسه ، فاجتمع بهم ، وبثوا له في الاندلس دعوة ، ونشروا له ذكراً ، ووجهوا اليه مركباً مع وفد منهم وابلغوه طاعتهم له ، ورجعوا به الى الاندلس .

جاز صقر قريش — وهو اللقب الذي أطلقه عليه عدوه وابن عمه المنصور العباسي — البحر الى الاندلس . وما لبث ان سار الى قرطبة فاتخذها له عاصمة ، وجعل يقاتل من نازعه ، ويقضي على من خالفه ، وبعد قتال شديد ، وفتن متطاولة ، تمت له الغلبة على جميع من ناوأه : من عرب وإسبان ، وظهر على جيشي المغرب والفرنجة اللذين قاتلاه نصرة للعباسيين ، او بحجة النصرة لهم .

وناجته نفسه حيناً من الزمن بالزحف على بغداد ، وانتزاع الخلافة من العباسيين ، كما انتزعوها من قومه ، وهمّ بذلك لولا ان شغله الاسبان ، والفرنجة ، والخارجون عليه ، يمدهم العباسيون بالمال والرجال .

والذي ساعد عبد الرحمن على امره ، وأعانه على ما كان فيه من خلق الرئاسة الموروثة ، وأسبابها المكتسبة عوامل اربعة :

الاول : ما أنفذته اليه اخته من المال .

الثاني : اتباع الأمويين ومواليهم ، الذين كان يؤلمهم ان يذهب الملك من أصحابهم بني أمية ، لهوى لهم معهم ، او لعصبية كانت لهم فيهم .

الثالث : اليمانية المغاضبة التي تغلبت عليها القيسية فسلبتها حقها من الولاية ووترتها وتراً مضاضا .

الرابع : استعانته بالموالي والبربر الناقمين لاستئثار العرب دونهم بالحكم والرئاسة .

جمع عبد الرحمن هذه القوى اليه ، بدهائه ومضاء عزمه ، حتى تم امره ، وانقادت اليه الاندلس قاصيها ودانيها ، على شرتها وعرامها . وليس من شيء يدلك على اناة الرجل وسعة حيلته ، وصبره على ما يكره ، مثل ان يدعو للعباسيين على منابر بلاد غلب ولاتهم عليها ، بعد حروب حمي وطيسها ، وبعد ان كان من أفاعيل العباسيين بقومه مايضيق عنه حلم الحليم . لم يقطع لبني العباس خطبة الا بعد ان تم له الاستقلال .

ولي عبدالرحمن الحكم ٣٢ سنة وكان فصيحاً لسناً ، عالماً شاعراً ، حليماً حازماً ، سريع النهضة في طلب الخارجين عليه ، لا يخلد الى راحة ، ولا يسكن الى دعة ، ولا يكل الامور الى غيره . شجاعاً مقداماً ، بعيد الغور ، شديد الحذر ، سخياً جواداً .

ومن شعره وقد نظر الى نخلة منفردة بالرصافة وقيل انه هو زارعها فقال :

تبدت لنا وسط الرُصافة نخلة تناءت بارض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى وطول التنائي عن بنيّ وعن اهلي
نشأت بارض انت فيها غريبة فمثلك في الاقصاء والمنتأى مثلي
سقتك غوادي المزن من صوبها الذي يسيح و يستمري السماكين بالوبل

ومن قومه يتشوق الى معاهده بالشام :

ايها الراكب الميم ارضي أقر من بعضي السلام لبعضي
ان جسمي كما علمت بارض وفؤادي ومالكيه بارض
قدر البين بيننا فافترقنا وطوى البين عن جفوني غمض
قد قضى الله بالفراق علينا فعسى باجتماعنا سوف يقضي

وخلف عبد الرحمن ابنه هشام بعهد منه اليه ، وكان هشام ذا رأي وشجاعة عادلاً ممدوحاً يذهب بسيرته مذهب عمر بن عبد العزيز — و يبث عيونه يتسقطون له شكاوى الناس ومظالمهم فيُشكيهم ، غير ان اخويه سليمان وعبد الله شاقاه وخرجا عليه فقاتلهما حتى تغلب عليهما .

وشق عليه عصا الطاعة غيرهما ، منهم سعيد بن حسين الانصاري بطرطوشة ، ومطروح بن سليمان بن قيظان ببرشلونة ، وغيرهما في غيرهما ، فغلبهم كلهم . وجاء بعد هشام ابنه الحكم سنة ١٨٠ فكانت مدة ولايته ستاً وعشرين سنة تعاظمت فيه الفتن وقام عليه ايضاً عماه ، سليمان وعبد الله ، صاحبا الفتنة ايام ابيه ، واستنصر عبد الله شارلمان ملك الفرنجة فكان اليه سريعاً . وهو الذي كان لا ينى يعمل على ايقاد النار في بلاد المسلمين . وانتهى الامر بان تغلب الحكم على معظم المصاعب التي واجهته ، اوقع باهل قرطبة ، و باهل طليطلة ، و باهل ماردة ، ورد غارات الفرنجة عن بلاده ، واعتدى عليهم باشد مما اعتدوا عليه ، وفتك بهم فتك عزيز مقتدر . فعاد الامن الى نصابه .

وأحاديثه بالفتك وسفك الدماء طويلة مستفيضة . ومما يدل على نجدته وبطشه ، انه لما كثرت عليه الفتن الداخلية ، واشتغل بعصيان اهل ماردة ، طمع الفرنج في ثغور المسلمين فقصدوها بالغارة والقتل والنهب والسبي . فأتاه الخبر بشدة وطأتهم . وقيل ان العباس الشاعر كان قد مرّ بوادي الحجارة فسمع امرأة تقول : وا غوثاه بك يا حكم ! لقد أهملتنا حتى كلب العدو علينا ، فأيمنا وأيتمنا . فسألها عن شأنها فقالت : كنت مقبلة من البادية في رفقة ، فخرجت علينا خيل عدو فقتلت وأسرت . فنظم العباس قصيدة يعرّض فيها بذلك وأنشدها الحكم وأخبره بأمر المرأة . فجهز الجيوش وخرج غازياً ، وقصد الناحية التي أقبلت منها تلك الخيل ، وأتى بالأسرى فذبحهم بحضرة تلك المرأة وأهل بلدها . وقال للعباس قل لها : هل أغاثها الحكم ؟ فقالت لقد شفى الصدور ، ونكى العدو ، وأغاث الملهوف . فأغاثه الله ، واعز نصره . فارتاح لقولها وبدا السرور في وجهه وأنشد :

ألم تر يا عباس اني أجبتها على البعد أقتاد الخميس المظفرا
فأدركت اوطاراً وبردت غُلة ونفست مكروباً واغنيت معسرا

وعلى الجملة فقد كان عهد الحكم عهد فتن متصلة ، وفي ايامه كانت وقعة الربض فنسب اليها ، ووقعة الحفرة . وكان على صرامته وبطشه مستهتراً يميل الى اللهو والصيد ، ويؤثر مجالس المغنين والشعراء ، على مجالس العلماء والفقهاء ، وهو اول من استكثر من المماليك بالاندلس وأظهر فخامة الملك وأسرف في تأييد هيبته . ارتبط الخيل على شاطيء النهر قبلي قصره ، الفي فرس . وبلغت مماليكه خمسة آلاف ، وكان يسميهم الخرس لعجمتهم . وتشبه بالجبابرة ، وكان يباشر الامور بنفسه ، فأنكر عليه الفقهاء استهتاره واهاجوا العامة عليه ، فشدد هو عليهم بمنعهم ان يداخلوه في اموره ، ونكبهم وأجلى جمهوراً منهم عن الجزيرة .

وكان الحكم مع هذا عادلاً جواداً ، فصيحاً شاعراً ، يقرب اهل الفضل ، ويؤاسي اهل الحاجات ، ويشبّه بابي منصور في شدة الملك ، وتوطيد الدولة وقمع الاعداء .

ثم ولي الامر عبد الرحمن الأوسط سنة ٢٠٦ فكانت مدته ثلاثين سنة . ولم تكن ولايته أقل اضطراباً وفتناً من ولاية ابيه الحكم . وكان هو لايقل عنه بأساً وسطوة .

صرف همه لاخماد الفتن داخل بلاده ، ورد غزوات الافرنج ، فكان منصوراً في اكثر الحروب التي كانت بينه وبين العرب ، وعماله ، والاسبان ، والافرنسيس ، والنرمنديين المعروفة غزواتهم عند العرب بغزوات المجوس . فتغلب على اعدائه كافة بعد جهد جاهد وقتال متطاول .

وكان عبدالرحمن أديباً شاعراً عالماً بالشريعة ، وغيرها من علوم الفلاسفة . وكثرت عنده الأموال فصرفها في العمارة .

واخذت الامور بعد عبد الرحمن بالضعف ، فاضطرب الأمن ، ونجمت قرون الفتن في ثغور الاندلس ، واشتعلت الثورات في جوانبها ، حتى كادت تعمها فتلتهمها بجماتها ، لولا ان قيض الله لهذه الجزيرة عبدالرحمن الناصر ، ففقأ عين الثورة ، ونظم عقد الدولة ، وأعاد الجزيرة سيرتها الاولى ، ايام جديه : وسميّيه عبد الرحمن الاوسط ، وعبد الرحمن الداخل .

موقف الاسبان : قوّت هذه الفتن من عزائم الاسبان ، وزاد في الامر نصرة الافرنج لهم ، واستنصار بعض الامراء بهم ، فكثر اعتداؤهم على الاندلس العربية ، وعملوا على التدخل في سياستها الداخلية ، ينصرون الأمير الأموي على اخيه الأموي ، والعامل على اميره . وعلى الجملة فقد كانت نصرتهم للثورة على السلم ، وللفوضى على النظام . فاسترجعوا من جراء ذلك قسماً كبيراً من ولاية قطالونية .

الحضارة والعمران : لم يصرف عبد الرحمن ما عاناه من الفتن والحروب ، وتأسيس الملك ، عن اعمال الحضارة والعمران . فلقد أنشأ المدارس ، ودور الكتب ، شحنها بالمؤلفات النفيسة . وبنى الحدائق الغناء ، منها الرصافة تشبهاً بجده هشام الذي بنى الرُصافة بالشام . وبنى مسجد قرطبة الاعظم « وكان معبداً للفيزقوط ملكه المسيحيون واخذ المسلمون نصفه . ولما شرع عبد الرحمن في بنائه ابتاع النصف الآخر[1] » فعاجله الموت عن إتمامه .

وأطلق الحرية للنصارى بدينهم ، وكتب لهم عهداً بذلك . .

(١) غرائب الغرب للاستاذ محمد كرد علي .

واما هشام بن عبد الرحمن فقد أتم مسجد قرطبة الذي شرع فيه ابوه ، وبنى عدة مساجد غيره ، وجدّد قنطرة قرطبة التي كان عقدها السمح الخولاني .

وجند الحكم الأجناد ، وجمع الاسلحة ، واستكثر من الحشم والحواشي .

واما عبد الرحمن الأوسط فقد كان عصره عصراً زاهياً زاهراً بالحضارة والعلم ، وبكل فن من فنون الأدب . وأحدث أشياء لم يكن للبلاد سابق عهد بها . شاد القصور الفخمة والمتنزهات ، وجاء اليها بالماء العذب من الجبال ، وبنى المدارس والجوامع الكثيرة ، ومهد الطرق ، ونظم الشوارع ، وأقام بها الجسور ، وجمع اليه ذوي الشهرة من شعراء العرب وذوي الفضل منهم .

واليه وفد زرآب المغني معلم ابراهيم الموصلي فأورث صناعة الغناء بالاندلس .

ويعترف الاروبيون انه لم يكن في زمانه دار ملك كدار ملكه أبهةً ومجداً [1] .

عارف النكدي

---

(١) دائرة المعارف العربية للبستاني .

صلة العلم

« بين دمشق وجبل عامل »

— ٣ —

(٢) الشيخ عز الدين حسين بن شمس الدين محمد بن محمد بن ابراهيم الحسام العاملي الدمشقي :

هكذا جاءت نسبته في امل الآمل وفي اجازة فخر الدين بن العلامة الحسن بن المطهر الحلي له . وكان قد قرأ عليه وهو معاصر للشهيد .

وفي امل الآمل ذكر ترجمة اربعة رجال من علماء عيناثا احدى قرى جبل عامل الجنوبية ينتسبون الى الحسام ولم أتحقق انتسابهم اليه ولا مشاركتهم له في عمود نسبه .

اما صلته العلمية بدمشق فحسبك دليلاً عليها انتسابه اليها .

من علماء المائة التاسعة :

(١) الشيخ تقي الدين ابراهيم بن علي بن الحسن بن محمد بن صالح بن اسماعيل العاملي الحارثي الكفعمي [١] مولداً . واللويزي [٢] محتداً . والجبعي [٣] اباً . والحارثي منسباً . والتقي لقباً . والامامي مذهباً .

هكذا انتسب في آخر كتابه المصباح . ترجمه الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي في امل الآمل . والشيخ يوسف البحراني في كتابه لؤلؤتي البحرين . والشيخ احمد المقري

---

(١) قال المقري والكفعمي نسبة الى كفرعيما من قرى اعمال صفد كما تقول في النسبة الى عبد الدار عبدري والى حصن كيفا حصكفي . وقال في الروضات وكفعم على وزن زمزم قرية من قرى جبل عامل كاللويزة وجبع . ونقل عن العلامة البهائي ان الكفر على لغة جبل عامل بمعنى القرية وعيما اسم رجل لقرية هناك والمعروف ان قرية كفعم كانت عامرة منذ مائة وستين سنة وهي من قرى الشقيف على غلوة سهمين من قرية جبشيت وثلاثة أميال من النبطية وقبره معروف فيها وهي اليوم خربة .

(٢) نسبة الى اللويزة من اعمال جزين . (٣) نسبة الى جبع من اعمال النبطية اليوم وكانت قاعدة اعمال التفاح سابقاً .

الاندلسي في كتابه نفح الطيب . وكلهم اثنوا على أدبه وعلمه ووصفوه بطول الباع وسعة الاطلاع .

ومن أساتذته الشيخ زين الدين علي بن يونس العاملي النباطي[1] البياضي[2] والشيخ شمس الدين محمد بن زين الدين علي بن شمال العاملي المشغري وكانت قراءته على الثاني سنة ٨٤٨ .

اما صلته العلمية بدمشق فلم اجد من مترجميه من صرّح بها كما انهم لم يصرحوا بذكر ايام تحصيله . واسماء شيوخه الذين اخذ عنهم العلم . والبلاد التي ارتحل اليها في طلبه اللهم الا نتفاً ذكرت في ترجمته لا ترتاح اليها نفس المؤرخ شأنهم في جل ما كتبوه في معاجمهم التي هي مجموعة فهارس وجريدة اسماء وكنى والقاب . وعذرهم ان غرضهم مما كتبوه في الغالب يتمحض لحفظ سلسلة الاجازة لا للتاريخ .

ومن تضاعيف تلك المعاجم وقفت على اسمي شيخيه اللذين ذكرتهما آنفاً وهما لم يذكرا في ترجمته واذا لم نقف على تصريح برحلته الى دمشق لاخذ العلم عن شيوخها فانا نستفيد مما ذكره العلامة الشيخ احمد المقري في الجزء الرابع من ص ٣٩٥ الى ص ٣٥٨ من كتابه نفح الطيب من التعريف به . وايراد نبذة من نظمه ونثره . ومنها رسالته الى قاضي القضاة ابي العباس ابن الفرفوري انه كان على صلة حسنة بعلماء دمشق . واليك محل الحاجة مما جاء بنفح الطيب :

« ومن بدائع الكفعمي رسالة كتب بها الى قاضي القضاة العالم العلامة ابي العباس ابن الفرفوري في شأن استادار قاضي القضاة المذكور الامير علاء الدين[3] ويخرج من اثنائها قصيدة منها[4] . والكفعمي برسالته شفيع بالاستادار الى قاضي القضاة . وفي

(١) نسبة الى النبطية البلد المعروف على غير القياس . (٢) نسبة الى قرية البياض من قرى صور الساحلية . (٣) هو علي بن فخر الدين ولم أعثر له على ذكر في غير هذا الكتاب . (٤) ومن القصيدة هذه الابيات :

وينهي الى قاضي القضاة بان ذا علي بن فخر الدين في امركم مرضي
ومدحكم فرض يراه لسانه وحبكم اياه شاهده يقضي

اتخاذ الاستادار له شفيعاً به الى قاضي القضاة الذي كان يتولى اكبر منصب في دمشق وبيته في ذلك الوقت من أعرق بيوتات العلم والجاه فيها [1] دليل على مكانة الكفعمي الادبية في ذلك البلد الطيب مضافاً الى توثق عرى المودة والأدب بينه وبين قاضي قضاتها ٠

وفي كتاب روضات الجنات ما محصله : ان خازن المكتبة العلوية الغروية اباح للكفعمي مدة من الزمن الاطلاع على نفائس كتبها النادرة الجليلة والاستفادة منها فكانت لمؤلفاته منهلاً فياضاً غزير المادة حتى قال المقري وهو حافظ الاندلس في وقته « وما رأيت مثله في سعة الحفظ والجمع » واورد له أبياتاً من نظمه اقتبس فيها اسماء بعض الكتب وعقبها بقوله « وا كثر هذه الكتب التي ورّى بها غير موجودة بايدي الناس ولا معروفة لديهم وهذا دليل على صحة اطلاعه » ٠

ومن مصنفاته رسالة محاسبة النفس اللوّامة وهي الرسالة التي نشرها صديقنا العلامة عيسى اسكندر المعلوف في بعض مجلدات آثاره ٠

حديث سواكم لا يمر بقلبه وان مر لا يحلو وحكمكم يمضي
يتيه به من في القبيلات عزة لخدمته اياك يا قاضي الارض
فان يك في أفعاله او مقاله عصاكم فعين العفو عن ذنبه تغضي

(١) قال ابن شاشو في كتاب تراجم اعيان دمشق واصفاً هذا البيت « بيت بالرآسة مشهور ٠ وفي قديم الكتب مذكور ٠ اكثره قضاة وصدور ٠ ولعفاة المجد به ورود وصدور » ٠ وقال البديعي في كتابه ذكرى حبيب في ترجمة الشيخ احمد بن محمد « هو من ذوي الحسب والعراقة ٠ وارباب اللسن والطلاقة ٠ وآباؤه صدور الدروس ٠ وزينة الازمنة والطروس » ٠ وترجم المحبي من رجاله اربعة : الاول الشيخ احمد بن محمد المتوفى سنة ١٠٣٧ الثاني الشيخ عبدالوهاب وترجمه ابن شاشو توفي سنة ١٠٧٣ الثالث الشيخ محمد بن محمد المتوفى سنة ١٠٢٢ الرابع ولي الدين بن احمد بن محمد المتوفى سنة ١٠٧٢ ٠ وفي خطط الشام ذكر عبد الرحمن بن فرفور المتوفي سنة ٩٩٢ وابن شاشو ذكر احمد بن ولي الدين وابن معصوم في سلافته الشيخ مصطفى ٠

لم اجد من مترجميه من تعرض لتاريخ وفاته والراجح انه توفي في آخر العقد العاشر من المائة التاسعة .

من علماء المائة العاشرة :

(١) لامام الشيخ زين الدين بن علي بن احمد بن محمد بن جمال الدين بن تقي الدين ابن صالح تلميذ العلامة الحسن بن المطهر بن مشرف العاملي الجبعي الملقب بالشهيد الثاني[١] وفي بعض كتبه زاد على نسبته النحاريري[٢] وصاحب روضات الجنات الطاوسي[٣].

كان نسيج وحده في استجماع الفضائل . والحرص على تحصيل العلوم والفنون والرحلة في طلبها الى اكابر الشيوخ من الفريقين السنة والشيعة . وامام عصره في التحقيق وكثرة التصنيف والتأليف مع الاجادة حتى بلغت مصنفاته مابين مطول ومختصر ستين كتاباً . وما كتبه بخطه من الكتب مائة كتاب وشرح جل كتب الشهيد الاول في الفقه . ومن اولياته بين العلماء الامامية انه اول من مزج في شروحه الشرح بالمتن وهي الطريقة التي استفادها من شراح علماء السنة ولم تكن معروفة عند علماء الامامية . واول من صنف في الدراية .

ترجم نفسه ترجمة مطولة مفصلة ممتعة تبتدئ بتاريخ ولادته . وتنتهي باول سني محنته . وهذا ملخصها :

---

(١) لقب بذلك تمييزاً له عن الشهيد الاول الآنف الذكر الذي اطلق عليه هذا اللقب بعد مقتل صاحب الترجمة . (٢) نسبة الى النحارير وهي من قرى جبل عامل الجنوبية الدارسة . والمظنون ان موقعها في الارض المسماة في هذه الايام بوادي الشعار ير على بعد ميلين من قرية ميس . وذكرها الشيخ محمد الحيساني (نسبة الى قرية بني حيان من عامل الجنوبي) في مقطوعتين من شعره فقال في احداهما :

حييت ياشام من شام ومن وطن ولا تعداك جون المزن يا وطني
وان اكن قاطناً ارض العراق ففي ارض النحارير لي قلب بلا بدن

(٣) والراجح انه محرف عن الطلوسي نسبة الى طلوسة وهي من قرى جبل عامل الجنوبية على مقربة من ميس وارض النحارير .

ولد سنة ٩١١ وختم القرآن الكريم سنة العشرين · وقرأ على والده اوليات العلوم الى سنة ٢٥ وفيها توفي والده فارتحل الى مدرسة ميس الكبرى وانتقل منها سنة ٩٣٣ الى كرك نوح · وعاد الى وطنه جبع سنة ٩٣٤ وسنة ٩٣٧ رحل الى دمشق فقرأ على محمد بن مكي[1] من الطب شرح الموجز النفسي · وغاية القصد في معرفة الفصد من مصنفاته · وفصول الفرغاني في الهيأة · وبعض حكمة الاشراق للسهروردي · وعلى الشيخ احمد بن جابر الشاطبية في علم القراءة والقرآن بقراءة نافع وابن كثير وابي عمرو بن عاصم · وعلى الشيخ شمس الدين بن طولون الدمشقي الحنفي[2] جملة من الصحيحين وأجازه روايتهما مع مايجوز له روايته بمدرسة السليمية في الصالحية · وسنة ٩٣٨ رجع الى بلده جبع · وسنة ٩٤٢ هاجر الى مصر وحضر حلقات دروس اربعة عشر عالمًا من مشاهير علمائها في مختلف العلوم[3] ومنها سافر الى الديار الحجازية سنة ٩٤٣ لتأدية فريضة الحج بصحبة الشيخ ابي الحسن البكري احد شيوخه · وعاد سنة ٩٤٤ من الحجاز الى وطنه · وسنة ٩٤٥ سافر الى العراق ثم آب الى بلاده · وسنة ٩٥١ شخص الى قسطنطينية يصحبه تلميذاه الشيخ حسين بن عبدالصمد الهمداني[4] الجبعي والد العلامة البهائي والشيخ محمد بن العودي الجزيني[5] وبعد مكثه بها مدة ثلاثة اشهر ونصف موفور الحرمة عند علمائها ذوي الولايات

---

(١) كان عالمًا بالطب والهيأة والهندسة ذكره ابن العودي وصاحب امل الآمل وصاحب خطط الشام توفي سنة ٩٣٨ · (٢) من أعيان علماء دمشق في المائة العاشرة نحوي فقيه محدث مؤرخ له مصنفات كثيرة في التاريخ على اختلاف ضروبه توفي سنة ٩٥٣ — عن خلاصة الاثر · (٣) ذكر اسماءهم بالتفصيل مع وجيز من وصف فضلهم واحوالهم في ترجمته وقد اجازوه كلهم · (٤) تخرج بالمترجم له وأقام مدة في بعلبك وبها ولد ولده العلامة البهائي · ثم سافر الى خراسان بعد ان درس مدة في مدرسة حلب التي فوض اليه التدريس فيها · وأقام مدة في هرات · ثم انتقل الى البحرين وبها توفي سنة ٩٨٤ وله مؤلفات في مختلف العلوم وديوان شعر · وقد أجازه شيخه المترجم له اجازة عامة (٥) كان مرافقًا لصاحب الترجمة في الحل والترحال وقرأ معه في دمشق الصحيحين على الشيخ شمس الدين بن طولون الآنف الذكر وأجازه بروايتهما وصحبه الى مصر والعراق

الدينية الكبرى وحصوله على براءتين من السلطان سليمان العثماني احداهما له بالتدريس في المدرسة النورية في بعلبك . والثانية لتلميذه الشيخ حسين بن عبدالصمد في احدى مدارس حلب غادرها وقدعرج في طريقه على العراق . وسنة ٩٥٣ قفل الى البلاد وباشر التدريس في المدرسة النورية البعلبكية التي فوضت اليه ولاية التدريس بها . يدرس في المذاهب الخمسة . ويعلم كثيراً من الفنون . ويصاحب اهلها على اختلاف آرائهم احسن صحبة . ويفتي اهل كل مذهب بما يوافق مذهبهم . وهو بين الجميع نابه الذكر . علي القدر . وافر الحرمة . ثم فارقها مختاراً غير مبخوس الوزن الى بلده جبع . فانصب فيه على الدرس والتصنيف . عازفاً عن الدنيا وزخارفها . مرتفقاً مع انصبابه على العلم بما يبلغه الكفاف والعفاف الى سنة ٩٥٥ التي انتهت بها ايام امنه . وابتدأت ايام مخاوفه من الاعداء تدبر له المكايد . وتلفق فيه المحاضر . وظاهر حاسديه عليه بعض ولاة السوء من الحشو بين ولم يثنه ذلك كله عن التصنيف حتى انه صنف شرحه على اللمعة الدمشقية بمجلدين كبيرين في مدة ستة اشهر وهو مستتر عن العيون والارصاد بظلال الاشجار وهذا الشرح جاء من خيرة كتبه .

ولما جدّ به الطلب ولم تغفل عنه عيون الوشاة فر الى الحجاز فلحق به رسول السلطان وقبض عليه وجاء به حتى اذا اقترب من قونية قتله باشارة بعض الجهلة وحمل برأسه الى السلطان فأنكر فعلته وجازاه بالقتل بسعي صديق صاحب الترجمة السيد عبد الرحيم العباسي مفتي قسطنطينية وصاحب كتاب معاهد التنصيص .

وروى بعض مترجميه ان اصدقاءه الكثيرين من دمشق وغيرها من علماء وقته كتبوا يستشفعون به الى السلطان حين جد به الطلب وكان مقتله سنة ٩٦٥ .

* * *

وقسطنطينية وبعلبك مدة اقامته بها وكتب رسالة خاصة في ترجمة أستاذه ضم اليها ما كتبه عن نفسه . وما تجدد له من الحوادث وعدد مصنفاته . وذكر تلامذته وولده ولم يدع شاردة ولا واردة من احواله الا وقد ذكرها وله شعر متوسط ورثى أستاذه بقصيدة مطولة .

علماء المائة الحادية عشرة :

(١) الشيخ جمال الدين ابو المنصور الحسن بن زين الدين الشهيد العاملي الجبعي الشهير بالشامي .

علم من أعلام هذه المائة وامام التحقيق . له التصانيف الجليلة الجامعة الى غزارة العلم بلاغة العبارة ومنها مقدمة معالم الدين وملاذ المجتهدين في علم اصول الفقه وهو كتاب نافع يدرس الى اليوم . وهو معدود في الطبقة الاولى بين شعراء وقته .

ترجمه المحبي والخفاجي وابن معصوم والحر العاملي والبحراني وحفيده الشيخ علي في كتابه الدر المنثور وكلهم أثنوا على علمه وأدبه . توفي سنة ١٠١١ في جبع وقبره معروف فيها الى اليوم .

(٢) ولده الشيخ محمد بن الحسن بن زين الدين الشهيد العاملي :

من اكابر علماء عصره المحققين له مصنفات جيدة في فنون من العلم . ونثر وشعر متوسط الطبقة . رحل رحلات الى مكة والعراق ولم يلبث في العراق الا قليلاً وغادرها الى مكة خائفاً يترقب من اعدائه الذين رمي بسهم من احدهم فأخطأه ولم يزل مجاوراً بها الى ان توفي سنة ١٠٣٠ .

كان في عهد اشتغاله بالعلم يذهب الى دمشق ويقيم بها ويختلط بفضلائها ويصاحبهم ويعاشرهم أحسن عشرة . وقرأ عندهم في علوم شتى . ومن جملة شيوخه الشيخ شرف الدين[1] الذي كان يقول اذا انتهى اليه التحكيم بما كان يجري بينه وبين تلامذته من المناظرة « يا اخواني لا غبر في وجه الحسان » يعني بذلك صاحب الترجمة وكان هو والشيخ محمد بن الحرفوش من تلامذته . وكان من زهاد عصره ومما رواه عنه ولده الشيخ علي في كتابه الدر المنثور انه رد صلة صديقه الامير يونس حاكم بعلبك في ذلك الوقت وهي صلة لا يستهان بها تورعاً كما رفض التماس بعض ملوك عصره حضوره اليهم للاستفادة

(١) احد أفاضل دمشق المشهورين بالفضل التام وكان متبحراً ذا فنون كثيرة اقرأ الكثير وضبط وقيد وجلس مجلس التدريس ونفع كثيراً من الافاضل اخذوا عنه وانتفعوا به توفي سنة ١٠٣٨ (عن خلاصة الاثر) .

من علمه تجنباً للظهور . وابتعاداً عن رجال الدنيا .

(٣) اخوه الشيخ زين الدين بن محمد بن الحسن بن زين الدين الشهيد العاملي :

ذكره غير واحد من رجال المعاجم كالحر العاملي والمحبي وابن معصوم والبحراني واخوه في كتابه الدر المنثور وكلهم أطروا علمه وادبه .

سافر الى بلاد العجم وقرأ مدة على العلامة البهائي وبعد وفاته ارتحل الى مكة ومنها الى بلاده ثم رجع الى العجم لامر اقتضى ذلك وعاد الى بلاده سريعاً ومنها سافر مرة ثانية الى مكة وفيها توفي سنة ١٠٦٤ .

وشعره معدود في الطبقة الاولى بين شعراء عصره ولم يؤلف كتاباً مدوّناً لشدة احتياطه ومخافة الشهرة وليس له الا فوائد وحواش كثيرة غير مدوّنة بكتاب .

(٤) الشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني العاملي الشهير بالبهائي :

من أقطاب العلم وأشهر رجال الفنون في هذه المائة وهو اعرف من ان يعرف وله مصنفات في اكثر العلوم المعروفة تجنب فيها التطويل .

سافر ابوه به الى العجم وهو ابن سبع سنين . ثم انتقل به الى البحرين وفيها توفي فعاد صاحب الترجمة الى بلاد العجم وأقام في اصفهان فأكرم الشاه عباس الصفوي وفادته وولاه مشيخة الاسلام . وتخلى عن ذلك الى السياحة في الآفاق مدة ثلاثين سنة . وزار مصر ودمشق وحلب والقدس . واجتمع بمحلة الخراب باديب دمشق في ذلك الوقت الشيخ حسن البوريني فظهر له من غزارة علمه وتحقيقه ما بهره وترجمه كما ترجمه المحبي ترجمة مطولة والحر العاملي والبحراني وابن معصوم والخفاجي والطالوي في سانحاته والمنيني في مقدمة شرحه لقصيدته . توفي في اصفهان سنة ١٠٣١ ودفن في المشهد الرضوي .

(٥) الشيخ حسن بن علي بن حسن بن احمد بن محمود العاملي الكونيني الشهير بالحانيني [١] :

---

(١) نسبة الى كونين وحانين وهما قريتان متجاورتان من قرى عاملة الجنوبية وعلى ضعة اميال من تبنين .

انتقل ابوه الشيخ علي وهو من العلماء من المدينة الى جبل عامل فكان له فيه خلف صالح . ولصاحب الترجمة بعض المؤلفات الادبية والتاريخية وديوان شعره . واثنى عليه المحبي وقال بعد ان وصفه بالفضل والادب « وكان مقيماً ببلده بيت حانيني[1] من ضواحي صفد . وافى مرة في حياة الشهاب احمد الخالدي[2] » .

وترجمه الحر العاملي في امل الآمل توفي سنة ١٠٣٥ .

(٦) الشيخ محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين الحر العاملي المشغري .

الامام المحدث الكبير له مؤلفات كثيرة جلها في علم الحديث وشعره الكثير متوسط الطبقة بالنسبة الى شعراء زمانه .

ترجم نفسه في كتابه أمل الآمل وترجمه ابن معصوم والبحراني والمحبي ترجمة مطولة .

سافر الى بلاد العجم وأقام في طوس وبها توفي سنة ١٠٧٩ .

(٧) الشيخ محمد بن علي بن محمود بن يوسف بن ابراهيم الشامي العاملي المشغري[3] .

امام القريض والادب في وقته وشعره مطبوع نقي الديباجة رحل الى الهند وأقام فيها مديدة بكنف الامير نظام الدين احمد بن الامير معصوم الحسيني . وبه تخرج في كثير من الفنون والآداب ولده السيد علي بن معصوم صاحب السلافة . وقد اطنب بمدحه في سلافته . وترجمه المحبي والحر العاملي .

توفي في الهند سنة ١٠٩٠ ونيف بعد تنقلات واسفار في العجم والحجاز .

(٨) السيد جمال الدين بن نورالدين علي بن ابي الحسن الموسوي العاملي الجبعي .

هكذا جاءت نسبته في امل الآمل . وفي خلاصة الاثر « السيد جمال الدين بن نور الدين بن علي بن ابي الحسن الدمشقي » .

---

(١) تقدم التعليق على الحانيني وانه نسبة الى حانين وهي قرية عامرة معروفة بهذا الاسم خلواً من لفظ بيت . (٢) الشيخ احمد بن محمد بن يوسف الصفدي الفقيه الاديب الحنفي المتوفى في صفد سنة ١٠٣٤ والخالدي نسبة الى خالد بن الوليد الصحابي (رض) عن خلاصة الاثر . (٣) نسبة الى مشغرة من اعمال البقاع وفي خلاصة الاثر بدل المشغري الحشري وهو تحريف .

قال صاحب امل الآمل بعد ان وصفه بالعلم والفضل والتحقيق والشعر « وكان شريكنا في الدرس عند جماعة من مشايخنا » ·

وقال المحبي « قرأ بدمشق وحصل وحضر مجالس العلامة السيد محمد بن حمزة نقيب الأشراف فأخذ عنه من المعارف ما تنافست عليه فيه الآراء · هاجر الى مكة وابوه ثمة في الاحياء فجاور بها · ثم دخل الهند فحيدرآباد · وتقلبت به الايام الى ان توفي سنة ١٠٩٨ واخوه السيدعلي وهو من الشعراء واقام بمكة · وعنه اخذ المحبي ترجمة اخيه المترجم له ·

(٩) الشيخ محمد بن احمد المعروف بالحريري و بالحرفوشي العاملي الدمشقي اللغوي النحوي الاديب البارع الشاعر المشهور ·

« كان في الفضل نخبة اهل جلدته » هكذا عرّف به المحبي · وقال بعد ذكر مؤلفاته ·

قرأ بدمشق وحصل وسما · وحضر دروس العمادي المفتي وكان يجله و يشهد بفضله · ثم ذكر سبب مفارقته الشام الى العجم واتصاله بسلطانها الشاه عباس الصفوي الذي صيره رئيس العلماء في بلاده بعد ان كان خامل الذكر يصنع القماش المتخذ من الحرير ولهذا سمي الحريري الى غير ذلك مما لا محل لذكره ·

وهو مترجم في السلافة وامل الآمل وتراجم اعيان دمشق وفي السلافة بدل الحريري الحويزي وهو خطأ يوهم انتسابه الى الحويزة احدى كورالعراق · وزاد في امل الآمل على نسبته الكركي نسبة الى كرك نوح من اعمال البقاع على مقربة من زحلة · واكثر مترجميه نسبوه الى عاملة كما نسبوا العلماء الكركيين اليها متابعة لبعض المؤلفين الذين توسعوا بحدودها حتى ألحقوا بها بعلبك · وقد تقدم في بعض تعليقات هذا البحث تحديده المعروف · والذي أراه ان هذا التحديد المتوسع فيه هو تحديد ادبي ومذهبي لاجغرافي وسياسي لان الكرك وبعلبك لم تكونا من اعمال عاملة وهما منفصلتان عنها جغرافياً واقتصادياً وسياسياً قديماً وحديثاً ولكنهما متصلتان بها ادبياً ومذهبياً · واشتط الحر العاملي في هذا التوسع حتى عد في العامليين ابا تمام الطائي وابن منير الطرابلسي ورهطاً من العلماء الدمشقيين · وقد كانت له مندوحة عن هذا التوسع المخالف للمعروف من تحديد جبل عامل بان يضم تراجم الخارجين عنه الى القسم الثاني المخصص لغير العامليين من كتابه ·

توفي صاحب الترجمة سنة ١٠٥٩ ·

من علماء المائة الثانية عشرة :

(١) الشيخ علي بن محمد بن الحسن بن زين الدين الشهيد العاملي الاصفهاني ·

صاحب كتاب الدر المنثور من المأثور وغير المأثور وغيره من الكتب الممتعة · اودع في ذلك الكتاب تراجم آبائه مفصلة · وترجمة له مطولة · استقصت احوالهم · وشغفهم بالعلم من المهد الى اللحد · واحتمالهم مشاق الرحلة في طلبه واخذه عن شيوخه · وما منوا به من مصابرة محن الايام · ومكايد الحساد اللئام ·

لم يصف الزمان لرجال هذا البيت الذين ورثوا العلم كابراً عن كابر وكانوا حسنات عصورهم فالشهيد زين الدين وهو من اعلام المائة العاشرة يتصل بسلسلة النسب العلمي بستة آباء كلهم علماء اولهم الشيخ صالح بن شرف تلميذ العلامة الحسن بن المطهر الحلي من رجال المائة الثامنة · ومن الشهيد تسلسل العلم في بنيه واحفاده الى المائة الثانية عشرة ·

اما الشهيد وهو من اشهر رجال هذا البيت واعلم علماء الامامية فقد مات قتيلاً في قونية · وحفيده الشيخ محمد وولده الشيخ زين الدين فقد ماتا غريبين فراراً من الاعداء في مكة · والشيخ علي المترجم له واولاده الشيخ محمد والشيخ حسين والشيخ علي والشيخ محيي الدين ماتوا في اصفهان · وفيها مات ابن اخيه الشيخ علي بن زين الدين بن محمد ابن الحسن زين الدين الشهيد وكلهم من اكابر العلماء ·

وروى صاحب الترجمة في كتابه الدر المنثور من بعض نكباتهم احتراق الف كتاب من مكتبتهم وانه لم يحصل بعد العناء الشديد الا على مائة كتاب من الفي كتاب مما كان لهم امانة في دمشق وبعلبك وبلادهم ·

كتب المترجم له سبعين كتاباً بخطه ماعدا مؤلفاته الكثيرة ولد سنة ١٠١٣ وتوفي سنة ١١٠٣ وقد زرف على التسعين ·

من علماء المائة الثالثة عشرة :

(١) الشيخ ابراهيم بن يحيى المخزومي العاملي الطيبي [1] ·

من اعيان علماء عصره واكابر شعرائه المفلقين اخذ مبادئ العلوم في بلاده عن ابيه

(١) نسبة الى الطيبة ·

وعن علامة جبل عامل في وقته السيد ابي الحسن قشاقش جد أسرة آل الامين ثم هاجر الى بلاد العجم فأقام في اصفهان دار العلم في ذلك العهد مدة عشر سنين وآب الى وطنه عالماً متبحراً متفنناً شاعراً وله بعض المؤلفات وديوان شعره الذي يحوي اربعين الف بيت كما روى لي ذلك حفيده الشيخ عبد الحسين بن ابراهيم بن صادق بن ابراهيم المترجم له احد علماء هذا العصر وشعرائه المطبوعين ·

كان معاصراً لمشايخ آل الصغير الوائليين وآل صعب الايوبيين في ابان صولتهم وزهرة حكمهم الاقطاعي وله فيهم المدائح الحسان ·

ولما حدثت ١١٩٥ معركة بارون[1] بين جيش احمد باشا الجزار الكثيف والعامليين على حين بغتة وانجلت عن مقتل كبير مشايخهم نصيف النصار الصغيري الوائلي وانهزامهم اشتدت وطأة الجزار الثقيلة على البلاد وأمعن فيها جيشه الظافر بدمر حصونها وينهب أموالها و يسوم اهليها ضروب النكال والقتل والتعذيب وكان اشد البلاء مصبوباً على رؤوس العلية والعلماء ولم ينج منهم بعد استصفاء مكاتبهم الحافلة بنفائس الكتب[2] الا من كتبت له السلامة بالفرار · وكان صاحب الترجمة من البقية التي سلمت من سيف ذلك الغالب المنتقم فهبط دمشق وسكن في محلة الخراب · وصاهر أشراف آل المرتضى على احدى كرائمهم وكرائمه وطوى الشطر الأخير من صحيفة ايامه بين ظهرانيهم محترماً مكرماً · ولم يكن ذلك بالذي يسليه عما حل ببلاده من مظالم الجزار التي شاهد منها الكثير عن كثب بعينه · وما زال يتسمع وهو في دمشق من ألسنة الرواة فادح انبائها فنظم في الحنين اليها · والعطف عليها · قصيدته السائرة التي مستهلها :

من لي برد مواسم اللذات والعيش بين فتى وبين فتاة

ورجوع ايام مضين بعامل بين الجبال الشم والهضبات

---

(١) من قرى عاملة الجنوبية المتاخمة لحدود فلسطين الشمالية · (٢) على رواية بعض العامليين ان ما انتهب من مكتبة آل خاتون التي كانت تحوي اربعة آلاف مجلد ثلاثة آلاف مجلد ونيف فما بالك فيما انتهب من المكاتب الاخرى الكثيرة · وروى غير واحد ان أفران عكاء أوقدت سبعة ايام بكتب العامليين ما عدا الكتب التي استصفاها حاشية الجزار والتي وقفها على المسجد المنسوب اليه ·

وهي قصيدة طويلة من بارع شعره ومتخيره ٠

على ان حنينه الى وطنه المشرد عنه ٠ وتذكاره ايامه الخوالي وهو تحت سمائه مرفه الحال ٠ هادئ البال ٠ لم يقفا بقريحته الفياضة عن وصف دمشق جنة الارض وكل ما فيها وحيٌ وإلهام فقال :

ولما بلغت الشام صادفت جنةً بها الحور والولدان فذٌّ وتوأمُ
هي الغادة الحسناء ترقص فرحةً فيُنثر دينارٌ عليها ودرهمُ
تبختر في ثوب الغنى وهو مسبل وتختال في برد الهنا وهو معلَمُ
وانهارها تفترُّ عن درر الحصى ويُظهر مكنون الثغور التبسمُ
وكم روضة فيحاء قد نثر الحيا عليها فريداً قلما يتنظمُ
رياضٌ اذا هزّ النسيم غصونها تأوه مشتاقٌ وحنَّ متيمُ
وان اخرجت من كمها يانع الجنا تشارك فيه العين والأنف والفم
تبارك من اولي الشآم محاسناً غرائبها يمنٌ لمن يتشاءمُ
محاسنها شتى جليٌّ وغامضٌ وجوهرها في الحسن لا يتقسمُ
هي الدار نعم الدار لو ان عيشها يدوم ولكن الفناء محتمُ

ولد صاحب الترجمة سنة ١١٣٦ وتوفي بدمشق سنة ١٢١٢ قبل مهلك الجزار بخمس سنين ٠

أثر الصلة العلمية في البلدين :

ان من المستصعب جداً تحديد ما لهذه الصلة العلمية من الاثر في دمشق وجبل عامل وذلك لامور : (الاول) لان هذه الصلة لم تكن منتظمة لعدم انتظام الهجرة العاملية العلمية الى دمشق ٠ (الثاني) لان المظان التي يرجع اليها في هذا البحث مفقودة ٠ (الثالث) لسكوت المعاجم الدمشقية وغيرها عن ذكر رجال حلقتها الاولين من العامليين ٠ وحسبك انك لا تجد فيها ذكراً للشهيد الاول وهو اول من عرف بهجرته الى دمشق واول عامل على تحقيق هذه الصلة وما كان مجهول الفضل بدمشق في زمانه ومنزله كما عرفت ٠ كان لا يخلو من ترداد علمائها عليه ولم يكن مؤرخونا بالزاهدين بتدوين التافه منها فكيف يعرضون عن تدوين جليلها ٠

ان العامليين لم يكونوا باقل من الدمشقيين ملاماً في تركهم البحث عن هذه الصلة ٠ ومن العجيب ان نعرف للكفعمي صلته بدمشق من المقري الاندلسي ولا نعرفهـا من العامليين انفسهم وان نجهل المآخذ التي اعتمدها فيما كتبه عنه والمجهول لنا من تلك الصلات كثير ٠ ولعل هذه الحلقة من حلقات التـاريخ مما فقد مع المفقود وهو الكثير من ميراث البلدين العلمي ٠

ولئن عمّي علينا نبأ تلك الصلات فجهلنا أثرها فيهما منذ ابتداء تاريخها من المائة الثامنة الى المائة العـاشرة والحادية عشرة فان رجال معاجم هاتين المائتين ومنهم المحبي والشهاب الخفاجي وابن معصوم قد عرّفوا برهط علمي عاملي ممن ذكر في هذه الأطروحة ومن لم يذكر من رجالها ومنه يستفاد ما لهذه الصلة في ذين العصرين من التأثير البين في مستوى البلدين الأدبي ٠

ومن آداب جبل عامل ودمشق وماالبها من الديار الشامية مادة غزيرة لريحانة الشهاب الخفاجي وسلافة العصر لابن معصوم وغيرهما من غير المعاجم الدمشقية ٠

على ان اثر تلك الصلات أبين ظهوراً في جبل عامل منه في دمشق ٠ وبتأثير صلة الشهيد الاول بدمشق قامت مدرسة جزين مسقط رأسه ومقر بنيـه وذريته من بعده بتعليم منتظم مطبوع بطابع المدارس الدمشقية وأمهـا وفود العـلم من كل حدب وصوب وكانت مبدأ النهضة العلمية العاملية وقام على مثالهـا مدارس كثيرة في عرض البلاد العاملية وطولها ٠

ومشى الشهيد الثاني وبعض بنيه وكثيرون من جبل عامل على طريقة الشهيد الاول في تجديد عهد تلك الصلة فاخذوا عن شيوخ دمشق مختلف العلوم وما كانت هذه الصلة لتتوتر لولا تراجع العلم في البلاد وتواتر الفتن وتتابع المحن وانا لنرجو ان تتوثق عراها بين البلدين في هذا العصر الذي اصبحت فيه دمشق بعد شقيقتها مصر حافظة البقية الباقية مما ترك كر الغداة ومر العشي من تليد السلف الصالح وحاملة لواء العلم والثقافة والتجديد للامة العربية ورافعة منار فصحاها ومشذبة اصولها من الدخيل ورطانته بجامعها وجامعتها ومجمعها وعلمائها العاملين ٠

عضو المجمع العلمي

سليمان ضاهر

الكلمات غير القاموسية

جواب الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف

على اقتراح الاستاذ « المغربي »

تمهيد كُتِب لي الحظ في أوائل العمر ان أحضر مجالس الاستاذ العلامة المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي في بيروت في سنة ١٨٩٠ — ١٨٩٣ وكثيراً ما سمعت تصريحاته بشأن الألفاظ العربية ولغة الجرائد والتعريب ولغة الدواوين واللغة العامية ومحادثاته مع علمائنا اللغويين مثل الاستاذ الشيخ عبد الله البستاني والمرحوم الشيخ ابرهيم الحوراني وقرأت ما نشرته الصحف اذ ذاك بشأن وضع الفاظ للمدام والمدموازيل وجبني" وغيرها مما طال به نَفَس الكلام الى حد" يمل" منه القارئ ودخل في ميدان تلك المناظرات رهط كبير من علمائنا وأدبائنا حتى أفضى الامر في بعض الاحايين الى الخصام ورشق سهام اللوم والتعنُّت فخرج البحث عن الموضوع الأصلي الى المهاترة والمشاكسة شأننا في بعض الأوقات . فالأجدر بنا في مناقشاتنا هذه ان لانمس الشخصيات ولا نتعرض لمس" الحاسّات بل نقتصر على الأبحاث اللغوية .

وبناءً على تلك الحوادث الخارجة عن موضوع اللغة ضاعت الحقائق اللغوية في زوايا الاهمال .

ثم جاء بعض علماء المشرقيات يصدعون بوجوب كتابة اللغة العربية بحروف لاتينية . وبعضهم يشتغلون باللغة العامية وضبط لهجاتها في كل قطر مقترحين على الكتاب مجاراتهم في ذلك . وبعضهم أبدى آراء في التعريب وكتابة الأعلام مما ملأ الصحف أقوالاً متباينة .

فلبيت الطلب بكتابة مقالات مطولة في (اللغة العربية العامية) نشرتها في جريدة المنار البيروتية سنة ١٨٩٩ تطرقتُ فيها الى آداب العامية اشتقاقاً وصرفاً ونحواً وبياناً

وبديعاً وعروضاً وشعراً ونثراً وأساليب وامثـالاً ونعابير وما ساوق هذا مما اوحته الي القريحة وقادني اليه البحث .

ثم بعد ذلك اعتنيت بجمع اللغة العربية العامية في سورية ولبنان بمعجم كبير بينت فيه الاشتقاقات والتحريف والتصحيف والدخيل ورددت ما أمكن ردّه الى اصـله ووضعت لما ليس له كلمة عامية فصيحة ما يقابله من الفصحى . وراجعتُ كثيراً من الكتب البليغة وسللت منها الفاظاً استعملوها وهي ليست في المعاجم وأبنتُ تاريخها ومظانّ استعمالها الى نحو ذلك فكان لديّ كتاب ضخم لرد اللغة العامية والألفاظ غير القاموسية الى نصابها ووضعت كتاباً آخر سميته (تحفة المكاتب للمعرّب والكاتب) استعملتُ فيه طائفة من الأوضاع والمعرّبات والمصطلحات الكثيرة الدوران على الألسنة وهكذا كنت أنشر منها في مجلتي الآثار نتفاً بعنوان (ذخيرة الكتّاب) من هذين المخطوطين .

فبعـد هذه المقدمة أنتقل الى الموضوع فأجيب على الاقتراح مادة مادة ولعلي على هدىً في ما أروي الآن .

جواب الاقتراحات أجيب الآن على اقتراحات الرصيف الاستاذ « المغربي » بهذه المقالة :

(الصنف الاول) — لا بأس باستعمال ما جرت به اقلام الفصحاء والبلغـاء فـي كتاباتهم مثل ما بيّنه المقترح في مقالته ونزيد عليهـا مثل قول ابن بطوطة المغربي فـي رحلته (القبرية) التي سماها المبرّد (الشاهدة) وهي ما يوضع على القبر من الكتابة ونحوها ويسميها الافرنج (Epitaphe) وهي من كلمتين يونانيتين معناهما (على القبر) فكأنهـا ترجمة حرفية للكلمة الافرنجية .

ووضع ابن بطوطة ايضاً العرَبة للعجلة التي تقل الركاب .

ووضع ابن خلدون الهداية للغريزة الحيوانية (Instinct) والمعصار لما نسميه نحن المكبس وهو آلة لعصر الأشياء ويسميها بعض العامة المزمة وهو نوع آخر من المعصار . وفي تذكرة داود البصير الطبيب الانطاكي الفاظ استعملها مثل الأطرية لما نسميه نحن

بالرشتة وهي من الفارسية (رشته) اي خيط لشبهها بالخيوط والمصع لثمر العلّيق والجساد للزعفران والجرّي للانكليس السمك النهري الطويل المعروف وتسميه عامتنا حنكليس ايضاً والجامسة للفول · والدشيشة للحنطة المسلوقة التي يسميها الاتراك (بولغر) وتسميها العامة بالتحريف برغل · وقال عن الموميا انها يونانية والارجح انها حبشية بمعنى الطين وهو نوع من التراب اتخذ لحفظ الأجسام · وفي ماوقفت عليه وماقنيته من المخطوطات في فنون كثيرة اصطلاحات يمكن استخراجها لاستعمالها · الى غير ذلك مما وضعه الكتاب حتى عهدنا بالقياس او الاشتقاق او الاستخراج من ثنايا الكتب اللغوية وفي اوضاع المجامع العلمية في مصر ودمشق والمجلات والكتاب المحققين ما يعين على هذا الصنف ونشره ·

(الصنف الثاني) — دخل في قولنا في الصنف الاول استعمال المولدين والمتأخرين حتى المعاصرين وهو من التساهل في اللغة مثل نخيم ونخم الخ ·

(الصنف الثالث) — استعمل كثير من كتاب الانشاء والدواوين قبلاً ما استعمله زملاؤهم في عهدنا وهذا (قوانين الدواوين) لابن مماتي و (معالم الكتابة) لابن شيث القرشي و (كفاية الشروط) لاحدهم و (الأحكام السلطانية) للماوردي و (صبح الاعشى) للقلقشندي وأمثالها مشحونة بمثل هذه الاصطلاحات فما أمكن ايجاد مقابل له في القديم يكون استعماله اولى · وفي هذا التدرج اللغوي تاريخ لتطوّر الالفاظ وانتقالها بحسب حاجة العصر ومطّ الفاظ اللغة · ولقد عهد اليّ المجمع العلمي بنقل مثل هذه الاصطلاحات من كتب العرب ففعلت ولديّ منها مئات مثل مهندس العمائر لما يعرف عندنا باسم (معمر مهندس) والاحباس (للاوقاف المندرسة) · وصناعة العمائر (لانشاء المراكب) · والغيبانات لما يعرف عندنا (بجسم المعاش) وذلك لمن يغيب بدون عذر مشروع ودارالعيار لتصحيح الموازين الخ ·

(الصنف الرابع) — ان ما ولّده المتأخرون اذا كان له مرادف يؤدي معناه فالاولى العدول عنه ولاسيما اذا كان مشتركاً بمعان أخرى فماذا يضر اللغة استعمال (فاوض وكالم) عوض خابر · وترك المخابرة للمزارعة لفهم كتب العرب القديمة اوالمتأخرة ·

وان لم يكن له مرادف فيستعمل منه ما يحمل على القياس . فكلمة (الشرانق) لما ينسجه دود الحرير له مرادفات منها فيلجة وصيلجة جمعها فيالج وصيالج فلنترك (الشرنقة والشرانق) لسلخ الحية ونتخذ الاسمين لنسج الحرير تلك البيوض المشهورة ولنترك (الشاطر) للخبيث ونتخذ عوضها الحاذق وقس عليها .

(الصنف الخامس) — اما الكلمات الدخيلة فما يستطيع الكاتب ايجاد مرادف له يشترك معه ولو ببعض الوجوه فهو اولى مثل وضع المرحوم الشيخ سعيد الشرتوني كلمة القطار لعجلات السكة الحديدية . و (القاطرة) للوكوموتيف . ووضع المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي (المجلة) لما كان من الصحف بشكل كتاب و (الشاري) لقضيب الصاعقة و (الجرثومة) للميكروب و (الانبوبات) للباشلّس و (الشعرية) للفرشاة و (المحبّب) للغرانت و (الطلاء) للفرنيش و (الحَسَر) لقصر النظر الخ .

ووضع الشيخ المرحوم ابرهيم الحوراني (المجهر) للمكرسكوب و (المرقب) للتلسكوب و (الحوصلة) للكبسول الايطالية الاصل و (البخيري) للمدخنة و (الفوارة) للنوفرة و (المضأم) للأباجور .

ووضع المجمع العلمي في مصر (مرحى) لبراڤو و (مدره) للافوكاتو و (البهو) للصالون و (القفاز) للكفوف و (النمرة) لنومرو و (الوشاح) للكردون و (الطنف) للبلكون و (الحراقة) للتوربيد و (المرب) للكاوب .

ووضع احمد زكي باشا (السيارة) للاوتوموبيل وغيرها .

ووضع الاب انستاس الكرملي مئات من الالفاظ مثل المعلمة (للانسكلوبذية) وفي مقالاته الكثيرة غنيّ .

ووضع احمد تيمور باشا الارندج (للبويا) والطاقة (لباقة الزهور) والدريئة للغرض الذي يرمى عليه تمرناً في الاصابة والجوسق (للكشك) والجلبة (لقشرة الجرح) والوهين (لناظر العمال او مقدم الفعلة) واللفام (لليشمق) والسلاب (لثياب الحزن) والماصر (للحبل الحاجز في الطريق) والطيلسان (للشال) الخ .

ووضع مجمعنا العلمي (الهاتف) للتلفون وقد شاعت اكثر من غيرها كالمسرة والمقول ونشر بقية اوضاعه في هذه المجلة فليراجعها من شاء التوسع ٠

واذا لم يجد الباحث ما يناسب الأعجمي وكان خفيف اللفظ وصيغته تناسب الصيغ العربية فلا بأس بابقائه على اصله ٠

(الصنف السادس) — وهكذا القول في الأساليب والتراكيب الأعجمية فاذا كان لها ما يقابلها في اللغة الفصحى فالاولى استعماله لانه من أساليب العرب ومقررات لغتهم واذا كانت قريبة من مفهومنا ومما ندركه فلا بأس بها فمن تشابيه الفرنج قولهم (زحف القائد بجيشه على العدو متمشياً كالحريقة في الغابة) وقول فرجيل اللاتيني (إن قلب الاميرة مضطرب كخذروف مدار) مما مما ندركه ونألفه فلا بأس به وقد استعمله العرب ولكن قول فكتور هيكو الفرنسي (أجراس كثيرة تقرع كلها كأنها تئن من الموسيقى) وقولهم (جليد المرآة) اي زجاجها مما لا نألفه كثيراً او بالأحرى لا ندركه بالبداهة مثل الاول فهذا يمكن التعبير عنه بما يناسب أذواقنا ٠

ومثل قول وشنطن ايرفن الاميركي في كتاب يطوي مطالعه حواشي اوراقه قليلاً ليراجع ما استحسنه في صفحاته : (ان كتبه كلها آذان كلاب) وهذا ليس بقريب من فهمنا ايضاً ٠ ومثله قول الانكليز عن براعم الشجر اي أغلفة اوراقها عندما تطبق شتاء (نامت في سريرها الشتائي) مع حسن التشبيه ودقة تمثيله ومنه قولهم في وصف المطالع المكب على كتبه هو (دودة كتب) او (أرضة كتب) ٠

وهذا يرجع الى أساليب البيان من استعارة وتشبيه وكناية ولكل في ذلك ذوقه الخاص ٠ فالانكليز يشبهون الاسنان بالدر مثلنا ولكنهم لا يستحسنون الفَلَج ٠ ولا يشبهون الجميلة بالشمس والقمر ولكنهم يشبهونها بالنجم ٠ ومن التشابيه المبتذلة عندهم ايضاً ما هو جيد عندنا مثل جيد الغزال ورمان الثدي و بحر الكف واسد الموقعة واشباه ذلك كثيرة مما يرجع الى الإلفة والذوق ٠

(الصنف السابع) — ان الالفاظ العامية أنواع فمنها :

« ما هو فصيح من اصل وضعه » فهذا يبقى على حالته ٠ والآخر يرد الى اصله او يوضع له ما يناسبه ٠

« ومنها ماأُنقص منه » مثل فلان (أسطا) اي أستاذ و (ماطه) اي ماطه وهي الثُقل و (سنم) الجمل اي سنامه و (بصّة) النار اي بصوتها و (طار) للإطار ٠

«ومنها ماز يد فيه» مثل (إيد) لليد و (كارّو) للكار و (دواية) للدواة و (القرنبيط) للقنبيط ٠ و (انقنطر) لنقطر ٠ و (الخلاية) للخلاة ٠

« ومنها ما هو محرّف » مثل (الصلاحيّة) بمعنى الصلاحِيَة اي مايصلح للشيء ٠ و (طُمعية) الطاعية ٠ وفي أسنانه (حَفَر) الحَفْر وهو صفرة تعلوها و (حلَقة) الباب لحَلْقته٠ واما (حلَقة) فهي جمع حالق نحو كفرة وكافر ٠ و (الحلَف) للحلف بمعنى القسم ٠ و (الـنَتَن) للنتْن بمعنى فساد الشيء وكراهة رائحتـه ٠ و (الحَوَر) للحَوْر بمعنى الشجر المعروف ٠

« ومنها ما هو مصحف » و يكثر ذلك بين الذال والدال مثل (احدف) الشيء اي احذفه و (هدا) لهذا و (دي) باللغة المصرية لذي و (خزنة) الفأس ونحوها لخرتها وهي ثقبها الذي توضع فيه عصاها ٠

« وقد يجتمع التصحيف والابدال » مثل (الضَبْوة) لجراب صغير يوضع به التبغ ونحوه فهي تصحيف (ظبية) وابدالها و (شفشق) لثفثق اذا تكلم بجهالة ٠

« ومنها ماهو مبدل » مثل قولهم (تدشا) اي تجشأ و (كمره) ليعرق اي غمنه بمعنى القى عليه ثيابه وثقّله كما تقول العامة ايضاً و (يخط) بنومه اي يغط و (دسّ) عوض جسّ و (عجوة) لعجمة الثمرة اي نواتها و (الشرِكّة) لانثى الحجل عوض السُلَكة و (السواد) للسماد اي سرقين الحيوانات وروثهـا المتخذ لانماء النبات ٠ و (فرْم) الولد أسنانه لثرم (فأبدلوا وشدّدوا الراء) اذا ألقاها في اوائل عمره وفصيحها أثغر و (قرمة) الشجرة لأرومتها و (الهامج) للهامش الخ ٠

« ومنها ماهو مشتق من الجامد » مثل (تبغدد) عليه كأنها من بغداد ٠ و(تدمشق) كأنها من دمشق و (خرنق) الولد في حضن أمه كأنها من الخرنق ولد الارنب ٠

« ومنها ما هو منحوت من اكثر من لفظة » مثل (ايش بدّك) بمعنى (اي شيء بودّك) و (بركتَر من فلان) اي بركة تطير منه وهو دعاء عليه و (رِعَمْاَوّل) اي (عام الاول) و (إسّا) اي (للساعة) و (هلّق) اي (هذا الوقت) و (حنبلاس) اي حب الآس ٠

« ومنها ما هو منقول عن لغات أعجمية » مثل (بشنوقة) لغطاء الرأس تركيبها (بشلوقة) و يشتقون منهـا فعلاً فيقولون تبشنق وعندنا الخمار ونحوه لهذا المعنى و (جبا) التركية بمعني مجاناً و (يرطاش) من كلمتين فارسيتين بمعنى (حجر واحد) ولها عندنا (العتبة) · و (اللستيك) لما يمط · ووضع الشيخ ابرهيم اليازجي المطّاط (للكاوتشوك) بمعناها والكلمتان اوربيتان · و (التلغراف) من كلمتين يونانيتين بمعنى الكتابة عن بعد وقد وضعوا لها (البرق) والفعل (أبرق) · و (الهَبَلة) من العبرانية بمعنى البخار · و (إجر) الحبشية لرِجْل و (إيد) الحبشية ليد · والبنـدورة الاسبانيـة من (بومي دورا) (Pomi - dora) اي تفاح الحبة · و (الطرمبة) ايطاليتهـا (Tromba) وضع لها ابرهيم اليـازجي (المِضخّة) و (الشطرنج) اصلها سنسكريتية (ستورنجـا) اي مربع الأجزاء لان الجند في الحرب يؤلف من اربعة أجزاء هي الأفيـال والأفراس والمركبات والمشاة ·

* * *

هذه عجالة بنت ساعتها أظهرتُ فيها بعض ما عنّ لي بشأن الإقرار والوضع والتعريب وهو باب واسع و بحث لا قرار له ·

ولقد عانى مجمعنا الدمشقي في خدمة اللغة عناء كبيراً لتضارب الآراء وعدم توحيد الكلمة وكثرة المترادفات واختلاف الأذواق وحبذا لو عقدت لجان في كل بلاد عربية اللغة والعادات لمفاوضتها بمثل هذه الآراء واستطلاع طلع ما تميل اليه من تعزيز اللغـة وتوسيع نطاقها وتجديد شبابها · فاللغات تحتاج مثل الأشجار الى تقضيب وتلقيح وتوليد فاذا حصرت في نطاق ضيق وشدّد عليها الخناق بقيت على حالها من التقصير في التعبير عن المستحدثات ·

ومن أفضل ما أختم به كلامي قول المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي في مجلته البيان (١ : ٣٢١) ما نصه : « ولكن حقيقة الكمال في اللغة ان تكون بحيث يمكن ان يُستنبط من نفس أوضاعها الفاظ لما يحدث من المعاني لا ان تكون بحيث تستغني عن المزيد اذ المعاني ابداً تتجدد وليس من المحتمل ان قوماً يضعون الفاظاً لمعانٍ لا توجد اه» ·

وقوله في مجلته الضياء (٨ : ٢٧٧) ما نصه :

واما ان ادخال كلمات أعجمية الى لغتنا يعد دليلاً على ارتقائها ففيه نظر لكنه مما تلجئ اليه الضرورة حيث لا يتيسر وجود لفظ عربي قديم او مُحدث يقوم مقام الأعجمي والا فان ادخال اللفظ الأعجمي مع وجود لفظ عربي بمعناه كاستعمال الأُورطي مثلاً في مكان الأبهر والالبومين مكان الهُلام والكاوتشوك مكان المطّاط والاسيد مكان الحامض وكقول بعضهم اندروميدا مكان المرأة المسلسلة كل ذلك يعد دليلاً على انحطاط اللغة كما لا يخفى على ذي بصيرة » اه ٠

ولعل توحيد الكلمة في خدمة اللغة على اختلاف الاقطار التي يتكلمون فيها يكون قريباً فتتواطأ الافكار على الأوضاع الصحيحة والتعريب المفيد وليس ذلك بعسير على ارباب النهضة العصرية والحمية العربية ان شاء الله ٠

حفلة تكريم

حافظ بك ابراهيم

اغتنم مجمعنا العلمي وجود احد اعضائه حافظ بك ابراهيم شاعر النيل في بيروت فدعاه الى دمشق فلبى الدعوة وأقام له المجمع حفلة تكريم كبرى في مقره في المدرسة العادلية وجعل موعد الحفلة مساء يوم ١٧ حزيران سنة ١٩٢٩ ولم يحن الوقت المعين حتى غصت ساحة دار المجمع على رحبها بجمهور المدعوين وكانوا من جميع طبقات الامة يتقدمهم فخامة الشيخ تاج الدين الحسني رئيس الوزراء في الدولة السورية ومعالي الوزراء وطائفة من اعضاء المجلس التأسيسي ومئات غيرهم من اهل الفضل والأدب وعشرات من فضليات السيدات في دمشق في مكان خاص بهن . ثم لم يلبث ان قدم المحتفى به حافظ بك ابراهيم ومعه صديقه شاعر القطرين خليل بك مطران فتبوآ صدر المكان يحيط بهما اعضاء المجمع العلمي . وقبل افتتاح الحفلة قام فخامة رئيس الوزراء وعلّق على صدري الشاعرين وسام الاستحقاق السوري زيادةً في تكريمهما والحفاوة بهما فكان لذلك الوقع الحسن في النفوس . ثم افتتح الحفلة معالي وزير المعارف الاستاذ السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي وألقى الخطبة التالية :

حافظ مفخرة العرب
« وحبيب الشاميين »

يا سيداتي و يا سادتي

اذا رحب اهل هذه الديار بحافظ ابراهيم بك فانما يرحبون بنابغة عظيم في الشعر العربي أخرجه من ثيابه البالية وألبسه من عبقريته ثوباً جميلاً شفافاً يليق ان تظهر به أمة كانت أعظم أمم الارض بحضارتها وآدابها وهي تحرص اليوم ان تسترد ذاك الماضي الباهر مطبوعاً بطابع العصر الحديث .

ليس شاعر النيل من الرجال الذين يحتاجون الى التعريف بهم والترجمة لهم فشعره

كالأمثال السائرة وقصائده يحفظها الرجال والنساء وله من الحرمة في كل قلب مالا يقل عن اعظامنا لأكبر شاعر من شعرائنا في الدهر الغابر ٠

وكل هذا لانه صرّف الشعر منذ نشأته في الاغراض الشريفة صرّفه في رفع مستوى الامة في العلم والعمل فوصف داءها ودواءها وهزّ بوعظه اوتار قلوبها فكان شاعر الاجتماع غير مدافع لابتداعه طريقة جديدة في تثقيف العقول وتهذيب الملكات فكان بتأثير شعره مرشد أمته ولسانها الناطق بالحق ٠

ومها بالغنا معاشر الشاميين بالحفاوة بشاعر النيل فاننا نرد عليه الآن واحداً من مئة مما أسداه الينا خاصة وللأمة العربية عامة ٠ هو خلّد أعمال الشاميين بشعره الخالد فلا عجب اذا احتفلت به عاصمة الأمويين اليوم بجميع طبقاتها فانه السابق الى الفضل والاحسان ٠

وان منبر المجمع العلمي العربي ليفاخر منذ تأسيسه بان اسم حافظ ذكر عليه عشرات من المرات وأنشدت قصائده ورقائقه وحكمه واستشهد الحاضرون بشعره وكانت آخر محاضرة في تحليل روحه السامي وشعره الاجتماعي مما القاه هذا العاجز في السنة الماضية وقد قلت في جملتها :

« وعشق حافظ الشام ايضاً ولم يطوّف ارجاءها ولا رأى ارضها وسماءها وعاشر الشاميين وحنا عليهم وذكرهم بالاعجاب في شعره السائر يهزّ باقدامهم نفوس الخاملين من المصريين ليحذوا في الكسب حذوهم و يضربوا في الآفاق على مثالهم ٠

ومن شعره في غلاء الاسعار يذكرهم بالشاميين و يقرع المصريين :

ايها المصلحون أصلحتم الار ض ونمتم عن النفوس نياما
اصلحوا انفساً اضرّ بها الفقـ ـر واحيا بموتها الآثاما
ليس في طوقها الرحيل ولا الجـ ـد ولا ان تواصل الاقداما
تؤثر الموت في ربى النيل جوعاً وترى العار ان تعاف المقاما
ورجال الشآم في كرة الار ض يبارون في المسير الغماما
ركبوا البحر جاوزوا القطب فاتوا موقع النيرين خاضوا الظلاما
يمتطون الخطوب في طلب العيـ ـش و يبرون للنضال السهاما

وبنو مصر في حمى النيل صرعى ... يرقبون القضاء عاماً فعاما
ايها النيل كيف نمسي عطاشا ... في بلاد رويت فيها الاناما
يرد الواغل الغريب فيروى ... وبنوك الكرام تشكو الاواما
ان لين الطباع اورثنا الذ ... ل واغرى بنا الجفاة الطغاما
ان طيب المناخ جرّ علينا ... في سبيل الحياة ذاك الزحاما

ومن هذا المعنى ما قاله في قصيدته (الامتان تتصافحان) و يعني بهما الامة المصرية والامة الشامية امتدح فيها ابناء الشام وسيرتهم في اميركا ولاسيما في نشر اللغة العربية :

بارض (كولمب) ابطال غطارفة ... اسد جياع اذا ما ووثبوا وثبوا
لم يحمهم علم فيها ولا عدد ... سوى مضاء تحامى ورده النوب
اسطولهم امل في البحر مرتحل ... وجيشهم عمل في البر مغترب
لهم بكل خضمّ مسرب نهج ... وفي ذرى كل طود مسلك عجب
لم تبد بارقة في أفق منتجع ... الا وكان لها بالشام مرتقب
ماعابهم انهم في الارض قد نثروا ... فالشهب منثورة مذ كانت الشهب
ولم يضرهم سراء في مناكبها ... فكل حي له في الكون مضطرب
رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا ... الى المجرة ركباً صاعداً ركبوا
اوقيل في الشمس للراجين منتجع ... مدوا لها سبباً في الجو وانتدبوا
سعوا الى الكسب محموداً وما فتئت ... ام اللغات بذاك السعي تكتسب
فأين كان الشآميون كان لها ... عيش جديد وفضل ليس يحتجب

وفي هذه القصيدة يقول في اتحاد مصر والشام في الجنس اللغة وتشاركهما في الهناء والشقاء :

ركنان للشرق لازالت ربوعهما ... قلب الهلال عليها خافق يجب
خدران للضاد لم تهتك ستورهما ... ولا تحول عن مغناهما الادب
امُّ اللغات غداة الفخر أمهما ... وان سألت عن الآباء فالعرب
اذا المت بوادي النيل نازلة ... باتت لها راسيات الشام تضطرب

وان دعا في ثرى الاهرام ذو ألم اجابه في ذرى لبنان منتحب
لو اخلص النيل والأردن ودهما تصالحت منهما الامواه والعشب

وقد ختم هذه القصيدة في الصلح بين الاختين بقوله :

هذي يدي عن بني مصر تصافحكم فصافحوها تصافح نفسها العرب
فما الكنانة الا الشام عاج على ربوعها من بنيها سادة نجب
لولا رجال تغالوا في سياستهم منا ومنهم لما لمنا ولا عتبوا
ان يكتبوا لي ذنباً في مودتهم فانما الفخر في الذنب الذي كتبوا

وقال من ابيات :

يضيق على السوري رحب بلاده فيركب للأهوال ما هو راكبه
فما هي الا ان تجشمه النوى وما هو الا ان تشد ركائبه

ووجه كلامه الى مصر كأنه يريد الصلح بين القطرين فقال ابياتاً ثلاثة :

ماذا جنيت وما جناه بنوك أظلمتهم يا مصر ام ظلموك
فبسمت للغرب الطموح واهله ومنحتهم فوق الذي منحوك
وعبست في وجه الشآم وانما قطر الشآم وان عبست اخوك

وقال من قصيدة في تكريم صديقه خليل مطران :

انما الشام والكنانة صنوا ن برغم الخطوب عاشا لزاما
أمكم أمنا وقد أرضعتنا من هداها ونحن نأبى الفطاما

وآخر حسنات حافظ قصيدته الأخيرة التي يقول فيها وهي كسائر شعره كلما كررت حلت :

أبت أمية ان تفنى محامدها على المدى وابى ابناء غسان
فمن غطارفة في جلق نجب ومن غطارفة في ارض حوران
عافوا المذلة في الدنيا فعندهم عز الحياة وعز الموت سيان
لا يصبرون على ضيم يحاوله باغ من الانس او طاغ من الجان
شققت أسواق بيروت فما اخذت عيناي في ساحها حانوت يوناني
فقلت في غبطة لله درهم لبس الفلاح لوان غير يقظان

تيمموا ارض (كولمب) فاشعرت — منهم بوطء غريب الدار حيران
سادوا وشادوا وابلوا في مناكبها — بلاء مضطلع بالامر معوان
ان ضاق ميدان سبق عن عزائمهم — صاحت بهم فأروها الف ميدان
لا يستثيرون ان هموا سوى همم — تأبى المقام على ذلٍّ واذعان
ولا يبالون ان كانت قبورهم — ذرى الشوامخ او أجواف حيتان
في الكون مورقهم في الشام مغرسهم — والغرس يزكو نقالاً بين بلدان
ان لم يفوزوا بسلطان يعزهم — ففي المهاجر قد عزوا بسلطان
اوضاقت الشام عن برهان قدرتهم — ففي المهاجر قد جاؤا ببرهان
انا رأينا كراماً من رجالهم — كانوا عليهم لدينا خير عنوان
انى التقينا التقى في كل مجتمع — اهل باهل واخوان باخوان
كم في نواحي ربوع النيل من طرف — لليازجي وصروف وزيدان
وكم لاحيائهم في الصحف من اثر — له المقطم والاهرام ركنان

اما وقد رأينا هذا النموذج الصغير من عطف حافظ على الشاميين أفلا يتصاغر بركم كل اكرام أمام محامده الكثيرة . الا يغتبط منا كل من غذي زمناً بثمرات روحه ان يرى اليوم شخصه الكريم بين أظهرنا . الا نعتقد كلنا اننا عاجزون عن شكره والى القصور في الحفاوة به لا يسعنا الا عفوه .

يا اخي حافظ . اننا نحييك معترفين ببعض أياديك البيض . نحيي في شخص شاعر النيل ابناء النيل الاعزة . نحيي بك مصر المحبوبة والنبوغ المصري . ومتى رجعت بالسلامة الى مطلع شمسك فاقرأ على اهلك وعشيرتك سلام جيرانهم في الشام واذا انساك شيطان الشعر ذلك فالرجاء من رفيقك في رحلتك صديقي شاعر القطرين خليل بك مطران الذي كان طول حياته أحسن صلة وعائد بين المصريين والشاميين لمكان اخلاقه العالية وأدبه الجم ان يعذر قصورنا فهو من أعرف الناس بنا وبهم . هذا والله يمتع الأمة بحياة حافظ ويزيد في هنائه وسعادته .

* * *

ثم تلاه الاستاذ فارس بك الخوري فالقى قصيدة غراء حيا بها شاعر النيل فقال :

ليالي التصابي قد جفاني حبورها ولِلَيّ السوداء اسفر نورها
ومن لي بانكار الحقيقة بعدما تجلى على وجهي و فَودي نذيرها
فأجنحة البازي تهلّب ريشُها وساقية الآمال جف غديرها
تذكرتُ ايام السرور التي مضت فياليت شعري هل يعود سرورها
وعهد ابنة العنقود يوم سُقيتها وقد شغفت قلبي فتاة تديرها
أهيم بما قد دار بين جفونها ولا تزدهيني كرمة وعصيرها
أبثُّ لها أشجان نفسي كأنها مليكة أمري والفؤاد سريرها
لدن لي مع الاصحاب سهم مسدد وحظيَ من ريم الكناس غريرها
أسفت على عهد الشباب ولم تعد تشير لنفسي مقلة وفتورها
وأدنتني الايام من هوة الونى فأصبح مني قاب قوس شفيرها
و كادت صروف الدهر تطوي صحائفي وهل بعد هذا الطي يرجى نشورها
الى ان تلافاني مطلّ بوجهه على فضلات في الفؤاد يثيرها
همام على الستين حافظ بأسه يشد على السبعين وهو مزيرها
وليس يضير المرء شيب شعوره ولكنما شيب العزوم يضيرها
فما شائب الأقوام إلا وقورهم وأشيب آساد العرين هصورها
همام له في النائبات مواقف يقصّر عنها كهلها وطريرها
غني عن الدنيا فلا تستفزُّه خزائن ارباب الغنى وأثيرها
واخلق بمن نال الكفاف اذا استوى قليل المجاني عنده وكثيرها

* * *

وقفت أحييه عن المجمع الذي له رتبة فيه قليل نظيرها
ومن لي بتحليق الى اوج فضله واين لهذا همتي وقصورها
فيا ليت لي من شاعر النيل نفحة يُراض بها من قافياتي نفورها

* * *

أحافظ حيّيت الشآم تحيةً يفوق عبيرَ الروض منها عبيرها

زففت لها الشعر النفيس عرائساً ... بجانبها تخفي وتخسف حورها
وألبستها ثوباً من الحمد دونه ... حدائقها في زهوها وزهورها
وطوّقتها بالحب والعطف ربقةً ... قلادة أسر لا يفادي اسيرها
وأهديتها وحياً من الشعر منسياً ... معاجز ماأوحى الى الكون طورها
وأوليتها فخراً على الدهر خالداً ... يعزُّ بها لبنانها وسنيرها
وجئت أيا حرَّ السجية داعياً ... لوحدة سوريا وهذا ضميرها
قضية احرار يريدون نجحها ... ألا فاهتفوا يحيا السفير سفيرها

***

دمشق تحيي فيك حراً بشعره ... تغنت وناهت غيدها وطيورها
وقد طالما اشتاقت لزورة ماجدٍ ... روت شعره أبهاؤها وخدورها
فكم من فتى بالشام انت سميره ... وكم من فتاة انت انت سميرها
نثرت على العرب الكرام منازعاً ... برغم خصوم العرب تنمو بذورها
فاني ارى عند الشبيبة نزوة ... الى المجد والعلياء انت مثيرها
ألست الذي إن أنشد النيل شعره ... تردّده انهارنا وخريرها
تلونا على الخابور من معجزاته ... فانعش والصحراء خف هجيرها
وجدناه في أرواد مطلعاً على ... دياجير هاتيك الكهوف ينيرها
وكانت قوافيه على ماء زحلة ... كما فعلت بالشاربين خمورها
سقيت ربوع النيربين بسلسل ... من الشعر صافٍ اين منه نميرها
سطرت عليها من جميلك آية ... حليفة خلد ليس تمحى سطورها

***

هنيئاً لهذي الدار بعث فخارها ... فأخطلها في عقرها وجريرها
ولو كان شوقي حاضراً احرزت به ... فرزدقها والكل منهم اميرها
ثلاثة اركان وقى الله شملهم ... بهم عزّت الفصحى وعزّ عشيرها
فيا شعراء النيل ان قريضكم ... خزائنه عند الشآم صدورها
أقمتم لاهل الضاد في مصر دولة ... أريكتها انتم ونحن ثغورها

نقدمكم طوعاً ونعرف حدنا … وما آفة الأقوام الا غرورها
شرعتم لنا نهج الفصاحة لاحباً … وقومتموها فاستقامت امورها
ففي ذمة الله الامام محمد … منار الفتاوى الصائبات ونورها
تخطى الى لب القضايا فدلنا … عليه وقد ألهت سواه قشورها
وسعد ومحمود وصبري وقاسم … وامثالهم ممن أجنّت قبورها
وأحياؤهم رهط التجدد والعلى … تباهي بطون الارض فيهم ظهورها
اولئك خطوا للثقافة أسّها … وشيدت على هذا الاساس قصورها
هم اول البانين والفضل فضلهم … وهم في سماء المكرمات بدورها

***

وحييت في قطر الشآم غطارفاً … همُ للاماني النبيلة سورها
يحيون في احياء مصر ضياغماً … تجاوب في أقصى البلاد زئيرها
همُ في تلافيف الدجان ليوثها … وهم في تضاعيف السماء صقورها
اذا حملوا ضيماً فانّ صدورهم … على الضغن والآلام تغلي قدورها
وان صبروا صبر الحكيم على الأذى … فما فاز بالآمال إلا صبورها
لهم عزمات ان توارت هنيهةً … فلا بد ان تبدو و يلظى سعيرها
وترجم حقاً ضائعاً لنصابه … وصدق الاماني والاله ظهيرها

***

و يا شاعر القطرين مطران بيعة الـ … قريض لديك اليوم يذكى بخورها
لك الحمد أن أبلغت شامك منيةً … يحن اليها شيخها وصغيرها
توسلت بالترغيب حتى أزرته … وما كان لو لا ان فعلت يزورها

***

ثم نهض على أثره الاستاذ شفيق بك جبري فالقى قصيدة عصماء رحب فيها بالضيف الكريم شاعر النيل فقال :

أنشدتَ شعرك في افياء لبنان فرحت أغمز وسواسي وشيطاني
بالامس شوقي على أفناننا غَرِد واليوم حافظ ميّاد بافنان
وبنت مروان توحي من اباطحها وشي القرائح عاشت بنت مروان
جبارة سخرت من كل كارثة أعيت وما فتئت جبارة الشان
لله ظل على اكنافها لجب أعوذ بالظل من قهر وطغيان

***

يا طاوي اليم في دجناء زاحفة على صفيح من الأمواج مرنان
يهفو به الشوق والاجفان تكتمه الى اراهط من فهر وغسان
خلى ضفاف الحمى والنيل وانقلبت به المطي الى اهل وجيران
من عهد عدنان ما أبلى عروبتهم وطء الهزاهز في ابناء عدنان
سر في دمشق ونادم ان نزلت بها عصابة نادمتهم روح حسان (١)
هذا الرحيق وفي اظلاله بردى يجري بروض على الفيحاء ريان
لكن جفنة قد أودت مواكبهم فما تعج بارباع واوطان
خلت دمشق من التيجان وانبسطت أمية في الحمى من غير تيجان
وقفت أنشد في الافناء ارسمهم لا الملك ملكي ولا السلطان سلطاني
لم يبق من عبد شمس غير خاطرة أروي مغارسها من ماء أجفاني
أشقى وأنعم في اعطاف هبتها فيها الردى وبها روحي وريحاني
تكاد تومض في جنبي خيالتهم ما كان أبعدهم عني وادناني
يبلي الجديدان ، ما تبلى مناقبهم في النيربين اذا كر الجديدان

***

(١) إشارة الى أبيات حسان :

لله در عصابة نادمتهم يوماً بجلق في الزمان الاول

تحية يا ضفاف النيل طيبة ... تجري بها الريح في شيح وحوذان
الشام من ودك الريان في صلة ... محبوكة الوشي في قرب وامعان
من عهد عمرو فما رثت ولا بليت ... قد أتقنتها الليالي اي إتقان
اذا بكت جنبات النيل من ألم ... بكت دمشق بدمع منه هتان
أواصر ببيان العرب محكمة ... النيل والشام في الآلام صنوان
هما النجيان في تصوير جرحهما ... تصوير جرحهما همس بآذان
أرى رجالاً على الاهرام ديدنهم ... حل الأواصر من طي وشيبان
تنكبوا عن صميم العرب واعتصموا ... بحبل رمسيس أحداناً باحدان
كأنما مضر الحمراء ما زحفت ... الى المقطم في شيب وشبان
ولا استطال لها والدهر يمهده ... ظل على النيل او رمح بحلوان
تلك الفصاحات لم تذبل منابتها ... تنمو بعود على الاهرام فينان
أعيذها خطرات ملؤها مضض ... ان تهدم الشرق اركاناً باركان
آمنت باللغة الممراع مغرسها ... فما يزلزل ريب الدهر ايماني
في ذمة الله تبيان يؤيده ... كر الليالي بتنزيل وقرآن
تضمنا لغة لم يمح رونقها ... زحف السنين بآلام وأشجان
اذا التففنا غصوناً في شدائدنا ... فما تطيق الليالي هصر اغصان
لولا قواف بوادي النيل ننشدها ... في غوطة الشام او في ارز لبنان
لقطعت بيننا الأرحام واضطربت ... بنا الوساوس في وصل وهجران
لكن مصر وان هشت وان عبست ... ركن العروبة للقاصي وللداني
يأوي اليها من الهيجاء متّهم ... فيستظل بظل العاطف الحاني
فما تجف بضيفان بشاشتها ... ولا يحيط الاذى فيها بضيفان
أملت على الشرق من آيات نهضتها ... ما أنقذ الشرق من ذل واذعان
أغفى زماناً ولم تنزع به همم ... حتى تنبه فيه كل وسنان
في كل ناحية ملك يمزقه ... باغ من الانس او طاغ من الجان
فلا الربوع على الأردن هادئة ... ولا هدوء على أرباع بغدان

يا حافظ الشعر في ميثاء مخصبة — من البيان سقاها ماء سحبان
هاجت دموعك في عيني مدامعها — لما بكيت وهاج الحزن احزاني
يا وقفة لك في الستين تسألها — «أسوفت امأعدت حراً كفاني»
فاضت بها عاطفات القلب فامتلأت — من روح واقفها روحي وجثماني
هون عليك فما زالت روائعكم — من الشباب على شرخ وريعان
هذي دمشق فغرد في حدائقها — أغرودة الدهر تشجي كل أسوان
واندب أمية في شعر تسيل به — بطاح جلق في ظعن وركبان
الشعر منبهة الأقوام ان غفلوا — عن نهجهم هز منهم كل سهوان
تبني وتهدم في الاحياء دولته — قواعد الملك جل الهادم الباني
كم ثورة بعثت نيران جاحمه — في أمة سهلة الأقياد مذعان
يطوي القريض اذا هبت عواصفه — ما ليس يطوى باسياف ومران
والشعر وحي فان اعياك جامحه — فما يقاد بالحان وأوزان
يموج بالنفس ان هاجت هوائجه — كما يموج نسيم الصبح بالبان
اذا القوافي خلت من سحر عاطفة — فما تميل بارواح وأبدان

* * *

ولما فرغ شفيق بك جبري من قصيدته نهض الاستاذ خليل بك مطران والقى هذه الابيات :

جزيت عنا الخير يا مجمعاً — رجاله علية اهل الأدب
رئيسه من هو فاذكر له — ما شئته من نسب او حسب
وصحبه في نخب الشرق من — اهل الحجى والعلم اصفى النخب
قد هل من عزمك ما يرتجى — ولاح من فضلك ما يرتقب
جدد لك الخير ولا تئتمد — فانما تبعث مجد العرب

* * *

حاضرة الاسلام في حقبة — تبدو ان تدعى بكبرى الحقب
وانت على الدنيا الفتوح التي — تعاقبت واتصلت كالسبب

في كل معنى من معاني العلى مشى بها اليمن وراء الحرب
ان تستعد من عزها مامضى وهي له اهل فهل من عجب

***

صحبت من مصر اخي حافظاً وحافظ أنبل من يصطحب
حتى حججناها فيا لطف ما فيها لقينا من جزاء النصب
جنة عدن طالعتنا بما سر ومرّى وشفى من وصب
فالطائر الغريد في روضها اسكته حيناً تناهي الطرب
ان تستزيدوه ففي قابل يسمع منه كلكم ما احب

* * *

عندها نهض المحتفل به حافظ بك ابراهيم والقى على الجمهور هذين البيتين :

شكرت جميل صنعكمو بدمعي ودمع العين مقيـاس الشعور
لاولـــ مرة قد ذاق جفني على ما ذاقه دمع السرور

ولم يكد يتمها قراءة حتى تعـالى التصفيق من كل جانب ثم اختتمت الحفلة وارفض الجمهور شاكرين معجبين ٠

آراء وافكار

اعادة النظر في المذمر

بعد طبع ما طبع حول كتابي (المذمر والسماوة) في الجزء الماضي ص ٣٠٢ قرأنا في مجلة لغة العرب (السنة ٧ ص ٥٦٣) لصاحبها العلامة الكرملي مقالاً للمستشرق (ف . كرنكو) تحت عنوان (إعادة النظر في المذمر) وتعليقاً عليه بقلم الأب الكرملي فأحببنا نشرهما هنا استيفاء للموضوع من جميع جهاته . قال المستشرق الفاضل :

صديقي العلامة

أخاف انك لم تستقص في البحث عند ترجمتك كلمة (buste) بالمذمر فلو كنت سألتني عنهـا قبل معرفتي تعبيرك لكتبت لك : « دمية صدرية » او ان شئت (تصوير صدري » واما براهيني في رد ترجمتك فاني لم اجد لفظ (المذمر) الا في معنى قبيح . كما يظهر من الأبيات التي نقلتهـا من أشعار القدماء وتفاسير أئمة اللغة ، وترى من تفسيرهم ان المذمر عندهم لم يشمل الصدر ومقدم الرأس . والسبب الثالث ان الكلمة الفرنسية تفضل الصدر على سائر الجسم ، وانت تفضل مؤخر الرأس على سواه وفي الختام اقول : اني لست الا احد الطالبين . وانت أعرف مني في هذه الاشياء وقد سبقتني اليها حتى بلغت منها اقصى الغاية ولا أطمع في ان الحقك فيها ابد الدهر .

« تذييل » : اني لم أطالع المعاجم اللغوية عمداً ليكون تذهبي منقولاً عن الآثار القديمة فقط .

قال عتيبة بن مرداس وهو ابن فسوة :

تطالع اهل السوق والباب دونها   بمستفلك الذفرى اسيل المذمر

التذمير ان يدخل انسان يده في رحم الناقة ، فيعرف أذكر هو ام أنثى عند ولادتها يعني جنينها والمذمر (بكسر الميم) الذي يفعل ذلك . عن كتاب الاختيارين .

وقال القطران السعدي :

متى ما تذمرها تجدها كريهة   اذا احضرت شنعد بلقا حجولها

التذمير ان يمس ذفرى الحوار ولحييه اذا خرج رأسه عند النتاج فيعرف أذكر ام أنثى ، ويقال لذلك الموضع المذمر . (عن المذكور ايضاً)

وقال الكميت :

وقال المذمر للناتجين متى ذمرت قبلي الارجل

المذمر : الذي يدخل يده في رحم الناقة ليعلم ما الجنين . سمي بذلك لان يده تقع على مذمر الجنين والمذمر الذفرى وما يليها .

وقال الجعدي :

وحي ابي بكر ولا حي مثلهم اذا بلغ الامر العماس المذمرا

العماس الذي لا تعرف جهته . بلغ الامر المذمر كما تقول : بلغ الامر المخنق .

وقال الفرزدق :

كيف التعذر بعدما ذمرتم صقباً لمعضلة النتاج نوار

ذمرتم مسستم المذمر ، والمذمر مكانان يمسها المذمر ، احدهما ما بين الاذنين فاذا وجده غليظاً تحت يده علم انه ذكر ، وان وجده ليناً علم انها أنثى . والآخر طرف اللحي اذا وجده لطيفاً علم انها أنثى واذا وجده غليظاً علم انه ذكر .

وقال في الجمهرة : وذمر الفصيل : غمز قفاه اذا خرج من رحم أمه ليعرف أذكر هو ام أنثى . وفيها ايضاً : المذمر الفاعل من ذمر والمذمر المفعول . والمذمر القفا .

وقال الكميت :

واني في الحروب مذمر يكم نتاج اليتن ما صفة السليل

المذمر الذي يدخل يده في رحم الناقة لينظر ما الولد .

وقال علقمة بن عبدة :

عمدتم الى شلو تنوذر قبلكم كثير عظام الرأس ضخم المذمر

وفي رواية : كبير عظام الرأس . . .

وقال ابو المحام التغلبي :

يقص السباع كان حلا فوقه ضخم مذمره شديد الاخمس

المذمر أسفل من الذفرى .

وانظر ايضاً كتاب الابل للأصمعي ص ٧٢ والنقائض في فهارسها ·

بكنهايم (انكلترة) : المخلص : ف · كرنكو

(لغة العرب) لما وضعنا كلمة « المذمر » ترجمة لكلمة (buste) الافرنجية لم نرد ان نقول : ان العربية وردت بمعنى الافرنجية رأساً برأس لكننا أردنا ان نقول انها أقرب لفظة في لغتنا الى الغربية ، وكل كلمة سواها بعيد عن المطلوب كل البعد · فقد بينا ان السمارة لا تؤدي المطلوب — بل هيهات — لان اللغو بين اتفقوا اتفاقاً واحداً على انها شخص الرجل اي سواده وهو ما يعرف عندهم بسيلويت كما ذكرنا (راجع لغة العرب ٧ : ٣٢٩) ولا يمكن مخالفة رأي الأقدمين باي وجه كان · واما ما يذكره انا حضرة صديقنا فريتس كرنكو فلا يؤدي المطلوب · لاسباب منهـا : اننا أردنا كلمة واحدة لا كلمتين — ٢ — قوله دميـة صدرية هي صورة الصـدر (Figure ou Image représentant la Poitrine) وكذلك قوله : تصوير صدري · فأين هذا من المطلوب تأديته · فالكلمة الافرنجية تعني الرأس مع أعالي الكتفين · وما عليه الا ان يبحث المعنى في دواوين اللغات الافرنجية على اختلافها ·

إذن نرى ان احسن لفظة وأقربها الى المطلوب هي (المذمر) لان اللغو بين الاقدمين والشعراء الاولين أرادوا بها (الذفرى وما يليهـا مثل ما بين الاذنين ، وطرف اللحي ، والقفا ، وأسفل من الذفرى) فاذا كان كل ذلك ، كان اقرب ما يكون اليه هو (البست) الافرنجيـة من باب التوسع قليلاً والتساهل · لا من باب وضع اللفظ وضعاً محكماً لما يقابله عند الغربيين · وبعدا هذا لانعود الى هذا البحث ، مهما كتب فيه اه ·

حول تسمية كتاب النجوم الشارقات

قال صديقنا الاستاذ العلامة السيد مسعود الكواكبي عن كتاب (النجوم الشارقات في ذكر بعض الصنائع المحتاج اليها في علم الميقات) (ج٨ ص٧٦٥) انه ليس فيه مما يختص بعلم الميقات شيء بل جله في معالجة بعض الصباغات والدهانات والمعادن فلعل تسميته (في عمل الليقات) كما وردت في محاضرة للزميل الاستاذ المعلوف اصح .

اقول يظهر ان الاستاذ لم يتصفح جميع ابواب الكتاب ولو تصفحه لوجد فيه عدة ابواب مثل الباب الاول والباب الرابع والخامس والعاشر والحادي عشر والثالث عشر والرابع والعشرين فكلها لها دخل عظيم في علم الميقات لان كتب هذا العلم تكتب كما رأيناه في عدة كتب مخطوطة بالمدادات الملونة والباب الرابع والعشرون الذي هو في معرفة مايحتاج اليه في دوائر المعدل ودوائر العروض والأكر وكرسيها والمقورات الخ له دخل كبير في هذا العلم ولذلك قلت في خاتمة الطبع ، يغلب على الظن ان الصواب ما هو مذكور هنا وان المؤلف سماه باهم ابواب الكتاب .

وبعد طبعي للكتاب ظفرت بورقة منه عند بعض الاصدقاء فيها الصفحة الاولى والتاسعة عشر والعشرون وقد كتب على ظهرها (النجوم الشارقات في الصنائع المحتاج اليها في بعض الأوقات) وقال في اول الخطبة قال الشيخ الامام العالم العلامة الخ ابو عبد الله محمد بن ابي الخير الحسيني الأرميوني المالكي . ثم قال وبعد فيقول الراجي عفو ربه من الذنوب والزلات محمد بن ابي الخير الأرميوني يسر الله له الخيرات اني استخرت الله في وضع فوائد لابد منها لمن أراد التوصل الى فن الوصفيات وسميتها (بالنجوم الشارقات في بعض الصنائع المحتاج اليها في بعض الاوقات) ورتبتها على خمسة وعشرين باباً الخ .

وكتب لي علامة فاس والديار المغربية الشيخ محمد عبد الحي الكتاني مانصه : اني ظفرت بنسخة منه في الجزائر عنوانها هكذا : (النجوم الشارقات في ذكر بعض الصنائع المحتاج اليها في بعض الاوقات) لابي عبد الله محمد بن ابي الخير الأرميوني الحسني المالكي ولا شك ان المحتاج اليها في بعض الاوقات أحسن وأنسب من العنوان الذي رتبتم .

فتكون النسخة التي ظفر بها الاستاذ موافقة في التسمية للنسخة التي ظفرت بورقة منها عند بعض الاصدقاء ·

ثم بينما كنت أتصفح الكتاب الذي وضعه الدكتور داود چلبي في المخطوطات النادرة الموجودة في مكاتب الموصل رأيته ذكر في جملة الكتب التي هي في خزانته مجموعة فيها (١) النجوم الشارقات في ذكر بعض الصنائع المحتاج اليها في علم الميقات لمحمد بن ابي الخير الحسني قال احمد زكي باشا العلامة المصري ان مؤلف هذا الكتاب ابو عبد الله محمد بن ابي الخير الحسني الأرميوني نسبة الى قرية قريبة من كفر الشيخ في مديرية الغربية في مصر وقال ان من هذا الكتاب نسخة في الخزانة الزكية عني هو بتصحيحها ومقابلتها على نسختين احداهما في المكتبة المصرية في القاهرة وهنا أطال الدكتور الكلام على هذا الكتاب فتكون هذه النسخ الاربع حسب الظاهر حيث ان الدكتور لم يذكر فيها اختلافاً في التسمية موافقة للتسمية المذكورة في النسخة الخطية التي ظفرت بها وطبعت عليها الكتاب فتلخص من مجموع ما بيناه ان لهذا الكتاب اسمين (الاول) ما أثبتناه في الطبع · (الثاني) (النجوم الشارقات في الصنائع المحتاج اليها في بعض الاوقات) فيكون قول الصديق الاستاذ الكواكبي فلعل تسميته (في عمل الميقات) كما وردت في محاضرة الاستاذ المعلوف اصح ، بعيداً عن الصحة والصواب ·

عضو المجمع العلمي
محمد راغب الطباخ

مطبوعات حديثة

قرآن فرنسا

« تأليف السيد جان ميليا ص ٣١ طبع باريز »

اسم هذه الكراسة بالافرنسية (Le Coran Pour la France Par Jean Mélia) خاض فيها الكاتب في أبحاث مهمة في القرآن وقال ان الواجب ان يطرح بعد الآن ما ادعاه بعض المتفلسفين من الفرنسيين في القرآن ، فالقرآن يجب ان يتلى بتؤدة فليس فيه ما يتهمه به الاعداء من انه ملقن التعصب وقال ان الاسلام دين سماوي وهو دين حب وعاطفة وشرف وانه ليس في الأديان دين اكثر تساهلاً منه الى غير ذلك من المباحث التي خدم بها أمته اولاً والامة الاسلامية ثانياً فاستحق كل الثناء على بعد غوره وسعة علمه واطلاعه واتساع محيط عقله وحريته . م . ك

لدى نصارى الشرق

Chez les chrétiens d'Orient

« تأليف السيد جان ميليا طبع سنة ١٩٢٩ في مطبعة شار بانتيه في باريز »
« ص ٢١٥ »

شرح المؤلف في هذه الصفحات باللغة الافرنسية ما قامت به الارساليات الكاثوليكية اللاتينية في الشرق من نشر النصرانية وخدمة اللغة الافرنسية والمناحي الافرنسية وذلك بما أسسته من المدارس والمعابد والمستشفيات والميتام وغير ذلك وقد امتدح من ملوك الآباء البيض واللعازاريين اكثر من امتداحه من اليسوعيين لان هؤلاء يتدخلون في امور ليست من شأن رجال الدين وان كان جميع هؤلاء الدعاة نمطاً واحداً في بعد الهمة والتفاني في خدمة الغرض الذي ندبوا أنفسهم اليه . م . ك

مصطفى كمال
[او تجدد تركيا]

Jean Mélia : Mustapha Kémal, ou la rénovation de la Turquie,

« تأليف السيد جان ميليا طبع في مطبعة شار بانتيه بباريز سنة ١٩٢٩ »
« ص ٢٤٠ »

كتاب كتبه مؤلفه بالافرنسية وهو من رجال الصحافة المعروفين وصف فيه نشأة مصطفى كمال باشا رئيس جمهورية تركيا ومجدد حياتها السياسية والاجتماعية وما قام به من الاعمال الحربية في الاناضول حتى جمع فلول أمته وألف منها أمة قوية قضت على الطامعين فيها الى ان نادت تركيا بالجمهورية ثم التفت الى اصلاح المسائل الاجتماعية فرفع حجاب النساء واستعاض عن الطربوش بالقبعة وطبق القانون المدني وجعل الدين في الجوامع ولم يبق له اثراً في السياسية والمدارس وقبل الحروف اللاتينية بدل العربية الى غير ذلك من اصلاحاته التي أورثت تركيا روحاً وطنياً بهذا التجدد ، ثم ذكر علائق تركيا مع فرنسا منذ القديم ورأى ان تكونا على الدهر متصافيتين · م ، ك

حديث ذي القرنين

« عني بنشره السيد اميليو غرسيه غومز المعيد بجامعة مجريط طبع بمطبعة »
« مائستري في مدينة مجريط سنة ١٩٢٩ ص ٧٢ النص العربي مع ترجمته »
« بالاسبانية ومقدمة له مطولة »

قال الناشر انه وجد هذا الحديث في مخطوطة مغربية وهو كبعض الكتب التي نقل الفائدة من نشرها لانها لا توجد اصلاً من الاصول العلمية او الدينية · واذا كان المقصد ان في الاسلام مثل هذه الحكايات و يريد ارباب الغايات ان يحملوه اياها ليحملوا عليه فان اهل الفريق الآخر يجيبونهم بان في خزائنكم من أمثال هذه الاسفار مئات · وكان على الناشر ان يعنى باحياء كتب ورسائل أخرى للعرب يأخذها من خزائن

الاسكوريال ومجريط في بلاده وبذلك كان خدم اللغة والعلم وقلل من الخرافات التي تغلغلت في احشاء أمته اكثر من كل أمة اوربية . م . ك

الاستقصا

« لاخبار دول المغرب الاقصى »

نقله الى الفرنسية السادة كرول واسماعيل حامد وكولين ، ثلاثة اجزاء انتهت بسنة ٦٣٦ (١٢٣٨م) طبع بباريز ، على نفقة ديوان المسائل الوطنية والاستخبارات في مراكش

نشر الاصل العربي من هذا الكتاب في القاهرة منذ سنين وهو تأليف احمد بن خالد الناصري السلاوي انتهى بحوادثه الى آخر القرن الماضي وهو أهم مصدر في تاريخ الغرب الاقصى يصح ان يقال فيه جمع فاوعى ، وقد شرع بترجمته الى الفرنسية بنظارة صديقنا الاستاذ السيد ميشو بلمير احد اعضاء المجمع العلمي العربي . والتزم المترجمون مراعاة الاصل في الترجمة ليقف القارئ على روح المؤلف ومقاصده . وقد أتبع كل جزء بفهارس نافعة . وحبذا لو عاد الناشرون الى طبع الاصل العربي طبعة علمية مخدومة بالتصحيح الجيد كما فعل غيرهم من علماء المشرقيات في فرنسا وطبعوا مثلاً نزهة الحادي وتاريخ المسعودي والاعتبار لابن منقذ اصلاً وترجمةً وكذلك فعلوا بكثير مما رأوا في نشره فائدة للعلم وعالم فاعلين . م . ك

اشعة خاصة بنور الاسلام

« تأليف السيد ناصر الدين دينيه وتعريب الاستاذ راشد رستم طبعت »
« في المطبعة السلفية بمصر (ص ٥٦)

هي محاضرة القاها في جمعية الاخوة الاسلامية بباريز السيد دينيه وهو مصور افرنسي مشهور دان بالاسلام منذ أمد بعيد وأعلنه مؤخراً وله عدة تآليف في الدفاع عن الاسلام واهله دفاع الباحث عن الحقيقة . وقد عالج في محاضرته هذه عدة مسائل

مهمة ينال بها المخالفون من الاسلام ، مثل مسائل العلم والخمر والوسيلة والاله والزواج والصلاة الخ ، وبين محامد الدين الحنيف ، وعارضها بما يقابلها ، وقال ان الاسلام يطبع اهله بطابع خاص ، و « آثاره لا تزال باقية في اهل اسبانيا وان كانوا قد ارتدوا عنه منذ خمسة قرون » و « ان القرآن حقق معجزة لا تستطيع اعظم الجامع العلمية ان تقوم بها ذلك انه مكن اللغة العربية في الارض بحيث لو عاد احد اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم الينا اليوم لكان ميسوراً له ان يتفاهم تمام التفاهم مع المتعلمين من اهل اللغة العربية بل لما وجد صعوبة تذكر للتخاطب مع الشعوب الناطقة بالضاد . وهذا عكس ما يجده مثلاً احد معاصري رابليه من اهل القرن الخامس عشر الذي هو أقرب الينا من عصر القرآن من الصعوبة في مخاطبة العديد الاكبر من فرنسيي اليوم » .

وختم محاضرته بقوله والعقل رائده « ثم نوجه صريح القول الى إخواننا المسيحيين ان يكفوا عن مناهضة المسلمين اذ هم لا يجنون من وراء ذلك شيئاً طيباً ، كما اننا ندعو عقلاء الفريقين ان يحترم بعضهم بعضاً وان يتقربوا ويتعاونوا في سبيل الأخلاق ومحاربة المادية ومناهضة الالحاد . انهم ان يفعلوا ذلك يحسنوا صنعاً ويخدموا الانسانية المعذبة التي هي في اشد الحاجة الى الأخلاق والفضائل » . م . ك

جزيرة رودس

« تأليف حبيب غزالة بك طبعت بمطبعة الاعتماد بمصر »

« ص ٩١ »

أفرد المؤلف هذه الجزيرة بالتأليف ولم يغفل عن الاتيان بخلاصة تاريخية عن أشهر جزائر بحر ايجه او الارخبيل فتكلم على طبيعة تلك الجزر وتاريخها وتقويمها وكل ما له مساس بها لجلاءها لمن لا يعرفها وحلى الكتاب برسوم جميلة فزادت فائدة هذا المختصر الذي نم عن فضل المؤلف واعتياده التحقيق والتدقيق . م . ك

صلاح الدين الايوبي وعصره

« تأليف الاستاذ محمد فريد ابي حديد طبع في مطبعة دار الكتب المصرية »
« بالقاهرة ١٣٤٦ — ١٩٢٧ ص ٢٠٣ »

هذا موضوع جليل درسه مؤلفه وتمثله فأتى بهذه الخلاصة المفيدة في عصر صلاح الدين بطل الاسلام الاعظم وذلك من دون ان يشغل القارئ بالسند والرواية. فالسند صححه المؤلف لنفسه والرواية عرف بعلمه وعقله كيف يرويها و يتقدمها فجاء كتابه مفيداً في سلسلة المعارف العامة التي اخذت لجنة التأليف والترجمة والنشر في مصر على نفسها نشرها لفائدة الناس فاستحقت بعملها كل ثناء لانها انتجت كتباً جليلة خدمت بها العلم والمعارف ولم تحد عن منزعها منذ تأسيسها سنة ١٩١٤ م.

م . ك

الجزء ٧ المجلد ٩

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) تموز : سنة ١٩٢٩ م الموافق المحرم وصفر سنة ١٣٤٨ هـ ١٠٣

تصحيح نهاية الارب

اغلاط الجزء السابع

كنا تتبعنا الأجزاء الستة من هذا السفر النفيس الذي تصدره مطبعة دار الكتب المصرية فنشرنا أغلاطها في مجلد السنة السادسة (ص ٣٨— ٤٩ — ١١٤ — ١٥٢— ٢٠١ — ٢٥٧ — ٢٩٤ — ٤٠٦) ومجلد السنة السابعة (ص٣٩٦) ثم تأخر صدور الجزء السابع نحو ثلاث سنين حتى جاءنا أمس فاذا هو في حلة من التصحيح والتعليق لم نأنس مثلها في الأجزاء الاولى مع فرط عناية بمقابلة النسخة على نسخ أخرى واستخراج زبدة خالصة ترتاح لها النفس ويطمئن اليها القلب . ومع هذا كله فقد عثرنا في هذا الجزء السابع على طائفة من الأغلاط رأينا من الفائدة نشرها في مجلتنا تتمياً لعملنا السابق وخدمة لهذا الكتاب النفيس ومشايعة لمصححه الفاضل على حسن سعيه . فيكون لنا فضلة ما يستحقه من الثواب . كما يكون له منا ومن القراء كل شكر وثناء وإعجاب .

فمن الأغلاط التي عثرنا عليها في هذا الجزء وأمكننا التفطن لصوابها ما جاء في :

صفحة ٣ سطر ٥ (أتي صلى الله عليه وسلم بما أعجز البلغاء . وأخرس الفصحاء . وفلّ حدّ المؤرخين) صوابه (المعارضين) والا فإنه لم يكن في بلاد العرب في زمنه صلى الله عليه وسلم طائفة من علماء التاريخ يكسر شوكة علمهم . وانما هم معارضون يفلّ حدّ معارضتهم .

ص١٢ س١ — (وقال أزدشير بن بابك) صوابه (أردشير) بالراء المهملة وهو

من الأغلاط التي عمت بها البلوى . على ان (أردشير) كتب على الصحة في الصفحة ٢٧٣ من الكتاب .

ص١٩ س٦ — (فوصف نفسه تعالى جدّه بانّ علّم بالقلم . كما وصف به نفسه بالكرم) كلمة (به) مقحمة والصواب إسقاطها .

ص١٩ س٦ — (واعتدّ بذلك من نعمه العظام) صوابه (ذلك) لان اعتدّ هنا بمعنى عدّ وهو يتعدى بنفسه .

ص١٩ س١١ — (فلينعم ربّها وإصلاحها) قوله (ربّها) اي ربّ الدواة ولعل الأصوب (ريّها) من الريّ : اي ان على الكاتب ان يعتني بترويه دواته بالحبر و يتعهدها بسائر ضروب الاصلاح .

ص ٢٠ س١٥ — (وتركُ الشكل على الخطأ) ضُبط (تركُ) بالرفع والصواب جره عطفًا على (الكسوف) ليكون مما يحترز منه الكاتب لا مما يحتاج اليه .

ص٢٤ س١ — قال في صفة أقلام (شاكلت الذهب في ألوانها . وضاهت الحرير في لمانها . بطيئة الحفا . نمرةُ القوى) صوابه (مُمَرّة القوى) اسم مفعول من أمرّ الحبل فتله فتلاً شديداً . والممرّ الحبل المفتول كذلك . والقوى جمع قوة الطاقة من طاقات الحبل . والمراد وصف الأقلام بالقوة والصلابة واشتداد الأسر .

ص٢٥ س٢ — وقال في صفة الأقلام ايضًا (نثرت الواناً تزري بورد الخدود . وأبدت قامات تُفصح بأوَد القدود) صوابه تفضح أوَد القدود . اي ان استقامة هذه الاقلام تخجل وتفضح ما في قدود الحسان من الأود والاعوجاج . وبذلك يحصل التناسب بين (تزري) و (تفضح) .

ص٣٤ س١٦ — سرد المؤلف ما يحتاج اليه الكاتب من الامور . ومنها معرفته للأحكام السلطانية « فانه قد يأمر بامر فيعرف منها (اي من الأحكام السلطانية) كيف يخلص قلمه على حكم الشريعة المطهرة) صوابه (الى حكم) لان فعل (خلص) بمعنى (وصل) وهو يتعدى بحرف الجر (الى) اي انه بمعرفته الأحكام السلطانية يهتدي قلمه الى حكم الشريعة ولا يضلّ عنها . ومن شواهد تعدية فعل خاص بالى ما جاء في حديث البخاري من قول هرقل (فلو أعلم اني أخلص اليه لتجشمت لقاءه) و يحتمل ان يكون التحريف

في (يخلص) ويكون أصلها يخض قلمه على حكم الخ ·

ص٣٧ س٧ — (يقع فيه كالواقف بمكان غيره) لعل صوابه يقف فيه كالواقف الخ ·

ص ٤٩ س١٢ — (مع طرح ذكر المشبه من البيّن لفظاً وتقديراً) هكذا ضبطت (البيّن) بتشديد الياء فعلّق المصحح على ذلك قائلاً انه غير ظاهر ولعل صوابه « من الشيئين يريد الطرفين » · اقول انما جاء الإشكال من تشديد ياء « البين » وهي غير مشددة اذ هي (بين) مخففة الياء بمعنى وسط واكثر استعمالها ظرفاً وتستعمل اسمًا فتدخل عليها اللام فقوله (مع طرح ذكر المشبه من البين) اي من بين الكلام وتضاعيفه · نعم قد يكون هذا الاستعمال من صنيع المولدين · ويظهر انه قديم من عهد المؤلف · وما زال مستعملاً في كلامنا الدارج الى اليوم ·

ص ٦١ س١٤ — (بل جعل الانطلاق والبسط الخ) صوابه (بل جعل البسط) باسقاط كلمة (الانطلاق) لان بيت الشعر الذي فيه كلمة الانطلاق وهو قوله :

(لا يألف الدرهم المضروب صرتنا لكن يمر عليها وهو منطلق)

لم يسبق له ذكر بعدُ · وانما ذكرت آية (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) فلعل البيت كان متقدمًا فأخر سهواً أو ان الناسخ سبقه قلمه فكتب كلمة (الانطلاق) ·

ص٩٧ س١٦ — (حدا بابي ام الرئال فأجفلت نعامته من عارض متلبّب)

قال المصحح تعليقًا على كلمة (متلبّب) في الاصل متهلب وما اثبتناه عن كتاب (حسن التوسل) اذ هو المناسب لما هنا ولعل ما في الاصل مقلوب عن متلهب اي متوقد غيرة وحمية · والمتلبّب المتحزم بالسلاح يريد المتهيء للقتال اه قول المصحح · اقول كان الواجب على المصحح وقد ارتضى نسخة (المتلبّب) ان يصحح كلمة (عارض) بفارس لان الفارس هو الذي يتلبّب ويتحزم بالسلاح · أما وقد ابقى كلمة (عارض) على حالها — والعارض هو السحاب المعترض في الأفق — فلم يبق في إمكاننا قبول كلمة (متلبّب) وانما نعوّل على ماجاء في الاصل من كلمة (متهلب) : فتكون (متهلّب) اسم فاعل من تهلّب اي انتسب الى آل المهلب لان الممدوح بالقصيدة هو المهلب بن ابي صفرة · او ان كلمة المتهلب محرفة عن (متهلل) والعارض المتهلل هو المتلألأ بلمعان البرق وانصباب المطر · قال ابو كبير الهذلي يصف تأبط شراً :

(واذا نظرت الى أسرّة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل)

وتمكن معرفة حقيقة الكلمة إن كانت (متهلب) او (متهلل) بالرجوع الى القصيدة التي منها البيت فيرى ان كانت بائية او لامية .

ص٩٨ س١٢ — قول المتنبيّ :

(فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا قلاقل عيش كلهن قلاقل)

صوابه (قلاقل عيس) بالسين المهملة وهي النياق . يقول انني حركت بسبب الهم الذي حرّك أحشائي قلاقل عيس اي ابلاً خفافاً في السير والضرب في البلاد . والا فان (العيش) ليس له قلاقل . ثم لايحسن ان يرجع ضمير (كلهن) الا لقلاقل الابل . على ان الشائع على ألسنة الناس (قلاقل عيش) بالمعجمة .

ص ١٠٨ س ٦ — (فان زادت القرائن على اثنين) صوابه على اثنتين لان القرائن جمع قرينة .

ص١٢٥ س١١ — ذكر المؤلف من أنواع البديع (عتاب المرء نفسه) وقال إن هذا النوع من أفراد ابن المعتز ولم يُنشد (اي ابن المعتز) عليه سوى بيتين ذكر ان الآمدي أنشدهما عن الجاحظ . هذا ماقاله المؤلف وعلق عليه المصحح قوله : « ان الذي في نسخة تحرير التحبير (الأسدي) مكان (الآمدي) قال ولم نقف فيما بين ايدينا من المظانّ على ما يرجح احدى الروايتين . اقول ولكن الظاهر ترجيح رواية الاسدي لأن (الآمدي) مات سنة ٣٧١ هـ وكان ابن المعتز مات قبله بنحو ٧٥ سنة اي في سنة ٢٩٦هـ فكيف يروي عنه .

ص١٤٠ س١٥ — (هل لا سألت جموع كندة يوم ولوا أين أينا)

صواب (هل لا) ان تكتب متصلة (هلاّ) لانها أداة تحضيض . وهي في الاصل مركبة من (هل) و (لا) واذا دخلت على الماضي أفادت اللوم على ترك الفعل كما هنا .

ص١٥٩ س١٥ — (اللهم اني إسألك رحمةً تهدي بها قلبي . وتجمع بها امري . وتلمّ بها شعثي . وتصلح بها غايبي . وترفع بها شاهدي) . ثم قال المؤلف (فناسب صلى الله عليه وسلم بين قلبي وامري وغايبي وشاهدي الخ) ولكن اين المناسبة بين غايبي وشاهدي فصوابه اذاً (وتصلح بها غائبي . وترفع بها شاهدي) وان المناسبة بين الغائب والشاهد

ظاهرة. كأنه قال أصلح برحمتك باطني وظاهري. أو سري وعلانيتي. أوماغاب عني فلم أستطع اصلاحه كما تصلح ماشهدتُه ووقع تحت حوامي ٠

ص ١٦٤ س٩ — (وكان ابن عبيد الله قد اختلت حاله) صوابه وكان عبيد الله بدليل قوله في السطر قبله (كقول عبيدالله). ثم ان الرقم (١) ينبغي ان يوضع في السطر الذي قبله على قوله (عبيد الله بن عبد الله) ٠

ص١٨٦ س٨ — (وليكن ما تختم به فصولك في موضع ذكر البلوى بمثل « نسأل الله دفع المحذور الخ » قوله (بمثل) صوابه مثل باسقاط الباء لان مثل خبر (يكن) والمعنى وليكن ختام فصولك في هذا المقام مماثلاً لهذه الجملة. وليس الموضع هنا من المواضع التي تزاد فيها الباء لان الكون غير منفي ٠

ص١٨٨ س٧ — (فتخير في الألفاظ ارجحها وزناً الخ) صوابه من الألفاظ وهو ظاهر ٠

ص١٩٣ س٨ — (وراق التوسيع فيه. وعذب بسط الكلام فيه) لعل الصواب التوسع منه و بسط الكلام فيه او التوسع فيه و بسط الكلام عليه ٠ وبذلك يُجتنب التكرار ٠

ص١٩٥ س١٠ — يصف استسلام عدو (فلاذ بالالتجاء الى حلمنا. وعاذ باسناد الرجاء الى كفّنا عنه وحلمنا) ضُبط (إسناد) بكسر اوله مصدر (أسند) ولكننا لا نرى المعنى يستقيم عليه فلعل الصواب فتح همزة (أسناد) على انه جمع (سَنَد) وهو مايلتجئ اليه الخائف من حائط او جبل او نحوهما : فالعدو التجأ الى صلحنا فكان ذلك ملاذاً له وعاذ برجاء صفحنا عنه وحلمنا فكان ذلك الرجاء سنداً وموئلاً له ٠ ولكن ماقلناه لا يستقيم مع قوله (الى كفنا عنه) فلعل اصله (من كفنا) وتكون (من) بيانية أبانت المراد من أسناد الرجاء ٠

ص١٩٨ س١٥ — (استدرجناهم الى مصارعهم واستجريناهم ليقربوا في القتل من مضاجعهم) قال المصحح لعل صواب (استجريناهم) (أجريناهم) يعني من الجري بمعنى العدو والركض ٠ اقول بل لعل الصواب ان اصله (استجررناهم) بمعنى جررناهم وهو المناسب لقوله قبله استدرجناهم ٠

ص١٩٩ س١٧ — (وجرَّ لنفسه بموالاة التتار عناءً كان عنه في غنى ٠ وأوقع

روحه بظافرة المغول في حومة السيوف التي تخطفت اولياءه من هنا ومن هنا) قوله (بظافرة) لعل صوابه (بمضافرة) بالضاد مصدر ضافره اذا عاونه . أما ظافره بالظاء فلم نجده اتى بمعنى عاونه . نعم اختلف علماء اللغة في (تظافروا) بالظاء من التفاعل هل يكون بمعنى (تضافروا) بالضاد اذا تعاونوا ؟ وعليه اقول هل صحة (التظافر) تستدعي صحة (المظافرة) بمعنى المعاونة وان لم يذكروها في المعاجم . هذا فعل (التواصي) مثلاً ورد في فصيح الكلام : فهل نحمل عليه فعل (المواصاة) فنستعمله بمعنى التوصية وان لم يذكروه ؟؟ .

ص ٢٠١ س٨ — ذكر المؤلف انه يجب أن يراعى في التقاليد والمناشير والتواقيع امور (منها براعة الاستهلال بذكر الرتبة او الحال او قدر النعمة اولقب صاحب التقليد) قوله (اوالحال) لعل صوابه (او المال) لان تواقيع الملوك كما تصدر بالخلع والرتب تصدر ايضًا بالمال والصلات .

ص ٢٠٤ س ١١ — (وأظلتنا بوادر الفتوح . وأظلت على الاعداء سيوفنا التي هي على من كفر النعمة دعوة نوح) لعل صوابه (وأطلت على الاعداء) بالطاء المهملة لان (الإظلال) بالظاء المعجمة للرحمة والسيوف لا تظلهم برحمتها . وانما تطلّ عليهم بصواعق نقمتها . على أن فعل (الإظلال) انما يتعدى بنفسه لا بعلى .

ص ٢٠٥ س ١٥ — يصف العدو الذي استسلم (فأبصر بالخدمة مرضع رشده وأدرك بسعيه نافر سعده) قوله (بالخدمة) صوابه (بالحذق) فان الحذق هو سبب إبصاره رشده . كما ان سعيه هو سبب ادراكه سعده . اما (الخدمة) فانما تصح إرادتها على استكراه وتكلف .

ص٢١٤ س١٥ — يصف الرسالة التي يقال ان سيدنا ابابكر أرسلها الى سيدنا علي : (هي والله من بنات الحقائق . ومخبآت الصنادق) صوابه (من بنات الحقاق ومخبآت الصناديق) اما الحقائق فجمع حقيقة . وهي بمعناها العلمي قلما استعملها اهل اللسان في ذلك العهد . فصوابها اذاً (الحقاق) بكسر الحاء جمع (حُقة) بضمها وعاء من عاج او خشب تصان به الطيوب والجواهر . والصندوق معروف وجمعه صناديق لا صنادق . وذلك لكان الواو قبل آخر مفرده . ولم يرد (صندق) من دون واو حتى يجمع على صنادق . وما قلناه في ضبط الكلمتين: (الحقاق) و(الصناديق) هو الثابت في نسختنا المخطوطة من كتاب (محاضرة

الابرار) لابن عربي . واراد بقوله في صفة الرسالة انها من (بنات الحقاق) انها من جنس مايحفظ في الحقاق من الجواهر . وكرائم التحف . وفي بعض نسخ هذه الرسالة (درر الحقاق) مكان (بنات الحقاق) والمعنى واحد .

ص٢١٥ س٤ — (أنبأنا ابوالنفاح) وهو مولى ابي عبيدة . قال المصحح انه كذلك في نسخة (محاضرة الأبرار) المخطوطة المحفوظة في دارالكتب المصرية قال : والذي في الأصل (ابن المتاح) . أقول وفي نسختي (محاضرة الابرار) المخطوطة ذكر اولاً باسم (ابي الشياح) ثم جاءت في نسختي المذكورة زيادة لم اجدها في غيرها من النسخ وفي هذه الزيادة قوله (وذكر مولى ابي عبيدة ابوالنفاح بالنون والفاء) هكذا ضبطه بالحرفين النون والفاء . ثم جاء في الزيادة المذكورة قوله (قال ابوحامد قال ابوالتياح) : فاسم مولى ابي عبيدة اذاً تصحف الى اربع صور (ابوالنفاح) (ابن المتاح) (ابوالشياح) (ابوالتياح) وأوثقها الصورة الاولى لما مر من ضبطها بالحرفين النون والفاء صراحةً .

ص٢١٧ س٤ — (والباطل عنوف عسوف) قال المصحح (لم نقف على هذه الصيغة فيما لدينا من الكتب) أقول وفي بعض النسخ (نسوف عصوف) فالنسوف إما من قولهم (عقبة نسوف) اذا كانت طويلة شاقة تتعب سالكها . واما من (بعير نسوف) اذا كان يقتلع النبت من أصله بمقدم فمه . و (عصوف) هي الريح الشديدة .

ص٢١٧ س٥ — (والتعريض سجال الفتنة) قال المصحح (السجال) جمع سجل وهو الدلو العظيمة . اقول ولعل الصواب ما في نسختي المخطوطة (شجار الفتنة) و (الشجار) من شجر الطبيب فم المريض اذا فتحه بواسطة عود ثم صب فيه الدواء والعود المذكور هو الشجار . وفي حديث سعد رضي الله عنه ان أمه قالت له (لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى تكفر بمحمد (ص) قال فكانوا اذا أرادوا ان يطعموها او يسقوها شجروا فاها اي ادخلوا فيه الشجار ففتحوه وصبوا فيه الطعام والشراب . ومعنى كون (التعريض شجار الفتنة) ان التورية في الكلام والتلميح به الى عيوب الخصوم وسيئات اعمالهم تثير الحفائظ وتهيج الأحقاد ويكون ذلك كالشجار يفتح به فم الفتنة بعد ان كان مطبقاً فتلتهم الأخضر واليابس .

ص٢١٨ س٧ — (ويسري فيه ظعنك) لعل الأصوب ما في النسخة الأخرى

(و يستشري فيه ضغنك) من استشرى الامر عظم وتفاقم او من استشرى الرجل في الامر لج وتمادى . و(الضغن) الحقد . ومعنى الجملة هذه يلتحم بمعاني الجمل التي قبلها وبعدها باكثر مما يلتحم معنى جملة (و يسري فيه ظعنك) .

ص٢١٨ س١٠ — (او مثلك ينقبض عليه الفضاء) لعل الأصوب ما في النسخة الأخرى (يُغصّ عليه الفضاء) من قولهم غصّ المكان بالقوم امتلأ بهم وضاق عليهم وأغصّ فلان علينا الارض اذا ضيقها .

ص٢١٩ س٩ — (ولانبلغ مراداً الى شيء الا بعد جرع العذاب معه) الصواب إسقاط احدى الكلمتين : اما إسقاط (الى شيء) واما إسقاط (مراداً) كما في نسختي المخطوطة وعبارتها هكذا: (ولانبلغ الى شيء الابعد جرع الغصص معه) وكأنه ضمن (نبلغ) معنى نصل ولذا عداه بحرف الجر (الى) وقد قرن في هذه النسخة (الغصص) بالجرع وهو أشبه بكلام البلغاء : فانهم اكثر مايقرنون (الذوق) بالعذاب فيقولون (ذاق العذاب الواناً) و(الغصص) بالجرع والتجرع . قال بعض الأذكياء . في تعريف الدهاء : هو (تجرّع الغصص . وترقّب الفرص) .

ص٢٢٠ س١ — (ولولا سنك) الاظهر ما في نسختنا المخطوطة (ولولاحداثة سنك) .

ص٢٢٠ س٢ — (وانهض الخير لك) لعل الاصوب ما في نسختنا المخطوطة (وأرهص الخير لك) قال في الأساس (ومن المجاز أرهص الشيء أثبته وأسسه . وأرهص الله فلاناً للخير جعله معدناً له ومأتى) فعلى المعنى الثاني يكون في عبارة الكتاب قلب و يكون الأصل (وارهصك للخير) .

ص٢٢١ س٨ — (وخصّه بمزية . وأفرده بحالة) لعل الاصوب ما في نسختنا المخطوطة (وأفرده بجلالة) اذ المقام يقتضي الافراد بالمزايا الحسنة . وكلمة (الحالة) تشمل القبيحة . و (الجلالة) بالتاء عظم القدر اما (الجلال) من دون تاء فهو التناهي في عظم القدر ورفعة الشان . ومن ثمّ استعمل المتأخرون (الجلالة) في جانب الملوك و(الجلال) في جانب المولى عزّ وجلّ .

ص٢٢٣ س٤ — (قال ابو عبيدة فلما تأهبت للنهوض قال لي عمر : كن لدى الباب هنيهة فلي معك دور من القول) اول ماخطر ببالي عند قول عمر (دور من القول)

انه شاهد لقول كتّاب هذا العصر « وانا اقول في دوري » ترجمةً للعبارة الافرنسية (A mon tour) ولا نبقى حاجة الى العدول عن كلمة (دور) الى كلمة (نوبة)٠ لكن خاب ظني لما رجعت الى نسختي المخطوطة فوجدت العبارة فيها هكذا (فلي معك ذَرْءٌ من القول) فعلمت اذ ذاك انها الصواب وان كلمة (دور) محرفة عن (ذرء) بالهمزة او عن (ذرو) بالواو وكلتاهما بمعنى واحد قال القاموس وشرحه (ويقال بلغني ذَرْءٌ من خبر اي شيء منه وطرف منه٠ والذرء ايضاً الشيء اليسير من القول : قال الشاعر :

(أتاني عن مغيرة ذَرْءُ قولٍ وعن عيسى فقلت له كذا كا)

وقالوا في مادة ذرو (بلغني عن فلان ذَرْوٌ من القول) اي طرف منه و (أخذ في ذَرْوٍ من الحديث) اي انه عرّض ولم يصرح ٠ فلا جرم ان تكون كلمة (دور) محرفة عن كلمة (ذرو) ٠ ومثل هذا التحريف قلما يمكن التحرز منه ٠

ص٢٢٣ س٥ — (لحقني بوجه يبدي تهللاً) قوله (يبدي تهللاً) ليس من جنس كلام العرب فلعل صوابه ما في نسختي المخطوطة (يندى تهللاً) بالنون من ندي الشيء ابتل ٠ ويستعمل مجازاً في مثل قولهم (فلان ندي الكف) اذا كان سخياً جواداً ٠ واذا نسبت النداوة الى الوجه كان المراد بها الحياء او التهلل والبشاشة (ووجهك من ماء البشاشة يقطر) ٠

ص٢٢٥ س١١ — (يمص إهابك ٠ ويعرك اديمك) (الإهاب) الجلد ولا معنى لمصه : لاحقيقةً ولامجازاً فلعل صوابه مافي نسختي المخطوطة (يمض) بالضاد المعجمة من مضه اوأمضّه الامر اذا أحرقه واوجعه وآلمه ٠ ولاريب ان قولك لآخر فلان يمضّ جلدك اي يوجعه خير من قولك له (فلان يمص جلدك) ويؤيد ماذهبنا اليه قولهم (فلان أمضّه جلده فدلكه) اي شعر في جلده بحكة وأكالٍ فحكه وفركه ٠

ص٢٢٥ س ١٤ — (فتودّ أن لو سُقيت بالكأس التي أبيتها ٠ ورُددت الى حالتك التي استغويتها) لا معنى للاستغواء هنا ولعل صوابه ما في نسختي المخطوطة (الى حالتك التي استبرأتها) من استبرأ الشيء اذا طلبه الى النهاية ليعرفه ويقطع الشبهة عنه ٠ فعمر يقول لعلي رضي‌الله عنهما : أتمنى الرجوع الى حالتك التي كنت على بينة منها ووثوق بها٠

ص٢٢٨ س١ — (ولقد سمعت أماثيلك التي لغّزت فيها الخ) ٠ ضُبط (لغّزت)

بالتشديد وقال مصححه « كذا ورد الفعل بتشديد الغين في اساس البلاغة » اقول لكنني لم أجده جاء بالتشديد في كتب اللغة بل ان بعضها اقتصر على (ألغز) كلسان العرب وبعضها ذكر مايفيد انه جاء ثلاثياً ايضاً وهذا كالقاموس فانه قال (اللَّغْز ميلك بالشيء عن وجهه) فتفسير اللغز بالميل دليل على انه انما يفسر مصدر الثلاثي . نعم في اساس البلاغة طبعة دار الكتب المصرية (سنة ١٩٢٣م) قال : (ألغز ولغّز) وشدد الغين لكن بالشكل لابالحرف . وعندي ان في هذا التشديد نظراً . فلعله سهو من الناسخ او الطابع .

ص٢٢٩ س١٢ — (وفي الله سلوة عن كل حادث . وعليه التوكل في كل الحوادث) .

لعل الأصوب ما في نسختي المخطوطة (وفي الله سلوة عن كل كارث الخ) وبذلك يجتنب التكرار او شبه التكرار بين (الحادث) و (الحوادث) .

ص٢٣٣ س١١ — (حتى قاءت « اي الارض » أُكُلها معناه أخرجت خبزها) هكذا فسّر الأُكُل بالخبز ولعل صوابه (الخير) وبيانه ان الأُكل بمعنى الثمرة ومنه قوله تعالى (أُكُلها دائم) و (كلتا الجنتين آتت أُكلها) ويستعمل في كلام البلغاء مجازاً بمعنى الحظ والرزق الواسع ومنه قولهم (ان فلاناً لعظيم الأُكل من الدنيا) اي هو ذو حظ ورزق واسع منها . وجملة (حتى قاءت أُكلها) من كلام السيدة عائشة في صفة عمر رضي الله عنهما تقول انه في خلافته ذلل الارض حتى قاءت اي لفظت مافيها من الكنوز وأخرجت ما استقر في جوفها من الرزق والخير للمسلمين . ولعمري ان تفسير الأُكل بالخبز يقلل من شأن الأُكل و يحقر من مجهود عمر . بل لو قال قائل ان المراد بالخبز الحنطة لم تكن الحنطة شيأ مذكوراً بالنسبة الى الخير العظيم المختلف الألوان الذي ناله المسلمون في عهد عمر . فالصواب اذاً تفسير الأُكل بالخير لا بالخبز .

ص ٢٤٠ س ١٠ — (واجعل بينك وبين رعيتك من العدل والانصاف شيأ يكفيك وفادة الوفود واستماحة الممتاح) قوله (شيأ) لعل صوابه (سبباً) اي اجعل من عدلك وانصافك سبباً الى طمأنينة رعيتك وهدوئهم في منازلهم واكتفائهم بذلك عن تحمل مشقة السفر اليك للسؤال والاستماحة .

ص٢٤٠ س١١ — (فان كل امرء انما يجمع في وعائه الا الأقل الخ) صوابه الأقل باسقاط (الا) .

ص٢٤١ س٣ — (لم اكن والله زوّرته قبلُ ولا رويته بعدُ وانما كانت كلمات نفثهن لساني حين الصدمة) زوّرت الكلام هيأته في نفسي قبل التصريح به . وقوله (رويته) ضبط بتخفيف الواو ولعل الأصوب فيه تشديدها و يكون اصله (روّأته) مهموزاً: يقال روّأ في الامر وروّى فيه اذا نظر فيه وتأمل وتفكر . ومنه (الروِيّة) . و بهذا المعنى تصح الجملة اشد التحاماً بما قبلها وبما بعدها .

ص ٢٥٤ س ٣ — (فما الذي يبرد غليلك . و يشفي إجاج صدرك) قال المصحح في تفسير (الإجاج) انه جمع إجة بمعنى شدة الحر وتوهجه . وهو كما قال غير ان استعمالها مجازاً في معنى حرارة الصدر غيظاً قليل الورود في كلام البلغاء ودليل ذلك ان الزمخشري لم يشر اليه في أساسه . فالكلمة اذاً مصحفة عن (أحاح) بهمزة مضمومة وحائين مهملتين ومعناه العطش . وقد كثر استعماله مجازاً في الغيظ وحرارة الغم . وهاك ما قاله القاموس وشرحه (والأحاح بالضم العطش والغيظ وقيل اشتداد الحزن او العطش . وسمعت له أحاحاً اذا سمعته يتوجع من غيظ او حزن قال الشاعر : (يطوي الحيازيم على أحاح) والاحاح حزازة الغم كذا بخط الجوهري بزائين (معجمتين) وفي نسخة حرارة برائين (مهملتين) اهـ .

اقول ومنه ايضاً قول الحماسي عبد الشارق بن عبدالعزى :

(فباتوا بالصعيد لهم أحاح ولو خفّت لنا الكلمى سرينا)

وقد فسّر شراح الحماسة (الأحاح) بالعطش وفسره آخرون بالانين المنبعث عن الألم .

ص٢٥٥ س١٧ — (تنفر عنه القلوب . وتغض عنه الأبصار) لعل صوابه (تنفر منه) لا عنه . تجنباً للتكرار مع (عنه) الثانية .

ص٢٦٠ س٥ — (من ذلك ما كتب به عبد الحميد بن يحيى بالوصاة على انسان) صوابه (بانسان) لأن الوصاة اسم مصدر لأوصى وهو يتعدى بالباء لا بعلى .

ص٢٦٦ س١٠ — (في ظل ظليل . ونسيم عليل . وريح بليل . وهواء ندي . وماء رويّ) لعل صوابه (وهواء عذِي) بالذال المعجمة والياء المخففة وتشدّد اي طيب ملائم للصحة واكثر استعماله في المكان يقال (ارض عذية) كما تقول طيبة المناخ بعيدة عن الوخم

و يقول عامتنا اليوم (عدي) بالدال و (نجدالعدية) . اما قوله (ندي) فمعناه المبتل . وعلى فرض صحة استعماله في كلام البلغاء يكون مكرراً مع قوله قبله (ريح بليل) ولا يخفى ان التأكيد خير من التأسيس .

ص٢٦٧ س٥ — (فذاك والله اكنف ظلالك في العاجلة . وأروحها في الآجلة) لعل صوابه (اكثف) بالثاء المثلثة . وان توصيف الظل بالكثافة أشبه بكلام البلغاء من وصفهم له بالكنف : فان (الكنف) حياطة الشيء من أكنافه وجوانبه . والظل انما يكون من فوقه . فبين الكنف والظل شبه تضاد .

ص٢٦٧ س٩ — (وهل حلا بصدرك ان تظفر بفوت مزيح او موت مريح) قوله (حلا) بالالف من (حلا يحلو) من الباب الاول اذا صار حلواً . وهو في كلام البلغاء انما يستعمل لما يكون مذاقه حلواً في الفم . أما مايكون حلواً في الصدر او القلب او العين فيستعمل معه فعل (حَلِيَ يحلى) من الباب الرابع : يقال حَلِيَ الشيء في عيني وحَلِيَ في قلبي وحَلِيَ في صدري . قال الاصمعي (حلي في عيني بالكسر وحلا في فمي بالفتح) وقال في اساس البلاغة (ومن المجاز حَلِيَ فلان في صدري وفي عيني قال الشاعر :

(فلم يحل بالعينين بعدك منظر)

ص٢٦٧ س١٣ — (أم من يرغب عن مكاثرة بمن ينسب الربيع الى خُلقه) قال المصحح الاصل (مكاثرة من ينسب) باسقاط الباء والسياق يقتضي اثباتها . اقول ولكن فعل كاثر انما يتعدى بنفسه لا بالباء . يقال كاثروهم فكثروهم اي غلبوهم بكثرة العدد . وليس المراد بالمكاثرة هذا المعنى هنا انما المراد المعنى الآخر وهو كما في القاموس (كاثره الماء اذا أراد لنفسه منه كثيراً ليشرب منه) فالصاحب ابن عباد الذي كتب هذه العبارة كأنه يقول لصديقه : من يزهد في الاستكثار من التمتع بنضارة الربيع ؟ لا أحد . كذلك انا أريد لنفسي مكاثرة ربيع خلق صاحبي كما يكاثر العطشان غيره الماء عند الورود مريداً لنفسه الكثير منه ليروى . فقوله (مكاثرة من ينسب) من اضافة المصدر الى مفعوله الثاني . هذا اذا لم تكن مكاثرة محرفة عن كلمة أخرى .

ص٢٦٨ س٤ — (وحولي اعمال واشغال لا يسلم معها فكر . ولا يسلم بينهما طبع) لا يسلم ولا يسلم تكرار يتجنبه البلغاء عادةً فلعل صواب احدهما (لا يسلس) اي لا ينقاد ولا يطيع .

ص٢٧٠ س١٦ — (ولامجال للعتب عن هذه الاحوال) صوابه على هذه الاحوال

ص ٢٨٠ س ٦ — قوله في رسالة ابن زيدون (واظهر واضمر · وابتدأ واخبر · واستفهم وأهمل وقيد · وارسل واسند) الصواب اسقاط كلمة (واستفهم) فقد طالت بها السجعة عن تاليتها خلافاً لاصول السجع · وكأن هذه الكلمة هنا من رواية أُخرى جاءت في بعض النسخ وهي (واظهر واضمر · واستفهم واخبر) مكان (وابتدأ واخبر) ·

ص٢٨١ س٩ — (فكدمت غير مكدم ونفخت في غير فحم) صوابه كما في نسختنا (سرح العيون طبعة المليجي ١٣٢١ هـ) (فكدمت غير مكدم واستسمنت ذا ورم ونفخت في غير ضرم) وبذلك استقامت السجعة وصح المعنى · والا فان النفخ في الفحم لا يوري ناراً كالنفخ في الرماد بخلاف النفخ في الضرم فانه يزيده وقوداً واشتعالاً ·

ص٢٨٤ س٤ — (وهلا علمت ان الشرق والغرب لا يجتمعان · وشعرت ان ناديي المؤمن والكافر لا يتراءيان) ناديي بالدال تثنية نادي وهو مجتمع القوم والمعنى عليه صحيح ومع هذا فالصواب فيه (نارَيْ) تثنية نار بالراء لان ابن زيدون انما يريد التلميح الى الحديث الشريف · وهو كما في النهاية (قال صلى الله عليه وسلم انا بريءٌ من كل مسلم مع مشرك) قيل لمَ يارسول الله ؟ قال : (لاتتراءى ناراهما) اي يلزم المسلم ويجب عليه ان يباعد منزله عن منزل المشرك ولا ينزل بالموضع الذي اذا أُوقدت فيه ناره تلوح وتظهر لنار المشرك اذا أُوقدها في منزله ولكنه ينزل مع المسلمين في دارهم · وانما كره مجاورة المشركين لانهم لاعهد لهم ولاامان وحثّ المسلمين على الهجرة · والترائي تفاعل من الرؤية ···· واسناد الترائي الى النار مجاز من قولهم داري تنظر الى دار فلان اي تقابلها اهـ ·

ص٢٨٥ س٥ — (وما أمّنك ان تكون وافد البراجم · او ترجع بصحيفة المتلمس · وافعل بك مافعله عقيل الخ) صواب (أفعل) (او افعل) كما هو في نسختي المذكورة لان (او) للتقسيم والمقام هنا يقتضيه ·

ص٢٨٦ س٧ — (ما كنت لأتخطى المسك الى الرماد · ولالأمتطي الثور دون الجواد) الأصوب فيه (بعد الجواد) اي ان تعرف ولادةُ ابنَ عبدون الثور بعد ان عاشرت والفت ابن زيدون الجواد · على ان الكاتب انما اراد التلميح الى قول المتنبي في بيته المشهور وهو :

(ومن ركب الثور بعد الجوا د انكر أظلافه والغبب)

يريد انه وجد الفرق بيّنًا في معاشرة كافور الإخشيدي بعد ان عاشر سيف الدولة وكني عن هذه المعاشرة والخلطة بالركوب وقد عابوا عليه ذلك في مخاطبة الملوك ·

ص٢٨٧ س٦ — (وان كنت انما بلغت قعر تابوتك · وتجافيت لقميصك عن بعض قوتك) · قوله (لقميصك) يجب اسقاطها لعدم الحاجة اليها ولظهور حشوها وهي غير موجودة في نسختي المليجية ·

ص٢٨٨ س١ — (وحلّيتك مارية بالقرطين · وقلدك عمرو بالصمصامة) صوابه (الصمصامة) من دون باء الجر لان فعل (قلّد) يتعدى بنفسه يقال قلدته السيف فتقلده ·

ص٣٠٨ س٦ — (فإما ان تبهرني بحجة فأتنصل عندك · وإما ان تقر بحقيقة فاستديم خلتك · وإما ان تأزم على يأسك فأقطع حبلي منك) فسّر المصحح (الأزم) بالمواظبة والدأب وأبقى كلمة اليأس على حالها فلم يتعرض لها · وبذلك بقي الكلام او التقسيم غير مستقيم : لان الكاتب يعاتب صديقه فهو يقول له : إما ان تأتي ببرهان على خطإي فاعتذر اليك · وإما ان تعترف بحقيقة خطإك فأدوم على صداقتك · والحالة الثالثة — كما هو ظاهر العبارة — ان تواظب انت على يأسك · فأقطع حبل الود بيني وبينك · ومواظبته على اليأس لامعنى له وليس هو من جنس كلام البلغاء وصوابه (واما ان تأزم على فأسك) و(الأزم) العض وهذا هو معناه اللغوي و (الفأس) الحديدة المعترضة في حنك الفرس : قال في القاموس والاساس : (أزم الفرس على فأس اللجام اذا عض عليه) · ومنه قول يزيد بن الحكم من شعراء الحماسة :

(والخيل اجودها المنا هب عند كبّتها الأزوم)

يعني بكبتها حملة الحرب وازدحامها وقالوا في تفسير (الأزوم) هو العضوض على اللجام لفرط قوته وشدته · وقد كنّى بقوله هنا (وإما ان تأزم على فأسك) — عن لجاج صديقه وإصراره على ذنبه : فلا هو يحتج لنفسه · ولا هو يعترف بخطإه · بل بقي راكبًا رأسه عاضًا على فأس لجامه كما يعض الفرس الشديد الشكيمة على شكيمته فهو لا يلين لراكبه · ولا يرفق بصاحبه · « المغربي »

امم تسود وامم تبيد(١)

« أمم تسود وأمم تبيد » — سلسلة طويلة عديدة الحلقات من قبل التاريخ بقرون الى اليوم . ولكن هذه السلسلة كلما تقادمت عهودها كانت صغيرة الحلقات . و بالعكس كلما كانت أحدث عهداً كانت حلقاتها اكبر واطول .

فمنذ قبل التاريخ تعاقبت على دلتا النيل ودلتــا دجلة والفرات وما بينهما من البلاد التي كانت مهد التمدن أمم عديدة قبل ان تأسست دول الفراعنة ودول بابل واشور ومادي وفارس وفينيقية والعرب . وليس عندنا من اخبار تلك الامم المنقرضة الا خيوط ضئيلة جداً غزلت من آثارها في العصرين الظراني والمعدني .

ولما كان الغرض من هذه المحاضرة ان نستخرج من حوادث المجتمع الانساني المسلسلة المتشعبة نواميس نشوء الامم واضمحلالها وانقراضها يكفينــا ان نستشهد كلما دعا داع للاستشهاد بالامم التاريخية التي اتصلت الينا اخبارها .

اما ان الامم تنشأ وتنمو وتسود ففي التاريخ كله شواهد ناطقة عليه ونحن نشاهد اليوم كثيراً منهــا مشاهدة عيان . واما ان الامم تنقرض انقراضاً تاماً فعندنا خبر عاد وثمود والعرب البائدة في الجاهلية وقبلها وناهيك غيرها مما يرد ذكره هنا في سياق هذا المقال .

اما انقراض أمة او قبيل من الناس فله ثلاث كيفيات :

١ — الاولى ان تنقرض السلالة برمتهــا لحماً ودماً وهو اشنع كيفيات الانقراض وذلك بان تغزوها سلالة او سلالات اقوى منها جداً ، فاما ان تطردها من البيئات الخصبة الى البيئات القاحلة حيث تفني تدريجاً لقلة الرزق كما ان القبائل التي وفدت قبل التاريخ الى أعالي النيل عن طريق البحر الاحمر من جزيرة العرب طردت القبائل القديمة التي عمرت وادي النيل قبلها بعض العمران ، ثم دفعتها الى سلسلتي الجبال والصحراء وواحاتها ، وحلت محلها ، وانشأت دول الفراعنة ، فانقرضت تلك الامة القديمة ؛ وان

(١) محاضرة الاستاذ نقولا حداد التي القاها في بهو المجمع العلمي في ١٤ حزيران سنة ١٩٢٩ م .

كان قد بقي منها بقية فهم يقيمون في بعض الواحات القصية التي اكتشف بعضها حديثاً او ربما تسرب بعضهم الى اواسط افريقية حيث امتزجوا بزنوجها وهم اقرباؤهم في السلالة ·

والا فاذا لم تكن وسيلة الانقراض الطرد على نحو ما تقدم بيانه فهناك وسيلة الاسترقاق القاسي ومعاملة الغزاة للمغزوين كمعاملة البهائم فينقرض هؤلاء تدريجاً لسوء المعيشة فضلاً عن الشقاء في الخدمة ·

مثل هذا الانقراض في المملكة الحيوانية كثير فان كثيراً من الحيوانات البائدة التي لم يبق لها اثر الا عظامها انقرضت على هذا النحو امام حيوانات اقوى منها بدناً وادهى حيلة او امام الانسان نفسه الذي اخذ محلها ولم يستطع ان يدجّنها لخدمته · فالبلاد العامرة الحضرية الآن خالية من جميع الحيوانات الضارية والشرسة التي توجد اليوم في اواسط افريقية · كما انها خالية من القبائل المتوحشة التي طغت عليها قوى الحضارة فأفنتها ·

٢ — هذه اولى الكيفيات التي تنقرض بها السلالة او القبيلة انقراضاً فعلياً اي لحماً ودماً . اما الكيفية الثانية فهي اندماج السلالة المغزوة بالسلالة الغازية واندغامها فيها بواسطة المزاوجة اذا كانت عادات هذه لا تحظر المزاوجة · ولهذه الكيفية الثانية اسلوبان:

الاول : ان يتخذ رجال الامة الغازية من نساء الامة المغزوة المستعبدة او المسبية المسترقة زوجات او خلائل فتقل مواليد العبيد لقلة نسائهم و بالتدريج ينقرضون· فيكون الاندماج من جهة النساء فقط · ولذلك يكون تلوث دم الامة الغازية بدم المغزوة قليلاً ·

والثاني : ان يباح التزاوج الشرعي لكلا الفريقين الغازين والمغزوين اذا لم تكن العادات والتقاليد مانعة وكان الفريقان متعادلين في القوى الاجتماعية والادبية ودرجة الانحطاط او الارتقاء ·

مثل هذا وذاك حدث كثيراً في الازمنة التاريخية والحديثة في القبائل الهمجية ·

ومن أمثلة ذلك الآن هنود اميركا · فانهم ينقرضون تدريجاً على هذا النحو · ينقرضون حتى في جمهورية الولايات المتحدة الاميركية التي تعاملهم بكل رفق وشفقة · فقد هيأت لهم كل وسائق الرقي · فمن رقي منهم اندمج بالشعب الاميركي · وقد زادت

الحكومة على ذلك ان اعلنت انها تمنح كل رجل ابيض يتزوج هندية مزرعة ذات ١٦٠ فداناً كمكافأة له او كمهر للعريس ·

هذه الكيفية الثانية لانقراض السلالة تتصل بالكيفية الثالثة وهي اندماج الامم المختلطة بعضها ببعض وهي التي تجاوزت طور الهمجية واخذت تتمادى في الحضارة فزالت الفوارق بينها · فاختلطت في المعاملات وامتزجت بالتزاوج فاندمج بعضها ببعض · وانما بقي الاسم فيها للامة المتغلبة قوة او عدداً او رقياً او جميع هذه · فهذا الانقراض لا يعد انقراضاً حقيقياً بل هو تطور اجتماعي وسلالي ايضاً ·

فالكنعانيون والحثيون انقرضوا على هذا النحو اذ تدفعوا امام الاسرائيليين واندمجوا بالفينيقيين وغيرهم من الامم المجاورة · والفينيقيون بدورهم اندمجوا باجدادهم العرب ثم باليونان والرومان · والمصريون الاخيرون اندمجوا بالرومان والعرب ·

واما السلالات التي لم تبح لها تقاليدها التزاوج بغيرها بل بقيت محافظة على كيانها وسلامة سلالتها من الامتزاج ، فالتي استطاعت منها البقاء جددت كيانها ، كأمة اليهود الذين عادوا الى بلادهم بعد سبي بابل وجددوا مملكتهم ثم تبعثروا مرة أخرى · وعادوا اليوم يحاولون تجديد مملكتهم · واما التي لم تستطع البقاء فأخذت تتضاءل تدريجاً كأمة السامريين التي لم يبق منها الى اليوم الا ١٩٤ نفساً معظمهم في نابلس · وقد روى لي رئيس كهنتهم ان عندهم ١٩ شاباً لا عرائس لهم : وهم مضطرون ان يأخذوا لهم عرائس من نساء اليهود ولو من ضالتهن · فهم صائرون الى الانقراض الفعلي الا اذا شاء ربك ان يبقيهم اثراً حياً في متحف التاريخ الاجتماعي وكاهنهم يتمنى ذلك ·

هذه هي الكيفيات الثلاث لانقراض الامم · وما هي موضوع مقالنا بالذات وانما الموضوع الرئيسي الذي نحوم حوله هو استخراج النواميس الاجتماعية لنشوء الامم وسؤددها ثم انقراضها · ولاجل ذلك نأتي على بيان تفاعل الامم في احوال اصطداماتها واحتكاكاتها في الغزوات والحروب والاستعمارات وعلى بيان نتائج هذا التفاعل ·

* * *

في حالة تفاعل الامم على نحو من الانحاء المتقدمة لا بد من وجود ثلاث حالات :

الاولى : ان تكون الامة الغالبة ارقى من الامم المغلوبة ·

الثانية : ان يكون العكس ، اي ان الامة المغلوبة ارقى من الغالبة .

الثالثة : ان تكون الامتان متعادلتين في الرقي وربما كانتا متشابهتين فيه .

١ — اما الحالة الاولى وهي ان تكون الغالبة ارقى من المغلوبة فهي الحالة الراجحة في التاريخ وهي طبيعية لان الرقي يغلب الانحطاط والعلم يغلب الجهل والحضارة تغلب البداوة . ونتيجة هذه الغلبة ان تكسب الامة الغالبة تمدنها للامة المغلوبة اذا كانت هذه في درجة من الرقي تقدرها على قبوله .

فمن امثلة ذلك الامة الاشورية التي تعاظم امرها واستفحل سؤددها حتى غزت سوريا وفلسطين الى ان بلغت الى مصر . ومن العرب طغت الى اليونان وسائر شرقي البحر المتوسط . وقد عظم تمدنها في ذلك العهد وارتقت معارفها وصناعاتها . وبذلك نشرت تمدنها على جميع هذه الممالك ولا سيما على بلاد اليونان التي كان تمدنها حديث عهد فنضج بما اكتسبه من تمدن اشور و بابل وصار مصدراً لتمدن الامم الارية في الغرب . فالتمدن الذي نراه في الغرب الآن مسلسل من التمدن السامي .

ثم جاءت اليونان في دورها وجعلت توسع نطاق نفوذها في الشرق وفي الغرب فردت صدى مدنية اشور و بابل بمزيج مدنيتها ومدنية اشور الى آسيا الصغرى ثم الى رومة وسائر البلاد اللاتينية .

ثم جاءت نوبة رومة وفعلت فعل اليونان كما هو معلوم لكل من له اقل المام بالتاريخ .

٢ — نأتي الآن الى الحالة الثانية وهي ان تكون الامة المغلوبة ارقى من الامة الغالبة . وهو اقل حدوثاً في التاريخ من الحالة الاولى لانه لا يكون الا في حالة ان الامة الغالبة المنحطة اكثر عدداً واشد بطشاً . وفي هذه الحالة يغلب ان تقتبس الامة الغالبة من تمدن الامة المغلوبة . ثم قد تفوقها .

ومن امثلة ذلك الامة البابلية . فقد نشأت هذه الامة من مزيج سكان وادي الفرات الاصليين المسمين سمريين مجهولي الاصل ، ومن قوم من السلالة السامية هاجروا من بلاد العرب وكانوا بداة واقل تمدناً من السمريين ولكنهم كانوا اذكياء نشيطين . فاحتلوا البلاد وتعلموا لغة اهليها وصناعاتهم واقتبسوا حضاراتهم . وعلى تمادي الزمان

تفوقوا عليهم · ومن هذا المزيج نشأت الامة البابلية التي كان لها شأن في تاريخ الحضارة الاول ·

ثم طغت مملكة عيلام المتاخمة لبابل من جهة الشرق وغزتها مع انها احط منها · واستولت عليها عدة قرون · واكتسب العيلاميون كثيراً من تمدن البابليين المغلوبين لهم · ثم ما لبثت ان ظهرت دولة عربية في بابل تفوقت لعهد حمورابي فغلبت العيلاميين وضمت عيلام اليها فاتسعت المملكة البابلية ·

والغريب انه في تلك العصور وفي تلك البلاد كان الانحطاط دائماً يغلب الرقي · فبعد ان قضت بابل في عزها التمدني نحو ١٥٠٠ سنة من عهد حمورابي غزاها احد الملوك الاشوريين سنة ٧٢٨ ق·م مع ان اشور كانت منحطة زمناً طويلاً ومن ثم جعلت اشور الغالبة تقتبس من تمدن بابل المغلوبة حتى تفوقت عليها ·

ثم بعد ذلك جاءت دولة الفرس واجتاحت اشور وكلديا وهي احط منها ايضاً واستولت عليها · وما لبث الشعب الفارسي الآري الاصل ان اقتبس من المدنية الاشورية كثيراً · فترى مما تقدم ان الآريين اقتبسوا مدنية الاشوريين والبابليين السابقة من الشرق بواسطة الغلبة والفوز ومن الغرب بواسطة الانقلاب كما سبق القول ·

اظن ان هذه الامثلة كافية للاستشهاد على الحالة الثانية اي ان الامة الغالبة المنحطة تقتبس من مدنية الامة المغلوبة الراقية ·

٣ — بقي التمثيل للحالة الثالثة وهي ان تكون الامتان متعادلتين في الرقي · وهو امر كثير الحدوث في الحياة الامية الاجتماعية ونتيجته على الغالب : اولاً ان تقتبس كل من الامتين محاسن مدنية الاخرى · وثانياً ان الاصطدام بينهما قلما يكون عنيفاً بحيث يبقى لكل أمة كيانها اذا لم يتيسر اندغامهما بالتزاوج والاندماج الشعبي ·

فمن امثلة ذلك ان سبي الاسرائيليين الى بابل لم يضرهم كثيراً · فقد نالوا حظوة في عيني بلشاصر اذ رأى من علومهم ورقيهم ومعارفهم ماجعله يحترمهم · ولا ريب ان البابليين اقتبسوا كثيراً من علوم الاسرائيليين وشرائعهم كما ان هؤلاء اقتبسوا من البابليين في كل احتكاك حدث بينهم · وفي شريعة موسى كثير من شريعة حمورابي ·

كذلك الفينيقيون الذين كانوا اقل الامم ميلاً للحروب وخوضاً لها كانوا يستعمرون

شواطئ البحر المتوسط استعماراً اقتصادياً اكثر منه سياسياً . فكانوا واسطة لنقل المدنية من موطن الى موطن ومن الشرق الى الغرب . كانوا ككريات الدم الحمراء التي تنقل أكسجين الهواء الى جميع خليات الجسم . كانوا يقتبسون ويقبسون ولذلك استطاعوا ان يحفظوا كيانهم زمناً طويلاً بقليل حروب . لان سلاح دفاعهم عن كيانهم كان مايحملونه من نبراس التمدن و يطوفون به في اقاصي العالم . فكان العالم حارساً لكيانهم لحاجته اليهم اولانتفاعه منهم . ومالنقضى كيانهم الا بعد ان اسسوا دولة قرطجنة واصبحت تنازع رومة السؤدد السياسي والاستعماري .

* * *

بعد استيفاء التمثيل على الحالات الثلاث للاصطدامات والاحتكاكات الأممية ماذا نستخرج من النواميس الاجتماعية لسؤدد الأمم وانقراضها ؟ .

لا ريب انكم قد لاحظتم ياسادتي مما تقدم انه حيث توجد مدنية راقية فهناك كيان أمة ثابت . فالامة التي تعتصم بالتمدن الارقى تعيش وتعمر سواء أكان هذا التمدن في الاصل لها ام انها اقتبسته من غيرها غالبة او مغلوبة . فسرّ بقاء الامة هو اعتصامها بارقى حضارة موجودة في زمانها واقتباسها كل جديد نافع من الحضارة سواء أكانت حاكمة ام محكومة .

وهنا لا بد من تفسير معنى الحضارة او التمدن اوالمدنية اوالعمران فهي الفاظ مترادفة ومعناها معها اختلفت يشتمل على ما يأتي :

١ً = الاخلاق المتينة أساس العدل في المعاملات .

٢ً = العلم الأقرب الى الحقائق اساس التهذيب والعمل .

٣ً = العمل المنطبق على العلم وهو يطلق على الصناعات والفنون والمعاملات .

لفظ الحضارة او مارادفه يتضمن هذه القضايا الرئيسية . فاذا انتقضت احدى هذه القضايا تزعزعت الحضارة وتقوضت اركانها واشرفت أمتها على الانقراض انقراضاً كيانياً على الاقل . وكانت حضارة جميع الامم التي نمت واستعلت وسيطرت على غيرها شاملة جميع هذه الاركان ، كأمة الرومان التي لا تزال آثار نبوغها في الشرائع والعلوم والفنون والصناعات باقية الى اليوم . ولكن لما جعل الترف والبذخ يفسدان حضارتها

تزعزعت اركانها وسقطت بين ايدي البربر . وقد قال المؤرخون انه في ذلك الحين انطفأ مشعال المدنية القديمة وسادت على العالم ظلمة نحو خمسة قرون او اكثر .

والحقيقة غير ذلك فان مشعال التمدن الذى انتقل من المشرق الى المغرب عن يد البربر لم ينطفئ في ايدي البربر والا لباد تماماً . بل بقي مدة تحت المكيال الى ان رفعت اوربا المكيال عنه واستضاءت به .

ذلك لان هؤلاء البربر لم يكونوا همجاً متوحشين بل كانوا على شيء من التمدن الفطري فهم قبيلة الطوط من قبائل الجرمان . وكانت لهم آداب اجتماعية واخلاق جيدة . وانما لم يكن لهم من الفنون والعلوم والفلسفة والأدب ما كان للرومان . ولذلك كان لهم من الحرية والاستعداد للرقي ما خولهم قبول كثير من حضارة الرومان .

فلما فقد الرومان الاخلاق ، وهؤلاء الجرمان عندهم منها الكفاية بالرغم من تلقيبهم بالبربر ، سقطت الدولة الرومانية المحتضرة في يد اودوسر زعيم قبيلة جرمانية سنة ٤٧٦ .

وبعد ذلك شرع التمدن الروماني ينتشر في اوربا تدريجاً الى ان جعل نوره يشع ساطعاً في العصر المسمى بعهد النهضة او التجديد كما تعلمون .

ثم كان حظ البقاء لكل أمة ان تقتبس هذا التمدن وتشيدعليه . والا فالفناء يتهددها سلالة او كياناً . اي اما انها تتعرض للانقراض لحماً ودماً او للتفاني في أمة اخرى .

* * *

بقي امر آخر لا يستوفى الموضوع الا بالالتفات اليه وأعني به نتيجة هذا البحث القصوى وهو :

ان العصر الحالي غير الاعصر القديمة في الانظمة الدولية . والفرق بين ذاك وهذه هو في ضخامة الدول او صغرها . ففي الاعصر القديمة كانت بلاد كفلسطين تشمل عدة ممالك صغيرة مستقلة الدول يحارب بعضها بعضاً . ولا تضطر للتحالف الا اذا هددها خطر دولة بعيدة . وكذلك كانت بلاد مابين النهرين قبل ان نشأت بابل واشور ممالك صغيرة عديدة يغزو بعضها بعضاً . ومثلها كانت اليونان وروما وانى كان يتيسر لدولة كأشور ان تبسط نفوذها على البلاد التي تفتحها . وذلك :

اولاً = لان وسائل المواصلات كانت ضعيفة وبطيئة جداً فلا تستطيع الدولة

المسيطرة ان ترسل قوة حربية لقمع الثورة قبل ان تستفحل الثورة وتطرح النير · حتى ان اخبار الثورة لم تكن تصل الى مركز الدولة قبل ان يكون الثوار قد نجحوا ·

وثانياً = لان العُدد الحربية لم تكن شديدة الفتك كعُدد اليوم فكان المعوّل عليه في الحروب كثرة عدد الجيش · لذلك كان كدرلعومر البابلي يدوخ البلاد الاسيوية حتى حدود مصر ثم يتقاضى منها غرامة ويفرض عليها جزية ويمضي · وهيهات ان يستوفي الجزية ·

وما تعاظمت الدول الى ان صارت امبراطوريات تحكم الممالك المفتوحة حكماً فعلياً مباشراً الا منذ استفحال الدولة الرومانية التي كانت تستعين بالملاحة الراقية على الاتصال باطراف ملكها ·

واما في عصر النهضة الاخير الممتد الى اليوم فقد وفرت وسائل النقل السريع والمواصلات العاجلة وجاءت الكهربائية ونموها تقصر المسافات وتختزل اشهر المخابرات الى دقائق · وبذلك امكن ان تتضخم الدول والامبراطوريات تضخماً لا مثيل له · ثم ان عدد الحرب الجهنمية جعلت الحروب اشد هولاً واوسع ميادين حتى كادت الحرب العظمى تستغرق كل أمم الارض ·

فمن ذلك ترى ان الفرق بين الدورين القديم والحديث عظيم جداً : ذاك صغير ضئيل ضعيف · وهذا ضخم عظيم قوي · فالدولة القوية تزداد قوة والضعيفة تزداد ضعفاً · وبالنتيجة فالامة الاحط حضارة تكون دائماً تحت خطر الامة الارقى حضارة · ذلك لان الحضارة مصدر القوة ·

* * *

ولذلك لا يستبعد ان اقوى الامم وارقاهن حضارة تظل تستفحل حتى تبسط كل نفوذها على معظم الكرة الارضية حيث تنشر حضارتها وتصبغ جميع الامم بصبغة مدنيتها · او اذا لم يتسن لها ان تسيطر على العالم سيطرة مباشرة فتسيطر على اتحاد دولي يجمع كبريات الدول · وهذا الاتحاد الدولي يسيطر على العالم كله كجمعية الامم وبتلعه ·

في هذه الحال ماذا يكون مصير الامم الضعيفة والمنحطة ؟ وهنا النقطة الماسة في الموضوع يكون مصيرها على ثلاثة أشكال ·

١ = الشكل الاول : ان الامة التي تستطيع ان تقبل الحضـارة السائدة تسلم من الانقراض السلالي لانها بقبولها هذه الحضـارة تستطيع ان تتسلح بنفس السلاح العلمي والاخلاقي والصناعي والاقتصـادي الذي تتسلح به الامة المتفوقـة المسيطرة · وبذلك لا يستطيع تيار الحضارة المستفحل ان يجرفها بل تظل قائمة فيه وسائرة معه · وبذلك يتسنى لها ان تكون متحدة مع الامة المسيطرة ومشاركة لها في السيطرة على العالم مع حفظ كيانها القومي ·

٢ = واما الشكل الثاني : فهو ان الامة التي لها قسط من الرقي والتمدن والتي تظل مصرة على قديمها محافظة على جمودها ولا تقبل الحضارة السائدة فتظل ضعيفـة السلاح الذي أشرنا اليـه اي السلاح العلمي والاخلاقي والاقتصـادي والصناعي · وبذلك لا تستطيع ان تصد التيار المتمدن الجارف بل ولا تستطيع ان تقف فيه لانه يقلبهـا ويسحقها و يفتت قوميتها فتضطر ان تندغم فيه اجزاءً وتتلاشى قومية · اي انهـا لا تفنى لحماً ودماً بل تفنى قوماً او أمة · يذوب افرادها في ذلك المحيط العظيم كما يذوب الملح في الماء ·

٣ = واما الشكل الثالث : فهو ان الامم المنحطة التي لا تستطيع ان تجاري الحضارة السائدة بوجه من الوجوه كالقبائل الهمجية المتوحشة فهذه تفنى فنـاءً فعلياً بالتدريج كما فنيت قبائل أخرى عديدة قبلها ·

و بالاجمال اقول ان الجماعات او الافراد الذين لا يستطيعون ان يقتبسوا الحضـارة الجديدة او الذين لا يريدون ان يقبلوها لاصرارهم على تقاليدهم التي لا تتفق معها فليس أمامهم الا الفنـاء التدريجي لانهم لا يستطيعون انـ يزاحموا في معترك الارتزاق فينقرضون فقراً وشقاءً ·

* * *

بعد هذا البيان لا يتعذر عليكم يا سادتي ان تفهموا كيف يمكن ان يكون مصير الشرق أمام تيار حضارة الغرب · فمستقبله في يده ·

ولعل بعضنا يقول : اننا اخذنا نتحضر بحضارة الغربيين منذ قرن · فأزياؤهم اصبحت ازياءنا · وعندنا علومهم ومصنوعاتهم · عندنا تلغرافهم وتلفونهم ولاسلكيهم وسياراتهم

وقطارهم وفونوغرافهم وسينماتوغرافهم الخ . وما هو الذي عندهم وليس عندنا ؟ وقد قيل لي ان سيدة اوربية شهدت عرساً وطنياً فرأت فيه السيدات الوطنيات في ازياء اوربية حتى خيل لها انها في حفلة عرس باريسية .

فأقول : نعم . عندنا كل ماعندهم . ولكن ازياء نسائنا من مصانعهم لامن مصانعنا وسياراتنا من معملهم لا من معملنا وقطارنا وتلفوننا وتلغرافنا الخ كل ذلك من صنع ايديهم وليس من صنع ايدينا . حتى العلم الذي نتعلمه هو من بنات افكارهم وفوق ذلك نتعلمه بلغتهم . فنحن اذاً ، اقتبسنا ثمرة حضارتهم ولكننا لم نقتبس حضارتهم من اساساتها . فلا نعد إذاً متسلحين بمثل سلاحهم الا اذا كنا ننشئ الحضارة الجديدة عندنا من اساسها الى قبتها وحينئذ لا يستطيعون ان يستعمرونا بل نكون مثلهم معمرين نبادلهم بضاعتهم ببضاعتنا لا بضاعتهم باستقلالنا ولا سلعتهم بحريتنا .

أربد طبرية

غير إربد عجلون

جاء في كتاب مسالك الابصار في ممالك الامصار تأليف احمد بن يحيى بن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ١٣٤٧ م في باب بقية المزارات الاخرى ما يلي[١] :

« قبر ام موسى بن عمران . بقرية يقال لها إرْبِلْ من اعمال طبرية عن يمين الطريق وبها اربعة من اولاد يعقوب وهم دان وابساخور وذَبولون وكاذ » .

وقد علّق صديقنا العلامة الاستاذ احمد زكي باشا في التصويبات والتصحيحات التي ذيّل بها الكتاب بقوله : [٢]

« قرية إربل تعرف في ايامنا هذه باسم إربد بالدال المهملة في آخره وهي الآن من اعمال جبل عجلون التابع لحكومة شرق الأردن العربي وكانت في ايام الحكومة العثمانية عاصمة لقضاء عجلون وبها مسجد وسراي (بُنيت سنة ١٨٨٤) ومناخها طيب ولها مستشرف بديع على الصحراء يمتد شرقاً لغاية بادية الشام ويطل من الجنوب والجنوب الشرقي على جبل عجلون بغاباته التي يتكاثف بها شجر البلوط العتيق . وفي ساحتها حوض يملأه المطر فيستقي منه اهلها على طول السنة وهي قائمة على موقع المدينة القديمة اربلا وسكانها قبل الحرب العامة زهاء ١٢٠٠ نسمة وهم الآن اكثر عدداً .

وانما جعلها الأتراك « إربد » بالدال المهملة للتمييز بينها وبين مدينة إربل الشهيرة بارض الموصل » الى آخر ما هنالك .

وقد قرّظ الكتاب فيمن قرّظه من العلماء الاعلام صديقنا الاستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بتقريظ طويل تستأهله مادة الكتاب وقدّم الاستاذ زكي باشا الراسخة في العلوم والآداب فلما وصل الى اربل خالفه في رأيه بما ملخصه : [٣]

---

(١) مسالك الابصار في ممالك الامصار جزء ١ صفحة ٢١٨ . (٢) مسالك الابصار في ممالك الامصار جزء ١ صفحة ٦ من التصويبات والتصحيحات . (٣) مجلة المجمع العلمي العربي مجلد ٦ ص ١٨٩ .

ان لفظ اربد بالدال لم يتغير منذ الزمن الأطول واستند على ما اورده ياقوت في معجم البلدان في مادة أربد وزاد على هذا بقوله « ونظن ان ياقوت وهم في اربد فجعلها بفتح الالف وان كان تحريف العامة اليوم وقبل اليوم لا يعتدّ به قال وفي هذه القرية مات يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٥ ه واستشهد بقول الطبري انه مات باربد من ارض البلقا الى ان يقول وهذه اربد من جبل عجلون بعينها ثم نقل مادة « بيت أربئيل » من قاموس الكتاب المقدس وفيها انها تسمى اربد وانها شرقي بحيرة طبرية وختم كلامه بقوله « وقد أخطأ الاستاذ بول (Buhl) بقوله في المعلمة الاسلامية ان إربد او أربد هي ايضاً اربئيل القديمة وهي في البلقاء على ١٢ ميلاً غرباً من بيسان وهي التي هلك فيها الخليفة يزيد الثاني فانه ليس في تلك الجهات بهذا الاسم الا اربد هذه ولعله تسرب اليه الوهم من قول الطبري » والذي أراه ان الصديقين الصدوقين والعالمين العاملين قد وهما في تعيين موقع اربد الذي قصد اليه ابن فضل الله العمري وغيره من الجغرافيين فان اربد التي من عمل طبرية وعن يمين طريق مصر لا يمكن ان تكون اربد التي بالشرق العربي والتي تبعد عن طبرية مسيرة يوم كامل . وللوصول الى هذه النتيجة يجب علينا ان نستعرض اولاً أقوال الجغرافيين لنتبين بجلاء ووضوح موقع اربد الواردة في أقوالهم ثم ننتقل الى أقوال المؤرخين عن مكان وفاة الخليفة يزيد ونستخرج منها اين كانت واين يجب ان تكون ؟ وسنذكر هذه الأقوال بحسب سني وفيات المؤلفين لتسلسل الروايات ومعرفة الناقلين من المنقول عنهم فنبدأ بما قاله الرحالة ناصر خسرو القبادياني المروزي المتوفى بعد سنة ٤٣٤ ه ١٠٤٢ م في رحلته المؤلفة باللغة الفارسية المسماة (سفرنامه) قال ناصر خسرو يصف طريقه من عكا الى طبرية : [1] ثم اتجهت صوب الجنوب فوصلت قرية حطين [2] وفي غربها وادٍ صغير تنبع منه من الصخر عين صافية وقد بني مقابل هذه العين

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي (م ٦ ص ٧١) . (٢) في تعريب مجلة المجمع عن الترجمة الافرنسية لشيفر المطبوعة سنة ١٢٩٩ ه ١٨٨١ م قال عنها حاضرة في الترجمة الانكليزية للاسترانج المطبوعة سنة ١٣٠٦ ه ١٨٨٨ م ذكرها باسم حظيرة او هذيرة وهي لاشك محرفة عن حطين كما يقتضيه رسم كلمة حطين وسياق كلام الرحالة ووصفه .

في الصخر مسجد في داخله غرفتان من الحجر وباب المسجد من الضيق بحيث ان الرجل يدخل اليه بصعوبة وفيه قبران متناوحان احدهما الى جانب الآخر وفي الاول شعيب وفي الثاني ابنته التي كانت امرأة موسى ويعنى سكان القرية بهذا المسجد وبهذه القبور كل العناية ويجعلون فيها مصابيح وفرشاً .

وبعد ذلك اتجهت جهة أربل (اوأربد) وفي جهة القبلة جبل قام في سفحه اربعة قبور وهي قبور اربعة من اولاد يعقوب اخوة يوسف ولما انتقلنا من هذا المكان رأينا أكمة قامت في سفحها مغارة فيها قبر ام موسى وفيها صليت وتعبدت .

وتوغلت في واد رأيت في اقصاه بحيرة قامت مدينة طبرية على شاطئها الخ .

وهذا هو اول رحالة مسلم اتصلت بنا اخبار رحلته في بلاد الشام . وقال علي بن ابي بكر بن علي الهروي المتوفى سنة ٦١١ هـ ١٢١٤ م في رحلته المسماة الاشارات الى معرفة الزيارات : [1]

ومن اعمال طبرية قرية يقال لها اربد (وقد تقرأ اربل) بها قبر ام موسى بن عمران عليه السلام عن يمين الطريق وبها اربعة من اولاد يعقوب وهم دان وايسارخان وزبدلون وكادو . [2]

وجاء في معجم البلدان لياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ١٢٢٨ م :

« أَرْبَدُ : قرية بالأردن قرب طبرية عن يمين طريق المغرب بها قبر ام موسى بن عمران عليه السلام وقبور اربعة من اولاد يعقوب وهم دان وإيساجار وزَبولون وكاد فيما زعموا : [3]

(١) من هذه الرحلة نسخة في دار الكتب المصرية ونسختان في الخزانة التيمورية لصاحبها صديقنا العلامة الجليل احمد تيمور باشا احداهما قديمة العهد والثانية حديثة ومن الزائد ان نقول ان هذه الرحلة لا تزال مخطوطة لم تمثل بالطبع وهي من الكتب المفيدة في تعيين مواقع الزيارات في الشام ومصر والحجاز والعراق وسائر البلدان الاسلامية التي غشيها السائح الهروي . (٢) في النسخة الجديدة اربد وابناء يعقوب دان وايسارخاز وزبلون وكاد . (٣) معجم البلدان طبع ليبسك (ج ١ ص ١٨٤) .

وجاء في كتاب مراصد الاطلاع على أسماء الاماكن والبقاع لصفي الدين بن عبد الحق المتوفى سنة ٧٣٩ هـ ١٣٣٨ م وهو اختصار معجم البلدان المتقدم ذكره [١] :

أَرْبَدُ : قرية بالأردن قرب طبرية عن يمين طريق مصر بها قبر ام موسى بن عمران وقبر اربعة زعموا انهم من اولاد يعقوب » .

فيتضح معنا من هذه الأقوال ان اربد قرية بالقرب من طبرية على قارعة الطريق المؤدية الى مصر ولم تكن طريق دمشق الى مصر في تلك الايام الا من ناحية الأردن بدليل ما قاله عنها ثقات الجغرافيين نورد من ذلك ما قاله احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي المتوفى سنة ٢٧٨ هـ ٨٩١ م قال [٢] :

« ومن مدينة دمشق الى جند الأردن اربع مراحل اولها جاسم [٣] من عمل دمشق وخسفين [٤] من عمل دمشق وفيق [٥] ذات العقبة المذكورة ومنها الى مدينة طبرية وهي مدينة الأردن .

واستكمل المراحل من جند الأردن الى جند فلسطين حتى بلغ بها مصر .

وما ذكره ابن خرداذبة المتوفى في أواسط القرن الثالث للهجرة واواخر التاسع للميلاد فقد قال ان الطريق :

---

(١) مراصد الاطلاع طبع ليدن (ج ١ ص ٤١) .

(٢) كتاب البلدان طبع ليدن سنة ١٨٦٠ م ص ١١٥ والكتاب ذاته طبع ليدن سنة ١٨٩١ م بذيل كتاب الأعلاق النفيسة لابن رسته ص ٣٢٧ .

(٣) جاسم قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ على يمين الطريق الاعظم الى طبرية ذكرها ياقوت الحموي في معجمه .

(٤) خسفين قرية من اعمال حوران بعد نوى في طريق مصر بين نوى والاردن وبينها وبين دمشق خمسة عشر فرسخًا ذكرها ياقوت .

(٥) أفيق بزيادة الالف قرية من حوران في طريق الغور في اول العقبة المعروفة بعقبة أفيق والعامة تقول فيق تنزل في هذه العقبة الى الغور وهو الأردن وهي عقبة طويلة نحو ميلين ذكرها ياقوت .

من دمشق الى الكسوة(١) اثنا عشر ميلاً ثم الى جاسم اربعة وعشرون ميلاً ثم الى فيق اربعة وعشرون ميلاً ثم الى طبرية مدينة الاردن ستة أميال (٢) ٠

وأتمها على هذا الوجه حتى انتهى بها الى مصر ٠

وما ذكره قدامة بن جعفر الكاتب المتوفى سنة ٣١٠ هـ ٩٢٢ م فقد قال ان الطريق الدارج الى طبرية يأخذ من بعلبك(٣) الى عين الجر(٤) عشرون ميلاً ومن عين الجر الى القرعون(٥) وهو منزل في بطن الوادي خمسة عشر ميلاً ومن القرعون الى قرية يقال لها العيون تمضي الى كفرليلي(٦) عشرون ميلاً ومن كفرليلي الى طبرية خمسة عشر ميلاً ٠

ثم أردف ذلك بقوله وان اخذ الطريق الى جبال الأردن من دمشق فالطريق المستقيم من دمشق الى الكسوة الى آخر ما ذكره ابن خرداذبة وقد تقدم (٧) ٠

وما ذكره محمد بن البشاري المعروف بالمقدسي المتوفى بعد سنة ٣٧٥ هـ ٩٨٥ م :

(١) الكسوة على ما قاله ياقوت قرية هي اول منزلة تنزلها القوافل اذا خرجت من دمشق الى مصر وهي اليوم اول محطة للسكة الحجازية بين دمشق واذرعات على الكيلومتر ٢٥ ٠ (٢) المسالك والممالك ص ٧٨ ٠ (٣) يقول ياقوت بعلبك مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين الرخام لانظير لها في الدنيا بينها وبين دمشق ثلاثة ايام وقيل اثنا عشر فرسخاً من جهة الساحل ٠ قلنا ولا تزال آهلة يقصد اليها السياح من أقطار الارض لمشاهدة آثارها وهيا كلها البديعة الصنع الغريبة الوضع وهي محطة للسكة الحديدية السورية على بعد ١٠٨ كيلومترات عن دمشق بين رياق وحلب ٠ (٤) عين الجر موضع معروف بالبقاع بين بعلبك ودمشق ذكره ياقوت في معجمه قلنا وهي اليوم القرية المعروفة بعنجر وكانت من قلاع الشام الحصينة قديماً ٠ (٥) لا ذكر للقرعون في معاجم البلدان وانما ذكر ياقوت القرع وقال اسم لاودية في بادية الشام سميت بذلك لانها لاتنبت شيأ والقرعون اليوم قرية من قرى البقاع ٠ (٦) لم يذكر في المعاجم العيون وكفرليلي وذكر ياقوت مرج عيون بسواحل الشام وقال العيون جمع عين الماء وهي في مواضع ٠ قلنا ونظن انهما باقيتان الى الآن ويقطن الثانية مهاجرة الشركس على ماقيل لنا ٠ (٧) نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة المطبوع بذيل المسالك والممالك ص ٢١٩ ٠

وتأخذ من دمشق الى الكسوة بريدين ثم الى جاسم مرحلة ثم الى أفيق مثلها ثم الى طبرية بريداً [١] .

فإذن كان من دمشق وما اليها الى مصر طريقان مطروقان احدهما يدعى بالدارج والآخر يعرف بالاعظم والى يوم الناس هذا تسمي العامة الاول المدراج الغربي والثاني المدراج الشرقي .

ولم يقل هؤلاء ولا غيرهم بطريق آخر يسلك فيه من دمشق الى مصر .

ولنرجع الى أقوال المؤرخين والرواة الذين ذكروا موضع وفاة الخليفة الأموي يزيد ابن عبد الملك بن مروان : قال ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري المتوفى سنة ٢٨٢ هـ ٨٩٥ م : [٢]

« توفي يزيد بن عبد الملك بالبلقاء من ارض دمشق وكانت وفاته سنة ١٠٥ »

وقال محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ ٩٢٢ م ما ملخصه :

وفي هذه السنة اي (١٠٥ هـ ٧٢٣ م) مات الخليفة يزيد بن عبد الملك يوم الجمعة لخمس ليال بقين من شعبان قال وقال الواقدي كانت وفاته ببلقاء من ارض دمشق وقال علي بن محمد مات باربد من ارض البلقاء [٣] .

وقال علي بن الحسين بن علي بن عبد الله المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ٩٥٧ م وتوفي يزيد بن عبد الملك باربد من ارض البلقاء من أعمال دمشق [٤] .

وقال علي بن الحسين المشهور بابي الفرج الاصفهاني المتوفى سنة ٣٥٦ هـ ٩٦٦ م : نزل اليزيد بيت رأس بالشام [٥] ومعه جاريته حبابة وخلا بهـا فأتيا بما يأكلان

(١) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ١٩٠ . (٢) الاخبار الطوال طبع مصر ص ٣٢٠ . (٣) تاريخ الامم والملوك ج٨ صفحة ١٧٨ . (٤) التنبيه والاشراف صفحة ٣٢٠ ومروج الذهب بهامش تاريخ الكامل لابن الاثير ج٧ صفحة ١٣٣ . (٥) بيت رأس قرية شرقي نهر الأردن كانت تُنسب اليها الخمر الجيدة ولا تزال صهار يجها وآثارها ماثلة للعيان . وقد ذكرت في معجم ياقوت بانها قرية وقيل كورة بالاردن وفي كتاب المشترك وضعاً والمفترق صقعاً قال ناحية بالأردن وهي اليوم مأهولة واسمها باليونانية (Capitolias) .

فأكلت رمانة فشرقت بحبة منها فماتت فأقام لا يدفنها ثلاثاً حتى تغيرت وأنتنت وهو يشمها و يرشفها فعاتبه بعض ذوي قرابته واصدقائه وعابوا عليه عمله فأذن في غسلها ودفنها وعاش بعدها اياماً معدودات ومات فدفن الى جنبها (١) .

وقال علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ ١٢٣٢ م :

خرج اليزيد بحبابة جاريته الى ناحية الاردن يتنزهان فرماها بحبة عنب فدخلت حلقها فشرقت ومرضت وماتت فتركها ثلاثة ايام لم يدفنها حتى انتنت فكُلّم في امرها حتى أذن في دفنها وعاد الى قصره كئيباً حزيناً وتوفي بعد ذلك وكان مرضه السل (٢)

وقال علي بن محمد بن عبد الرحمن الروحي المتوفى سنة ٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م وتوفي يزيد بحرّان (٣) .

وقال غريغور يوس بن هرون الطبيب الملطي المعروف بابن العبري المتوفى سنة ٦٨٥ هـ ١٢٨٦ م في صدد يزيد وجاريته حبابة :

« وخرجت معه الى ناحية الأردن يتنزهان فرماها بحبة عنب فاستقبلتها بفيها فدخلت حلقها فشرقت ومرضت بها وماتت وتوفي يزيد بعدها بخمسة عشر يوماً ومات ودفن الى جانبها سنة خمس ومائة » (٤) .

وقال محمد بن عيسى المعروف بكمال الدين الدميري المتوفى سنة ٨٠٨ هـ ١٤٠٥ م :

وتوفي يزيد بن عبد الملك باربد من ارض البلقاء وقيل بالجولان وحمل على أعناق الرجال الى دمشق ودفن فيها وكان مرضه بالسل (٥) .

وقال حسين بن محمد الحسن الديار بكرلي المتوفى بعد سنة ٩٨٢ هـ ١٥٧٤ م .

ومات يزيد بسواد الاردن بمرض السل قاله هيثم بن عمرو (٦) .

---

(١) الاغاني ج ١٣ صفحة ١٥٧ . (٢) كامل التواريخ ج ٥ صفحة ٤٥ .

(٣) بلغة الظرفا في ذكرى تاريخ الخلفا صفحة ٢٥ . (٤) تاريخ مختصر الدول صفحة ١٩٩ . (٥) حياة الحيوان ج ١ صفحة ١٢٧ . (٦) تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس ج ٢ صفحة ٣٥٥ .

وقال احمد بن سنان بن يوسف بن احمد القرماني المتوفى سنة ١٠١٩هـ ١٦١٠م ·
وتوفي يزيد بن عبد الملك بمرض السل باربل من ارض البلقاء وقيل بالجولان وحمل على أعناق الرجال الى دمشق وقيل مات باذرعات ودفن فيها [١] ·

وقال محمد بن احمد بن عبدالغني بن علي الاسحاقي المتوفى بعد سنة ١٠٣٢هـ ١٦٢٢م :
وتوفي يزيد بنجران في شهر شعبان سنة خمس ومائة [٢] وكأنه نقل هذا عن الروحي فجعل حرّان نجران · وحرّان هذه قرية بغوطة دمشق ونجران من قرى حوران ذكرهما ياقوت في معجمه ·

وأغرب ماورد في هذا الباب هو قول ياقوت الحموي في مادة إِزْ بِدْ بالزاي :
إِزْبِدْ : قرية من قرى دمشق بينها وبين اذرعات ثلاثة عشر ميلاً · فيها توفي يزيد بن عبد الملك بن مروان الخليفة بعد عمر بن عبد العزيز في شعبان وقيل في رمضان سنة ١٠٥ واختلفوا في سبب مقامه هناك · فقال اهل الشام كان متوجهاً الى بيت المقدس فمرض هناك · وقال آخرون بل خرج للنزهة وانقصف كما ذكر في خبر وفاته الفظيع الشنيع فحُمل على أعناق الرجال الى دمشق فدفن في مقبرة الباب الصغير وباب الجابية وقيل بل دفن حيث مات [٣] · ولزيادة الايضاح وتحليل الحادثة وتعليلها نذكر ما رواه اهل الجغرافية عن الأُردن والبلقاء والجولان التي نسبت اليها حادثة الوفاة ·

فالأُردن احد أجناد الشام الخمسة وهي كورة واسعة منها الغور وطبرية وصور وعكا : والبلقاء كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عمّان : والجولان قرية وقيل جبل من نواحي دمشق ثم من عمل حوران وقال بعضهم يقال للجبل حارث الجولان وقيل حارث قلة فيه ·

هذا ما رُوي عنها باختصار أوردناه لنستعين به في اثبات نظريتنا في ان اربد عجلون هي غير اربد طبرية ·

وبعد فان اربد الواردة في مسالك الابصار وغيره من الكتب هي اليوم قرية دارسة

---

(١) اخبار الدول وآثار الاول ص١٤١ · (٢) اخبار الاول فيمن تصرف في مصر من ارباب الدول صفحة ٥٦ · (٣) معجم البلدان ج ١ صفحة ٢٣١ ·

تحت قرية حطين بينها وبين مدينة طبرية و بحيرتها وبين قرية المجدل وهي على يمين القادم من دمشق الى مصر يعرفها العامة الى اليوم بهذا الاسم وفي جوارها قلعة متهدمة واليك ما قاله عنها الدكتور بوست من المعاصرين الاحياء في مادة بيت أرْبَئيل « (بيت دار الله اومكمن الله سفرهوشع الاصحاح ١٠ : ١٤) اربلة وهي اربدالحالية شرقي بحر طبرية[١] » قلنا والصواب شماليها ٠

وقال القس اسعد منصور :

« بيت أربئيل أخربها شلمان ملك أشور وقتل كل سكانها (هو ١٠ : ١٤) هي الآن إربد خربة على نحو ثلاثة أميال شمالي طبرية وجنوبي قلعة ابن معن ذكرت في سفر المكابيين الأول باسم اربيلا (١ مكا ٩ : ٢) بقربها كهوف حصينة اتخذها اللصوص مكمناً لهم حتى شتت شملهم هيرودس الكبير[٢] » ٠

وفي تعاليق صديقنا الاستاذ السيد نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل[٣] :

« وقيل المجدل ترى وادي الحمام الى الغرب وعلى شفا جرف عالٍ قلعة اربد او اربيلا فيها مغارات يتصل بعضها ببعض بممرات وفي المغاور آبار و يصعب الصعود اليها من الشرق وهي محاطة بسور من الوراء ولقد ذكرت في التلمود بانها بين صفورية[٤] وطبرية وذكرت في تاريخ يوسيفوس باسم مغاور اربيلا ولقد حار بها تيطس الروماني واقتاد اهلها بحيلة الهزيمة الى السهل وهناك دار عليهم و كسرهم وبدد شملهم » ٠

على ان بيدكر صاحب الدليل المعروف باسمه يقول عند ذكره الطريق من طبرية الى تل حوم وصفد :

على بعد نصف ساعة من المجدل الى الغرب في السفح الجنوبي من وادي الحمام خربة

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ٢٦٣ ٠ (٢) مرشد الطلاب الى جغرافية الكتاب صفحة ٢٢٢ ٠ (٣) تعاليق مخطوطة عن البلدان الفلسطينية ٠

(٤) صفورية في معجم البلدان كورة وبلدة من نواحي الأردن بالشام وهي قرب طبرية وهي اليوم قرية كبيرة على جانب الطريق بين الناصرة وطبرية وفيها كنيسة بنيت على أنقاض كنيسة قديمة وقد كانت كرسي أسقفية للنصارى ٠

اربد وهي اربيلا القديمة وهناك اطلال معبد يهودي وهو الذي ذكر في التلمود وهذا المعبد يقع على طرف الوادي [١] .

وهذه الأقوال تؤيد ماقاله الاستاذ بول (Buhl) في المعلمة الاسلامية ان اربد هي اربيل القديمة وانها في البلقاء على اثني عشر ميلاً غرباً من بيسان وهو القول الذي خطأه الاستاذ كردعلي كما سبق بيانه ولعل الاستاذ بول اخذ باقوال المؤرخين العرب الذين قالوا ان الخليفة يزيد قضى باربد من ارض البلقاء فجاراهم على تعريفهم والا فان اربد الحالية هي من الاردن والاردن يجاوره من ناحية البلقاء ومن أخرى الجولان فاذا التبس الامر على المؤرخين في تعيين الجند او الكورة فقال بعضهم ان اربد في البلقاء وقال الآخر انها في الاردن وقال غيره انها في الجولان فلا غضاضة عليهم في هذا . ومادمنا قد وصلنا الى اخبار التوراة التي استشهد بها من نقلنا عنهم ، فلنصحح اسماء ابناء يعقوب الاربعة الذين ذكرهم ابن فضل الله ومن تقدمه من الرحالة والجغرافيين وهم :

دان :	وكان يحدملكه شرقاً يهوذا وبنيامين	وجنوباً يهوذا	وغرباً بحر الروم	وشمالاً افرايم
يساكر :	« « « الأردن	« منسى	« اشير	« زبولون
زبولون :	« « « بحر الجليل والاردن	« يساكر	« اشير	« نفتالي
جاد :	« « « عمون والبادية	« راوبين	« الاردن	« منسي

وبحر الجليل هو بحيرة طبرية .

بقي علينا ان ننظر في المكان الذي توفي فيه الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك بالاستدلال مما تقدم .

لم يذكر لنا الجغرافيون قرية او بلدة باسم اربد في جهات البلقاء على ماحددوها هم انفسهم وكان حرياً بهم ان يذكروها اذا صح ان خليفة توفي فيها ولما ذكر ياقوت مكان هذه الوفاة قال عنها إِرْبِدْ بالزاي كما سبق بيانه فاذا لم يكن الخليفة قد توفي بازبد كما زعم ياقوت

---

(١) دليل بيدكر الطبعة الافرنسية لسنة ١٩١٢ صفحة ٢٥٢ (Baedeher page 252)

وعدها مجاورة لاذرعات [1] — ونظنه قد وهم في اعجام الراء فيكون صوابها اربد التي قرب عجلون لان هذه القرية تبعد اليوم ٢٥ كيلومتراً عن اذرعات — وكان التبس على ياقوت الامر بين إربد وأربد فيترجح معنا ان هذا المكان هو اربد المجاورة لطبرية للاعتبارات التالية :

(١) = ان إربد عجلون شديدة البرودة في موسم الشتاء فلا تصلح لان تكون منتزهاً اومنتجعاً للخليفة في شهر شعبان من سنة ١٠٥ هـ الموافق لشهر يناير — كانون الثاني — من سنة ٧٢٣ م لان البرد فيها وفي نواحي البلقاء يكون على أشدّه في ذلك الشهر .

(٢) = ان اول مؤرخ ذكر أربد هو الطبري كما تقدم بيانه ولما ذكرها فتح الباء منها فقال ارَبَد مما يؤيد رأينا في ان مكان وفاة الخليفة هو اربد التي بقرب طبرية فان التي بعجلون سواء أكانت بالزاي المنقوطة ام بالراء المهملة فهي بكسر الباء ..

(٣) = ان أربيل او أربد او إربل او إربد هذه قد عربها العرب عن اربيلا او اربئيل وهي واقعة على يمين الجادة السابلة من دمشق الى مصر ومن القرى التي لها شأن مذكور في التاريخ الاسرائيلي .

(٤) = سواء أكان الخليفة قد جاءها للنزهة ام للاستشفاء ام وصل اليها في طريقه الى بيت المقدس فانه يجب ان يأتيها من الطريق المسلوكة وهي محاذية لها .

(٥) = ان بحيرة طبرية وماجاورها من الاراضي البركانية معروفة بجفاف الهواء وهي تصلح لسكنى المصدورين فلا يستبعد ان يكون الاطباء قد اشاروا على الخليفة المريض بهبوطها عندما اشتد البرْد والبَرَد بدمشق . وطبرية معتدلة الهواء في فصل الشتاء لا يكاد يشعر ساكنها بتأثير القرّ وهي شديدة الحرارة في الصيف لانخفاضها عن سطح البحر ٢٠٨ أمتار فهي من المشاتي الجميلة التي يوصي بها الاطباء لمثل هؤلاء المرضى والأعلاء .

(٦) = ان اربد طبرية واقعة بجوار سهل جنيسارة ومطلة عليه من علٍ وهذا المرج الممتد على شاطيء البحيرة التي كانت تنسب اليـه قبلاً والذي يسميه العرب اليوم

---

(١) اذرعات من المدن الكبرى جاء ذكرها في أشعار القدماء وقد ذكرت في معجم ياقوت وهي تعرف اليوم بدرعا ولها محطة على الكيلومتر ١٦١ من حيفا الى دمشق في السكة الحديدية الحجازية ومنها تتفرع الى ناحية الحجاز .

بالغُوير تصغير الغور كان مضرب المثل في خصب التربة والجمع بين أشجار المناطق الحارة والباردة لاعتدال جوّه وجودة ثماره ويقوله الى حدّ ان اليهود كانوا يحرمون نقل تلك الثمار الى بيت المقدس في الأعياد الثلاثة التي كان يفرض عليهم فيها السعي الى زيارة الهيكل مشاة على الأقدام لئلا تلهيهم تلك الثمار الطيبة عن العبادة (هكذا يقول يوسيفوس المؤرخ اليهودي) · وقد استولى المسلمون على هذه الارض وهي في حالة حسنة من الخصب والنموّ واستبحار العمران فلاغرابة في ان يكون الخليفة قد أقام في هذا المكان المرتفع للنزهة اوأقيم فيه ليتمتع بجفاف الهواء وجمال المنظر ·

(٧) = قد يكون الخليفة قدم طبرية مستشفياً او في طريقه الى بيت المقدس — وهذا مانستبعده لاضطراب باله واختلال حاله بعد وفاة حبابة والعهدة على الرواة — فاشتدت عليه وطأة الداء وهو في طريقه وقضى نحبه فنقل الى اربد الى ان تتخذ التدابير اللازمة لاعلان موته وتولية وليّ عهده خوفاً من حدوث حادثة او وقوع واقعة ·

(٨) = اذا سلمنا جدلاً ان الخليفة توفي باربد اوازبدعجلون في طريقه الى بيت المقدس وقد كانت اذذاك طريقاً أخرى تصل دمشق ببيت المقدس من ناحية اذرعات ومنها الى الزرقاء فعمان فبيت الرام فأريحا فبيت المقدس فما الذي أوصله الى اربد وهي تبعد زهاء ٣٥ كيلومتراً عن اذرعات ؟ ·

هذا ماعنّ لنا ابداؤه في هذا الشأن وقد لا نكون من الاصابة على طرف التمام ولكنها خطرات افكار مبنية على حقائق واعتبارات جديرة بالاهتمام .

عبد الله مخلص

عضو المجمع العلمي العربي

ابن خلدون

هو حكيم المؤرخين ، وعلم المحققين ، الفقيه الكاتب الشاعر المصنف القاضي ابو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون ٠

وبين عبدالرحمن وجده الاكبر خلدون آباء يقدرهم ابن خلدون نفسه بطريق الحدس بنحو عشرين أباً وان لم يحفظ من أسمائهم الا عشرة ٠

وينتهي نسبه الى وائل بن حُجر من أقيال حضرموت ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فبسط له رداءه ، ودعا له ولولده ٠ ثم كان في شيعة معاوية ، ونزل خلدون من ولده (ويسمى خالد بن عثمان بن الخطاب) بلدة قرمونة من الاندلس في رهط من قومه ٠ ثم انتقلوا الى اشبيلية ، وأسسوا فيها بيتهم الشهير ، وخدموا في الجند وقيادة الجيوش زمن بني أمية ، واستبد بحكمها بعضهم ، وبقوا يتعاورون أعمال الولاية والقيادة وخدمة السلطان زمن ملوك الطوائف والمرابطين والموحدين ، فلما ضعف شأن الموحدين بالاندلس ونشأت دولتا بني هود وبني الاحمر ولم تستطع هذه الدفاع عن اشبيلية واوشك الاسبان ان يستولوا عليها ، رحل عنها آل خلدون الى سبتة ، ثم انتقلوا الى افريقية في جوار اميرها ابي زكريا الحفصي ، فأسسوا بيتاً جديداً بتونس يعيش بخدمة الدولة الحفصية في الشؤون العسكرية والسياسية ، الى ان انصرف آخرهم محمد ابو المترجم عن وظائف السيف والحكم ، وانقطع الى طلب العلم والادب والرباط للعبادة ، فشب ابنه عبد الرحمن على مذهبه اولاً ، ثم نزع به عرق الوراثة فقضى في الحكم والسياسة اكثر عمره كما سنبينه ٠

ولد عبد الرحمن بن محمد مترجمنا في غرة رمضان سنة ٧٣٢ بتونس ونشأ بها ، فحفظ القرآن وتلقى على ابيه مبادئ العربية والأدب والفقه ، وحفظ المعلقات والحماسة وكثيراً من شعر القدماء والمحدثين ، ثم اخذ عن كثير من فحول علماء تونس ومن جلا اليها من علماء المغرب الاقصى والاندلس ، وقرأ القرآن بالروايات السبع ، ودرس النحو واصول الفقه وفروعه على مذهب مالك ، وقرأ الموطأ وصحيح مسلم ، واخذ المنطق وتعاليم الفلسفة والحكمة على طريقة ابن رشد وغيره ، والحساب وفن الكلام على مذهب الاشاعرة على العلامة الابلي الاندلسي ٠

واتفق ان دهم افريقية طاعون جارف مات فيه أبواه واكثر ذوي قرابته واشياخه فكسف باله ، ومال الى الاشتغال باعمال الدولة ، فتولى كتابة العلامة عن السلطان ابي اسحق الحفصي وهي (الحمدلله والشكرلله) تكتب بالخط الغليظ بين البسملة وما بعدها من مخاطبة او مرسوم ، وسنه لاتجاوز العشرين .

وكأنه استصغر هذا العمل فعزم على الخروج الى المغرب الأقصى لعله يجد عملاً أرفع ، فما كاد يخرج مع سلطانه في غزاة انهزم فيها حتى يم المغرب قاصداً السلطان ابا عنان المريني بفاس فلقيه في طريقه امير بجاية (عنابة) الآن فصرفه عن قصده ، وأخذه معه الى بلده في خدمته ، الا ان شهرته بالفضل كانت قد بلغت ابا عنان ، فطلبه منه ، فأرسله اليه ، فضمه الى مجلسه العلمي الذي كان يعقده للعلماء والادباء يناظرهم فيه ويشاركهم في البحث ، وعهد اليه بمثل عمله في تونس الا ان ابن خلدون انتهز فرصة لقاء هؤلاء الأعلام فأكب على التحصيل والاخذ عنهم واستكمال علمه عليهم ، وازداد حظوة عند السلطان ونفوذ جاه ، فأوغر ذلك صدور المقربين للسلطان ، فاتهموه عنده ان صدقاً وان كذباً بمالأة امير بجاية على الدولة ، فقبض عليه وعلى امير بجاية وأودعهما السجن . ثم أطلق الامير ، ولبث ابن خلدون في السجن نحواً من سنتين مات في نهايتهما السلطان ، فأخرجه الوزير الحسن بن عمر من السجن ، وقلده عمله القديم الا ان ابن خلدون لم يختر العافية وعيشة الهدوء بل سعى في تدبير الامر للامير ابي سالم المريني (وكان منفياً الى الاندلس) حتى سهل له الاستيلاء على ملك المغرب . وعندئذ أغدق عليه الأموال الطائلة وقلده كتابة السر وانشاء الرسائل السلطانية . فعدل عن مألوف كتاب المغرب من الكتابة المسجوعة البديعية ، وآثر المرسل من الكلام البليغ على طريقة القدماء . ثم ولاه خطة المظالم ، وهي وظيفة جليلة في الدولة ، فهاج ذلك حساده ووشوا به الى السلطان ، فتنكر له . وأحس ابن خلدون ذلك منه فتآمر هو والوزير عمر بن عبد الله على خلعه ، فخلع واستبد الوزير بالملك ، وكافأ ابن خلدون بعمل لم يعجبه ، فانقطع عن خدمة الديوان لفرط الدالة ونزق الشباب ، فجفاه الوزير ، فاستأذنه في الخروج ، فأذن له بعد مشقة .

وكان ابن خلدون قد ادى للسلطان محمد بن الاحمر ووزيره لسان الدين بن

الخطيب خدمات جليلة ايام نفيها الى المغرب ، فأراد ان يستغل ما قدمه اليهما فكاتب اليها بالقدوم الى الاندلس ، فلقيـاه بالحفاوة والكرامة ، واسفره ابن الاحمر الى ملك قشتالة الاسباني باشبيلية في مهمة ، فنجح فيها ، وحظي عندالسلطان واختص به في اكثر مجالسه ، فأحفظ ذلك صدر ابن الخطيب ، فشعر ابن خلدون بالامر ، وتخوف العاقبة . فاستأذن السلطان ان يرحل الى بجاية لخدمة اميرها فأذن له على كره ، فولاه امير بجاية اكبر عمل في دولتـه ، وهو منصب الحجابة ، ولكن سوء حظه حوّل مجرى الامور ، فخرج عليه ابن عمه وقتله ، فلم ير ابن خلدون بأسًا في تسليم المدينة له جلبًا لمودته ، ولكن مودته لم تدم ، فأوقع الوشاة بينهما .

فخرج من بجاية وعزم على الانقطاع عن السياسة والاشتغال بالعلم والتدريس بمدينة بسكرة ، الا ان ريح السياسة عصفت به ، فخرج الى فاس ، فلم يطب له فيها العيش وتنكر له المستبدون بها ، وظنوا انه ممالئ عليهم اعداءهم بالمغرب ، فاستأذنهم في الخروج الى الاندلس ، فعاد اليها ولاقاه ملكها محمد ، ووزيره ابن زمرك بعد مقتل ابن الخطيب غير ان أعداء ابن خلدون بالمغرب والاندلس أبلغوا ابن الاحمر انه كان يسعى في خلاص ابن الخطيب من نكبته ، ويحطب في حبله ، فطرده ابن الاحمر من بلاده ، فخرج منها بائسًا لايدري اين يذهب ، حتى أذن له ملك تلمسان ابو حمو بدخولها مع انه كان حاقدًا عليه لمظاهرته لاعدائه ، وبعد مدة كلفه الخروج الى بعض اهل البـدو لاستمالتهم الى طاعته فغيروجهة قصده ، ونزل ضيفًا على أولاد عريف في كنفهم ، وبت العزم على الانقطاع عن اعمال السياسة والشروع في التأليف ، فمكث بينهم اربع سنوات الف في خلالها معظم تاريخه العظيم ، وسود مسودة مقدمته في خمسة اشهر منها ، ثم احتاج الى مراجعة الكتب الكبيرة فاستأذن سلطان افريقية من الحفصيين بدخول تونس وطنه القـديم ، فأذن له فدخلها وألهاه مراجعة الكتب والاشتغال بالتـدريس والتأليف عن زيارات السلطان ومدحه في المواسم بالقصائد ، واشتهر امره في تونس واقبل عليه الطلاب والمستفيدون من كل فج ، وانصرفوا عن دروس العلماء بتونس الى درسه فوشوا الى السلطان بانه يتكبر عليه ولا يمدحه ، ومع ان ابن خلدون بعد ذلك مدحه وأهدى اليه ما أتم من تاريخه لم يصف له وجهه . فاستأذنه في الرحلة الى المشرق للحج واستكمال

تاريخه فأذن له ، فخرج الى مصر بطريق البحر فدخلها سنة ٧٨٤ في مبدإ حكم الملك الظاهر برقوق اول ملوك الشراكسة ، فجلس للتدريس بالجامع الازهر ، وتولى قضاء المالكية سنة ٧٨٦ فأظهر العدل والصراحة في أحكامه والضرب على ايدي المزورين والمتقاضين من الاعيان فعزّ ذلك على بعض الرؤساء وحسده العلماء والقضاة وسعوا به لدى السلطان ، وصادف ذلك غرق اهله وأولاده عند قدومهم اليه من المغرب ، فانقبضت نفسه عن الدنيا واستقال من القضاء وخرج الى الحج سنة ٧٩٧ . ثم رجع الى مصر وتولى التدريس حتى خرج مع كثير من علماء مصر في جيش السلطان فرج بن برقوق لمدافعة تيمورلنك عن الشام ولكن برقوق رجع بجيشه الى مصر دون ان يلاقي تيمولنك لفتنة حدثت في مصر وترك تيمور يحاصر دمشق . فخرج ابن خلدون منها في جماعة من العلماء الى سرادق تيمور ، وسأله تيمور عن حاله ، فخلبه بسحر بيانه ودهائه وأطلعه على ما كتبه في تاريخه من أعماله وفتوحه ، واستأذنه في الذهاب الى مصر فأذن له ولم يعد اليه . وبقي مشتغلاً بالتدريس والقضاء حتى مات بالقاهرة سنة ٨٠٨ﻫ وهو قاض للمرة السادسة . ودفن بمقبرة الصوفية خارج باب النصر ، وجهل قبره .

* * *

اخلاقه — يستنبط القارئ لسيرة ابن خلدون وتقلبه في البلاد والمناصب على اختلاف أنواعها أنه اشتمل على أخلاق من شأنها ألاّ تجعل حياة صاحبها هادئة هنيئة ، لا يكدر صفوها كيد الحساد ولا منافسة النظراء .

فأولها : علو الهمة والطموح الى افتراع كبار المناصب في الدول ، ولا جرم أن هذه المناصب في الدول قليلة العدد ، عزيزة المنال تقتضي أن ينفرد متوليها في الدولة بالمجد والجاه ، وهو ما يتطلع اليه كل عظيم النفس ذكي الفؤاد ، ويبذل في سبيل الوصول اليه النفس والنفيس ، ويترخص اليه كل عظيمة من سعاية وغش وخديعة وتزوير لاسقاط متوليها من منصبه وعظيم جاهه ليخلو له الجو او يقارب .

وثانيها : انه كان عظيم الثقة بنفسه الى مدى بعيد أغفله عن مراقبة خصومه ، والتنبه لمكايدهم ليحبط أعمالهم ، ويرد كيدهم عليهم ، فما كان يفطن لكيدهم الا وقد وقع في الشرك الذي نصبوه له ، وقلما نجا منه . وربما حمله ذلك على احتقار من هم دونه وقلة المجاملة لنظرائه والدهان لرؤسائه فيمل مقامه بينهم ، ويتربصون به الدوائر وربما جره

ذلك ايضاً الى الاعجاب بنفسه والدالة على رؤسائه والتحدث عن أعماله وآرائه بما لا يروق المنافسين له ٠

وثالثها : قلة الوفاء لمن جذبوا بضبعه الى المعالي من الملوك والامراء والوزراء والرؤساء الذين خدمهم في دولتهم ، وسمحت له نفسه بمظاهرة اعدائهم عليهم عندما يتوقع ركود ريحهم ، وانتقاض ملكهم : ايثاراً للسلامة ، وتوقياً للمكروه الذي قلما سلم منه ، وحرصاً على مرتبة أسمى وجاه أرفع ، وذلك الخلق متولد من التطرف في الخلق الاول وهو علو الهمة ٠

ورابعها : انه كان كثير الملل والسآمة كثير التبرم بالاكفاء والنظراء وربما كان ذلك ناشئاً عن الخلق الاول ايضاً ٠

* * *

ذكاؤه ونفوذ خاطره في سنن العمران والاجتماع البشري = كان ابن خلدون احد نوابغ العالم الذين عاشوا افذاذاً في عصور مظلمة لم يعضدهم فيها مشاكل ، او نعرف قدرهم أمتهم ، فكانت حياتهم بين الامة التي عاشوا فيها كلها شقاء ومحنة ، فقد أمد نفوذ خاطره وصدق نظره الى الاهتداء الى كثير من علل الحوادث التي تنتاب الاجتماع البشري وعرف ما بينها من الارتباط والتشابه حتى وقرت في نفسه بصور قوانين عامة وأقيسة مطردة سال بها قلمه دون ان يفطن لها كثير من اهل قرنه ، ولم ينكشف سرها ويتضح للباحثين صدق انطباقها على سنن العمران والاجتماع الا بعد انقضاء عدة قرون ٠ وهذا الذكاء الفائق في ابن خلدون مراتبَ الذكاء المعتاد فيمن نشأ على نظام التربية والتعليم المتبع في عصره هو الذي جعل تفكيره يتسامى الى أفق أعلى من أفق التفكير عند اهل عصره ، فبعدت الشقة بينه وبينهم فزالت المؤالفة والتراضي وحسن الاغتباط بالصحبة ، والى هذا يرجع شقاء كثير من أذكياء العالم على ايدي القرن الذين نشئوا بين ظهرانيهم ، فلم تثمر أعمالهم في عصرهم ، وقد يحفظها التاريخ لمن يفطن لها ممن يأتي بعدهم ، ويقتبسون من نورها في حياتهم وآرائهم ، كما فطن هو بثاقب نظره الى آراء كثير من فحول التفكير الذين سبقوه بقرون وباحوا بما جاشت به نفوسهم من قوانين وحقائق لم يشعر بها اهل زمانهم ، فمخضها واستخرج منها زبدة آراء لم يعرفها العلماء الا بعد تهذيب

العلوم وترقية شؤون التعليم والتثقيف ، فكان وجوده سابقاً بذكائه المتوقد للعصر الذي يلائم تفكيره بنحو اربعة قرون .

وقد يخطر بالبال المجرد من التأمل ان ابن خلدون لو لم ينهمك في أعمال السياسة ويتول الكثير من مناصب الدولة والرياسة وكان قد توفر على التعمق في البحث والتمحيص لكان للناس من ثمرة ذكائه أضعاف ما اثر عنه ، ولكن لايعزب عن المتأمل ان ما وصل اليه ذهنه من القوانين والآراء التي قررها في مقدمته انما كان اكثرها بسبب احتكاكه بالناس حاكماً ورئيساً ومرؤوساً وطالباً ومطلوباً وملابساً لاحوال الملوك والمستبدين على اختلاف نزعاتهم وتباين أممهم ونحلهم وأنسابهم وبلادهم .

* * *

علمه وتصرفه = قدمنا ان ابن خلدون درس في شبابه من علوم القرآن والفقه واصوله والكلام والعربية والآداب وتعاليم الفلسفة والتصوف ما اعتاد كثير من المحصلين من اهل زمانه ان يجودوه ، بل ربما قل عنهم فيه ، لانتظامه في سلك الاعمال السلطانية قبل ان يطر شاربه ، وانما العبرة في ابن خلدون وأضرابه من أذكياء العالم في امرين : الاول الانتفاع بالقليل من المعرفة بحسن تصريفه في كثير من وجوه العلم ، والثاني دوام الاستزادة من المعرفة كلما سنحت الفرصة وتهيأ لهم الفراغ ، فيكونون على اتصال دائم بالعلم فلا تخمد جذوة ملكتهم فيه ، ويغزر علمهم ، ويتسع اطلاعهم اذا بارك الله في عمرهم وانفسح اجلهم ، فقد وجدناه يقوم بوظيفة خطية هي كتابة العلامة فيجودها ، ويشتغل بصناعة كتابية من كتابة السر وانشاء الرسائل فيجدد من محاسنها ، ويندب للسفارات وتأديب البغاة واستمالة العصاة فينجح فيها ، ويتولى الحجابة فيرفه من شأنها ، وتسند اليه خطة المظالم والقضاء (وهما ثمرة الفقه والاضطلاع بالعرف) فلا يتحرف عن جادتها ، ويصنف في التاريخ والأدب والفلسفة فيعد من المبتكرين والأئمة الواضعين فيها والرافعين من قواعد هيكلها ، ويجلس لتدريس الفقه والاصول والكلام فتنثال عليه الطلاب من كل حدب ، ويتجلى له ما تعقد من صناعة التربية والتعليم ، ويصبح قدوة فيهما . وبذلك يسقط قول الامام الجليل ابن عرفة المالكي في ابن خلدون عندما قدم مصر الى الحج

« كنا نعد خطة القضاء أعظم المناصب ، فلما بلغنا ان ابن خلدون ولي القضاء عدنا بالضد من ذلك » على انه كان من المنافسين له في المغرب .

* * *

ابن خلدون باعتباره كاتباً مترسلاً = نشأ ابن خلدون في زمان يسلك كتاب الرسائل السلطانية فيه طريق الكتابة المسجوعة المحلاة بانواع البديع على طريقة ابن العميد وكانت طريقة القاضي الفاضل التي أساسها التورية والتوجيه والجناس قد دب دبيبها الى المغرب منذ حين حتى لابست اقلام كثير من بلغائه كابن الخطيب ، وهي الطريقة التي سماها ابن خلدون بالشعر المنثور ، فشب ابن خلدون في كتابته على هذه الطريقة وكتب بها ردحاً من الزمن حتى ظهر له فسادها في الرسائل السلطانية ، وعدل عنها الى طريقة بلغاء الاوائل كابن المقفع واحمد بن يوسف والجاحظ ، فأحيا بذلك في عصره الكتابة المرسلة الفطرية الخالية من السجع وتكلف البديع في عصر بلغ فيه ذلك غايته ، قال عن نفسه عندما كتب للسلطان ابي سالم المريني :

« واستعملني في كتابة سره والترسل عنه والانشاء لمخاطباته ، وكان اكثرها يصدر عني بالكلام المرسل بدون ان يشاركني احد ممن ينتحل الكتابة في الاسجاع لضعف انتحالها وخفاء المعاني فيها على اكثر الناس بخلاف المرسل ، فانفردت به يومئذ وكان مستغرباً عند من هم من اهل هذه الصناعة » .

وقد عرفت رأيه مفصلاً في استهجان هذا الشعر المنثور والنثر المسجوع والنعي على مستعمليه في كتابة الرسائل مما قدمناه لك عند الكلام في كتابة الرسائل زمن المماليك منقولاً من مقدمته فراجعه ثمة وتأمل تعليله لذلك تعرف وجه انصرافه عن هذا النوع من الكتابة في الرسائل السلطانية والرجوع الى طريقة القدماء من البلغاء نعم ان ابن خلدون بقي الى آخر حياته تصدر عنه بعض المكاتبات لاخوانه المؤثرين طريقة البديع كابن الخطيب مجاملة لهم وجرياً معهم في ميدانهم الا انه راعي فيها القصد ، ولم يتكلف البديع ، وخاصة التورية والتوجيه كما تكلفها ابن الخطيب وغيره ممن فتنوا بطريقة المشارقة حتى حاكوهم فيها بتأليف كتب العلم والتاريخ مسجوعة ، كالفتح ابن خاقان في قلائد العقيان والمطمح وكابن بسام في الذخيرة وكابن الخطيب في الاحاطة وكتاب

الحب الشريف وغيرهما ، فربأ ابن خلدون بنفسه ونزع نير التقليد من كتابة الرسائل ومع المام ابن خلدون بكثير من العلوم ذات القواعد والاصطلاحات من نقلية وعقلية لم تظهر على رسائله السلطانية والاخوانية مسحة الكتابة العلميـة وأساليب العلماء كما ظهرت في ابن الخطيب .

* * *

مؤلفات ابن خلدون وكتابته فيها = ذكر لسان الدين ابن الخطيب بعض مؤلفات ابن خلدون قبل ان يؤلف تاريخه العظيم ومقدمته النفيسة فقال (شرح البردة شرحاً بديعاً دل به على انفساح ذرعه وتفنن ادراكه وغزارة حفظه ولخص كثيراً من كتب ابن رشد وعلق للسلطان « محمد بن الاحمر » أيام نظره في العقليات تقييداً مفيداً في المنطق ولخص محصل الامام الفخر الرازي(١) والف كتاباً في الحساب وشرع في هذه الايام في شرح الرجز الصادر عني في اصول الفقه بشيء لاغاية بعده في الكمال) وقال صاحب نفح الطيب بعد نقل هذا الكلام من الاحاطة هذا كلام لسان الدين في حق المذكور في مبادئ امره واوسطه فكيف لو رأى تاريخه الكبير .

ونحن وان لم يعثرنا الزمان على جميع مؤلفاته لنتعرف معالم كتابته في مختلف العلوم لنستطيع قياس الغائب على المشاهد من كتابة مقدمته وتاريخه نرجح ان كتابته في الاصول والكلام والفلسفة لا تبعد كثيراً عن الفصول التي كتبها في المباحث الكلامية والفقهية والفلسفية من مقدمته الجليلة وفي بعض مواضيع من تاريخه . وعلى ذلك نبدأ بالكلام على المقدمة والتاريخ فنقول :

* * *

مقدمة ابن خلدون = نتكلم على المقدمة من حيث عبارتها واثرها في اقلام المنشئين ومصادرها والآراء التي انفرد بها مؤلفها فيها واثرها في ايجاد مؤلفات من نظائرها .

(عبارتها) : أما كتابتها فيمكننا وصفها بما يأتي :

(١) هو محصل افكار المتقدمين والمتأخرين في علم الكلام على طريقة الاشاعرة وهو كتاب عظيم القدر .

أولا — خلوها من السجع الا في النادر كخطبة الكتاب ٠

ثانيًا — جزالتها في الفاظها و بلاغتها في أ كثر أساليبها ، و يظهر ذلك في كثير من فصول مقدمته لا في جميعها لجاءت كتابته في هذه الفصول بمنزلة من البلاغة لا تقل عن كتابة فحول القرن الثالث ٠ وقد يسفّ في كتابته في بعض الفصول ، فيغلب عليها التعقيد وأساليب المناطقة ، فيعتاص فهمها على من لم يرتض ذهنه على فهم عبارات المتكلمين والمتفلسفة ٠

ثالثًا — الاسهاب البالغ حد التكرار المملّ في بعض المواضع والايجاز المخل المفضي الى الاستغلاق والغموض في آخر و ينشأ كلاهما في احدى خصلتين : اما من اضطراب أحوال النفس في انبساط وانقباض ، واما من اضطلاع وملاءة ببعض المسائل والدعاوي دون بعض ٠ ولا يبرأ التأليف من معرة هاتين الخصلتين الا بمعاودة المؤلف النظر اليه في أوقات صفائه واستجمام خاطره والانحاء عليه بالتثقيف والتهذيب ومراجعة الاشباه والنظائر من الكتب الباحثة في مثل موضوعه ، وكل ذلك لم يكن بمتيسر الوقوع لابن خلدون فيما لدينا من كتبه ، اذ من المعلوم ان المقدمة التي هي وليدة كد خاطر وقدح ذهن واستقصاء في بحث كتبت في نحو خمسة أشهر ، وهذا التاريخ كتب في أقل من اربع سنين ، و كأن المؤلف لم تهيء له نكبات الايام ولامكايد الخصوم عيشًا رغدًا ولا بالاً صالحاً لمعاودة كل ما كتب منها للتمحيص والتهذيب ٠ وغاية ماعلمناه من ذلك انه راجع المقدمة فقرأ نسخة كتبت في مصر فنقح من بعض عبارتها ، وأعاد كتابة بعض فصولها من جديد ، ولكن ذلك قد كان بعد ان سارت بها الركبان وحملت الى اقاصي البلدان٠ وقد اطلعت على صورة شمسية نقلها العلامة المفضال احمد زكي باشا عن النسخة الخطية التي نقحها المؤلف بخطه والمودعة احدى دور كتب القسطنطينية ، فوجدت ان هذا التنقيح لم يعْدُها ، و بقي مدفوناً معها في هذه القبور قبور الكتب اكثر من خمسة قرون ، و يظهر ان المؤلف نقحها في آخر حياته ، وأغفل امرها الى ان حملها السلطان سليم مع ما حمل من الكتب والذخائر والعتاد الى حاضرة ملكه ، فاحتجبت عن قراء العربية دهراً طويلاً ، وطبعت مراراً في كثير من الممالك عن الاصل الذي لم ينقح ٠

اما التاريخ فيظهر ان المؤلف لم ينقحه بل يظهر ان ماطبع منه في مصر نسخة منقولة

عن مسودة لا عن مبيضة لكثرة السقط والبياض فيه .

رابعاً — استعمال المؤلف فيها بعض كلمات لم ترد في معجمات اللغة او صرفت على غير مجاز عن معناها ، واستعماله أساليب تأباها قواعد العربية في نثر الكلام ، او لا يمكن تصحيحها الا بتأول لا داعي اليه ، فيستعمل المخال اسم آلة لرفع الأجسام ، ولا اصل لاشتقاقها في اللغة ، وكذلك الهندام وهو معرب ومعناه غير ذلك ، ويستعمل الجيل بمعنى القرن واللدات ، والهرج بمعنى الاضطراب ، ويستعمل انتشوا بمعنى نشطوا في الامر ولا أصل له في اللغة ، و يدخل الواو في خبر لا بدّ فيقول (لا بدّ وان) ، و يدخل باء التعدية في فعل استبدل على غير المتروك ، و يعدى نمود بعلى ، و يجعل الخبر او جواب الشرط استثناء اواستدراكاً فيقول (فانه وان كان كذا الا انه او لكنه) ، و يؤنث الخلق ، ويستعمل التلميذ اسم جمع ، و يجمع العصبية على عصائب وغير ذلك كثير في كلامه . وقد تعدته هذه الاغلاط الى قراء مقدمته الحاكين لانشائه في اول عصرنا الحاضر ، ومنهم انتقلت الى كتاب الجرائد وقرائها . و بالرغم من هذه الاغلاط لم يكن الانتفاع بمقدمته وأسلوب كتابته فيها في وقت أظهر منه في اول العصر الحاضر فقد كان أسلوب ابن خلدون المرسل المجرد عن تكلف البديع والمحسنات اللفظية في تعبيره عن المباحث السياسية والعمرانية والاجتماعية والجغرافية والصناعية هو القدوة الحسنة للمصلحين والمجددين للنهضة الادبية العربية والسياسية من كتاب العربية في مصر والشام وتونس وخاصة من الف منهم في مثل موضوعاته اوكتب في الجرائد والمجلات لقلة المطبوع من الكتب ، ولانه أرحب أسلوب علمي أدبي للنقلة والمترجمين عن اللغات الاجنبية المحافظين على اصل المعنى ، فهي الاستاذ الاكبر لكتاب الصحف والمجلات في نهضتنا الاخيرة ، وربما انضم اليها في ذلك كتاب كليلة ودمنة .

ولم يعد للمقدمة في الثلاثين سنة الأخيرة من هذا العصر ما كان لها من عظم الشأن والقدوة الحسنة في اوائله لكثرة ما طبع من الكتب العظيمة وسهولة اقتنائها على الغني والفقير من اهل الادب لرخص ثمنها ، فشارك المقدمة في تثقيف الكتابة الادبية والتأليفية كتاب الاغاني وكتب الجاحظ وتاريخ الطبري وغيرها من الكتب البليغة الممتعة . على ان كثيراً ممن يعيشون في عصرنا يكتبون في مؤلفاتهم وجرائدهم وقد

استخلصوا زبدة هذه الأساليب ما لا يقل فصاحة وبلاغة عن ابن خلدون او يزيد مع صحة عبارة وانتقاء لفظ ·

* * *

(مصادرها) : واما مصادرها فمن الغمط لفضل ابن خلدون والجحود لمواهبه وعبقريته ان نقول بان اكثر مباحثه فيها منقول من كتب المتقدمين فللرجل فيها فصول ونظريات هو ابو عذرتها ومبتكرها وخاصة ما كان متعلقاً بالسياسة والاجتماع والعمران والاقتصاد حتى لا يعدّ مبالغاً من يقول انه واضع علمي العمران والاجتماع ، وانه من اسبق من تكلم في الاقتصاد السياسي ، وان ما كتبه في مسائل هذه العلوم يربو على نصف المقدمة · ولكن من المسلم ان الفصل الاول من العمران البشري اخذه من أمثال رسائل اخوان الصفا وكتب الجغرافيين من العرب الناقلين لجغرافية بطليموس ، واخذ مباحث ادراك البشر للغيب بالفطرة او الرياضة من كتب التصوف والكلام والفلسفة دون ان يكون له كبير رأي فيها ، واخذ مباحث الخلافة والامامة ومذاهب الشيعة والخوارج فيها من كتب الكلام وكتب الملل والنحل للشهرستاني وابن حزم ، وكتاب الفرق بين الفرق والكامل للمبرد والعقد الفريد وغيرها · واخذ مباحث تاريخ العلوم والصناعات من مثل كتاب الفهرست لابن النديم ، وكتاب طبقات الامم لصاعد الاندلسي ، ومن مقدمات الكتب المطولة في التفسير والحديث ، ومن كتب التاريخ لطبقات الرجال في كل فن ، واخذ مباحث السحر والطلسمات والسيمياء والكيمياء من كتب مسلمة المجريطي والكتب المنسوبة لجابر بن حيان ورسالة ابن بشرون · واخذ التنجيم وأسرار الحروف والزايرجة من كتب البوني وابن عربي والسبتي صاحب اللامية وكلهم مغاربة ·

واخذ الكلام في مقامات الصوفية من مثل مقامات المحبة والمجاهدة والتوجه والفناء وفناء الفناء من كتب الصوفية من أمثال ابن عربي الاندلسي وغيره · واخذ الكلام في خطط سياسة الدولة والاحكام السلطانية والجباية من أمثال كتاب الفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقي وكتاب الاحكام السلطانية للماوردي وسراج الملوك للطرطوشي وكتابي مروج الذهب والتنبيه والإشراف للمسعودي وكتاب الخراج لابي يوسف ،

واخذ كثيراً من مباحث إبطال الفلسفة والتنجيم والكيمياء من كتاب الغزالي وغيرها .

وما بقي من مباحث المقدمة وهو كثير خطير فهو من أبكار أفكاره أوصله اليه كد خاطره وتعمقه في فهم العلوم والتنبه لأسرار الكون والخليقة وطبائع البشر في بداوتهم وحضارتهم ونشاطهم وخمولهم هذا الى كثرة تجاربه ومزاولته العمل في ممالك شتى مما أوضح له ارتباط اسباب نشوء الدول وسقوطها بمسبباتها علاوة على حسن الترتيب والتقسيم والنقد والتعليل لما ليس من مبتكراته وما كل ذكي الفؤاد بقادر على النقد والاستفادة مما يشاهد ويحس في البيئة التي يحلها ولكن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

« للبحث صلة »

عضو المجمع العلمي
احمد الاسكندري

آراء وافكار

استبدال الحروف العربية

« بالحروف اللاتينية »

منذ استبدل الاتراك الحروف العربية في كتابتهم بالحروف اللاتينيـة تنبهت الافكار في الشرق الادنى عامة الى وجوب اصلاح الحروف العربيـة ايضاً وظهرت اقتراحات عدة بهذا الموضوع وفي جملتها انتهاج الخطة التي قبلها الاتراك وابدال الحروف العربية باللاتينية وآخر ما طالعناه مقال نشر في المقطم بتاريخ ١٠ تموز سنة ١٩٢٩ من ان عالماً مستشرقاً هولندياً اقترح على الحكومة المصرية كتابة العربيـة بالحروف اللاتينية وهذا هو المقال المذكور :

مهما بلغ من نزعة التجديد ونشـاط المجددين عندنا فالرجاء ان لا يسمح لهم بان يحاولوا احلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربيـة فهذا مشروع لا يقابله الناطقون بالضاد بالارتياح ولا يشير به المستشرقون الاوربيون انفسهم ولو ان بعضاً منهم رأى هذا الرأي من اكثر من ربع قرن وعولجت القضية باسهاب كثير في المقتطف فقد روى وكيلنا الاسكندري الآن ان عالماً من علماء هولندا أرسل يقترح على وزارة المعـارف عندنا ابدال الحروف العربية بحروف لاتينية وحذف سبعة حروف متشابهة من الابجدية ·

اما اذا عدنا الى اختبار سوانا فان مشروع تركيا أوقع بلادها في فوضى علمية وادبية واجتماعية لم ير لها مثيل والاخبار التي ترد من الاستانة تدل على ان هذا التبـديل أدى الى اشكال عظيم كانت الصحافة في مقدمة ضحاياه ·

لقد تفرنجت الشعوب العربية في اشياء شتى بعضها حسن والبعض الآخر قبيح ولكن هل معنى هذا ان يعم التفرنج كل شيء ·

والظاهر ان الذين يشيرون باصلاحات جوهرية كهذه في اللغة العربية ينسون ان الترك شعب واحد في بلاد واحدة وان العرب شعوب في بلدان شتى فالذي يستقر عليه قرار واحد منها لا يسهل تطبيقه على سواه من هذه الشعوب وهي منتشرة من الاوقيانوس

الاتلانتيكي الى حدود فارس ومن جبال طورس والبحر المتوسط الى خط الاستواء .

ان اللغة العربية في حاجة الى اصلاحات شتى يستطيع ان يعالجها مجمع لغوي عام كالذي فكرت وزارة المعارف المصرية في انشائه ولم ينشأ . واما القضاء على تاريخ لغة عظيمة عريقة في القدم وحافلة بالآثار النفيسة بابدال حروفها بحروف أخرى فاقتراح لا يخلو من الفكاهة ولكنه يجب ان لا يتجاوز هذا الحد ولا ان يكون موضع اهتمام من احد فالشعوب العربية تكافح وتسعى لمحاربة الامية فهل تعمل على خلق أمية جديدة وتقطع صلتها بالماضي قطعاً كهذا .

فلا غرو والحالة هذه ان يكون رجال وزارة المعارف قد أجمعوا على رفض اقتراح العالم الهولندي فقد قيل قديماً للعرب (خذوا لغتكم من أعجمي) . فهل يراد اليوم ان يقال (خذوا حروفكم من أعجمي ايضاً) اه كلام المقطم .

وكان المستشرقان الافرنسيان السيدان ماسنيون وهو من اعضاء مجمعنا وبينار رئيس البعثة العلمانية في الشرق قد تقدما بمثل هذا الاقتراح ونصحا أصدقاءهما العرب بكتابة لغتهم بالحروف اللاتينية ، فردّ عليهم الاستاذ فارس الخوري احد اعضاء مجمعنا بمقال نشرته صحف سوريا في أواسط كانون الاول سنة ١٩٢٨ نأخذ منه الخلاصة الآتية :

الاستاذان العالمان ماسنيون وبينار الافرنسيان قد اشتهرا بصداقتهما للعرب عامةً وللسوريين خاصةً والراجح عندي انهما حسنا النية في النصيحة الجريئة التي أسدياها للسوريين في حفلات التكريم المقامة لهما في بيروت باستعمال الحروف اللاتينية في الكتابة العربية . فهما يحسبان بما أظن ان هذه الطريقة تسهل على عمال المطابع تنضيد الحروف وفكها وتوزيعها وتخفف عناء القراءة العربية على أبناء الغرب وتيسر نقل الألفاظ الافرنجية وإدماجها في المطبوعات العربية وتجعل القراءة العربية الصحيحة في مقدور كل قارئ بإدخالها الحركات بين الحروف .

هذه هي المزايا الاربع التي يمكن الادلاء بها في جانب اقتراحهما لتأييده ولكن هناك من المساوئ ما يفقد هذه المزايا قيمتها و يجعلها اموراً تافهة لا يؤبه لها .

نحن لا نستطيع احتذاء حذو الأتراك من هذه الجهة لان بين لغتنا ولغتهم بوناً

شاسعاً وفروقاً جمة تجعل متعذراً علينا ما اختاروه لانفسهم · وهاانا نسرد بعض الاسباب الجوهرية التي تحملنا على عدم الأخذ بنصيحة السيدين الافرنسيين :

١ً — عندنا الحروف ث ح خ ذ ص ض ط ظ ع غ ق وهي احد عشر حرفاً ليس لها مقابل في الحروف اللاتينية · فنبقى مضطرين عند قبولنا هذا الاقتراح لوضع اشكال جديدة لهذه الحروف وبذلك نفقد مزية سهولة القراءة على الاجانب عن اللغة وتصبح كتابتنا شكلاً جديداً تختلط فيه الحروف اللاتينية برموز أخرى على مثال ما هي الحال في كتابة اللغة الروسية ·

هذه العقبة هان على الأتراك اجتيازها لانهم لا يلفظون هذه الحروف بمخارجها العربية الاصلية بل يخففونها ويجعلونها دانية مما يقاربها من الحرف اللاتيني فهم يلفظون الذال والزاي والضاد والظاء بصوت واحد ويكتبونه بالحرف اللاتيني Z ويلفظون الثاء والسين والصاد بصوت واحد ويكتبونه S والتاء والطاء بصوت واحد يكتبونه T والحاء والخاء والهاء بصوت واحد يكتبونه H والقاف والكاف بصوت واحد يكتبونه K والغين جيماً حلقية يكتبونه G واما العين فيلفظونها همزة او الفاً ويكتبونها كذلك ·

فجميع الحروف التي استعاروها من العربية او الفارسية وليس لها مقابل في الابجدية اللاتينية أدمجوها بحروف أخرى تقاربها ووحدوا اللفظ بينها ·

اما اللغة العربية فلا يستطاع فيها هذا التبديل والتلاعب ولا بد لكل حرف منها من شكل خاص به يصاحبه لفظه الخاص ايضاً وبدون ذلك لا تبقى القراءة الفصحى التي هي المزية العليا لهذا اللسان الرنان بل تنقلب فصاحتنا الطلية رطانة أعجمية ·

٢ً — خزانة الكتب العربية هي ثروة قيمة ليس للعرب وحدهم بل للمدنية والثقافة القديمة كلها فاذا اخذنا الابجدية اللاتينية نفقد هذه الثروة النفيسة ويفقدها معنا العالم أجمع ولا يمكن ان يعاد طبع جميع هذه الآثار الغالية بالحروف الجديدة فتبقى الكتب الموجودة جميعها مجموعة ألغاز ومعميات لايحل رموزها من ابناء الجيل الآتي الا المنقبون عن الآثار وبارتكاب هذه الغلطة الفادحة نقطع علائقنا مع الماضي وننسف كل جسر يوصلنا به بدون ان يكون عندنا جديد يصلح للحلول محله · اما الاتراك فليس في خزائنهم هذه الثروة الثمينة وبالفصل بين حاضرهم وغابرهم لا يخسرون شيئاً مذكوراً ·

٣ — حروف العلة في العربية ؟ ثلاثة فقط تكون طويلة وهي أ ، و ، ي وتكون قصيرة وهي الفتحة والضمة والكسرة لكل منها شكل واحد في اللفظ اينما وجدت اللهم ما عدا الامالة المقول بها في بعض القرآت المهجورة فلسنا والحالة هذه بحاجة ماسة للاستعانة باحرف العلة اللاتينية للتمكن من اللفظ الصحيح على حين ان في التركية صوتين للعلة لا يمكن اظهارهما بالحرف العربي وهما (u) (eu) فما كان عندهم باملاء متشابه مثل (كول) صاروا يكتبونه اليوم بحسب لفظه gul و geul وتبقى كل كلمة لمعناها .

٤ — الكتابة العربية الحاضرة هي نوع من الاختزال تتوفر فيه السرعة والاقتصاد وما يكتب منها في سطر واحد يقتضي سطرين او اكثر بالحرف اللاتيني فما هي الفائدة التي نتوخاها من تركها واتخاذ طريقة أخرى تكلفنا وقتاً وقرطاساً أضعاف ما نحن ملزمون به الآن ؟ . طلب الي رجل انكليزي مرة ان أقرأ له مكتوباً عربياً جاءه من صديق له وتناولت المكتوب وهو بضعة أسطر دقيقة و بدأت أتلو مضمونه عليه بالانكليزية وهو يستغرب طوله وغزارة محتوياته حتى ارتاب بصحة الترجمة ولم يصدق ان هذه الأقوال الكثيرة والجمل الطويلة يمكن وجودها في تلك الأسطر القليلة .

٥ — الحرف العربي أجلى للنظر بسبب التباعد بين أشكال حروفه فلا يلتبس الواحد منها بالآخر وتستطاع قراءته بالنهار والليل وعلى النور الضئيل بدون الاستعانة بالعوينات وهذا يعرفه كل مصاب بقصر البصر او ببعده ، انا اليوم اقرأ الكتابة العربية بدون صعوبة واما الكتابة الافرنجية فقد أصبحت مضطراً للاستعانة بالعوينات على قراءتها . وهذه مزية للحروف العربية لا يستهان بها بل تكفي وحدها لتفضيلها على غيرها فانك تنظر الى الصفحة الافرنجية فلا تكاد تتبين حرفاً من حرف الا بعد امعان النظر واجهاد البصر وهذا هو السبب في ما اعتقد لاضطرار اكثر الاوربيين لاستعمال العوينات وهم بعد في عهد الشباب بينما قراء العربية يبقون قادرين على قراءتها بالعين المجردة حتى في سن الشيخوخة .

٦ — نحن السوريين لسنا مستقلين باللغة فليس من حقنا ان نستأثر بهذه البدعة المنكرة ونقطع مع اخواننا في العراق ومصر وجزيرة العرب وشمالي افريقية تلك الصلات الراسخة التي تربطنا بهم .

٧ — الحركات اللغوية عندنا صعبة الادراك لان اكثرها سماعية لاتعرف بالقياس ولان اللغة العامية المحكية لا تكترث بها فترى الناس يلفظون الكلمات غلطاً ولا يبالون فاذا عمدنا الى الكتابة بالحروف اللاتينية وجعلنا الحركات الثلاث حروفاً تكتب في صلب الكلمة نقع في ورطة جديدة هي اغلاط الاملاء . اليوم قلما تجد قارئاً يقرأ بدون لحن في الحركات واكثر القراء لحانون ولكن فيما بعد لاتعود تجد كاتباً يكتب بدون غلط في الاملاء وهذا أفظع من ذاك . مثال ذلك انت تكتب اليوم الحضارة والبداوة بدون ان تعرف حركة الحاء والباء فيهما وتترك للقارئ حريته ليقرأهما كما يشاء ولكن اذا كتبت بالحرف اللاتيني لا تستطيع ان تضع سواداً على بياض قبل ان تعرف هذه الحركة لانك مجبر على كتابتها في صلب الكلمة وفي مثل هذه الحالة ينتشر التضليل والفوضى فيكتبها كل واحد كما يتراءى له و يضيع القراء بين الصحيح والفاسد . وما اكثر الالفاظ التي لا يعرف تحريكها الصحيح الا الراسخون في العلم .

نحن لا ننكر ان الكتابة العربية في حاجة الى شيء من الاصلاح فلا يبقى عليها سبيل لمنتقد او متهجم وهذا الاصلاح يندمج في امرين :

الاول : الحركات ، وهي في حالتها الحاضرة متعذرة الادخال عند لزومها بين الحروف فتوضع فوقها اوتحتها وهذا لا يستطاع نقله للطبع الا بصعوبة عظيمة ، لان المطابع غير مجهزة بحروف محركة في قوالبها واذا تجهزت بها اقتضت لهذه الغاية مئات من القوالب فوق الموجود منها وهذا يربك الطباعة و يجعل نفقاتها فوق الاحتمال مع هذا الكساد فلاجل تلافي هذا النقص يمكن تحويل الحركات الى أشكال حرفية يدخلها الكاتب في كتابته عندما يكون واثقاً من صحتها و يرى لزوماً لادخالها فتنتقل الى المطبوعات بدون عناء وتهون القراءة الصحيحة على ابن اللغة وعلى الاجنبي عنها . اما الحركات النحوية الاعرابية فلا بأس من إهمالها في الكتابة لان اكثر القراء يعرفونها او يهملونها .

الثاني : تعديل الحروف المطبعية ليكون لكل منها قالب واحد سواء وقع طرفاً او وسطاً فلا يبقى احدها راكباً فوق الآخر كما هي الحالة الآن . فانك ترى لحرف اللام مثلاً عدداً كبيراً من القوالب بحسب انفرادها او توسطها او تطرفها او مع حرف آخر يسفلها مثل ل ا لا لى لي لج لخ لم ، فيجب ان يكون في المطبعة قوالب لكل واحد من

هذه الأشكال وغيرهما مما لا يعرفه الا اهل هذه الصناعة واي إرباك أعظم من هذا في تنضيد الحروف وفكها وتوزيعها ؟ كان المرحوم علامة اللغة الشيخ ابراهيم اليازجي قد وضع اشكالاً للحروف لا تختلف عن اوضاعها الاصلية وانما يمكن صفها الواحد لصق الآخر بدون حاجة الى تراكيبها وتنوعها فيبقى للحرف الواحد شكل واحد اينما وقع وهكذا لايكون أمام المرتب في المطبعة سوى ٣٩ بؤرة للحروف بدل المئات الموجوده امامه اليوم . وقد طبع نماذج عنها في مجلة الضياء فكانت جميلة متناسبة وتمنى رواجها كل من رآها ولا ادري ما الذي اقعده عن تعميم العمل بها سوى ضيق ذات اليد وفقد المناصرين .

اذا تم للابجدية العربية الاصلاح من هاتين الجهتين تصبح سالمة من العيوب وافية بالغرض وقد اشرت على الخطاط الشهير نجيب بك هواويني أن يتحف الناس بشيء من آثار نبوغه في هذا الباب فلايكون حظه من التقدير والتدوين بعيداً عن حظ ابن مقلة . فهل له او لغيره من الخطاطين واصحاب المطابع ان يضع اشكالاً لقوالب الحروف المطبعية تفي بهذه الاغراض وتزيد الكتابة العربية رونقاً وجمالاً وكما تفوقت هذه اللغة بفصاحتها وبلاغتها تبقى متفوقة بجمال كتابتها ؟

لا أريد ان اترك القلم قبل ان أسأل الاستاذين الفاضلين ماسنيون وبينار لماذا خصانا بالنصيحة بتبديل حروفنا لاصلاح كتابتنا ولم يقترحا على قومهم اصلاح الاملاء الافرنسي الذي هو أحوج الى التنقيح من اي كتابة أخرى . جميع اللغات تقرأ تقريباً كما تكتب ماعدا الافرنسية (وبعض الألفاظ الانكليزية) فان بين املائها وقراءتها بوناً شاسعاً اذ ان حروفاً كثيرة في كل كلمة تقريباً تكتب ولاتقرأ وبعض الحروف تلفظ بغير الصوت الذي وضعت له . وقد اكد لي العارفون ان تسعين بالمئة من الافرنسيين انفسهم يغلطون بالاملاء وكل الاجانب عنهم ونحن من جملتهم يشكون صعوبة التهجئة والقراءة الصحيحة بهذه اللغة . خذ لك مثالاً كلمة (temps) فانها تلفظ طان ولو لفظتها كما تكتب لوجب ان تلفظها (تمبس) وهو فرق غريب بين اللفظ والهجاء واكثر الكلمات الافرنسية على هذا النمط كما ان اللفظ الواحد عندهم تمكن كتابته باشكال متعددة بدون ان يتبدل لفظه وهذا ليس له مثيل في لسان آخر وهو من الصعوبة بمكان .

اذا كانت القراءة الصحيحة عندنا صعبة على غير الراسخين في علم اللغة بسبب إهمال الحركات فان الاملاء الافرنسي متعذر على غير الراسخين ايضاً . وقد كان الاولى بحضرة الاستاذين الكريمين أن يسميا اولاً باصلاح كتابة لغتهما قبل ان يعمدا لهذه النصيحة الجريئة في بلاد الشرق ونحن على كل حال نشكرلها اهتمامها بشؤوننا وعنايتهما بمصالحنا .

كتاب مناقب بغداد

« هو لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ »

تلوت تلك المعركة القلمية التي قامت بشأن كتاب مناقب بغداد وهل هو للامام عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ ﻫ ام لحفيده المسمى باسمه و كنيته ولقبه المقتول مع ابيه يوسف سنة ٦٥٤ .

فتصفحت كتاب الدر المنضد في رجال الامام احمد للعلامة عبد الرحمن بن محمد العمري وهو من مخطوطات المكتبة الأحمدية في حلب وقد قال في أوله انه اختصره من طبقاته الكبرى المسماة بالمنهج الاحمد فوجدت فيه ترجمة للامام عبد الرحمن بن الجوزي في عشر صفحات فاستنسختها وقد عدد فيها ١٩٦ مصنفاً له ولولا خوف الإطالة لسردتها هنا وقال بعدان عددها : وتصانيف أُخر غير هذه وقيل ان له حواشي على صحاح الجوهري ومآخذ عليها واختصر فنون ابن عقيل في بضعة عشر مجلداً .

وقد وضعت فيما نقلته ارقاماً لمصنفاته التي ذكرها فبلغت ماتقدم فجاء في رقم (٨٣) مناقب بغداد مجلد . فلم يبق هناك من ريب في ان الكتاب هو لعبد الرحمن المتوفى سنة ٥٩٧ ﻫ لا لحفيده عبد الرحمن المتوفى سنة ٦٥٤ .

وقدقدمت ان الدر المنضد هو مختصر من المنهج الا . د فيغلب على الظن ان المؤلف هنالك سرد اسماء مصنفات ابن الجوزي فالمرجو من الاستاذ الشيخ عبدالقادر المبارك عضو مجمعنا العلمي الذي عنده نسخة من هذا الكتاب ومن الأديب يوسف اليان سركيس الكتبي في مصر الذي نقل نسخة من هذا الكتاب بالمصور الشمسي ولا أدري في خزانة من هي ومن

الاستاذ الشيخ سعيد الكرمي الذي عنده قطعة كبيرة من هذا الكتاب كما ذكر ذلك الأديب عيسى اسكندر المعلوف في مجلة المجمع قديماً ان يرجعوا الى هذا الكتاب ويفيدونا هل بين هذه المصنفات ذكر لكتاب مناقب بغداد .

ويغلب على ظني ان صاحب المنهج اخذ ترجمة ابن الجوزي من ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ومنه نسختان في المكتبة الظاهرية فالمرجو من الاستاذ حسني الكسم مدير هذه المكتبة ان يفيدنا هل لهذا الكتاب ذكر بين مصنفاته .

فاذا كان قد ذكر في هذين الكتابين او في احدهما فلا يبقى هناك مجال للشك في نسبة الكتاب الى الامام ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ ونقطع جهيزة قول كل خطيب ويكون ما ذكر في كتاب المناقب من حوادث سنة ٦٥٤ من زيادات الحفيد اوغيره وهذا مما لا يستغرب فقد رأينا لذلك نظائر : هذا كشف الظنون لكاتب چلبي فان صاحبه توفي على ما أذكر الآن حول سنة ١٠٧٠ وقد أدرج فيه ذيله وطبعا معاً بدون تفرقة بين الأصل والذيل فترى فيه من توفي من المؤلفين في وسط القرن الثاني عشر وقلَّ من الناس من يعلم ذلك .

عضو المجمع العلمي
محمد راغب الطباخ

مطبوعات حديثة

كتاب

« فلسفة اللغة العربية وتطورها »

للاستاذ جبر ضومط طبع في مطبعة المقتطف والمقطم بمصر سنة ١٩٢٩ م
في ٢١٣ صفحة

هذا الكتاب يتضمن ما أنشأه الاستاذ جبر ضومط عضو مجمعنا العلمي بين سنتي ١٨٨٨ و١٩٢٨ م من المقالات والخطب القيمة التي تبحث في تاريخ اللغة العربية ونهضة الأقوام المتكلمين بها وفلسفة نشوئها وتطورها ووسائل ترقيتها وهي نحو ٢٣ فصلاً مفتتحة بمقدمة بقلم المرحوم الدكتور يعقوب صروف هي بعض الخطبة التي كان أعدها قبيل وفاته لتقرأ في اليوبيل الذهبي الذي أقيم لتكريم الاستاذ جبر. على ان المقالات التي تضمنها الكتاب لم تكن كلها في موضوع فلسفة اللغة وتطورها بل ان بعضها في موضوعات أخرى تاريخية واجتماعية وادبية لكن جمهرة المقالات متعلقة بالموضوع المذكور وكل ما كتب فيها يرمي الى تعزيز رأي المؤلف في فلسفة اللغة العربية وتطورها. وخلاصة مايرمي اليه في ذلك هو ان الامة العربية دخلت في طور جديد من الحياة فيجب ان تدخل لغتهم ايضاً في طور حياة جديد ينطبق على اجتماعهم و يناسب طورهم الجديد والا فان وقوف اللغة موت لها فتضطر الامة اذ ذاك الى ان تلبس لغتها قميصاً من اللغات الاخرى يساعدها على تطورها وقد شرح المؤلف هذه الطرق التي تحيي اللغة العربية وتفنن في ذلك ما شاء وشاءت براعته. وان أسلوب الاستاذ يمتاز بالسهولة وجودة التقسيم وحسن ايراد الشواهد على ما يريد اثباته. وقد أعجبنا من قوله — وكل أقواله معجبة — ما جاء في خطبته التي تلاها في جامعة بيروت الاميركية وجعل عنوانها (اللغة العربية : ما أخذت وما أعطت) وقد أورد قوله هذا مستدلاً به على سعة اللغة العربية وغزارة مادتها ومؤاتاتها لما يطلب منها من اصطلاحات العلوم اذا أحسن هذا الطلب وعرفت الطرق الموصلة اليه : فذهب الى ان علماء العرب ان كانوا احتاجوا الى علوم الاوائل فنقلوها الى لغتهم كعلم المنطق والفلسفة

وغيرهما فان لغتهم نفسها لم تحتج في هذا النقل الى لغات الاوائل بل كانوا ينقلون مباحث العلوم و يفرغونها في كلمات من عند لغتهم وضرب لذلك مثلاً فقال : « ان علماء العربية اخذوا علم المنطق عن علماء اليونان إما رأساً وإما نقلاً عن السريانية ولكنهم لم يأخذوا الفاظ هذا العلم كما هي عن اليونان بل قالوا : موضوع ومحمول · وقضية وقياس واستنتاج · ومقدمة صغرى ومقدمة كبرى ونتيجة · والمقولات العشر · والقول الشارح · والتصور والتصديق · وكلي وجزئي · وقضية كلية · وقضية كلية مهملة · وقضية كلية مسورة · وهلم جراً من مصطلحات هذا العلم » ثم قارن بين مافعله علماء العرب وما فعله علماء الغرب فقال : « وأخذ العلماء الغربيون علم المنطق عن اليونان كما أخذه علماء العرب إما رأساً او عن اللاتينية وأخذوا لغاتهم ايضاً عن اللغة اليونانية او اللاتينية لانهم قالوا : « سبجكت و بريديكت » للموضوع والمحمول · وقالوا : كتيغوري اي المقولات العشر وهلم جراً اي ان لغتهم اخذت نفس الحدود عن اللغة اليونانية بخلاف اللغة العربية فانها استغنت عن ألفاظ تلك الحدود اليونانية بألفاظ من لغتها العربية ادت معانيها تمام التأدية من غير صعوبة ولا التباس · وماقيل في المنطق يقال في علوم الفلسفة فان علماء العربية اخذوا هذا العلم عن غيرهم اما لغتهم فلم تحتج الى لغة القوم ورأت فيها من الألفاظ ما يؤدي معاني ألفاظ ذلك العلم فقالوا : موجود ومعدوم · وعرض وجوهر · وحال وكسر وانكسار · وتأثر وأثر · وماهية وهوية · ومقتضي ومانع ومعارض · وقالوا : الماهيات مجعولة بجعل جاعل وغير مجعولة · والعقل الاول والمبدأ الفياض · وغير ذلك من مصطلحات الفلسفة كثير · ولا يخفى ان كل هذه الألفاظ من صميم الألفاظ العربية · ومن عرف هذه المصطلحات بالفرنسوية او الانكليزية علم ان أغلب هذه الألفاظ مأخوذة عن اللاتينية او اليونانية بل علم ان علماء هاتين الأمتين ما زالوا يؤلفون في اللغة اللاتينية الى عهد قريب لعدم استطاعة لغاتهم اولاً ان تحمل هذه العلوم بنفسها بخلاف اللغة العربية فانها تحملتها حالاً وأصبحت تلك العلوم كأنها موضوعة فيها ابتداء وكان من علماء اللاتين والجرمان انهم ترجموا في بادئ امرهم اكثر تلك العلوم عن اللغة العربية ·

وهكذا كان الامر ايضاً في علوم الطبيعة كالطبيعيات والطب والكيمياء والفلك

والنبات والحيوان : فانّ اللغة العربية لم تحتج في كل هذه العلوم الا الى الالفاظ التي تستعار استعارة لان مسمياتها من نبات وحيوان لم تكن معروفة في البلاد العربية لانها لا تعيش فيها وتعيش في غيرها من البلدان . فأخذوا الاسم باخذ المسمى وهكذا الحال فيها لو كان اللفظ المأخوذ اسماً لآلة مخصوصة صنعها صناع تلك الامم قبل ان عرفها العرب والعربية بمئات من السنين » اه .

فلله در المؤلف ما أقدره على تصوير سعة لغتنا العربية واستغنائها ومبلغ طاقتها على تمثيل العلوم التي نترجم اليها .

هذا نموذج مما كتبه و يكتبه العلامة جبر ضومط في خدمة لغتنا العربية منذ اكثر من خمسين سنة وما زال على بلوغه الكبر يدأب ويعمل في خدمة هذه اللغة الشريفة والدفاع عنها وتنبيه ابناء قومه الى الاستفادة من مواهبها . فنسأل الله ان ينسأ في عمره ليرى ما يحبه لها من الرقي والازدهار . « المغربي »

حياة محمد

La vie de Mohamet
par
Emiel Dermenghens

بين الشرق والغرب جدل يرجع معظمه الى ما ركب في طبائع البشر من المطامع . فاي منهما قويت شوكته ، واستد ساعده ، نازل صاحبه يعتدي عليه ، و يسلبه استقلاله ، سنة القوي في الضعيف .

وقديماً كانت هذه الخصومة ، بيد انها كانت خصومة صريحة ، ومن آيات الشرف الصراحة . يهاجم الشرقُ الغربَ ، والغربُ الشرقَ باسم الدين ، ومن اجل السلب ، ويسمي كل منهما عمله : جهاداً اوحرباً مقدسة ، وغزواً . من غير مواربة ولا مداهنة .

ودارت الايام دورتها ، فتهذبت مظاهر الناس ، وظلت نفوسهم على ما كانت عليه من الطمع والجشع ، وسلب القوي حق الضعيف ، واعتدائه عليه . ولكن باسم التمدين وهو اسم جديد أطلقته سياسة العصر الحاضر على الغزو والحروب الدينيــة . والغريب ان الامم من قبل — اي في همجيتها . . . — كانت تقاتل من اجل دينها ، فاذا بعض

أم الغرب اليوم نقاتل مأجورة حتى في سبيل دين غير دينها .

وهذا الاعتداء الطريف في بردة التمدين ، يتطلب « دعاية » تتقدم الفتح تمهيداً لمقاصده ، او تتبعه تثبيتاً لقواعده ، تظهر الضعيف في ثوب خلَق من الجهل والشقاء ، فيعذر القوي في التغلب عليه « لتمدينه » . وما هو الا ان تنشب فيه أظافره حتى يزرق أديمه ، ويمتص دماءه .

لذلك انطلقت ألسنة رجال العلم من الأقوياء ، وممن يَمت اليهم بسبب ، يؤلفون عن المستضعفين التآليف المبكية المضحكة . يلفقون لهم تاريخاً غير تاريخهم ، و يخلقون لهم قوميات غير قومياتهم ، و ينكرون عليهم حقهم في الحياة ، ويسمون عملهم بعد ذلك علماً وتاريخاً .

حال يدعو المستضعفين — ونحن منهم — ان يتدبروا ما يقال فيهم بحذر و يقظة ، ليعرفوا ما الذي يراد بهم مما يؤلف عنهم .

كانت هذه الفكرة تملأ رأسي وانا أنظر في الصفحة الاولى من كتاب (حياة محمد) ومررت بالمقدمة فاذا المؤلف يقول :

« أردت ان أرسم لمحمد صورة صحيحة على قدر ما يمكن ، وذلك كما رأيته حياً في حديث الكتب ، وفي النفوس الحية من اولئك المؤمنين به » .... « واتخذت في كلامي عنه خطةً وسطاً ، بين اولئك المستشرقين المُفرِطين فيه والمُفرِّطين . فمنهم من يجعله فوق اهل زمانه ، يختلف عنهم في كل شيء ، ومنهم من يجعله شبيهاً بهم في كل شيء . وبعضهم يزعمه مات من النَّهَم ، وآخر من الصوم » .

« ومما يؤسف له ، ان الاب لامنس — وهو من أحدث المؤلفين ، واكبر الادباء المتخصصين — كان من اكثرهم تعرضاً لجاءت كتبه القيمة الممتعة مشوهة بكرهه الاسلام ، ونبي المسلمين . ولقد طبق هذا العالم اليسوعي على هذا التاريخ تلك الاساليب الانتقادية القاسية التي وجهها بعضهم الى النصرانية » .

قرأت هذا كله في مقدمة الكتاب ، فلم يغير الا قليلاً مما كان علق بنفسي . اذ المقدمات شيء ، وما يكتب بعدها شيء آخر . واشد ما يختلفان .

على اني ما اخذت في قراءة الصفحات الاولى حتى رأيتني مسوقاً الى المضي حتى آخر صفحة من هذا الكتاب . فاذا المؤلف صادق في قوله ، ماض على الخطة التي اختطها

لنفسه من الصراحة والاعتدال . نزه قلمه عن التعصب على النبي ، وتجانف عن التسليم الاعمى . فصوّب حيث رأى صواباً ، وخطأ حيث ظن خطأ .

سرد (حياة محمد) باسلوب قصصي — وكتابه هذا حلقة من سلسلة سماها (قصص العظماء) — فكان أسلوبه شائقاً ، وعبارته سهلة على مانقتضي الرواية و يلتذه القاري٠ . وصف نشأة محمد (ص) الاولى وصفاً دقيقاً ، وأفاض في ما لقيه من العقبات والأهوال في نشر دعوته ، وأشاد بثباته وعزمه ، وعفوه وحلمه ، وعظمته وتسامحه ، وأتى بمثال على ما كان يوصي به رجاله في الغزوات من معاملة الضعفاء والشيوخ والاولاد والنساء ، معاملة حسنة ، وان لا يعتدوا على ساكن . ولا يتلفوا زرعاً . ولا يقطعوا شجراً . و يقول المؤلف : وهذا ما يقل في التاريخ مثله .

ونوّه بترقيته لقومه ، ونظم شملهم على أساس جديد لا سابق عهد لهم به .

وقال : اذا لم يأت الرسول بالمعجزات التي اتى بها غيره من الرسل ، فحسبه معجزة انه جمع اليه اولئك العرب الجفاة الذين طبعوا على الفوضى ونشأوا على الخصام والقتال فلم يعرفوا الحياة العامة قبل مبعث الرسول .

ونوّه كذلك بما كان من عمل محمد في رفع مستوى المرأة ، وبما أوجده لها من حقوق . وانه أوجب معاملتها بالحسنى ، ومنعها العزوبة وهو اكبر خطر يهدد حياتها اليوم . واثني على خديجة وعلى جهادها الى جانب النبي وذكر مكانتها عنده .

وأعجب بما كان يضعه الرسول من شرائع يأتيها على مهل ، مما يتفق وروح التشريع ، والغرض منه . قال وكان محمد رسولاً ومشترعاً وسياسياً وعسكرياً .

قال : وصدقُ محمد ثابت لا يمكن ان يوضع اليوم موضع الشك والريبة ، وحياته على ما فيها من هفوات — لم يكن ينكرها — تشهد له بانه كان على ثقة من رسالته . ولقد تحمّل هذه الرسالة بشجاعة ، كأنها عبءٌ كان عليه ان يكون اول من يستقل بأثقل نصيب منه .

وذكر جهود المهاجرين في مُهاجَرهم . وانهم دخلوا يثرب ضعافاً فقراء ، فعملوا وجَهَدوا حتى أثرى نفر منهم . نازعوا اليهود في تجارتهم فغلبوهم على جزء منها . وأدخلوا على المدينة روحاً جديداً من الهمة والسعي . ويخيل اليك وهو يصور هؤلاء

المهاجرين في كدحهم ، انه يصف فريقاً من الامة الاميركية بنشاطها وجهادها .

ويمتدح عمل الاسلام في الفن والحضارة في صفحات ربما نقلنا شيئاً منها في مقال آخر .

وهو مع هذا يأخذ على الرسول فتكه ببعض من فتك بهم ويقول : « وكنا نود ان لا نسجل مثل هذه الحوادث على الرجل الذي جمع في نفسه ماجمع من الشرف والعظمة . ولعل محمداً من حيث هو انسان ، كان مضطراً للدفاع عن نفسه ذلك الدفاع الذي تجيزه حقوق عصره وبلاده ، غير انا كنا نريد لرسول الله ، الباعث بني قومه من بعدموتهم ، ان يكون اكثر صفاء ، واكثر ترفعاً عن التأثر بالعوامل البشرية ، حتى لا يقع شيء من الظل على هذه الصورة الوضّاءة من كل ناحية أخرى من نواحيها » .

ويقول ان المسلمين كانوا في فجر الاسلام اقرب الى النصارى منهم في القرون التي تلت . ويلقي تبعة ما وقع من خلاف على المفسرين والمحدثين من المسلمين الذين خرجوا عن الاستئلاف والقربى اللذين ارادهما الرسول . ولا يبرئ النصارى مما رمى به المسلمين ، فهم في تآليفهم قد رموا المسلمين بما هؤلاء منه براء ، وانهموا رسولهم تهماً كاذبة شنعاء .

والذي ننكره عليه انه اخذ ببعض خرافات لا يجوزها العقل ، ولا يقول بها من المسلمين غير العامة . وهذا قليل جداً .

وانه أراد ان يجعل الاسلام صورة كاملة عن النصرانية ، لذلك يزعم انالاختلاف بين الدينين انما نجم عن تحريف في القرآن . . . ويعلل ذلك تعليلاً غير مقبول . وهذا الزعم يحمل القاريء على اتهام المؤلف بانه استمد رأيه هذا من شعور ديني ان لم يكن فيه مختاراً فقد غُلب عليه .

وعلى الجملة فهذا الكتاب من خير ما أخرجه غربي عن محمد (ص) . فنشكر للمؤلف جهوده في العمل وصدقه في الرواية . عارف النكدي

احاديث المجد والوجد

— لابي الفضل الوليد —

« قرنة الحمراء — المتن »

ابو الفضل الوليد عربي بلقبه واسمه اللذين اختار ، عربي ببلده (المتن) وبلدته (قرنة الحمراء[1]) . وهو فوق هذا عربي بلسانه وروحه ، ثابت على عقيدته العربية : مقيماً ومهاجراً ، في الدورين الغابر والحاضر .

وكم من اخواننا الذين كانوا عرباً ايام الدولة العثمانية لامر ما ، عملوا على هدم اركان هذه الدولة بحجة النصرة للعرب وللقضية العربية ، فلما قضي الامر عاد كل منهم الى حقيقته التي كانت تخفى ، وأنسته المرتبة التي يشغل ، والسياسة التي انتحل ، تلك المؤتمرات ، وهاتيك العهود .

---

(١) لما فتح خالد بن الوليد مشارف الشام ثم تغلغل الى داخله ، هاجر الى بعض جبال لبنان قبائل عربية نصرانية تستعصم به . وبعد ان فتح العرب لبنان كله هاجرت اليه قبائل أخرى هجرة ثانية نزل اكثرها في الشوف ثم المتن .

ولقد أبقى العرب للاماكن القديمة اسماءها القديمة — واكثرها سرياني — كما فعلوا في سائر الشام . وأطلقوا الاسماء العربية على ما احدثوا من القرى والدساكر . من ذلك :

المتن : وهو ما ظهر من كل شيء . ومن الارض ما ارتفع . وقيل ما ارتفع واستوى ومن نظر الى المتن في لبنان علم ان من سمى هذا الموضع انما كان عربياً قحاً .

والقرنة : الطرف الشاخص من كل شيء . يقال (القرنة الحمراء) على الوصف كما يقال (قرنة الحمراء) على الاضافة الحقيقية او على حذف المضاف . وقد جرى العرب كثيراً في تسمياتهم على مثل هذه الاضافة او على حذف المضاف . فمن الاول باب الصغير (بدمشق) ووادي الكبير (بالاندلس) . ومن الثاني وقف العثمانية اي المدرسة العثمانية فقولنا (قرنة الحمراء) قد يراد به الاضافة الحقيقية الى الحمراء او ان هناك محذوفاً هو الهضبة او الرابية كأن نقول : (قرنة الهضبة الحمراء) او (قرنة الرابية الحمراء) وما اشبه او ان العامة استثقلت اداة التعريف فقضت عليها .

ومن شاء ان يعرف كيف يكون إخلاص الرجل لامته ، وحبه لوطنه ، صادقاً رصيناً فدونه « أحاديث المجد والوجد » فهي صفحات من القصة القومية ، ومن الوطنية الصحيحة ، تعرفها الامم الحية الراقية لا الجماعات المستعبدة · مكتوب ذلك كله بعبارة تغلب عليها الجزالة في كثير من الاحيان وتتدفق منها الجرأة والشمم والاوباء ·

عارف النكدي

جزء من صحيح البخاري

اشهر روايات صحيح البخاري في المغرب من طريق الحافظ ابي ذر ، واشهر الروايات عن ابي ذر رواية الحافظ ابي عمران موسى بن سعادة المتوفى سنة ٥٥٦ ، بواسطة الصدفي عن الباجي عنه ، وقد كانت نسخة ابن سعادة المعتمدة والمنسوخة بخط يده في أواخر القرن الخامس موقوفة في مكتبة جامع القرويين بفاس الى ان فقدت من هذه الخزانة من نحو ستين سنة ثم انها ظهرت اخيراً واخذ عنها فرع بالتصوير الشمسي بهمة الاستاذ [لافي بروفنسال] مدير معهد الرباط وكان في مقدمة الساعين بذلك الاستاذ المحدث السيد محمد عبد الحي الكتاني الحسيني الادريسي الذي اهدى الينا المجلد الحاوي الخمس الثاني من الاصل اوله كتاب الحج وآخره كتاب الجهاد والسير على ورق في غاية المتانة ، وعليه مقدمة بقلمه نحو اربعين صفحة في تاريخ هذه النسخة ، وبيان بالأفرنسية من الطابع المومأ اليه في ثلاثين صفحة ، فلكليهما الشكر على همتها الشماء في نشر الآثار العربية القيمة ·

عضو المجمع العلمي
مسعود الكواكبي

« تنبيه » — سها منضد الحروف فلم يضع توقيع صاحب المقال المنشور في الجزء الخامس ص ٣٠٨ بعنوان (تحفة تاريخية نادرة) وتوقيعه (وامق شكري) وهو احد ادباء الاستانة المقيمين فيها · كما سها ايضاً اذ كتب على الغلاف ان المقال للسيد زكي مغامز وليس كذلك ·

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) آب : سنة ١٩٢٩ م الموافق صفر وربيع الاول سنة ١٣٤٨ هـ

١٠٤

كتاب المداخلات[1]

او المداخل

لابي عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد المطرز غلام ثعلب

بسم الله الرحمن الرحيم

أ (باب الطليل[2]) — الطِليل[2] الحصير والحصير الحَبْس[3] والحبس الجَبَل[4] الأسود والأسود سواد العين والعين مطرُ أيام لا يُقلع والمطر[5] كثرة السِواك والسِواك مشي الجائع . والسواك ايضاً مَشْيٌ بضَعف يقال تساوكت الابل تساوكاً وساوكت غيرها مساوكة وسواكاً والمشي النميمة والنميمة حركة الصائد في الناموسة

(١) (المجمع) أرسل الينا بهذا الكتاب (او الرسالة) المفيدة في اللغة الاستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي اخذها عن نسخة فريدة بخزانة أيالة رامبور الاسلامية بالهند بعد ان اعتني بتصحيحها وعرضها على المعاجم وجمع أخبار مؤلفها (ابي عمر) وقدمها الى مجمعنا العلمي لتكون كأطروحة على انتخابه عضواً في المجمع وسننشر في هذين الجزءين كتاب (ابي عمر) نفسه ثم ننشر ترجمته في الجزءين التاليين .

(٢) في الاصل الظليل في الموضعين مصحفاً . (٣) يريد الحبس والسجن . (٤) في الاصل الحبل مصحفاً . (٥) الموجود في لسان العرب الممطور والمَطِرة للرجل والمرأة الكثيري السواك . ابن الأثير العَطِرة المَطِرة المنظفة بالماء أُخذ من لفظ المطر كأنها مُطرت (وهذا مما زيد على المعاجم) ولم يذكروا المصدر بهذا المعني .

والناموس صاحب سرّ الخير والجاسوس صاحب سرّ الشرّ والسرّ فَرْج الرجل وانشد[١] للأفوه الأودي :

لما رأت سِرْي تغيّر وانثنى من دون نهمة شَبْرها حتى انثني

قال ابو عمر والنَّهْمة الشهوة والحركة . والحركة[٣] منعُ البحر الصيدَ . والمنع[٢] السرطان . والسرطان داء البيل[٤] وهو انتفاخ الفخذ والساق . والساق النفس[٥] والنفس[٦] الماء وأنشد ثعلبة عن ابن الاعرابي فقال :

أَتجعل النفس[٧] التي تُديرُ في جِلْد شاة ثم لا تَسِيرُ

قال ابو عمر : اما قولهم الساق النفس فمن ذلك قدح في ساقه وفتّ في عضده فالساق النفس والعضد القرابة[٨] ومن ذلك ايضاً قول امير المؤمنين فنظرتُ فاذا ساقي قد أخذت ويميني فسمعتُ وأطعتُ قال كان أخذتْ عليهم اليمين التي[٩] اخرج نفسه من الشورى انه

(١) في الاصل شادها وفي اللسان شَبْرها حين . والشاد لامعني له . (٢) الذي في اللسان عن ابن الاعرابي حرك اذا مَنع من الحق الذي عليه . نعم يوجد في مختصر الوجوه والتاج الفعل والحُراك فالحركة (وهذا مما زيد على المعاجم) ويتكرر في الباب الـ ١٦ .

(٣) يتكرر في الباب الـ ٢٧ . (٤) لم اجده ولعله مصحف الدُّبَيْلة ففي التاج السرطان داء يشبه الدبيلة اه وفي اللسان الدبيلة خُراج ودُمَّل كبير تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالباً ثم جزمت بانه داء الفيل وفارسيته پيل والعصمة لله . (٥) اللسان ومنه قول علي في حرب الشراة لا بدّ لي من قتالهم ولو تلفتْ ساقي . التفسير لابي عمر الزاهد عن ابي العباس (النهاية واللسان) . (٦) الجُرْعة يقال اكْرَعْ في الإناء نفَساً او نفَسين (محركاً من النفس) اللسان وفي مختصر الوجوه ص ١٠٠ انه الماء (فهذا مما زيد على المعاجم) .

(٧) في اللسان والتاج النَّفْس من الدباغ قدر دبغة او دبغتين مما يدبغ به الاديم من القَرَظ وغيره يقال هب لي نفْساً من دباغ ثم انشد الشطرين . (٨) والأعوان والانصار وهذا التفسير يوجد في اللسان حرفاً حرفاً . (٩) العبارة قلقة البنية والمعنى معلوم واهل الشورى الذين عينهم عمر عند موته وكان عليٌّ أخرج نفسه من بينهم كما اشار به العباس عليه رضوان الله عليهم .

مَنْ خالف قُتل وقوله فاذا ساقي أخذتْ ويميني اي إن خالفت أخذتْ ساقي وهي النفس لليمين التي أخذتْ عليّ .

٣ (باب الكِرْبِز) — قال واخبرنا ثعلب عن ابن[١] الاعرابي قال الكربز القثاء الكبار والكبار[٢] جمع الكَبَرَ والكَبَرَ الطبْل والطبْل[٣] السدّ والسدّ السلّة والسلة[٤] الناقة لم يبق لها سن من الكِبَر اي الهرم والسنّ الثور[٥] والثور السيّد والسيّد الزوج والزوج الديباج والديباج[٦] الناقة الليّنة المسّ والمسّ الجنون والجنون[٧] سواد الليل والليل فرخ الكَرَوان قال ابو عمر قال المبرّد[٨] وجمع الكَرَوان كِروان وكذلك الباب[٩] كله قال ابو عمر وانشدني ابو احمد الكاتب قال انشدني الجُرَيري هذا :

اكلت[١٠] النهار بنصف النهار وليلاً اكلت بليل بهيم

والنهار فرخ الحُبارى والليل فرخ الكَرَوان والسلّة السرقة والسرقة بالفتح[١١] والكسر واحدة السرَق والسرَق الحرير الابيض والابيض[١٢] عِرق في القفا وانشد ثعلب عن ابن الاعرابي قوله[١٣] :

---

(١) وكذا في اللسان عنه . (٢) وأكبار ايضاً والكَبَر معرّب . (٣) الطبل والسدّ سلّة الطعام : اللسان ومختصر الوجوه . (٤) كذا في المعاجم . (٥) اي الوحشي .

(٦) الذي في اللسان عن ابن الاعرابي الفتية الشابة فكأن هذه مما زيد على المعاجم . (٧) مصدر جنّ عليه الليل . (٨) اي في كامله (طبعة لبسيك ص ٢٦١) وهذا لفظه الكِرْوان جمع كَرَوان وهو طائر معروف وليس هذا الجمع لهذا الاسم بكماله ولكنه على حذف الزيادة فالتقدير كَرًى وكِروان كما تقول أخ وإخوان الخ .

(٩) كشَقَذان وشِقذان انظر طبقات ابن قتيبة أخبار طرفة . (١٠) البيت في اللسان ايضاً غير معزوّ . (١١) فتح راء السرِقة (وهذا مما زيد على المعاجم) .

(١٢) في اللسان الابيضان عرقان في حالب البعير وفي البطن وعرقا الوريد (وهذا مما زيد على المعاجم) وفي مختصر الوجوه انه عرق في العنق . (١٣) الرجز لِهِمْيان ابن قحافة وتمامه (وقرَّبوا كلَّ جُماليٍّ عَضِهْ ، قريبةٍ نُدوتُه من مَحمَضه ، بعيدةٍ سُرّته من مَغرِضه ، كأنما يَيجع عِرقا ابيضه ، وملتقى فائله وأُبْضه) والندوة بالضم موضع شرب الابل (اللسان) (بيض وندا) .

(لا يتشكّى ضَرَبان أبيضِهِ فريبةٌ نُدوته من محمَضِهِ)

قال الندوة أكلةٌ بين شربتين للابل والمحمَض موضع الحمض .

٣ (باب الفِرْسِكة) — اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال الفرسكة[1] الخوخة والخوخة الثوب الاحمر[2] والاحمر الذي لا سلاح معه والسِلاح شحم[3] الابل والشحم البياض[4] والبياض اللّبن واللّبن وجع العُنق من الوِسادة والعُنق جماعة من الناس والناس[5] [ابو] قبيلة والقبيلة رقعة يرقّع بها[6] قبّ القميص والقميص غلاف القلب والقلب العقل والعقل ضرب من الوشي والوشي كلام الواشي بين المحبَّيْن والواشي ضرّاب الدنانير وجمعه وُشاة وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

فما[7] هِبرِزيٌّ من دنانير أَيْلةٍ بايدي الوشاة ناصع يتأكّل
باحسن منه يوم اصبح غادياً ونفّسني فيه الحِمام المعجّل

قال ابو عمر نفّسني اعني رغّبني ونافسني راغبني ومنه قول الله عزّ وجل : (فليتنافس المتنافسون) اي فليتراغب المتراغبون .

٤ (باب الشاصُونة) — اخبرنا ثعلب عن[8] ابن الاعرابي قال الشاصونة البَرْنِيّة والبرنية ديك[9] النبَط والنبط البلق الذي بلغ الى البطن والبلق الفُسطاط والفسطاط[10]

---

(١) الذي في اللسان الفِرْسك فهذه مما زيد على المعاجم . (٢) الذي في اللسان عن الازهري ثوب اخضر يسميه اهل مكة الخوخة فهذه مما زيد على المعاجم ولا مجال للتصحيف . (٣) يخالفه ما في اللسان اخذت الابل سلاحها سمِنت وليس السلاح اسماً للسِمَن ولكن لما كانت السمينة تحسن في عين صاحبها فيُشفق ان ينحرها صار السمن كأنه سلاح لها فهذه مما زيد على المعاجم و يوجد في مختصر الوجوه . (٤) لا يوجد هذا على إطلاقه في اللسان فالموجود الشحم بياض البطن نعم وجدته في مختصر الوجوه (فهذه مما زيد على المعاجم) . (٥) لعل صوابه ابو قبيلة وهو قيس عيلان اخو أُلياس بن مضر .

(٦) ما يُدخل في جيب القميص من الرِقاع . (٧) يوجدان في اللسان بلفظ ومالخ .

(٨) وفي اللسان عن ابي عمرو . (٩) مثله عن ابن الاعرابي في اللسان ايضاً وقيل البرانيّ بلغة اهل العراق الديَكة الصغار حين تدرك . (١٠) غيره مجتمع اهل الكورة .

الجمع الكثير من الناس والجمع النخل[(١)] الذي يحمل رُطباً كبير النوى · والديك ايضاً العظم الذي يكون خلف[(٢)] أُذن الفرس والأُذن الذي يسمع من كل احد لكرم فيه والكرم[(٣)] البنات الطاهرات والبنات اللعب[(٤)] واللعب الحوالس والحوالس[(٥)] ببوت الاربعة عشر والبيوت العرائس واحدها بيت والبيت العروس[(٦)] وأنشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

عضٌ[(٧)] على شِبْدِعه الأديبُ فظلّ لا يُلحي ولا يحوب

قال واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال الشِبْدِع العقرب والشبدع ايضاً اللسان والشبدع الداهية ويلحى يلام ويحوب يأثم ·

٥ (باب الكلواذ)— اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي الكلواذ تابوت التوراة والتابوت مجتمع[(٨)] الأضلاع في أعلى البطن والبطن من بطون العرب والعرب النفوس واحدتها عَربة[(٩)] يقال أصبحت طيب العَربة والنفوس الدماء والدماء معروفة والمعروفة الجارية تخرج عن يدها العَرْفة[(١٠)] وهي البثرة والعرفة الريح والريح الغلَبة ومنه قول الله عزّ وجلّ (ونذهب ريحكم) اي غلبتكم قال وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

---

(١) هذه مما زيد على معاني اللسان ففيه النخل خرج من النوى لا يعرف اسمه وقيل تمر مختلط من أنواع متفرقة وليس مرغوباً فيه ثم وجدته في مختصر الوجوه ·

(٢) وهو الخُششاء (اللسان) · (٣) جاء في قول قطرى (فتنبو العين عن كرم عجاف) ولا اختصاص له بالبنات فهو مصدر يوصف به الواحد والتثنية والجمع والمذكر والمؤنث سواء بلفظ واحد · (٤) التماثيل الصغار تلعب بها الجواري · (٥) الكلمة فاتت اللسان وهي في التاج ومنه · ولفظه : الحوالس لُعبة لصبيان العرب تخط خمسة أبيات في ارض سهلة ويجمع في كل بيت خمس بعرات وبينها خمسة أبيات ليس فيها شيء ثم يجر البعر اليها · كل خط منها حالس قاله ابن السكيت وقال الغنوي هي لُعبة مثل اربعة عشر ·

(٦) اي المرأة التي بني بها ·

(٧) اي الأديب يكف من لسانه ولا يلاحي ولا يأثم ·

(٨) (اللسان) الأضلاع وماتحويه كالقلب والكبد وغيرهما تشبيهاً بالصندوق ·

(٩) بالفتح · (١٠) قرحة تخرج في بياض الكف ·

يا[1] صاحبيَّ ألا لاحي بالوادي إلا عبيدٌ وآمٍ بين أذواد
أتنظران قليلاً ريث غفلتهم او تعدُوان فان الريح للعادي

٦ (باب العرار) — قال واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال العَرار البهار الاصفر والبهار[2] لَبَبُ الفرس واللبب المسترقّ من الرمل والرمل نسج الحُصُر والحصر جمع الحَصور والحصور الذي لا يحب النساء والحب البعير المتعّب والمتعب المملوء من الآنية والمملوء المزكوم والمزكوم الولد الملق يقال زكمت به أمه فهو زُكمة وهو موحد في جميع الحالات قال انشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

زُكَمَةٌ عمّار بنو عمار مثل الحراقيص على الحمار

الحرقوص دويبة مثل القراد تدخل في أرفاغ الأبكار وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

ويحك يا حُرقوص مهلاً مهلا أإبلاً أعطيتني ام نخلا
ام انت شيءٌ لا تبالي جهلا

وانشدنا ايضاً ثعلب[3] :

ما لقي البيض من الحرقوص يدخل بين الغلق المرصوص
بمهر لا غالٍ ولا رخيص

٧ (باب الحرقوص) — قال واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال الحرقوص[4] نواة البُسرة والنواة الحاجة والحاجة[5] الشوكة والشوكة[6] النقّابة التي يقال لها الدويبة

(١) للسليك وقيل لتأبط شراً ابن برّي وقيل لاعشى فهم وذكر من اول الكلمة بيتين (اللسان) (أمو ، روح) . (٢) (اللسان) البياض في لبب الفرس .

(٣) لأعرابية والشطر الثاني في (اللسان) من مارد لصٍّ من اللصوص . (٤) فات (اللسان) وذكره المجد وصاحب مختصر الوجوه ص ٣٥ . (٥) من (ح ي ج) ولا يوجد في المعاجم على اطلاقه فلفظ (اللسان) نبت من الحمض وقيل من الشوك ابن سيده الحاج ضرب من الشوك وهو الكبر الخ فهنا (زيادتان) في اللفظ حاجة وفي المعنى انه كل شوك وجدتها في مختصر الوجوه . (٦) ليس في معاني الشوكة النقّابة ولا في معاني

والنقّابة الطوّافة والطوّافة الجارية والجارية السفينة قال وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي:

ولقد رأيتُ مطيةً معكوسةً تمشي بكلكلها وتزجيها الصبا

يصف السفينة الطوّافة والطوّافة ايضاً (١) السنّور والسنّور (٢) عظم حلق الفرس والحلق (٣) الشؤم والشؤم النكد والنكد منع الخير وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

نكدتَ (٤) ابا زنيبة اذ سألنا بحاجتنا ولم تنكد ضباب

فجنبتَ الجيوشَ ابا زُنيبٍ وجاد على منازلك السحاب

زُنيب تصغير زَنب وهو السِمَن قال ثعلب قلت لابن الاعرابي أهذا دعاء عليه ام له قال بل عليه فقلت لِمَ قال لان الاعرابي اذا كان له مال وأثاث جاءته الجيوش (٥) الى الغارة واذا كان له إبل وغنم وجاء الغيث ونبت الكلأ رعى فيه واذا لم تكن له إبل ولا غنم وجاء الغيث اشتكت كَبِده من الغم كيف لا تكون له إبل ترعى ههنا وههنا . اخبرنا ثعلب عن ابي نصر عن الاصمعي قال العرب تقول (٦) في صفة الكلأ كلأ تيجع منه كبد المُصْرِم والمُصْرِم صاحب الصِرْمة والصِرْمة قليل من الغنم وسائر الحيوان قال ابونصر قال الاصمعي في مثل هذا كلاء الحابسُ فيه كالمقيم وكلأ المقيمُ فيه كالمسافر .

النقّابة الدوبية ومعاني الشوكة في مختصر الوجوه (٦٢) واحدة الشوك والأذى والحمرة تعلو الوجه وطينة يُغرَز فيها سُلاّء النخل ويخلص بها الكتّان وقرحة بالجوف وجماعة القوم ومثله في (اللسان) وفي (تاج العروس) .

(١) ومنه الحديث (انها من الطوّافين عليكم او الطوّافات) . (٢) يتكرر في الباب الـ(٢٥) . (٣) وكذا في تاج العروس عن ابن الاعرابي ومنه قولهم في الدعاء عقرا حلقا . (٤) (اللسان) البيت الاول برواية ابا زُبَيبة (مصحفاً) عن ثعلب قال عدّاه بالباء لانه بمعنى بخل وفي مادة (زنب) البيتان برواية ابا زُنيبة مصغر زَينب ان سألنا قال وابا زُنيب مرخم — نعم الزَنَب السمن ولكن لا يظهر ان يكون زُنيب في البيت مصغره . (٥) كذا في الاصل موضع «للغارة» . (٦) يوجد القول مع التفسير في (اللسان) «صرم» .

٨ (باب المِجَنَّة) — اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال المجنَّة طبق (١) الخيزران والطبق (٢) الحال والحال الحمأة والحماة (٣) عظم الساق والساق ساق حر والحر حي (٤) من العرب والحر الرماد والرماد (٥) الهلاك والهلاك الشَرَه وانشد (٦) :

أتبعتُه الرمح اذ مالت عِمامتُــه تحت الغبار ولم أهلِك الى اللبن

اي طلبت بثأري ولم اشره الى دية · والشره اكل (٧) الشولقيّ والشولقيّ الطُفَيلي اكله بالعجلة لئلا يفنى والعجلة الطينة وجمعها العَجَل وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

والنبع (٨) في الصخرة الملساء منبِتُه والنخل ينبت بين الطين والعجل

ومنه قول الله عزّ وجل (خلق الانسان من عجل) قال ابن عباس من طين ·

٩ (باب الحياء) — الحياء (٩) فرج المرأة والفرج الثغر والثغر الاسنان وانشد ثعلب عن ابن الاعرابي :

وسربِ ملاحٍ قد رأيت وجوهه إناث أدانيه ذكور أواخره

السرب ههنا أسنان (١٠) الجارية والاسنان تؤنث والاضراس تذكر واراد بالسرب ههنا

---

(١) المعروف انها الترس (وهذا مما زيد على المعاجم) · (٢) قال تعالى (لتركبنَّ طبقاً عن طبق) · (٣) غير مهموز وانه عضلة الساق كما في اللسان ومختصر الوجوه ص ٣٣ فيجب ان تسهل الهمزة في (والحال الحماة) · (٤) لم اجد معنى حُرّ في اللسان والتاج ومختصر الوجوه (وهذا مما زيد على المعاجم) · (٥) المعروف في المعنى الرمادة (وهذا مما زيد على المعاجم) · (٦) (اللسان) انشده الكسائي في نوادره وروايته (جلّلتُه السيف اذ مالت كوارته — تحت العجاج الخ) والمعنى مجاز · (٧) في الأصل اكل الشولق والشولق الصفيلي مصحفاً · والذي في اللسان (مصحفاً) والتاج والأساس الشولقي المحب للحلاوة المولع بها (وهذا مما زيد على المعاجم) · (٨) يوجد في اللسان بلفظ الصخرة الصماء ··· بين الماء والعجل · (٩) المجمع عليه انه فرج ذوات الظِلف والخُفّ والسباع (وهذا مما زيد على المعاجم) نعم عن الازهري في (اللسان) الحيّ فرج المرأة ·

(١٠) كما في مختصر الوجوه ص ٥٥ والمعني فات (اللسان) و (التاج) (وهذا مما زيد على المعاجم) ·

اسنان الجارية لاجتماعها وكل مجتمع سرب . قال واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال الحياء هو من الاستحياء والحياء فرج كل أنثى بهيمة او إنسية ممدود (١) ومقصور وبعد المد افصح والحيا الغيث مقصور لا غير .

• (باب اللواص) — اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال اللواص العسل والعسل عَدْوُ الذئبة والذئبة كوّة (٢) السرج والسرج الحسن (٣) واخبرني السياري قال سمعت المبرد يقول الحسن والحسن (٤) العُظيم الذي يلي المرفق مما يلي البطن والقبح (؟ القباح) (٥) والقبيح العُظيم الذي يلي الكتف قال السياري وانشدني المبرد لبعضهم :

الحسن والقبح في عضو من الجسد فوق الذراع وتحت المنكب العضد

والبطن مصدر بطنتُ العير أبطنه بطنًا اذا ضربتَ بطنه والعير (٦) الناتئ في وسط الأذن بين الرَّوْم والحارة (٧) والرَّوْم (٨) شحمة الأذن والوسط خيار الأمّة والأمّة القامة والقامة (٩) الخشبة التي تكون على رأس البئر تعلّق عليها البكرة وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

---

(١) لا يرى الأزهري قصره الا ضرورةً وغلّط الليثَ في إطلاقه المدّ والقصر .

(٢) كذا في مختصر الوجوه ص ٤٦ وفي كتاب السرج واللجام لابن دريد الذئبتان باطنا العضدين ففي كل قربوس عضدان وذئبتان وعضداه رجلاه اللتان تقعان على الدفتين وفي اللسان هو ما تحت مقدم الحنوين وهو الذي يعض على منسج الدابة الخ . (٣) في الاصل الحسين مصحفًا . والمعنى (مما زيد على المعاجم) فالمذكور جبين سارج كالسراج في الحسن فقط . (٤) في الاصل الحسين مصحفًا والحسن كالقبح ذكره الجدُ دون (اللسان) .

(٥) الذي في التاج واللسان قباحٌ لغة في القبيح بهذا المعنى وفي تفسيره خلاف وقال الأصمعي في خلق الانسان له (ص ٢٠٥) رأس العضد الذي يلي رأس الذراع قبيح .

(٦) في خلق الانسان (ص ٢٠٤ و ٢٢٧) الحاجز الذي في وسط الكتف يقال له العير وعير القدم الشاخص في وسطها . (٧) في الاصل الحارة مصحفًا ومحارة الأذن صدفتها كما في خلق الانسان (ص ١٧٠) وفي (ص ١٩٦) واعلى الحنك المستدير . (٨) بالفتح و يضم .

(٩) هذا التفسير في كتاب صفة البئر عن ثعلب عن ابن الاعرابي للدعامة . والدعامة والقامة كأنهما شيء والأشطار في اللسان (دعم وقوم) بلفظ وانني موف وفي صفة البئر ايضًا .

لما رأيت أنها لا قامه ... وأنني ساق على السآمه
نزعتُ نزعاً زعزع الدِعامه

قال قلت لابي نصر ما سمعتَ الاصمعي يقول قال قال هـذا مثلٌ لم يكن ثم قامةٌ ولكنه نزع بيديه اي استقى استقاء لوكانت ثم دعامة تزعزعت . قال ابو العباس قلتُ لابن الاعرابي ما معنى هذا الكلام كان فيه مطالبة وقد نفى واوجب وقلت له ما قال الاصمعي فقال أخطأ الجاهل قال قد كانت ثم قامة وكانت ثم دِعامة ولكنه كان شيئاً ضعيفاً . وقوله قامة لم يرد الخشبة وانما اراد قولهم قائم وقامة (١) كما تقول بائع و باعة وهم (٢) المُعينون فلمْ فقدهم تنشّط (٣) واستقى فزعزع الدعامة التي كانت ثم ومنه قوله :

وقامةٌ ربيعــةُ بن كعب ... حسبك اخلاقهمُ وحسبي

١١ (باب الإفت) — اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال الإفت (٤) اليَفَنة واليفنة الحامل (٥) من البقر والبقر التحير و يقال بَقِر و بحِر وبعل وعقر (٦) كله اذا تحير من الفَرَق والفرق (٧) تباعد ما بين ثنايا الانسان والثنايا الطرُق في الجبل والطرق جمع الطريق والطريق (٨) الطوال من النخل وهي الكتائل وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

قد أبصرتْ (٩) سُعدى بها كتائلي ... مثل الجواري الحُسَّر العطابل

---

(١) يوجد القول في اللسان عن ثعلب قال كأنه اراد لاقائمين على الحوض يستقون منه ومثله فيما ذهب اليه الاصمعي (؟؟؟) وقامتي ربيعة الشطرين .

(٢) في الاصل وهو . (٣) في الاصل تنسط .

(٤) الذي في المعاجم الإفت بالكسر اوالفتح الكريم من الإبل والأفت بالفتح و بكسر السريع الذي يغلب الإبل على السير وليس هذان المعنيان من جملة معاني اليفنة (فهذه ما زيد على المعاجم) . (٥) او هو البقر . (٦) كان في الاصل عَفِر وقد أوقعنا في أتعاب و كل هذه الأفعال توجد في التاج واللسان . (٧) والوصف أفرق نقله تلميذ ابي عمر ابن خالويه في كتاب (ليس) له . (٨) الواحدة طريقة (اللسان) .

(٩) في اللسان والثاني والثالث :

طويلةَ الاقنـاء والعَثاكل ... مثل العذارى الخُرَّد العطابل

الحسَّر اللاتي لا ثياب عليهن والعطابل جمع عُطبول وهي الطويلة من النساء ·

٣١ (باب المصاب) — قال واخبرنا (١) ثعلب عن ابن نجدة عن ابي زيد قال المصاب (٢) قصب السكر والقصب قصب السباق في الحلبة وغيرها والسباق سباق (٣) الصقر والصقر الدبس (٤) والدبس الخلق (٥) الكثير والخلق الفَرْي والفَرْي الإصلاح وانشد ثعلب عن ابن نجدة عن ابي زيد :

ولأنت(٦) تَفْري اذ خلقتَ وبعـ ـض القوم يخلق ثم لا يَفْري

يخلق يقدّر ويفري يقطع (٧) وأفرَىَ الأديم اذا شقه للفساد [و] فراه بغير الف اذا شقه للاصلاح ·

٣٢ (باب الموشق) — اخبر ثعلب عن ابن الاعرابي قال الموشق (٨) غلاف القوس والقوس الكتلة من التمر تبقى في الجُلَّة للقلنفا والقلنفا والقفيز كلة الجلة والقفيز الجلنفاة (٩) الطعام بلا أدْم والأدْم الخِلْط والخِلْط تصغيره خُليط (١٠) وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

وكنّا خُلَيطى في الجمال فأصبحت جمالي تُوالى وُلَّهاً من جمالكا

اخبرنا ثعلب عن ابن الأعرابي قال يقال مِزْ ذا من ذا ووالِ ذا من ذا وزِلْ (١١) ذا من ذا ·

٣٣ (باب الحادور) — قال ابو عمر اخبرنا ثعلب عن ابن الأعرابي قال قال

---

(١) كان في الاصل انشدنا مصحفاً · (٢) بلفظ المصاب بمعنى المصيبة · (٣) قيده من سير اوغيره · (٤) عند اهل المدينة · (٥) الناس · (٦) من قصيدة للاعشى تراها في زياداتنا على ديوانه وتنسب للمسيّب بن علس والبيت يوجد في قصيدة لزهير ايضاً ·

(٧) هذا قول الجوهري وخالفه غيره · (٨) غيره قراب القوس · (٩) ويسمى القفار ايضاً · (١٠) كأنه ظن خُليطى في البيت مصغر خلط وليس كذلك فانه مقصور وهو مشدّداً ومخففاً بمعنى الاختلاط وكان في الاصل (خليطاً في الجمال) وفي اللسان ان البيت انشده اللحياني وتُوالى تميز (اللسان) (ولى) وفي الاساس والِ غنمك من غنمي اي اعزلها وميزها · (١١) زاله يزيله لغة في أزاله ·

الحادور (١) القُرْط والقُرط(٢) الحَلَمة والحلمة القُراد والقُراد (٣) الذي في اللَّوْع واللَّوْع السعدانة (٤) التي حول الثدي والسعدانة الحمامة والحمامة البكْرة التي يستقى(٥) عليها وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

لو أن من يزجُر بالحمام   يقوم يوم وردها مقامي   اذاً اضل سائرَ الاحلام

١٥ (باب البسل) — اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال البسل الحرام والحرام(٦) النملة والنملة قروح تخرج في الجنب والجنب القَرَب والقَرَب الخاصرة وهو واحد الاقراب والخاصرة الجارية التي تجد البرد كثيراً والبرد النوم قال ثعلب ومنه ان جارية كانت تحب رجلاً وكان يحبها فيخلو معها بلا فساد فجاء ذات يوم يسأل (٧) عنها فقال اولياؤها ادخل اليها واقعد معها لحظةً واخرج فدخل وخرج بالعجلة فقال له اولياؤها أقبلتها واحدةً وخرجت . قال لا منعني البرد . قال فدخلوا فاذا هي ميتة والنوم الموت والموت الهدوء والسكون عند العمل وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي قوله(٨) :

ياقوم من يحلب شاةً ميّته   قد حلبتْ خطةً جنبًا مسفته

قال يقال مسفته للقيَّرة وهو السفت(٩) والزفت والقير قال واخبرنا ثعلب عن سلمة عن الفراء عن الكسائي قال العرب تقول لعن الله غنماً خيرها خُطَّة وكتَّة(١٠) وبطان(١١) قال وهذه شرار الغنم ولا تنصرف و يقال للعُلبة جنبة وجنب و يقال لها السمراء . «للبحث صلة»

---

(١) غيره القرط في الاذن . (٢) وهي نبات كالرُطبة الا انه اجل منها واعظم ورقاً . (٣) اي حلمة الثدي واللوعة السواد حول حلمة المرأة . (٤) غيره سعدانة الثُنْدُوة حلمتها . (٥) في الاصل يسقى . (٦) لا يوجد في غير مختصر الوجوه ص٣٤ قال محشيّه لم ار ذلك غير هنا (وهذا مما زيد على المعاجم) . (٧) في الاصل ليسأل مصحفاً .

(٨) البيت في اللسان (خطط) ميتة ساكنة عند الحلب . والجنب العلبة . ومسفتة مدبوغة . والشطران مع التفسير والمثل الآتي يوجدان في الميداني طبعاته الثلاث (٢ : ١٠٨ ، ٨٥ ، ١١٥) ولاء والعسكري بطبعتيه (١٦١ و٢ : ١٢٣) والمستقصي (مخطوط) ونوادر ابي زيد (ص٢٤١) وشرح المفضليات (ص ٣٣٥) . (٩) لغة في الزفت اولثغة . (١٠) كان في الاصل كثة بالمثلثة وأوقعنا في عناء . (١١) ككتاب .

ابن خلدون

— ٣ —

(آراؤه الخاصة في المقدمة) = ولابن خلدون في مقدمته آراء في طبيعة العمران وطبائع الامم في اجتماعهم ينفرد باستنباطها او يكاد . ولما كان مبحثنا في آثار الرجل انما هو من الوجهة التاريخية الأدبية لا من الوجهة العمرانية والاجتماعية وفلسفة التاريخ كان استيعابنا لكل آرائه وتمحيصها بالنقد نقضاً واثباتاً تعرضاً لما لا يعني الأدب .

على انه لم تعد كل آرائه التي ذكرها في مقدمته في سياسة الممالك مطردة في عصرنا هذا اذ أصبحت طريقة الحكم فيه دستورية وكلامه في الدول الاستبدادية المطلقة ، علاوة على ان معدات الحروب وظواهر المدنية الحاضرة وسهولة مواصل الامم بالسكك الحديدية والبواخر والبرقين السلكي والاثيري والمسرة كل ذلك يخالف كثيراً عما كان قبل .

ولكن ذلك لا يمنعنا من ان نشير بشيء الى آرائه المسلمة التي لم تنقض بعد وآرائه المتخلفة بحكم المدنية الحديثة فمن الاولى :

(أ) ان الاجتماع البشري لا يخلو من بداوة وحضارة .

(ب) ان البداوة والاخشيشان اصل لكل حضارة .

(ج) ان البداوة تستلزم بالطبع العصبية .

(د) ان العصبية تستلزم الاستقلال وفقدانها يسبب الاضمحلال .

(هـ) أن البداوة تستلزم الخشونة والنشاط ، وهما يستلزمان الغلب والاستيلاء على اهل الحضر والاندماج فيه .

(و) ان نشوء الحضارة او اضمحلالها لا يكون طفرة بل يقتضي انقضاء نصف قرن او اربعين سنة على اقل تقدير حتى يكون تأثير كل قد شمل النشء والشبان والكهول .

(ز) ان تأسيس الدول او غلبة أمة على أمة لا يكون الا بدافع ديني اوسياسي .

(ح) ان غلبة أمة على أمة لايكون الا بدافع نتيجة ضعف المغلوبة ضعفاً لا مقاومة فيه بعصبية او قوى أخرى معنوية .

(ط) ان التغلب على الأمم القوية بالعصبية او كثرة العدد يكون بالمطاولة لا بالمناجزة .

(ك) ان المغلوب مولع ابداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وعاداته .

(ل) ان الأمة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها (من كل وجه) أسرع اليها الفناء .

(م) ان الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل ان تحكم فيها دولة .

(ن) ان الحضارة في الأمصار تدوم وترسخ برسوخ الدول وطول عمرها .

ومن الثانية اي الآراء المتخلفة التي لا تطرد على إطلاقها :

(أ) ان الدول لها أعمار طبيعية كالأشخاص وان عمرها لا يزيد على مائة وعشرين سنة فان ذلك منقوض بالدولة العباسية والعثمانية وانجلترا وفرنسا .

(ب) ان التنافس والنزاع ضروريان بين الملك وأشراف الدولة وزعمائها وان ذلك ينتهي بتغلب الملك وذلك منقوض بالدول الدستورية كانجلترا .

(ج) ان العرب أبعد الناس عن سياسة الملك .

(د) ان العرب لا يتغلبون الا على البسائط .

(ح) ان العرب اذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الفساد .

(ك) ان المباني التي تختطها العرب يسرع اليها الخراب .

(ل) ان العرب أبعد الناس عن الصنائع .

وآراؤه هذه في العرب من أشنع اغلاطه واوهامه ، وكلامه فيها مضطرب مفكك ليس صادراً عن اعتقاد راسخ او ضمير مخلص ، ولعل الذي حمله على الانحاء على العرب امران : الاول انه كان يخدم دولاً بربرية ثم جركسية سلبت العرب ملكهم .

الثاني ما رآه من عرب المغرب الجالين اليه أوائل القرن السادس للهجرة وما بعده من التخريب والتدمير ناسياً عن ان هؤلاء كانوا من أجلاف البدو الجاهلين تعليمات الاسلام وخلال العرب القديمة زمن الخلفاء الراشدين وبني أمية في الشرق والاندلس والعباسيين والفاطميين بله دول اليمن القديمة والحديثة ، اوغافلاً او متغافلاً ان هذا التخريب كان متعمداً منهم ، وكانوا مأجورين عليه من قبل الدولة الفاطمية بمصر انتقاماً

من المعز بن باديس الذي خلع طاعتهم ·

ويدافع بعضهم عن ابن خلدون في حكمه على العرب بهذه الأحكام انه لا يريد دول العرب في صدر الاسلام وانما يريد هؤلاء البدو غزاة المغرب في القرن السادس · وليس ذلك بصحيح فانه كما يخلط بالاستشهاد بهؤلاء الاجلاف من هلال وزغبة ورياح وجشم يذكر العرب الفاتحين الاولين في اختطاط الكوفة والبصرة والقيروان عند بدء تكوين الدول الاسلامية وفي مواضيع أخرى مختلفة

(ه) ان حملة العلم في الاسلام اكثرهم من الأعاجم وهو منقوض بالاحصاء بتتبع كتب التراجم لأئمة المذاهب الاسلامية والعلوم اللسانية · نعم انه كان يكثر في صدر الاسلام من بني أمية وأوائل الدولة العباسية المتشرفون بالعلم من الأعاجم لاشتغال أشراف العرب باعمال السلطان من الولاية والجباية وقيادة الجند وادارة الملك فلما ضعفت شوكة العناصر العربية في تولي اعمال الدولة اشتغل معظمهم بالعلم وبذوا الاعاجم فيه ، على ان كثرة العلماء من الأعاجم لم تكن غالبة في اي عصر من عصور دول العرب وخاصة دولتهم في الاندلس · ولولا الاطالة لأتينا بثبت إحصاء لأئمة العرب وعلمائهم وقابلناه بمثله من أئمة الموالي وعلمائهم ·

(و) ان اخلاق التجار منحطة عن أخلاق الأشراف من الملوك والرؤساء والولاة وذلك منقوض في عصرنا بتجار اوربا واميركا هذا الى كثير من الآراء المنقوضة المتعلقة بالدول الاستبدادية المتباعدة الأطراف ·

* * *

(أثر المقدمة في عالم التأليف) = أسبغنا الكلام في تأثير المقدمة في كتابة التأليف والصحف منذ أوائل العصر الحاضر ، ونقول هنا ان موضوع المقدمة بشكلها الشامل لاصول السياسة والعمران والاجتماع والاقتصاد وتاريخ العلوم والآداب في الملة الاسلامية مبتكر لابن خلدون ، وان ذكر غيره في مقدمة تاريخه او علمه بعض هذه الاصول والقوانين العامة كابن الطقطقي وغيره وابتكاره البحث في هذه المسائل ارشد من أتى بعده من مؤرخي الدول والعلوم من العرب والترك والاوربيين الى مجاراته في بعض بحوثه او معظمها ، فنحا حاجي خليفة نحوه في تاريخ العلوم والحضارة في كتابه كشف الظنون

وكذلك حسن صديق خان ملك باهو بال بالهند في كتابه ابجد العلوم بل استرق منه فصولاً برمتها . وكذلك العلامة طاش كبري زاده في كتابه مفتاح السعادة . وكذلك القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الهندي في كتابه دستور العلماء او جامع العلوم في اربعة مجلدات ضخام .

وكذلك خير الدين باشا التونسي في مقدمة تاريخه نحا منحاه في الامور السياسية والاجتماعية .

ولجودت باشا التركي المؤرخ المشهور مقدمة لتاريخه باللغة التركية طرقت اكثر أبواب المقدمة وترجمت الى العربية .

وقد قرأت كتابي روح الاجتماع وتطور الامم لغستاف لوبون الفرنسي اللذين ترجمها المرحوم احمد فتحي زغلول باشا فرأيته قد عقد فصولاً كثيرة مقتبسة من المقدمة وانما طبق أحكامها على الجماعات والامم بدل تطبيقها على القبيلة والدول كما يفعل ابن خلدون .

على انه لا ينكر منصف ان مقدمة ابن خلدون هي باكورة المؤلفات المفصلة في علوم الاجتماع والعمران والاقتصاد السياسي .

وقد ترجمت المقدمة الى عدة لغات شرقية واوربية بتعليق وبغير تعليق .

***

(تاريخ ابن خلدون) — يعتبر تاريخ ابن خلدون احد المراجع التاريخية الكبيرة التي تغلب عليها صحة النقل وتحري الحق في اللسان العربي ، وان لم يخل من ذكر بعض التهاويل والغرائب التي نعى عليها في مقدمته .

ويمتاز بانه التاريخ الوحيد الذي أسهب الكلام بما لا مزيد عليه في تاريخ أمة البربر في شمالي افريقية ، وألم بغارة أعراب المشرق من سليم وجشم ورياح وهلال وزغبة على دولتي صنهاجة وابادتهم غضراءها وعلى أطراف ممالك الموحدين فأثخنوا فيها زمن الدولة الفاطمية وبايعازها .

وقد كان من نيته عند الشروع في تأليفه ان يقصره على تاريخ الامتين اللتين لهما الشأن الاكبر والاثر الظاهر في حوادث وطنه ، وهما أمة العرب وأمة البربر ثم بدا له

بعد ان اتم الكلام عليها وبعد ان أزمع الهجرة الى المشرق فضم اليه بعض تاريخ أمم المشرق لتوقع العثور فيه على الكتب المشرقية التي لم يتيسر له الاطلاع عليها في المغرب وكتب اول نسخة منه على صورة غير مستوفاة واهداها الى سلطان المغرب الاقصى من بني مرين ابي فارس عبد العزيز واهدى نسخة منه غير تامة الى ابي العباس احمد من ملوك الدولة الحفصية بتونس وهو آخر ملك لقيه من ملوك المغرب ·

ولما جاء مصر ونزل القاهرة وزاول التدريس والقضاء مراراً كان يشتغل في اوقات الفراغ والعزل عن القضاء باكماله الى ان تم على النحو الذي طبع عليه غير ان النسخة التي طبع منها بمصر لم تكن اصح النسخ او انها نقلت من مسودة لم يكن ابن خلدون ملأ كثيراً من الفراغ والبياض الذي يتخللها بكثرة · هذا الى تحريف كثير في الفاظها و بخاصة الاعلام الاعجمية التي لم تضبط فيها على سقط كثير واختلال في بعض التراكيب ·

ولم يتعرض ابن خلدون كثيراً الى ربط اسباب الوقائع بمسبباتها وعلل سقوط دولة وقيام أخرى ، وبيان العبرة من ذلك لدارس تاريخه كما كان ينتظر منه كل من قرأ مقدمته ، وكأنه اكتفى بما ذكره فيها من القوانين السياسية والاجتماعية وطبائع العمران ، وأحال القارئ لتاريخه على استنباط علل الحوادث منها وتطبيق الوقائع على قواعدها ، وذلك ما حمل بعض الذين لا يقدرون أعمال الرجال حق قدرها ان يقول « مقدمة ولا تاريخ » ·

وزعم بعض الباحثين من معاصرينا ان ابن خلدون اول من عدل عن كتابة حوادث التاريخ مقرونة بسني وقائعها ومرتبة بتتابعها متداخلة فيها حوادث أمم ودول مختلفة لوقوعها في زمن واحد كما يفعل الطبري وابن الاثير وانه بوب كتابه على ذكر تاريخ كل دولة في فصل خاص به ؛ وليس ذلك بصحيح فانه قد سبق ابن خلدون الى هذه الطريقة المسعودي في مروج الذهب وفي التنبيه والاشراف ، ولعل هذه كانت طريقته في كتابه الكبير أخبار الزمان والاوسط ومثله ابن واضح اليعقوبي ، وابن الطقطقي في الفخري والآداب السلطانية وغيرهم بل كانت هذه ولا تزال طريقة المغاربة في تواريخهم ·

وقد ترجم كثير من أقسام هذا التاريخ الى لغات مختلفة وعلق عليه بعض الباحثين آراء شتى ·

* * *

(نموذج من كتابته) = فمن ذلك صدر رسالة كتب بها الى لسان الدين بن الخطيب رداً على كتاب وبغلب فيه السجع ٠

سيدي مجداً وعلوا ، وواحدي ذخراً مرجوا ، ومحل والدي براً وحنوا ، ما زال الشوق مذ نأت بي وبك الدار واستحكم بيننا البعاد يرعى سمعي أنباءك ، ويخيل الي من أيدي الرياح تناول رسائلك ، حتى ورد كتابك العزيز على استطلاع ، وعهد غير مضاع ، وود ذي أجناس وأنواع ، فنشر بقلبي ميت الشوق وحشر أنواع المسرات وقدح للقائك زناد الأمل ٠ والله أسأل الامتاع بك قبل الفوت على ما يرضيك ، ويسني أماني وأمانيك ، وحيبته تحية الهائم لموقع الغمائم ، والمدلج للصباح المتبلج الخ ٠

ومن سجعه في خطبة في فضل التاريخ :

وان فحول المؤرخين في الاسلام قد استوعبوا أخبار الايام وجمعوها ، وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها ، وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها او ابتدعوها ، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها ، واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها ، وأدوها الينا كما سمعوها ، ولم يلاحظوا اسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها ، ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها ، فالتحقيق قليل ، وطرف التنقيح في الغالب كليل ، والغلط والوهم نسيب للاخبار وخليل ، والتقليد عريق في الآدميين وسليل ، والتطفل على العلوم عريض وطويل ، ومرعى الجهل بين الأنام وخيم وبيل ، والحق لايقاوم سلطانه ، والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه ، والناقل انما هو يملي وينقل ، والبصيرة تنقد الصحيح اذا تمقل ، والعلم يجلو لها صفحات الصواب ويصقل الخ ٠٠

ومن فصوله غير المسجوعة من المقدمة ٠

وانما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجانهم أموال الجباية حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه ، فغلبوه على امره ، وشاركوه في سلطانه ، ولم يكن له معهم تصرف في امور ملكه ، فعظمت آثارهم ، وبعد صيتهم ، وعمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم ، واحتازوها عمن سواهم من وزارة وكتابة وقيادة وحجابة وسيف وقلم ٠ ويقال انه كان بدار الرشيد من ولد يحيى

ابن خالد خمسة وعشرون رئيساً من بين صاحب سيف وصاحب قلم : زاحموا فيها اهل الدولة بالمناكب ، ودفعوهم عنها بالراح لمكان ابيهم يحيى من كفالة هرون ولي عهد وخليفة ، حتى شب في حجره ، ودرج من عشه ، وغلب على امره ، وكان يدعوه : يا أبت ! فتوجه الايثار من السلطان اليهم ، وعظمت الدالة منهم ، وانبسط الجاه عندهم ، وانصرفت نحوهم الوجوه ، وخضعت لهم الرقاب ، وقصرت عليهم الآمال ، وتخطت اليهم من اقصى التخوم هدايا الملوك وتحف الامراء ، وسيرت الى خزائنهم في سبيل التزلف والاستمالة أموال الجباية ، وأفاضوا في رجال الشيعة وعظماء القرابة العطاء ، وطوقوهم المنن ، وكسبوا من بيوتات الاشراف المعدم ، ومُدحوا بما لم يمدح به خليفتهم ، واسنوا لعفاتهم الجوائز والصلات ، واستولوا على القرى والضياع من الضواحي والأمصار في سائر الممالك ، حتى آسفوا البطانة ، وأحقدوا الخاصة ، واغصوا اهل الولاية ، فكشفت له وجوه المنافسة والحسد ، ودبت الى مهادهم الوثير من الدولة عقارب السعاية ، حتى لقد كان بنو قحطبة أخوال جعفر من أعظم الساعين عليهم ، لم تعطفهم لما وقر في نفوسهم من الحسد — عواطف الرحم ، ولا وزعتهم أواصر القرابة ، وقارن ذلك عند مخدومهم نواشئ الغيرة ، والاستنكاف من الحجر والانفة ، وكان من الحقود التي بعثتها منهم صغائر الدالة الخ .

* * *

(منزلته في الشعر) — كان ابن خلدون شاعراً طويل النفس وشعره بالاضافة الى شعر اهل عصره وخاصة المشارقة منهم غاية في الجودة ، وان وصفه هو بانه متوسط بين الجودة والقصور تواضعاً منه : اذ لم يكن اهم بضاعته التي كان يقصد بها الى الملوك ويخدم بها دولتهم ، كما كان شأن الكثير ممن يقول الشعر . وكأنه سما بهمته الى غاية لا يكون الشعر الموصل الوحيد الى مداها . واول ما أمعن في قول الشعر والاغراب فيه ايام خدمته السلطان ابا سالم المريني حيث يقول : ثم اخذت نفسي بالشعر ، وانثال عليّ منه بحور توسطت بين الاجادة والقصور . ويظهر ان اشتغاله بالسياسة والتأليف والتدريس جعل قرض الشعر أصعب منالاً عليه من الترسل والتأليف . قال عن نفسه في ذلك : (ذاكرت يوماً صاحبنا ابا عبد الله بن الخطيب وزير الملوك بالاندلس من بني الاحمر ،

وكان الصدر المقدم في الشعر والكتابة ، فقلت له : اجد استصعاباً عليّ في الشعر متى رمته مع بصري به وحفظي للجيد من الكلام من القرآن والحديث وفنون من كلام العرب وان كان محفوظي قليلاً ، وانما أُتيت (والله أعلم) من قبل ما حصل في حفظي من الاشعار العلمية والقوانين التأليفية ، فاني حفظت قصيدتي الشاطبي الكبرى والصغرى في القراآت وتدارست كتابي ابن الحاجب في الفقه والاصول ، وجمل الخونجي في المنطق ، وبعض كتاب التسهيل ، وكثيراً من قوانين التعليم في المجالس . فامتلأ محفوظي من ذلك ، وخدش وجه الملكة التي استعددت لها بالمحفوظ والجيد من القرآن والحديث وكلام العرب فعاق القريحة عن بلوغها . فنظر اليّ ساعة معجباً . ثم قال : لله انت ! وهل يقول هذا الا مثلك) .

فلم يكن لذلك الشعر من اهم مميزاته لا لانه متخلف فيه عن غيره كما يقول ، بل لان تميزه بما هو اعلى كعباً في العلم والفلسفة وحسن التأليف وصدق النظر غطى على منزلته في الشعر . وكل ما يؤخذ عليه في الشعر انما هو تناوله المعاني المطروقة للشعراء وقلة ابتكاره فيها . وان كل ما أُثر له من شعر كان في غرض واحد هو مدح رسول الله في الاحتفال بمولده ، ومدح الملوك . ومن تغلب عليهم صناعة الشعر يتناولون كل اغراضه الحسنة والقبيحة واليك نماذج من شعره :

(نماذج من شعره) = فمن نسيب قصيدة له قوله :

اسرفن في هجري وفي تعذيبي ... واطلن موقف عبرتي ونحيبي
وأبين يوم البين موقف ساعة ... لوداع مشغوف الفؤاد كئيب
لله عهد الظاعنين وقد غدا ... قلبي رهين صبابة ووجيب
غربت ركائبهم ودمعي سافح ... فشرقت بعدهم بماء غروبي
يا ناقعاً بالعتب غلة شوقهم ... رحماك في عذلي وفي تأنيبي
يستعذب الصب الملام وانني ... ماء الملام لدي غير شروب

وله من قصيدة أُخرى :

صحا الشوق لولا عبرة ونحيب ... وذكرى تجد الوجد حين تثوب

وقلب أبى الا الوفاء بعهده — وإن نزحت دار وبان حبيب
ولله مني بعد حادثة النوى — فؤاد بتذكير العهود طروب
يؤرقه طيف الخيال اذا سري — وتذكي حشاه نفحة وهبوب
خليلي لا تستدعيا قد دعى الاسى — فاني لما يدعو الاسى لمجيب
ألما على الاطلال نقض حقوقها — من الدمع فياض الشؤون سكوب
ولا تعذلاني في البكاء فانها — حشاشة نفس في الدموع تذوب

* * *

(الموازنة بين ابن الخطيب وابن خلدون) = اري الا تكون الموازنة بين رجلين تامة الا اذا توافرت فيها هذه الشروط :

(١) اشتراكهما في امر او امور تغلب على صفاتهما من علم او عمل على تفاوت بينهما طبعاً فلا يوازن بين كاتب وشاعر ولا بين مؤلف وخطيب بل بين كاتبين وشاعرين الخ ·

(٢) تقاربهما من بلوغ الغاية في الامر او الامور التي يوازن بينهما فيها فلا يوازن بين متخلف لا اثر له خالد في صناعة وبين نابه خالد الاثر فيها ·

(٣) تعاصرهما او تقارب عصريهما وتشابه بيئاتهما التي نشأا فيها ·

(٤) ان تقصر الموازنة على تقدير التفاوت بينهما فيما اشتركا فيه فلا يدخل فيها ما كان خارجاً عنه كشرف النسب كما كانوا يدخلونه بين جرير والفرزدق كما لا تدخل في ذلك الزندقة وصحة العقيدة اذا لم يكن لكل منهما اثر بيّن فيما يُوازن فيه ·

(٥) ان ينظر في نتيجة الموازنة والحكم النهائي فيها الى مجموع مزايا كل واحد من الموازن بينهما في صناعة لا الى مقابلة مزية واحدة نبغ فيها احدهما ولم ينبغ الآخر · والى تأثير ذلك المجموع في ترقية هذه الصناعة ·

فاذا اردنا الموازنة بين ابن الخطيب وابن خلدون على هذا النمط وجدنا انهما عظيمان متعاصران من بيئتين متقاربتين زاولا تدبير الملك والسياسة والسفارة والتدريس وتوليا كتابة السر والوزارة والفا في فنون شتى اهمها التاريخ ، وانما نريد في درس تاريخ الادب الى ان نميز بما قدر بينهما من التفاوت أيهما كان أبين أثراً وأطول عائدة على العلم

والادب في زمانها وما بعده فنحصر الموازنة في صناعتي الكتابه والشعر والتاريخ لان الأخير من اهم فروع الادب فنقول :

اما الكتابة فقد رأينا من درس مزايا الرجلين فيهما ان ابن الخطيب يؤثر السجع وصناعة البديع في ترسله ويكثر منه في عبارة تآليفه في التاريخ والتصوف ونقيس ما لم نره على ما رأينا ، وهو في هذه الصناعة من أبرع اهل زمانه ان لم يكن أبرعهم جميعاً وانه غزير المادة في اللغة وغريبها متفنن في أساليبها الا ان تكلف هذه الصناعة ، وهي ليست طبيعة لازمة للبلاغة العربية في ذاتها بقطع النظر عن كل زمن وجيل — غطى على محاسن هذه البراعة وقصر محاسنها على اهل زمانه ومن قار بهم ، فلم تكن قدوة حسنة لكل اهل زمن وجيل ما دامت لغة العرب (صانها الله) قائمة البراعة بالكتابة المرسلة ككتابة ابن المقفع والجاحظ .

وان ابن خلدون في صناعة السجع والبديع اقل براعة وفي غزارة المادة اللغوية والتفنن في أساليب الكلام اقصر باعاً من ابن الخطيب الا ان اكثر ما أثر عن ابن خلدون من الكتابة كان من النوع القريب من طبيعة البلاغة العربية الفطرية وهو الكلام المرسل وبذلك تكون كتابة ابن خلدون أدوم أثراً وأبقى نفعاً .

واما الشعر فاذا اعتبرنا ان الشاعر الفائق هو المكثر المجيد الجائل في كل ميدان من فنون الشعر المصيب لاكثر أغراضه المليح الخيال فيه الكثير الاختراع من معانيه شهدنا ان ابن الخطيب هو فارس الحلبة في رأينا وفي رأي ابن خلدون نفسه فيما تقدم فتأثير براعة ابن الخطيب في الشعر كان في اهل زمنه ومن بعدهم بقليل بيننا لا في عصرنا هذا .

واما التاريخ فالموازنة بينهما أشبه بالموازنة بين خائض نهر وعابر بحر .

لان ابن الخطيب كتب في نوعين خاصين من التاريخ تاريخ دولة واحدة ، ومدينة واحدة ، والاولى دولة قصيرة ارخ فيها دولة بني نصر بن الاحمر فلم يكتب فيهما الا تاريخ نحو قرن من الزمن ومن الناس . والثانية وهي مدينة غرناطة لا ننكر انه ترجم في اكثر من عشرة اجزاء لكل من سكنها او مر بها من الاعلام بكلام بديع منحوت من

فكره نحتاً وذلك ما لا يبلغ اليه الا بعصب الريق وكدّ الخاطر الا ان اثره بلاشك خاص باهل بلد واحد او صقع واحد ٠

ولان ابن خلدون كتب في التاريخ العام وفيه تاريخ دولة بني نصر في كل منهما وفصّل جد التفصيل تاريخ أمة البربر بحيث أصبح المرجع الاعظم فيه ، وكان احسن التواريخ واقلها خطأ في تاريخ قدماء العرب ، وأمم العجم ، وكتب له تلك المقدمة العجيبة التي عدت من مفاخر الامة العربية بما وضع فيها من اصول علوم العمران والاجتماع والاقتصاد وفلسفة التاريخ والتي بقيت ردحاً من الزمن أستاذاً لكل كاتب ومؤرخ من العرب ومن غيرهم وكان أسلوبها قدوة لكتاب الصحف في عصر نهضتنا الأدبية الحاضر ثم هي البرزخ التي عبرت عليه الكتابة العربية بأخرة من المسجوع الى المرسل فتكون مجموعة مزايا ابن خلدون وما ترك من الثروة للأدب وفن التاريخ والفلسفة الاجتماعية أنفع وابقى فتكون كفته ارجح ٠

وهذا ما عليه نقاد زماننا ، ورأيت كثيراً من فضلاء الزمان الغابر كالقلقشندي والنويري والسيوطي والمقريزي يحله هذه المنزلة فرحمة الله عليها وعليهم اجمعين ٠

عضو المجمع العلمي

احمد الاسكندري

نظرة

في قواعد علوم العربية وآدابها

— ما ينبغي التنبه الى معالجته وتمهيد سبله —

قبل ان أتناول قواعد علوم العربية وآدابها في هذا البحث اود القاء كلة موجزة بشأن اختيار الفاظ فنية اصطلاحية للمعاني المستحدثة مما اوجدته شؤون المجتمع الحديثة واتساع نطاق العلم والفن والصناعة فيه فأقول :

ان الحرص على سهولة اللفظ وانطباقه في وضعه واشتقاقه على المعنى المستحدث المقصود او على ما يقاربه امر يعلمه الجميع فليس ذلك مما اريد التنبيه عليه هنا . ولكني أنبه القوم عند ارادة التواطؤ على لفظ اصطلاحي جديد ان يراعوا فيه فوق ماذكر اجتناب اشتراك اللفظة على قدر الامكان في معنى آخر مألوف شائع الاستعمال . لان الالفاظ المشتركة في كل لغة من لغات البشر هي مظهر ضعف فيها بما تولده من الالتبـاس لا مظهر قوة خلافاً لما يتوهمه كثيرون حتى انهم ليفتخرون بوجود هذه الالفاظ المشتركة في لغتهم . على ان أوسع اللغات مادةً لا تستغني عن هذا الاشتراك لان الالفاظ محدودة والمعـاني والافكار غير محدودة فلا بد ان تزيد هذه على تلك ومن ثم يقع الاشتراك . فكلما تمكن خدام لغة ان يتخلصوا من الاشتراك عند احتياجهم الى لفظ جديد وجب عليهم ان يغتنموا فرصة اجتنابه . وهو المبدأ الذي أشير اليه وبنـاءً على ذلك كان اقرب الى الصواب ان يسمى التلفون مِهتفاً او مِهتافاً او مِهتفةً بكسر فسكون في الجميع على اوزان اسم الآلة القياسية او مَهتفاً بفتح فسكون على صيغة اسم المكان عوضاً عن تسميته هاتفاً الذي له معنى آخر شائع الاستعمال . وهكذا قل عن اختيارهم لفظ الحاكي للفونوغراف وكان أقرب الى الصواب اختيار لفظ (مِحكىً او مِحكاءٌ او مِحكاة) بكسر فسكون او مَحكى بفتح فسكون وقد اصابوا في تسمية البيانو معزفاً ولم يقولوا عازفاً . وقس على ذلك كثيراً من نظائره .

* * *

« في الصرف » = اما الصرف ففيه أبواب سماعيـة عظيمة الخطر وقد ذكروا لها دلائل وضوابط تقريبية فما ضرّ علماء لغتنا اليوم ان ينعموا فيها نظرهم فمساهم ان يروا قسماً كبيراً من هذه الدلائل جديراً بحسبانه قياسياً مطرداً بحيث يقل السماع في هذه الأبواب وتخف الصعوبة الى مقدار ثلثها او ربعها . واهم الابواب المقصودة بالبحث هي ما يأتي :

مزيدات الأفعال والمعاني المختلفة الناشئة عنها من مبالغة ومطاوعة ومشاركة وتحويل وسلب وتكلف واصابة الشيء على صفة وهلم جرا . اوزان المصادر الثلاثية . اوزان الجمع المكسر . لزوم الفعل وتعديه وتعيين حرف الجر اللازم . اختلاف حركة العين في المجرد الثلاثي ماضياً ومضارعاً . النحت — سواء كان من جملة اومن لفظ جامد — ووجوب التوسع فيه على منهج قياسي يبين حدوده بحيث يكون لنا من هذا الباب كنز ثمين مكشوف على ان معظمه لم يزل مدفوناً الى الآن . وجل فائدته حينئذ تكون في اختيار الالفاظ الاصطلاحية الجديدة مما يحسب لنا في ذلك ركناً عظيماً ثالث اثنين هما الاشتقاق والتشبيه . ومعلوم ان باب النحت مفتوح على مصراعيه في اللغات الاوربية . والاقوام هناك يستغلونه احسن استغلال فلماذا يقتصر العرب على غلته الضعيفة الضئيلة المحصورة في الفاظ مخزونة قليلة وصلت اليهم من اسلافهم اذا كان يمكنهم التوسع في هذا الباب توسعاً يلائم اذواقهم ولا يخالف طبيعة لغتهم .

و يضاف الى ذلك ازالة غموض واقع في قواعد كتابة الهمزة واريد به كيفية حسبان الهمزة في نحو انشأوا لاننا اذا اعتبرناها طرفاً بحسبان اللفظة كلتين الفعل انشأ والضمير الواو كتبناها بصورة الالف كما اثبتناها هنا واذا اعتبرناها واقعة حشوا بحسبان اللفظة كلمة واحدة تبعاً لصورتهـا الخطية كتبناها بصورة الواو هكذا انشؤوا وذلك طبقاً للقواعد المقررة . ومن هذا القبيل همزة مسألة فالقاعدة تقتضي كتابتها بصورة الالف كما يراها القارئ هنا على ان فريقاً من جلة علمائنا اللغويين يكتبونها هكذا : مسئلة . فما وجه ذلك وهل كلا الوجهين وجيه ولماذا ؟ وعندوصولي الى هذه السطور تذكرت ان كثيرين من كتابنا اليوم يكتبون همزة هيئة بصورة الالف هكذا هيأة ظانين انها مثل نشأة وجرأة ولبس الامر كما توهموا فان همزة هيئة مسبوقة بياء في آخر كلمة مختومة بتاء

التأنيث وهذه الحالة تقضي بجعل اليـاء كرسياً للهمزة ومثل هيئة الحُطَيئَة وخطيئة وبيئة ومشيئة وهلم جراً ٠

وينخرط في هذا السلك وجوب ازالة كل تنطع شديد الظهور في قواعد الاعلال ومن أمثلته انهم زعموا حرف العلة يحذف من نحو قُمْ واصلها قُوْمْ ونحو خَفْ واصلها خَافْ ونحو مضَتْ واصلها مضَاتْ دفعاً لالتقاء السـاكنين وهو قول حق في ظاهره ولكنه لا يثبت على محك النقد في جميع احواله ٠ لان المانع الذي ذكروه اي التقاء السـاكنين قد يزول و يبقى بعد زواله حرف العلة محذوفاً فلا يعاد الى الكلمة فنحن نقول : قمِ الآن بكسر ميم قم لاقومِ الآن ومثلها خفِ الله لاخافِ الله ٠ ومضتِ الايامُ لامضاتِ الايامُ ٠ ولا يضر الحركة في هذا المقام كونها عارضة مادام التقاء السـاكنين المحسوب سبباً لاعلال الحذف يزول بها ثم اننـا نقول المرأتان رمتا ومضتا بحذف الالف لا مضاتا ولا رماتا ٠ فالجدير بعلماء الصرف في مثل هذه المآزق ان لا يعولوا على تعليل ناقص بل ان يسندوا الامر الى ماعرفوه بالاستقراء من كلام العرب القدماء اصحاب اللغة فيشيروا الى مواضع حذف او اثبات احرف العلة دون ان يجتهدوا كل مرة في تحويل العلم النقلي الى علم عقلي ٠ فهذا التحويل يؤاتيهم تارةً و يعصيهم تارةً أخرى كما رأينا ٠

ثم اني أعرض امراً آخر صرفياً لعل اهل النظر والتحقيق يستجيزون فيه تساهلاً وتسامحاً وارِيد به بناء افعل التفضيل مما فوق الثلاثي او من الفعل المبني للمجهول فقد حظر الصرفيون ذلك ولكن الأمثلة في كلام فصحاء العرب اكثر من ان تحسب ندوراً اوشذوذاً عن هذا القيد ٠ ومنها قولهم : العودُ أحمَدُ من حُمِد المجهول ٠ وقولهم : هذا الكتاب اخصرُ من ذاك ٠ هو اعطاهم للدينار ٠ انا أحوج الى امير فمال الخ ببناء افعل التفضيل من الأفعال المزيدة اختصرَ واعطى واحتاج ٠ فما رأي مجامعنا اللغوية في ذلك ؟

* * *

« في النحو » = اما النحو فيجب فيه قبل كل شيء تتبع المذاهب الضعيفة التي نكاد نراها مندسة في جميع ابوابه فيقضى عليها قضاءً مبرماً و يجعل حكمها وحكم الممنوع واحداً بحيث لا يصح ان يحتج بحكمها احد حين يرتكب شيئاً منها لسهو او جهل او ضرورة ٠

وينبغي ان يدخل في هذا الحظر بابان سماعيان نص النحاة عليهما واولهما باب التضمين ومن أمثلته قولهم :

يا أيها الراكبُ المزجي مطيته سائلْ بني اسدٍ ما هذه الصوتُ

وكان حقه ان يقول ماهذا الصوت ولكنه ضمن الصوت معنى الضجة والجلبة فجاز له ان يقول هذه الصوت كما يقول هذه الضجة او الجلبة ٠

والباب الثاني المجاورة ومن أمثلته : هذا (جحرُ ضبٍّ خربٍ) بخفض خربٍ لمجاورته ضب وهو مخفوض وكان حقه الرفع فيقال خربٌ لانه نعت جحر وهو مرفوع ٠ ومن أمثلة هذا الباب البيت المشهور :

وما حبُّ الديار شغفن قلبي ولكن حبُّ من سكن الديارا

قال شغفن لمجاورته الديار وكان الوجه ان يقول شغف قلبي بافراد الفعل وتذكيره لانه عائد الى حب وهو مفرد مذكر ٠ وكل ذلك من فلتات كلام العرب التقطه مدونو اللغة وبنى عليه النحاة بابي التضمين والمجاورة فكانا مزلقة ومعثرة لبعض الاقلام او حجة لاهل التمحل والماحكة فما أحرانا بالتصريح في ايصاد البابين ايصاداً محكماً لا يدع مقالاً لقائل ٠ نعم ان النحاة اشاروا الى حظر القياس فيهما ولكن اشارتهم تلك لم تزل محتاجة الى تعزيز من قبل مجمع لغوي عام او مجامع لغوية متفقة الأحكام ٠

وهناك باب سماعي ثالث هو باب القلب وأراه أخف خطباً من بابي المجاورة والتضمين ولا بد ان يرى الباحثون فيه شيئاً يقبله الذوق والعقل وشيئاً آخر ينكرانه ولا يصعب عليهم ذكر علامات تفرق بين القسمين ثم اجازة القياس في المقبول منهما وضعه في المكروه ومن امثلة المقبول في نظري (عرضت الحوض على الابل) والاصل : عرضت الابل على الحوض ٠ وقول عنترة العبسي :

بطلٌ كأنّ ثيابه في سرحةٍ يحذي نعال السبت ليس بتوأم

قال : كأن ثيابه في سرحة اي شجرة عالية على القلب والاصل ان يقال : (كأن سرحة في ثيابه) ٠ ومن أمثلة القلب المكروه قولهم : (خرق الثوبُ المسمارَ) برفع الثوب وجعله فاعلاً عوض ان يقال خرقُ المسمارُ الثوبَ ٠

واما باب النحت وهو باب سماعي رابع فقد مر الكلام عليه في المباحث الصرفية من هذا المقال :

بقيت لي كلمة في مسألتين من مسائل النحو : الاولى مسألة افراد الفعل مع الفاعل المثنى او المجموع ومع نائب الفاعل المثنى او المجموع . نحو : رحل الضيفان ورحل الضيوف وأكرم الضيفان واكرم الضيوف . فقد اوجبوا الافراد في ذلك وحظروا تثنية الفعل وجمعه حظراً شديداً لئلا يكون للفعل الواحد فاعلان . ثم اوردوا من القرآن الكريم ومن كلام فصحاء العرب امثلة تخالف هذه القاعدة التي سماها بعضهم « لغة أكلوني البراغيث » لان في هذه الجملة مخالفة للقاعدة المذكورة . وسماها آخرون لغة : اسروا النجوى الذين ظلموا . او لغة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار : وخرّجوا امثال هذه الآيات على جعل جملة الفعل خبراً مقدماً لما بعده او على جعل الواو في الفعل علامة جمع لاضمير جمع والاسم المرفوع بعده فاعلاً وكذلك لو ورد الفعل بصيغة التثنية فالالف فيه حينئذ علامة لا ضمير واقع فاعلاً اوعلى جعل يتعاقبون ونحوه فعلاً وفاعلاً والاسم المرفوع بعده بدلاً من الضمير اللاحق به .

وقد قلت انه كثير ورود الفعل بصيغة التثنية والجمع مع الفاعل او نائب الفاعل المثنى والمجموع خلافاً للقاعدة النحوية مما دل على انها قاعدة اغلبية لامطردة وان ما خرج عنها لا يعد شاذاً او ضعيفاً بل فصيحاً مقبولاً . والذي أتذكره ان الامير ابا فراس الحمداني استعمل ذلك في ديوانه مراراً عديدة وهو ذو قدم راسخة في الفصاحة وحر الكلام العربي فشعره مما يستأنس به ولو تقدم عصره قرنين لكان مما يحتج به كما يحتج كثيرون بشعر بشار بن برد ويحتج الجميع بمن قبله قليلاً وهم فصحاء العصر الأموي . وبما اني اكتب هذا المقال وانا مصطاف في جبل الاكراد بعيد عن كتبي وغيرها من الكتب أراني مضطراً الى إغفال ما كنت اود ايراده من الشواهد والأمثلة على هذا الامر وعلى غيره من محتويات الموضوع وانما اوردت من ذلك ما ساعدتني الذاكرة عليه واقتصرت من الملاحظات على ما استحضره ذهني لساعته ماعدا ذكر الأجناس الشاملة لأنواع البديع مما سيمر به القارئ فقد كنت مشيراً اليها في مذكرة خصوصية صحبتني في مصيفي .

كذلك رأيي في تثنية الفعل وجمعه مع الفاعل او نائب الفاعل الغير المفرد ولكنه

رأي لم اجسر على العمل به الى الآن لاني لا اجزم بصحته فهو قابل النقض والابرام فهل لأفاضل علمائنا لفحص هذه المسألة وتمحيصها .

واما المسألة الثانية التي أود ان اشير اليها فهي تناقض المعنى الممكن استخراجه من فعل مضارع منصوب بعد الفاء السببية في جواب النهي نحو : لا تفعل كذا فتندمَ . فقد يكون الندم مترتبًا على فعلك ذلك الشيء وقد يكون مترتبًا على عدم فعلك اياه . وهذا تناقض ظاهر . واذا كانت القرينة العقلية تساعد على تعيين احد النقيضين في بعض الجمل . فانها لا تساعد على تعيينه في جمل أخرى لانتفائها منها كالجملة التي اوردناها هنا ومن الأمثلة المشتملة على القرينة العقلية المساعدة قولهم : لا تقترب من النار فتحترق . اذ يفهم منه ان احتراقك مترتب على اقترابك من النار . وقولهم : لا تقترب من النار فتسلمَ فالمفهوم ان سلامتك مترتبة على عدم اقترابك من النار . ولعل معظم ما ورد من اقوال العرب في هذا الباب معلق على ايجاب القضية لا على سلبها . ومن ذلك قولهم : لا تطعم العبدَ الكراع فيطمع في الذراع . اي ان طمعه مترتب على اطعامه لا على عدم اطعامه . وقولهم : لا تكن رطبًا فتعصر ولا يابسًا فتكسر . اي ان انعصارك وانكسارك مترتبان على كونك رطبًا او يابسًا لا على عدم كونك بهاتين الصفتين . غير ان ترجيح الاثبات الذي ألحه ساعة كتابة هذه السطور ولو صح لا يمنع وجه الاضطراب والالتباس في هذا الباب فلا بد لنا من معالجته باجتهاد لعلنا نهتدي الى ما يدفع الشبهات من طريقه وهي موضع حزازة في الصدر .

* * *

« في العروض والقوافي » = في العروض جوازات ضعيفة مستهجنة يستندون فيها الى ما ورد من امثالها على ندور في الشعر العربي القديم وارى من الصواب ابصاد بابها تمامًا وعدها خطأً محضًا لا جوازات ضعيفة على مثل ما اشرت به في المذاهب النحوية الضعيفة . ومن هذه الجوازات العروضية الضعيفة الاشباع والاختلاس في غير مواضعها المعروفة عند ارباب الفن . ومنها على ما اتذكر استعمال "فعِلن بكسر العين عوض فاعلن . في عروض السريع الى غير ذلك .

ثم ان كثرة الزحافات والعلل في علم العروض واسماء دوائره الخمس واستخراج البحور

منها . كل ذلك مدعاة تعسير لطالب العلم لا تسهيل وتمهيد سبيل وهو امر يحس به جلياً كل من عاني هذا العلم تعلماً او تعليماً . فأي طالب لا يجد قولك له ان فاعلن يجوز حذف الفه في الموضع الفلاني اسهل على ذهنه وذاكرته واخصر لوقته من قولك له ان فاعلن في الموضع الفلاني يدخل عليه الخبن . و يكون قد تمنى في معرفة الخبن كيف يكون و كثيراً مايخلط بينه وبين غيره من الزحافات . وهكذا لو قيل له ان فعولن تحذف نونه جوازاً او وجوباً في الموضع الفلاني والموضع الفلاني فذلك اسهل عليه كثيراً من قولك له ان فعولن يدخله القبض وقس على ذلك خمسين او ستين تسمية من هذا القبيل ولو كانت تسع تسميات او عشراً لهان خطبها واحتمالها . ومن ثم ارى الاستغناء عن هذه التسميات الطويلة العريضة التي ليس تحتها طائل كبير مادام المتعلم يمكنه الوصول الى النتيجة المقصودة منها على طريق اسهل وارسخ في الذهن بحفظه مواضع التغيير في الاجزاء العروضية بحراً بحراً الا اذا كان له ميل خصوصي الى استيعاب تلك الحدود والمصطلحات القديمة او له غاية خصوصية من ذلك كارادة الاخصاء او التلذذ باثر فني من آثار السلف وكان في متسع من وقته وشواغله لقضاء هذه اللبانة فله ما يشاء . و يسرنا ان كثيرين من مؤلفي الكتب العروضية في عصرنا جروا في مؤلفاتهم هذا المجرى السهل ولعله عن قريب يصبح عاماً في مدارسنا .

واما علم القافية فالذي أراه فيه امكان التساهل في سناد التأسيس نحو قابلُ بضم اللام و ينقلُ بضم اللام . ومثله سناد الردف اذا اتصل بالروي حرف الوصل نحو بوصهِ وبعصه كما ورد في البيتين المشهورين :

اذا كنتَ في حاجةٍ مرسلاً فأرسل حكيماً ولا توصهِ
وان بابُ امرٍ عليك التوى فشاور حكيماً ولا تعصه

فان امثال ذلك واردة في كلام عدة فحول من القدماء والمولدين . واذا كانت الذاكرة لم تخنّي فالحريري في مقاماته وابو العلاء المعري في الرسائل المنسوبة اليه ارتكبا مراراً سناد التأسيس . ولكن المسألة مع ذلك تحتمل نظراً و بحثاً وتحتاج الى حكم المجامع العلمية . وعلى هذه النية عرضتها هي وبقية المسائل التي تناولتها في هذا المقال :

و كيفما كان الامر فان توصهِ وتعصهِ وما جرى مجراهما . وقابلُ و ينقلُ وما جاء

على وتيرتها أيسر تجوزاً وأقرب الى الذوق وأخف على السمع حسب رأيي من ارتكاب سناد التوجيه في نحو ادَبْ بفتح الدال وسكون الباء . ويجِبْ بكسر الجيم وسكون الباء في تقفية واحدة مما اولع به جلُّ شعرائنا اليوم واتاه كثيرون غيرهم من شعراء العصور السالفة ومن ارتكاب المخالفة بين الواو والياء في المردوف الساكن نحو غدير وصبور بسكون الراء فيهما . وبما ان اساس علم القافية الفطرة والذوق الطبيعي فمن منا لا يرى ان أذواق العامة وفطرتهم تشهد لي وتشاركني في عدم استحسان هذه الارتكابات فهل لأدبائنا ان يعملوا فكرهم في ذلك فلعلهم يتحملون قليلاً من العناء حين ينظمون في تخليص منظوماتهم من هذه الهجنة .

* * *

في علم البيان

« فنونه المعاني والبيان والبديع »

تعود مؤلفو الكتب البيانية ان يذكروا احوال المسند اليه في تقديم وتأخير . وتعريف وتنكير . وحذف وذكر . وافراد واجمال . واظهار واضمار . ثم يذكروا أحوال المسند في هذه الامور ثم يقولوا ان كثيراً من هذه الاحوال وقواعدها ومتعلقاتها لاتقتصر على المسند والمسند اليه بل تتعداهما الى سائر اجزاء الكلام كالمفاعيل وغيرها من الفضلات وكالمضاف اليه والمجرور بالحرف . فاذا كان الامر كذلك — وهو كذلك — أفليس الاسهل عليهم في التأليف والتصنيف والاسهل على منتجعي الفائدة من كتبهم وأضمن لعدم تشتت أذهانهم ان يعدل عن هذا التبويب القديم المعتاد الى تبويب آخر اقرب الى التلاؤم والتناسب بحيث تذكر مواضع الحذف والذكر ثم مواضع التقديم والتأخير ثم مواضع التعريف والتنكير وهلم جرا .

واحوال هذه الابواب تتناول المسندين وسائر اجزاء الكلام الا ما كان منها ينفرد ببعض دون بعض وهو شيءٌ قليل ينبه عليه المؤلف في موضعه . وأتذكر ان كتاب البيان المقرر للتدريس في معارف القطر المصري جارٍ هذا المجرى ولكنه شديد الاختصار الى حد النقص والخلل فهو لا يشفي غلة أديب ولا متأدب . ولا شك ان ذلك ليس قصوراً ولاتقصيراً من مؤلفيه الكرام بل اقتصاراً حملهم عليه المقترحون في مراجعهم الرسمية "

وفي كتب فنون البيان عندنا — المعاني والبيان والبديع — تداخلٌ لا ارى له وجهاً سديداً بل اراه مدعاة تشويش واعنات للذهن . ولعل علماءنا يتنبهون الى معالجته فيزيلوا مواضعه او بعضها ثم اذا تعذر عليهم ازالة سائرها نبهوا اليها الدارس وجعلوه على بصيرة من امره .

فمن مواقع التداخل نوع البسط والايضاح في البديع فليسا الا من باب الاطناب في المعاني ومثل ذلك الاحتراس والايغال والتتميم فهي من الاطناب ايضاً وقد ذكرت في المعاني وفي البديع . والقلب في باب مخالفة الظاهر من ابواب المعاني هو انفس التشبيه المقلوب في البديع . والاستعارة التهكمية في باب المجاز المفرد من فن البيان مذكورة ايضاً في باب المجاز المرسل من هذا الفن لانها هي نفسها التي قوامها تسمية الشيء باسم ضده . ومذكورة في البديع باسم التهكم . ثم ان المجاز والاستعارة والكناية والتشبيه هي اجناس كثيرة الفروع تستغرق فن البيان بجملته وتفصيله وقد وفاها هذا الفن حقها من التقسيم والتمثيل فما معنى اعادتها باسمائها في فن البديع باعتبارها انواعاً بديعية كغيرها من تلك الجزئيات مع انها اجل شأناً من ذلك بكثير فهي مصدر واساس القسم الاكبر من الانواع البديعية .

ومن هنا يظهر للمتأمل وجوب ادخال تهذيب وتشذيب على كتب البيان عندنا لاجل التخلص من هذه المغامز .

* * *

وصلت الى القاء كلمتي الخصوصية في فن البديع فأقول :

اول ما ظهر من أنواع البديع خمسة او ستة أنواع ثم اخذ المشتغلون فيه يستقرون عيون الكلام العربي نظماً ونثراً فيستخرج الواحد منهم عدة انواع يطلق على كل نوع منها اسماً ويعقبه آخر فيستخرج غيرها حتى أصبحت الأنواع البديعية اليوم من معنوية ولفظية نحو مئتي نوع . وهذه كثرة مزعجة نرى المتعلمين لا يطيقونها الا قليلين منهم ولهم في تذمرهم وتضجرهم عذر مقبول . لان المتأمل في هذه الانواع يرى بعضاً منها حطيط المنزلة لا يستحق ان يعنى به ويطلق عليه اسم خاص . وبعضاً آخر حسناً او لا بأس فيه ولكنه مشارك لغيره فليس له ان يستقل عنه في التسمية . وبعضاً ثالثاً هو من شروط

البلاغة الاساسية كالتهذيب والسهولة والانسجام والوضوح فكيف يحسب من جملة الأنواع البديعية التي لا تخرج عن كونهـا شيئًا اختيارياً ولكنه مستملح مرغوب فيه لانه يزين الكلام اذا حذق الشاعر او الكاتب استعماله والا كان تافهًا وربما شوَّه القول وهجَّنه وجعله ثقيل الظل وخيم المرتع ·

وقد فكرت في ذلك مليًا وقلت ان هذا الفن أصبح معرضًا لناموس رد الفعل فهو الآن محتاج الى شيء من الاندغام والاندماج عوض ما وقع فيه من التعدد المفرط المحسوب مضلةً ومتاهةً ومن ثم اجتهدت في رد أنواعه الى اجناس قليلة يدخل تحت كل جنس منها عدة انواع فاذا أحاط الدارس بهذه الأجناس ومرن عليها واخطرها على باله حين ينظم او ينثر كان محيطاً بكل انواع البديع وان فاته شيء منها فهو شيء زهيد لا يعبأ به ذلك مع تخلصه من عناء الدرس والمزاولة لمئتي نوع وحفظ اسمائها وتعريفاتها وشواهدها وامثالها فلا يلقى من العناء في مزاولة هذه الأجناس والانتباه الى امثلة رئيسية منهـا سدس او سبع ما يلقاه من العناء ويخسره من الوقت في مزاولة تلك الأنواع وتوفيتها حقها على الطريقة المتبعة اليوم · وبعدما يستوعب الاجناس المذكورة اذا اراد الاكتفاء بها لم يحرمه اكتفاؤه شيئًا من جوهر البديع · واذا أراد ان يستقصي الانواع واسماءها وحدودها فله انـ يأتي ذلك على مهل كلما رأى من وقته متسعًا ويكون ذلك الاجمال قد مهد له سبيل تلك التفاصيل فيستأنس بهـا ذهنه وترسخ فيه لما يربطها من التآلف والتناسب بفضل تلك الاجناس التي احتضنتها وظللتها ·

ومع ذلك فاني لا ادعي انـ ما قدَّمته هو حتماً الصواب كل الصواب وانه التقسيم الجامع المانع فقد يكون كذلك وقد يكون دون ما املته وتوخيتـه من الصواب التام غير بالغ حبة قلبه بل لا يزال يعوزه شيء من التعديل والتحوير · فاترك التتميم حينئذ لقلم غير قلمي وحسبي اني مهدت السبيل وفتحت الباب وجريت في باحة الدار شوطاً وان منعني العجز او التعب او كلاهما عن استقصاء مخادعها ودهاليزها ·

واليك الآن الاجناس البديعية او الامهات البديعية التي تنبهت اليها :

« الموافقة · المخالفة · الترتيب · المبالغة · الاستدراج · التلميح · حسن التعليل · الايهام · التدقيق · التوليد · الكلام الجامع » ·

اما الموافقة فتنطوي على الأنواع الآتية : انواع الجناس . المراجعة . التوشيح تشابه الأطراف . التفويف . التصدير . مراعاة النظير التمثيل . التوجيه . الترديد . التكرار . المناسبة . التشبيه . التفصيل . المشاكلة . الجمع . التصريع . تشبيه شيئين بشيئين . الاشتقاق . الاتفاق . المماثلة . التسهيم . التطريز . الترجيع . التفريع . السجع . التسميط . الالتزام . ائتلاف اللفظ مع المعنى ومع الوزن . ائتلاف المعنى مع المعنى . الحذف . التدبيج .

واما المخالفة فتنطوي تحتها الأنواع الآتية : الطباق . المقابلة . ايهام التضاد . المناقضة . العكس . التفريق . السلب والايجاب . الرجوع . الاستدراك .

واما الترتيب فينطوي تحته ما يأتي : الترتيب . الطي والنشر . ايهام التناسب . الاطراد . التقسيم . التفسير . الايضاح . حسن النسق . التشطير . التعديد . جمع المؤتلف والمختلف . المزاوجة . الجمع مع التقسيم . الجمع مع التفريق .

واما المبالغة فتشتمل على ما يأتي : التبليغ . الاغراق . الغلو . القسم . تجاهل العارف . الاستثناء . حصر الجزئي والحاقه بالكلي .

واما الاستدراج فيشتمل على ما يأتي : الافتنان . التذييل . الاستتباع . الادماج . حسن التخلص . عتاب المرء نفسه .

واما التلميح فيدخل في دائرته ما يأتي : التلميح . الاشارة . الاكتفاء . التوجيه . الاقتباس . التضمين . الابداع . الإلغاز . براعة الطلب .

واما حسن التعليل ففيه ما يأتي : حسن التعليل . الالتفات . المذهب الكلامي . الاتساع . المغايرة .

واما الايهام فهذه فروعه : التوهيم . الابهام . المدح في معرض الذم . الذم في معرض المدح . التورية . الاشتراك . الاستخدام .

واما التدقيق فهذه فروعه : التشريع . الايغال . الاعتراض . الاحتراس . الفرائد . التنكيت . التكميل .

واما التوليد فهذه مشتملاته : التوليد . سلامة الاختراع . حسن الاتباع . واما الكلام الجامع ففيه الكلام الجامع وارسال المثل .

وعند التحقيق يظهر لنا ان هذه الاجناس المنطوية على هذه الانواع لاتقتصر على الانواع المختصة بفن البديع حسب تعريف هذا الفن بل تتناول معظم الاساليب البليغة التي تشير اليها فنون البيان الثلاثة المعاني والبيان والبديع ومن ثم يمكننا اضافة جنس ثاني عشر الى الاحد عشر جنساً المار ذكرها وهو جنس الكناية فانه يشتمل على الكناية والتعريض والارداف والايضاح والقول بالموجب ·

وبديهي اني حين اخترت لهذه الاجناس اسماءها قصدت فيها امتداد معناها اللغوي لكي تنطبق على ماتحتها من الفروع فلم اقتصر في اسم التوليد مثلاً على مدلوله باصطلاح فن البديع وهكذا حين اقول ان من فروع التوليد التوليد وكذا وكذا من الانواع اعني ان جنس التوليد وهو احد الاجناس التي استخرجتها وجمعت شتاتها يتفرع عنه نوع التوليد حسب تعريفه عند البديعيين كما يتفرع عنه كذا وكذا · وقس على ماذكر قولي ان حسن التعليل فيه حسن التعليل اي ان هذا الجنس فيه نوع حسن التعليل البديعي الخ ·

ولا يلزمني هنا ان اورد على الانواع او على بعضها شواهد وامثلة تبينها وتوضح كيفية اتصالها باجناسها فان هذا بسط يخرج عن طوق عجالة كعجالتي الحاضرة · وانما يطالب به كتاب يصنف خصوصاً لهذا الغرض · على ان كل اديب ومتأدب يمكنه ان يمتحن الامر بنفسه الى المقدار الذي يشاؤه عارضاً على الاجناس التي ذكرتها امثلةً من هذه الانواع إما من محفوظه واما مما يقع تحت يده من كتب البديع والادب · والله الهادي الى الصواب ·

اللاذقية : ادوار مرقص

عضو المجمع العلمي العربي

الكلمات غير القاموسية

جواب الاستاذ سليمان ظاهر
على اقتراح الاستاذ « المغربي »

ان اللغة هي اداة للتعبير عن مرادات النفوس واغراضها التي هي في تجدد مستمر ، والامم ليست سواء فيما يعرض لها من مقتضيات الحياة وفي مواد التفكير ، واخذ الفاقد عن الواجد من طبيعة العمران ومدنية الانسان ، واستكمال أُمة من الامم وسائل علومها وحاجاتها دفعة واحدة غير معقول ، والعلوم والحاجات لا تتناهى فالاوضاع اللغوية والاتساع فيها للتعبير عن المتجددات من الضرورات التي لا مفر منها .

فلا جرم ان حصرها في منطقة ضيقة والوقوف فيها موقف التلقي عمن لم تتسع عندهم دائرة الحاجة الى متجدد الاوضاع اتساعهـا عمن خلفهم لهو ضرب من ضروب التحجير على جري الافكار في حلبة الاختراع والابتكار ، وصد للعقول عن ولوج ما لا يتناهى من ابواب المدركات والمعلومات ، وما كانت اللغة العربية الا كغيرها من اللغات مجبراها التجدد والاتساع ، ودأبها السير في التعبير عن الحادثات حسب الدواعي والمقتضيات .

واذا ساغ للامة العربية وهي في جاهليتها والتغلب على البسائط هو كل ما ترمي اليه من الاهداف وهي امة امية . — اخذُ ما لا يستقصى من اسماء المسميات التي اضطرت اليها وما لم تضطر اليه مما كان له مرادف في لغتها ، وكان لها الوضع ، وكان لها النحت والتعريب والمجازات والكنايات والاستعارات وهي لم تكن امة علمية ولا صناعية . ولا كان للحضريين منها ما كان للامم المعاصرة لها من اليونان والفرس والرومان من علوم وحضارات — واذا ساغ لها وقد استقبلت في عهد اسلامها . وقد بلغت المدى البعيد من مستعذب بيانها . علوّ بلاغة قرآنها . وفي عهد ازدهار سلطانها وقد جاست خلال الديار . وملكت الامصار . حضارات الامم المغلوبة لها وعلومها .

اذا ساغ لها وهي في هذه التطورات اخذُ الكثير مما لم يكن له اسم ولا مسمى في لسانها . واخذ مصطلحات الفنون الطارئة وهي القابضة على زمام العرفان والصولجان

— أفلا يسوغ لنا وأمرنا بيد غيرنا ولسان حاله ومقاله ينشد في ربوعنا قول قائلنا الاول :

(أخذنا بآفاق السماء عليكم   لنا قمراها والنجوم الطوالع)

احتذاء مثالهم واتباع طريقتهم في جاهليتهم واسلامهم . وما كان القوي في سلطانه . الا قويًا في لسانه . ومن غلبنا بايده ومنته . أفلا يغلب لغتنا بلغته . (ومن عزّ بزّ) .

وهذا باب التعريب مفتوح لنا على مصراعيه . والنحت والاشتقاق لم يكونا حجرًا على اوائلنا . والنقل اللغوي من موضع الى موضع آخر حادث مما استعمله القرآن والاسلام وقد ضبط الكثير منه الائمة . ودرج على هذه السبيل في النقل العرفي بقليل من المناسبة علماء العرب في كثير من مصطلحات العلوم والفنون . ولم يذهب ذاهب الى حصر دائرة التعبير عن الأغراض بما سمع من العرب من حيث تراكيب الجمل ان حصر بمتابعتهم بها من حيث نوعها والجري على أساليبهم . واذا ضممنا الى ذلك ما تلقيناه عنهم من استعمال المطلق في المقيد والخاص في العام والعام في الخاص وما الى ذلك من ضروب التجويز ومما هو سنة من سنن اللغة تبين لنا ان مناحي التعبير أمامنا وأسعة النطاق وان لغتنا كسائر اللغات الحية خاضعة لناموس التكامل .

وهذه لغات الامم تحمل الينا ما لا يحصى من اسماء المتجدد من فنون وصناعات وعلوم وهي تزاحم برطاناتها المستعجمة بيان لغتنا كما يزاحمنا حملتها على كل ناحية من نواحي حياتنا وعلى كل مرفق من مرافقها . والزمان غير متسع لنا لتخير الأوضاع لها من صلبها . وهي تسابق في تدفق إتيها خطرات نفوسنا . ومجاري أنفاسنا . والحزم ان نتدارك الامر قبل بلوغ السيل الزبا والحزام الطبيين فنضع للجديد ما نجد سبيلاً الى وضعه من الالفاظ ونعرب ما لا تنبو عنه لغتنا . وما يصح اندماجه فيها . ولا نفوته خفتها ورقتها مع مراعاة أساليبها . ولا يذهب شيئًا من روعتها ورواءها . ولا نأبى المولد اذا لم نجد بدآ منه . ولا الدخيل اذا لم نلق عنه بديلاً . والا فلا نأمن تشويه محاسنها بما يتسرب اليها من رطانات الغريب . ومن اندماج أساليبه باساليبها . ومن انقطاع الصلة بين عاميتها وفصحاها .

وبعد فان لها من اتساع المادة ومن مرونتها ومن سننها التي لا تماثلها فيها لغة من اللغات ما يساعد العاملين على انهاضها مع مراعاة سننها وقوانينها . والتقيد بما صرح به

الأئمة من منع او جواز . وان لا يهجر استعمال ما سكتوا عنه اذا ورد في كلام البلغاء سواء أكانوا ممن حصر الأئمة الاحتجاج باقوالهم ام كانوا من غيرهم ممن ذاعت شهرتهم في المنظوم والمنثور . وان لا يمنع استعمال ما تمس اليه الحاجة اذا لم يرد له نص لغوي ولا ورد في كلام البلغاء بضرب من التجوز او بالرجوع فيه الى قواعد الاشتقاق . وبعد هذا التمهيد أقول في الجواب على اقتراح حضرة الزميل العلامة المحقق الاستاذ المغربي .

اما عن الصنف الاول فيجواز استعمال تبدى بمعنى ظهر (١) لورودها في شعر ذلك العربي القح . (٢) لورودها في الحديث النبوي مرتين كما جاء في تاريخ الامام الطبري (جزء ٢ ص ٢٠٥ و ٢٠٩) من الطبعة المصرية . (٣) لاستفاضة هذا الاستعمال بشعر غير واحد من فحولة الشعراء فقد استعملها عمر بن ربيعة المخزومي من شعراء صدر الاسلام في قوله :

(فتبدت حتى اذا جُنَّ قلبي حال دوني ولائذ بالثياب)

وابو تمام الطائي في قوله :

(اذا تبدى عليَّ في كتائبه لم يحجب الموت عن روح ولا بدن)

وابو سعيد الرستمي من شعراء اليتيمة في قوله :

(تبدت لنا والريح داج ظلامه)

الى كثيرين غيرهم . وما كان سكوت المعاجم عن ذكرها حجة على عدم الجواز . ودعوى استيعابها كل لغة العرب مدفوعة بما اورده الامام احمد بن فارس في كتابه الصاحبي قال :

ذهب علماؤنا او اكثرهم الى ان الذي انتهى الينا من كلام العرب هو الاقل قال ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير . وأحر بهذا القول ان يكون صحيحاً .

ومدفوعة ايضاً بما زاده كل لاحق من رجال المعاجم عن سابقه من مفردات لم تذكر واشتقاقات أغفلت .

ولقائل ان يقول ان تركهم ما تركوه لعله ناشئ عن عدم استيثاقهم بصحته و باعراضهم عنه ايماء الى ذلك . والا فما كان ليفوتهم العلم باستعماله . وجوابه ان ما عرف من أمانتهم في النقل . واحتياطهم للغة من ان يتطرق اليها غير المسموع من العرب و بخاصة في الشعر السائر . بذكرهم في مطاوي ابحاثهم ما كان غير صحيح منه

او ما كان مولداً وما الى ذلك لدليل على صحة استعمال ما سكتوا عنه والا لم يتركوا التنبيه على فساد استعماله . وما كانوا اقل احتياطاً بتصحيح ما صح من الكلم المستعمل والحكم بفساد الفاسد منه من ثقات الحديث بنقل الحديث ومراعاة أسانيده وضروبه . ولعل المسكوت عنه مما لم يبلغهم وقد فات الكثير منهم الكلام الكثير وكم ترك الاول للآخر .

لم يذكر في المعاجم اقاح غير معتل مع انه ورد في قول ابي تمام الطائي :

(وتبسم العقل ابتسام اقاحه   متزاهراً عن باكر الانداء)

ولا تقصّده بمعنى قصده او أقصده اي قتله الواردة في قول ابي الطيب المتنبي :

(تقصده المقدار بين صحابه   على ثقة من دهره وامان)

فهل يحجر علينا ترك استعمال اللفظتين لانهما لم يذكرا في المعاجم وهل ابوتمام والمتنبي وهما الحجة في اللغة والبيان واليهما انتهت امرة الشعر والاول صاحب الحماسة وشعر القبائل والحافظ الكبير والثاني هو الذي شهد له ابن جني من الأئمة بسعة الاطلاع . هل هما اقل وثوقاً من اصحاب تلك المعاجم . وهل يستجيزان استعمال ما لا يجوز ان لم يكن لهما حريجة في النقل تمنعهما من ذلك الا يتخوفان شر الحسدة وتزييف النقدة الذين يحاسبونهما على الخطير والنقير .

وعن الثاني (١ً) بعدم جواز استعمال (أقصّ الخبر رباعياً) بمعنى قصه ثلاثياً لوجهين الاول لعدم النص عليه في المعاجم . والثاني لاحتمال تحريف أقصصته من أقتصصته الوارد استعمالها في كلام الامام الطبري في موضع آخر من تاريخه (ص٣٧ جزء٣) من الطبعة المصرية . والاحتمال يبطل الاستدلال . (٢ً) وبعدم جواز استعمال تخيم بمعنى تخم لعدم وروده في كلام الفصحاء والمولدين والمحدثين الذين هم في زمانهم أقرب من زمان سلامة اللغة من الفساد . (٣ً) وبعدم جواز استعمال صدفة مكان مصادفة للعلة التي ذكرت في تخم .

وعن الثالث بلزوم الترخيص باستعماله وبخاصة ما يتعلق منه بالمصطلحات العلمية متابعة للأئمة باستعمال نظائره . قال العلامة ابن ابي الحديد في خاتمة شرحه لنهج البلاغة .

« وقد استعملت في كثير من فصوله فيما يتعلق بكلام المتكلمين والحكماء خاصة الفاظ القوم مع علمي بان العربية لا تجيزها . نحو قولهم المحسوسات . وقولهم الكل والبعض .

وقولهم الصفات الذاتيــة . وقولهم الجسمانيات . وقولهم إما اولاً فالحال كذا ونحو ذلك مما لا يخفى عمن له ادنى أنس بالأدب ولكننا استهجنا تبديل الفاظهم . وتغيير عباراتهم . فمن كلم قوماً كلمهم باصطلاحهم (ومن دخل ظفار حمّر) .

اما لفظ كيفية فهي صحيحة لورودها في البيت المنسوب لامير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) :

كيفية المرء ليس المرء يدركها فكيف كيفية الجبار ذي القدم

ووردها جمعاً في دعائه المعروف بدعاء الصباح وهو من ابلغ كلامه . قال في وصفه تعالى (وجلّ عن ملائمة كيفياته) .

وعن الصنف الرابع بمنع استعمال المخابرة بمعنى المراسلة (١) لعدم النص اللغوي . (٢) لعدم ورودها في كلام فصحاء المسلمين الذين لا ارى مانعاً من الاحتجاج باقوالهم اذا كانوا ممن تباعدت عصورهم عن عصور فساد اللغة الاخيرة . (٣) لعدم الضرورة . (٤) لانتفاء علاقة المجاز بين معناها اللغوي والمعنى الحادث اذا حاولنا تصحيح استعمالها بضرب من التجوز وذلك لانها من مادة خبرت الارض اي شققتها للزراعة فأنا خبير . ومنه المخابرة وهي المزارعة على بعض ما يخرج من الارض (كذا في المصباح) . واصرح من هذا في المنع ما جاء في نهاية ابن الاثير قال (جزء ١ ص٣١٤) من الطبعة المصرية « وفيه : انه نهى عن المخابرة . قيل هي المزارعة على نصيب معين كالثلث والربع وغيرهما . والخبرة النصيب . وقيل هو من الخبار (الارض اللينة) . وقيل اصل المخابرة من خيبر لان النبي صلى الله عليه وسلم أقرّها في ايدي اهلها على النصف من محصولها فقيل خابرهم اي عاملهم وانت خبير ان شيئاً من ذلك لا يناسب معنى المراسلة الجديد .

وبمنع استعمال احتار مكان حار وتحير لعدم النص ولعدم ورودها في كلام الفصحاء . ولعدم الضرورة الداعية .

وبجواز استعمال تفرج على الشيء للحاجة الداعية ولشيوع استعمالها . وبعدم التردد في جواز استعمال تنزه (١) لشيوع استعمال الفصحاء لها . (٢) لتصريح الزمخشري في الاساس بقوله « وخرجوا يتنزهون يتطلبون الاماكن النزهة . وهم في نزهة وتنزه » وقال ابن قتيبة : ذهب بعض اهل العلم في قول الناس (خرجوا يتنزهون) الى البساتين انه

غلط وهو عندي ليس بغلط لان البساتين في كل بلد انما تكون خارج البلد فاذا أراد احد ان يأتيها فقد أراد البعد عن المنازل والبيوت . ثم كثر هذا حتى استعمات في الخضر والجنان .

وقال ابن القوطية وجماعة نزه المكان فهو نزه من باب تعب . ونزه بالضم نزاهة فهو نزيه . كذا جاء في المصباح وكأنها حقيقة عند الزمخشري بهذا الاستعمال لانه لم يذكرها في المجاز على طريقته في الاساس .

وكيف كان فانه لامجال للتردد بالجواز بعد شيوع الاستعمال مع هذه النصوص الصريحة واذا كانت حقيقة في التباعد ولم نشأ ان نجعلها حقيقة في المعنى الثاني فهي مستعملة فيه مجازاً والمناسبة بين المعنيين جلية .

وعن الصنف الخامس بجواز استعمال ما خف لفظه على السمع مثل قلم و بالون ان اقتضت الضرورة . وتعذر وضع ما يؤدي مؤداه من الفاظ اللغة العربية . واما ما ثقل لفظه فلا استجيز استعماله الا مع مراعاة مكان الحاجة والضرورة ومراعاة سنة العرب في تعريب الدخيل والباسه ديباجة العربي ولا ارى مانعاً من اقرار المستعملين على استعمال ما كان من الاول اذا تعذر ارجاعهم عنه .

وعن الصنف السادس بجواز استعمال الاساليب او التراكيب الأعجمية اذا كانت جارية مجرى الاساليب او التراكيب العربية كالأمثلة التي اوردها الاستاذ المقترح ولا مجال للتردد في جواز استعمال نظائرها والا وقعنا فيما فررنا منه من الجمود وعلى هذه الطريقة نهج فصحاؤنا المتقدمون والمحدثون كما يتضح ذلك كمال الوضوح لمستقري طبقاتهم وعصورهم ومحدثاتها من علوم وفنون وما اليهما مما تسرب اليهم من اختلاطهم بالامم المغلوبة والغالبة .

وعن الصنف السابع بمنعه البتة الا ما كان عامياً فصيحاً مهجوراً او محرفاً بعد ارجاعه الى اصله الفصيح . ولو أجزنا فتح الباب لاستعمال كل عامي لاختلط الحابل بالنابل ولشوهنا محاسن الفصحى .

كتاب الديارات

« تأليف ابي الحسن علي بن محمد الشابشتي »

نسخة محفوظة في دار الكتب الملوكية ببرلين وافق الفراغ منها في ليلة صباحها يوم الخميس السادس عشر من شهر ربيع الآخر سنة احدى وثلاثين وستمائة .

ورقة ١٢٤ — ١٣٥ : ديارات مصر التي تقصد للشرب فيها والتنزه بها .

فمنها « دير القُصير » — وهذا الدير في أعلى الجبل على سطح في قلته وهو دير حسن البناء محكم الصنعة نزه البقعة فيه رهبان مقيمون به وله بئر منقورة في الحجر يستقى الماء منها ، وفي هيكله صورة مريم في حجرها صورة المسيح عليه السلام والناس يقصدون الموضع للنظر الى هذه الصورة وفي اعلاه غرفة بناها ابو الحسن خمارويه بن احمد بن طولون لها اربع طاقات الى اربع جهات وكان كثير الغشيان لهذا الدير معجباً بالصورة التي فيه يشرب على النظر اليها وفي الطريق الى هذا الدير من جهة مصر صعوبة ، فاما من قبليّه فسهل الصعود والنزول والى جانبه صومعة لا تخلو من جبيس[1] يكون فيها وهو مطل على القرية المعروفة بشهران وعلى الصحراء والبحر وهذه القرية المذكورة قرية كبيرة عامرة على شاطئ البحر ويذكران موسى صلى الله عليه ولد فيها ومنها القته أمه الى البحر في التابوت ، فدير القصير هذا احد الديارات المقصودة لحسن موقعه واشرافه على مصر واعمالها وقد قال فيه شعراء مصر وذكروا طيبه ونزهته ، ولابي هريرة بن ابي العصام فيه :

اذكرني يا دير من قد مضى ... من اهل ودي ومصافاتي
كم كان لي فيك وفيهم معاً ... من طيب ايام وليلات
اشكو الى الله مصابي بهم ... وفقدنا اهل المروءات

ولمحمد بن عاصم في هذا الدير :

ان دير القصير هاج ادّكاري ... لهو ايامي الحسان القصار
وزماناً مضى حميداً سريعاً ... وشباباً مثل الرداء المُعار

(١) كذا في الاصل ولعل صوابه جليس .

عرفتني ربوعه بعد نكر فعرفت الربوع بالانكار
فلو ان الديار تشكو اشتياقاً لاشكت جفوني وبُعد مزاري
ولكادت تحوي تسير لما قد كنت فيها سيّرت من اشعاري
اذ صعودي على الجياد اليه وانحداري في المنقات الجواري
بصقور الى الدماء صوادٍ وكلاب على الوحوش ضواري
منزلاً لست محصياً ما لقلبي ولنفسي فيه من الاوطار
منزلاً من علوه كسماء والمصابيح حوله كالدراري
فكأن الرهبان في الشعر الاسـ ـود سود الغربان في الأوكار
غربه ذو البحار والانهار في ثياب من سندس ذي اخضرار
غردت بيننا الطيور فطارت بفؤاد المتيم المستطار
كم خلعت العذار فيه ولم ار ع مشيباً بمفرقي وعذاري
كم شربنا على التصاوير فيه بصغار محثوثة وكبار
صورة من مصور فيه ظلت فتنةً للقلوب والابصار
أطربتنا بغير شدو فاغنت عن سماع العيدان والمزمار
واشاراتها الى من رآها بخضوعٍ وذلةٍ وانكسار
لا وحسن العينين والشفة اللمـ ـياء منها وخدها الجلناري
لا تخلفت عن مزاري لدير هي فيه ولو نأى بي مزاري
فاقصرا عن ملامي اليوم اني غير ذي سلوة ولا اقصار
فسقى الله ارض حلوان فالنخل فدير القصير صوب العشار
كم تنبهت من لذاذة نومي بنعير الرهبان في الاسحار
والنواقيس صائحات تنادي حيّه نائماً على الابتكار
قبل ان يبلي الجديد الجديـ ـدان بليل معاقب لنهار
انما هذه الحياة عوار وعلى المستعير رد المعار

« دير مار حنّا » — وهذا الدير على شاطىء بركة الحبش قريب من البحر والى جانبه بساتين انشأ بعضها الامير تميم اخو امير المؤمنين العزيز بالله عليهما السلام ومجلس على

عمله حسن البناء مليح الصنعة مصور انشأه الامير تميم ايضاً وبقرب هذا الدير بئر تعرف ببئر نجاتي عليها جميزة يجتمع الناس اليها و يشربون عندها فهذا الموضع من مواضع اللعب ومواطن اللهو والطرب نزه في ايام النيل وزيادته وامتلاء البركة حسن المنظر نزه البقاع وكذلك في ايام الزرع والبوار ولا يكاد يخلو من المتطرحين والمتنزهين وقد ذكرت الشعراء حسنه وطيبه ولابن عاصم فيه :

يا طيب ايام سمحت مع الصبي　　طوع الهوى فيها بسفح المنظر
فالبركة الغناء فالدير الذي　　قد هاج فرط صبابتي وتفكري
فاحثث كؤوسك ياغلام واعفني　　فلقد سكرت وخمر طرفك مسكري
وارى الثريا في السماء كأنها　　تاج تفصل جانباه بجوهر
فاشرب على حسن الرياض وغنني :　　انظر الى الساقي الاغن الاحور
فلعل ايام الحياة قليلة　　ولعلني قدرت ما لم يقدر

وقال ايضاً :

أأيامي بشاطي البركتين　　سقاك الله نوء المرزمين
لقد أذكرتني طربي ولهوي　　ووكلت الفؤاد بلوعتين
ترى ايامنا فيك المواضي　　يعود وصالها من بعد بين
سقى الله البقاع ملث قطر　　واعطش منزلاً بالجلهتين
وطل الطيلسان بصوب طل　　الى النخلات فالجميزتين
ودار على المدار رهامُ مزن　　يسير الى جنان السروتين
وخصّ الربوتين فكم غزال　　ربيب بين تلك الربوتين
منازل قد شهدنا اللهو فيها　　باكرم معهدين ومألفين
فكم من بيعة عقدت لقصف　　وعزف في رياض البقعتين
وكم من مدنف قدحازوصلاً　　ونال مناه وسط المنبتين

« دير نهيا » — ونهيا بالجيزة وديرها من احسن الديارات وأنزهها وأطيبها ، عامر برهبانه وسكانه وله في النيل منظر عجيب لان الماء يحيط به من جميع جهاته فاذا انصرف الماء وزرع أظهرت اراضيه غرائب النوار واصناف الزهر فهو من المتنزهات الموصوفة

والبقاع المشهورة وله خليج يجتمع اليه سائر الطيور فهو ايضاً متصيد حسن وقد وصفه الشعراء وذكرت حسنه وطيب موضعه · ولعباس بن البصري فيه :

يا من اذا سكر النديم بكاسه — غرت لواحظه بسكر الفيق
طلع الصباح فاسقني تلك التي — ظلت فشبه لونها بالزئبق
قلبي الذي لم يُبق فيه هواكم — الا بقية نار شوق قد بقي
اوما ترى وجه الربيع وقدزهت — أنواره ببهاره المتألق
وتجاوبت أطياره وتبسمت — اشجاره عن ثغر زهر مورق
لم يندها طلل الرذاذ ببرده — حتى أفتح كل جفن مطبق
والبدر في وسط السماء كأنه — وجه مليح في قباء ازرق
يا للديارات الملاح وما بها — من طيب يوم مر لي بتشوق
ايام كنت وكان لي شغل بها — واسير شوق صبابتي لم يطلق
يا دير نهيا ما ذكرتك ساعة — الا تذكرت السواد بمفرق
والدهر غض والزمان مساعد — ومقامنا ومبيتنا بالجوسق
يادير نهيا ان ذكرت فانني — اسعى اليك على الخيول السبق
واذا سئلت عن الطيور وصيدها — ووحوشها فاصدق وان لم تصدق
فالغُر والكروان والفارور اذ — يشجيك في طيرانه المتحلق
اشهدت حرب الطير في غيطانه — لما تحرق منه كل محرق
ورأيت للبازي سطوة موسر — ولغيره ذل الفقير المملق
كم قد صبوت بفرتي في شرتي — وقطعت اوقاتي برمي البندق
وخلعت في طلب المجون حبائلي — حتى نسبت الى فعال الاخرق
ومهاجر ومكابر ومنافر — قلق الفؤاد به وان لم يقلق
لو عاين التفاح حمرة خده — لصبا الى ديباج ذاك الرونق
ياحامل السيف الغداة وطرفه — امضى من السيف الحسام المطلق
رافق بعبدك لا تطل اشجانه — وارفق به ياصاحب الثغر النقي

وكان ابن البصري هذا من الخلعاء المجان وله شعر يجري مجرى الهزل والطيب . وخدم ابا القاسم اونوجور بن الإخشيد فأحسن اليه وكساه وصار يركب معه وكان يلبس طيلساناً ازرق يتشبه بالقضاة وكان اونوجور قد حمله على برذون اصفر غليظ بطيء السير فكان اذا سار مع اقوام من اخوانه قال لهم صفوا لي موضعكم حتى الحق بكم وكان مليح المجالسة كثير المنادمة

« دير طمويه » — وطمويه في الغرب بازاء حلوان والدير راكب البحر وحوله الكروم والبساتين والنخيل والشجر فهو نزه عامر آهل وله في النيل منظر حسن وحين تخضر الارض فانه يكون بين بساطين من البحر والزرع وهو احد متنزهات مصر المذكورة ومواضع لهوها المشهورة . ولابن عاصم فيه :

واشرب بطمويه من صهباء صافية	تزري بخمر قرى هيت وعانات
على رياض من النوار زاهرة	تجري الجداول منها بين جنات
كأن نبت الشقيق العصفري بها	كاسات خمر بدت في اثر كاسات
كأن نرجسها من حسنه حدق	في خفية يتناجى بالاشارات
كأنما النيل في مر النسيم بها	مستلئم في دروع سابريات
منازلاً كنت مفتوناً بها يفعاً	وكن قدماً مواخيري وحاناتي
اذ لا أزال ملحاً بالصبوح على	ضرب النواقيس صباً بالديارات

الديارات المعروفة بالعجائب على ما ذكره اهلها ووصفوه عنها فمنها دير الخنافس وهو بين الموصل وبلد ... كثير الرهبان له يوم في السنة يجتمع الناس اليه من كل موضع فتظهر فيه الخنافس ذلك اليوم حتى تغطي حيطانه .

« دير الكلب » — وهو بين الموصل وبلد ... يعالج فيه من عضه كلب كلب فمن عضه كلب كلب بادر اليه فعالجوه منه يبرئ ومن مضت له اربعون يوماً من العضة لم ينجع فيه العلاج .

« دير القيارة » — وهو لليعقوبية على اربع فراسخ من الموصل في الجانب الغربي من أعمال الحديثة مشرف على دجلة تحته عين قير وهي عين تفور بماء حار تصب في دجلة

و يخرج منه القير فما دام القير في مائه فهو لين يمتد فاذا فارق الماء و برد جف وهناك قوم يجتمعون فيجمعون هذا القير يغرفونه من الماء بالقفاف ويطرحونه على الارض ولهم قدور حديد كبار وينخل له الرمل فيطرح عليه بمقدار يعرفونه وتوقد تحته حتى يذوب و يختلط بالرمل وهم يحركونه تحريكاً دائماً فاذا بلغ حد استحكامه قلب على الارض قطعاً مجمدة و يصلب و يحمل الى البلدان فمنه تقير السفن والحمامات وغير ذلك مما يستعمل فيه القير والناس يكثرون القصد لهذا الموقع للتنزه فيه والشرب ويستحمون من ذلك الماء الذي يخرج معه القير لانه يقوم مقام الحمامات في قلع البثور وله قائم وكل دير لليعقوبية والملكية فعنده قائم فاما ديارات النسطور فلا قائم لها ·

« دير برقوما » — وهذا الدير بميافارقين على فرسخين منها في جبل عال له عيد يجتمع الناس من كل موضع و يقصده اهل البطالة والخلاعة للشرب فيه وتحته برك تجتمع فيها الأمطار و برقوما هذا هو الشاهد الذي تزعم النصارى ان له سبعمائة سنة وانه ممن شهد المسيح وهو في خزانة خشب لها أبواب تفتح ايام أعيادهم فيظهر منه نصفه الاعلى وهو قائم وانفه وشفته العليا مقطوعان وذلك ان امرأة احتالت حتى قطعت أنفه وشفته ومضت بهما فبنت عليهما ديراً في البرية في طريق تكريت ·

« دير باطا » — وهذا الدير بالشرق وهو دير حسن عامر نزه في ايام الربيع ويسمى ايضاً دير الحمار وشاهده يعرف بمر يكس وهو ناء عن دجلة وعن المدينة وله باب حجر · ذكر النصارى ان هذا الباب يفتحه الواحد والاثنان حتى يتجاوز السبعة فان تجاوز السبعة لم يقدر احد منهم على فتحه ولا يفتحه حينئذ الا سبعة وذكروا ايضاً ان فيه غرابين تناسلا هناك لا يخلو منهما فربما طرقه اللصوص فدخلوه فان حصل فيه احد منهم صعد الغرابان على برج الدير فاذا أقبل اليه احد ممن يطرقه او يقصده تلقاه الغرابان يصيحان في وجهه كالمنذرين له · فيعلم ان في الدير قوماً فيرجع فان لم يكن في الدير احد لم يفعلا شيئاً من ذلك ·

« دير بربار بلبون بنواحي الس » — في هذا الدير كرمي الاسقف وفيه ايضاً بئر فمن لحقه بهق قصده واغتسل من البئر لم يبرح حتى يزول عنه ·

« دير العجاج » — وهذا الدير بين تكريت وهيت عامر كثير الرهبان وخارجه

عين ماء تصب الى بركة هناك وفي البركة سمك اسود وهو طيب عذب الطعم وحوله مزارع وخضر تسقى من تلك العين ·

« دير الجودي » — والجودي هو الجبل الذي استقرت عليه السفينة وبين هذا الجبل وجزيرة ابن عمر سبعة فراسخ وهذا الدير مبني على قلة الجبل يقال انه بني منذ ايام نوح عليه السلام وزعموا ان فيه اعجوبة حدثني بها بعض نصارى الجزيرة وهي ان سطحه يشبر فيكون عشرين شبراً ثم يعاد قياسه فيكون ثمانية عشر شبراً ثم يعاود فيكون اثنين وعشرين شبراً· في كل دفعة يشبر يختلف عدده ومن اعتبر ذلك وقاسه وجده كما ذكر ·

« كنيسة الطور » — وطورسينا هو الجبل الذي تجلى فيه لموسى عليه السلام وصعق فيه والكنيسة في اعلى الجبل مبنية بحجر اسود وعرض حصنه سبعة اذرع وله ثلاثة ابواب حديد وفي غربيه باب لطيف قدامه حجر لهم اذا ارادوا رفعه رفعوه وان قصدهم احد ارسلوه فانطبق على الموضع فلم يعرف مكان الباب وداخلها عين ماء وخارجها عين أخرى وزعم النصارى ان بها ناراً من نوع النار الجديدة التي كانت بالبيت المقدس يقدون منها في كل عشية وهي بيضاء ضعيفة الحر لا تحرق ثم تقوى اذا اوقد منها السرج وهو عامر بالرهبان والناس يقصدونه لانه من الديارات الموصوفة ·

ولابن عاصم فيه :

يا راهب الدير ما ذا الضوء والنور فقد اضاء بما في ديرك الطور
هل حلت الشمس فيه دون ابرجها او غيب البدر عنه فهو مستور
فقال ما حله شمس ولا قمر لكن نقرب فيه اليوم قورير

« بيعة الجهور » — وهذه البيعة بسريافوس من اعمال مصر عامرة كثيرة الرهبان لها اعياد يقصدها الناس وفيها على ما ذكره اهلها أعجوبة وهي ان من كانت به خنازير يقصد هذا الموضع ليعالج به فيأخذه رئيس الموضع فيضجعه و يأتيه بخنزير فيرسله على موضع الوجع فيأكل الخنزير الذي فيه لا يتعدى ذلك الموضع فاذا تنظف الموضع ذر عليه من رماد خنزير فعل مثل هذا الفعل من قبل ومن زيت قنديل البيعة فيبرأ ثم يؤخذ ذلك الخنزير فيذبح و يحرق و يعد رماده لمثل هذه الحال ·

« دير يُحنّس » — هذا الدير بدمنهور من اعمال مصر اذا كان يوم عيده اخرج

شاهده من الدير في تابوت فيسير التابوت على وجه الارض لا يقدر احد ان يمسكه ولا يحبسه حتى يرد البحر فيغطس فيه ثم يرجع الى مكانه ·

« بيعة اتريب » — وعيدها اليوم الحادي والعشرون من بؤنة يذكرون ان حمامة بيضاء تجيئهم في ذلك العيد فتدخل المذبح لا يدرون من اين جاءت ثم لا يرونها الى يوم مثله ·

وبنواحي اخميم دير كبير عامر يقصد من كل موضع وهو بقرب الجبل المعروف بجبل الكهف وفي موضع من الجبل شق اذا كان يوم عيد هـذا الدير لم يبق من الطير المعروف ببوقير شيء في ذلك المكان وهو به كثير حتى يجيء الى الموضع فيكون امراً عظيماً لكثرة هذه الطيور واجتماعها وصياحها عند ذلك الشق ثم لا تزال واحداً بعد واحد يدخل رأسه في ذلك الشق فيصيح و يخرج و يجيء غيره فيفعل كفعله الى ان تعلق رأس احدها و ينشب في الموضع فيضطرب حتى يموت فحينئذ يتفرق الباقي وترجع الى مواضعها فلا يبقى منها طائر · والله أعلم » اه وهو آخر الكتاب .

توفيق ابكار بوس

آراء وافكار

عدة الكاتب(١)

قالوا كتب الكتابَ وكتّبه تكتيباً ورقمه رقماً وذبَره (ـُـ) ذبراً وذبّره تذبيراً واكتتبه ولمقه لمقاً ولموقاً ونمقه نمقاً ورسمه رسماً وازدبره وطرّسه وسطره سطراً ولقمه لقماً ونبقه نبقاً ورقّنه ترقيناً ووحاه يحيه وحياً وسفَره سفراً ورقَنه .

وقد نزّل المحاسب الرقم اي رقمه . ونقر في الحجر نقراً : كتب . وانتقر الشيء : كتبه يقال ما ترك عندي نُقارة الا انتقرها اي ما ترك عندي شيئاً الا كتبه .

واودع كتابه كذا : كتبه فيه ، ووقع الكاتب في الكتاب أجمل بين تضاعيف سطوره مقاصد الحاجة وحذف الفضول . وزبر الكتاب كتبه وقيل كتابة غليظة وكذا زبّره تزبيراً وقد سطَر الكاتب سطراً : كتب وكذا خطّ بقلمه او غيره وخطّ الشيء : كتبه بقلم او غيره . ورسم على كذا : كتب وخطّ .

ورشم (ـُـ) رشماً ورشّم ترشيماً : كتب . ورقّش الصحيفة : سطّرها . وخطّط عليه اعماله ، سطرها . وعشّر المصاحف ، جعل العواشر فيها . ونفث القلم ، كتب . وقد عين العين تعييناً ، كتبها ومثله غين غيناً وكوّف كافاً ولوّم لاماً وظيّأ ظاءً وموّم ميماً ونوّن نوناً وييّأ ياءً ، وفي التاج يايّتُ ياءً حسنة . وصوّد صاداً وتيّأ تاءً وذوّل ذالاً وووّى واواً وأوّاها الخ .

وهي الكتابة والتزبرة والسطر والنميم والنميمة والزبر ، والغيلُ وهو الخط تخطه على الشيء وقالوا اشهد على رسم القِبالة اي على كتابة الصحيفة وفي الاساس كل من تقبل بشيء مقاطعة وكتب عليه بذلك الكتاب فعمله القِبالة والكتاب المكتوب عليه هو القَبالة .

واكتب فلاناً قصيدةً ، املاه اياها واستكتبه القصيدة ، استملاها . وأمللت الكتابَ على الكاتب املالاً وأمليته عليه إملاءً . القيته عليه اي قلته له فكتب عني . واستملاه استملاءً ، سأله الاملاء وفي اللسان استمليته الكتاب ، سألته ان يمليه عليه .

---

(١) ما لم يذكره الاستاذ الجندي اتماماً للفائدة .

والقى عليه القول ، أملاه · ودبر الكتاب ، اكتتبه وهو كالتعليم · والامالي ، الاقوال والمخصات وما يملى ·

وكاتبه مكاتبةً ، كتب احدهما الى الآخر — وفلاناً : كتب معه · وتكاتب القوم كتب بعضهم الى بعض ·

واكتب الرجل إكتاباً ، وجده كاتباً · واستكتبه اخذه كاتباً ·

وشكَل الكتاب وأشكله ، أعجمه كأنه أزال عنه الإشكال والالتباس · ومثله قيّده تقييداً اي شكله بما يزيل الاختلاط ويمنع الالتباس فهو كتاب مقيّد · وضبط الكاتب كتابه ، صححه وشكله · ورقم الكتاب ، أعجمه وبينه · ورقّن الخط ترقيناً ، أعجمه ليتبين — ونقطه · وأعجم الكتاب ، أزال عجمته وابهامه بوضع النقط والحركات والاعراب — وخلاف أعربه · وقيّد الخط ، نقطه وأعجمه وشكله · ونوّن الكلمة ، ألحقها التنوين ·

ونقط الحرف نقطاً ، أعجمه وجعل له نقطاً فهو ناقط والحرف منقوط · ومثله نقطه تنقيطاً — وثوبه بالمداد ، لطخه بنقط منه · ووكت الكتاب يكت وكتاً وذبره وذبّره ورقّن الخط · وقد عجم الكتابَ والحرف عجماً وأعجمه وعجّمه اي نقطه بسواد والنقطة اسم من النقط — وعلامة شبه كرة صغيرة تجعل فوق الحروف المعجمة او تحتها لتميز بعضها من بعض ج نقط ونقاط · ونقط عليه ، وضع عليه نقطة · وقد اهمل الحرف ضد اعجمه · وجرّد الكتابة تجريداً عرّاها من الضبط ·

وهذا كتاب مُدمق اي لطيف · وخط رشيق ، ظريف · وكتاب التحاسين ، ما كتب بالتأني ومراعاة النظام والقاعدة خلاف المشق · والزقش ، الخط الحسن · وقد جود خطه ونمقه وحسنه وتأنق وتنوّق فيه ·

وطرّس الكتاب ، سوّده · والمسوّدة عند الكتاب والطباعين ما يكتب او يطبع ابتداءً بقصد المراجعة ويقابلها المبيّضة ·

وطرّس الكاتب تطريساً اعاد الكتابة على المكتوب · وجندر الكتاب ، امرّ القلم على ما درس ليتبين ·

ونسخ الكتاب ، نقل صورته المجرّدة الى كتاب آخر يقال ما نسخ هذا الكاتب

الكتاب بل مسخه وكذلك انتسخه واستنسخه ونقله نقلاً وقد استنسخ الكتاب ، طلب نسخه . والناسخ من صنعته نسخ الكتب . والنسخة ، الكتاب المنسوخ ج نسخ — والكتاب المنقول لانه قام مقامه .

وعمس الكتاب عمساً ، درس ومثله محح محّاً ومححاً (ـُـ ـَـ) ومحوحاً ومحوحة . وامّح إمحاحاً . وقد مصح الكتاب مصحاً ومصوحاً اي درس اوقارب ذلك . والاعور ، الكتاب الدارس .

وقابل الكتاب بالكتاب ، قرأه عليه ليرى أهو منطبق عليه ام غير منطبق فيطبقه مثل عارض الكتاب بالكتاب وفض ختم الكتاب وفض الخاتم عن الكتاب ، كسره وفتحه .

وضرب على المكتوب ، ختم . وطان كتابه يطين طيناً ، ختمه بالطين ومثله أطانه . وقد ختمه اي جعل عليه الختم ومثله لطمه تلطيماً .

ووقّع العهد ، رسم عليه طغراء السلطان . وتوقيع السلطان ، طغراؤه . والموقّع ، حافظ التوقيع — وكاتبه . والامضاء في اصطلاح التجار والكتاب اسم الرجل او علامته يكتبه بيده في ذيل الصك او الكتاب تثبيتاً له . والتوقيع ، ما يوقّع في الكتاب — والحاق شيء في الكتاب بعد الفراغ منه .

ونحّص الكتاب تحيصاً ، احكمه .

ومسخ الكاتب ، صحّف فأحال المعنى في كتابته يقال فلان ماسخ لا ناسخ اذا كان ممن يكثر الخطأ في كتابته . وهذا اللفظ مصحف عن كذا ، اي مغير عنه ، والشطبة ، خط يمد على الغلط الواقع في الكلام وقد شطبه اي مد عليه خطاً .

وطلس الكتاب ، محاه ومثله قمه ، طرس الكلمة ، ازال كتابتها . وكشط الحرف ، ازاله عن موضعه . وطرمس الكتابة ، محاها . وكذا اطمل الدفتر وانجل الصبي لوحه مثل نجله وقد اطلّس الكتاب اي انمحى . ... شيء تمحى به الواح الصبيان .

ورمّل الكاتب خطه ترميلاً ... الرمل ليشرب فضلة الحبر منه (مولدة) .

وسلاسل الكتاب ، سطوره يقال مااقوم سلاسل هذا الكتاب ومثله بابات الكتاب وكتاب مرقوم ، مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لاخير منه .

وحرَّر الكتاب تحريراً ، قومه وحسنه بإقامة حروفه واصلاح سقطه ، وصححه تصحيحاً ، ازال سقطه .

ويرادف الحق ، التوقيع والتذنيب . والإزار عند اهل الديوان ما يكتب في آخر الكتاب من نسخة عمل او فصل في بعض المهمات تقول ازَّر الكتاب بكذا وصدَّره بكذا وجمع الإزار آزرة وازرٌ .

والمكتوب ، الرسالة تبعث من واحد لآخر ج مكاتيب . وكذا المُلِظَّة مأخوذة من معنى الالحاح والملازمة . والوصل ، الرسالة ترسلها الى صاحبك ج وصول (محازية) والمُنْمَلُ والمُنَمَّلُ ، المكتوب او المتقارب الخط . والوَحيُ المكتوب ايضاً وكذا الملأك والملأكة والألوك والألوكة والمألُكة والمألُك والرِسالة وهي الصحيفة التي يكتب فيها الكلام المرسل ج رسالات ورسائل ومثله الرسول ج رُسُل ورسْل وأرْسُل ورسلاء ، والرَّسيل . والمرسوم ج مراسيم ومراسم . والرَّقيم والرَّقين . والمُغَلْغلة وهي الرسالة المحمولة من بلد الى بلد تقول أبلغ فلاناً مغلغلة .

ويسمى جواب الرسالة الرَجْع والرُجعى والرُجعان والرُجعةُ والرَجوعة والمرجوع والمرجوعة .

والإسْطار والأسطور والأسطير ، ما يُسطَر او يكتب ويستعمل في الحديث الذي لا نظام له والحكايات ج أساطير .

والمصحف مثلثة الميم ، الكرَّاسة بمعنيها ، يجمع الصحف او ما جمع منها بين دفتي الكتاب المشدود ج مصاحف . والمصنَّفات والتصانيف ، ما صُنِّف من الكتب واحدها مُصنَّف وتصنيف . والمَحْضَر ، السجل .

والفصل من الكتاب ، قطعة منه مستقلة منفصلة عن غيرها ج فصول ويطلق الفصل في الاصطلاح على طائفة من المسائل فصلت عن غيرها لغرض . والمقالة ، القطعة من الكتاب . الكرَّاس الجزء من الكتاب يحتوي في الغالب على ثمان ورقات ج كراريس والكُرَّاسة ، الكُرَّاس وربما أريد بها مجموعة صغيرة دون الكتاب . وقد كسَّر الكتاب على عدة أبواب اي جعله عدة أبواب .

وحشَّي الكتاب تحشيةً ، علَّق عليه حاشية فالكتاب محشَّىً . والتعليقة ما عُلِّق

على حاشية الكتاب من شرح ونحوه ج تعاليق . والحاشية ، جانب الكتاب — وما علق على حاشيته من الشروح والزيادات ج حواشٍ ومثل الحواشي التلويحات . وهذا كتاب مخدوم اي كثرت عناية الناس به فشرحوه وعلقوا عليه الحواشي . وقد ذيّل الصحيفة تذييلاً اي كتب شيئاً في ذيلها زيادة عما فيها .

ووقّع الرجل في اضعاف كتابه اذا وقع بين سطوره وحواشيه . والضعف واحد أضعاف الكتاب اي اثناء سطوره ومثل الأضعاف التضاعيف ويقال انفذته درج الكتاب وطيّه وثِنْيِه وضمنه وعطفه . واطواء الكتاب ، اثناؤه .

وعنّى الكتاب تعنية ، وسمه بالعنوان وكذا علاّه تعلية وعنونه وعلونه علونة وعلواناً اي كتب على ظهره اسم المكتوب اليه . وعنّاه وعنّنه وأعناه وعناه يعنوه عنواً . وهو العلوان سمي به لانه يعلو الكتاب وقيل الصواب العنوان ويسمى ايضاً العُليان والمعنّى يقال معنّى هذا الكتاب جميل . والصدر وهو عنوان الكتاب واوله .

وهي الصحيفة والصحيف والمُلَيْكة والعجوز . والدرج وهو الصحيفة يكتب عليها وتُطوى اوتُلف . والطومار والطامور ج طوامير . والرجل وهو القرطاس الابيض . والمجلة وهي الصحيفة فيها الحكمة .

وورق الكتاب قيل هو اسم الجلود رقاق يكتب فيها وهو مستعار من ورق الشجر ج اوراق . والقائمة ، الورقة من الكتاب ج قائمات وقوائم . واللائحة ، ورقة مفتوحة تدرج فيها الاعمال الحسابية او غيرها ج لوائح . والطلحية ، الورقة من القرطاس . والجُزازة ، ورقة تعلق فيها الفوائد ج جزازات . والمدرجة ، الورقة التي تكتب فيها الرسالة — ويدرج فيها الكتاب . والرقعة ، القطعة من الورق تكتب .

والإضبارة ، الحزمة من الصحف ج أضابير تقول عنده أضابير من الصحف وكذلك الضُبارة والضِبارة والإضمامة وقد ضبّر الكتبَ ضبراً اي جعلها اضبارة او جمعها . والدفتر جماعة الصحف المضمومة ج دفاتر .

ومقدمة الكتاب ، فصل يعقد في اوله ومثلها خطبته . وأمّ الكتاب ، الفاتحة او اصله . وديباجة الكتاب وترجمته ، فاتحته . وقد صدّر المؤلف كتابه اي جعل له صدراً اي ديباجة .

وفهرس الكتاب فهرسةً ، عمل له فِهرساً وهو الكتاب تجمع فيه اسماء الكتب — ودفتر في اول الكتاب او آخره يتضمن ذكر ما فيه من الابواب والفصول ومواضعها منه ليسهل الوقوف على المطلوب منها وهو المتعارف الآن معرَّب فهرست ج فهارس . والثَبَتُ ، الفهرس الذي يجمع فيه المحدث مروياته وأشياخه قيل هو من اصطلاحات المحدثين .

والصكُّ كتاب الاقرار بالمال وغيره ج صكوكٌ وأصُكٌّ وصِكاك . والوِصْرُ ، الصكُّ الذي يكتب فيه السجلات كالإصر ويطلق غالباً على كتاب الشراء وهو المعروف اليوم بالحجة ج أوصار ومثله الوَصيرة والأُوصرُ والوَصرَةُ . ويسمى الصك ايضاً ، ذكر الحقّ ج ذُكور الحق وذكور حقوقٍ .

ووضع الكتابَ وضعاً ، ألَّفه وصنفه . وسطَّر ألَّف الاساطير . ونمَّق الكتابَ سطَّره منمقاً منسقاً مرتباً — او جمعه وجوَّده . والمصنّف ، مؤلف الكتاب . والغُفْل الكتاب الذي لم يسمَّ فاعله .

ورقم الكاتبُ ، جعل على رقاع ديوان الخراج وتوقيعاته وحساباته علامة لئلا يتوهم انها بُيّضت كي لا يقع فيها حساب وكذلك رقَّن ترقيناً .

ومرفعُ الكتب ، شيءٌ ترفع عليه .

وجدول الكتاب جدولةً ، عمل له جدولاً وهي كلمة مولدة يراد بها شبكة من خطوط تحتوي مجموع قضايا على وجه مختصر يمكن الوقوف عليه دفعةً واحدة كجدول الكليات في المنطق وجدول الضرب في الحساب .

وجمل الكتاب قودين ، طوى اولاً على أمثاله حتى صار نصفين . ويقال ان كتبه سفاتج اي رائجة رواج السفتجة . وان كتبه في طبقة اي متواترة . وهذا كتاب مبروز اي منشور . وهذا قرطاس ذو أُكَلٍ اي صفيق .

النبك : سالم خليل رزق

حول الجزء السابع والرابع
« من ارشاد الأريب[1] »

باشرت منذ عهد قريب بطبع كتاب (الإفصاح عن معاني الصحاح) لعالم الوزراء يحيى بن محمد بن هبيرة المتوفى سنة ٥٦٠ وهو كتاب جليل ذكر فيه مؤلفه ما اجمع عليه فقهاء المذاهب الأربعة وما اختلفوا فيه بصورة سهلة قريبة التناول فدعاني ذلك ان البحث عن ترجمة المؤلف فوجدت من جملة من ترجمه العلامة ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة وهذا الكتاب منه نسختان خطيتان في المكتبة الظاهرية بدمشق فاستنسخت لي بواسطة بعض اهل الأدب والفضل ولما تلوتها وجدت في اواخرها مانصه :

وذكر ياقوت في كتابه معجم الأدباء ان الوزير عرضت عليه جارية فائقة الحسن وظهر له في المجلس من ادبها وحسن كتابتها وذكائها وظرفها ما أعجبه فأمر فاشتريت له بمائة وخمسين ديناراً الخ .

فهذه العبارة تفيد ولا ريب ان للوزير ترجمة في معجم الأدباء فتصفحت الجزء السابع الذي نجز منذ عهد قريب وكتب عنه السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي كلمة في (م ٧ ص ٢٣٣) وفيه حرف الياء فلم اجد ذكراً للمترجم في حين انه قد ذكر جميع من اسمه يحيى وذكر بعده من اسمه يزيد و يعقوب واليمان ويموت و يوسف و يونس .

فعدم ذكر ترجمة الوزير يحيى بن هبيرة بين هؤلاء مع ما لاحظه السيد محمد كرد علي من قصر التراجم فيه وفي الجزء الرابع الذي نشر بعده حيث قال هنا وقد حوى هذا الجزء الاخير ٢٠٧ تراجم ليست في طولها على مثال ماورد للمشهورين من نوعها في الاجزاء السالفة . وقال في كلامه على الجزء الرابع (ص ٥٦٨) وقد لاحظنا في اكثر تراجم هذا الجزء اختصاراً لم يكن مألوفاً لياقوت ولعله كتبها ولم يعاود النظر فيها .

يجعلنا نشك في صحة نسبة هذين الجزءين لياقوت الرومي وان نغلب الظن انهما

---

(١) ارشاد الاريب الى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء لياقوت الرومي الذي نشره المستشرق (د . س مرجليوث) .

ملفقان لفقهما من باعهما لحضرة الاديب مارجليوث علماً منه بشغفه في احياء هذا الكتاب الجليل ورغبته الشديدة في تتميم اجزائه ·

فعسى ان يأتينا ناشره بما يزيل هذا الارتياب وعلى كل فأنا له من الشـاكرين على ما بذله من الجهود في سبيل نشره له والمأمول منه ان يواصل البحث عن الجزء الخامس الذي لم يعثر عليه بعد فتكمل بذلك اجزاء هذا الكتاب وتتم فائدته ·

حلب : محمد راغب الطباخ

عضو المجمع العلمي

مطبوعات حديثة

النهضة العلمية في المغرب الاقصى
« وشيء من آثارها الدالة عليها »

كنا نعلم أن في تونس من بلاد المغرب نهضة علمية ادبية . وكنا نتمنى مثلها للجزائر ومراكش فلم يخيب الله ظننا : فقد أخذ يبلغنا من وقت الى آخر : تارةً بالآثار العلمية القيمة التي يصنفها أبناء هذين القطرين العظيمين وتارةً بما نسمعه من افواه القادمين الى بلادنا من ذينك البلدين — وجود نهضة علمية وقيام علماء مصلحين يعملون على تنوير بلادهم وان كان الدهر فجعنا بعضو مجمعنا الكريم الاستاذ ابي شنب الجزائري فقد عوض الله تلك البلاد عنه بالاساتذة الحجوي والكتاني والرجراجي والجزولي وغيرهم من ابناء مراكش والجزائر . وان للاستاذ محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي (مندوب المعارف العامة في مملكة مراكش ووزيرها وأستاذ العلوم العالية بالقرويين) اهتماماً عظيماً بامر نشر العلم في تلك البلاد وتنبيه الافكار الى وجوب إحداث نهضة علمية تتمشى مع النهضات الاخرى في سائر الأقطار العربية وهو يعمل من دون ملل في هذه السبيل فيكتب ويؤلف و يخطب ويلقي المحاضرات الممتعة في الموضوعات المختلفة .

ومن آثار قلمه القيمة ما أهداه الى مجمعنا العلمي وهو :

(١) — كتاب (الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي) « القى المؤلف ملخص كثير منه بشكل محاضرات في نادي الخطابة الادبي بالمدرسة الثانوية بفاس . وموضوعه : كيف نشأ الفقه الاسلامي الى ان صار لما هو عليه الآن فبيّن فيه كيف كان فقه العرب ثم مرتبته من العلوم في الاسلام وأطواره الاربعة التي تطور فيها الاسلام :

(١) طور الطفولة . (٢) طور الشباب . (٣) طور الكهولة . (٤) طور المشيب والهرم .

ثم يعقب ذلك الطور العتيد طور التجديد هذا الى ما يتعلق بالاجتهاد والتقليد وقد وشح المؤلف كتابه بتراجم المجتهدين الثلاثة عشر مجتهداً وهم الذين دوّنت مذاهبهم في

صدر الاسلام وتراجم فقهاء الصحابة والتابعين ومن بعدهم من نخبة علماء المذاهب المقلَّدة وبالجملة فان مضمون هذا الكتاب فلسفة تاريخية اصولية للفقه الاسلامي وتاريخ لأشهر مشاهير فقهاء الاسلام ، ففيه تبيان لاصول الاجتهاد وتدريب عليه مع بيان اصول المذاهب الاربعة مملوء بالفوائد التي تتعلق بذلك جميعه .

فالقارئ الفطن يفهم مما تقدم فضل الاستاذ المؤلف ومبلغ الحاجة الى تأليفه لا في البلاد المغربية فقط بل في البلاد الاسلامية التي نهضت اليوم من مرقدها تبغي لنفسها مكاناً اجتماعياً راقياً يتلاءم مع الأمكنة التي تتبوءها أمم العالم .

هذا وكتاب (الفكر السامي) المذكور يتألف من اربعة ارباع كل ربع منها يتضمن طوراً من الأطوار الاربعة الآنفة الذكر .

وقد طبع منها ربعان فقط كل منها في جزء مستقل ، (الربع الاول) طور الطفولة من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم وفاته ، و (الربع الثاني) طور الشباب من زمن الخلفاء الراشدين الى آخر القرن الثاني .

أهدى المؤلف الى مجمعنا هذين الربعين او الجزئين : الاول منهما في (١٦٠) صفحة والثاني في (٢٤٠) صفحة وقد طبعا في مطبعة النهضة بتونس وانا لنرجو ان يوفق المؤلف الى طبع الربعين الآخرين .

(٢) — ومن آثار الاستاذ الحجوي المهداة الينا (المحاضرة الرباطية في اصلاح تعليم الفتيات في الديار المغربية) وقد ألقى الاستاذ هذه المحاضرة في معهد الدروس العليا بالمؤتمر الذي انعقد برباط الفتح سنة ١٩٢٢ م وقد نشرتها جريدة (النهضة) التونسية ومن يوم القائها ونشرها تقدم تعليم البنات بسرعة مدهشة : حتى في المدينة التي كانت متعصبة كفاس كان عدد التلميذات ٣٧٤ فبلغ الآن نحو ١٤٠٠ تلميذة رغماً عن معارضة بعض الاعيان في ذلك عندما سمعوا المحاضرة تلقى جهراً في المؤتمر . وكل من يهمه موضوع المرأة المسلمة وتعليمها ينبغي له مطالعة هذه المحاضرة المفيدة وقد طالعتها واستفدت منها .

(٣) — رسالة جيدة الطبع والورق في (٤٦) صفحة تتضمن طائفة من المحاضرات التي ألقيت في معهد الدروس العالية وذلك حينما افتتحت ردهة المحاضرات السنوية بالعربية

والافرنسية بصورة رسمية في المعهد العلمي برباط الفتح وذلك في ٢٢ كانون الاول سنة ١٩٢٤ . وقد حضر الاحتفال المارشال ليوتي وهو الذي ترأس الحفلة وافتتحها بخطاب مسهب ارتجله ارتجالاً في هذه الرسالة مقدمة وصفت فيها تلك الحفلة والذين خطبوا فيها . وبعد المقدمة صورة خطاب الصدر الاعظم لدولة مراكش الفقيه سيدي محمد المقري ثم خطاب مندوب المعارف سيدي محمد الحجوي . ثم مسامرة (اسي محاضرة) الفقيه السيد محمد السائح وموضوعها (رسو الارض بالجبال) . ثم مسامرة الشريف المؤرخ مولاي عبدالرحمن بن زيدان العلوي المكناسي وموضوعها (مبادي علم التاريخ) ثم خطاب الدكتور ليفي بروفنسال مدير القسم الخطي من المكتبة العلمية ومدير القسم العربي بالمعهد العلمي وهو ختام الحفلة . ومن مضامين هذه الرسالة يتبين للقارئ مبلغ النهضة العلمية في الشرق الاقصى وحسن اتجاهها الى ما يرقي الفكر ويثقف العقول .

(٤) — رسالة تتضمن محاضرة القاها الاستاذ الحجوي وزير المعارف المشار اليه في نادي المسامرات (المحاضرات) بحاضرة فاس وموضوعها (مستقبل تجارة المغرب) وقد ضمنها أفانين من الاحوال التجارية من الوجهة الدينية والاقتصادية والتاريخية وفند اول كلام المؤرخ ابن خلدون في تاريخه (ان التجارة نازلة عن خلق الرؤساء وبعيدة من المروءة) فقال ان المراد بها تجارة اولئك الضواطرة الذين ينزلون الأسواق وليس معهم من آداب التجارة وعلومها سوى الختل والخديعة . «المغربي»

كتاب الالبان

«للأستاذ عمر الترمانيني مدرس علم الألبان في مدرسة سلمية الزراعية»

«وصاحب مجلة (الزراعة الحديثة) وهو يقع في ٢٤٨ صفحة من القطع المتوسط»

هذا أحسن كتاب عربي رأيته في الالبان وما يصنع منها وقد بحث فيه المؤلف عن الحليب وبنائه وخواصه واستعمال المقاييس لمعرفة نسبة الماء والسمن فيه منعاً للغش وفرز الكشأة عنه والفرازات المستعملة لهذا الغرض والماخض والمعاجن اللازمة في صناعة الزبد ، ثم صنع انواع الجبن المختلفة وصنع اللبن الرائب والمشروبات التي أساسها الحليب الخ .

وقد وُفق المؤلف في سرد الأبحاث وسلسلة الجمل ولم ينس ان يذكر المصنوعات التي تصنع في بلادنا مما لا يراه المرء في اللغات الاجنبية او يراه فيها مقتضباً كالجبنة الحلبية وجبنة قشقوال والجبنة الشركسية واللبن الرائب والسمن . والكشك والجبنة السوداء (شنكليش) والأقط وغيرها . ومن رأيي انه اسهب في ذكر بعض أنواع الجبن الاوربية مما يصعب جداً صنعه في اقاليم الشام وعلى العكس اوجز في ذكر بعض المصنوعات البلدية كاللبن الرائب مثلاً فهو لم يبحث عن إمكان صنعه بدقيق اللبن الرائب المجفف (وكثيراً ما أستحضر هذا الدقيق في البيت وأروب الحليب به) او باللاكتوجن اواللاكتو باسيلين وهما يردان من اوربة .

ولم يذكر المؤلف في بناء دور الحلابة ما يجب لاتقاء ارتفاع درجة الحرارة وهو امر هام في بلادنا وان كان لا يهم الاوربيين . ولم يذكر ايضاً السم الذي تولده بعض الطفيليات في الجبن الطري لا سيما وهذه المسألة قد اشغلت ادارة الصحة كثيراً في ايامنا هذه .

ولغة الكتاب ناصعة في الجملة لكن هنالك بعض هفوات كثيراً ما يقع المؤلفون بمثلها كعدم اعرابه الفاظ الاوزان الفرنسية في بعض الأماكن وجعلها مؤنثة مع انها تستعمل مذكرة وكقوله حامض الكلوردريك والصحيح الحامض الكلوردريك وكايراد الجملة الآتية هكذا (فيها ٨٣٠ / ٣ كيلوغراماً) بنصب لفظة كيلو غرام والصحيح كسرها لان هذه الجملة تلفظ على الشكل الآتي (فيها ثلاثة كيلوغرامات وثمانمائة وثلاثون في الألف من كيلوغرام او من الكيلوغرام) .

وسمى كدرة الفرازة او ثفلها او بقاياها اوحالاً والصحيح استعمال احد تلك الألفاظ (ص ٩٧) . وقال ان الفرجنة بالفراجي مع انها تكون بالفرجون (ص ٢٢١) هذا اذا صح استعمال الفرجنة في هذا المقام . واستعمل لفظة غُبيرات لما يسمى بالفرنسية (Spores) في علم النبات . وهي لفظة كنت وضعتها منذ نحو ثماني سنوات في درس امراض الزروع ولا أظن ان احداً استعملها قبلي . ولا أزال أراها موافقة لما وضعتها له .

وفي الخلاصة ان الاستاذ الترمانيني لم يكتف بالترجمة عن الاوربيين بل درس الصناعات المذكورة عملياً وخبرها بنفسه وحقق عن اصلح الألفاظ العربية في الكتب

القديمة فكتابه إذن يسمي كتاباً . وكنت رغبته في طبعه أطبعه ورغبته من جديد في تأليف كتاب موجز في الطيور الدواجن وتربيتها وهو من الأبحاث التي يدرسها في سلمية فحبذا لو قام بهذا العمل وهو اهل لذلك . وحبذا ايضاً لو اقتدى به بعض معلمي تلك المدرسة كلٌّ فيما يتقنه وأخص منهم الذين كنت أرسلتهم لتلقي الدروس الزراعية العليا في فرنسة عندما كنت مديراً للزراعة .

عضو المجمع العلمي
مصطفى الشهابي

القاموس العصري
« عربي انكليزي »

اعاد السيد الفاضل ايلياس افندي انطون الياس طبع هذا القاموس للمرة الثانية بعد ان نقحه واكمل ما كان في الطبعة الاولى من النقص واهدى مجمعنا نسخة منه فوجدناه مجلداً ضخماً يقع في نحو ٧٥٠ صفحة من الورق الصقيل والقطع الكبير والطبع المحكم ، مزيناً بالرسوم لايضاح اشكال بعض الحيوانات والنباتات والآلات والادوات ولعله اصبح بعد هذا التنقيح والاضافة اجمع القواميس العربية الانكليزية الموجودة واوفاها بالغرض لسد حاجة طلاب العربية من عارفي اللغة الانكليزية .

وقد جرى المؤلف الفاضل في اختيار الالفاظ العربية على قبول جميع الكلمات الشائع استعمالها بين العلماء والكتاب وعدها عربية فصيحة بدون ان يشير الى المولد والدخيل والمعرّب منها بعلامات خاصة ، وهو معذور على هذا التساهل لان مثل هذا القاموس لايتسع لمثل هذه البيانات . وانما اشار الى الكلمات المصرية الدارجة املاً بتعميم استعمالها بين العرب او بتمهيد السبيل لابدالها بما يؤدي مرامها من العربية الفصحى .

اما الالفاظ الانكليزية فقد اختار المؤلف اقربها الى مدلول الكلمات العربية وتوخى ان يفسر الكلمة بكلمة واحدة تقابلها بالانكليزية وليس كما فعل اكثر مؤلفي القواميس الاخرى من تفسير معنى الكلمة العربية بعبارة انكليزية وقد لاحظنا انه عند تفسير الكلمات غير المألوفة بالاستعمال لايكتفي بذكر مقابلها الانكليزي فقط بل يفسرها بمرادف مألوف ،

مثل قوله « حيدر » اسد — (Lion) · حذف ـ طائر كالبط صغير (Teal) · وهذا أسلوب حسن لايضاح المعنى وازالة الابهام ·

وفي هذا القاموس مزايا كثيرة تجعله راجحاً على غيره · وتوجب للمؤلف الحازم شكر طلاب اللغتين فانهم يجدون فيه كل ما يبتغون من السهولة والايضاح · (ف)

الجامعة العربية

« تأليف السيد انطونيوس جمل طبع في سانتياغو عاصمة تشيلي سنة ١٩٢٨ »

« ص ١٦٠ بحجم صغير »

مؤلف هذه الرسالة منشئ مجلة العواطف في سانتياغو ومن كتّاب السور بين في المهجر · ذكر رحلته الى كثير من بلاد الجنوب في اميركا واجتماعه بطبقات مختلفة من الشاميين يدعوهم الى الجامعة العربية اوالى تأليف ولايات عربية متحدة دستورية فكتب مالقي في هذه السبيل بجرية دل بها انه تحرر من قيود كثيرة فكانت كتاباته مرآة انعكست عليها اخلاق الشاميين وراءالبحار · وهي حرية بان ينظر فيها كل من تهمه مثل هذه الموضوعات الاجتماعية · م · ك

كتاب الفراسة لفليمون

« وجمل احكام الفراسة للرازي »

طبعها وصححها الشيخ محمد راغب الطباخ في مطبعته العلمية بحلب سنة ١٣٤٧ — ١٩٢٩ الاول في ٤٧ ص والثاني في ١٠ ·

هذا الفن من جملة ما خاض عبابه بعض علماء العرب وقلّ ما نشر منه وهو ان لم يكن من العلوم المقررة المحررة يفيدنا نشر بعض ما كتب فيه في الاطلاع على مذاهب القوم في هذا الشأن وأسلوبهم في وضعه وما استعملوه من مصطلحاته ولذلك يستحق الناشر الثناء على همته بنشر فراستي فليمون والرازي · م · ك

ابطال الاسلام

« تأليف السيد زكريا احمد رشدي الطبعة الثانية سنة ١٣٤٦ — ١٩٢٨ »

« مطبعة الرشديات بالاسكندرية ص ٩٥ »

للمؤلف عدة كتب في الاجتماع والتربية وهذا المختصر هو في سيرة الخلفاء الاول ابي بكر وعمر وعثمان وعلي (رضي الله عنهم) وما تخلل ايامهم من المبادئ الاجتماعية الخطيرة بعبارات منسجمة وتنسيق جميل . وحبذا لو اكمل المؤلف هذه السلسلة المفيدة للناشئين واستوفى جميع رجال الاسلام على هذا الطراز . م . ك

سورية ولبنان

« على عهد الاحتلال والانتداب الافرنسي »

— من سنة ١٩١٩ — ١٩٢٧ ص ٣٣٦ —

La Syrie et le Liban sous l'occupation et le mandat français 1919-1927.

Berger-Levrault, Editeurs. Nancy-Paris-Strasbourg.

هذا كتاب بالافرنسية بل وثيقة رسمية في اعمال الانتداب الافرنسي في سورية ولبنان بدأه مؤلفوه بالكلام على جغرافية البلاد ومساحتها وحدودها ومناخها ومياهها وكيف كانت البلاد بعد الحرب العامة على عهد الاحتلال الانكليزي ثم الافرنسي ثم ايام الانتداب الافرنسي وكيف نظم الانتداب البلاد فقسمها الى اربع دول وكيف اصلح القضاء والمحاكم والسجون والامن العام والمالية والمسكوكات والتعليم والآثار القديمة والاشغال العامة من السكك الحديدية والكهربائية والمياه والبلديات والكمارك والزراعة والتحريج والصناعات والتجارة والاصطياف والاوقاف والصحة والشرطة الخ . وبالجملة فكل ما له علاقة بتنظيم البلاد بالنظام الاخير . كل ذلك بالارقام التي تنطق بصراحة وحبذا لو تصدى بعضهم الى نقله الى العربية ليستفيد منه ابناء البلاد ايضاً . م . ك

الجزء ٩ المجلد ٩

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) آب : سنة ١٩٢٩ م الموافق صفر وربيع الاول سنة ١٣٤٨ هـ

عبد الحميد الكاتب (١)

منشؤه واصله

هو عبد الحميد بن يحيى مولى العلاء بن وهب العامري من عامر بن لؤي . ولؤي ينتهي اليه عدد قريش وشرفها ومن ولده عامر بن لؤي وولده حسل ومعيص . وقد قيل في نسبه انه عبد الحميد بن يحيى بن سعد بن عبد الله بن جابر بن مالك بن حجر بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب . ومعظم الروايات ترجح ان والده كان من الموالي . واذا صح ذلك كان من اصل غير عربي . اللهم الا اذا ثبتت سلسلة نسبه التي انتهت بابن عامر بن لؤي بن غالب . وفي رواية ان جده من سبي القادسية يتلون عامر بن لؤي . وان كان اصله من سبي القادسية فهو فارسي الاصل لا محالة . واذا قلنا بانه من اصل فارسي فيكون جده انضم الى عامر بن لؤي ، وقد ينضمّ الرجل الى غير قبيلته بالحلف والموالاة فينتسب اليهم . والاصطخري يقول ان عبد الحميد كان ممن يصلح من الفرس للدواوين من الكتاب والعمال والادباء . وكان له في بني أمية ولاء ينسب اليهم فنسبته الى عامر نسبة ولاء اذاً .

وانت تعلم ان المولى عند العرب دون الحر الصريح ، وفوق العبد الرقيق في المرتبة . والمولى كالقريب ينزل منزلة ابن العم يجب على صاحبه ان ينصره و يرثه اذا مات ولا وارث

---

(١) المحاضرة التي ألقاها الاستاذ السيد محمد كرد علي في ردهة المجمع العلمي العربي بتاريخ ١٤ كانون الاول سنة ١٩٢٨ م .

له ، ومنه حديث الزكاة « مولى القوم منهم » والمولى هو الصاحب والقريب والجار والحليف والجمع موالي . ويكون المولى مولى عتاقة ومولى تباعة ، فمولى العتاقة هو الذي يكون عبداً او اسيراً فيعتقه صاحبه فيصبح المعتَق للمعتِق مولىً . ومولى التّباعة هو من يصطنع او يحالف اي يستتبع . ومن الولاء ايضاً مولى الرحم من يتزوج في قبيل فينسب الى قبيلهم . ودية المولى نصف دية الحر وكذلك حكمه في العقوبات يناله منها نصف ما ينال الحر . اما في المواريث فمولى العتاقة يورث مولاه ولا يرث منه ، ومولى التّباعة لا يرث ولا يورّث . وحكم مولى الرحم كحكم الاحرار يرث و يورّث .

وكان الموالي في الجاهلية من اجناس ونحل مختلفة ، فلما كان الاسلام أصبح غير المسلمين ذمة . وكانت في الجاهلية دية المولى وهو الحليف خمساً من الابل ودية الصريح عشراً . والصريح الخالص النسب . والولاء بفتح الواو القرابة ، و بالكسر ميراث يستحقه المرء بسبب عتق شخص في ملكه او بسبب عقد الموالاة . اذا عرفت هذا فليس أمامك ما يمنع من ان تجعل عبدالحميد من اصل عربي وان كان جده مولى تباعة لا مولى عتاقة كأن يكون قد تزوج من بني عامر وانضم اليهم بسبب . هذا على شريطة ضعف الرواية القائلة بان أجداده من سبي القادسية . وهناك تكون الفارسية أعلق ببيته من شعرات قصه .

وكان بنو أمية كثيراً ما يعتمدون على الموالي في كتابتهم ودواوينهم ، فلم تمنعهم اصولهم من تولي أهم مناصب الدولة . فقد ذكر ابن جرير الطبري ان من كتاب معاوية مولاه عبد الرحمن بن درّاج . وكان على ديوان الرسائل لعبدالملك بن مروان ابوالزعيزعة مولاه ، وكتب للوليد على ديوان الخاتم شعيب العماني مولاه وعلى ديوان الرسائل جناح مولاه وعلى المستغلات نُفَيع بن ذؤيب مولاه . وكان يكتب لمسلمة سميع مولاه وعلى ديوان الرسائل الليث بن ابي رقية مولى الحكم بنت ابي سفيان وعلى ديوان الخاتم نُعيم ابن سلامة مولى لاهل اليمن من فلسطين . وكان يكتب لعمر بن عبد العزيز الليث بن ابي فروة مولى أم الحكم بنت ابي سفيان وكتب له اسماعيل بن ابي حكيم مولى الزبير . وكتب للوليد بن يزيد على ديوان الرسائل سالم مولى سعيد بن عبد الملك وكان عمرو ابن الحارث مولى بني جُمَح يتولى ليزيد بن الوليد الناقص ديوان الخاتم — وكان من الموالي على ديوان الرسائل لمروان بن محمد عثمان بن قيس مولى خالد القسري .

أدبه وتأديبه

لا جرم ان ما اتصل بنا من اخبار عبد الحميد لم تصور لنا منه صورة صحيحة تامة ، فما عرفنا مولده ولا البلد الذي وِلد فيه من بلاد الشام ، ولا نوع دراسته وأساتذته . ولكننا عرفنا انه شامي عاصر بعض الخلفاء من الأمويين ممن أقاموا العدل ، ودوّخوا البلاد وعمروها بالاحسان ، وكانوا أمة وحدهم في الخير وفي دمهم انتقلت سياسة الملك وحكم الرعية . مثل سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك . و يقول ابن خلكان ان عبد الحميد كان من اهل الأنبار وسكن الرقة فان صحت روايته كان عراقياً غير شامي . وأطلق عليه ابن عبد ربه اسم عبد الحميد الاكبر وعده ممن نبل بالكتابة وكان قبل خاملاً وقال انه كتب لعبد الملك بن مروان وليزيد ثم لم يزل كاتباً لخلفاء بني أمية حتى انقضت دولتهم . وفي هذا القول نظر لان عبد الملك تولى سنة خمس وستين وتوفي سنة ست وثمانين فلا تكون سن عبد الحميد يوم مقتله اقلّ من سبعين او خمس وسبعين وهذا يناقض ما سيمر بك من انه غمز عليه سنة ١٣٢ وهو عند ابن المقفع ولم يعرف الموكلون بالقبض عليه ايهما عبد الحميد ، وابن المقفع اذ ذاك كان دون الثلاثين من العمر فلا يعقل الا ان يكون صاحب الشرطة العباسي عارفاً على الأقل بان صاحبه شيخ هرم . ونميل الى ان عبد الحميد كتب اولاً لهشام بن عبد الملك الذي ولي سنة ١٠٥ ومات سنة ١٢٥ ثم لمروان .

والارجح ان عبد الحميد تخرج بالكتابة بسالم مولى هشام وكاتبه وكان سالم ختنه أي صهره زوج اخته ، وكان سالم احد الفصحاء البلغاء ، وقد نقل رسائل ارسطاليس الى الاسكندر ونُقل له وأُصلح هو ، ولسالم رسائل مجموعة في نحو مائة ورقة . و بهذا يقال ان عبد الحميد اخذ عن رجل بليغ يعرف الاستخراج من ادب اليونان وسياستهم . ولم يثبت انه كان يعرف اليونانية كما وهم بعض أساتذة العصر ، وربما شدا شيئاً من الارمنية مدة مقامه في ارمينية كاتباً لمروان . والارمنية قلما نفعته في تكوين ملكته . وارمينية كانت في الخطاط ، بيد انها لم تأت في باب المدنيات ، ولا في عصر من عصورها بشيء يقرب من المدنية الفارسية .

كتب عبد الحميد قليلاً عن هشام بن عبد الملك كما عرف من رسالة كتبها عن هشام الى يوسف بن عمر الثقفي وهو باليمن ، وقد كان على اليمن منذ سنة ١٠٧ اي ان ديوان هشام كان المدرسة الاولى التي تخرج باساتذتها عبد الحميد في علوم الانشاء . الا اذا صح انه كتب من قبل لعبد الملك بن مروان وهو بعيد . ويمكن ان يقال من ثم انه كان من اول نشأته على اتصال مع من يعرف الخلفاء ، وما يقتضي لخدمة الحكومات من الأدوات . وذكروا انه حدث عن سالم بن هشام ولعله سالم مولى هشام وحدّث عنه خالد بن برمك .

وقالوا ان عبد الحميد كان في حداثته معلماً في الكوفة ، ولعله مرن على حفظ مسائل كثيرة من تأديبه الاطفال زمناً . والمؤدبون كانوا طبقة راقية في القرون الاولى للاسلام ، لان المرء لايضع في الرجل ثقته ويلقي اليــه بمقاليد ابنه الا اذا آنس منه كفاءة وحسن اخلاق . وكانت الكوفة لما القى بهــا عصا الترحال لاول امره محط رحال رجال العلم في الدين واللغة والنحو والصرف ، ولاشك انه ثاقن اهل البلاغة فيها وأخذ عنهم ، وهناك حدث له غرام بتمثل كلام علي ابن ابي طالب ، فقد سئل ما الذي خرجك في البلاغة فقال : حفظ كلام الاصلع يعني علي ابن ابي طالب . وكانت الكوفة من البــلدان التي احبها امير المؤمنين واحب اهلها واحبوه .

وفي زمن لم نتثبته كثيراً اتصل بمروان بن محمد وهو والٍ على ارمينيــة يحــارب الخارج فيها على الخلافة ، فكتب عنه وحظي عنده ، وانقطع اليه ، ولما عقدت البيعة لمروان في الشام سجد مروان واصحابه شكراً لله . الا عبد الحميد فقال له مروان : لم لا سجدت . فقال : ولِمَ اسجد على ان كنت معنا فطرت عنا يعني بالخلافة . فقال : اذاً تطير معي فقال : الآن طاب السجود وسجد . وكان كاتب مروان طول خلافته .

ترى هل يكون الاختلاف في نسب عبدالحميد سبباً يدعونا الى ان نرجح ان اجداده كانوا من سبي القادسية . والاصح ان يقال سواء صحت هذه النسبة ام لم تصح ، بانه تأثر لا محالة بعادات الفرس وعرف اساليبهم في الكتاب والخطاب . يؤيد ذلك مارواه ابو هلال العسكري قال : « فمن تعلم البلاغة بلغة من اللغات ثم انتقل الى لغة اخرى امكنه فيها من صنعة الكلام ما امكنه في الاولى ، وكان عبد الحميد الكاتب استخرج امثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفــارسي فحوّلها الى اللسان العربي » . وعلى كل فإن

المجال الذي جال فيه عقل عبد الحميد كان فسيحاً بالنسبة لعصره واهل طبقته ، وكان من اتصل بهم قبل ان يلي الكتابة عن الخليفة جماعة من المنظور اليهم في الامة . ولهذا ولغيره اي لمولده في الشام وتنقله في البلاد دخل كبير في اتساع عقله وتجاربه .

* * *

أخلاقه وعاقبة امره

كان مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية بعد من أعاظم رجال الأمم بين شهامة وحزماً وادباً ، وكان يحب عبد الحميد حباً جماً ، ويرفع منزلتـه بين الكتاب والعمال « ولا يرى الدنيا الا به » لعله بنبوغه وتفرده في صناعته ، وذهابه بفضل البلاغة وما ينبغي لها ، حتى عرض عليه لما أيقن ان امره أدبر ، وهزائمه تواترت ، وسلطانه صائر الى الزوال ، ان يكون مع اعدائه لتسلم حياته ، قائلاً انا نجد في الكتب ان هذا الامر زائل عنا لا محالة ، وسيضطر اليك هؤلاء القوم يعني ولد العباس لأدبك ، وان إعجابهم بك يدعوهم الى حسن الظن بك ، فاستأمن اليهم ، واظهر الغـدر بي ، فلعلك تنفعني في حياتي او بعد مماتي . فقال له : وكيف لي بان يعلم الناس جميعاً ان هذا عن رأيك ، وكلهم يقول اني غدرت بك وصرت الى عدوك . وأنشد :

وذنبي ظاهر لا شك فيه لمبصره وعذري بالمغيب

وأنشد ايضاً :

اسر وفاء ثم أظهر غدرةً فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره

ثم قال يا امير المؤمنين : ان الذي امرتني به أنفع الامرين اليـك ، وأقبحهما بي ، ولكني اصبر حتى يفتح الله عليك او أُقتل معك . وهكذا تجلت في عبد الحميد فضيلة الوفاء العربي ، فآثر ان يقتل مع صاحبه على ان يتخلى عنه يوم الكريهة والشدة . وتجلت فيه خلة الشجاعة والاعتقاد بالأقدار فهو الرجل الذي شارك سيده في سعادته وبلائه .

وربما كان عبدالحميد ينجو من الهلاك بايدي العباسيين لو سار بسيرة غيره من رجال مروان ، ان صح ما روي من انه لما زال امر مروان اتى المنصور بخواص مروان ، وفيهم عبدالحميد والبعلبكي المؤذن وسلام الحادي فهمّ بقتلهم جميعاً فقال سلام : استبقني

يا امير المؤمنين فاني احسن الحداء . قال : وما بلغ من حدائك . قال : تعمد الى إبل فتظمئها ثلاثة ايام ثم توردها الماء ، فاذا بدأت تشرب رفعت صوتي بالحداء ، فترفع رؤوسها وتدع الشرب ، ثم لا تشرب حتى أسكت . فأمر المنصور بابل ففعل بها ذلك فكان الأمر كما قال ، فاستبقاه وأجازه وأجرى عليه . وقال له البعلبكي : استبقني يا امير المؤمنين فاني مؤذن منقطع القرين قال : وما بلغ من أذانك . قال : تأمر جارية فتقدم اليك طستاً ، وتأخذ بيدها ابريقاً ، ونصب الماء على يدك . فأبتدئ بالأذان فتدهش ويذهب عقلها اذا سمعت أذاني ، حتى تلقي الابريق من يدها وهي لا تعلم ، فامر المنصور جارية ففعلت ذلك واخذ البعلبكي الأذان فكانت حالها كما وصف . وقال عبد الحميد : ياامير المؤمنين فاني فرد الزمان في الكتابة والبلاغة . فقال : ماعرفني بك ، انت الذي فعلت بنا الأفاعيل ، وعملت لنا الدواهي . وامر به فقطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه . و يروى انه سلمه الى عبد الجبار فكان يحمي له طستاً ويضعه على بطنه حتى قتله .

واختلفوا في مقتل عبد الحميد فاليعقوبي يقول انه تخلف بمصر واستتر حتى دُلَّ عليه صالح بن علي . وزاد غيره انه لما انهزم اختبأ في كنيسة في بوصير من ارض مصر وقال آخرون : انه استخفى بالجزيرة عند عبد الله بن المقفع فغمز عليه وكان صديقه وفاجأهما الطلب وهما في بيت فقال الذين دخلوا : أيكما عبد الحميد فقال كل واحد منهما انا خوفاً على صاحبه . واوشك الجند ان يقتلوا ابن المقفع ، لولا ان صاح بهم عبد الحميد قائلاً ترفقوا بنا ، فان لكل منا علامات ، فوكلوا بنا بعضكم وليمض البعض الآخر الى من وجّهكم فيذكر له تلك العلامات ففعلوا وأخذوا عبد الحميد .

وفي رواية ان عبد الحميد لم يختبئ في الجزيرة عند ابن المقفع بل قبض ساعة قتل مولاه مروان ، وان عامر بن اسماعيل المسلي لما قتل مروان ظفر بعبد الحميد كاتبه فعرض عليه رؤوس القتلى ، لانه قتل في ستة او سبعة من خواصه ، وكانوا معه فعرّفه رأسه وحمل عبد الحميد الى ابي العباس ، فسلمه الى عبد الجبار صاحب شرطته فقتله . وهنا ايضاً اضطراب في رأي من ترجموا لعبد الحميد في نهاية امره ، كما وقع الاختلاف في أصله ، ولم يعقل انه تخلف عن سيده في الجزيرة والارجح انه قتل في مصر .

***

بلاغته وأسلوبه

كان عبد الحميد على ما قال صاحب العقد الفريد اول من فتق اكمام البلاغة ، وسهل طرقها ، وفك رقاب الشعر . ضربت الأمثال ببلاغته وقد أشار البحتري الى ذلك في قصيدته الى محمد بن عبد الملك قال :

وتفننت في البلاغة حتى عطل الناس فن عبدالحميد

وقال ابن الرومي لابي الصقر :

لو ان عبدالحميد اليوم شاهده لكان بين يديه مذعناً وسنا

وقال ابن اسفنديار الكاتب :

وهو في الحذق والبلاغة في التـ طفيل عبد الحميد في الكتاب

وقال ابو اسحق الصابي :

أنسيتم كتباً شحنت فصولها بفصول درّ عندكم منضود
ورسائلاً نفذت الى اطرافكم عبد الحميد بهن غير حميد

وقال ابراهيم بن عباس الصّولي وقد ذكر عبد الحميد عنده : كان والله الكلام معاناً له ، ماتمنيت كلام احد من الكتاب قط ان يكون لي مثل كلامه . جاء عبدالحميد بطريقة جديدة في الكتابة العربية ، شرعها لكل من يحمل القلم بعده ، فنقل الانشاء من طور الى طور لم يكد يتغير حتى عهد ابن العميد ، ولذلك يحق ماقالوا افتتحت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد .

وتعلمون انه قلما عهد التطويل في الرسائل على عهد الراشدين والأُمويين ، فكانت تأتي رسائلهم على الأغلب في السطر والسطرين والثلاثة . وفي رسائل عمر بن عبدالعزيز أواخر المئة الاولى نموذج ظاهر من هذا الأسلوب العجيب ، واذا طالت الرسالة كما هو الحال في الرسالة المنسوبة لعلي بن ابي طالب الى الأشتر النخعي فانها تكون بمثابة قانون يضعه الخليفة للادارة والسياسة والقضاء اي تحتوي على أغراض شتى لاتتسع لها السطور القليلة . فجاء عبدالحميد وابتدع أسلوبه الجديد الخاص به ، وكان ذلك عقبى تشعب أغراض الخلافة ، وامتداد عمرانها ، وانبساط ظل سلطانها ، فعبد الحميد نهج للكتاب

سبل الانشاء ، واعلى في العالمين ذكرهم وشرّف صناعتهم ، وكانت قبله في الغالب لا تعد عملاً شريفاً من أعمال الدولة ويتولاها على الأغلب الموالي ومن اليهم . فوقر هذا الفن الصعب في النفوس حتى كانت جودة الانشاء تنقل صاحبه من دواوينه الى ارقى دواوين الملك ، فكان لا يلي الوزارة غالباً الا من بعد في الذروة من طبقة الكتاب .

كان عبد الحميد اول من أطال الرسائل ، واستعمل التحميدات في فصول الكتب فتابعه الناس على طريقته . والتحميد حمدك الله عز وجل مرة بعد مرة ، وكثرة حمد الله سبحانه بالمحامد الحسنة وهو أبلغ من الحمد . وربما سبق عبدالله ابن المقفع الى التحميدات ولكنها لم تشتهر كما اشتهرت من ديوان عبد الحميد ، وهو ديوان الخلافة يتناقل الناسَ عنه اكثر مما يتناقلون عن غيره .

ولم يكن عبد الحميد يطيل كل مرة في رسائله ، بل يطيل مرة ويوجز مرات ، لكنه الى التطويل اميل . فصاحب هذا الانتقال في الكتابة حافظ على ايجازها ما امكن ، لكن الزمان اقتضاه احياناً الاسهاب ، فأسهب وأجاد في الطريقتين ، خصوصاً اذا كانت الحال تقتضي ذلك ، مثل كتابه الى ابي مسلم الخراساني الذي كتبه على لسان محمد بن مروان لما ظهر ابو مسلم بدعوة بني العباس ، فكتب كتاباً يستميله ويضمنه ما لو قرئ لأوقع الاختلاف بين اصحاب ابي مسلم ، وكان من كبر حجمه يحمل على جمل ، ثم قال لمروان : قد كتبت كتاباً متى قرأه بطل تدبيره ، فإن يك ذلك والا فالهلاك . فلما ورد الكتاب على ابي مسلم لم يقرأه ، وامر بنار فأحرقه ، وكتب على جزازة منه الى مروان :

محا السيف اسطارَ البلاغة وانتحى عليك ليوث الغاب من كل جانب
فان يقدموا نُعمل سيوفاً شحيذةً يهون عليها العتب من كل عاتب

وقالوا ان من جملة فقرات هذا الكتاب « اذا أراد الله اهلاك نملة انبت لها جناحين » ومعنى قول الراوين ان كتابه من كبر حجمه حمل على جمل انه كان مكتوباً على رقّ . وفي الرقوق تكتب الاسطر القليلة على الأغلب . وربما دعت كثرة الرقوق التي تضمنت هذا الكتاب ان لا ينهض رجل بحملها بل حملت لثقلها على جمل . وليس في هذا التطويل المأثور عن عبد الحميد من عيب لان البلاغة تقضي بذلك . فقد قال ابن

قتيبة : وليس يجوز لمن قام مقاماً في تحضيض على حرب ، او حمالة بدم ، او صلح بين عشائر ، ان يقلل الكلام و يختصره ، ولا لمن كتب الى عامة كتاباً في فتح او استصلاح ان يوجز . ولو كتب كاتب الى اهل بلد في الدعاء الى الطاعة ، والتحذير عن المعصية ، كتاب يزيد بن الوليد الى مروان حين بلغه عنه تلكؤه في بيعته (اما بعد فاني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى ، فاعتمد على ايهما شئت والسلام) لم يعمل هذا الكلام في انفسهم عمله في نفس مروان . لكن الصواب ان يطيل و يكرر ، و يعيد و يبدي ، و يحذر و ينذر اه . وهكذا جرى عبد الحميد في رسالة ابي مسلم الخراساني ، فأطال وحمدت اطالته ، كما أطال في نصيحته الى عبد الله ولي عهد مروان فقد كتب كتابه هذا في نحو ثلاثين صفحة من الصفحات المتوسطة فوضع ببيانه الرائع خططاً حربية وطرقاً جديدة في النظام والادارة والسياسة ، وقواعد مهمة في التربية ولا سيما في تربية الملوك والعظماء ، وأصولاً كلية في علم النفس والعادات المستحبة ومعاملة المرؤوسين وطلاب الحاجات وارباب السعايات واصحاب الاخبار .

نموذجات من مختصر رسائله

واذا جئنا نتعرف عبدالحميد في مطالبه وحاجاته ، وشفقته على نفسه وولده ورحمه ، فلدينا مما ابقت الايام عليه من رسائله نموذجات يتجلى لنا فيها روحه ، منها ما كتبه الى مروان في حاجة : « ان الله بنعمته عليّ لما رزقني المنزلة من اميرالمؤمنين جعل معها شكرها مقروناً بها ، فهي تنمي بالزيادة ، والشكر مصاحب لها ، فليست تدخلني وحشة من ابناء حاجتي ، وانا اعلم انه لو وصل الى امير المؤمنين علم حالي اغناني عن استزادته ، ولكني تكنفتني مؤن استنفضت ما في يدي ، وكنت للخلف من الله منتظراً ، فاني انما اتقلب في نعمه ، وأفرغ في فوائده ، وأعتصم بسالف معروفه كان عندي » .

ومنها ما أنشأه الى اخ له في مولود ولد له وهو اول مولود كان : « اما بعد فان مما أتعرف من مواهب الله نعمة خصصت بيزتها ، واصطفيت بخصيصتها ، كانت أسر لي من هبة الله لي ولداً سميته فلاناً ، واملت ببقائه بعدي حياة وذكرى ، وحسن خلافة في حرمي ، واشراكه اياي في دعائه ، شافعاً لي الى ربه ، عند خلوته في صلاته وحجه ، وكل موطن من

مواطن طاعته ، فاذا نظرت الى شخصه تحرك به وجدي ، وظهر به سروري ، وتعطفت عليه مني أنسة الولد ، وتولت عني به وحشة الوحدة ، فانا به جذل في مغيبي ومشهدي ، أحاول مس جسده بيدي في الظُلَم ، وتارةً أعانقه وأرشفه ، ليس يعدله عندي عظيمات الفوائد ولا منفسات الرغائب . سرني به واهبه لي على حين حاجتي ، فشدبه أزري ، وحملني من شكره فيه ما قد آدني بثقل حمل النعم السالفة الي به ، المقرونة بما رأوها في العجب بما رأت ما يدركني به من رقة الشفقة عليه ، مخافة مجاذبة المنايا اياه ، ووجلاً من عواصف الايام عليه . فأسأل الله الذي امتن علينا بحسن صنعه في الأرحام ، تأديبه بالزكاة وحرسه بالعافية ، ان يرزقنا شكر ما حملنا فيه وفي غيره ، وان يجعل ما يهب لنا من سلامته ، والمدة في عمره ، موصولاً بالزيادة ، مقروناً بالعافية ، محوطاً من المكروه ، فانه المنان بالمواهب ، والواهب للمنى ، لا شريك له . حملني على الكتاب اليك اعلم ما سررت به علمي بحالك فيه ، وشركتك اياي في كل نعمة أسداها الي ولي النعم ، واهل الشكر اولى بالمزيد من الله جل ذكره والسلام عليك » .

ومنها ما انفذه الى اهله وهو منهزم مع مروان من فلسطين وهو آخر حرب وموافعة كانت له . وكانوا ينزلون بالقرب من الرقة بموضع يعرف بالحمراء يعزيهم عن نفسه « اما بعد فان الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور ، وجعل فيها اقساماً مختلفة بين اهلها ، فمن درت له بحلاوتها وساعده الحظ فيها ، سكن اليها ورضي بها وأقام عليها ، ومن قرصته باظفارها وعضته بانيابها ، قلاها نافراً عنها ، وذمها ساخطاً عليها ، وشكاها مستزيداً لها ، وقد كانت أذاقتنا أفاويق استحليناها ، ثم جمحت بنا نافرة ، ورمحتنا[1] مولية ، فملح عذبها ، وخشن لينها ، فأبعدتنا عن الاوطان ، وفرقتنا عن الاخوان ، فالدار نازحة والطير بارحة . وقد كتبت والايام تزيدنا منكم بعداً ، واليكم صبابة ووجداً ، فان تتم البلية الى أقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا ، وان يلحقنا ظُفُر جارح من أظفار من يليكم نرجع اليكم بذل الإسار ، والذل شر جار ، نسأل الله الذي يعز من يشاء ، و يذل من يشاء ، ان يهب لنا ولكم ألفة جامعة ، في دار آمنة ، تجمع سلامة الأديان والأبدان ، فانه رب العالمين وارحم الراحمين » .

---

(١) رفستنا

وفي رواية انه ختم هذه الرسالة هكذا : « فدارنا نازحة ، وطيرنا بارحة ، قد اخذت كل ماا عطت ، وتباعدت مثل ماتقربت ، واعقبت بالراحة نصبا ، وبالجذل هما ، وبالامن خوفاً ، وبالعز ذلاً ، وبالجدة حاجة ، وبالسراء ضراء ، وبالحياة موتاً ، لا ترحم من استرحمها ، سالكة بناسبيل من لاأوبة له ، منفيين عن الاولياء ، مقطوعين عن الاحباء ».

ومن رسائله المختصرة ما كتبه عن مروان الى هشام يعزيه بامرأة من حظاياه . « ان الله تعالى امتع امير المؤمنين من انيسته وقرينته ، متاعاً مده الى اجل مسمى ، فلما تمت له مواهب الله وعاريته ، قبض الله العارية ، ثم اعطى الله امير المؤمنين من الشكر عند بقائها . والصبر عند ذهابها ، انفس منها في المنقلب ، وارجح في الميزان ، واسني في العوض ، فالحمد لله وانا اليه راجعون » .

وكتب موصياً بشخص وهي من مختصراته « حق موصل كتابي اليك كحقه علي ، اذ جعلك موضعاً لامله ، ورآني اهلاً لحاجته ، وقد أنجزت حاجته ، فصدق امله » :

وكتب عن هشام بن عبد الملك الى يوسف بن عمر وهو باليمن في السلامة « اما بعد فان امير المؤمنين كتب اليك وهو في نعمة الله عليه ، وبلائه عنده في ولده واهل لحمته والخاص من اموره والعام والجنود ، والقواصي والثغور ، والدهماء من المسلمين . على مالم يزل ولي النعم يتولاه من امير المؤمنين ، حافظاً له فيه ، ومكرماً له بالحياطة لما الهمه الله فيه من امر رعيته ، وعلى اعظم وا كمل ما كان يحوطه فيه ، ويذب له عنه . والله محمود مشكور اليه فيه مرغوب . أحب امير المؤمنين لعلمه بسرورك به ، ان يكتب اليك بذلك لتحمد الله عليه وتشكره به . فان الشكر من الله باحسن المواضع وأعظم المنازل ، فازدد منه تزدد به ، وحافظ عليه تحفظ به ، وارغب فيه يهد اليك مزيد الخير ونفائس المواهب وبقاء النعم . فاقرأ على من قبلك كتاب امير المؤمنين اليك ، ليسر به جندك ورعيتك ، ومن حمله الله النعم بامير المؤمنين ليحمدوا ربهم على مارزق الله عباده من سلامة امير المؤمنين في بدنه ، ورأفته بهم ، واعتنائه بامورهم ، فانزيادة الله تعلو شكر الشاكرين والسلام» .

ومن رسالة كتب بها عن مروان لفرق العرب ، حين فاض العجم من خراسان بشعار السواد قائمين بالدولة العباسية . « فلا تمكنوا ناصية الدولة العربية ، من يد الفئة العجمية ، واثبتوا ريثما نجلي هذه الغمرة ، ونصحو من هذه السكرة ، فسينضب السيل ،

وتمحى آية الليل ، والله مع الصابرين ، والعاقبة للمتقين » .

ومن رسائله المفردات رسالته في الشطرنج والتنفير من اللعب به : « اما بعد فان الله شرع دينه بانهاج سبله ، وايضاح معالمه باظهار فرائضه ، وبعث رسله الى خلقه ، دلالة لهم على ربوبيته . واحتجاجاً عليهم برسالاته ، وتقدماً اليهم بانذاره ووعيده ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حي عن بينة ، ثم ختم بنبيه صلى الله عليه وحيه ، وقفى به رسله ، وابتعثه لاحياء دينه الدارس مرتضياً له ، على حين انطمست له الاعلام مختفية ، وتشتت السبل متفرقة ، وعفت آثار الدين دارسة ، وسطع رهج[1] الفتن ، واعتلى قتام[2] الظلم ، واستنهد[3] الشرك ، واسدف[4] الكفر ، وظهر اولياء الشيطان لطموس الاعلام ، ونطق زعيم الباطل بسكتة الحق ، واستطرف الجور واستنكح[5] الصدوف عن الحق ، واقمطر[6] تلهب الفتنة ، واستضرم لقاحها ، وطبقت الارض ظلمة كفر ، وغيابة فساد ، فصدع بالحق مأموراً ، وبلغ الرسالة معصوماً ، ونصح الاسلام واهله دالاً لهم على المراشد ، وقائداً لهم الى الهداية ، ومنيراً لهم اعلام الحق ضاحية[7] ، مرشداً لهم الى استفتاح باب الرحمة ، واعلان عروة النجاة ، موضحاً لهم سبل الغواية زاجراً لهم عن طريق الضلالة محذراً لهم الهلكة موعزاً اليهم في التقدمة ضارباً لهم على الحدود على ما يتقون من الامور ويخشون وما اليه يسارعون و يطلبون صابراً نفسه على الاذى والتكذيب داعياً لهم بالترغيب والترهيب حريصاً عليهم متحنناً على كافتهم عزيزاً عليه عنتهم[8] رؤفاً رحيماً تقدمه شفقته عليهم وعنايته برشدهم الى تجريد الطلب الى ربه فيما فيه بقاء النعمة عليهم وسلامة اديانهم وتخفيف اواصر الاوزار عنهم حتى قبضه الله اليه صلى الله عليه ناصحاً متنصحاً اميناً مأموناً قد بلغ الرسالة وادى النصيحة وقام بالحق وعدل عمود الدين حتى اعتدل ميله وذل الشرك واهله وأنجز الله له وعده واراه صدق اسبابه في اكماله للمسلمين دينه واستقامة سننه فيهم وظهور

---

(١) الرهج الشغب او الغبار . (٢) القتام كسحاب الغبار . (٣) استنهد طلب ان ينهض . (٤) اسدف الليل اظلم . (٥) استنكح غلب . (٦) اقمطر اشتد . (٧) ضاحية علانية . (٨) يقال وقع فلان في العنت اي فيما شق عليه .

شرائعه عليهم قد ابان لهم موبقات الاعمال ومفظعات الذنوب ومهبطات الأوزار وظلم الشبهات وما يدعو اليه نقصان الاديان وتستهويهم به الغوايات واوضح لهم اعلام الحق ومنازل المراشد وطرق الهدى وابواب النجاة ومعالق العصمة غير مدخر لهم نصحاً ولا مبتغ في ارشادهم غناً .

فكان مما قدّم اليهم فيه نهيه ، وأعلمهم سوء عاقبته ، وحذرهم امره ، وأوعز اليهم ناهياً وواعظاً وزاجراً ، الاعتكاف على هذه التماثيل من الشطرنج والمواصلة عليها لما في ذلك من عظيم الاثم ، وموبق الوزر ، مع مشغلتها عن طلب المعاش ، وأضرارها بالعقول ومنعها من حضور الصلوات في مواقيتها مع جميع المسلمين .

« وقد بلغ امير المؤمنين ان أناساً ممن قبلك من اهل الاسلام ، فداجهم الشيطان بها ، وجمعهم عليها ، والف بينهم فيها ، فهم معتكفون عليها ، من لدن مصبحهم الى ممساهم ، ملهية لهم عن الصلوات ، شاغلة لهم عما أمروا به من القيام بسنن دينهم ، وافترض عليهم من شرائع أعمالهم ، مع مداعبتهم فيها ، وسوء لفظهم عليها ، وان ذلك من فعلهم ظاهر في الاندية والمجالس ، غير منكر ولا معيب ، ولا مستفظع عند اهل الفقه ، وذوي الورع والأديان والاسنان منهم ، فاكبر امير المؤمنين ذلك وأعظمه وكرهه واستكبره ، وعلم ان الشيطان عندما يئس من بلوغ ارادته في معاصي الله عزّ وجل بمقر المسلمين ومجمعهم صراحاً وجهاراً ، أقدم بهم على شبهة مهلكة ، وزين لهم ورطة موبقة ، وغرهم بكيدة حيله ، ارادة لاستهوائهم بالخدع ، واجتيالهم[1] بالشبه والمراشد الخفية المشكلة ، وكل مقيم على معصية الله صغرت او كبرت مستحلاً لها ، مشيداً بها ، مظهراً لارتكابه اياها ، غير حذر من عقاب الله عزّ وجل عليها ، ولا خائف مكروهاً فيها ، ولا رعيب من حلول سطوته عليها ، حتى تلحقه المنية فتختلجه[2] وهو مصر عليها غير تائب الى الله منها ، ولا مستغفر من ارتكابه اياها . فكم قد أقام على موبقات الآثام ، وكبائر الذنوب ، حتى مد به مخرم[3] ايامه .

(١) اجتالتهم الشياطين صرفتهم عن هداهم الى ضلالتها وفي الحديث خلق الله عباده حنفاء فاجتالتهم الشياطين . (٢) تنزعه . (٣) المخرم كمجلس المنقطع .

« وقد أوجب امير المؤمنين ان يتقدم اليهم فيما بلغه عنهم ، وان ينذرهم ويوعز اليهم ويعلمهم ما في أعناقهم عليها وما لهم في قبول ذلك من الحظ وعليهم في تركه من الوزر فآذن[1] بذلك فيهم وانشده في اسواقهم وجميع انديتهم واوعز اليهم فيه ونقدم الى عامل شرطتك في انهاك العقوبة لمن رفع اليه من اهل الاعتكاف عليها والاظهار للعب بها واطالة حبسه في ضيق وضنك وطرح اسمه من ديوان امير المؤمنين وافطمهم عما نهجوا به من ذلك والتمس بشدتك عليهم فيه وانهاكك بالعقوبة عليه ثواب الله وجزاءه واتباع امير المؤمنين ورأيه ولا يجدن احد عندك هوادة[2] في التقصير في حق الله عزّ وجلّ والتعدي لاحكامه فتحلّ بنفسك ما تسوءك عاقبته وتتعرّض به لغيرة الله عزّ وجل ونكاله واكتب الى امير المؤمنين ما يكون منك ان شاء الله والسلام » .

ولقد أدركتم رعاكم الله ان عبدالحميد في رسالته هذه أشبه الوعاظ والفقهاء بلهجته هنا فقد رأيناه يكسو كلامه حلة من حلل الزهد ، ويدخل مدخلاً دينياً اورد فيه البراهين على قضيته ، لينزع من النفوس حب التلهي بلعب يقطع صاحبه عن العمل ، وذكر لهم ان اللاعبين بالشطرنج يذكرون خلال لعبهم الفاظاً لا تليق بالالسن ان تلوكها ولا بالاسماع ان تنصت اليها ، وعرفنا من رسالته بعد هذا ان أناساً من المنظور اليهم من الفقهاء وغيرهم من الأئمة كانوا مولعين بهذا اللعب منذ اوائل القرن الثاني . جاءهم من العجم كما جاءهم العود وغيره من أدوات الطرب والتلهي .

ومن رسالة له في وصف الصيد كتب بها الى مروان فيما يظهر[3] :

« ... خرجنا الى الصيد بأعدى الجوارح ، وأثقف الضواري ، اكرمها اجناساً ، واعظمها اجساماً ، واحسنها الواناً ، واحدّها اطرافاً ، واطولها اعضاءً ، قد ثقفت بحسن الادب ، وعودت شدة الطلب ، وسبرت اعلام المواقف ، وخبرت المجاثم ، مجبولة على ما عوّدت ، ومقصورة على ما أدبت . ومعنا من نفائس الخيل المخبورة الفراهة ، من

(١) آذن أعلم . (٢) هوادة لين ورفق . (٣) من كتاب اختيار المنظوم والمنثور استشهد بها الاستاذ محمد بهجة الاثري في كتابه المجمل في تاريخ الادب العربي .

الشهرية[١] الموصوفة بالنجابة ، والجري والصلابة . فلم نزل باخفض سير واثقف طلب ، وقد امطرتنا السماء مطراً متداركاً فربت الارض منه ، وزهر البقل ، وسكن القتام من مثار السنابك ، ومتشعبات الاعاصير ، مهلة ان مررنا غلوات ، ثم برزت الشمس طالعة ، وانكشفت (من) السحاب مسفرة ، فتلألأت الأشجار ، وضحك النوار ، وانجلت الابصار ، فلم نر منظراً أحسن حسناً ، ولا مرموقاً اشبه شكلاً ، من ابتسام نور الشمس عن اخضرار زهرة الرياض . والخيل تمرح بنا نشاطا وتجذبنا اعنتها انبساطا ثم لم نلبث ان علتنا ضبابة تقصر طرف الناظر وتخفي سبيل السلام تغشانا تارة وتنكشف أخرى ونحن بارض دمثة التراب أشبة[٢] الأطراف مغدقة الفجاج مملوءة صيداً من الظباء والثعالب والأرانب فأدانا المسير الى غابة دونها مألف الصيد ومجتمع الوحش ونهاية الطلب قد جاوزناها ونحن على سبيل الطلب ممعنون وبكل حرة[٣] جونة متفرقون فرجع بنا العود على البدء وقد انجلت الضبابة وامتد النظر فاذا نحن برعلة من ظباء وخلفة آرام يرتعن آنسات قداحالتهن الضبابة عن شخصنا واذهلهن انيق الرياض عن استماع حسنا فلم نعج الا والضواري لاتحفلهن من بعد الغابة ومنتهى نظر الشاخص ثم مدت الجوارح اجنحتها واجتذبت الضواري مقاودها فامرت بارسالها على الثقة بحضرها وسرعة الجوارح في طلبها فمرت تحف حفيف الريح عند هبوبها تسف الارض سفاً[٤] كاشفة عن آثارها طالبة لخيارها حارشة[٥] باظفارها قد مزقتها تمزيق الريح الجراد فمن صائح بها وناعر وهاتف بها وناعق يدعو الكلب باسمه ويفديه بابيه وامه وراكض تحت مفره وخافق يطلبه الرمح وطامح يمنعه وسانح قد عارضه بارح قد حيرتنا الكثرة والهجتنا القدرة حتى امتلأت ايدينا من صنوف الصيد والله المنعم الوهاب .

ثم ملنا — ياأمير المؤمنين — بهداية دليل قد احكمته التجارب ، وخبر أعلام المذانب[٦] الى غدير افيح ، وروضة خضرة ، مستأجمة بتلاوين الشجر ملتفة بصنوف الخمر[٧]

---

(١) بكسر الشين ضرب من البراذين . (٢) أشبة ملتفة . (٣) ارض ذات حجارة سوداء . (٤) السفيف المرور على وجه الارض . (٥) صائدة . (٦) مسائل الماء . (٧) الخمر الشجر المتكاثف والمستأجمة كثيرة الشجر الملتف .

مملوءة من انواع الطير لم يذعرهن صائد ولا اقتنصهن قانص تخفق لها بالطبول وصفر بنفير الحنف فثار منها ماملأ الأفق كثرتها وراعت الجوارح خفقات اجنحتها ثم انبرت البزاة لها صائدة والصقور كاسرة والشواهين ضاربة يرفعن الطالب لها ويخفضن الظفر بها حتى سئمنا من الذبح وامتلأنا من النضح[1] كأنا كتيبة ظفرت ببغيتها وسرية نصرت على عدوها والحقت ضعيفها بقويها وغلبت محسنها مسيئها لاتملك انفسنا مرحاً ولا نستفيق من الجذل بها فرحاً بقية يومنا والله المنعم الوهاب .

ثم غدونا — ياأمير المؤمنين — الى ارض وُصف لنا صيدها بالكثرة ورياضها بالنزهة فزل واصفها عن الطريقة واعتمد بنا على غير الحقيقة فأتيناها فلم نر صيداً ولا عشبا ولا نزهة ولا حسنا فجعلنا نسلك منها حزوناً ووعورا وجدوباً وقفرا حتى قصر بنا اليأس عن الطلب وقطع بنا عن الطمع النصب . فبينا نحن كذلك اذ بدا لنا جأب[2] قد أوفى بنا على حائل دل على غابة من ورائها حمير وحش كثيرة فأمماها فلما اطرفنا مشياً وتقريباً الى عاناته[3] توالى نهيقه وكثر شهيقه فالتفتن اليه فرمقن بأعينهن منا ما استكثرن شخصه واستهولن امره حتى اذا كنا برأى ومسمع انجذبن موليات وهربن مسيئات فأجهدنا الركض في طلبهن نتبع آثارهن ونستشف بلاء بين احفار ودكادك[4] وأخاديد حتى اشفى بنا الطلب لها على واد هائل سائل بجنبتيه غابة أشبة قد سبقن اليها واستخفين فيها فنظمناها بالخيل نظم الخرز . ثم اوغلت عدة فرسان في نفضها ومعرفة احوالها والطبول خافقة والاصوات شاهقة فكان وكان والحمد لله على كل حال اه .

ومن رسالة له في الفتنة[5] : « ففي طاعة الامة في الاسلام ومناصحتهم على امورهم والتسليم لما أمروا به فيهم كل نعمة فاضلة وكرامة باقية وعافية مجللة وسلامة ظاهرة

---

(١) النَّضح البلل . (٢) حمار وحشي . (٣) العانة الاتان والقطيع من حمر الوحش .

(٤) جمع دكدك وهي الارض فيها غلظ . والاخاديد جمع أخدود وهو حفرة مستطيلة في الأرض . (٥) مقتبسة من الجزء الرابع من كتاب التذكرة الحمدونية المخطوطة المحفوظة في دار الكتب العامة في الاستانة .

و باطنة وقوة باذن الله مانعة وفي الخلاف لهم والمعصية عليهم ذهاب كل نعمة وتفرق كل كرامة ومحق كل قنية وهلاك كل سلامة وألفة وموت كل عز وقوة والدعاء بكل بلية ومقارفة كل ضلالة واتباع كل جهالة وإحياء كل بدعة وإماتة كل سنة واجلاب كل ضرر على الامة وإدبار كل منفعة والعمل بكل جور و باطل وفناء كل حق . وبمعصية خليفة الله لا يزال رجل من المسلمين يضرب بسيفه الذي بيديه سيف اخيه الذي كان يعتمد عليه و يوهن عضده و يهدم حصنه و يفل عدده و يهلك ثروته و يعطب من يدعوه و يفزع اليه و يكثر بمكانه و يحرسه من غفلته من الاعداء اذا غفل ويكون عمثاله من خلقه فلا يزال بالمعصية منهم والاختلاف دم يهراق بغير حقه وطفل من ابناء المسلمين قد يتم من ابيه ومذلة قد دخلت عليه ونعمة قد زالت عنه ووحشة قد أحدثت ضغائن في القلوب قد نشبت وشحناء قد ظهرت وأوتار قد بقيت وعداوة في الانفس قد استقرت وخوف قد ظهر وسبل قد قطعت وامرأة قد أرملت وصبية قد يتمت . وبلاد عامرة قد خربت وعدد قد نقص وبلايا قد عمت وشملت وعدو قد شمت ومنافق قد رفع الى ما كان يؤمل رأسه وعدو من المشركين قد طمع وقوي بعد ضعف وعزّ بعد مذلّة ورعية قد صاحت وناعية قد ولولت وحميم قد قتل حميمه ومودة قد صارت عداوة واجتماع من الاهواء قد عاد الى فرقة وارحام قد انقطعت .

« فانظروا يا معاشر المسلمين ماذا تفعل الفتنة والمعصية وكيف يدب الشيطان لها و يسعى فيها و يحتال بخديعته ومكره ولطف مسالكه حتى يلهبها و يشعلها و يرفعها من قلتها الى الكثرة ومن صغرها الى كبرها فانه انما يبدو الظفر على الولاة ثم يترامى الى الشكاة والسخطة والغضب وزين لهم القتال فبلغ الهلاك الاعظم والشدّ الاكبر بطرق امر صغير الخطر في الظاهر عظيم البلية في الباطن فلا يزال الرجل ينظر منهم الى قاتل ابيه واخيه وحميمه وذوي قرابته واهل مودته والنافع كان ثم تحمّل العداوة في قلبه والضغينة العظيمة عليه و يستعد للنقمة منه وطلب الذّحل عنده فيثبت تلك الضغائن في الابناء بعد الآباء فانظروا يا اهل الاسلام من اين دب الشيطان بلطيف مسالكه وعلى اي شيء ورد والى اي امر تسامى حتى عم بالمعصية اهل الاسلام عامة اهـ .

واستفدنا ايضاً من هذه الرسالة ان البلاد كانت تموج بالفتن اواخر عهد الخليفة

مروان بن محمد الأموي وان عبد الحميد يريد بتأثير قلمه ان ينزع اهل الاقطار من التردي في مهالكها . وكم كتب من مثلها منذ نادى اهل خراسان بشعار العباسيين ياترى ؟ . وما نظن الا ان مجموعة رسائله تبلغ اكثر من الف ورقة لا كما قال بعضهم . وقد عرفنا بهذا النموذج الضئيل الذي بقي من ذاك التراث العظيم ان صاحبنا كان بعيدَ النظر في السياسة شديد الغيرة على سلطان بني أمية عارفاً بما سيحل بالدولة وود لو يحيل لها بمخرج ينجيها ولو بعض الشيء من المأزق الذي صارت اليه فأراد سيده ان يعمد الى الزواج السياسي ويتقرب من بني هاشم بالاصهار اليهم .

قال لمروان حين رأى علو امر بني العباس : أتتهمني يا امير المؤمنين فيك قال : لا . فقال له : أرأيت ابراهيم بن محمد بن علي أليس ابن عمك قال : بلى . قال : فاني ارى اموره تنبغ(١) عليك فانكحه وانكح اليه ، فان ظهر كنت قد اعلقت بينك وبينه شيئاً ، وان كفيته لم تَمْنَ بصهره . فقال : ويحك والله لو علمته صاحب الامر لسبقت اليه ولكن ليس هو بصاحبه فقال له : وما يضرك من ذلك وهو من القوم الذين تعلم ان الامر منتقل اليهم لا محالة وان الصواب ان تعلق بينك وبينهم شيئاً . قال مروان : والله اني لاعلم ان الرأي فيما تقول ولكني اكره ان اطلب النصر باحراح النساء .

وكان عبد الحميد يقول : اكرموا الكتّاب فان الله عز وجل اجرى ارزاق الخلق على ايديهم . وكان يقول : ان كان الوحي ينزل على احد بعد الانبياء فعلى بلغاء الكتاب . ومن غرر كلامه : القلم شجرة ثمرها الالفاظ . والفكر بحر لؤلؤه الحكمة . ومن كلامه « خير الكلام ما كان لفظه فحلاً ومعناه بكراً . ويروى انه مر بابراهيم بن جبلة وهو يكتب خطاً رديئاً فقال : أتحب ان يجود خطك قال نعم . قال : أطل جلفة قلمك واسمنها وحرف قطتك وايمنها . قال : ففعلت ذلك فجاد خطي . وذكر صاحب الصناعتين ان عبد الحميد كان اذا استخبر الكاتب في كتابه فكتب خبرك وحالك وسلامتك . فصل بين هذه الاحرف ويقول قد استكمل كل حرف منها آلته . ووقع الفصل عليه .

وكان كثيراً ما ينشد :

---

(١) تثور وتفشو .

اذا خرج الكتاب كانت دُوِيُّهم قسيًا واقلام الدوي لهـا نبلا

ومما اختير له من الشعر وهو في طبقته مما لا يتناسب مع كتابته قوله :

ترحل ما ليس بالقـافل واعقب ما ليس بالزائل
فلهفي على خالف قادم ولهفي على سلف راحل
سـابكي على ذا وابكي لذا بكاء مولهـة ثاكل
فتبكي من ابن لها قاطع وتبكي على ابن لها واصل
فليست تفتر عن عبرة لما في الضمير ومن هامل
تقضت غوايات سكر الصبا ورد التقى عن الباطل

ومن شعره :

كفى حزناً اني ارى من احبه قريبـاً ولا غير العيون تترجم
فاقسم لو ابصرتنـا حين نلتقي ونحن سكوت خلتنـا نتكلم

« البوث صلة »

كتاب المداخلات

او المداخل

— ٢ —

١٦ (باب الآما) — قال: اخبرنا ثعلب عن عمرو بن ابي عمرو عن ابيه قال الآما[(١)] النعشة والنعشة النهضة والنهضة[(٢)] العتبة والعتبة[(٣)] حمارة الطنبور والحمارة واحدة الحمائر وهي حجارة تجعل حول الحوض وانشدنا[(٤)] ابو عمرو ·

ومبلد[(٥)] بين موماة ومهلكة قطعته بعلاة الخلق عليان

كأنما الشحط في اعلى حمائره سبائب الريط من قز وكتان

أراد مبلداً وهو الحوض القديم وعلاة الخلق قوية الخلق والعلاة سندان الحداد ، عليان سريعة والشحط ذرق الطير شبّهه بشقاق[(٦)] بيض فقال هذا الماء على بعده وهجر الناس له[(٧)] قد جئته واستقيت منه · والحوض[(٨)] الحركة والحركة[(٩)] منع البحر الصيد

(١) في الاصل بالموضعين ممدوداً مصحفاً · ولعا نقال للعاثر دعاءً له بالانتعاش ·

(٢) النهض والنهضة العتبة اي الغليظ من الارض تبهر فيه الدابة ·

(٣) كا في مختصر الوجوه ص٧٦ وفي المعاجم العتبة العيدان المعروضة على وجه العود منها تمد الأوتار الى طرف العود · وانظر لمعاني الحمارة مختصر الوجوه ص ٣٣ والتاج ·

(٤) هذا قول ابي عبدالله العباسي راوي المداخل عن ابي عمر · (٥) البيتان في التاج واللسان (بلد ، حمر) عن ابن الاعرابي بلفظ جاوزته بعلاة الخ قال اصله مُلْبِد فقلب وهو اللاصق بالارض · والمبلد بكسر اللام ونفتح الحوض القديم والعليان بالكسر وتفتح الناقة المشرفة والمعنى سريعة (وهذا مما زيد على المعاجم) · (٦) جمع شِقّة القطعة من الثوب ·

(٧) في الاصل (اليه) مصحفاً · (٨) هذه (زيادة) في اللسان والتاج عن الأصمعي اني لأدور حول ذلك الامر واحوّض (مشدداً) حوله بمعنى · (٩) (هذا مما زيد على المعاجم) كما مر في الباب الاول والحركة بمعنى منع البحر الصيد في مختصر الوجوه ص٣٤ وفي التاج يقال حرك البحر يحرك اذا قلّ صيده وذلك في زمن الصيف وهي ايام الحُراك ·

والصيد[1] الماء يصاب بلا طلب والطلب البعد والبعد الهلاك والهلاك الفناء والفناء [2] الثناء في بعض اللغات والثناء (المدح و) الذم والمدح خلاف الذم والذم جمع ذَمّة وهي البئر القليلة الماء وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي [3] .

ارجي نائلاً من سَيب رب له نعمى وذَمّته سِجالُ

و يروى وذِمّته بالكسر . قال ومن روى بالفتح اراد ماء البئر يعني قليلَه وكثيرَه وسِجال مع فتح الذال الدلاء واحدها سَجل وهي الدلو الكبيرة ومن روى بالكسر اي كسر الذال أراد عقده محكم وسجال من سَجّل اذا فسق[4] .

١٧ (باب البرطيل) — قال واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي وعن عمرو عن ابيه قال : البِرْطيل الحجر والحجر الذهب والذهب [5] مكيال لاهل اليمن والمكيال المجازاة يقال كِلْتُ له اكِيل كيلاً اذا جازيته والكيل السعر يقال كيف الكيل عندكم اي كيف السعر وانشدنا ثعلب عن عمرو عن ابيه [6] :

فان يك في كيل اليمامة عسرة فما كيل ميافارقين بأعسرا

(١) الموجود في اللسان ومستدرك التاج عن ثعلب صدنا ماء السماء أخذناه فهذه مما زيد على المعاجم و يأتي في الباب (الـ ١٨) .

(٢) اي بالفتح فيها وليست في اللسان والتاج بل الموجود فيهما هذه اللغة في فِناء الدار وثِنائها فهذه مما زيد على المعاجم . (٣) كما في اللسان (ذمّ) سجل ابن سيده قد يجوز ان يعني به الغزيرة والقليلة الماء اي قليله كثير ورواه الاصمعي بالكسر اي عهده محكم من قولك سجّل القاضي لفلان بماله اي استوثق به . (٤) لم أقف على هذا المعنى وكلامه يقتضي « اذا أحكم » . (٥) كما في اللسان والقاموس وفي مستدرك التاج ورأيت في هامش نسخة لسان العرب ماصورته في نسخة التهذيب بسكون الهاء . اقول لا يوجد على هامش المطبوعة . وابوعمر الزاهد ثقة . (٦) البيت في البلدان ومعجم مااستعجم رسم «ميافارقين» ولفظ الاخير أنشد ثعلب عن عمرو عن ابيه فان الخ . قال والكيل هنا السعر يقال كيف الكيل عندهم اي كيف السعر والكيل المجازاة كلت له اي جازيته اه فكأنه من المداخل وعمرو هو ابن ابي عمرو الشيباني المتوفى سنة ٢٣١ هـ .

١٨ (باب الجُحال) — اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال سألت اعرابياً وما رأيت أفصح منه مذ ثلاثون سنة فقلت له ماالجُحال[١] قال القشب قلت فما القشب قال الذُعاف قلت فما الذعاف قال الذئفان[٢] قلت فما الذئفان قال الذيفـان[٣] قلت فما الذيفان[٣] قال الأرقد[٤] قلت فما الرقد[٤] قال الجوزل قلت فما الجوزل[٥] قال الحرسم[٦] قلت فما الحرسم[٦] قال السّم قلت فما السم قال ثقب الإبرة قلت فما الإبرة قال رأس الرّوْق قلت فما الروق قال المدرى قلت فما المدرى قال قرن الجارية قلت فما الجارية قال الخولة[٧] قلت فما الخولة قال الظبية[٨] قلت فما الظبية قال الجراب الصغير قلت فما الجراب قال بدَن (٩) البئر قلت فماالبدن قال الدرع الحديد[١٠] قلت فما البدن ايضاً قال الرجل[١١] المتماسك في جسمه · قال ابو عبدالله[١٢] العباسي وسمعت بعض اصحاب ابي عمر رحمه الله يقرأ عليه في غير نسختنا قلت فماالبدن قال الشيخ[١٣] المسن قلت وما البـدن[١٤] ايضاً قال الثيتل قلت وما الثيتل قال الحطان[١٥] قلت وما

(١) بتقديم الجيم (وكان في الاصل بتقديم الحاء عليها) السم كالقشب محركاً ·

(٢) في الاصل الذيقان مصحفاً والذئفان بالكسر والهمز السم · (٣) في الاصل الذيمان مصحفاً والذيفان بالفتح ويكسر ويحرك السم · (٤) الأرقد والرقد لم اجدهما ولا مصحفاتهما بمعنى السم · (٥) السم : ابو عبيدة لم نسمعه الا في شعر ابن مقبل · (٦) كان في الاصل الحرشم مصحفاً · وحرسم كزبرج وضفدع السم القاتل ولكن الحاء غير ثابت والثابت جُرْشُم كقنفذ مقيداً بخط اللحياني قال الأزهري وهو الصواب وكذا رواه كراع ايضاً وضبطه بعضهم بالحاء ورده الازهري · (٧) لم اجد من معاني الجارية شيئاً يوافق المقـام اللهم الا ان يكون الخولة وردت بمعنى الخوَل « محركاً نعمة الله » وهي معنى الجارية في مختصر الوجوه ص٢٣ وغيره · (٨) كما في المعاجم · (٩) يريد جوفها من الاعلى الى الأسفل ·

(١٠) كذا باللسان ولا بأس به · (١١) لم أجد المعنى في المعاجم الحاضرة فهذه مما زيد على المعاجم · (١٢) هو الحسين بن احمد بن بريهة راوي المداخل تقدم في المقدمة ·

(١٣) يوجد المعنى · (١٤) البدن والثيتل الوعل المسن « اللسان والتاج » ·

(١٥) التيس من ح ط ط ·

الحطّان قال البغيبغ [١] قلت وما البغيبغ قال العلهب [٢] قلت وما العلهب قال تيس الجبل . وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

قد(٣) قلتُ لما بدت العُقاب وضمّها والبدن الحِقابُ
جِدّي لكل عمل ثواب الرأس والاكرُعُ والإهابُ

١٩ (باب العريج) — قال اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال العريج كلب [٤] الصيد والصيد [٥] اخذ الشيء بلا تعب يقال صدت ظبيا وصدت بيضةً وصدت كماة اذا اخذته بلا تعب والاخذ [٦] نجوم منازل القمر كل ليلة والقمر بؤبؤ [٧] العين والعين [٨] خاصة الملك ووليه . قال ابن الاعرابي ومنه خبر عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه كان يطوف بالبيت فقال له رجل ياامير المؤمنين ان عليا لطمني فقال له عمر يا اباالحسن ألطمتَ عين هذا الرجل . قال نعم . قال فلِمَ يا اباالحسن ؟ فقال : لاني رأيته ينظر الى حرم المسلمين في الطواف فقال له احسنت . ثم اقبل على الملطوم فقال وقعت عليك عين من عيون الله تعالى . قال ثعلب فسألت ابن الاعرابي عنها فقال خاصة من خواص الله وولي من اوليائه وحبيب من احبائه . والعين الركية والركية [٩] اصل الصلّيانة اذاقطعت والقطع [١٠] الخنق وهو مصدر خنقته خنقا قال القاضي والاصل في الصلّيانة شجرة تأكلها الخيل عند عدم العلف ويقال لاصول الصلّيان الدِندِن وانشد الخليل بن احمد «لحسان» (١١) :

(١) تيس الظباء السمين . (٢) التيس الطويل القرنين . (٣) اللسان يصف وعلاً وكلبة اسمها عقابُ والحِقاب جبل بعينه . يقول اصطادي هذا التيسَ وأجعل ثوابكِ الرأس والاكرُع والإهاب . (٤) غيره الكلب الضخم . (٥) تقدم في الباب (الـ ١٦) انه الماء يصاب بلاطلب . (٦) نجوم الاخذ منازل القمر لان القمر يأخذ كل ليلة في منزل منها وهي نجوم الانواء «التاج» . (٧) بياض المقلة كما في مختصر الوجوه ص ٩٠ . (٨) هذا بعينه لفظ مختصر الوجوه (ص٧٨) والعجب ان المعنى فات « التاج» فهذه مما زيد على المعاجم .
(٩) لم اجد المعنى في المعاجم لا معتلاً ولا مهموزاً (فهذا مما زيد على المعاجم) .
(١٠) قطع الرجل الحبل او بحبل اختنق فالقطع الإختناق وإطلاق الخنق تجوّز بل زيادة . (١١) من معروف شعره راجع ديوانه ليدن (ص٦٩) .

المال يغشى رجالاً لا طباخَ بهم … كالسيل يغشى اصول الدِندِن البالي

قال واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي يقال خنقتُه(١) وقطمته وذعته وذعطته وذرعته قرئت هذه اللفظة على ابي عمر وأنا اسمع وحلقته وزردمته وفطأته وسأبته وسأتُّه . قال وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

ولا تزال بَكْرة قطّاره … يسأتها بجبلها عُماره

قال ابو عمر البكرة التي يستقى (٢) عليها مسكّنة الكاف لا غير فاذا حركت فهي جمع باكر مثل جاهل وجهلة .

٣٠ (باب السندل) — قال واخبرنا ثعلب عن عمرو عن ابيه قال السندل(٣) جورب الخفّ والخفّ الجمل(٤) المسن والجمل دابة في البحر يقال لها الكُبع(٥) طويلة الوجه هائلة من دواب البحر ومنه قول الجارية للجارية تُسابّها يا وجه الكُبع والبحر الماء الملح والملح(٦) الارضاع يقال ملحنا في بني فلان وملحناهم اي ارضعناهم ورضعناهم والارضاع(٧) الوصال يقال ارضعت الشيءَ بالشيءِ اذا واصلته وانشدنا ثعلب عن عمرو عن ابيه :

وترضع(٨) حاجةً بلبان اخرى … كذاك الحاج ترضع باللبان

---

(١) كلمات الخنق توجد كلها في المخصص (٦ : ١١٥ و ١١٦) . زعتُه عن العين زعتاً وكان في الاصل دعته مصحفاً . وقطمته كأنه يراه متعدياً فهذه مما زيد على المعاجم وذرعته (في الاصل درّعته وهو ايضاً بمعنى خنقته) وابوزيد زرّعت له وضعت عنقه بين ذراعي وعضدي فخنقته . وحلقته اصبت حلقه وزردمته وزردبته فارسية اصله أزار دمه بمعنى وجع النفس (وغلط ابن سيده في تفسيره) . وفطأته ضربته على ظهره مثل حطأته وقيل هو الضرب في اي عضو كان ومعنى الخنق (هذا مما زيد على المعاجم) وسأبته وسأتُّه خنقته حتى مات . (٢) بالاصل يسقى . (٣) اهمله الجوهري والمجد والصاغاني وهو في اللسان ومستدرك التاج (٤) كما في المعاجم . (٥) في اللسان والتاج الكُبع جمل البحر وجمل الماء قيل انه البجع والحوصل . (٦) انظر الكامل لبسيك ص ٢٨٤ . (٧) لم اجد الارضاع للمواصلة في المعاجم (فهو مما زيد على المعاجم) . (٨) البيت في اللسان «لبن» وأرضع الخ عن ابن سيده .

٣١ (باب الدفو) — اخبرنا ثعلب عن ابن نجدة عن ابي زيد قال الدفو (١) غير مهموز القتل والقتل مزج الشراب والمزج (٢) العسل والعسل اضطراب القصبة اذا حركت والقصبة النالة (٣) والنالة وسط الجدل والجدل القصر والقصر المنع يقال قصر جاريته اذا منعها من التبرج فهو قاصر وهي مقصورة وقصيرة وقصورة (٤) وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

وانتِ (٥) التي حببت كلَّ قصيرة   اليَّ وما تدري بذاك القصائرُ
عنيتُ قصيرات الحِجال ولم أُرد   قِصار الخطا شرُّ النساء البهاتر

البهاتر القصائر ومثله البحاتر ·

٣٢ (باب القطاج) — قال اخبرنا ثعلب عن عمرو بن ابي عمرو الشيباني عن ابيه قال القطاج (٦) قلس السفينة والقلس (٧) ما يخرج من فم الصائم من الطعام والشراب والشراب الخمر والخمر الخير والعرب (٨) تقول ماعند فلان خل ولا خمر اي شر ولا خير والخير الخيل ومنه قول الله عز وجل (اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب والخيل (٩) الظن والظن (١٠) القسم قال واخبرنا ثعلب عن سلمة عن الفراء قال من العرب من يقول اظن انزيداً لخارج يعني والله انزيداً لخارج وانشدنا (١١) عن سلمة عن الفراء :

اظن لاتنقضي عنا زيارتكم   حتى يكون بوادينا البساتينُ

٣٣ (باب القطامي ١٢) — اخبرنا ثعلب عن سلمة عن الفراء قال القطامي النبيذ والنبيذ (١٣) الملقوط في الصبيان والملقوط الثوب المرفُوُّ والمرفو المسكَّن وانشدنا ثعلب

---

(١) الاجهاز على الجريح · (٢) المعروف بالكسر وبفتح · (٣) النالة وسط القرية وجوفها كالقصبة · (٤) كما في المعاجم · (٥) من معروف شعر كثيّر عزة · والبحترة والبهترة القصيرة · ويروى البحاتر · (٦) بالفتح ويكسر · (٧) اي خروج مايخرج الخ فانه في الاصل مصدر · (٨) مثل انظره في المستقصى (خط) وجمهرة ابي هلال بطبعتيه ١٩٣ و ٢ : ٢١٩ · (٩) مصدر خاله كذا · (١٠) المعروف انه يأتي بمعنى العلم واليقين · في اللسان والتاج · ومعنى القسم (وهذا مما زيد على المعاجم) · (١١) ثعلب · (١٢) بالفتح ويضم النبيذ الشديد · (١٣) والمنبوذ ولد الزنا الملقى على الطريق كما في التاج ·

عن سلمة عن الفراء عني عنه ·

رَفوْني وقالوا ياخو يلد(١) لاتُرَعْ فقلتُ وانكرتُ الوجوه همُ همُ

والمسكَّن المقوَّم من الرماح بالسكَن (٢) والسكن النار والنار السِمَة قال وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

حتى (٣) سقوا آبالهم بالنار والنار قد تشفي من الأُوار

الآبال جمع إبل والأُوار العطش وأُوار الحر شدته واول(٤) مايستقبلك منه يقول هذه إبل(٥) اسم سمتها النار فتقدم شرفه اهلها عند الورد فقد شفي أُوارها ·

٣٤ (باب القتَع) — قال واخبرنا ثعلب عن عمرو عن ابيه قال القتع (٦) الدود والدود(٧) الحصف والحصف(٨) إحكام فتل الحبل والحبل العهد والعهد العقد والعقد(٩) الجمل القصير القوائم الطويل السنام فاذا (١٠) مشى مع الجمال قصَر عن طولها واذا برَك معها طالها لطول سنامه وانشدنا ثعلب عن عمرو عن ابيه :

---

(١) اسم ابي خراش الهذلي صاحب البيت قال التبريزي رفوْني خدعوني وقالوا لابأس عليك و يقال سكّنوني ذكر قوماً قعدوا له على طريقه وقد عاد من الحج ليقتلوه · تهذيب الالفاظ ص١١٩ و٥٨١ والخزانة ١ : ٢١١—٢١٣ ·

(٢) محركاً النار وكل مايسكن اليه وفيه وبه ·

(٣) كذا في اللسان وفي الكتاب الكامل « لبسيك ص٢٧٩» قد سقيتْ آبالهم ·

(٤) في الاصل اقل مصحفاً · (٥) العبارة بحيث ترى قلقة البنية والمغزى واضح اي ان هذه إبل عليها سمة النار لاربابها فعرفوابها فتقدَّم شرفهم عنداهل الماء سقي إبلهم الماء عند الورد · (٦) محركة دود حمر تأكل الخشب والواحدة قتعة وقيل هي الأَرضة ·

(٧) في التاج بثر صغار تُقيح ولا تعظم وربما خرجت في مراق البطن أيام الحر هذا معنى الحصَف وليس من معاني الدود في شيء (وهذا مما زيد على المعاجم) ·

(٨) المعروف بهذا المعنى الإحصاف (وهذا مما زيد على المعاجم) ·

(٩) في اللسان والتاج العقد الجمل الموثق الظهر (وهذا مما زيد على المعاجم) ·

(١٠) مثل هذا في اللسان (نكلك) عن ابي علي ·

ارسلتُ(١) فيها زَجِلاً أُكالِكا يقصرُ يمشي ويطولُ باركا

قال ثعلب الزَجَل الصوت والزَجِل من الجمال الذي يصيح والأُكالك العظيم الخَلق ·

٣٥ (باب القيم) — قال واخبرنا ثعلب عن عمرو عن ابيه قال القيم السِنّور والسِنور السيد قال ابوعمرو الشيباني وأتي اعرابي بعض القبائل فقال مَن سِنَّوركم يابني فلان قال فزمّ القوم · فقال رجل منهم أقولها يابني فلان ؟ قالوا قلها انت لها قال انا سِنّورهم اي سيدهم قال ابوعمر قلت لثعلب كيف سموا السيد سِنّوراً قال لان عظم حلق الفرس يقال له السنور (٢) وهو أعز موضع في الفرس لانه مستقر رأسه والسيد الرئيس والرئيس الشاة التي عقر(٣) رأسها والشاة الثور والثور (٤) ظهور الحصبة والحصبة حصاة الجمرة والجمرة الفحمة والفحمة القسورة والقسورة ظلمة اول الليل والاول يوم الاحد قال ابو عمر وأنشدنا ابوموسى الحامض عن ثعلب :

أؤمل ان اعيش وان يومي باولَ او باهونَ او جبارِ
او التـالي دُبار فان أُفُته فمؤنس او عروبة او شيار

قال ابو عمر قال لي ابو موسى(٥) قلت لثعلب هذا الشعر موضوع قال لم قلت لان جبار ومونس وشيار تنصرف فقال الشعر يحتمل ما لا يحتمله الكلام · قال والاول يوم الاحد والاهون يوم الاثنين والجُبار يوم الثلاثاء والدُبار يوم الاربعاء والمؤنس يوم الخميس وعَروبةُ يوم الجمعة وشِيارٌ يوم السبت فأول الايام الأحد واول الاسبوع السبت · قال هذا كان عند العرب · قال ابوعمر أخبرني الكديمي عن رجاله عن ابن عباس قال ان الله تعالى خلق الجنة يوم الخميس وسماه مونساً ·

---

(١) في اللسان قَطِياً وهو الجمل الهائج والثاني والرابع ، من الذريحيات جعداً آركاً ، كأنه مجلل دَرانكا ، والكالك الجمل المكتنز اللحم ·

(٢) كذا في التاج عن ابن الاعرابي · غيره السنورة فقارة العنق من اعلى ·

(٣) اصيب · (٤) في اللسان والتاج الثور ثوران الحصبة وثارت بفلان ثوراً وثؤراً وثواراً وثوراناً انتشرت وحكى اللحياني ثار الرجل ثوراً ظهرت فيه الحصبة وهو مجاز ·

(٥) رواية ابي موسى عن ثعلب توجد في اللسان (عرب) ·

٣٦ (باب البرطنج) — قال واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال البرطنج (١) الحزام العريض والعريض الجَدْي والجدي النجم والنجم الذي تعرف به الكعبة والكعبة البيت المربّع والبيت المرأة قال وأنشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال :

لم يختر البيت على التغرّب ولااعتناق رحله عن مركب

فهو مُمَرٌّ كقِماط (٢) القِنَّب

٣٧ (باب القَسْوَرَة) — قال ابو عمر : واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال (٣) القسورة ظلمة الليل والليل فرخ الكَرَوان والكروان ضرب من الطير والضرب (٤) الرجل بين الرجلين لا طويل ولا قصير والقصير الممنوع يقال قصره قصراً اي منعه منعاً والمنع السرطان وقد مضى ذكره (٥) والسرطان داء يعرض في الساق و يجوز (٦) بالفتح والساق النفس والنفس (٧) الدم والدم الطلاء بالقطران والطلاء (٨) الخيط وأنشد ثعلب عن ابن الاعرابي فقال :

ما زال مذ فرّق عنه (٩) خُلبُه

٣٨ (باب الهُلْج (١٠)) اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال الهلج احلام (١١)

---

(١) فاتت اللسان والتاج والمعرّب للجواليقي ولأدّي شير . وذكرها ابن دريد في كتاب السرج واللجام له وهذا لفظه : البَرْطنج حزام يُشدّ فوق السرج اهـ وهي فارسية اصلها (برتنگ) بمعنى الحزام الاعلى (وهذا مماز يد على المعاجم) . (٢) الحبل الصغير يكاد يقوم من شدة فتله . (٣) مضى اكثر الباب . (٤) طرفة : «أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه» .

(٥) في الباب الاول . (٦) ظاهره إن لم يكن مصحفاً أنه يجوز بالفتح وان كان الاصل تحريكه ولم أجده في المعاجم (وهذا مما زيد عليها) . (٧) مشددة لغة في الدم المخفف وهذا ليصح قوله والدم الطلاء فانه مشدد . (٨) في التاج الطلاء الحبل الذي يشد به رجل الطلى وفي اللسان الطلي والطِلْو والطلوة والطَلْي والطُلْية والطِلْية .

(٩) بالضم الحبل الصغير قال : كالمسد اللدْن أمرّ خُلبه «اللسان» .

(١٠) الباب نقله الحاج خليفة في رسم المداخل .

(١١) اي أضغاث الأحلام .

نائم واحلام نائم ثياب غلاظ كانت تعمل بالمدينة واحدها ثوب والثوب (١) القلب والقلب العقل والعقل الوقم والوقم الروضة والروضة (٢) الماء يبقى في الحوض وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي : وروضةٍ سقيتُ منها نضوتي

٣٩ (باب فسوة الضبُع) — اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال فسوة (٣) الضبُع شجرة تحمل كالخشخاش حملاً لا يتحصل منه شيء قال ابو عمر الزاهد و يجوز (٤) الخشخاش بكسر الخاء والخشخاش (٥) الكتيبة والكتيبة الطبيّة (٦) اذا جمعت ظبيتُها والظبية الجراب والجراب (٧) الفتح والفتح النهَر (٨) والنهَر الدم المسال والمسال (٩) التراب وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

---

(١) في قول امرىء القيس : (فسُلّي ثيابي من ثيابك تنسلي) قال النحاس في شرحه ص١٩ يعني قلبه من قلبها قال الله عزوجل (وثيابك فطهّر) ومثله قول عنترة : (فشككت بالرمح الطويل ثيابه) ٠

(٢) قدر مايغطي ارض الحوض من الماء والشطر في اللسان ايضاً ومثله لحميان السعدي :
(وروضة في الحوض قد سقيتها نضوي وارض قد ابت طويتها)

(٣) هذا قول ابن خالويه كما في اللسان ٠ وغيره : ضرب من الكمأة ٠ ابو حنيفة : هي القعبل ٠

(٤) هذه مما زيد على المعاجم ٠

(٥) اللسان عن الصحاح الجماعة عليهم سلاح ودروع ٠

(٦) ان لم تكن تصحيف الظبية فانها كغنية الناقة المسترخية الاطباء والظبية (الثانية) حياؤها (مختصر الوجوه ص٧٠) وانما رجحنا الطبية لان ارباب المعاجم لفظهم في هذا المقام المكتوبة الناقة او البغلة التي شد حياؤها بالكُتبة لئلا ينزى عليها والمذكور في اللسان الكتيب للقربة المشدودة الفم فالكتيبة بالمعنى (وهذا مما زيد على المعاجم) ٠

(٧) لم أجده بالمعنى (وهذا مما زيد على المعاجم) وقد مرّ في الباب (الـ ١٨) ان الجراب بدن البئر اي جوفها ٠

(٨) غيره الماء الجاري في الانهار ٠

(٩) لا يوجد المعنى فهذه مما زيد على المعاجم ٠

أحثو (١) التراب على محاسنه   وعلى غراوة وجهه النضر

قال الغراوة الحسن وانما سمي الغَرِّيّ غرّياً لحسن من فيه · قال أحثُو إخبار ليس أمراً ولو كان أمراً كان مجزوماً مفهوم الالف ·

• ٣٠ (باب الفواس(٢)) — واخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي قال الفواس (٢) تشنيج سعف النخل والسعف(٣) جهاز العروس والعروس المعروف(٤) او المرأة وضده المنكر والضد الخلاف والخلاف الكُمّ يقال جعلته في خلافي اي في وسط كمي وانشد ثعلب عن ابن الاعرابي :

الا (٥) يزعزاع يسلي همي   يسقط منه فتخي في كمي

تم الكتاب بفضل الملك الوهاب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ·

---

(١) في الاصل على محاسن وجهه مصحفاً ومختلّ الوزن والبيت من كلمة من خير شعر العرب أنشدها المفضل لامرأة ترثي ابناً لها ومطلعها :

يا عمرو ما لي عنك من صبر   يا عمرو يا أسفي على عمرو
لله يا عمرو وأيّ فتى   كفنتُ يوم وضعتُ في القبر
أحثو التراب على مفارقه   وعلى غضارة وجهه النضر

وهي (٣٣) بيتاً انظرها في زهر الآداب للحصري (الرحمانية ٢ : ١٠٦—١٠٨) ·
(٢) لم أجد المعنى لهذه الكلمة ولا لشيءٍ من مصحفاتها معنىً ولم يذكر معظم اللغويين مادة (ف و س) اصلاً · (٣) كذا في مختصر الوجوه · (٤) يريد الزوج اي الرجل · (٥) الشطران مصحفان في الاصل وهما من رجز روى ابن طاهر في باب بلاغات النساء من كتاب المنثور والمنظوم (ص ١١٣) عن الكلبي · امرأة يقال لها ام الورد تزوجت برجل فعجز عنها فتقدمت الى والي اليمامة فقالت له : والله ما يسكني بضم ولا بتقبيل ولا بشم الا الزعزاع يطيح منه فتخي في كمي قال ففرّق بينهما الى آخر الخبر ولكن في أضداد الجاحظ في باب مساوىء العنّين ان هذا الخبر والاشطار في العجاج بزيادة (يطير منه حزني وغمّي) · وفي محاضرات الراغب (٢:١١٩ سنة ١٣٢٦ ﻫ) من غير عزو بزيادة ليس بهذا أمرتني أمي في الاول وفي الآخر لمثل هذا ولدتني أمي ·

قال مصحح الكتاب: وهذه زيادات على كبار المعاجم: كاللسان والتاج وغيرهما مرتبة. وذلك ان هذه المعاجم لم تأخذ حوشيّ اللغات وشواذّها المروية عن ابي عمر بطريق ابن خالويه وابي الطيب اللغوي واسحق بن محمد الآمي صاحب (الوجوه) الاقليلاً ولهذا ترى بعضها مدوّنة في مختصر الوجوه مع ان صاحبه ألغى عويصها بالمرة ولكن لما كان صاحب الوجوه اكثر من النقل عن يواقيت ابي عمر بقي في مختصره ايضاً بعض اشياء.

وهذه الزيادات في صور الكلمات وصيغها تارةً وأخرى في خصوصيات معانيها، ولا ادعي البراءة فربما يكون نظري شذ عن بعض ما في هاتيك المعاجم فحسبته فائتاً وهو موجود، والعصمة لله وحده.

الباب	
١٩	فطأته بمعنى خنقته
٠٩	السِرْب اسنان الجارية
٢٩	الكتيبة الناقة جمع حياؤها وشد بالكُتْبة
٢٩	الجراب الفتح (؟)
١١	الإفت اليفنة (؟)
٢٦	البرطنج الحزام العريض
٧	الحاجة الشوكة
المقدمة	الخُواج بمعنى الجوع
٢	الديباج الناقة اللينة المس
١٠	السرج الحسن
٣	السلاح شحم الإبل
٣	الخوخة الثوب الأحمر
٢٤	الدود الحصف (؟)
١٨	الأرقد او الرقد السمّ
٨	الرماد الهلاك
١٦و١٨	الصيد الماء وكل مايصاب بلا تعب

الباب	
٢٤	العقد الجمل القصير القوائم الطويل السنام فاذا مشى مع الجمال قصر من طولها واذا برك معها طالها الطول سنامه
٨	الحُرّ حي من العرب
٨	الحُرّ الرماد
١	المطر كثرة السواك
١	النفس الماء
٣٠	الفواس (ان لم يكن مصحفاً) تشنج سعف النخل
٢٩	الخشخاش (بالكسر)
٢	الابيض عرق في القفا
١٦	الحوض الحركة
٢٧	السرطان (بالفتح) هذا الداء المعروف
٤	الجعرا النخل الذي يحمل رطباً كبير النوى
٢٠	الإرضاع المواصلة
١٩	قطمته بمعنى خنقته

الباب		الباب	
٢٤	الحصف إحكام فتل الحبل	١٨	البدن الرجل المتماسك في جسمه
٢	صرفة الحرير بفتح الراء وكسرها واحدة السرق	٨	الجِذنّة طبق الخيزران
٨	الشولقيّ الطفيلي	٢٢	الظن القسم
١و١٦	الحركة منعُ البحر الصيدَ	١٩	العين خاصة الملك ووليه
٣	الفرسكة بالتاء الخوخة	٩	الحياء فرج المرأة
٢٩	المُسال التراب	١٩	الزكية اصل الصدّيانة
١٥	الحرام النملة	١٦	العليان الناقة السريعة
٣	الشحم البياض	١٦	الفناء هو الثناء لغة

تم ولله الحمد على ذلك سلخ ذي القعدة الحرام سنة ١٣٤٦ (مايو سنة ١٩٢٨) بعليكرة (الهند) على يد العاجز

عبد العزيز الميمني

الراجكوتي

الاندلس

— ٣ —

« عبرة وذكرى »

قسمنا الحكم الأموي الى ثلاثة أدوار : (١) الولاية (٢) الامارة (٣) الخلافة . وتكلمنا عن الدورين الاولين ، ونحن الآن متكلمون عن الدور الثالث وهو الخلافة . نبدأ بالاحداث السياسية ، ثم نثني بالاعمال العمرانية ، على ماأخذنا به نفسنا من قبل .

الحالة السياسية قبل عبدالرحمن الناصر : قلنا : ان الأمويين كان قد التاث امرهم بعد عبد الرحمن الاوسط ، فدب الضعف والدسائس الى جهاز الدولة ، واخذت الفتن والفوضى بخناقها ، وجعل اعداء الدولة الاموية يرقبون زوالها في الغرب ، بين حين وحين ، كما زالت من قبل في الشرق .

وبينا العرب وامرهم عليهم غُمّة : يزدادون فُرقة فيزدادون ضعفاً ، والاسبان : يزدادون وحدةً فيزدادون قوةً ، اذ بعبد الرحمن بن محمد المقتول ابن عبدالله ، يبايع له بالامارة بعد جده عبد الله .

ومحمد هذا ، كان قتله اخوه المطرّف بن عبدالله بعد ان أبصر عبدالرحمن النور بيوم واحد . فنشأ عبدالرحمن في حَجر جده عبد الله . وبويع له بالامارة وهو شاب في الثالثة والعشرين من عمره . وبالحضرة اعمامه واعمام ابيه ، فلم يختلفوا فيه .

وما ادري كيف اتفقوا على مثله فتى ، في زمان كان فيه الاب يقتل ابنه في اقل من الامارة . ولعل قومه رأوا ما كانت عليه دولتهم من القلق والاضطراب ، وشعروا بما كان يهددها من زوال ، وآنسوا بعبد الرحمن مضاء العزيمة والحزم ، فجمعهم اليه ولو الى حين ، خوفهم من سوء العقبي .

واذا كان الامر قد آتاه من هذه الوجهة ، فقد قامت في وجهه من وجهات أُخرى مصاعب جمة ، لا تقل شيئاً عما كان لقيه جده عبد الرحمن الداخل . خوارجُ متوثبة عليه في الداخل ، والاعداء متربصة به الدوائر في الخارج ، الاسبان من الشمال ،

والفاطميون من الجنوب . فكان عليه ان يضرب بسيف جده الداخل ، فيقاتل اهل البلاد من قومه ، ومن الاسبان ، وان يقاتل الفاطميين بدلاً من العباسيين الذين قاتلهم جده .

سياسته : رأى عبد الرحمن ان سياسة الضعف والتردد التي سار عليها الامراء المتأخرون من بني أمية ، قد أدت الى تفكك عرى الوحدة القومية ، فكان من وراء ذلك جماح العرب ، وطماح الاسبان ، فأخذ من امره بالحزم والشدة . غير انه حزم كانت تتقطع له نياط القلوب ، وشدة كانت تقشعر لهولها الابدان ، في كثير من الاحيان .

اظهاره الخلافة : ومن حزمه انه كان يهتبل الفرص فلا يتركها تمر مر السحاب . بلغه سنة ٣١٧ ان المقتدر بالله العباسي قد قتله مولاه مونس المظفر ، فبادر عبد الرحمن فأعلن الخلافة واتخذ لنفسه القابها : تسمى بامير المؤمنين ، وتلقب بالناصر لدين الله ، وضربت السكة باسمه ، وخطب له على منابر البلاد ، وبعث الى الجهات بمنشور جاء فيه :

« اما بعد ، فانا أحق من استوفى حقه ، وأجدر من استكمل حظه ، ولبس من كرامة الله ما ألبسه . للذي فضلنا به ، وأظهر أثرتنا فيه ، ورفع سلطاننا اليه ، ويسر على أيدينا دركه ، وسهل بدولتنا مرامه . وللذي اشاد في الآفاق من ذكرنا ، وعلو امرنا ، واعلن من رجاء العالمين بنا ، وأعان من انحرافهم الينا ، واستبشارهم بدولتنا . والحمد لله ولي الانعام بما أنعم به . واهل الفضل بما تفضل علينا فيه .

وقد رأينا ان تكون الدعوة لنا بامير المؤمنين . وخروج الكتب عنا وورودها علينا بذلك . اذ كل مدعو بهذا الاسم منتحل له ، ودخيل فيه ، ومتسم بما لا يستحقه ، وعلمنا ان التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك ، حق اضعناه . واسم ثابت اسقطناه . فأمر الخطيب بموضعك ان يقول به . وأجر مخاطبتك لنا عليه ، ان شاء الله . والله المستعان . »

ولسنا نقف عند ما قاله مؤرخونا من ان قتل الخليفة العباسي هو الذي دعاه الى اعلان الخلافة ، فلقد كان ذلك سبباً من الاسباب لا السبب كله ، والا فقد قتل قبل المقتدر غير واحد من الخلفاء العباسيين ، فما تحرك أموي في الغرب بدعوة ، ولا طالب من الخلافة بحق . ذلك ان القوم كانوا يعدون الخلافة الصحيحة خلافة المشرق ، فكان كل

عزيز منهم يرمي بابصاره اليها ، وكانوا يرون في امارة الاندلس مدرجة الى العودة الى الملك القديم . وحسبنا على ذلك ان عبدالرحمن الداخل، خرج من الشام طريداً مشرداً ، لا ملك له فيه ، فأسس في الغرب الملك الذي رأينا غير انه ما برح يتشوق الى الشام ويعد نفسه في الاندلس غريباً .

وقد هم غير واحد من أمية بغزو المشرق والعودة اليه ، لولا ان شغلهم من الحروب والفتن ماذكرت بعضه ، فلما يئس عبد الرحمن الناصر من امر المشرق ، وقد توسطت بينه وبين خلافتها خلافة جديدة ، هي الخلافة الفاطمية بالمغرب ، رأى ان يكتفي بالاندلس ، يعلن فيها خلافته ، ويمشي بها رجوعاً الى ناحية المشرق على قدر ما يمتد معه الفتح .

اذا لم تستطع امراً فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

ونحن بعد ، نجمل اعلان هذه الخلافة في أسباب خمسة :

١ — مكانة عبد الرحمن الناصر وطموحه

٢ — وقوف آماله عن غزو المشرق

٣ — قيام الخلافة الفاطمية وتوسطها بينه وبين الخلافة العباسية جرثومة الخلافة ، وانشغاله عن هذه بتلك .

٤ — ضعف الخلافة العباسية والتياث امرها .

٥ — قتل المقتدر العباسي

والسبب الخامس هو حجة ظاهرة انتحلها عبد الرحمن يتذرع بها ، وهو انه لم ينتزع الخلافة من صاحبها انتزاعاً ، وان كانت حقه ، ولكنه وجدها عاطلة تائهة فآواها وحلاها . أسلوب من أساليب الحيل السياسية من قبل ومن بعد .

حروب عبد الرحمن وقمعه للفتن : نهض عبدالرحمن الى الحرب يباشرها بنفسه ، فقاتل الثوار وهم كثر ، في غير موطن قتالاً متواصلاً ، وكان أشدهم عليه بنوحفصون ، واولهم عمر . قال ابن خلدون : وهو اول ثائر كان بالاندلس ، وهو الذي افتتح الخلاف بها ، وفارق الجماعة ايام محمد بن عبد الرحمن في سنة ٢٧٠ . خرج بجبل يشتر (   )

من ناحية رَيُّةَ ومالِقة ، وانضم اليه الكثير من جند الاندلس . وابتنى قلعته المعروفة هناك . واستولى على غرب الاندلس الى رُندة ، وعلى السواحل من الشيجة الى البيرة .

ومهما يكن من النظر في قول ابن خلدون ، من ان ابن حفصون هو اول ثائر ، فان الرجل كان قد مر عليه وهو ثائر عشرات من السنين ، قاتل فيها اربعة امراء من الأمويين : محمداً والمنذر وعبدالله وعبدالرحمن ، وراسل ابن الاغلب بافريقية ، واظهر دعوة بني العباس ، وخالص ملك الجلالقة ، وأعلن دعوة عبيد الله المهدي . فكان ابن حفصون هذا رجلاً قد عشش الخلاف في رأسه ، وفرّخت الفتنة في قلبه ، فرماه الله بعبد الرحمن ، فما زال به حتى راجع طاعة بني أمية . ثم تغلب عبد الرحمن على أبنائه من بعده : سليمان وجعفر وحفص أبناء عمر بن حفصون . بعدما تكرر من نكثهم ورجوعهم . فانقرض امر بني حفصون بعد ثورات دامت خمساً واربعين سنة من ٢٧٠ — ٣١٥ .

ولم يشغله قتال الثوار ، عن الاسبان والفاطميين . فكانت ايامه كلها جهداً وعناء بما لقي من عنت الخوارج ، وتمرد العصاة ، وطمع ملوك الأطراف من المسلمين ، وقتال امراء النصارى في استوريا ، ونوارة ، وملكي [لاون] اوردنيو الثاني ، ورامير [ردمير] الثاني ، ومحاربة الفاطميين في إفريقية بعد ظفرهم بالادارسة ، وايغالُ جنوده الى السودان المصري . ومع هذا فقد خرج من معظم تلك الحروب ظافراً . فدوخ البلاد ، واخمد الفتن . وظفر بالمنتقضين عليه ، لم يراع منهم كبيراً ولا صغيراً ، قريباً كان او بعيداً ، قتل اخاه القاضي بن محمد ، وابن عم ابيه محمد بن عبد الجبار ، عند ما آنس منهما نية الانتقاض عليه ، بل قتل ابنه عبد الله بن عبد الرحمن لمثل ذلك .

فاستقامت له الاندلس بعد سبع وعشرين سنة ، قضاها في قتال كان يشهد اكثره بنفسه ، الى ان كان عام الخندق ، في آخر الربع الاول من القرن الرابع ، يوم اوقع رامير ملك لاون واشتورش بالمسلمين فقتل منهم خمسين الفاً . فقعد عبد الرحمن بعد ذلك عن الغزو بنفسه ، وصار يردد الصوائف في كل عام . فبلغ من بلاد الفرنجة مالم يبلغه غيره . وراسله ملوك النصارى ، واوفدوا عليه رسلهم وهداياهم من رومية والقسطنطينية مهادنة له ، وتزلفاً الى مرضاته . وجلس للوفود مجلساً عاماً كان من الايام المشهود في تاريخ العرب ، ظهرت فيه الخلافة الاندلسية في مظهر من الابهة والعظمة والفخامة ، ليس بعده غاية .

وعرضت الجيوش ، وأنشدت الاشعار ، وألقيت الخطب ، فشهدت الوفود مشهداً ترك في نفسها اثراً كبيراً من قوة الدولة ونظامها .

واتاه الملوك المتاخمون لبلاد المسلمين في الاندلس . وسما الى ملك العدوة فاخذ سبتة ، ونقل الفرضة من ايدي اهلها ، واطاعه بنو ادريس امراء العدوة ، وملوك زناتة والبربر . وفتح طليطلة ، وقرمونة [1] ، واشبيلية ، وكثيراً من البلاد العاصية والبلاد المستقلة .

ومما يعد له في الدماء ، ومكارم الاخلاق ، ويجمل بالامراء من اصحاب الوطنية الحق ان يقتدوا به ، ما كان منه نحو اردون (اردونيو) ملك لاون [2] وقد غزا بجيوشه ماردة ،

(١) قرمونية او قرمونة وهو الاكثر ، كورة بالاندلس يتصل عملها باعمال اشبيلية غربي قرطبة وبينها اثنان وعشرون فرسخاً ، وشرقي اشبيلية وبينهما سبعة فراسخ . قديمة البنيان . عصت على عبدالرحمن بن محمد الأُموي فنزل عليها بجنوده حتى افتتحها وخربها ثم عادت الى بعض ما كانت عليه .

قال ابن صارة الاندلسي في بعض ملوك العرب — ولعله الناصر — وكان قد فتح قرمونة :

اظلّ على قرمونة متجليـاً ... مع الصبح حتى قلت كانا على وعد
فارملها بالسيف ثم اعارها ... من النار اثواب الحداد على النقد
فياحسن ذاك السيف في راحة العلى ... ويا برد تلك النار في كبد المجد

(٢) أُردنيو (Ordogno) اسم عدة ملوك من ملوك استورياس ولاون ، اشهرهم اردنيو الثاني ملك من سنة ٩١٢—٩٢٣ . هجر اوڤيادو وأقام بلاون واخذ طلبيرة وخربها وحارب عبدالرحمن الناصر سنة ٩١٦ ومضى لمساعدة نوارة وانكسر في واقعة فال جنكويرا سنة ٩٢٢ . وقال ابن خلدون : وفي اول المئة الرابعة للهجرة ملك على الجلالقة اردون ابن رذمير بن برمند بن قربوله بن اذفونش بن بيطر وخرج سنة ٣٠٢ الى الثغر الجوفي لاول ولاية الناصر وعاث في جهات ماردة واخذ حصن الحنش وبعث الناصر وزيره احمد ابن عبدة في العساكر الى بلاده فدوّخها ثم أغزاه ثانية ٣٠٥ فنكث ؟ وقتل ؟ ثم اغزى بدراً مولاه فدوّخ ورجع ثم غزا بنفسه بلاد جليقية ٣٠٨ واستنصر اردون بشانجة بن

فنهبها وعاث فيها ، واخذ حصن الحنش وانتهى الخبر الى عبدالرحمن وهو مشغول بمحاربة الفاطميين بافريقية ، فلم يعقه ذلك ، ولا منعه ان ماردة كانت ثائرة عليه ، من ان يوجه الى نصرتها وزيره احمد ابن ابي عبيدة[1] فيهزم الاسبان ، ويغنم منهم غنائم كبيرة و يسبي فيهم سبياً كثيراً .

استألف الناصر جيرانه بعهود عقدها بينه وبينهم ، منهم اردن (اردونيو) الثاني ملك ليون و (شانجه) سانكو ملك نافار البشكنس .

كان عبد الرحمن من الملوك الذين لايجود الزمن بامثالهم الا قليلاً . ما نقول هذا عصبية قومية بل حقيقة تاريخية ، اعترف بها مؤرخو الغرب فأوسعوا لاسم عبد الرحمن مجالاً في كبيرات معلماتهم على قلة ما يفعلون ذلك برجالنا .

وعبد الرحمن الناصر كان عظيماً في كل شيء . في تدبيره وفي همته ، وفي حربه وفي بأسه ، وفي فتكه وفي عفوه ، وهو ما اشرنا اليه . وفي مناصرته للعلم ، ومعاضدته للعمران ، على ما نذكره في موضعه . واذا كان يعد عليه انه قتل ابن عم ابيه ، وقتل اخاه ، بل قتل ابنه ، فهذا امر لا يعنينا كثيراً لانه من الامور الخاصة ، وهو أعلق من حيث العواطف بنزعة الرحمة والشفقة ، منه بباب الحزم والسياسة ، بل قد يكون الحزم والسياسة في ما فعل ، على هول ما فعل وفظاعته .

غير ان ما نعده عليه ، ونؤاخذه به ، مما يرجع الى السياسة العامة ، و يتعلق بحياتنا القومية ، هو انه أضعف العصبية العربية ، بتقديمه الموالي على العرب ، وتأميرهم عليهم ، على نحو مافعل العباسيون في بغداد . فكان ذلك زائداً في تفكيك عرى الامة وتخاذلها ، وفي بعد الشقة بين ابنائها ، وقيام بعضهم على بعض ، وفي ضياع الرهبة من القلوب ، امر اذا حال سلطانه دون ظهوره في ايامه ، فقد كان ضرره بعد ذلك خطيراً .

غرسية ملك البسكنس (البسكة) وصاحب بميلونة فهزمهم الناصر ووطئ بلادهم وخربها وفتح حصونهم وهدمها وردد الغزو بعد ذلك في بلد غرسية الى انهلاك اردون وولي بعده ابنه غرويلة سنة ٣١٣ .

(١) وفي دائرة المعارف الجزء الثالث ص ٤٠ وفي ما مر معنا من كلام ابن خلدون احمد بن عبده .

وفاته وولايته : توفي عبد الرحمن سنة ٣٥٠ (٩٦١) فكانت ولايته خمسين سنة قمرية ·

الحكم : انتهى اليه الامر بعد ابيه عبد الرحمن الناصر ، فمهد الامور على السنة التي كان استنها ابوه ، من عقد المعاهدات مع جيرانه ملوك الاسبان · ذلك بعد ان حارب بعضهم ، ونكث البعض الآخر عهده الذي كان عقده مع ابيه · فظهر عليهم ، ودفع عاديتهم ، واوغل في بلادهم ، فاحتل بعضها · وشرط عليهم في المعاهدات التي عقدها معهم شروطاً كانت في مصلحة المسلمين ، فنزلوا على حكمه ، وقبلوا بها وأخلدوا الى السكينة · فأمن جانبهم ·

وظهر النورمان او المجوس على لغة العرب في مياه اشبونة ، وعاث قرصانهم فساداً في الثغور ، فقاتلهم الاهلون الى ان وصل الاسطول الذي أرسله الحكم ففروا وأخلوا البلاد · ثم التفت الى المغرب الأقصى وكان صاحبه الحسن بن كنون — آخر ملوك الادارسة — قد نكث عهد قومه مع الناصر وحالف العبيديين ، فلما عاد جوهر قائد العبيديين من افريقية الى مصر ، عاد الحسن فحالف الحكم · ثم ثار بلكين بن زيري امير صنهاجة وزحف الى المغرب فدخل الحسن في طاعته ونبذ طاعة الأمويين مرة ثانية · فلما رجع بلكين الى افريقية ارسل الحكم الى الحسن جيشاً ضخماً عبر البحر من الجزيرة الخضراء الى سبتة ، فتغلب على الحسن وجيء به الى قرطبة · وسار الجيش الى فاس فامتلكها وأضافها الى بني أمية وقطع دعوة العلويين من تلك البلاد ·

اخلاق الحكم : كان الحكم عالماً عارفاً بالتاريخ والشريعة ، حتى قيل عنه انه اعلم بني أمية · جاب له ابوه مشايخ العلماء وجلتهم في الشرق والغرب ، فتخرج بهم وكانت له تعليقات بخطه على كثير من كتبه وينسب اليه شعر رائق :

وفاته وخلافته : توفي الحكم ثاني صفر سنة ٣٦٦ فكانت خلافته ست عشرة سنة ·

* * *

هشام المؤيد بالله : ولي بعد ابيه الحكم، وسنه عشرة اعوام وأشهر . فكان له من الخلافة اسمها ولقبها ، والامر كله لابي عامر محمد بن عبدالله بن ابي عامر، مؤسس الحجابة العامرية(١) بل دولة بني عامر كما كانوا يسمونها .

دولة بني عامر : مبدأ امر ابي عامر: انه ورد شاباً من طُرُش (تور كس) من الجزيرة الخضراء الى قرطبة . فطلب العلم والادب وسمع الحديث وتميز في ذلك . وكانت له همة يحدث بها نفسه بادراك معالي الامور ، ولم تزل حاله تعلو منذ ورد قرطبة ، الى ان تعلق بوكالة السيدة صبح(٢) ام هشام المؤيد بن الحكم المستنصر والنظر في اموالها وضياعها ، فزاد امره في الترقي معها ، الى ان رغبت الى الخليفة في توليته القضاء فولاه ، فظهرت نجابته ، فترقى الى ولاية الزكاة والمواريث باشبيلية . فلما توفي الحكم ، وهشام صغير ، وخيف الاضطراب ، ضمن ابو عامر لصبح سكون الحال وزوال الخوف واستقرار الملك لابنها . وكان ابوعامر قوي النفس . وساعدته المقادير ، وأمدته المرأة بالاموال، فاستمال العساكر اليه ، وجرت أحوال علت قدمه فيها ، حتى صار صاحب التدبير ، والمتغلب على الامور . وحجب هشاماً ، وتلقب بالمنصور ، وامر بالدعاء باسمه على المنابر عقب اسم الخليفة، ثم تجرد لرؤساء الدولة ممن عانده وزاحمه ، فحطهم عن منازلهم ، وقتل بعضهم ببعض . كل ذلك عن امر هشام وخطه وتوقيعه ، حتى استأصل شأفتهم ، ومزق جموعهم ، لا مستثنياً أموياً ولا ولداً ، بدأ بالمغيرة بن عبد الرحمن الناصر اخي الحكم فقتله ليلة البيعة لهشام ، بمالأة الحاجب جعفر ، وقاتل حماه غالباً مولى الحكم فقتله . وحمل جعفراً على نكبة الصقالبة الخصيان فنكبهم وشردهم ، وكانوا ثمانمائة او يزيدون . ثم قبض على جعفر نفسه فسجنه حتى مات ، وقتل ابنه عبدالله بن ابي عامر . ومضى يقتل من يخشى منهم من بني أمية وزعماء القبائل ، يُظهر انه يفعل ذلك حماية للمؤيد وشفقة عليه . حتى افنى من

(١) لما قسم بنو أمية خطط الوزارة بالاندلس جعلوا بين الوزراء والخليفة رسولاً يتردد بينهم في المهام سموه باسم الحاجب فارتفع عن الوزراء بمباشرته للسلطان في كل وقت وعلا مجلسه عن مجالسهم وكان يحجب السلطان عن الخاصة والعامة . فأشبهت خطته رئاسة الوزارة . (٢) وهي شعرانية نافارية .

يصلح منهم للولاية والرآسة ، ثم شرد باقيهم عن البلاد ، وجردهم من الأموال، فدانت له أقطار الاندلس كلها وأمنت به ، ولم يضطرب عليه شيء منها ايام حياته لعظم هيبته ، وفرط سياسته . واستوزر جماعة من اهل العلم والأدب . ولم يزل ابو عامر طول ايام مملكته مواصلاً لغزو الروم (الاسبان) مفرطاً في ذلك لا يشغله عنه شيء . و بلغ من حبه للغزو انه ربما خرج للمصلى يوم العيد فحدثت له نية في ذلك فلا يرجع الى مقره ، بل يخرج بعد انصرافه من المصلى كما هو من فوره الى الجهاد فتتبعه عساكره وتلحق به ، اولاً فاولاً . فلا يصل الى اوائل بلاد الروم الا وقد لحقه كل من أراده من العساكر . غزا في ايام مملكته نيفاً وخمسين غزوة ، وفتح فتوحاً كثيراً ، ووصل الى معاقل قد كانت امتنعت على من كان قبله ، وملأ الاندلس غنائم وسبياً من بنات الروم واولادهم ونسائهم .

وفي ايامه تغالى الناس بالاندلس فيما يجهزون به بناتهم من الثياب والحلي والدور ، وذلك لرخص اثمان بنات الروم ، فكان الناس يرغبون في بناتهم بما يجهزونهن به مما ذكرنا . ولولا ذلك لم يتزوج احد حرة .

قال المراكشي صاحب تاريخ الاندلس الذي نقلنا عنه معظم هذا الفصل : بلغني انه نودي على ابنة عظيم من عظماء الروم بقرطبة وكانت ذات جمال رائع فلم تساو اكثر من عشرين ديناراً عامرياً .

كانت وفاة ابي عامر المنصور باقصى ثغور المسلمين بموضع يعرف بمدينة سالم سنة ٣٩٣ بعد ان ملأ الاندلس بحديث انتصاراته وفتوحاته ، في الجنوب والشمال ، واغنى البلاد بالغنائم والاموال .

وابو عامر من اجلّ ملوك الاسلام عظمةً وشأناً ، واكبرهم فتحاً واعظمهم سلطاناً ، استوثق له ملك المغرب وملك العدوتين ، وكان من امكر رجال السياسة واشدهم استبداداً على عدل في الرعية ، ونصفة في الاحكام . وقد طالت امارته نحواً من سبع وعشرين سنة . وخلفه ولده عبد الملك المظفر ابو مروان وكان مقتفياً اثر ابيه في الجهاد تحرش ملوك الاسبان بحدود المسلمين لاول ولايته ، فأوقع بهم بما تمكّن من هيبته في قلوبهم ، فاخلدوا الى السلم . فكانت ايام المظفر على قصرها اعياداً في الخصب والامان . توفي سنة ٣٩٨ قيل مسموماً سمه اخوه عبد الرحمن فكانت ولايته سبع سنين . فخلفه اخوه عبد الرحمن ، هذا

وتلقب بالناصر لدين الله · ولم يقف به الامر عند الحجر على الخليفة ، والاستبداد بالسلطان، كما فعل ابوه ثم اخوه ، بل حاول ان يستأثر بما بقي من رسوم الخلافة ومظاهرها · فاكره هشاماً ان يعهد اليه في الخلافة من بعده ، واستكتبه عهداً موثقاً بانه لما « لم يجد عنه مذهباً ، ولا الى غيره معدلا، خرج اليه من تدبير الامور في حياته ، وفوض اليه الخلافة بعد وفاته ، طائعاً مختاراً مجتهداً ، وامضى امير المؤمنين هذا واجازه وانفذه ، ولم يشترط فيه ثُنْيا ولا خيارا ، واعطى على الوفاء به ، في سره وجهره ، وقوله وفعله ، عهد الله وميثاقه وذمة نبيه (صلى) وذمة نفسه ، ان لا يبدل ولا يغير ولا يحول ، واشهد على ذلك الله والملائكة وكفى بالله شهيداً · واشهد من اوقع اسمه في هذا وهو جائز الامر ما في القول والفعل ، بحضر من ولي عهده المأمون ابي المظفر بن المنصور وفقه الله تعالى وقيد له ما قلده ، والزمه نفسه ما في الذمة · وذلك في شهر ربيع الاول سنة ثماني وتسعين وثلاثمائة · »
هذا ما كتبه صاحب الحق الموروث في الخلافة الاموية الاندلسية طائعاً ... مختاراً ... ومجتهداً ! ؟ وقد علمتنا الحرب وما عقبها قيمة الطواعية والاختيار والاجتهاد في ما يكتبه المستضعفون والمعميون والمرتزقة من المضابط في مثل هذه الحوائق ·

عظمت هذه البيعة على الناس عامة ، وانصار الامويين خاصة ، فكانت صفقة هائلة دفع فيها ولي العهد المأمون ، ابو المظفر بن المنصور ، حياته ثمناً لها ·

* * *

الفوضى وخلفاء الفتنة : وكان امراً مقدوراً ان يتفق الناس على خلع هشام المؤيد ، بعد ان رأوا من حاله ما رأوا ، وبعد ان أصبح ضُحكة الخلفاء · فبايعوا لمحمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر وذلك في ١٨ جمادى الآخرة سنة ٣٩٩ (١٠٠٩) ·

محمد بن هشام : قام محمد هذا بقرطبة فالتف حواليه الغاضبون من قريش عامة ، والامويين خاصة · والعرب ولا سيما اليمانية · اولئك ، لما عظم عليهم من استبداد البربر بالامر منذ ايام الناصر الى آخر دولة العامريين ، واليمنية لما ركب اكتافهم من تحكم القيسية الذي طال عليهم امده ·

تلقب محمد بالمهدي ، واخذ المؤيد فحبسه ، وبلغت انباء هذه الفتنة عبد الرحمن

العامري وكان بجليقية غازياً ، فقفل راجعاً الى قرطبة ، فلما قرب منها انفض عنه جمعه ، وخذله حتى البربر : انصار الدولة العامرية ، لسوء تدبيره ، ووثب به الثائرون فاحتزوا رأسه وحملوه الى المهدي . وكان عبد الرحمن قد قتل اباه هشاماً ، فانقرضت به دولة العامريين سنة ٣٩٩ .

واشتد المهدي على البربر انتقاماً منهم ، وتقرباً الى العرب فأبعدهم عنه ، وامر بهم ان لا يركبوا ولا يحملوا سلاحاً ، وصادرهم وثارت بهم الدهماء فانتهبت دورهم .

فأئتمر البربر بينهم بخلع المهدي ومبايعة هشـام بن سليمان الناصر ، ففشا الامر ، وتغلب عليهم المهدي فأزعجهم عن قرطبة وجاء بصاحبهم هشام بن سليمان ، واخيه ابي بكر ، وغيرهما من الزعماء ، فضرب اعناقهم .

واجتمع البربر بظاهر قرطبة ، ولحق بهم سليمان بن الحكم ابن اخي هشام المقتول ، فبايعه اصحـاب عمه ، ولقبوه بالمستعين . ونهض به اصحـابه الى طليطلة ، واستجاشوا بصاحب قشتالة فكان الى اجابتهم — على جاري العادة — سريعاً ، أمدهم بالجند والمال ، فسار سليمان الى قرطبة في جمع من البربر والنصارى ، فانكسر المهدي بعد معركة قتل فيها من رجاله خلق كثير ، فيهم الأئمة والعلماء ، وفر من قرطبة فدخلها سليمان وذلك من شوال سنة ٣٣٩ نفسها .

فكانت خلافة محمد المهدي بضعة اشهر .

سليمان بن الحكم : ولي الامر بعد ان تغلب على المهدي .

اما المهدي فلحق بطليطلة واستجاش في نوبته بسانجة اوشانجة (سانكه الثالث ملك نوارة وقسطيلة) فأنجده . فكر المهدي راجعاً الى قرطبة فكشف عنها المستعين . ففر هذا باصحابه ودخل المهدي قرطبة وجدد البيعة لنفسه . وذلك في منتصف شوال من السنة المذكورة .

فكانت خلافة المستعين هذه ، اياماً معدودة من شهر شوال .

محمد بن هشام : فلما عادت هذه الخلافة الحائرة الى محمد المهدي مرة ثانية ، خرج في جيشه وجيش الاسبانيول — الذي أمده به صـاحب قشتيلية — لقتال المستعين ،

وكان المستعين قد لحق بشاطبة وتفرق اصحابه في البلاد يعيثون فيها فساداً . وانكسر المهدي وعاد الى قرطبة مدحوراً ولحق به المستعين لحاصرها .

هشام بن الحكم : واشتد الامر على المهدي فرأى ان يعيد هشاماً المؤيد بل المقيد ، صاحب العامري بن ، وسجين المهدي نفسه ، وهو الذي كان قبل الفتن . وقام المهدي في حجابته تسكيناً للثورة ، وذلك في ذي الحجة سنة ٣٩٩ . فلم يفلّ ذلك من غرب الفتنة ، ولا رفع الحصار عن قرطبة . فوثب الصقالبة على المهدي صاحب الحجابة بعد الخلافة فقتلوه دفعاً للفتن . وذلك يوم الاحد السابع من ذي الحجة سنة ٤٠٠ .

وسعى المؤيد في ان يصرف اليه البربر عن المستعين ، فلم يوفق . وتعهد المستعين لالفونس الخامس ان يسلمه مافتحه الحاجب المنصور من حصون قسطيلة ، ان هو أعانه على خلع المؤيد . وبلغ الخبر المؤيد فرأى ان يدخل مع المستعين ابن عم ابيه في المناقصة . فتعهد لالفونس ان ينزل له عن هذه الحصون فوراً ان هو لم يجد المستعين . ورأى الفونس في مناقصة المؤيد صفقة اربح من صفقة المستعين ، هذا يسلمه الحصون تسليماً معلقاً ، وهو يحتاج الى قتال يقاتله معه ، والمؤيد يسلمها ناجزة من غير قتال ، فرغب في الثانية عن الاولى ، وأجاب المؤيد الى طلبه ، وتسلم الحصون .

وعاد المستعين يضيق على قرطبة الحصار . ثم اقتحم الزهراء ، ومازال بقرطبة يراوحها القتال ويغاديها ، وينأى احيانا عنها ثم يدانيها ، حتى استولى عليها بعد معارك طويلة ، وقتال اتصل الى منتصف شوال سنة ٤٠٣ . كان يكون مرة له ومرة عليه .

سليمان بن الحكم : عاد المستعين الى قرطبة في ذلك التاريخ ، فعادت الخلافة اليه . وكأن الخلافة كانت في الغرب في ذلك العهد ، موقوفة على من يملك قرطبة ، كما كانت في الشرق ، موقوفة في الغالب على من يملك الحرمين . وقبض سليمان على هشام المؤيد واخفاه ثم قتله سراً . واتى البربر اصحاب المستعين من الافاعيل في الزهراء وقرطبة ، ما قضى على شطر كبير من الحضارة والعمران ، وانزلوا انواع المعرة واصناف العذاب بالسكان ، الشيوخ والاطفال والرجال والنسوان . وتفرق البرابرة على الولايات الاندلسية يقتسمونها بينهم ، ويتحكمون فيها في الناس ، ووثب بعض العرب كل منهم في ناحية

استولى عليها ، فكان ذلك مبدأ ملوك الطوائف .

غير ان المستعين تعوّض عن تلك الولايات الضائعة ، والسلطان المضطرب ، لقباً جديداً هو الظافر . اضافه على اسمه الكريم الى لقبه القديم ، يقوّي به ملكه الضئيل . فاصبح سليمان بن الحكم : المستعين الظافر . المستعين ! وبمن ؟ بالفونس عدو وطنه ، و بالبرابرة اعداء قومه . والظافر ! وعلى من ؟ على ابناء عمومته لحمًا ، وعلى ذوي قرابته وقومه ، دمًا عصبيةً .

ولم يطل امره حتى تغلب عليه ابن حمود العلوي وقتله بيده في المحرم من سنة ٤٠٧ هـ ١٠١٦ م .

(لها بقية) عارف النكدي

حول كتاب
من كتب الجاحظ

قد خدم العلامة محمد راغب الطباخ العلوم الاسلامية خدمة كبيرة بنشر كتاب[1] الدلائل والاعتبار للجاحظ اذان كل كتاب من قلم هذا الفيلسوف الشهير يزيد في تقديرنا لترقي العلوم في زمانه وليس قصدي هنا تقريظ الكتاب ولاالمؤلف وكانت نسخة من هذا الكتاب في مكتبة المتحف البريطاني تحت رقم ٥٣٨٣٣٦ وعزم صديقي المستر جيب (Gibb) احد اساتذة المدرسة الشرقية في لندرة على نشرها فأخذ منها نسخة لهذا السبب ولكن لما زار مصر حديثاً اهداها الى العلامة احمد زكي باشا . ولما كانت الطبعة منقولة عن نسخة واحدة أحببت مقابلتها بالنسخة اللندنية وهذا ما وجدته : اولاً ان للنسخة اللندنية مقدمة ليست في المطبوعة وهي ايضاً اقل حجماً بكثير وتنتهي في وسط المطبوعة تقريباً ومع هذا ان اكثر العبارات مقتضبة ولكن لا شك انها الكتاب نفسه فرأيي ان الناسخ اقتصر على ماظنه مؤدياً للمراد . ورجائي انه سيكون نافعاً أن انشر ما نقص من اول الكتاب ولقد صححته على حسب الطاقة لان التحريف كثير من الكاتب اليماني الذي كتب النسخة اللندنية ولاجل ان يرى الاختلاف بين النسختين في الألفاظ نقلت ايضاً قسماً من اول النسخة المطبوعة للمقابلة بينهما مع الاشارة في ذيل الصفحات الى تصحيح ما أمكن تصحيحه .

ف . كرانكو

وهذا هو الفصل المنقول من اول النسخة اللندنية :

« كتاب العبر والاعتبار تأليف ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ »

بسم الله الرحمن الرحيم

والسلام على عباده الذين اصطفى . قال ابوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ :

---

(١) المجمع : راجع تقريظ هذا الكتاب في مجلة المجمع من المجلد الثامن ص ٤٤٠ .

الحمد لله الذي سمك السماء بقدرته ، وجعل الارض مهاداً بحكمته ، ونظم ما بينهما ببراهين بادلة(١) خالق الامور المتعادية ، والآلات المتباينة ، والجواهر والاعراض المختلفات والمتفقات من نور وظلمة وذي سكون وحركة وانس ووحشة وخفاء(٢) ورقة وضعف وقوة ونوم ويقظة وضحك وبكاء وغضب ورضاء الذي أخفى النفوس في الأجسام والطفها فيما ترى ثم دبرها بما يحسن (٣) ويشاهد والذوق (٤) واللمس والشم ، وأيدها بالأيدي والأرجل الحوامل العوامل ، ومكنها من المعرفة والتجة وجعل ما وهب لها من ذلك حجة لها ان شكرت ، وحجة عليها ان كفرت ، وشاهداً بتبصيرها ان قصرت . والحمد لله الاحد الواحد الكريم الماجد ، الذي لا تشتمل عليه المشاعر ، ولا تحجبه السواتر ولا تدركه الخواطر ، الاول لا تأويل عدد ، الآخر لا بمعني غاية بعد الشاهد من غير مماسة ، الباين لا عن مسافة الظاهر لا للابصار ، والباطن لا من غير طول الذي دل على نفسه بآيات قدرته ، الموجود في بريته ، واستشهد على لطفه بفعله ، وجعل الحجاب بينه وبين خلقه ، ضعفهم عن ادراك قدرته ، فذاته مجهولة الا له وآياته معلومة بين خلقه معروفة لما وهب لهم من تبصرة هدايته ، ليس سواه إله ولا غيره رب معبود الذي حجب الابصار عن رؤيته ، وليس للعقول سبيل الى معرفته ، وأخرس الألسن عن تحديد كنه صفته ، فلا أعين المؤمنين تدركه ، ولا أنفس الكافرين تجحده وتنكره .

والحمد لله الذي خلق فأحسن الخلقة ، ونظر فأتقن النظرة ، وفتق الافهام للمعرفة ، وذلل الجوارح للطاعة ، وهدى الى طريق النجاة والسلامة ، وزجر عن سبيل الضلالة والجهالة ، ثم مدّ لخلقه حبل الامهال ، وبسط لهم في النظرة ووعدهم المغفرة والإقالة ، حتى ارعوى مرعو واهتدى(٥) مهتد بعد التحير والتهور ، تتميماً للنعمة وزيادة في الاعذار لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما . فنعوذ بالله الكريم من غلبة الشقوة ، ونسأل الله العظيم الزيادة من البصيرة والمنفعة بالعلم وان لا يجعل شيئاً منه وبالاً في الآخرة وهو على كل شيء قدير . اما بعد فانه ليس باهل البر والتقى

(١) كذا ولعلها وادلة . (٢) لعل صوابه وجفاء . (٣) لعل الصواب يحس . (٤) لعل صوابه بالذوق . (٥) بالاصل : اتهدي .

ولا بذي الغباوة والرّدى غناء عن التواعظ والدلالة على امكنة الخير والتواصي والتناهي عن الشر لما في ذلك من التذكرة والتبصرة والتأديب والتهذيب والبركة والمنفعة ولو كان بين عدو الله ابليس الضامن احتناك الذرية الضعيفة الا قليلاً وبين قلوب العباد اغلاق سوى الذكر لله تعالى لوجب طلب مفاتيحها علينا بتحمل المشاق وركوب الاخطار والتغلغل الى خفي اماكنها لنأمن كيد عدونا الذي يجري مجاري الدم منا و يرانا من حيث لا نراه وله تسلط على سو يداء القلوب وحرص على استزلالنا لنعطب فأوجب الاعداء عباد الله بان يحذر مَن ليس يحرس من كيده حارس سوى التعوّذ بذي الجلال والاكرام والفزع الى تلاوة كتبه وترديد اسمائه الحسنى والتعلق بذكره واللهج والعزم بالالتجاء اليه فليكن بالك ايها الانسان المخلوق من ضعف وطين وماء مهين معتنياً بذكر الله تعالى ومتوطأً بالفزع اليه ومسألة النجاة من كيد عدوك وعدوّه والسلامة من خيله ورجله ومكر جنوده فان لهم أفواهاً والسنة تلتقم القلوب والاسماع وصوراً مختلفة الفعل لا تتراءى للأبصار ومداخل لطيفة تصل الى النفوس بمراده من الاضلال والاستزلال واعجب واعجب ايها الانسان ممن جهل معرفة الواحد الخالق الرحيم الرحمن وقد أراك الآيات والبينات في الآفاق وفي نفسه والنماء والنقص في أحواله وفي أهله وجسمه واوجه الامور التي تتم بها منافعه والمآرب التي اليها تتناهى مصالحه وكيف تهيأ له قبل خلقه مفروغاً منها قبل خروجه الى الدنيا متممة مكملة وهو في ظلمة الرحم مصنوعة منظومة على أتم صفة قبل تكوينه وانه لم يمهدها لنفسه ولا ادعى ابوه تمهيدها ولا أمه ولا احد من أبناء جنسه ثم ليس منها على كثرتها شيء الا وهو مركب تركيباً لم تكن المصلحة تتناهى الى ما دونه ولا تتجاوز مافوقه ولا ترغب من شيء منه وان الطبائع جميعها لتشهد انها لم تصنع ذلك وتعترف بالعجز عنه . ولو ادعت خلاف ذلك لانقطعت اسباب الحقيقة عن دعواها وشهد بالمحال عليها عجزها واثر الضرورة المحيط بها .

قال ابو عثمان ونحن ذاكرون اشياء من شواهد آثار الصانع في صنعته ومنبهون على أسرار قد أودعها ما يشاهده من فطرته تضطر الى معرفته وتشهد بوحدانيته وتخبر عن جلال عظمته وكمال قدرته وواصفون أعلاماً وآيات و براهين واضحة شهدت بها الجائز

وتهتف بذكرها الغرائز وتعرفها الطبائع ولا ينكرها (١) ولا تدفعها العقول بمقدار وسع الطاقة ومبلغ الجهد وما وهب الله لنا من العلم وما توفيقنا الا بالله عليه توكلنا وهو رب العرش العظيم ليزول الشكوك عن قلوب المرتابين ويتجدد نور اليقين في صدور المؤمنين وحسبنا الله ونعم الوكيل ·

وقد ألّف مثل كتابنا هذا جماعة من الحكماء المتقدمين فما أوضحوا معانيه ولا بينوا المشكل منه فمنهم جبريل بن نوح الأنباري لانه صدر كتابه بغير خطبة ولا مقدمة ورتبه ترتيب الفلاسفة وصدره بكلام منغلق ونظمه نظماً غير متسق فكأن لم يألف(٢) وقبله الف في معناه تودرقوس (٣) أسقف طرسوس كتاباً وضعه في زمان بلنسيانوس(٤) عظيم الروم الذي كان ينسب بالقول بالدهر والعصبية لدين الكفر وكان هذا الملك من اهل التلبيس والتدليس وسمى تودرقوس (٥) كتابه كتاب التدبير ونقله من اخذه عنه من السريانية الى العربية فلم يقع بفساد النقل حيث ينبغي ان يقع من الايضاح والشرح وأفسده بتأول الالسنة وسوء العبارة ·

ومنها كتاب نظمه ثاور يطوس (٦) أسقف قورس كتبه باليونانية ونُقل بعده الى السريانية ثم الى العربية فجرى مجرى الاول المفسود بتداول النقل والعبارات ·

ومنها كتاب ألف في ايام بني أمية نظمه يسوعبخت(٧) مطران فارس وكتبه بالفارسية فاكسبه استغلاقاً · وقد جمعنا في كتابنا هذا محاسن ماوجدنا في هذه الكتب وزيادة بمقدار الطاقة والتوفيق من الله جل ذكره وشرحنا ما نقلنا عن غيرنا وبينا القول فيما زدنا ورتبناه ترتيباً يؤنق السمع ويسر القلب ويبسط السامع ويوجب الحجة على المخالف وما توفيقنا الا بالله ·

(٨) قال ابوعثمان الجاحظ : ان أناساً لما جهلوا الاشياء التي في الصنعة تدل على

---

(١) بالاصل يندكرها · (٢) لعل صوابه يؤلف · (٣) بلا نقط بالاصل ·

(٤) بالاصل : بلسانوس · (٥) لعل الصواب يستينيانوس (Justinianus)

(٦) لعل الصواب ثاوفرسطس (Theuphrastos)· (٧) بالاصل سوعخب كما ترى ·

(٨) من هنا تبتدئ النسخة المطبوعة ·

الصانع سبحانه والاسباب والمعاني التي في الخلقة وقصروا عن تأمل الحكمة لاشتغالهم بلذات نفوسهم وشهواتهم وما آثروا من امر الدنيا خرجوا الى الجحود والانكار والبهت والتكذيب فأنكروا خالق الاشياء وزعموا انها لم تزل هكذا موجودة وانها على الاهمال لا على القصد والعمد والتدبير والتقدير فكانوا فيما يشاؤون من الأدلة و يرون من العالم بمنزلة من دخل داراً وهو اعمى ليس معه قائد يخبره بما فيها و يصف له حسن فرشها واتقان بنائها وما قد أعد فيها من المآكل والمشارب والملابس والمنافع والمصالح فأقبل يسعى وحده ويمشي على وجهه فعثر بشيء في طريقه فدميت قدمه فظن ان ذلك الشيء الذي عثر به مما وضع في غير حقه وهو جاهل بالمعنى الذي وضع ذلك الشيء قبل مروره وضجر وذم الدار وعاب بانيها وانكر حكمته وتسخط فعله الخ ٠

وفي آخر النسخة اللندنية : وافق الفراغ من تحصيل هذا الكتاب يوم الثلوث (١) سابع شهر شعبان سنة ١٢٥٨ ٠

(١) كذا في الاصل ٠

السعادة والاسعاد

هو مخطوط في الاخلاق وقع لي في جملة ما يعرض على المجمع العلمي من الاسفار فرأيته في ٤٤٦ صفحة صغيرة لاتكون واحدتها اكثر من ١٨ سطراً والسطر الواحد بين ٧ و٩ كلمات الا ان في هذه المخطوطة نقصاً من اولها ومن آخرها وعند الصفحة ١٨٠ تم الجزء الاول . ومن العبارة المذكورة هناك عرفنا اسم الكتاب والعبارة هكذا « تم النصف الاول من السعادة والاسعاد ولله الحمد على الهداية والارشاد » . وجاء في الصفحة التالية « طالع فيه واحتوى على بعض معانيه أفقر عباد الله تعالى الفقير عثمان بن المرحوم ... محمد السكري غفر الله له .... » . ونغلب الصحة على الرسم في هذا المخطوط والغالب انه يرجع عهد كتابته الى القرن السابع او الثامن وهو بخط مشرق مقروء . وتجد ثلاث نقط على حرف السين من فوق ومن تحت وبعض الصفحات لا تخلو من خرم عولج بالصاق ورق عليه .

لم نهتد الى عصر المؤلف ولكن رأيناه يقول قال ابوالحسن وهو كنية المؤلف ، والمؤلف هوابوالحسن بن ابي ذر، و يستشهد مرات بحكيم الاسلام ولا نعرف من يعني بحكيم الاسلام . و يستشهد بغريغورس فان كان غريغوريوس هو الفرج بن اهرون المعروف بابن العبري صاحب تاريخ مختصر الدول المشهور المتوفى سنة ٦٨٥هـ ١٢٨٦م فيكون الكتاب مما ألف أواخر القرن السابع او الثامن للهجرة . ولغريغوريوس هذا كتاب في الشرح المدني والفلسفة وكان يعرف اليونانية فيكون نقل غريغوريوس عن الاصل اليوناني او عن ترجمات أخرى كتبت قبل عهده .

وقد اكثر المؤلف من الاستشهاد باقوال أفلاطن وارسطو وغيرهما من فلاسفة يونان في الاخلاق حتى ليظن ان المؤلف يوناني او من اتباع اليونان في مذهبه . ويقل جداً الاستشهاد في كلامه باقوال السلف والآيات والاحاديث ولكنها تذكر كل مرة بالصيغة التي يذكرها بها المسلمون في العادة ولكنه قد يقدم عليها أقوال حكماء يونان كأنه يأتي بها بالعرض .

***

الكتاب فصول وأبواب كثيرة بدأ — بعد هذا الخرم الكبير من الاول — بتقسيم السعادة الى انسية وعقلية ومما قاله في هذا الفصل : « من قول متقدمي الفلاسفة قال أرسطوطيلس قال قوم بان السعادة هي اللذة وظن آخرون انها اليسار وظن آخرون انها الكرامة قال وكان بعضهم ينتقل في ذاته من شيء الى شيء فكان يرى اذا مرض ان السعادة هي الصحة وكان يرى اذا افتقر انها اليسار . قال وقال بعضهم ان التمام هو الراحة وقال بعضهم السعادة حسن الفعال مع الفضيلة الى منتهى العمر فتنج (؟) ماقاله هؤلاء في السعادة . قال ارسطوطيلس الذي قاله في السعادة من حكينا قوله ليس بصواب ومما يتبين ان السعادة ليست اللذة ان الكثير من اللذات ضارة وقبيحة والسعادة اقصى المختارات . قال ومما يتبين انها ليست باليسار ولا بالكرامة ان اليسار والكرامة من الخيرات الخارجة والخير الذي هو اولى بمعنى الخير هو الذي يكون في النفس لا خارجاً منها قال واقول السعادة مطلوبة لذاتها واما خير الفعال وكل فضيلة فانا انما نريدها من اجل السعادة قال وكذلك اليسار والكرامة انما نريدهما من اجل السعادة . قال ومحال ان يكون الحرص والتعب من اجل الراحة قال وأقول ليس الفعل من اجل الراحة لكن الراحة من اجل الفعل اذ كنا لانقدر على ادامة الفعل لما يلحقنا من التعب . قال وأنواع التعب كثيرة وهي المضرة بها اكثر من المنفعة ومما يتبين انه ليس الغرض اللذة انه لو كان الغرض اللذة لم يجز ان يضطرهم الى الحزن بسببها وانه ليست من لذة بدنية الا والحزن يتقدمها وكثيراً ما يتعقبها .

« ماقاله أفلاطن في السعادة الأدبي (؟) وانها بم تقوم . قال افلاطن سعادة الانسان في حياته هي ان تكون حياته فاضلة قال وذلك بان يحيا مدة ما تكون له من الحياة على أحسن الأحوال . قال وان السعادة لا تحصل للانسان الا بان يكون سعيداً ببدنه وسعيداً بنفسه وسعيداً بذات يده . قال وذلك بان تصير له الخيرات البدنية والخيرات النفسية والخيرات الخارجة من النفس ومن البدن . قال ولن يستتم له ذلك الا بالخلاص من الشرار . قال والشر شر لك غريب واهلي والاهلي هو الذي ينبعث من داخل والغريب هو الذي يرد عليه من خارج قال ونقول اول المرقاة الى الخير مفارقة الشر وأقبح الظلم ظلم المرء لنفسه وذلك بان يحرمها الخير ويوقعها في الشر » .

وعلى هذا المنحى نقل بعد ذلك ما قاله ارسطوطيلس في السعادة الانسية في صفحات غير قليلة ثم جاء « القول في علاج الآفات المؤدية الى الشقاء المانعة من السعادة » وهنا بدت شخصية المؤلف فقال في هذا الباب : « وأقول العلاج من العلل انما يكون برفع الاسباب المولدة للعلل وكل شيء انما يرتفع و يزول بضده فمن الواجب ان يعلم الانسان الاسباب المولدة للشقاء وان يعلم الاسباب التي يقابل كل سبب من أسباب الشقاء ليكون علاج كل سبب بما يقابله و يزيله . وأقول الاسباب التي ذكرناها وان كانت كثيرة فانها تنضم الى سببين الجهل والجور وبيان ذلك ان احد الاسباب تسلط النفس الشهوانية على النفس الناطقة وتسلط الغضبية على النفس الناطقة ، واي هاتين النفسين تولت السياسة وتدبير البدن كان مجراه على الجهل الصرف لانه ليس لواحد منهما بصيرة ولا معرفة ، واحد الاسباب اعتياد العادات الفاسدة ، ومن البين ان ذلك انما يكون من الجهل والجور . واحد الاسباب الأماني وهي تمني ان لا يضرّ الضار ولا يشين القبيح انما يكون من الجهل ، وقد قيل نعوذ بالله من طمع في غير مطمع . واحد الاسباب العمل على الخاطر الذي لم يصححه الفكر وهل يكون ماهو هكذا الا الجهل . واحد لاسباب التدبير الرديء وهذا ايضاً بين انه يكون من الجهل وكذلك التربية الرديئة فانها انما تكون من التدبير الرديء واما البنية الرديئة فانها لا تؤدي عندي الى الشقاء وذلك انه ليس الشقاء رداءة البنية كما انه ليس السعادة جودة البنية لكن الشقاء ان لا يعيش على قدر حالة الحياة التي هي أفضل لكن الحياة التي هي أردى اه . »

وهكذا اخذ يوالي براهينه في السعادة ثم اخذ ينقل عن ارسطو في الجميل والقبيح ونقل قصة النعمان بن المنذر المشهورة في يومي نعيمه وبؤسه وعنن للخير والشر وأورد الأمثلة . وعنن لاقسام الاشياء وفيه بيان الخير المطلق والشر المطلق وبيان ماليس بخير ولا شر . وذكر أقسام الخيرات وحدّ الخير وبين الصناعة والمذهب والبدعة والهوى وما الى ذلك من الخير والشر والنافع واللذيذ والساذج والسليم والاشياء اللذيذة والمؤذية وذكر القول في الحواس وهل يتفاوت حالها في الاذى واللذة والوحشة والالتذاذ والتأذي والانفعال النفساني والانفعال الجسماني وأبان الفرق بين الانفعال وبين الفعل والفرق بين النظر وبين الفكر وأورد أنواع اللذة وأبان ان للانسان لذة يختص بها وانها

انما هي لذة المعرفة وبيان العلة في انه لمَ صار للانسان لذات مختلفة . وجمع في هذا الفصل بين ماقاله أفلاطن وأرسطوطيلس . ثم ذكر العلة في ميل الناس الى اللذات الجسمية وفي هربهم من اللذات النطقية وبيان ان لذة المعرفة ألذّ من سائر اللذات كلها وبيان انه ليس كل لذة بخير وانه غير جائز ان نقول بان اللذات ليست بخير على الاطلاق .

وتفنن على هذا المثال في التبويب لموضوعاته فذكر القول في ماهية اللذة والاذى ومناقضات الفلاسفة وأورد فصولاً في السعادة القصوى وكيف تكتسب من قول أفلاطن وكذلك السعادة العقلية في رأي ارسطوطيلس وهل يجوز ان تكتسب السعادة القصوى من غير ان تكتسب السعادة الأدنى والآفات المانعة من السعادة القصوى ومن استتمامها وعلاجها وآفاتها . وختم هذه الفصول بقوله : « الحمد لله الذي خلقنا بفضله لفضله ، وبرحمته لرحمته ، ثم هدانا لما خلقنا له ، وعرّفنا ما ينفعنا في السير اليه ويعيننا عليه ، ومايثبطنا عنه ويصدنا منه ، لنستعين بماينفعنا في السلوك الى ماخلقنا له ونتمسك به ، ونجتنب مايصدنا عنه ونزايله ، حمد ناهض بالنية الى دوامه ، وأصلي على النبي محمد وآله . قال ابوالحسن : ان كتابنا هذا انما هو القسم الثاني من الكتاب الذي سميناه السعادة والاسعاد في السيرة الانسانية ونريد ان نبين في هذا القسم العوارض التي تعرض للانسان في حياته ولا ينفك منها في وقت وان راقبه وحدده ونقول فيها عارضة عارضة ونتبين المحمودة منها والمذمومة ونبين وجه علاج الذميمة منها ونبتدئ ان شاء الله من القول في الفضيلة انها ما هي وبالله نعتضد في كل امورنا وعليه نتوكل فانه لا حول لنا ولا قوة الا به . ونصلي ونسلم على محمد وآله وسلم » (ص٦٣) .

لا جرم انه استبان بما تقدم ان المؤلف نفسه هو ابوالحسن وان الناقص من اول الكتاب عشرات من الاوراق لان الباقي نحو ثلاثمائة وثمانين صفحة هذا بقطع النظر عن الاوراق المتممة للجزء الثاني . اما ان نجزم بمن هو ابوالحسن فالظن لا يغني من الحق شيئاً . فقد ذكر ابن القفطي وابن ابي أصيبعة كثيراً من مترجميهما بهذا اللقب ومنهم من كانوا من نحلة الصابئة وكان لبعضهم اشتغال بالفلسفة . ولعل بعض الباحثين ممن تتسع أوقاتهم يحققون في هذا الشأن ويهدوننا الى الصواب في معرفة المؤلف الحقيقي .

تكلم المؤلف في الجزء الثاني من كتابه على الفضيلة وأقسامها والفضيلة الخلقية وعلى

الرذيلة وقال ان الفضائل والرذائل مكتسبة نقلاً عن ارسطوطيلس . وقال في فصل آخر ان الفضائل والرذائل ليست لنا بالطبع ولكنها فينا بالتطبع وابان كيف تكتسب الفضائل والرذائل وان الرذائل التي لا يمكن الاقلاع عنها مكتسبة هي ام غير مكتسبة وهنا عقد فصولاً في العفة وفي الفرق بين المتأدب وذي الفضيلة الكاملة كله نقله عن الفلاسفة ومن فصوله في هذه الاماكن « التماس الراحة بالراحة يذهب بالراحة و يورث النصب » « في الحربة » « في المتلاف » « في النذالة » « في ان الغني شرير وخسيس وشقي » « في ان الحريص ليس بغني وان كثر ماله » « في الرفيع الهمة » « المتبذخ » « محبة الكرامة » « المتصلف وهو المتكبر » « المعجب » « الوضيع » « في ان اهل الحكمة يكونون مهانين والعلة في ذلك » وبدأ هذا الفصل بقوله : « قال أفلاطن ان اهل الحكمة يكونون ممقوتين وذلك من اجل انهم لا يكونون نفاعين قال وليست العلة انفسهم بل اولئك الذين لا يستعملونهم فان الحاجة لاولئك الى اهل الحكمة فاذا لم يأتوهم المحتاجون لم يصلح لهؤلاء ان يذهبوا الى أبوابهم » .

ومن الأبواب التي فتحها بعدُ « الحياء » « القحة وهي الخلاعة » « الشجاعة العامة » « الشجاعة الخاصة » « النجدة » « الاشياء المفزعة » « الجبن » « التقحم » « الهم » « وجه العلاج في إزالة الهم » « الحسد » « الشماتة » « في الفرق بين الغضب والهم » « في الجنايات التي يجب ان يخف فيها الغضب » « الفرق بين التأديب وبين الاخذ بالثار » « الحلم » « البغضة » « الحذر من العدو » . وفي هذه الفصول نقل أقوال الحكماء من اليونانيين . وعنون لفصل « في المحبة من كلامنا » : المحبة انفعال بلذة من المحبوب ونزاع الى ان يتصل انفعاله وتخوف من القطع وشغف بالمحبوب حتى لا تريد بدلاً عنه ، والشغف والنزاع والتخوف انفعالات وبعضها لذة وبعضها تأذي وبعضها ممتزج فالحب كما قيل حلاوة ومرارة وقال الشاعر :

الحب منه حلاوة ومرارة سائل بذلك من تطعَّم اوذُق

وأقول الانفعال قد يكون بالحس وذلك يقع بالشاهد وقد يكون بالتخيل وذلك يكون في الغائب ولان التخيل نوع من الحس فلا بد من ان يكون المحسوس حاضراً للحاس حتى يفعل فيه . وأقول حضور المحسوس لحاسة التخيل انما هو بالذكر . وأقول

والمذكور شاهد التخيل وفاعل والزائل عن الذكر غائب وكذلك الزائل عن الفكر والفرق ان الزائل عن الذكر نسيان والزائل عن الفكر غفلة » .

وبعد هذا ذكر فصولاً في أقسام المحبّات وفي تعريف المحبة نقلاً عمن قالوا فيها وذكر حد الصديق والفرق بين المحبة والصداقة وان المحبة ضرورية في الحياة وان اكثر المحبات طبيعية نقلاً عن ارسطوطيلس وأتى على أنواع المحبات وعلى لواحق المحبات الذاتية وخواصها ولواحقها العرضية وهل يكره للفاضل ان يصير صديقه زائداً عليه في الفضل وفي السعيد هل يحتاج الى اصدقاء وفي فواعل الصداقة . كل ذلك والكلام فيه منقول عن ارسطوطيلس .

وهناك فصول في ان « المعاشرة ضرورية في الحياة » و « ما يجب للآباء والامهات من حق العشرة » « وبيان المحمود من العشرة والذميم منها » و « في المعاشرة بالهمة والفعل من دون الاختلاط » « المداعبة والراحة » « الكبير النفس » « في أن الملك والعبودية اسمان يثبت كل واحد منهما بصاحبه » . وختم الكتاب في اقسام الرعايا وفضيلة المسوس وأنواع السياسات ومادة الاسعاد وصورتها (وهنا نقل عن بعض المحدَثين من المتفلسفين) وكيفية السياسة وهي الحيلة في اجترار الناس الى طريق السعادة وبيان ان الانسان مفتقر الى معونة الناس له في اكتساب السعادة ومن كيفية السياسة الحيلة في استدامة العامة والترغيب في إقامة العدل وبيان انه ضروري وطباعي في الحياة وعدد أقسامه وقال في كيفية المماثلة وبذلك انتهى النصف الاول من السعادة والاسعاد .

* * *

بدأ المؤلف القسم الثاني من كتابه بفصول غريبة مثل « بما ذا يجب ان تكون مجازاة المبتدئ بالاحسان » « في الإفضال ماهو » وتفصيل الجنايات وماتلزم العقوبة فيه وذكر الجور والاسباب الباعثة عليه والاسباب الدالة عليه وأبان شرف العدل وعلو الانتفاع به وخساسة الجور وعظم المضرة به على طريقة الجدل وهذا الفصل المطول بالقياس الى غيره من الفصول نقله عن أفلاطن في كتاب السياسة كما نقل اكثر الفصول السالفة عن أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان وقلّ ان ينقل عن الفرس والعرب كما هي عادة من كتبوا في هذا الموضوع من مؤلفي العرب وأبان عن أرسطو ايضاً فضيلة العدل

بصفة حال العادل وهنا ذكر استنثاجات في العدل عن النبي صلى الله عليه واصحابه اوردها في اربع صفحات واستشهد بقصة زاذان الدهقان واعتداء وكيل سعد بن مالك على ارضه وشكواه الى عمر بن الخطاب ونص الكتاب : « بسم الله الرحمن الرحيم · من عمر امير المؤمنين الى سعد بن مالك سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فقد جاءني زاذان وذكر لي قصته فاذا جاءك كتابي ونظرت فيه فقم قائماً حتى تنصفه من نفسك والا فاقبل اليّ راجلاً · »

ومن فصوله في كيفية السياسة ، والحيلة في اجترار الناس الى الالفة ، والآفة التي تعرض على السياسة ولا يمكن الاحتراز منها والعلة في امكان خلود الابدان وما روي عن الفلاسفة في صفة الله والحقوق التي يجب على الناس اعتقادها واخذ الناس بالتعبد لله · ومن الفصول القول في المزاوجة وفيه ما ينبغي لكل صنف من الرجال ان يتزوج به من النساء · في الايلاد · في عنفوان الشبيبة ما هو · في كيفية المباضعة · في مدة نشو الانسان · في الفرق بين التأديب وبين السياسة والفرق بين التربية على الادب وبين التأديب · في الادب وفي الحكمة الانسية في اعمال الرعونة ولواحقها · في المتأدب والاديب والغرض من الادب والادب الذي يربى به الصبيان وهم لا يعقلون وهو الادب الذي ينبغي ان يؤخذوا به وهم يعقلون او غيره · في ان الاديب هو الحر ومن ليس باديب فانه عبد · في عدم الادب واصناف التربية على الادب والتأديب · والقول في تربية الصبيان على الادب بالنوع الخداع قال فيه : قد قلنا ان ابتداء التربية على الادب انما تكون من المخادعة وذلك بان يصور الجد في صورة الهزل وان ينفق الصدق في صيغة الكذب · قال افلاطن وذلك بان يصاغ لهم الغاز يكون حشوها الادب وظاهرها الكذب · قال ومن جنس الالغاز الاشعار التي تمدح الفضيلة والعفة لا المجون واللذة · قال وينبغي ان يؤخذ الامهات والحواضن بان يحرفوهم بها ولا يحرفونهم بغيرها قال وينبغي ان تكون العناية بتسوية انفسهم بالالغاز اشد من العناية بتسوية ابدانهم بالقُمُط · قال وكذلك نقول بان الابتداء انما هو من الموسيقي الكاذب قال : واما اللعب فينبغي ان يجعل فيما يثمر الجد كاللعب بالكرة والثقافة ·

وعقد فصولاً في تربية الصبيان على الادب بالنوع الجدي وفي اكتسابهم الحياء وفي

ان الامور بمباديها وان المبدأ أعظم شيء يكون في الامر وفي مبدإ التأديب وكيف يؤدب والقول في اللذات المحمودة وفي اللذات الذميمة وتعويد الصبر والحلم وتعويد حسن الطاعة للرؤساء وللسنن وكل هذه الفصول ايضاً منقولة عن افلاطن في كتاب السياسة . ومن فصوله المسكر وشربه وشرب الصبيان والقول في الولاة والقضاة وهل ينبغي لهم ان يشربوا وهناك نقل اقوال افلاطن ولم يتعرض لماقاله الدينيون . ومن فصوله ادب النوم وما يجب ان يفرض على الاولاد للوالدين وحق الداية والحاضنة وفيما يجب ان يأخذ الملك الناس به في الامر الاكابر والسادة في الآداب التي يحتاج اليها المرؤوس اذا صحب الرئيس . وفي هذا الفصل ترك النقل عن افلاطن وتشبث بابن المقفع فنقل عنه ثلاث صفحات وعاد في الفصل التالي وهو في صفة من يجب ان يخرج في الحكمة بنقل عن افلاطن وكذلك فعل في فصول ادب التعلم وكيف ينبغي ان يعلموا وفي اي سن يجب ان يكون المتعلم وفي العلم الاول الذي ينبغي ان يؤخذوا بتعلمه وهو علم العدد والعلم الثاني المساحة ثم المكعبات فالنجوم فالموسيقي فعلم الجدل فالمنطق ونقل ماقاله افلاطن في الفرق بين صناعة المنطق وسائر الصناعات وقال في سياسة النساء وان طبعهن في العلوم والصنائع لا ينقص عن طبع الرجال ولكنه يكون اضعف واستشهد بافلاطن في ذلك .

ومن عناوين الابواب في هذا الجزء « هيولى الرأي » « الحض على الاستشارة والتحذير من الاستبداد وفيه بيان الحاجة الى الوزير » وفصول في الاستشارة من الشريعة السمحة وصفات السائس والفرق بين الظان والعالم وبيان ان الرئيس اذا لم يكن فاضلاً فانه لا ينفع ويضر مع ذلك المضرة العظيمة من قبل انه يفسد الرعية . وما الى هذا المعنى مما نقله عن أفلاطن حتى وصل الى القول في كيفية الاسعاد والى العدل العامي وهو الذي لا يستغني عنه كل احد . وفصل مطول في الوصايا الجامعة . وجاء في آخرها قال ابو الحسن : الحمد لله الذي ألذّ بالمحبوب وأمتع به مرغماً فيه وأوحش بالمكروه وأمض به زاجراً عنه الى ان قال : وبعد فان كتابنا هذا انما هو في القسم الرابع من كتابنا في السعادة والاسعاد في السير الانسانية ونريد ان نبين فيه أقسام الرياسات وعلل الفاسدة منها نذكر فيه ايضاً أصناف المدن وصورها وأحوال أهلها وبالله نستعين في كل امورنا واياه نستهدي اه .

و بهذا عرفنا ان كتاب السعادة والاسعاد يدخل في اربعة أجزاء وربما زاد على ذلك وبدأ هذا الجزء الرابع باقسام الرياسات اخذ أكثرها عن أفلاطن ثم ذكر السبب المولد للفساد وكيف يحدث الفساد واستوفى القول في صفة المتغلب وذكر بعدُ أقسام المدن فقسمها الى المدينة الفاضلة والمدينة الخسيسة والحكيمة والجاهلية وتكلم عن صفة المدينة الشقية والسعيدة عن افلاطن وذكر صفة افلاطن لأخلاق اهل زمانه قال : « وحال ما نعلمه من أخلاق اهل المدن اليوم كحال لوح مملوء كتابة فاسدة فالواجب ان يغسل غسلاً جيداً ثم يملأ كتابة جيدة وان ذلك غير ممكن الا بان نقتلهم وهم أحياء ثم نجعلهم أذكياء بان نعودهم العادات التي يرضاها الله » .

وهنا تبين معنا اسم المؤلف (ص ٣٤٩) فقد قال : قال ابوالحسن بن ابي ذر : الحمد لله الذي نظم بحسن التقدير بين المساعي . الى ان قال وبعد فان كتابنا هذا انما هو في القسم الخامس من كتابنا السعادة والاسعاد في السيرة الانسانية ونريد ان نتبين فيه ما يجب على الرئيس ان يأخذ به نفسه في السياسة لرعيته و بالله نستعيذ من الزيغ والزلل الخ .

وبدأ هذا الجزء باقسام السياسة على وجه آخر سوى الوجوه التي ذكرها من قبل و باي السياسات ينبغي ان يكون الابتداء بسياسة السلم او الحرب قال أفلاطن : الابتداء بسياسة السلم اولى و يشبه ان يكون ذلك كالشيء اللازم وكالامر الضروري اذ كان لا سبيل الى دفع شر الاعداء الا باجتماع كلمة الاولياء . قال ولذلك نقول بان الواجب على السائس ان يصرف تدبيره اولاً الى استصلاح حال اهل المدينة فيما بينهم من الشرور التي تتولد فيهم بالبغضاء والتباين والحسد والتنافر قال وبعدُ فانه ليس يجوز ان تحصل لهم الخيرات مالم يقع الامن لبعضهم من بعض . قال والحرب حربان حرب فيمابين الاولياء بعض من بعض وحرب فيما بينهم وبين اعدائهم وشر الحربين ما تكون بين الاولياء فلذلك نقول بانه يجب ان يكون ابتداء عناية السائس اكتساب حسن الحال للاولياء اه .

ومن الفصول هنا الآداب التي يحتاج الملك والسائس ان يأخذ بها نفسه وأدب الملوك والرعية نقلها عن فلاسفة اليونان والفرس والعرب استشهد فيه بقول معاوية مابين ان يملك الملك رعيته او تملكه الا الحزم او التواني فقال : هذا من حقه ان يكتب بماء

الذهب . » وتكلم بعد على قوانين كبيرة في الوفاء بالعهد والعقد والحزم وعلى ان العقوبة والإهانة ضرور يتان في السياسة نقل ذلك عن افلاطن وارسطوطيلس و بحث عما قاله افلاطن بانه ليس ينبغي للاديب ان يخاطب من لا ادب له . وذكر الفصل بين عقوبة الاولياء المخالفين وبين عقوبة الاعداء المنابذين وفي الجنايات التي لا يجوز احتمالها والجنايات التي لا تطيق السنة احتمالها والتجاوز عن عقوبتها وبيان قوام السياسة بالاحسان وان أشرف الآلات الرفق وذكر ماجاء من الترغيب في الرفق والاحسان وتفصيل وجوه الاحسان وذكر الاسباب التي تتولد منها الآفات المفسدة للسياسة المؤدية الى خراب العمران والى فقر الرعية ونقل عن كتاب خداي نامة وكان نقل عنه كثيراً بعد اقتباس مايقتبس من فلاسفة يونان . وقال في سياسة دفع مضرة الاعداء عن الاولياء : الواجب على السائس في كل سياسة ان يعمل على ماتوجبه الحال في الوقت والاحوال الدائرة فيما بين الاولياء والاعداء وان كانت كثيرة فانها تنحصر في قسمين احدهما الذي يوجب المدافعة والآخر الذي يوجب المناجزة . ورأس الامر تقدمة الروية وملاكه العمل بالحيلة وقوامه في التأني ورفض العجلة وعلى انه لا بد من العدد ومن العدة وتمام الامر بكتمان ماتريد ان تعمله حتى لا يقف عليه عدوك وحسن التلطف في استخراج ما يريد ان يعمله من يناوئك .

وذكر فصلاً في الحض على كتمان الرأي والاسباب التي بها تمكن المدافعة وذكر الاسباب التي بها يطمع في الغلبة عند المناجزة وذكر الرياسات التي بها ينتظم امر العسكر ، وعمل صاحب الشرطة او قائد الطليعة ، وامر الطلائع والعيون ، وعمل صاحب السياقة ، وعمل صاحب العلاّفة ، وعمل والي سوق العسكر واتبع ذلك بوصايا اكثرها مقتبس من افلاطن واشار الى المدة التي يجب بها رد العسكر الى اوطانهم وهي ثلاث سنين ولا ينقلهم حتى يصل اليهم من يخلفهم وذلك عن افلاطن ايضاً .

وفي (ص٤١٦) حمد الله وقدم مقدمته على عادته الى ان قال وبعد فان كتابنا هذا انما هو في القسم السادس من كتابنا الذي سميناه السعادة والاسعاد في السيرة الانسانية ونريد ان نذكر فيه السبيل الى تزكية النفس واحيائها من مبدإ مفتتحها الى تمام غايتها . وبدأ ذلك عن اليئوس فيما يجب ان يأخذ به الملك نفسه ورعيته في معرفة الله . ثم نقل

من كتاب الكون بتفسير الاسكندر نقله عن ارسطو ومن فصوله الحض على اقتناء من يستشار وفي التحذير من الهوى ومن مزيد الهوى ووجه العمل والرأي في الوزير اذا اخطأ وفي كيف يستشير فقال : في التاج (ونقل عنه غير مرة ولعله تاج الجاحظ) ولا ينبغي للملك ان يستشير احداً الا خالياً به فانه اموت للسر واجمع للذهن واحزم للرأي وقال ارسطوطيلس للاسكندر صيّر استشارتك بالليل فان الفكر فيه أحلى وأجمع وقال ابن المقفع اذا اجتمع امران فقدم الأهم واذا ورد امر وانت في آخر فدعه ولا تقطع الاول حتى تستتمه الا ان تخاف دخول ضرر بالتأخير في الامر الثاني وقال ابن المقفع و يجب ان تحذر المشاجرة في الوقت الضيق وقال ابن المقفع اذا طلب منك رأي فانظر الرجل المستشير فاذا عرفت اشترك بما يصلح له وفي خداي نامه ينبغي ان تعود نفسك الصبر على خلاف ذي الرأي والنصيحة اه ·

ووضع فصولاً في كيف ينبغي ان يعامل الملك وزراءه وفي الاستشارة على معنى التألف وفي الابتداء بالمشورة وفي ان الوزير والمستشار يجب ان يكون اكثر من واحد وفي الاسباب التي ينبغي ان يرتأي فيها و يستشار نقلاً عن اليونانيين والفارسيين وعنون لفصول في انه لا بد للملك من الأعوان وفي الحض على اختيار العمال وصفاتهم وتفقد امورهم وأحوالهم وفي الادب والآفة المؤدية الى سوئه وهذا آخر ما بقي من اوراق هذا السفر ولعله اكثر من ستة اجزاء كما علمنا ذلك بنص المؤلف ·

محمد كرد علي

مطبوعات حديثة

شخصية النبي محمد

The Personality of Muhammad the prophet .

رسالة لطيفة تشتمل على خطبة خطبها بالانكليزية الاستاذ (أ · يوسف علي الهندي) بعيد الاضحى في لندن ·

عرض الخطيب الى سيرة النبي عليه السلام منذ مولده الى وفاته على سبيل الاجمال · وأشار الى الظواهر الخطيرة والحوادث الهامة التي تتعلق بشخصيته ونص على ما اتصف به ودعا اليه من مكارم الأخلاق ، وما شرعه من معالي الامور في شؤون الدين والدنيا · وكيف كان يرمي من وراء دعوته الى المؤاخاة بين البشر ليقودهم الى السعادة في الدنيا والآخرة · فحبذا لو أقبل المسلمون على دراسة حياة نبيهم وما فيها من الجلائل والعظائم والعبر والعظات لحياته حياة لهم

عضو المجمع العلمي
خليل مردم بك

مرافئ سورية وفلسطين
« في القرن الثامن عشر »

تأليف شارل رو الوزير المفوض · وهو بالفرنسية يقع في ٢١٧ صفحة من القطع الكبير ويحتوي على ٢٧ صورة قديمة

كان الفرنسيون وبعض الامم الاوربية يتجرون مع الشام في القرن الثامن عشر وما قبله على شكل خاص فتقيم جالياتهم في فرض معينة كبيروت وصيدا وطرابلس وعكا ويافا ويتمتعون بامتيازات رضي فيها السلاطين العثمانيون ان يتنازلوا عن حقوق الدولة حباً بضمانة الاتجار بين الشرق والغرب وهي تلك الامتيازات التي كانت في ذاك الحين محمودة المغبة فصارت في ايامنا هذه شؤماً على اهل البلاد وضرراً كبيراً · وكان تجار كل دولة اوربية من الدول الكبرى يعيشون مع قنصلهم عيشة خاصة في خانات معلومة

كتاب اللؤلؤ المنضود
« في دفع نقود »

تأليف الشيخ امين ظاهر خير الله طبع في مطبعة الاجتهاد في بيروت
سنة ١٩٢٩

اول ما يسمع القارئ كلمتي (دفع نقود) يحسب ان المراد بها (تأدية نقود) فضة وذهب . ثم لا يلبث ان يعلم ان المراد بها (رد انتقادات) في اللغة والادب . والذي حمل المؤلف على هذا الرد أنه كان طبع ونشر كتاب (المنهج السوي) لوالده الشيخ ظاهر فقرأه بعض أدباء العرب في اميركا فرأى فيه مواضع للنقد فعددها وابدى ملاحظاته عليها فقام الناشر ابن المؤلف فحرر الجواب . وصفى الحساب . ودفع هاتيك النقود . وشفعها بالاحتجاجات والردود . وهي تبلغ ٣٤ رداً استغرقت ١٤٠ صفحة مطبوعة طبعاً حسناً مع عناية بالضبط والتصحيح وتحرير المباحث اللغوية والنحوية فجاء الكتاب طرفة لغوية لا يستغني عنها عالم ولا متأدب . فنشكر للمؤلف هديته . ونتمنى لكتابه الرواج .

« المغربي »

لا يخرجون منها ليلاً · ولهم قوانين سنتها لهم دولهم تتناول كثيراً من الشؤون حتى شؤونهم الخاصة كمنعهم عن الزواج ومنع نسائهم وبناتهم من اللحاق بهم واطلاق يد القنصل في طردهم واعادتهم الى بلادهم اذا اتوا اعمالاً سيئة الخ · ولم يكن يسمح لغيرهم من ابناء جلدتهم ان يتجروا مع الشرقيين · وبعض الدول كانت تحدد الاصناف والمقادير التي يمكنهم ان يتجروا بها حتى كأنهم موظفون لديها · وكانت الغرفة التجارية في مرسيلية تسيطر على كل التجار الفرنسيين في المرافئ الشامية ·

ولقد اجاد المؤلف في وصف علاقات التجار الاجانب بالاهلين و بالحكام وتأثير هؤلاء (كالشيخ ظاهر العمر والامير يوسف الشهابي والجزار وابي الذهب) في تجارة البلاد وزراعتها · ودعم آراءه بوثائق مهمة استخرجها من وزارة الخارجية الفرنسية والغرفة الزراعية في مرسيلية وحلى الكتاب بصور كثير من رجال ذاك العصر صورت في ذاك الزمن فهذا الكتاب هو اذن من الكتب المفيدة جداً يلزم لكل من يدرس تاريخ الشام في القرن السابع عشر لاسيما من وجهته الاقتصادية ·

مصطفى الشهابي
عضو المجمع العلمي

ذيل وذيل الذيل
« لكتاب الصكوك الحقوقية »

تأليف شيخ المدققين الاستاذ محمد مصباح محرم وقد وصفنا هذا الكتاب الممتع في عدد سابق من المجلة · وهذا الذيل تتمة قيمة يحتاج اليها ايضاً رجال القانون والشرع من قضاة ومحامين ·

عارف النكدي

الجزء ١٠ المجلد ٩

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) ايلول : سنة ١٩٢٩ م الموافق للربيعين سنة ١٣٤٨ هـ

عبد الحميد الكاتب

- ٢ -

رسالته في نصيحة ولي العهد في الفصل الذي عقدناه في نشأة عبد الحميد الاكبر وعصره وكتابته وأسلوبه عرضنا للاستشهاد ببعض رسائله الصغيرة المأثورة . وها نحن اولاء نتوخى هنا تحليل أدبه من رسالتين كبيرتين مما أبقت الايام عليه واغتبطنا بعد اثني عشر قرناً ان نتعرف منه سعة مادة الكاتب العظيم وطول نفسه وبعد مراميه في الثقافة وانه رجل متتابع[1] العلم آخذ من كل فن بنصيب وافر . والرسالتان هما رسالته في نصيحة ولي العهد ورسالته الى الكتاب . والاولى منهما أطول رسالة ابقت عليها الايام من انشاء سيد الكتاب عبد الحميد الاكبر كتبها على لسان مروان الى ابنه وولي عهده عبد الله بن مروان ، لما وجهه الى قتـــال الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي وكان هذا استولى على الموصل وكورها سنة ١٢٧ . وقد انطوت هذه الرسالة المرقصة على أغراض كثيرة يمكن اجمالها في موضوعين مهمين الاول درس عظيم في تربية ابناء الملوك والعظماء وتلقينهم الأخلاق الفاضلة وهي الضمان الاعظم لقيام الممالك . والثاني وضع خطط حربية يسير عليها ولي العهد في قتال العدو مانرى المحدثين في المحاربين بلغوا اكثر منها في باب الكر والفر . فأثبت عبدالحميد بهذه الرسالة انه من علماء التربية والاخلاق وعلماء النفس

---

(١) يقال رجل متتابع العلم اذا كان يشبه علمه بعضه بعضاً .

وانه من علماء السياسة والادارة والحرب يستطيع ان يقود الجيوش بعقله كما يقود الممالك بقلمه ·

بدأ رسالته في وصف الخارجي وان الخليفة أراد ان يعهد الى ولي عهده عهداً يحمله فيه أدبه ويشرع له عظته وان كان ولي العهد في الغاية من الدين والتحلي بما يحسن بالخلافة ولو لم يكن كذلك ماخصه ابوه بالولاية عنه دون بني ابيه · وقال له ان الخليفة يوعظه ابنه ايضاً ائتمر بامر الله وما تقدمت فيه الحكماء من تقديم العظة والتذكير وان كانوا أهل معرفة واولي سابقة في الكمال وفضل في العلم قال : ولو كان المؤدبون اخذوا العلم من عند انفسهم ولقنوه إلهاماً من تلقائهم ولم يتعلموا شيئاً من عند غيرهم لنحلناهم علم الغيب ووضعناهم بمنزلة قصرهم بهما عنهم خالقهم المستأثر بعلم الغيب عنهم بوحدانيته في فردانيته في الاهيته ··· واستعماله ألفاظ الوحدانية والفردانية والالاهية من استعمال المحدثين لا عهد بها للعرب ·

قال : وامير المؤمنين يرجو ان ينزهك الله عن كل قبح يهش له طمع ، وان يعصمك من كل مكروه حاق باحد ، وان يحصنك من كل آفة استولت على امرئ في دين او خلق وان يبلغه فيك احسن مالم يزل يعوّده من آثار نعمة الله عليك سامية بك الى ذروة الشرف ومنجحة لك بسطة الكرم لائحة بك في ازهر معالي الادب مورثة لك انفس ذخائر العز · وبعد ان كان الخليفة يخاطب ابنه بصيغة الغائب انقلب وخاطبه خطاب الحاضر فقال : (والله استخلف عليك واسأله حياطتك وان يعصمك من زيغ الهوى ويحضرك دواعي التوفيق معاناً على الارشاد فيه فانه لا يعين على الخير ولا يوفق له الا هو) · وهذا الانقلاب في تنويع الخطاب من اجمل ما يبدر على أسلات اقلام الكتاب · ذلك ان الخليفة بعد ان خاطب ابنه خطابه عاملاً من عماله عاد فذكر البنوة فدعا له دعاء والد لولده ليوفق في مقاصده ويسلم في بدنه ·

ثم هوّن عليه الامر وابان له قدر نفسه وما تيسر له من اسباب التفوق باخلاقه فقال : وقد تلقتك اخلاق الحكمة من كل جهة بفضلها من غير تعب البحث في ادراكها ولا متطاول المنال لذروتها بل تأثلت (١) منها اكرم معانيها واستخلصت منها اعتق

(١) تأثلت اكتسبت ·

جواهرها ثم شمرت الى لباب مصاصها واحرزت مَنْفَس[1] ذخائرها فاقتعد ما احرزت ونافس فيما اصبت ·

ومما قدمه له من العظة في ذلك ان يشكر الله في كل صباح على نعمة السلامة والعافية وان يقرأ فيه من كتاب الله جزءاً يردد فيه رأيه في ادبه ويزين لفظه بقراءته ويحضر عقله ناظراً في محكمه ويتفهمه متفكراً في متشابهه · يريد بذلك تقوية عقيدته في الدين وتقوية ملكته في البلاغة ·

وبعد ذلك النفت فقال : « ثم تعهد نفسك بمجاهدة هواك فانه مغلاق[2] الحسنات ومفتاح السيئات واعلم ان كل اهوائك لك عدو يحاول هلكتك ويعترض غفلتك لانها خدع ابليس وحبائل مكره ومصايد مكيدته فاحذرها مجانباً لها وتوقها محترساً منها واستعذ بالله من شرها وجاهدها اذا تناصرت عليك بعزم صادق لا ونية فيه وحزم نافذ لا مثنوية[3] لرأيك بعد اصداره عليك وصدق غالب لا مطمع في تكذيبه ومضاءة صارمة لا أناة معها ، ونية صحيحة لا خلجة[4] شك فيها فان ذلك ظِهريّ[5] صدق لك على ردها عنك وقطعها دون ما تتطلع اليه منك وهي واقية لك سخطة ربك داعية لك رضا العامة ساترة عليك عيب من دونك ···· فحاول بلوغ غايتها محرزاً لها بسبق الطلب الى اصابة الموضع محصناً اعمالك من العجب فانه رأس الهوى واول الغواية ومقاد الهلكة حارساً اخلاقك من الآفات المتصلة بمساوي العادات » ·

« ومنها ان تملك امورك بالقصد وتصون سرك بالكتمان وتداوي جندك بالانصاف وتذلل نفسك بالعدل وتحصن عيوبك بتقويم أودك وأناتك فوقها الملال وفوت العمل ومضاءتك فدرّعها روية النظر واكنفها بأناة الحلم وخلواتك فاحرسها من الغفلة واعتياد الراحة وصمتك فانف عنه عِيّ اللفظ وخف فيه سوء القالة[6] واستماعك فارعه[7] حسن التفهم وقوّه باشهاد الفكر وعطاءك فانهد[8] له بيوتات الشرف وذوي الحسب

(١) منفس ماينتافس فيه · (٢) المغلاق بكسر الميم مايغلق به الباب · (٣) مثنوية استثناء · (٤) خلجة اضطراب · (٥) ظهريّ عدة · (٦) القالة يطلق القول في الخير والقال والقيل والقالة في الشر · (٧) امنحه · (٨) نهد الهدية عظمها وأضخمها ·

وتحرز فيه من السرف واستطالة البذخ وامتنان الصنيعة ، وحياءك فامنعه من الخجل وبلادة الحصر ، وحلمك فزعه عن التهاون ، واحضره قوة الشكيمة [١] ، وعقوبتك فقصر بها عن الافراط ، وتعمد بها اهل الاستحقاق ، وعفوك فلا تدخله تعطيل الحقوق ، وخذ به واجب المفترض ، وأقم به أود الدين ، واستئناسك فامنع منه البذاءة وسوء المثافنة [٢] ، وتعهدك امورك فحده اوقاتاً ، وقدره ساعات ، لا يستفرغ قوتك ، ويستدعي سآمتك ، وعزماتك فانف عنها عجلة الرأي ، ولجاجة الاقدام ، وفرحاتك فاشكمها [٣] عن البطر ، وقيدها عن الزهد ، وروعاتك فحطها من دهش الرأي ، واستسلام الخضوع ، وحذراتك فامنعها عن الجبن واعمد بها للحزم ، ورجاءك فقيده بخوف الفائت ، وامنعه من أمن الطلب) .

ثم ذكر له كيف يتخير عشراءه ويعامل مشاوريه ، ويتوقى انتشار اخباره في العامة ، الا على صورة لا تسقط من شأنه فقال : « ثم لتكن بطانتك وجلساؤك في خلواتك ، ودخلاؤك في سرك ، اهل الفقه والورع من خاصة اهل بيتك وعامة قوادك ، ممن قد حنكته السن بتصاريف الامور ، وخبطته فصالها بين فراسن [٤] البزل منها ، وقلبته الامور في فنونها ، وركب أطوارها عارفاً بمحاسن الامور ، ومواضع الرأي ، مأمون النصيحة ، مطوي الضمير على الطاعة ، ثم احضرهم من نفسك وقاراً ، تستدعي منهم لك الهيبة ، واستئناساً يعطف اليك منهم بالمودة ، وانصاتاً يفل إفاضتهم عندك بما تكره ان ينتشر عنك من سخافة الرأي ، وضياع الحزم ، ولا يغلبن عليك هواك فيصرفك عن الرأي ، ويقطعك دون الفكر . وتعلم انك وان خلوت بسر فالقيت دونه سترك ، وأغلقت عليه أبوابك ، فذلك لا محالة مكشوف للعامة ، ظاهر عنك وان استترت بربما ولعل ، وما أرى اذاعة ذلك ، فاعلم بما يرون من حالات من ينقطع به في تلك المواطن ، فتقدم

(١) الشكيمة قوة القلب . (٢) المثافنة المباطنة وفي رواية المنافثة ومعناها الاذية .

(٣) يقال فعل فلان امراً فشكمته اي أثبته . (٤) الفرسن والجمع فراسن رجل الجمل والبزل كركم جمع بازل وهو البعير اذا ظهر نابه ومن المجاز الرجل الكامل في تجربته .

في إحكام ذلك من نفسك وسد خلله عنك ، فانه ليس احد أسرع اليه سوء القالة ولغط العامة بخير او شر ، ممن كان في مثل حالك ومكانك الذي أصبحت فيه من دين الله ، والامل المرجو المنتظر فيك » .

ثم حذره من مسائل لها مساس عظيم بمن لهم السلطان على الناس ، فكلمه في مسائل عامة تنتظم بسيره و بسيرته فقال له : «وإياك ان يغمز[1] احد من حامتك وبطانة خدمك ، بضعفة يجد بها مساغاً الى النطق عندك بما لا يعتزلك عيبه ، ولا تخلو من لأحدوثة لائمته ، ولا تأمن سوء فيه ، ولا يرخص سوء القالة فيه ، ان نجم ظاهراً ، او أعلن بادياً ، وان يجترئوا على تلك عندك ، الا ان يروا منك إصغاءً اليها ، وقبولاً لها ، وترخيصاً لهم في الإفاضة بها ، ثم اياك ان يفاض عندك بشيء من الفكاهات والحكايات ، والمزاح والمضاحك ، التي يستخف بها اهل البطالة ، و يتسرع نحوها ذوو الجهالة ، و يجد فيها اهل الحسد مقالاً لعيب يذيعونه ، ولطعن في حق يجحدونه ، مع ما في ذلك من نقص الرأي ودرن العرض ، وهدم الشرف وتأثيل الغفلة ، وقوة طباع السوء الكامنة في بني آدم ، كمون النار في الحجر الصلد ، فاذا قدح لاح شرره ، وتلهب وميضه ووقد تضرمه ، وليست في احد أقوى سطوة ، وأظهر توقداً وأعلى كموناً ، واسرع اليه بالعيب ، ونطرق الشين ، منها الى من كان في سنك من أغفال الرجال ، وذوي العنفوان في الحداثة الذين لم يقع عليهم سمات الامور ناطقاً عليهم لائحها ، ظاهراً عليهم وسمها ، ولم تمحضهم شهامتها ، مظهرة للعامة فضلهم ، مذيعة حسن الذكر عنهم ، ولم يبلغ بهم الصيت في الحنكة مستمعاً يدفعون به عن انفسهم نواطق السن اهل البغي ، ومواد ابصار اهل الحسد » .

وعاد بعد ان حذره من الخفة في المواكب ، ومداعبة من يسايره بالتضاحك اليه ، يريده على ان يستعمل الجد في حركاته ، بحيث لا تتقلقل جوارحه ويحذره من السعاية و يدله على الطريقة في معاملة النامين وعلى الترفع عن الجواسيس وصورة معاملتهم للاخذ منهم ماينفع مصلحة الدولة فقط ونهج له السبيل السوي في معاملة اصحاب الحاجات

(١) اغمز في فلان اذا عابه واستضعفه وصغر شأنه . والحامة القرابة والأسرة .

فقال : « واعلم ان قوماً سيسرعون اليك بالسعاية ويأتونك من قبيل النصيحة ، ويستميلونك باظهار الشفقة ويستدعونك بالاغراء والشبهة ويوطئونك عشوة[1] الحيرة ليجعلوك ذريعة لهم الى استئكال[2] العامة بموضعهم منك في القبول منهم والتصديق لهم على من قرفوه بتهمة او اسرعوا بك في امره الى الظنة فلا يصلن الى مشافهتك ساع بشبهة ولا معروف بتهمة ولا منسوب الى بدعة فيعرضك لابتداع[3] في دينك ويحملك على رعيتك ما لا حقيقة فيه ويلحمك اعراض قوم لا علم لك بدخلهم الا بما أقدم به عليهم ساعياً واظهر لك منهم متنصحاً .

« وليكن صاحب شُرَطك ومن أحببت ان يتولى ذلك من قوادك اليه انتهاء ذلك وهو المنصوب لاولئك والمستمع لاقاويلهم والفاحص عن نصائحك ثم لينْهِ ذلك اليك على ما يرتفع اليه منه لتأمره بامرك فيه وتقفه على رأيك من غير ان يظهر ذلك للعامة فان كان صواباً نالتك حظوته وان كان خطأ أقدم به عليك جاهل او فرطة سعى بها كاذب فنالت الساعي منها او المظلوم عقوبة او بدر من وانيك اليه عقوبة ونكال لم يعصب ذلك الخطأ بك ولم تنسب الى تفريط وخلوت من موضع الذم فيه محضراً اليه ذهنك وصواب رأيك وتقدم الى من تولى ذلك الامر وتعتمد عليه فيه ان لا يقدم على شيء ناظراً فيه ولا يحاول اخذ احد طارقاً له ولا يعاقب احداً منكلاً به ولا يخلي سبيل احد صالحاً عنه لاصحار[4] براءته وصحة طريقته حتى يرفع اليك امره وينهي اليك قضيته على جهة الصدق ومنحى الحق ويقين الخبر فان رأيت عليه سبيلاً لحبس او مجازاً لعقوبة امرته بتولي ذلك من غير ادخاله عليك ولا مشافهة لك منه فكان المتولي لذلك ولم يجر على يديك مكروه رأي ولا غلظة عقوبة وان وجدت الى العفو عنه سبيلاً او كان مما قُرِف به خلياً كنت انت المتولي للانعام عليه بتخلية سبيله والصفح عنه باطلاق أمره فتوليت اجر ذلك واستحققت ذُخره وانطقت لسانه بشكرك وطوقت قومه حمدك واوجبت عليه حقك فقرنت

(١) العشوة الظلمة . (٢) استأكل الضعفاء اخذ اموالهم . (٣) في رواية لا يتاغ دينك . يقال اوتغه اهلكه وهذا مما يوتغ الدين والمروءة . (٤) الاصحار الوضوح .

بين خصلتين واحرزت خطوتين ثواب الله في الآخرة ومحمود الذكر في العاجلة .

« ثم واياك ان يصل اليك احد من جندك وجلسائك وخاصتك وبطانتك بمسألة يكشفها لك او حاجة يبدهك بطلبها حتى يرفعها قبل ذلك الى كاتبك الذي اهدفته لذلك ونصبته له فيعرضها عليك منهيًا لها على جهة الصدق عنهـا وتكون على معرفة من قدرها فان أردت اسعافه بها ونجاح ما سأل منها أذنت له في طلبها باسطاً له كنفك مقبلاً عليـه بوجهك مع ظهور سرورك بما سألك فسحة رأي و بسطة ذرع وطيب نفس وان كرهت قضاء حاجته وأحببت رده عن طلبته وثقل عليك اجابته اليها واسعافه بها امرت كاتبك فصفحه عنها ومنعه من مواجهتك بها فخفت عليك في ذلك المؤنة وحسن لك الذكر ولم ينشر عنك تجهم الرد ويناك سوء القالة في المنع وحمل على كاتبك في ذلك لائمة انت منها بريء الساحة .

« وكذلك فليكن رأيك وامرك فيمن طرأ عليك من الوفود ، واتاك من الرسل ، فلا يصلن اليك احد منهم الا بعد وصول علمه اليك ، وعلم ما قدم له عليك ، وجهـة ما هو مكلمك به ، وقدر ما هو سائلك اياه ، اذا وصل اليك فاصدرت رأيك في حوائجه ، وأجلت فكرك في امره ، واخترت معتزمًا على ارادتك في جوابه ، وانفذت مصدور رويتك في مرجوع مسألته ، قبل دخوله عليك ، وعلمه بوصول حاله اليك ، فرفعت عنك مؤونة البديهة ، وارخيت عن نفسك خناق الروية ، واقدمت على رد جوابه بعد النظر ، واجالة الفكر فيه ، فان دخل اليك احد منهم فكلمك بخلاف ما انهى الى كاتبك ، وطوى عنه حاجته قبلك ، دفعته عنك دفعًا جميلاً ، ومنعته جوابك منعًا وديعًا ، ثم امرت حاجبك باظهار الجفوة له ، والغلظة عليه ، ومنعه من الوصول اليك ، فان ضبطك لذلك مما يحكم لك تلك الاسباب ، صارفاً عنك مؤونتها ومسهلاً عليك مستصعبها) .

هذه هي الخطة التي اختطها عبد الحميد لولي عهد المسلمين ، يريد بها ان يرفع مقامه بين الناس ، على اختلاف مطالبهم ، وان يظهره بمظهر الكرامة بعيداً عن تجبيه قاصديه والتجهم لهم ، وهو ضرب من حسن الادارة والسياسة ما نخال رجال الدول الراقية اليوم يعملون بغير هذه الطريقة حتى لا يسقطوا من الانظار ويتركوا للراجين فسحة من الامل ، ولا يقطعوا معهم قطعًا بتًا ، وان يستهدف صغار العمال للنقد وافظع من النقد ، والرئيس

من ذلك بمعزل ، على حين هو الكل في الكل ، والصغير عن رأيه صدر ، ولارادته نفذ ولقانونه طبق . وماذا يضير هذا لوحمل الناس عليه بالطعن وقد يفادي بالمئات من العمال لقيام الدولة وحفظ البيضة واستبقاء الكرامة والحظوة في الرفع من مكانة الرئيس الاول فان بسقوطه سقوط الدولة وسقوط بعض عماله لا شأن له ولا بال . وحقيقة فان من المسائل ما يوفق لكشفه صاحب الشرطة مثلاً اكثر مما يوفق العظيم في الدولة لانه متمحض لذلك ومقام ولاية العهد يصغر في نفوس الامة اذا عمل في جزئيات الامور عملاً قد يجيده العامل الصغير و يوفق فيه و يوفر على صاحبه وقته و يرفع في العيون شخصيته .

جوّد عبدالحميد الكلام على هذا فأبان عن بعد نظر في سياسة الملك وسياسة الرعية ثم انشأ ينهج للمكتوب اليه طريقاً مهماً في سلوكه مع جلسائه وبطانته واهل مشورته واعوانه وفي احوال نفسه ، تالله لقد لقنه هنا ادباً ، وحدد له عادات ليست اليوم قواعد الحياة العامة في الممالك المتمدنة ارقى منها . وفي هذا دليل ناهض على ان العقل البشري على كثرة ارتقائه جيلاً فجيلا ان يبرح في دائرة نرى فيها ما كان يستحسن قبل الف سنة يستحسن اليوم وتلك القواعد التي نتمسكون بها هي القواعد التي سنها أجدادنا لانفسهم منذ ثلاثة عشر قرناً . قال عبد الحميد :

« احذر تضييع رأيك ، واهمال أدبك ، في مسالك الرضا والغضب ، واعتوارهما إياك ، فلا يزدهينك إفراط عجب تستخف روائعه و يستهويك منظره ولا يبدرن منك ذلك خطأ تزلق خفة لمكروه ان حل بك او حادث ان طرأ عليك .... وامنع اهل بطانتك وخاصة خدمك من استلحام اعراض الناس عندك بالغيبة والتقرب اليك بالسعاية والاغراء من بعض ببعض او النميمة اليك بشيء من احوالهم المستترة عنك او التحميل لك على احد منهم بوجه النصيحة ومذهب الشفقة فان ذلك أبلغ بك سمواً الى منالة الشرف واعون لك على محمود الذكر وأطلق لعنان الفضل في جزالة الرأي وشرف الهمة وقوة التدبير .

« وامِلك نفسك عن الانبساط في الضحك والانفهاق (1) وعن القطوب باظهار

(1) الاتساع .

الغضب وتحلله فان ذلك ضعف عن ملك سورة الجهل وخروج من انتحال اسم الفضل وليكن ضحكك تبسماً او كشراً في احايين ذلك واوقاته وعند كل رائع مطرب وقطوبك اطرافاً في مواضع ذلك واحواله بلا عجلة الى السطوة ولا اسراع الى الطيرة ، دون ان يكتنفها روية الحلم ، وتملك عليها بادرة الجهل .

« اذا كنت في مجلس ملئك ، حيث حضور العامة مجلسك ، فاياك والرمي بنظرك الى خاص من قوادك ، اوذي أثرة عندك من حشمك ، وليكن نظرك مقسوماً في الجميع واراعتك سمعك ذا الحديث بدعة هادئة ، ووقار حسن وحضور فهم مجتمع ، وقلة تضجر بالمحدث ، ثم لا يبرح وجهك الى بعض حرسك وقوادك متوجهاً بنظر ركين ، وتفقد محض وان وجه اليك احد منهم نظره محدقاً ، او رماك ببصره ملحاً ، فاخفض عنه اطراقاً جميلاً باتداع وسكون ، واياك والتسرع في الاطراق ، والخفة في تصريف النظر ، والالحاح على من قصد اليك في مخاطبته اياك رامقاً بنظره .

« واعلم ان تصفحك وجوه جلسائك ، وتفقدك مجانسة قوادك ، من قوة التدبير ، وشهامة القلب ، وذكاء الفطنة ، وانتباه السنة فتفقد ذلك عارفاً بمن حضرك وغاب عنك ، عالماً بمواضعهم من مجلسك ، ثم أعدُ بهم عن ذلك سائلاً لهم عن اشغالهم التي منعتهم من حضور مجلسك ، وعاقتهم بالتخلف عنك .

« ان كان احد من حشمك وأعوانك تثق منه بغيب ضمير ، وتعرف منه لين طاعة ، وتشرف منه على صحة رأي ، وتأمنه على مشورتك ، فإياك والاقبال عليه ، في كل حادث يرد عليك ، والتوجه نحوه بنظرك عند طوارق ذلك ، ان تريه او احداً من اهل مجلسك ان بك حاجة اليه موحشة ، او ان ليس بك عنه غنيً في التدبير ، او انك لا تقضي دونه رأياً ، اشراكاً منك له في رويتك ، وادخالاً منك له في مشورتك ، واضطراراً منك الى رأيه في الامر يعروك ، فان ذلك من دخائل العيوب التي ينتشر بها سوء القالة عن نظرائك ، فانفها عن نفسك ، خائفاً لاعتلاقها ذكرك ، واحجبها عن رويتك قاطعاً اطماع اوليائك عن مثلها عندك ، او غلوهم عليها منك ، واعلم ان للمشورة موضع الخلوة وانفراد النظر ، ولكل امر غاية تحيط بحدوده ، وتجمع معالمه ، فابغها

محرزاً لها ، ورمها طالباً لنيلها ، واياك والقصور عن غايتهـا ، او العجز عن دركها ، او التفريط في طلبها ان شاء الله تعالى .

« اياك والاغرامَ عن حديث ما اعجبك ، او امر ما ازدهاك بكثرة السؤال ، او القطع لحديث من أرادك بحديثه ، حتى تنقضه عليه بالخوض في غيره ، او المسألة عما ليس منه . فان ذلك عند العامة منسوب الى سوء الفهم ، وقصر الادب ، عن تناول محاسن الامور والمعرفة بمساويها ، ولكن انصت لمحدثك وارعه سمعك ، حتى يعلم ان قد فهمت حديثه ، واحطت معرفة بقوله ، فان اردت اجابته فعن معرفة بحاجته ، وبعد علم بطلبته ، والا كنت عندانقضاء كلامه كالمتعجب من حديثه بالتبسم والاغضاء ، فأجزى عنك الجواب ، وقطع عنك السن العتب .

« اياك وان يظهر منك تبرم بطول مجلسك ، اوتضجر ممن حضرك ، وعليك بالتثبت عند سورة الغضب ، وحمية الأنف ، وملال الصبر في الامر تستعجل به ، والعمل تأمر بانفاذه ، فان ذلك سخف شائن ، وخفة مردية ، وجهالة بادية ، وعليك بثبوت المنطق ووقار المجلس ، وسكون الريح ، والرفض لحشو الكلام ، والترك لفضوله ، والاغرام بالزيادات في منطقك ، والترديد للفظك ، من نحو اسمع ، وافهم عني ويا هنـاه ، والا ترى ، او ما يلهج به من هذه الفضول المقصرة باهل العقل ، الشائنة لذوي الحجا في المنطق ، المنسوبة اليهم بالعي ، المردية لهم بالذكر ، وخصال من معـايب الملوك ، والسوقة عنها غبية النظر ، الا من عرفهـا من اهل الأدب ، وقلما حامل لها مضطلع بها ، صابر على ثقلها آخذ لنفسه بجوامعها فانفها عن نفسك بالتحفظ منها واملاك عليها اعتيادك اياها معتنياً بهـا منهـا كثرة التنخم والتبصق والتنحنح والتثوباء والتمطي والجشاء وتحريك القدم وتنقيض الاصابع والعبث بالوجه واللحية اوالشارب اوالمخصرة او ذؤابة السيف او الايماض بالنظر او الاشارة بالطرف الى بعض خدمك بامر ان أردته او السرار في مجلسك او الاستعجال في طعمك او شربك وليكن طعمك متدعا وشربك انفاساً وجرعك مصاً واياك والتسرع في الايمان فيما صغر او كبر من الامور والشتيمة بقول يا ابن الفناة او الغميزة لاحد من خاصتك بتسو يفهم مقارفة الفسوق بحيث محضرك او دارك وفناؤك فان ذلك كله مما يقبح ذكره ويسوء موقع القول فيه

وتحمل عليك معايبه ويناك شينه وينتشر عليك سوء النبإ به فاعرف ذلك متوقياً له واحذره مجانباً لسوء عاقبته .

« استكثر من فوائد الخير فانهـا تنشر المحمدة وتقيل العثرة واصبر على كظم الغيظ فانه يورث الراحة ويؤمن الساحة وتعهد العامة بمعرفة دخلهم وتبطن احوالهم واستثارة دفائنهم حتى تكون منها على رأي عين ويقين خبرة فتنعش عديمهم وتجبر كسيرهم وتقوّم اودهم وتعلم جاهلهم وتستصلح حاسدهم فان ذلك من فعلك بهم يورثك العزة ويقدمك في الفضل ويبقي لك لسان الصدق في العاقبة ويحرز لك ثواب الآخرة ويرد عليك عواطفهم المستنفرة منك وقلوبهم المنحية عنك .

« قس بين منازل اهل الفضل في الدين والحجا والرأي والعقل والتدبير والصيت في العامة وبين منازل اهل النقص في طبقات الفضل واحواله والخمول عند مباداة النسب وانظر بصحبة ايهم تنال من مودته الجميل وتستجمع لك اقاويل العامة على التفضيل وتبلغ درجة الشرف في احوالك المتصرفة بك فاعتمد عليهم من خلالهم في امرك وآثرهم بمجالستك لهم مستحقاً منهم واياك وتضييعهم مفرطا واهمالهم مضيعا » .

هنا انتهى الفصل الاول من هذه الرسالة المتناهية في الإبداع وقد لمحنا فيها مايهذب النفس ويعرفها مصادر الامور ومواردها ويقفها على احوال الناس ومعالجة مسائلهم وقد ختمه بقوله : هـذه جوامع خصال قد لخصها لك امير المؤمنين مفسراً وجمع لك شواذها مؤلفاً واهداها اليك مرشداً فقف عند اوامرها وتناه عن زواجرها وتثبت في مجامعها وخذ بوثائق عراها تسلم من معاطب الردى وتنل انفس الحظوظ ورغيب الشرف واعلى درجات الذكر والله يسأل لك امير المؤمنين حسن الارشاد وتتابع المزيد وبلوغ الامل وان يجعل عاقبة ذلك بك الى غبطة يسوغك اياها وعافية يحلك اكنافها ونعمة يلهمك شكرها فانه الموفق للخير والمعين على الارشاد وبه تمام الصالحات وهو مؤتي الحسنات وبيده الملك وهو على كل شيء قدير » .

قرأنا في الجزء الاول من هذا الكتاب صورة من التربية التي يريد عبدالحميد الاكبر ان يلقنها ولي عهد المسلمين ، ومما يحاول ان ينزه عنه خلقه وعاده ، ومجالسه ومواقفه ، ويلقنه من السيرة الحسنة مع رعيته وذوي الحاجات والظلامات منها ، وما يجب ان يكون

عليه في ادارته وسياسته مع عماله ونصحائه واصحاب اخباره ، على صورة يظهر معها تام الادوات ، جميل المآتي والصفات ، عظيماً يضم في برديه ضروب الوقار وحسن السمت ، وجمال العلم والادب .

اما الجزء الثاني من الكتاب فهو قانون الحرب يلخصه لقائدها ، فيعمل على نفاذه لتكتب له الغلبة على خصمه الخارج على دولته . وقد بدأ هذا القسم بالوقوف عند حدود الطاعة لله ، والعمل بمراشده ، واجتناب نواهيه ، ووصف الدواعي الى جهاد العدو الذي خرج على الجماعة فكان اضر على المسلمين من الترك و المشركين واوصاه برعاية من يمر بهم الجيش من اهل الذمة واهل الملة لئلا ينال الرعية ما ينالها على الاغاب من كل جيش مرابط ومثاغر ومهاجم ومدافع ومتراجع . فقال هذا :

فاذا افضيت نحو عدوك واعتزمت على لقائهم واخذت أهبة قتالهم فاجعل دعامتك التي تلجأ اليها وثقتك التي تأمل النجاة بها وركنك الذي ترتجي به منازل الظفر وتكتهف[1] به لمالق الحذر تقوى الله عز وجل مستشعراً لها بمراقبته والاعتصام بطاعته متبعاً لامره مجتنباً لسخطه محتذياً سنته والتوقي لمعاصيه في تعطيل حدوده وتعدي شرائعه متوكلاً عليه فيما صمدت[2] له واثقاً بنصره فيما توجهت نحوه متبرئاً من الحول والقوة فيما نالك من ظفر وتلقاك من عز راغباً فيما اهاب[3] بك امير المؤمنين اليه من فضل الجهاد ورمى بك اليه محمود الصبر فيه عند الله من قتال عدو المسلمين أكلبهم عليه واظهره عداوة لهم وافدحهم ثقلاً لعامتهم والخذة بربقهم[4] واعلاه عليهم بغياً واظهره فيهم فسقاً وفجوراً واشده على فيئهم الذي اصاره الله لهم مؤنة وكلاً والله المستعان عليهم والمستنصر على جماعتهم عليه يتوكل امير المؤمنين واياه يستصرخ عليهم واليه يفوض امره وكفى بالله ولياً وناصراً ومغيثاً وهو القوي العزيز .

ثم خذ من معك من تباعك وجندك بكف معرتهم ورد مستعلي جورهم[5] واحكام

(١) أكتهف وتكهف لزم الكهف والكهف المغارة والوزر الملجأ . (٢) صمد للامر قصده معتمداً عليه . (٣) اهاب بصاحبه دعاه . (٤) الربقة حبل يوضع في العنق وجمعه ربق . (٥) في الصبح : ورد مشتعل جهلهم واحكام ضياع عملهم .

خالهم ، وضم منتشر قواصيهم ، ولم شعث أطرافهم ، وتقييدهم عمن مروا به من اهل ذمتك ، وملتك ، بحسن السيرة ، وعفاف الطعمة ، ودعة الوقار ، وهدي الدعة ، وجمام المستجم ، محكماً ذلك منهم ، متفقداً لهم فيه تفقدك اياه من نفسك .

ثم اصمد لعدوك المتسمي بالاسلام ، الخارج عن جماعة اهله ، المنتحل ولاية الدين ، مستحلاً لدماء اوليائه ، طاعناً عليهم ، راغباً عن سنتهم ، مفارقاً لشرائعهم ، يبغيهم الغوائل ، وينصب لهم المكايد ، اضرم حقداً عليهم ، وارصد عداوة لهم ، من الترك وأم الشرك ، وطواغي الملل ، يدعو الى المعصية والفرقة ، والمروق من الدين الى الفتنة ، مخترعاً بهواه الى الأديان المنتحلة ، والبدع المتفرقة ، خساراً وتخسيراً ، وضلالاً وتضليلاً ، بغير هدى من الله ولا بيان ، ساء ما كسبت يداه ، وما الله بظلام للعبيد ، وبئسما سولت له نفسه الامارة بالسوء ، والله من ورائه بالمرصاد ، وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون .

وقد رأينا بما نقلنا من جمله انه عاد فأراده على الاعتصام بالمولى ، وادلى اليه بالوسائل الى استصلاح عدوه من دون اهراق دم فقال له : « اعلم ان الظفر ظفران احدهما أعم منفعة ، وابلغ في حسن الذكر قالة ، وأحوطه سلامة ، وأتمه عافية ، وأعوده عاقبة ، وأحسنه في الامور مورداً ، وأصحه في الرواية حزماً ، وأسلمه عند العامة مصدراً ، ما نيل بسالة الجنود ، وحسن الحيلة ، ولطف المكيدة ، ويمن النقيبة [1] ، واستنزال طاعة ذوي الصدوف [2] ، بغير اخطار الجيوش في وقدة جمرة الحرب ، ومنازلة الفرسان في معترك الموت ، وان ساعدتك طلوق الظفر ، ونالتك مزية السعادة في الشرف ، ففي مخاطرة التلف مكروه المصائب ، وعضاض السيوف ، وألم الجراح ، وقصاص الحروب وسجالها بمساورة أبطالها ، على انك لا تدري لاي الفريقين يكون الظفر في البديهة ، ومن المغلوب في الدولة ، ولعلك ان تكون المطلوب بالتمحيص ، فحاول ابلغهما في سلامة جندك ورعيتك ، واشهرهما صيتاً في بدوّ تدبيرك ورأيك ، واجمعهما لإلفة وليك وعدوك ، واعونهما على صلاح رعيتك ، واهل ملتك ، واقواهما شكيمة في حزمك ،

(١) النقيبة النفس . (٢) الميل والانحياز .

وابعدهما من وصم عزمك ، واعلقهما بزمام النجاة في آخرتك ، واجزلهما ثواباً عند ربك .

وابدأ بالاعذار[1] الى عدوك ، والدعاء لهم الى مراجعة الطاعة وامر الجماعة ، وعرى الأنفة ، آخذاً بالحجة عليهم ، متقدماً بالانذار لهم ، باسطاً امانك لمن لجأ اليـه منهم ، داعياً لهم اليه بألين لفظك والطف حيلتك ، متعطفاً برأفتك عليهم ، مترفقاً بهم في دعائك ، مشفقاً عليهم من غلبة الغواية لهم ، واحاطة الهلكة بهم ، منفذاً رسلك اليهم بعد الانذار ، تمدهم كل رغبة يهش اليها طمعهم في موافقة الحق ، و بسط كل امان سألوه لانفسهم ومن معهم ومن تبعهم ، موطناً نفسك فيما تبسط لهم من ذلك على الوفاء بعهدك ، والصبر على ما أعطيتهم من وثائق عقدك ، قابلاً توبة نازعهم عن الضـلالة ، ومراجعـة مسيئهم الى الطاعة ، مرصداً للمنحاز الى فئـة المسلمين وجماعتهم ، اجابة الى ما دعوته اليـه ، وبصرته اياه من حقك وطاعتك ، بفضل المنزلة واكرام المثوى ، وتشريف الجاه ، وليظهر من اثرك عليه ، واحسانك اليه ، ما يرغب في مثله الصادف عنك ، المصر على خلافك ومعصيتك ، ويدعو الى اعتلاق حبل النجاة ، وما هو املك به في الاعتصام عاجلاً وانجى له من العقاب آجلاً وأحوطه على دينه ومهجته بدءً وعاقبة فان ذلك مما يستدعي به من الله نصره عليهم وبعتضد به في تقديه الحجة اليهم معذراً او منذراً ان شاء الله .

وهنا اورد له الصورة التي يجب ان يتخـذها لارسال عيونه وجواسيسه لمعرفة حال العدو وادراك نفسيته وما يرغب فيـه « مستشيراً لذوي النصيحة الذين قد حنكتهم التجربة ونجذتهم الحروب » وان الواجب ان يعظم امر عدوه لاكثر مما بلغـه اخذاً بالحزم لئلا يكون غير مهين الجند ولا مفرطاً في الرأي ولا متلهفاً على اضاعة تدبير ووضع له قاعدة ان يحذر جواسيسه انفسهم بما يأتونه به من اخبار عدوه وان لا يعاقبهم اذا اتهمهم في خبر حملوه ملتمساً لهم الاعذار ولعلهم أوتوا من تدبير العدو ومكيدته . وقالـــ :

« البسهم[2] جميعاً على الانتصـاح وارجح لهم المطامع فانك لم تستعبدهم بمثله

(١) اعذر بالغ في العذر اي في كونه معذوراً على ما اتاه . (٢) خالطهم .

وعدم جزالة الثواب في غير مااستدامة منك الى امر عدوك » . « واعلم شأن جواسيسك وعيونك ربما صدقوك وربما غشوك وربما كانوا لك وعليك فنصحوا لك وغشوا عدوك وغشوك ونصحوا عدوك وكثير مما يصدقونك ويصدقونه فلا يبدرن منك فرطة وعقوبة الى احد منهم ولا تعجل بسوء الظن الى من اتهمته على ذلك وابسط من آمالهم فيك من غير ان تُري احداً منهم انك اخذت من قوله اخذ العامل به والمتبع له او عملت على رأيه عمل الصادر عنه او رددته عليه رد المكذب له والمتهم له المستخف بما اتاك منه فتفسد بذلك نصيحته وتستدعي غشه وتجتر عداوته واحذر ان يُعرف جواسيسك في عسكرك او يشار اليهم بالاصابع وليكن منزلهم على كاتب رسائلك وامين سرك ويكون هو الموجه لهم والمدخل عليك من اردت مشافهته منهم واعلم ان لعدوك في عسكرك عيوناً راصدة وجواسيس كامنة وان رأيه في مكيدتك مثل ما تكايده به وسيحتال لك كاحتيالك له ويعدّ لك كإعدادك فيما تزاوله منه فاحذر ان يشهر رجل من جواسيسك في عسكرك فيبلغ ذلك عدوك ويعرف موضعه فيعد له المراصد ويحتال له بالمكائد فان ظفر به فأظهر عقوبته كسر ذلك ثقات عيونك وخذلهم عن تطلب الاخبار من معادنها واستقصائها من عيونها واستعذاب اجتنائها من ينابيعها حتى يصيروا الى اخذها مما عرض من غير الثقة ولا المعاينة لقطاً لها بالاخبار الكاذبة والأحاديث المرجفة واحذر ان يعرف بعض عيونك بعضاً فانك لا تأمن تواطئهم عليك وممالأتهم عدوك واجتماعهم على غشك وتطابقهم على كذبك واصفاقهم(١) على خيانتك وان يورط بعضهم بعضاً عند عدوك فاحكم امرهم فانهم رأس مكيدتك وقوام تدبيرك وعليهم مدار حربك وهو اول ظفرك » .

وذكر له بعد هذا صفة من يوليه شرطته ، وان يكون اوثق قواده عنده وآمنهم نصيحة ، واقدمهم بصيرة في طاعته ، واصدقهم عفافاً ، وان يبسط من امله مظهراً عنه الرضا ، حامداً منه الابتلاء ، ويبين له مهمته من الجيش وسلطته على الناس . وقال له ان يولي القضاء في عسكره رجلاً من ذوي الخير في القناعة والعفاف والنزاهة والفهم

(١) اجتماعهم .

والوقار والعصمة والورع ممن حنكته السن ، وابدته التجربة ، ويكون ممن لا يداهن في القضاء ويعدل ، وان يجري عليه ما يكفيه ويسعه ويصلحه ، ليتفرغ لما حمله ، ويعان على ما ولي ، واشار له ان ينتخب لطلائعه ذوي نجدة وبأس وخبرة ممن صلوا بالحروب ، وشربوا مرار كؤوسها ، وان ينتقيهم على عينه ، ويعرض كراعهم [1] بنفسه ، ويبين له ما يصلح من الخيل والسلاح ووصف ذلك ابدع وصف . وحذره ان يكل مباشرة عرضهم وانتخابهم الى احد من اعوانه وكتابه ، لئلا يضيع مواضع الحزم ويقف دون عزم الروية ، لانهم حصون المسلمين وعيونهم وهم اول مكيدته ، وعروة امره ، وزمام حربه ، وان ينتخب للولاية عليهم رجلاً بعيد الصوت ، مشهور الاسم ، ظاهر الفضل ، له في العدو وقعات وصولات ، وان يجري عليهم وعليه ارزاقاً تسعهم وتمد من اطاعهم سوى ارزاقهم في العامة وبعد هذا قال له ان يولي درّاجة عسكره واخراج اهله الى مصافهم ومراكزهم رجلاً من اهل بيوتات الشرف محمود الخبرة معروفاً بالنجدة ذا سن وتجربة وان يضم اليه عدة نفر من ثقات جنده وذوي اسنانهم يكونون شرطة معه ثم يتقدم اليه في اخراج المصاف واقامة الاحراس واذكاء العيون وذكر له عمل هذا الرجل في الاخذ بالنافع لقيام امر الجيش ورقابته من العدو .

وذكر له ان يفوض الى امراء اجناده وقواد خيله امور اصحابهم رياضةً منه لهم على السمع والطاعة لامرائهم وحذره ان يعتل احد من قواده عليه بما يحول بينه وبين تأديب جنده لان ذلك مفسدة للجند وحذره استخفاف الجند بقوادهم لان ذلك يؤدي الى استخفافهم بامره وان يوعز الى قواده ان لا يقدموا على عقوبة احد الا عقوبة تأديب اما عقوبة القتل او اقامة حد في قطع او افراط في ضرب فلا يلي ذلك الا هو او صاحب شرطته بامره وعن رأيه واذنه .

وبعد ذلك بسط له لقاء العدو اذا شام طلائعه كيف يكتّب خيوله ويعبي جنده ويسير في مقدمة وميمنة وميسرة وساقة شاهرين الاسلحة ناشرين البنود والاعلام عارفين بمواضعهم في مسيرهم ومعسكرهم معرفاً كل قائد اصحابه مواقفهم من الميمنة

---

(١) كراعهم خيلهم .

والميسرة والقلب والساقة والطليعة ، ليكون كأنه عسكر واحد في اجتماعه على العدو ، فان ضلت دابة من موضعها عرف اهل العسكر من اي المراكز هي ومن صاحبها ، وفي اي المحل حلوله منها فردت اليه . واراده على ان يجعل على ساقته أوثق اهل عسكره صرامة ونفاذاً ، ورضاً في العامة ، وانصافاً من نفسه للرعية ، وان يجعل خلف ساقته رجلاً من وجوه قواده جليداً ماضياً عفيفاً صارماً شهم الرأي شديد الحذر غير مداهن في عقوبة ، في خمسين فارساً من خيله ، يحشر اليه جنده ويلحق به من يتخلف عنه ، وامره ان يعد العقوبة الموجعة و يستصفي الأموال و يهدم عقار كل من آوى احداً من الجند او ستر موضعه او أخفى محله ثم قال :

ليكن رحيلك إباناً واحداً ، ووقتاً معلوماً ، لتخف المؤنة بذلك على جندك ، ويعلموا أوان رحيلهم فيقدموا فيما يريدون من معالجة أطعمتهم ، وأعلاف دوابهم ، وتسكن قلوبهم الى الوقت الذي وقفوا عليه ، ويطمئن ذوو الرأي الى إبان الرحيل ، ومتى يكون رحيلك مختلفاً ، تعظم المؤنة عليك وعلى جندك ، ولا يزال ذوو السفه والنزق يترحلون بالإرجاف ، وينزلون بالتوهم ، حتى لا ينتفع ذو رأي بنوم ولا طمأنينة .

إياك ان تظهر استقلالاً ، او تنادي برحيل من منزل تكون فيه ، حتى تأمر صاحب تعبيتك بالوقوف باصحابه على معسكرك آخذاً بجنبي فوهته باسلحتهم عدة لامر ان حضر ، او مفاجأة من طليعة للعدو ان رأت منكم نهزة ، او لمحت عندكم غرة ، ثم مر الناس بالرحيل ، وخيلك واقفة ، وأهبتك معدة ، وجننك واقية ، حتى اذا استقللتم من معسكركم ، وتوجهتم من منزلكم ، سرتم على تعبيتكم بسكون ريح ، وهدوء حملة ، وحسن دعة ، فاذا انتهيت الى منهل اردت نزوله ، او هممت بالمعسكر به ، فاياك ونزوله الا بعد العلم باهله ، والمعرفة بمرافقه ، ومر صاحب طليعتك ان يعرف لك أحواله ، و يستثير لك علم دفينه ، و يستبطن علم اموره ، ثم ينهيها اليك على ما صارت اليه ، لتعلم كيف احتماله لعسكرك ، و كيف ماؤه وأعلافه وموضع معسكرك منه ، وهل لك ان أردت مقاماً به ، او مطاولة عدوك ، او مكايدته فيه ، قوة تحملك ومدد يأتيه ، فانك ان لم تفعل ذلك ، لم تأمن من ان تهجم على منزل يعجزك و يزعجك عنه ضيق مكانه ، وقلة مياهه ، وانقطاع مواده ان أردت بعدوك مكيدة ، او احتجت من امورهم الى

مطاولة ، فان ارتحلت منه كنت غرضاً لعدوك ، ولم تجد الى المحاربة والاخطار سبيلاً ، وان اقمت به اقمت على مشقة وحصر ، وفي ازل[1] وضيق ، فاعرف ذلك وتقدم فيه ، فان أردت نزولاً امرت صاحب الخيل التي وكلت بالناس فوقفت خيله متنحية من معسكرك ، عدة لامر ان غالك ، ومفزعاً لبديهة ان راعتك ، فقد أمنت بحمد الله وقوته فجأة عدوك ، وعرفت موقعها من حرزك ، حتى يأخذ الناس منازلهم ، وتوضع الاثقال مواضعها ، و يأتيك خبر طلائعك ، وتخرج دبابتك من معسكرك دراجة ودباباً محيطين بعسكرك ، وعدة ان احتجت اليها ، ولتكن دبابات جندك اهل جلد وقوة ، قائداً اواثنين او ثلاثة باصحابهم ، في كل ليلة ويوم نوباً بينهم ، فاذا غربت الشمس ووجب[2] نورها أخرج اليهم صاحب تعبيتك أبدالهم ، عسساً بالليل في اقرب من مواضع دبابي النهار يتعاور ذلك قوادك جميعاً بلا محاباة لاحد فيه ولا إدهان » .

وعلى هذا النحو وضع لولي عهد المسلمين مخطط الحركات الحربية ثم قال له ان يكون منزله في خندق او حصن ليأمن فيه بيات عدوه ، وان يقطع لكل قائد ذرعاً معلوماً من الارض بقدر اصحابه ، فيحفروه عليهم خندقاً يطيفونه بعد ذلك بخنادق الحسك اي الأسلاك الشائكة . واذا طرقهم طارق او فاجأهم عدو ان لا يتكلم احد رافعاً صوته بالتكبير ، وليشرعوا رماحهم ناشبين بها في وجوههم ، و يرشقونهم بالنبل مكتنفين باترستهم ، لازمين لمراكزهم ، وان يكبروا ثلاث تكبيرات متواليات وسائر الجند هادون ، ليعرف مواضع عدوه من معسكره ، وان لا يشهروا سيفاً يتجالدون به ، بل يكون قتالهم بالرماح والنشاب « قد ألبدوا بالأترسة ، واستجنوا بالبيض ، والقوا عليهم سوابغ الدروع وجباب الحشو » وأراده على ان لا يخمد نار رواقه ليسكن نافر قلوب عسكره ، وان عدوه اذا نكل عن الاصابة في جنده فعليه ان يتبعه جريدة خيل عليها الثقات من فرسانه . وتقدم اليه فوصف الحالة التي يجب على هؤلاء الثقات ان يكونوا عليها ، وهم يطاردون اعداءهم ، والصفات التي يجب على فرسانه ان يكونوا عليها ليغنوا غناءهم ، ووصف له صورة خيلهم وعددهم وسلاحهم وكيف يولي على كل مائة رجل منهم رجلاً من اهل

(١) الازل ضيق في العيش . (٢) وجبت الشمس غابت .

خاصته وثقاته ونصحائه « له صيت في الرياسة وقدم في السابقة ، واولية في المتابعة ، ويتعهدهم ودوابهم وسلاحهم ليكونوا كرجل واحد في التشمير وسرعة الاجابة عند الطلب » .

وقال له : ان يوكل بخزائنه ودواوينه رجلاً ناصحاً اميناً و يجعل معه خيلاً يكون مسيرها ومنزلها ومرحلها مع خزائنه وحولها ، ويكون عامة الجند والجيش متنحين عنها لئلا تحدث فزعة فينتهب الجند انفسهم الخزانة .

وبعد ان نحا هذا المنحى ختم هذه الرسالة العذراء بان يعمد الى الحيل اولاً لا الى القتال وان يدس الى عدوه ، ويكاتب رؤساءهم وقادتهم ، ويعدهم ويمنيهم ، و يقطع أعناقهم بالمطامع . وقال له : ولا عليك ان تطرح الى بعضهم كتباً كأنها جواب كتب لهم اليك ، وتكتب على السنتهم كتباً اليك تدفعها اليهم ، وتحمل بها صاحبهم عليهم ، وتنزلهم عنده بمنزلة التهمة ومحل الظنة ، فلعل مكيدتك في ذلك ان يكون فيها افتراق كلمتهم . وأتم الرسالة بما يجب عليه وعلى جيشه من ذكر الله عند المصاولة وان لا يظهر الجند تكبيراً الا في الكرات والحملات ، اما وهم وقوف فان ذلك من الفشل والجبن ، وان يكون في معسكره المكبرون في الليل والنهار قبل المواقعة يحضون الناس على القتال ، و يصفون لهم منازل الشهداء وثوابهم ، و يذكرونهم الجنة ودرجاتها ، ونعيم اهلها وسكانها . وكتب هذا الكتاب سنة تسع وعشرين ومائة قبل زوال ملك بني أمية من الشرق بثلاث سنين .

عرفنا كما رأيتم من هذه الرسالة اموراً كثيرة من شؤون تلك الايام ، ونمط حروبها ، والاخلاق الغالبة على اهلها ، ما لا نتعرف بعضه بالرجوع الى الكتب المطولة والاحاديث المنتشرة ، ودل بها عبد الحميد الاكبر انه رجل الدولة الاموية ممن قد ينبغ مثلهم اواخر الدول فيكونون لها سراجاً وهاجاً ، وتطفأ شعلتهم بانطفاء شعلتها .

وعرفنا بهذا القليل من الصفحات التي ابقت عليها العصور من كلام امام المنشئين نفسيته وعقله بما لا تنهض بتعريفه التراجم المطولة التي يكتبها اصحابها فيمن لم يعرفوهم ولم يعاشروهم ، فيترجمون لهم كما يترجمون لغيرهم ، وبعض التراجم اذا ازلت منها جملاً معينة تليق ان تلبس على جسم اكثر النـاس وروحهم . وترجمة المرء من كلامه افعل اثراً واصدق قيلاً .

رسالته الى الكتاب — ومن اشهر ما خلفته العصور من رسائل عبد الحميد بن يحيى رسالته الى الكتاب نقلها عن اقدم مصدر لها وهو كتاب الجهشياري وقد نقلها ابن خلدون في مقدمته الا انه لم تصل اليه برمتها · قال صاحب تاريخ الوزراء وجدت بخط ميمون بن هرون لعبد الحميد كتاباً الى الكتاب اطال فيه الا انه اجاد فلم استجز اسقاط بعضه ، وكتبته جميعه على طوله لان الكاتب لا يستغني عن مثله وهو :

اما بعد حفظكم الله يا اهل هذه الصناعة وحاطكم ووفقكم وارشدكم ، فان الله عز وجل جعل الناس من بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم اجمعين ومن بعد الملوك المكرمين سوقاً ، وصرّفهم في صنوف الصناعات التي سبب منها معاشهم ، فجعلكم معشر الكتاب في اشرفها صناعة : اهل الادب والمروءة والحلم والروية ، وذوي الاخطار والهمم ، وسعة الذرع في الافضال والصلة ، بكم ينتظم الملك ، وتستقيم للملوك امورهم وبتدبيركم وسياستكم يصلح الله سلطانهم ، ويجتمع فيئهم وتعمر بلادهم ، يحتاج اليكم الملك في عظيم ملكه ، والوالي في القدر السنيّ والدني من ولايته ، لا يستغني عنكم منهم احد ، ولا يوجد كاف الا منكم ، فموقعكم منهم موقع اسماعهم التي بها يسمعون ، وابصارهم التي بها يبصرون ، والسنتهم التي بها ينطقون ، وايديهم التي بها يبطشون ، انتم اذا آلت الامور الى موئلها ، وصارت الى محاصلها ، ثقاتهم دون اهليهم واولادهم وقراباتهم ونصحائهم ، فامتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ، ولا نزع سربال النعمة عليكم ·

وليس احد من اهل الصناعات كلها احوج الى استخراج خلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة · ايها الكتاب ان كنتم على ما سبق به الكتاب من صنعتكم فان الكاتب يحتاج من نفسه ، ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات اموره ، الى ان يكون حليماً في موضع الحلم ، فقيهاً في موضع الحكم ، مقداماً في موضع الاقدام ، ومحجماً في موضع الاحجام ، ليناً في موضع اللين ، شديداً في موضع الشدة ، مؤثراً للعفاف والعدل والانصاف ، كتوماً للاسرار ، وفياً عند الشدائد ، عالماً بما يأتي ويذر ويضع الامور في مواضعها ، قد نظر في كل صنف من صنوف العلم فأحكمه فان لم يحكمه شدا منه شدواً يكتفي به ، يكاد يعرف بغريزة عقله وحسن ادبه وفضل تجربته

مايرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر قبل صدره فيعد لكل امر عدته و يهيء لكل امر أهبته فنافسوا معشر الكتاب في صنوف العلم والادب وتفقهوا في الدين وابدؤا بعلم كتاب الله عزّ وجلّ ، والفرائض ثم العربية فانهـا ثقاف السنتكم ، وأجيدوا الخط فانه حلية كتبكم ، وارووا الاشعار واعرفوا غريبهـا ومعانيهـا ، وايام العرب والعجم وأحاديثهـا وسيرها ، فان ذلك معين لكم على ما تسمون به بهممكم ، ولا يضعفن نظركم في الحساب ، فانه قوام كتاب الخراج منكم ، وارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيها ودنيها ، ومساوي الامور ومحاقرها ، فانهـا مذلة للرقاب ، مفسدة للكتاب ، ونزهوا صناعتكم ، واربؤوا بانفسكم عن السعاية والنميمة ، وما فيه اهل الجهالة والدناءة ، واياكم والكبر والعظمة ، فانها عداوة مجتلبة بغير إحنة ، وتحابوا في الله عزوجل في صناعتكم ، وتواصلوا عليها فانها شيم اهل الفضل والنبل من سلفكم .

وان نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه ، وواسوه حتى ترجع اليه حاله ، وان اقعد الكبَر احدكم عن مكسبه ، ولقاء اخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه ، واستظهروا بفضل رأيه وتجربتـه ، وقديم معرفته ، وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته اليه ، أحدب وأحوط منه على اخيه وولده فان عرضت في العمل محمدة فليضفها الى صاحبه ، وان عرضت مذمة فليحملها من دونه ، وليحذر السقطة والزلة ، والملال عند تغير الحال ، فان العيب اليكم معشر الكتاب اسرع منه الى المرأة ، وهو لكم اشد منـه لها ، فقد علمتم ان الرجل منكم قد يصف الرجل اذا صحبه في بدء امره من وفائه وشكره ، واحتماله وصبره ونصيحتـه ، وكتمان سره وعفافه وتدبيره ، بما هو حري ان يحققه بفعاله في غير حين الحاجة الى ذلك منه ، فابذلوا وفقكم الله ذلك من انفسكم ، في حال الرخاء والشدة ، والحرمان والمواساة ، والاحسان والاساءة ، والغضب والرضا ، والسراء والضراء ، فنعمت السمة هذه لمن وسم بها من اهل هذه الصناعة الشريفة ، فاذا وليّ الرجل منكم وصيّر اليه من امور خلق الله وعباده امر ، فليراقب الله تعالى ذكره ، وليؤثر طاعته فيه ، وليكن على الضعيف رفيقاً وللمظلوم منصفاً ، فان الخلق عباد الله ، وأحبهم اليه أرفقهم بعباده ، ثم ليكن بالحق حاكماً ، وللأشراف مكرماً ومداريا ، وللفيء وفراً ، وللبلاد عامراً ، وللرعية متألفاً ، وليكن في مجلسه متواضعاً حليماً لينا ، وفي

استجلاب خراجه واستقصاء حقوقه رفيقاً ٠

واذا صحب احدكم الرجل فليستشف خلائقه كما يستشف الثوب ليشتريه لنفسه فاذا عرف حسنها وقبيحها أعانه على ما يوافقه من الحسن واحتال لصرفه عما يهواه من القبيح بالطف حيلة واحسن مداراة ورفق فقد عرفتم ان سائس البهيمة اذا كان حاذقاً بسياستها التمس معرفة اخلاقها فان كانت رموحاً اتقاها من رجلها وان كانت جموحاً لم يهجها اذا ركبها واذا كانت شموساً توقاها من ناحية يدها وان خاف منها عضاضاً توقاها من ناحية رأسها وان كانت حروناً لم يلاحها وتتبع هواها في طريقها وان استمرت عطفها فيسلس لها قيادها ٠ ومن هذا الوصف من سائس البهيمة ورفق سياسته دليل وأدب لمن ساس الناس وعاملهم وخدمهم وصحبهم ٠

والكاتب بفضل رأيه وشرف صناعته ، ولطيف حيلته ومعاملته لمن يجاوره ويناظره ، ويفهم عنه ويخاف سطوته ، اولى بالرفق بصاحبه ومداراته وتقويم أوده من سائس البهيمة التي لا تحير جواباً ، ولا تعرف خطأ ولا صواباً ، الا بقدر ما يصيرها اليه سائسها ، وصاحبها الراكب لها فأدقوا يرحمكم الله النظر واعملوا فيه الروية والفكر ، تأمنوا ممن صحبتموه باذن الله النبوة ، والاستثقال والجفوة ؛ ويصيروا منكم الى الموافقة وتصيروا منهم الى المواساة والشفقة ان شاء الله ٠

ولا يجوزنّ الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وبنائه وخدمه وغير ذلك من فنون امره — قدر صناعته فانكم مما فضلكم الله به من شرف صناعتكم خدم لا تحتملون في خدمتكم على التقصير وخزان وحفظة لا يحتمل منكم التضييع والتبذير واستعينوا على عفافكم بالقصد في كل ما عددت عليكم فنعم العون عونكم على صيانة دينكم وحفظ امانتكم وصلاح معاشكم واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف فانهما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان اهلها ولا سيما الكتاب والامور اشباه وبعضها دليل على بعض ٠ فاستدلوا في مؤتنف اعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير اوضحها محجة وارجحها حجة واحمدها عاقبة واعلموا ان للتدبير آفة وضداً [1] وافية لا يجتمعان في احد ابداً وهو الوصف الشاغل لصاحبه على

(١) كذا وفي رواية « واعلموا ان للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل الخ ٠

انفاذ عمله ورويته فليقصد الرجل منكم في مجلس تدبيره قصد الكافي في منطقه وليقصد في كلامه وليوجز في ابتدائه وليأخذ بمجامع حججه فان ذلك مصلحة لعقله ومحجة لذهنه ومدفعة للتشاغل من اكثاره وان لم يكن الاكثار عادة ثم وضع موضعه في ابتداء كتاب او جواب عند الحاجة فلا بأس ولا يدعون الرجل منكم صنع الله تعالى ذكره له في امره وتأييده اياه بتوفيقه الى العجب المضر بدينه وعقله وأدبه فانه ان ظن منكم ظان او قال قائل ان ذلك الصنع لفضل حيلته واصالة رأيه وحسن تدبيره كان متعرضاً لان يكله الله الى نفسه فيصير منها الى غير كاف ولا يقل احد منكم انه آدب واعقل واحمل لعبء التدبير والعمل من اخيه في صناعته فان اعقل الرجلين عند ذي الالباب القائل ان صاحبه اعقل منه واحمقهما الذي يرى انه اعقل من صاحبه لعجب هذا بنفسه ونبذ ذاك العجب وراء ظهره اذ كان الآفة العظمى من آفات عقله ولكن قد يلزم الرجل ان يعرف فضل نعمة الله عليه من غير عجب برأيه ولا تزكية لنفسه ولا تكابر على اخيه وكفئه ويشكر الله ويحمده بالتواضع لعظمته .

وانا اقول في آخر كتابي هذا ما سبق به المثل « من يلزم الصحة يلزمه العمل » وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته آخره وختمته به تولانا الله واياكم معشر الكتاب بما يتولى به من سبق علمه في سعادته وارشاده فان ذلك اليه وبيده والسلام عليكم ورحمة الله » .

وبهذا الكتاب ايضاً عرفنا منازع عبد الحميد وادبه . وانه يريد ان يجعل من الكتابة صناعة شريفة تفيد الناس وتفيد الآخذين انفسهم بادبها وان الكتابة تحتاج الى ادوات كثيرة ذكرها مفصلة ولا بد بعد الاضطلاع باعباء ما يلزم لها من العلوم ان يلم الكاتب بكل موضوع ولو الماما خفيفاً ومن احلى ما في رسالته ان يسترشد الصغار منهم بالكبار الذين سبقوهم في هذه الصناعة ويتعهدوهم ويعملوا بمشورتهم فلا عجب بعد هذا ان كانت لعبد الحميد من كتابته مدرسة خاصة ما زال الناس يأخذون منها في العصور التي تلته وقلما حادوا عنها بحال لانها معقولة مقبولة تنفع صاحبها في كل زمن وقد صدرت عن عقل عظيم جداً تجذته التجارب وأيده العلم الغزير والادب النمير .

نعم ألبس عبد الحميد في الثلث الاول من القرن الثاني هذا الانشاء العربي حلة جديدة

فيها المتانة وفيها الرشاقة وأكثر ما بدا في تضاعيفها الاطالة في غير ما املال من سجع وترصيع انشاء يسير مع الطبع ومع الطباع التي تواءم اهل الحضارة ممن يفصلون و يتوسعون و يعيدون و يبدون ومقاصدهم تحوم حول التأثير في اذهان السامعين والقارئين . وبلوغ الغاية من تأليف الدول وانتظام الجماعة ولم تكن هذه الطريقة في الكتابة فيما بلغنا مألوفة في عامة دور الأمويين لان هؤلاء عرب اقحاح وكتابهم على شاكلتهم يحاولون بالايجاز في مكتوباتهم ان يتركوا للقاريء شيئاً من المعاني يفسرها بما يريد ويمتعوه بشيء من الحرية ينطلق فيها على ما يرى فيه المصلحة فيكون لديه المختصرات والتفاصيل من المطولات تفهم بذاتها . ومن المحقق ان عبد الحميد اقتبس هذه الطريقة من الامم المجاورة لا سيما الفرس ممن لم تكن حضارتهم حضارة ابتدائية كالعرب بل فيها المطول المسهب والمتشعب المتعب ولقد احتاج العرب بعد توسعهم في الملك الى تقرير المسائل على جليتها لا يعتورها لبس ولا إشكال ومن مواجب الحضارة الاسهاب ومن دواعي البداوة الاقتضاب . فعبد الحميد اذاً تشبع بروح لدولة وروح حضارتها التي بلغت في ايامه أعلى قممها ورسم بيراعته صورة ما احاط به واقتضاه الحال ولو حاول بعد ان بلغت الامة ما بلغته من درجات التقدم في كل شأن من شؤون المجتمع ان يعود بالكتابة الى ايجازها القديم لما أفاد جديداً ، ولما رجع ذاك الصدى في سلطان دولته ، ولما وصف محيطه حق وصفه . ومن الصعب ان يتعدى المرء حدود البيئة ، ولا عليه فيما اتاه ما دامت حال الدولة تتطلب القاء الخطا الى الامام ، وان تجدد اوضاعها على ما تقتضيه المصلحة ، وطبيعة الملك والحضارة ، على ان لا يهدم في عمله اصلاً من الاصول القديمة . وفي هذا كان جماع المكانة التي بلغها عبد الحميد بانشائه فهو مخترع طريقة ، وكاتب وصاف على الحقيقة ، استجمع كل شروط البلاغة فعد امير المنشئين غير مدافع ، واستطاب الناس الى يومنا هذا أسلوبه المعجب المطرب ، واين من يشاكله فيه ، او تسمو قريحته الى مستوى ذاك النابغة في فنون الانشاء ، الداهية في حسن التصرف على ما يشاء .

محمد كرد علي

ابو عمر الزاهد (١)

غلام ثعلب الحُفَظة اللغوي المحدث

« وكتاب المداخل له »

نبغ للمسلمين في منتصف القرن الثالث من الهجرة عالمان من كبار الاعلام ورحلتان عليهما المعول عند الاختلاف والمفزع في الخلاف . فأخذ طلاب العلوم يهرعون اليهما من كل صُقع وينسلون من كل حدب . وهما حاملا لواء العربية ببغداد ومنتدى أهلها . وعليهما انتهت رياسة العربية واليهما كان مرجع علماء المصرين (البصرة والكوفة) في تحقيق المسائل وتقييد الروايات كما قال :

أيا طالب العلم لا تجهلن　　　وعُذْ بالمبرّد أو ثعلب
تجد عند هذين علم الورى　　　فلا تك كالجمل الاجرب

فخرج لهم من جهابذة التلامذة من ملأوا الآفاق وبثوا فيها من كل علم ما رقّ وراق . وكان القرن الثالث للاسلام هو الذهبي من جهة استقرار الخلافة وتوطد الامامة في قرارتها في انحاء المعمور الشاسعة ثم اخذ ظلها الوارف ينقاص عن الاطراف و ينضوي الى ما استطف من مراكز الخلافة غير ان بزور العلم التي نثروها واشجار الحضارة العربية التي غرسوها لم تكن لتذوى او تذبل بعد ما سقوها من ينابيع عنايتهم الجارية وفيوضها الهامية المتوالية فنضرت وزهرت بما لم يخطر في الحسبان والظنون واثمرت واينعت على هنات هناك وشجون .

فمن تخرّج على المبرّد الزجّاج وابن السراج وابو علي الطوماري وابو بكر ابن ابي الأزهر وابن درستويه وأبو علي الصفار وأبو جعفر الصفار .

وممن اخذ عن ثعلب ابن الانباري وابو عمر الزاهد غلامه وابو موسى الحامض كبير أصحابه وابراهيم الحربي وأبو عبد الله اليزيدي وابن مقسم .

وممن أخذ عنهما أو خلط بين المذهبين ابو حسن الاخفش ثالث الأخافش واصغرهم

---

(١) المجمع : راجع الجزء الثامن من هذا المجلد ص ٤٤٩ .

ونفطويه وابن كيسان والصولي وابن المعتز .

ثم برع لهؤلاء من التلامذة من فاقوا عليهم وتصدروا للرئاسة وأنافوا و برّزوا وطار لهم دويٌّ في اكناف البسيطة كأبي علي الفارسي والسيرافيّ والزجاجي وابي الطيب اللغوي وابن خالويه والرماني وابن فارس والازهري الى غيرهم .

ولكن مما لا يستهان به في مثل هذا المقام ان اباعمر الزاهد مع شهرته لم يطبع الى الآن شيءٌ من تآليفه الخطيرة التي هي مادة اللغة وينبوعها الصافي ولا ُعرف بالبقاء منها غير فائت الفصيح عند بعض منتحلي العلم بدهلي وغير العشرات بخزانة برلين وغير هذا الكتاب الذي نحن بصدده مع ان ثلاثة منها غير هذه كانت توجد الى آخر المائة (١١) كاثراه في الثبت .

وهذه النسخة فريدة فيما بلغه علمي وأحاطه نظري توجد بخزانة رامپور (الهند) في ١٣ صفحة وهي حديثة غير مضبوطة[١] ولا عارية عن الأغلاط بخط وسط ولم يثبت عليها تاريخ نسخها غير اني أُقدّر نظراً الى نوع خطها وورقها ان تكون كتبت في آخر المائة الثانية عشرة للهجرة نسختها في جلستي الصباح والمساء في بعض ايام شوال سنة ١٣٤٦ هـ (٣ ابريل سنة ١٩٢٨ م) .

وثبت على النسخة ترجمته (بكتاب المداخلات) والمجمع عليه (المداخل) انظر فهرستي النديم وابن خير والوفيات وكشف الظنون وابا العلاء[٢] وما اليه عن الغفران ومعجم الأدباء وغيرها . قال خليفة انه مختصر في اللغة وعليه (زيادات) وهو احدو ثلاثون باباً سبعة منها زيادات عليه . قال العاجز الموجود في نسختنا وحاشاها من الخرم الحادث ثلاثون فقط . فلعل خليفة غلِطَ في الحساب او يكون اصل نسخة رامبور مقتضباً .

وهذه الزيادات لم يذكرها احد ممن ترجم لأبي عمر . نعم ذكروا له عليه كتاباً آخر رسمه عند ابن النديم (حلى المداخل) وعند ياقوت (حل المداخل) وفي الوفيات (علل المداخل) . وليس في نسختنا علامة تدل على إفراز الزيادات عن الاصل .

ولأبي الطيب عبد الواحد بن عليّ اللغويّ صاحب مراتب النحويين كتاب في مثل هذا المعنى سماه شجر الدُرّ ذكر ابو العلاء[٣] انه سلك فيه مسلك ابي عمر في المداخل

---

(١) والذي يظهر لي ان اصلها كان مصحَّحاً . (٢) ص ٦٤ .

ترى فصلاً منه بآخر هذه الطبعة . وهذا النوع يسمى المشجر وهو يسهل على الابناء حفظ اللغة و يناظره من علم الحديث المسلسل وقد سمى ابو الطاهر محمد بن يوسف التميمي [١] صاحب المقامات [٢] اللزومية المتوفى سنة ٥٣٨ كتابه المسلسل في اللغة الذي يوجد منه نسخة عتيقة مكتوبة سنة ٥٦٥ ه في الخزانة المصرية قال ابن خير وهو في معنى المداخل .

وهذا اسناد الكتاب [٣] لابن خير الاشبيلي الى المؤلف قال : حدثني به الشيخ ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن معمر المزججي رحمه الله قال حدثني به الوزير ابوبكر محمد بن هشام بن محمد المصحفي رحمه الله قال حدثني به ابي رحمه الله وابو الحسن علي بن محمد بن ابي الحسين وابو بكر محمد بن خشخاش وابوالحسن الزهري المفسر قراءةً منه عليهم قالوا كلهم حدثنا به ابو سليمان [٤] عبد السلام بن السمح قراءةً عليه قال قرأته باليمن على ابي عبد الله الحسين بن احمد بن بريهة العباسي قال قرأته على ابي عمر المطرز رحمه الله . قال ابوبكر المصحفي قال لي ابي رحمه الله كانت قراءتي له على ابي سليمان بالمدينة الزهراء سنة ٣٧٩ ه قال ابو بكر المصحفي وابو سليمان هذا من اهل مورور هواري النسب رحل الى المشرق وأقام بها مدة طويلة وحج ولقي جماعة من اهل العلم وتفقه وكان حفظه لمذهب الشافعي أغلب عليه فعُرف وأحكم قراءة القرآن على القراء وروى كتباً كثيرة فلما انصرف من المشرق أنزله الحكم بالزهراء ووسع عليه فصار زهراوياً مستوطناً بها الى ان مات وفيها قرأ الناس عليه واخذوا عنه وكان يروي عن المطرز نفسه كتبه ما خلا المداخل فانه لم يدرك قراءته عليه فقرأه باليمن عند انصرافه عن العراق على ابن بريهة من أئمة جامع بغداد . قال الوزير ابو بكر المصحفي كنت أقرأ المداخل على ابن خشخاش

---

(١) ترجم له ابن بشكوال رقم ١١٧٥ وابن الأبار في معجم اصحاب الصدفي رقم ١٢٤ وصاحب البغية ص١٢٠ . (٢) بقي منها نسخة بديرالاسكوريال ونسختان بجامع اللالهلي بالقسطنطينية وُصفتا بالزهراء ص٤٠٣ سنة ١٣٤٥ ه وذُكرت المقامات في تكملة ابن الأبار رقم ١٧٢٢ وتحت ٣١٢ من طبعة الجزائر وفي المعجم المذكور تحت ٢٦٦ والمعاهد ٢ : ١٠٦ . (٣) ص٣٥٨ . (٤) ترجم له ابن الفرضي رقم٨٥٥ قال توفي سنة٣٨٧ ه .

وصاعدٌ اللغوي حاضر اذ كان جارنا ببيت بلد (كذا) وكنت أنحط في ذلك الوقت عن القراءة عليه لصغر سني فكان جدي رحمه الله يشير على ابن خشخاش بان تكون قراءتي عليه وقت حضور صاعد فربما يردّ عليّ فيما أقرأه و يسبقني الى قراءة بعضه وكان صاعد قرأ المداخل بمصر على الوزير ابي الفضل(١) جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى ابن الفرات المعروف (بابن) حنزابة عن ابي عمر محمد بن عبد الواحد المطرّز قراءةً عليه ببغداد وكان ابن حنزابة لا يفارق صاعداً يسامره ·

وحدثني به ايضاً اجازةً الشيخ الوزير ابو الوليد احمد بن عبدالله بن طريف رحمه الله قال اخبرني به ···· ابو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبني قراءةً عليه عن ابي بكر فضل ···· بن محمد بن فضل الكاتب عن ابي سليمان عبد السلام بن السمح الزهراوي الشافعي عن ابي عبد الله الحسن(٢) بن احمد بن بريهة لقيه باليمن عن ابي عمر (الزاهد) رحمه الله ·

[····] وحدثني به ايضاً غير واحد من شيوخي رحمهم الله منهم ابو الحسن علي ابن عبد الله بن موهب وابو عبد الله محمد بن سليمان النفزي رحمهم الله عن الشيخ ابي العباس احمد بن عمر بن أنس العذري ثم الدلائي قال حدثني به ابو بكر محمد بن سعيد بن سختويه الاسفرائني قال حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن بُندار البارع الضرير باسفرائن سنة ٣٧١ ﻫ قال حدثنا ابو عمر محمد بن عبد الواحد المطرّز الزاهد المعروف بغلام ثعلب مؤلفه رحمه الله اﻫ ·

قال العاجز وابو عبد الله العبامي هو راوي نسختنا عن ابي عمر جاء ذكره في الباب الثامن عشر ·

ترجمة ابي عمر ٢٦١ — ٣٤٥ ﻫ = عن فهرست ابن النديم ٧٦ و٧٧ ونزهة الألباء للكمال ابن الأنباري (٣٤٥ — ٣٥٤) ومعجم الادباء (٧ : ٢٦ — ٣٠) ووفيات

---

(١) وهو الذي اساء المتنبيّ اليه اذ قال :

بها نبطيّ من اهل السواد يُدرّس انساب اهل الفلا

(٢) وفيما تقدم الحسين ولم أقف على ترجمته ·

الأعيان سنة ١٣١٠ هـ (١ : ٥٠٠ و ٥٠١) وتذكرة الحفاظ للذهبي (٣ : ٨٤—٨٦) وطبقات الشافعية لابن السبكي (٢ : ١٧١) ولسان الميزان لابن حجر (٥ : ٢٦٨) وبغية الوعاة (٦٩) وغيرها ·

اسمه ونسبه وبلده = هو ابو عمر محمد بن عبد الواحد بن ابي هاشم الباوردي المطرز الزاهد غلام ثعلب · لم يزد احد من مترجميه شيئًا على هذا وهو بغدادي المنشأ قال النديم وكان ينزل في سكة ابي العنبر وجاء عنده بعد أسطر (منزله ابي العنبر) ولم يذكرهما ياقوت في معجمه · و باوَرْدُ الذي نُسب اليه هو بليدة خراسان أبيوردُ التي منها ابو المظفر الأبيوردي الشاعر وكانت صناعة ابي عمر تطريز الثياب فسمي من اجل ذلك المطرّز وابو عمرو بالواو والمطرزي بياء النسبة على ما جاء في خزانة البغدادي تصحيفان · ولم يذكره السمعاني في ترجمة المطرز من أنسابه قال ابن خلكان ولكن ذكره في ترجمة غلام ثعلب أقول ولكنني لم أجده في طبعة الانساب لا في غلام ثعلب ولا في الباوردي ايضًا · واما تسميته بالزاهد فما أدري ما وجهه غير ان ابا بكر بن خير الإشبيلي روى بسنده الى ابي ذر الهروي أنه قال ابو عمر المطرز الزاهد زاهد في الدنيا والآخرة ولعله كما قال [1] ابو نصر المنازي وقد شكا اليه ابو العلاء حسد الناس وكذبهم عليه « على ماذا حسدوك فقد تركت لهم الدنيا والآخرة » فقال ابو العلاء والآخرة !!! وجعل يكررها اي انه نبز أبا عمر وآذاه بالطعن ·

شيوخه وتلامذته = صحب ابا العباس احمد بن يحيى ثعلبًا زمانًا طويلاً واكثر من النقل عنه ولذلك سمي غلام ثعلب و يظهر من اليواقيت انه اخذ عن المبرّد ايضًا وقال النديم[2] في كتاب الألفاظ لكلثوم بن عمرو العتابي انه رواه ابو عمر الزاهد عن المبرّد قال وهذا طريف · وسمع الحديث من موسى بن سهل الوشاء ومحمد بن يونس الكديمي واحمد بن عبيد الله النرسي وابراهيم بن الهيثم البلدي واحمد بن سعيد الجمال و بشر بن موسى الاسدي وجماعة غيرهم · روى ابن[3] القارح عن شيخه ابي الطيب

(١) انظر ابو العلاء وما اليه ص ٢٢٣ . (٢) ص ١٢١ ·
(٣) رسالته سنة ١٣٣١ هـ ص ٢١١ ·

اللغوي قال : قرأت على ابي عمر الفصيح واصلاح المنطق حفظاً وقال لي ابو عمر كنت أعلق اللغة عن ثعلب على خزف واجلس على دجلة أحفظها وارمي بها . قال الذهبي ولا أعلمه رحل .

أخذ عنه ابو علي الحاتمي الأديب من علماء حضرة سيف الدولة وصاحب الرسالة الموضحة لكشف مساوئ المتنبي وأبوالقاسم ابن برهان (بفتح الباء) وابو علي القالي وابن خالويه وابواسحق[1] الطبري وهو غلام[2] ابي عمر الزاهد وابو عبيدالله المرزباني صاحب الموشح وابو الفضل ابن حنزابة المحدث وزير كافور وابو عبد الله الحسين[3] بن احمد بن بريهة العباسي راوي نسختنا من المداخل عن ابي عمر وابو سليمان عبد السلام بن السمح الموروري الشافعي راوي تآليف أبي عمر عنه ماخلا المداخل فأنه أخذه عن ابي عبدالله العباسي عن ابي عمر وهو الذي ادخلها الاندلس وابو الفتح عبيد الله بن احمد النحوي جخجخ صاحب ابن دريد وراوي جمهرته وابومحمد الصفار وابومحمد ابن سعد القُطربلي وابو محمد الحجازي (ولعله وهب) وابو الطيب اللغوي وآخرون وجعفر بن محمد بن جعفر الطيالسي صاحب المكاثرة عند المذاكرة وابو بكر احمد بن ابراهيم المقرئ الجلاء (؟) وابو الحسين بن بشران .

وروى عنه ابوالحسن محمد بن[4] رزقويه والحاكم وابن منده والقاضي ابو القاسم بن المنذر وابوالحسين بن بشران وعلي بن احمد الرزاز وابوعلي بن شاذان وهو آخر من حدث عنه ومحمد[5] بن احمد بن القاسم المحاملي .

قال الذهبي قرأت على ابي المعالي احمد بن اسحق المؤيدي اخبركم ظفر بن سالم ببغداد اخبرنا هبة الله بن احمد الشبلي سنة ٥٥٧ اخبرنا ابوالغنائم محمد بن علي بن الحسن سنة ٤٧٨ اخبرنا محمد بن احمد بن القاسم المحاملي سنة ٤٠٧ اخبرنا ابو عمر الزاهد اخبرنا

(١) لعله هو الذي سماه ابن خير كما مر ابا اسحق ابراهيم بن بندار البارع الضرير
(٢) نشوار المحاضرة ١٤٤ . (٣) من عند ابن خير وجاء عنده اخرى الحسن .
(٤) وفي بعض الكتب بتقديم الزاي وفي بعضها رزق . (٥) كذا عند الذهبي وعند ابن السبكي احمد بن عبد الله المحاملي .

موسى ابن سهل الوشاء اخبرنا اسحق الازرق اخبرنا سفيان عن عاصم ابن عبيدالله عن سالم عن ابن عمر ان رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم قال لا يصوّر عبد صورة الا قيل له يوم القيامة احي ما خلقت ٠

قال الخطيب سمعت غير واحد يحكي ان الاشراف والكتاب واهل الادب كانوا يحضرون عند ابي عمر الزاهد ليسمعوا منه كتب ثعلب وغيرها وكان قد جمع جزءاً في فضائل معاوية فكان لا يمكن احداً من السماع منه حتى يبتدئ بقراءة ذلك الجزء قال ابن حجر رأيته وفيه اشياء كثيرة موضوعة والآفة فيها عن غيره ٠ ولكن النديم غالى لتشيعه في الطعن عليه فقال « كان نهاية في النصب والميل على علي عليه السلام وكان يقول انه شاعر مع عاميته فمن شعره :

اذا ما الرافض الشامي تمت   معايبه تختم في يمينه

فأما ان اتاك بسمت وجه   فان الرفض باد في جبينه

ويكفيه جهلاً هذا الشعر » ٠ أقول : ان جمع فضائل معاوية ليس من النصب في شيء غير ان النديم قد صرح محضه عن زبده وابدى بما عنده والبيتين اظنهما مخولين لضعف بنيتهما ولأن الرفض والتختم باليمين لم يكونا مخصوصين بالشأم وهو الذي عانى المتاعب حتى بعد وفاته كما سيأتي على ايدي روافض الكرخ ٠ وتراه في الباب الاول يسمي علياً بامير المؤمنين وفي البـاب التاسع عشر بولي الله وحبيبه ٠ و يأتيك بيت لأبي عمر يدل على انه وان لم يكن شاعراً الا انه لم يكن بلغ هذا المبلغ على ان هذه الشكاة كما قيل :   (وتلك شكاة ظاهرٌ عنك عارُها)

فلأبي عمر أسوة بخيار علماء العربية المنبوزين بذلك قال ابو علي[1] التنوخي اكثر رواة العرب فيما بلغني عنهم إما خوارج وإما شعوبية كأبي عبيدة معمر بن المثنى وابي حاتم سهل السجستاني وفلان وفلان وعدّد جماعة ومنهم ابو خليفة الجُمحي و ياقوت الحموي ٠ وقال ابن حجر بعد ان نقل بعض قول النديم قلت هذا أوضح الأدلة على ان النديم رافضي لان هذه طريقتهم يسمون اهل السنة عامة واهل الرفض خاصة وقال في ترجمة النديم انه

(١) الأدباء (٦ : ١٤٠) ٠

غير موثوق به ومصنفه المذكور ينادي على من صنفه بالاعتزال والزيغ نسأل الله السلامة ونقل عن تاريخ الاسلام للذهبي انه معتزلي شيعي ثم قال لما طالعت كتابه ظهر لي انه رافضي معتزلي فانه يسمي اهل السنة الحشوية ويسمي الأشاعرة المجبرة ويسمي كل من لم يكن شيعياً عامياً ثم ذكر جملة من افترائآته وافتياتاته .

كرمه مع ضيق ذات يده = قالوا ان اشتغاله بالعلوم واكتسابها قد منعه عن اكتساب الرزق والتحيل له فلم يزل مضيّقاً عليه يتجرّع غصص الحياة النكداء ويلتصق بالدقعاء على نِجار كريم وطيب عنصر وخيم . حدّث عباس بن محمد الكاواذاني قال سمعت ابا عمر الزاهد يقول ترْك قضاء حقوق الإخوان مذلة وفي قضائها رفعة فاحمدوا الله تعالى على ذلك وسارعوا في قضاء حوائجهم ومسارّهم تُكافؤوا عليه . وقال تلميذه الحاتمي اعتللت فتأخرت عن مجلس ابي عمر الزاهد قال فسأل عني لما تراخت الايام فقيل له انه كان عليلاً فجاءني من الغد يعودني فاتفق اني كنت قد خرجت من داري الى الحمام فكتب بخطه على بابي باسفيداج :

وأعجب شيءٍ سمعنا به عليل يعاد فلا يوجد

قال والبيت له . وقال ابو الحسن المرزباني انه كان ابن ماسي ينفذ الى ابي عمر الزاهد وقتاً بوقت كفايته فقطع ذلك عنه مدة لعذر ثم انفذ اليه جملة ما كان في راتبه وكتب اليه رقعة يعتذر اليه من تأخير ذلك فردّه وامر بعض من كان عنده من اصحابه ان يكتب على ظهر رقعته :

اكرمتنا فملكتنا وتركتنا فأرحتنا

وايم الله ان هذا لهو الغنى ولكن الذهبي قال انه وان كان الامر كما قال لكنه لم يحسن الرد اذ قد كان تملكه بالاحسان القديم فما تغير التملك واما التأخر فجبره الحسن بتكميله وباعتذاره قلت ولكنه انتهز فرصة فكاك الرق فقد احسن الى نفسه اذ لم يحسن الى غيره . قال الخطيب وابن ماسي لا شك انه ابراهيم بن ايوب والد ابي محمد .

سعة حفظه وسيلان ذهنه بحيث جرّ له تهمة التزيّد والاختلاق وبعض فضائله =

عده ابو بكر [١] الزبيدي في الطبقة الخامسة من اللغويين الكوفيين . قالوا انه كان اكثر ما يملي تصانيفه يلقيها بلسانه من غير صحيفة وكان كما قال [٢] علي ابن ابي علي عن ابيه ومن الرواة الذين لم ير قط احفظ منهم ابو عمر الزاهد املى من حفظه ثلاثين الف ورقة في اللغة فيما بلغني وكان لسعة حفظه يطعن عليه بعض اهل الادب ولا يوثقونه في علم اللغة حتى قال عبيد الله ابن ابي الفتح (او الازهر كما هو في لسان الميزان) لو طار طائر في الجو لقال ابو عمر الزاهد حدثنا ثعلب عن ابن الاعرابي ويذكر في معنى ذلك شيئاً . قال ابن خلكان وكان ينقل غريب اللغة وحوشيها واكثر ما نقل ابو محمد بن السيد البطليوسي في كتاب المثلث عنه وحكى عنه غرائب . وقال ابو الفتح عبيد الله بن احمد النحوي أنشدنا ابو العباس اليشكري في مجلس ابي عمر محمد بن عبدالواحد يمدحه :

ابو عمر يسمو من العلم مرتقى ... يزِلّ مساميه ويردي مطاوله
فلو أنني أقسمتُ ما كنت حانثاً ... بان لم ير الراؤون حبراً يعادله
هو الشخت جسماً والسمين فضيلةً ... فأعجبْ بمهزول سمانٍ فضائله
تضمن من دون الجناحين زاخراً ... تغيب على من لجّ فيه سواحله
اذا قلتُ شارفنا أواخر علمه ... تفجّر حتى قلت هذي أوائله

وقال النديم لسوء رأيه في معتقده سمعت جماعة من العلماء يضعّفون حكايته وانتسبوا به الى التزيد ولا غرو ان صاحبنا كان منبوزاً بذلك فهذا شيخ المعرة يقول في لزومه :

توخَّ نقل ابي زيد وكتب ابي ... عمرو وخلّ كلاماً في ابي عمر

وها انا ذا أنقل لك ثلاث حكايات في ذلك ثم أجيب عنها . قالوا وكان يسأل عن الشيء الذي يقدّر السائل انه قد وضعه فيجيب عنه ثم يسأل عنه بعد سنة فيجيب بذلك الجواب ويروى :

---

(١) مختصر طبقاته المطبوع برومة ص ١٤٧ . (٢) في النزهة والأدباء ابو علي ابن ابي علي وفي الحفاظ علي بن علي وكله تصحيف وهو القاضي التنوخي الاصغر ابو القاسم علي بن القاضي التنوخي الاوسط ابي علي المحسّن (بكسر السين المشددة) ابن القاضي التنوخي الكبير الشاعر ابي القاسم علي . والأوسط هو صاحب النشوار والفرج بعد الشدة والمستجاد راجع تراجمهم وأخبارهم ابو العلاء وما اليه ص ١٣٠ — ١٣٤ .

(١) ان جماعةً من اهل بغداد اجتــازوا على قنطرة الصراة وتذاكروا كذبه فقال بعضهم انا أصحف له القنطرة وأسأله عنهــا فننظر ماذا يجيب . فلما صرنا بين يديه قالـــ له أيها الشيخ ما الهرطنق عند العرب فقــال كذا وكذا وذكر شيئاً فتضاحك الجماعة وانصرفوا فلما كان بعد شهر أرسلوا اليه شخصاً آخر فسأله عن الهرطنق فقال أليس قد سئلتُ عن هذه المسألة منذ كذا وكذا ثم قال هو كذا وكذا كما أجاب اولاً قال القوم فما ندري من اي الامرين نعجب : أمن حفظه ان كان علماً ام من ذكائه أن كان كذباً فان كان علماً فهو اتساع عجيب وان كان كذباً فكيف تناول ذكاؤه المسألة وتذكر الوقت بعد ان مرّ عليه زمان فأجاب بذلك الجواب بعينه اه .

(٢) قال الخطيب وكانـ معزّ الدولة قد قلّد شرطة بغداد غلاماً تركياً مملوكاً يعرف بخُواجا فبلغ ابا عمر الزاهد وكان يملي كتاب الياقوتة في اللغة فقال للجماعة في مجلس الإملاء اكتبوا ياقوتة خواجا الخُواج في اصل اللغة الجوع ثم فرّع على هذا باباً باباً وأملاه عليهم فاستعظم الناس كذبه وتتبعوه اه .

(٣) حكى رئيس الرؤساء ابو القاسم علي بن الحسن عمن حدثه ان اباعمر كان مؤدب ولد القاضي ابي عمر محمد بن يوسف فأملى على الغلام نحواً من ثلاثين مسألة في اللغة وذكر غريبها وختمها ببيتين من الشعر وحضر ابو بكر بن دريد وابوبكر بن الأنباري وابوبكر ابن مقسّم العطار المقرئ عند القاضي فعرض عليهم تلك المسائل فما عرفوا منهــا شيئاً وانكروا الشعر فقال لهم القاضي ماتقولون فيها فقال ابن الأنبــاري انا مشغول بتصنيف مشكل القرآن ولست أقول شيئاً وقال ابن مقسّم مثل ذلك واعتذر باشتغاله بالقراآت (وفي بعض الكتب بالقرآن) وقال ابنـ دريد هذه المسائل من موضوعات ابي عمر ولا اصل لشيء منها في اللغة وانصرفوا . فبلغ ذلك اباعمر فاجتمع بالقاضي وسأله إحضار دواوين جماعة من قدماء الشعراء عيّنهم ففتح القاضي خزائنه وأخرج له تلك الدواوين فلم يزل ابو عمر يعمد الى كل مسألة منها ويخرج لها شاهداً من تلك الدواوين ويعرضه على القاضي حتى استوفى جميع المسائل ثم قال وهذان البيتان أنشدهما ثعلب بحضرة القاضي وكتبهما القاضي بخطه على ظهر الكتاب الفلاني فأحضر القاضي الكتاب فوجد البيتين

على ظهره كما ذكر ابو عمر وانتهت القصة الى ابن دريد فلم يذكر ابا عمر بلفظة الى ان مات اهـ .

فأنت ترى انه لم يأخذ احد على ابي عمر كلمة لم يعرف لها مستنداً من كلام العرب . ولئن كان كذب ابي عمر يروج على مثل هؤلاء الجهابذة فما اكبره اذاً وما اضعف منزلتهم . وقد قالوا ان من حفظ حجة على من لم يحفظ وان زيادة الثقة مقبولة فلم يبق الا امر العجب وحيرة الناس في ذكائه . فاما النديم فقد عرفت ما قاله حافظاً الحديث في شأن تجريه وامانته واما جحجخ فانه وان كان من تلامذة ابي عمر فانه من خصيصي اصحاب ابن دريد وهو راوي جمهرته وحامل علمه وكان ابن دريد يطعن على ابي عمر كما قد عرفت فلعل هذا الداء سرى اليه من شيخه ولعل اعجابه به حمله على تسليم رأيه في معاصر له وقد تقرر عند المحدثين وهم اصحاب هذا الشأن وفرسان هذا الميدان ان المعاصرين والأقران لا يعبأ بقول بعضهم في بعض ولئن جنحنا لذلك لم يسلم لنا احد ولا ابو بكر بن دريد نفسه فهذا نفطويه وصاحبه ابو منصور [1] الازهري يرميان ابابكر بكل سوأة سوآء وحسب ابي عمر بتوثيق [2] اصحاب الحديث له بلا خلاف فقد رووا ان المحدثين كانوا يوثقونه وقال الخطيب البغدادي رأيت جميع شيوخنا يوثقونه و يصدقونه :

اذا رضيت عليّ بنو قشير لعمر الله اعجبني رضاها

واما اصل الخواج [3] فقال ابو علي الحاتمي اخرجنا في اماليّ (ابي موسى) الحامض عن ثعلب عن ابن الاعرابي الخواج الجوع . ونقل الذهبيّ عن رئيس الرؤساء قال قد

(١) قال في مقدمة تهذيبه (أدبا ٦ : ٤٨٦ والمزهر ١ : ١٥٨) وممن ألف الكتب في زماننا فرمي بافتعال العربية وتوليد الألفاظ وإدخال ماليس من كلام العرب في كلامها ابو بكر بن دريد وقد سألت عنه ابراهيم بن عُرفة يعني نفطويه فلم يعبأ به ولم يوثقه في روايته الخ . (٢) قال ابن جني في الخصائص (المزهر ٢ : ٢٦٢) ولله ابو العباس احمد بن يحيى وتقدمه في نفوس اصحاب الحديث ثقة وامانة وعصمة وحصانة وهم عيار هذا الشأن واساس هذا البنيان . (٣) الكلمة أغفلها صاحبا اللسان والتاج فلتستدرك عليهما .

رأيت اشياء كثيرةً مما استنكر على ابي عمر ونسب الى الكذب فيها مدونةً في كتب أئمة العلم وخاصةً في غريب المصنف لأبي عبيد او كما قال . والاصل في ذلك ان رواة الكوفة معروفون بسعة الاطلاع وغزارة المادة ووفرة الرواية و بالتسامح في امر التحفظ خلافاً للبصريين الذين قلت روايتهم لتثبتهم وعدم مسامحتهم . فقد صدق ما قاله تلميذ ابي عمر ابو القاسم عبد الواحد بن برهان الاسدي فيه : « لم يتكلم في اللغة احد من الاولين والآخرين باحسن من كلام ابي عمر الزاهد » .

وفاته = وُلد بلا خلاف سنة ٢٦١ هـ وعن ابن رزقويه تلميذه انه توفي سنة ٣٤٤ هـ قال الخطيب والصحيح انه توفي يوم الاحد (ودفن يوم الاثنين) لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ٣٤٥ هـ وذلك في خلافة المطيع ودُفن في الصفّة التي تقابل قبر معروف الكرخي وبينهما عرض الطريق ولعل سبب إبطائهم بنعشه الى اليوم التالي هو ما نقلناه عن تاريخ ابن الوردي في كتابنا على ابي العلاء[1] عن أبي العلاء ان البغداديين حدّثوه بها انه لما عبرت السُّنّة (اهل السنة) بابي عمر [الزاهد] في الكرخ وهم شيعة بغداد وحوله التكبير والتهليل قال قائل هذا والله لا كن دُفنتْ ليلا يعني فاطمة عليها السلام فثار اهل الكرخ وقُتل بينهم جماعة وطُرح ابو عمر عن النعش وجرح جراحًا كثيرة .

ثبتُ تآليفه مرتبة على حروف المعجم =

(١) كتاب البيوع

(٢) كتاب الذُّبَّاحة

(٣) كتاب تفسير اسماء الشعراء كما عند النديم وفي الادباء القراء وفي الكشف اسماء الشعراء

(٤) جزء كذا في الكشف (ولعله الذي في فضائل معاوية المار ذكره)

(٥) حل المداخل مر ذكره

(٦) كتاب الساعات

(٧) كتاب السريع

(١) ص ١٤٨ .

(٨) شرح الفصيح
(٩) كتاب الشورى
(١٠) كتاب العشرات أحال عليه ياقوت في بلدانه كثيراً وقد بقي منه نسخة بخزانة برلين انظر فهرستها رقم ٧٠١٤ واوله حدثنا ابن خالويه .... هذا كتاب العشرات لابي عمر الزاهد ألفها للحُصَري (كذا مشكولاً) صاحب ابي عمر القاضي خاصةً وكان ابو عمر يعارض بكتبه ويؤلف له فاعتل ابو عمر فأرسل اليه ان انفذ اليَّ اجرة شهر فاني عليل الخ وهو في ٨٧ ورقة .
(١١) غريب الحديث صنفه على مسند احمد بن حنبل قال النديم [1] هو للحضرمي (كذا وطبعة الفهرست مصحفة للغاية) الّفه عن ابي عمر الزاهد قال ابن خلكان وكان يستحسنه جداً . وذكره ابن الاثير في مقدمة نهايته ايضاً .
(١٢) فائت الجمهرة والرد على ابن دريد وقف عليه البغدادي وأحال [2] عليه .
(١٣) فائت العين
(١٤) فائت الفصيح جزء لطيف كنت رأيت منه نسخة قبل نحو خمسة أعوام عند من يحتكره وفي فهرست [3] ابن خير حدثني به ابو عبدالله جعفر بن محمد بن مكي عن ابي مروان عبد الملك بن سراج (ككتاب) عن ابي القاسم ابن الافليلي عن ابي عمر بن ابي الحباب عن ابي علي البغدادي عن ابي عمر الزاهد — وهو في كراسة .
(١٥) فائت المستحسن الآتي
(١٦) كتاب القبائل
(١٧) كتاب الجرجاني
(١٨) الكتاب الحصري (الادباء الحضري) كتاب على الكلمات عمله للحصري وانحله اياه .
(١٩) ما انكره الاعراب على ابي عبيد فيما رواه او صنفه كذا عند النديم وغيره وفي الادباء والبغية ابي عبيدة ولعله تصحيف .

---

(١) ص ٨٨ . (٢) الخزانة (٣ : ٤٢١) . (٣) ص ٣٣٩ .

(٢٠) كتاب المداخل هو الذي نعرضه على الأنظار ومرّ وصفه وذكر زيادات له عليه والحل ايضاً .

(٢١) كتاب المرجان

(٢٢) كتاب المستحسن في اللغة ومر فائته

(٢٣) معجم الشعراء في الكشف فقط

(٢٤) كتاب المكنون والمكتوم

(٢٥) كتاب الموشح وفي الوفيات فقط الموضح

(٢٦) كتاب النوادر لاأدري هل هو كتاب له او هو نوادر ابي شبل العقيلي الذي قال فيه النديم[١] رأيته بخط عتيق باصلاح ابي عمر الزاهد .

(٢٧) كتاب اليواقيت او الياقوتة وقف عليه صاحب[٢] الخزانة وقال ابن خير[٣] الإشبيلي حدثني به الشيخ ابوعبد الله محمد بن عبدالرحمن بن معمر رحمه الله قال حدثني به الوزير ابو بكر محمد بن هشام بن محمد المصحفي قال حدثني به ابي رحمه الله وابوالحسن علي بن محمد بن ابي الحسين قراءة مني عليهما وقالا معاً قرأناه على ابي سليمان عبدالسلام بن السمح المورروي الشافعي قال قرأته ببغداذ على ابي عمر محمد بن عبدالواحد المطرز الزاهد غلام ثعلب وذلك في شهري ربيع من سنة ٣٣٤هـ وذكر النديم خبر هذا الكتاب وكيف صح قال قرأت بخط ابي الفتح عبيدالله بن احمد النحوي عليه وكان صدوقاً بحاثاً منقراً وكان ابو عمر .... ابتدأ باملاء هذا الكتاب يوم الخميس لليلة بقيت من المحرم سنة ٣٢٦هـ في جامع المدينة مدينة ابي جعفر ارتجالاً مز غير كتاب ولادستور فمضى في الاملاء مجلساً مجلساً الى ان انتهى الى آخره وكتبت ماأملاه مجلساً مجلساً ثم رأى الزيادة فيه فزاد في أضعاف ماأملى وارتجل يواقيت أخر واختص بهذه الزيادة ابامحمد الصفار لملازمته وتكرير قراءته لهذا الكتاب على ابي عمر

(١) ص٤٦ . (٢) انظر حوالاته (١ : ١١ : ١٦٥ — ٢ : ٥٢٥ — ٣ : ٤٢٩)

(٣) ص ٣٥٧ — وفي ص ٦٠ إسناد ياقوتة الصراط في غريب القرآن عن ابي بكر احمد بن ابراهيم المقرئ عن ابي عمر ، وعن ابي الحسين بن بشران عنه . ومن ذلك يظهر انهم كانوا يفرزون هذه الياقوتة من جملة اليواقيت .

فأخذت الزيادة منه . ثم جمع الناس على قراءة ابي اسحق الطبري له وسمى هذه القراءة الفذلكة فقرأ عليه وسمعه الناس ثم زاد فيه بعد ذلك فجمعت انا في كتابي الزيادات كلها وبدأت بقراءة الكتاب عليه يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ذي القعدة سنة ٣٢٩ ه الى ان فرغت منه في شهر ربيع الآخر سنة ٣٣١ ه وحضرت النسخ كلها عند قراءتي نسخة ابي اسحق الطبري ونسخة ابي محمد الصفار ونسخة ابي محمد ابن سعد القُطْرَبُّلي ونسخة ابي محمد الحجازي وزاد لي في قراءتي عليه اشياء . فتوافقنا في الكتاب كله من اوله الى آخره ثم ارتجل بعد ذلك يواقيت أخر وزيادات في أضعاف الكتاب واختصّ بهذه الزيادة ابومحمد وهب لملازمته . ثم جمع الناس ووعدهم بعرض ابي اسحق عليه هذا الكتاب ونكون آخر عرضة ينقرر عليها الكتاب فلايكون بعدها زيادة وسمى هذه العرضة البحرانية واجتمع الناس يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ٣٣١ ه في منزله بحضرة (منزله ابي العنبر) فأملى على الناس ما نسخته :

« قال ابوعمر محمد بن عبدالواحد هذه العرضة هي التي تفرد بها ابواسحق الطبري آخر عرضة أسمعها بعده (بعدها) فمن روى عني في هذه النسخة هذه العرضة حرفاً واحداً ليس من قولي فهو كذاب عليّ وهي من الساعة .... الى الساعة .... من قراءة ابي اسحق على سائر الناس وانا أسمعها حرفاً حرفاً » . قال ابو الفتح وبدأ بهذه العرضة يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ٣٣١ ه اه على طوله .

أقول ولله من قال :

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافرُ

قال العاجز وقفت بخزانة رامبور على نسخة مضبوطة صحيحة من شرح الفصيح تأليف ابي القاسم عبد الله بن عبد الرحيم الاصفهاني وقد بقيت في ملك الشيخ محمد الشيبي فاتح بيت الله الحرام . وثبت على الصفحة الاولى منه فصل من اليواقيت سطا عليه المجلد وهذا نصه وفصه : قال الفرّاء (١) كلام الفصحاء من العرب أحببته فهو محبوب على غير القياس الا ان عنترة جاء به على القياس وقال :

---

(١) حكى مثله الأزهري عن الفراء ايضاً كما في اللسان .

ولقد نزلتِ فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم

ومن العرب من يقول حببته أَحِبُّه ومنهم من يقول إِحِبُّه قال وأنشدني ابو ثروان :

إِحِبَّ لحبّها السودانَ حتى إِحِبَّ لحبّها سودَ الكلاب

قال الفراء فكسر الالف وفتح البـاء . وسلطان «حتى» ان ترفع وتنصب وتخفض على ما نص .... من الاعراب تقول من ذلك اكلت السمكة حتى رأسُها وحتى رأسِها وحتى رأسَها قال وأنشدني[1] الكسائي :

القى الصحيفة كي يخفف رحله والزاد حتى نعلَه القـاها

ونعلَه ونعلِه . وسلطانها على المد [ستقبل] ..... فتنصبه وترفعه فتنصبه على بابه (اي باضمار أنْ) ورفعه على ان يكون في معنى الماضي . قال وقرأت القرّاء « وزُلزلوا حتى يقولَ الرسول» و«حتى يقولُ الرسول» اي حتى قال . وسمعت المبرّد يقول وقد سئل عنها فقال اذا رفعَ .... فمعناه وزلزلوا حتى الرسولُ قائل . وأنشد[2] ثعلب والمبرد جميعا :

مطوتُ بهم حتى تكِلَّ مطيّهم وحتى الجياد ما تُقاد بارسان

اي حتى كلّت مطيهم . قال الفراء : وأخبرني الكسائي انه سمع العرب ... مررت حتى ادخُلُها وحتى ادخُلَها وما زلت اسير حتى أدخُلَها وحتى أدخلُها ولا أزال أسير حتى أدخُلَها اه . من كتاب اليواقيت[3] لابي عمر الزاهد .

(٢٨) كتاب يوم وليلة وتمام اسمه عند البغدادي في خزانته وقد[4] وقف عليه كتاب اليوم والليلة والشهر والسنة والدهر .

عليكرة (الهند) : عبد العزيز الميمني الراجكوتي

---

(١) لابي مروان النحوي او للمتلمس . (٢) لامرئ القيس . (٣) قالوا انه املى في آخر كتابه اليواقيت في اللغة قوله :

لما فرغنا من نظام الجوهرة اعورّت العين وفُضّ الجمهرة

ووقف الفصيح عنـد القنطرة

يريد بالجوهرة كتاب الياقوتة

(٤) راجع حوالاته في الخزانة (١ : ١١ — ٢ : ٢٩١ — ٣ : ٤٨٣ و٤٨٤) .

هواء المدن(١)

لا يغرب عن معارفكم سادتي ان علم الصحة أس من الأسس الراسخة المتينة التي يشيد عليها هذا البناء البشري وأنه اذا انحصر في فرد او أفراد لا يكون مفيداً نافعاً فلو رعى احد أفراد أسرة مؤلفة من اربعة أشخاص مثلاً علم الصحة رعاية دقيقة وحفظ دقائقه حفظاً لا تشوبه شائبة ولم يحفظ الثلاثة الباقون منه الا اسمه لما حصلت الغاية المرادة من هذا الفن ولما كسب ذلك المحافظ من حفاظه ما كان يؤمل الحصول عليه لان ما يصلحه في نفسه ومحيطه بسيره في سبل هذا الفن الاساسي يفسده الثلاثة الآخرون باهمالهم كيف لا وهم يسكنون معه مسكناً واحداً ويغتذون بطعام واحد و يشربون ماءً واحداً . ولا تختلف حالة الأسرة هذه عن حالة كل مجتمع انساني ولاسيما عن المدن حيث الازدحام كبير ، فان علم الصحة لا يكون مفيداً الا اذا رعاه بعض السكان وأهمله بعضهم او اذا سار بموجبه الشعب جميعه ولم تسر الحكومة فان من القواعد الصحية ما هو عام يترتب على الحكومة وضع قوانينه ومراعاتها . فكيف يؤمل لمدينة من المدن هواءً جيداً اذا لم تكن طرقها العامة مخططة كما تقتضيه قواعد علم الصحة ولم تكن عريضة متسعة يتجدد الهواء فيها وترسل اليها الشمس أشعتها الذهبية متلفة ما يعلق بها من الجراثيم العديدة او لم تكن منازلها مبنية على الطراز الحديث مرعية فيها شروط مهب الارياح وشروق الشمس وغروبها وسعة النوافذ ووجهتها بل كيف نرجو لمدينة هواءً جيداً اذا لم تكن مياهها شروبة خالية من المواد المضرة بالصحة العامة وعارية من الجراثيم المرضية او اذا لم تكن غزيرة كافية للحاجات العامة ، بل كيف نرجو لمدينة حظاً من سلامة الصحة العامة ويها اذا لم تكن المفرزات التي تفرزها أجساد سكان تلك المدينة من بشر وحيوان مسوقة في قنوات محكمة لا تنبعث منها الروائح النتنة ولا تتدفق منها على سطح الارض الأقذار

---

(١) محاضرة القاها الاستاذ الطبيب مرشد خاطر في ردهة المجمع العلمي بتاريخ ١ شباط سنة ١٩٢٣ م ولهذه المحاضرة علاقة بالمحاضرة الاخرى التي كان القاها الطبيب المومأ اليه بعنوان (تأثير الطرق في هواء المدن) راجعها في المجلد الثامن ص ٣٩٥ .

الكريهة الرائحة ولا تتسرب من جدرانها في مجاري الماء الشروب السائرة معها جنباً الى جنب او في الآبار الواقعة في نقطة منخفضة من الارض اختمارات قتالة تلوث المياه وتميت الالوف . بل اذا لم تنقل بقايا المواد الغذائية التي تملأ الطرق العامة نقلاً سريعاً وحسناً دون ان يتلوث بها المارون . ولهذا نشطت اليوم المدن وهبت للسير في مضمار علم الصحة فتفاخرت كل عاصمة ومدينة سواها بجمالها وجمعها لشتات القواعد الصحية الحديثة فلم تعد تتوق النفس الى المدن القديمة الضيقة الطرق التي تطوقها الأسوار والخنادق من كل جهاتها ، الى تلك المدن التي كانت تظلم شوارعها بعد غروب الشمس فلا نور يضيئها ليلاً ، الى تلك المدن التي لم تكن ترصف أسواقها وجاداتها رصفاً يمنع ذرات الغبار عن الاختلاط بالهواء المستنشق بل كانت حفراً ومجاري تسيل فيها مياه الشتاء والمياه القذرة ممتزجة ، بل تتوق النفس في ايامنا الحاضرة الى المدن الحديثة البناء الرائعة الهندسة المتسعة الشوارع المرصوفة الجوادّ ، ولم يكن ذلك الانقلاب الغريب في الافكار والتطور السريع في الهندسة الا نتيجة اكتشاف صغير قام به احد العلماء الفرنسيين الذي مر على ولادته قرن كامل اريد بذلك الاكتشاف الجرثوم الذي لا يرى وبذلك العلامة باستور قلت ان الاكتشاف صغير وهو صغير كبير صغير لان العين المجردة لاتراه ولانه لا يدرك الا بعد تكبيره بضع مئات من المرات وكبير لانه نفخ في العالم روحاً جديدة فسارت تلك الروح من تحت مجهر ذلك العلامة تدب في جميع اطراف البسيطة ملقية في النفوس المضطربة سلاماً وفي القلوب الهالعة من الامراض اطمئناناً وسكوناً ، كبير لانه دك على الرغم من صغره كل ماقامت به العقول المفكرة والايدي العاملة ومد سيطرته الى الارض جميعها . فالى ذلك العلامة الكبير نوجه من هذا المنبر كلمة الاجلال والتكريم .

ان علم الصحة في المدن لغز من الالغاز المغلقة التي لا يحلها الا من كان عالماً بها متضلعاً منها ولهذا وجب ان لا يتولى الشؤون الصحية في المدن الا من كان اختصاصياً بها فلا البلديات ولا المهندسون ولا الحكومة تحسن عملاً ان لم تسترشد بارشاد رئيس صحي اختصاصي يدير دفة العمل ويسير بالاصلاحات طبقاً للقواعد الصحية الحديثة .

فيفهم مما تقدم ان علم الصحة ان لم تشترك به الجماعة قبل الافراد والحكومة قبل

الجماعة لا يأتي بثمار لذيذة وفوائد تذكر ولهذا اردت ان أبين لكم في هذه المحاضرة شرطاً واحداً من الشروط الاربعة التي تحسن بها الصحة العامة في المدن وهو جودة الهواء وما يؤثر فيه من المؤثرات فيفسده او يصلحه تاركاً الشروط الثلاثة وهي الطرق العامة والقنوات والماء المشروب الى محاضرات أخرى فاقول :

سبعة مؤثرات تؤثر في هواء المدن فتصلحه اذا صلحت وتفسده اذا فسدت وهي :

١ً = الموقع الجغرافي وينطوي تحته اربعة امور : الارتفاع عن سطح البحر وتركيب الارض الجيولوجي ومسيل المياه ومهب الرياح .

٢ً = غرس الأشجار ووجود الساحات الفسيحة .

٣ً = تلوث الهواء بغبار الطرق العامة الناقل للجراثيم المرضية .

٤ً = تلوثه بالروائح الكريهة والدخان وما ينبعث من المصانع والمعامل من غبار المعادن وسواها .

٥ً = ضرر المدافن فيه

٦ً = فساده بنقل المواد الغائطة .

٧ً = تأثير حالة الطرق العامة فيه وينطوي تحته ميل الطرق وهيئتها وأرصفتها ومجاريها ووجهتها وتعرضها للشمس وهندسة بيوتها .

وسأقتصر في هذه المحاضرة على درس المؤثرات الثلاثة الاولى تاركاً المؤثرات الاربعة الباقية لان كلاً منها يستغرق محاضرة خاصة .

(١ً) الموقع الجغرافي = لا اجد بدّاً قبل البدء بالكلام عن الموقع الجغرافي وتأثيره في جودة الهواء وفساده من ان أنبي اعتقاداً كان ولم يزل شائعاً اعتقاداً تقلص ظله من البلاد الاوربية بعد ان ارتقت مدنها رقيّاً صحيّاً كبيراً ولا يزال شائعاً عندنا لاننا لم نسع حتى الآن الى تحسين الحالة الصحية في مدننا تحسيناً يحملنا على دحض ذلك الاعتقاد . شاع منذ زمن طويل ايها السادة ولعله لا يزال شائعاً حتى الآن بين السواد الاعظم منا هذا الاعتقاد الذي مؤداه : ان هواء المدن اقل ملاءمة للصحة من هواء القرى لست أنكر ذلك والاحصاءات القديمة كانت تثبته في القرون الماضية الا انني اليوم بعد بلوغ علم الصحة الى درجة عالية من الرقي وتوفر الشروط الصحية في المدن وفقدان هذه الشروط

في القرى أتمكن من اثبات العكس · أقول هذا عن المدن الاوربية والاميركانية لا عن مدننا السورية وأقر وأعترف ان الهواء في مدننا لم يبلغ حتى الآن الى درجة من الجودة تعادل جودة هواء القرى المشيدة في البر · اما في اوربا واميركا فقد اختلفت الاحصاآت كثيراً اذ دلت احصاآت (لانيو) عن البلاد الفرنسية سنة ١٨٨٠ ان الوفيات كانت معادلةً في المدن لمائتين وار بع وار بعين وفاة في كل عشرة آلاف نسمة وانها في القرى لم تبلغ الا مائتين وثماني وفاة لاغير وهذا يثبت الاعتقاد القديم الا انها في سنة ١٩١٢ قد اختلفت اختلافاً بيناً فان الوفيات في المدن هبطت الى مائة واحدى وتسعين وفاة وفي القرى الى مائة وسبع وتسعين وهذا ينفي الاعتقاد القديم ويثبت ما نحن بصدده · وقد وضعت الحكومات قانوناً تحدد به عدد الوفيات حتى اذا اجتيز هذا الحد سعت الحكومة الى تحسين الحالة الصحية وانقاص ذلك العدد الى حده المعين واما الحد الذي عينته فهو مائة وثلاث وتسعون وفاة في كل عشرة آلاف نسمة فهل نسعى الى مراعاة هذا القانون في بلادنا ؟ سؤال ادع الجواب عنه اليكم ·

اما وقد نفيت ذلك الاعتقاد نفياً مبنياً على الاحصاآت فانني أعود الى الكلام عن الموقع الجغرافي : تقسم المدن ستة أقسام كما قسمها الدكتور فونساغريف (Fonssagrifes) المدن المشيدة في السهل ، والمدن المبنية في الأودية ، والمدن البحرية ، والمدن النهرية ، والمدن القائمة على البحيرات ، والمدن الرزغية · (اي التي تكثر في ارضها المستنقعات)·

اما مدن السهل التي تقام في ارض مستوية قليلة الارتفاع عن سطح البحر وكثيرة البعد عن مجاري المياه الغزيرة فان الشروط الصحية تتوفر فيها اذا لم تركد المياه في ارضها فتحولها الى مستنقعات شديدة الضرر ·

واما مدن الاودية فلا ينالها من اشعة الشمس المنعشة الا نذراً قليلاً لما يكتنفها من الجبال فكلما كان الوادي ضيقاً وعميقاً نقصت الشروط الصحية في هذه المدن ·

واما المدن البحرية التي تقوم على شاطئ بحر تختلف فيه حركتا المد والجزر اختلافاً بيناً كبيراً فان درجتها الصحية احط من المدن التي تبنى على شاطئ بحر حركتا مده وجزره خفيفتان لا يكاد يشعر بهما وذلك لان حركة الأمواج حين المد تقذف بعيداً الى الشاطئ المواد العضوية الكثيرة فتتفسخ وتختمر وتفسد الهواء وعدا ذلك فان ما تصبه

المجاري والقنوات من المواد القذرة والمياه الملوثة في البحر اي كل ما يطرحه الانسان والحيوان يعود بتأثير المد الى حيث اتى فينتشر على الشاطئ بعد ان كان منحصراً في القنوات و يفسد الهواء و يضر ضرراً جسيماً ·

واما المدن النهرية فان مقامها الصحي بين المدن رفيع للغاية لان جريان النهر يحرك الهواء تحريكاً دائماً فيجدده و ينقل ما فسد منه مستعيضاً عنه باصلح فان النهر بجريان مائه الدائم يشبه موقداً تضطرم فيه النيران متصلاً بمجرى عالٍ فكما ان الموقد يجدد الهواء في الغرفة آتياً بالجيد منه الى الداخل ودافعاً ما فسد وسخن منه الى الخارج فان لجريان ماء النهر التأثير نفسه · وعدا هذا فان المياه التي تحتاج المدن الكبرى الى كميات وافرة منها لقضاء الحاجات العامة لا يكاد يتوصل اليها اذا لم تخترق انهر طبيعية هذه المدن ولهذا كانت الشروط الصحية متوفرة في المدن النهرية لغزارة المياه فيها على ان لا تتلوث هذه المياه بما ينصب فيها من المجاري والمراحيض فيتناول ضررها عدا المدينة نفسها جميع القرى الواقعة تحتها ·

واما مدن البحيرات فهي ذات هواء رطب للغاية سواء قامت على شاطئ البحيرة او شيدت على اعمدة مرتكزة في قعرها الا ان هذه الرطوبة قد يخف ضررها بتأثير الارياح التي تهب عاصفة في تلك المدن فتخفف من رطابة هوائها او بتأثير الحرارة العالية نفسها ·

واما المدن القائمة في اراضٍ يكثر فيها السباخ اي الواقعة على مصب الانهر فهي اشد المدن انحطاطاً من الوجهة الصحية فان البرداء (اي الملاريا) تفتك بالعدد الوافر من ساكنيها ·

فيستنتج مما تقدم ان دمشق وهي مدينة تخترقها الانهر الغزيرة ذات موقع جغرافي حسن فهي قائمة في سهل تكتنفه الجبال البعيدة فالى الشمال جبل قاسيون الممتد من الربوة حتى ثنية العقاب حيث بدء جبل القلمون وفي سفحه حي الصالحية والمهاجرين والى الشمال الشرقي جبل القلمون (يوناني معناه القصب) وهو يبعد عن المدينة خمسة كيلو مترات او ستة والى الغرب الجنوبي جبل الشيخ وهو يبعد ثلاثين كيلو متراً عن دمشق و به تمر الارياح الغربية الجنوبية الباردة في فصل الشتاء · وامام جبل الشيخ تقوم جبال الربوة والمزة وتبعد عن دمشق زهاء ثلاثة كيلو مترات والى الجنوب جبال حوران الممتدة حتى البادية

وتبعد عن دمشق ثلاثين كيلو متراً ، والى الشرق البادية المطلقة ومنها تهب الرياح الحارة في فصل الصيف والى الشرق الجنوبي تمتد الغوطة حتى بحيرة الهيجانة التي يصب بها نهر بردى تلك البقعة التي يكثر فيها السباخ والمستنقعات .

فموقع دمشق الجغرافي متوفرة فيه الشروط الصحية لان الجبال التي تكتنف المدينة بعيدة لا تمنع الشمس عن ارسال أشعتها القاتلة للجراثيم ولا توقف الارياح العاصفة عن الوصول الى المدينة فتجدد حتى في أضيق أزقتها الهواء تجديداً دائماً . وانما وجود الغوطة في الجهة الشرقية من المدينة يجعل البعوض يتكاثر والبرداء وحمى الايام الثلاثة تتفشيان تفشياً شديداً وليس الذنب في ذلك على الطبيعة وحدها ولكن معظم الذنب علينا فلو اهتمت الحكومة بتجفيف تلك المستنقعات مهما كلفها الامر من المال لحسنت الحالة الصحية وهو مشروع تفوق فائدته اكبر المشاريع وأعظمها .

(أ) الارتفاع عن سطح البحر : أمرُّ الآن الى الفرع الاول من الفروع الاربعة التي تنطوي تحت الموقع الجغرافي وهو الارتفاع عن سطح البحر . ان الارتفاع يؤثر شديداً في هواء المدن فيصلحه او يفسده ولعله أقوى المؤثرات وأهمُّها حتى ان بعض علماء الصحة يرى فرقاً بيناً بين حي وآخر من أحياء مدينة واحدة لا يتجاوز فرق ارتفاعهما عشرين متراً او اربعين والبرهان على ذلك جليّ واضح في دمشق فان حي الصالحية والمهاجرين القائم في سفح جبل قاسيون أجود هواء من سائر أحياء دمشق لانه اكثر ارتفاعاً منها .

ولا يظهر هذا الفرق واضحاً الا في المدن التي لا يقل ارتفاعها عن اربعمائة متر او في المدن التي لا يزيد ارتفاعها عن الخمسين واما في المدن التي يتراوح ارتفاعها بين الخمسين والاربعمائة فان بضع عشرات من الامتار لا تكفي لجعل فرق واضح بين حي وآخر من أحيائها وان دمشق التي يعادل ارتفاعها في أرجائها المتوسطة ستمائة وخمسين متراً يظهر هذا الفرق فيها بين حي الصالحية والأحياء الأخرى لانها تتجاوز حد الارتفاع الذي عيناه وهو اربعمائة متر وهكذا يقال في بيروت وطبريا من مدن سورية وفلسطين فان بيروت التي تعلو عن سطح البحر في أرجائها الواقعة على الشاطئ بضعة أمتار لا غير تريناما أرتنا دمشق من تبدل الهواء في أحيائها فان حي الأشرفية مثلاً الذي يقع على ارتفاع خمسين متراً ونيفاً يختلف هواؤه اختلافاً محسوساً عن سائر الاحياء كرأس بيروت وسواه

وماذلك الا لان المدينة واقعة تحت الحد الأدنى للارتفاع الذي عيناه ومايقال في بيروت يقال في طبرية التي تنخفض عن سطح البحر المتوسط ٢٣٦ متراً فان بين الطبقة والأخرى من بيوتها يختلف الهواء اختلافاً واضحاً ·

وان للارتفاع حداً اذا تجاوزه أضرّ بالصحة ضرراً بليغاً لان الضغط الهوائي ينقص كلما علت المدينة ، وكلما خف الضغط الهوائي نقصت كمية الاوكسجين في الهواء فينشأ عن ذلك النقص تبدل محسوس في الصحة كما أثبتت التجريات المديدة التي أجراها كثير من الأطباء في أماكن مختلفة الارتفاع · غير انه لا مدينة من مدننا السورية تبلغ حد الارتفاع المضر لانه يقع بعد الف وخمسمائة متر · وهذا لا نجده الا في بعض قمم جبالنا · وخير المدن هواء ماتراوح ارتفاعها عن سطح البحر بين سبعمائة والف متر ·

(ب) واما من الوجهة الجيولوجية اوتركيب طبقات الارض فتقسم المدن الى صخرية ورملية وصلصالية ولحقية وهي ارض مركبة جيولوجياً من مواد كانت عالقة بالماء فرسبت بعد نضوب الماء منها. وقد أضيف الى هذه الاقسام الاربعة في ايامنا هذه قسم خامس وهو المدن التي تقام على ارض اصطناعية ·

فالمدن الصخرية أجود هواءً من سائر المدن الاخرى من الوجهة الجيولوجية هذا اذا لم تأت أسباب أخرى فتفسد هواءها وان مايجعل المدن الصخرية في مقدمة المدن جودة صلد ارضها اي عدم نفوذها وسيلان المواد العفنة والمياه القذرة عليها دون ان تمتصها الارض فتبقى كامنةً فيها وتنشر الاوبئة والامراض متى تيسرت لها الذرائع الملائمة ·

واما المدن الرملية فلا تعد ملائمة للصحة الا متى كانت الطبقة الواقعة تحت الرمل غير صلداء لانها اذا كانت صلصالية اجتمع الماء فيها ورطب الارض وكانت تلك الطبقة كخزانات للمواد العفنة تجتمع فيها فتلوث طبقة الارض السطحية وتفسد الهواء ·

واما المدن اللحقية فانها مدن يكثر فيها السباخ وتتوفر فيهـا الشروط الملائمة لنمو البعوض وتكاثره ولهذا كانت البرداء (الملاريا) من الامراض التي تتفشى في هذه المدن فتفسد هواءها ·

(ج) وان لموقع المدينة بالنسبة الى انصباب المياه فيهـا أهمية كبرى من الوجهة الصحية فاذا كانت المدينة في قعر وادٍ تحيط به الجبال وتنصب فيه المياه المتدفقة منها

مخترقةً تلك المدينة فان ارضها تكون رطبة ومضرة . ولكن مهما كان موقع المدينة فانها تعد غير صالحة للسكنى اذا كانت طبقة أرضها الصلدة واقعةً على عمق قليل لان المياه بعد اختراقها لطبقة الارض القابلة للنفوذ تجتمع في تلك الطبقة السطحية وتعلو بسهولة الى سطح الارض فتغوص جذوع النباتات والاشجار دائماً في بحيرة مائية ولا تخصب تلك الارض قط هذا فضلاً عن ضررها الشديد بالصحة واما اذا كانت الطبقة الصلداء عميقة فان المياه تبعد عن سطح الارض فيجف الهواء وتخصب الارض ولهذا قال الدكتور فونساغريف إن عمق الآبار في المدينة دليل على جودة هوائها فكلما كانت الآبار عميقة أخصبت الارض وجف الهواء وكلما كانت آبارها سطحيــة قل خصب الارض ورطب الهواء .

ان دمشق متوفرة فيها من الوجهة الجيولوجية ومسيل المياه الشروط الملائمة للصحة لان آبارها عميقة لا يوصل الى الماء فيها قبل حفر عشرات من الامتار وهذا ما يجعل ارضها خطباً وهواءها جافاً لان طبقة أرضها الصلصالية عميقة .

(د) اما الارياح التي تنقل الرطوبة اوالجفاف فان لها الاهمية الكبرى من الوجهة الصحية لان لها حسنات وسيئات فمن حسناتها تجديد الهواء واستبدال ما أُشبع منه بذرات الفحم وحامض الفحم وسائر المواد الأُخرى المضرة بهواء آخر آتٍ من البحر والجبل وصالح للتنفس وتنقية الدم وهذه التهوية الطبيعية لا بد منها في مدن يكثر عدد سكانها وتتراصف بيوتها وتقام فيها الابنية الشاهقة المتعددة الطبقات . ومن سيئاتها أنها متى كانت خفيفة حملت الغبار الملقى على الارض فتطاير في الفضاء ناقلاً معه الجراثيم المرضية ولهذا كانت الأرياح الهادئة شديدة الضرر لتنشر حين هبوبها الاوبئة في المدن انتشاراً سريعاً فملافاةً لهذا المحذور واتقاء لهذا الضرر الجسيم يجب علينا أن نجعل الغبار ملتصقاً بالارض فنكثر من رش الأسواق والمنعطفات ولا تدع للارياح تأثيراً فيه .

فاذا عصفت الارياح شديدةً في دمشق فأزعجتنا وأضرت ببعض الابنية واقتلعت بعض الاشجار وحالت دون التجول فانها رسول أمين يجب أن نكون له من الشاكرين كيف لا وهي التي تجدد الهواء حتى في أضيق المنعطفات ، في تلك الأزقة التي تقوم

البيوت من جانبيها فلا يفصل نافذة البيت الواحد عن نافذة الآخر الا متران او اقل فهي التي تأتينا بالهواء النقي من قمم الجبال الشامخة حيث لا جراثيم ولا غبار ولا مواد مضرة ·

(٢) غرس الاشجار ووجود الساحات الكبيرة = ان هذا المؤثر الثاني في جودة الهواء كثيراً ما نمر به في يومنا دون ان نتأمل ثانيةً واحدةً بما له من الفضل علينا ·

ان الأشجار التي تغرس أيها السادة ، في الشوارع الكبرى والأسواق العريضة والساحات الفسيحة المطلقة التي لا بناء فيها تؤثر تأثيراً شديداً في حالة الهواء فانها من العوامل التي تبدل تركيب الهواء وتجعله صالحاً للتنفس ومن العناصر التي تصلح حالة الارض وتجففها فان أوراق الاشجار تمتص من الهواء حامض الفحم وتحوله الى فحم فتغتذي به والى اوكسجين لاتحتاج اليه فتبعثه بالهواء رحمةً بالانسان والحيوان وان معظم الاوكسجين تلقيه الاشجار بهيئة اوزون وهو من الغازات التي عرفت اليوم قيمتها الكبيرة ·

وفضلاً عن ذلك فان الاشجار تمتص قسماً كبيراً من رطوبة الهواء وقد خمن الدكتور ايفار (Ivert) ما تمتصه شجرة واحدة كبيرة مورقة بمائة ليترماء كل يوم فكما أنها تمتص من الهواء البخار المائي فتجففه فانها تمتص من رطوبة الارض القسم الاكبر من الماء الذي تحتاج اليه في يومها بجذورها المرسلة بعيداً الى اعماق الارض · وقدقدر مرصدُ (مون-سوري) (Mont Souris) ان الشجرة تمتص من رطوبة الارض خمسة أضعاف ماتمتص من الهواء تحت تأثير حرارة الشمس فكم هي عظيمة كمية الماء الذي تمتصه أشجار احد الشوارع من أرض البيوت المشيدة على أطرافها ؟ ·

لا تنحصر فائدة الاشجار بامتصاص رطوبة الهواء والارض ولكن الظل الذي تنشره على الارض يأتي بفوائد جليلة مدة الصيف ولا سيما في البلاد الحارة فانه يقي الكثيرين من الرعن اي ضربة الشمس ، فنفعُ الاشجار اذاً كبير من وجوه عديدة ولهذا يشير علماء الصحة بغرس الاشجار في جانبي الشوارع العريضة و يراعون في غرسها هندسةً خاصة كي لا تضر في البيوت المجاورة لها فتمنع عنها الهواء والنور · ان لهذه القضية أهميتها فقد كانت موضع درس دقيق في المؤتمر الصحي الالماني الذي عقد في درسد (Dresde) سنة ١٨٨٣ وفي المجمع الصحي الدولي الذي عقد في بروكسل عاصمة بلجيكا سنة ١٩٠٣ ·

فاذا كان للاشجار التي تغرس على جانبي الشوارع والأسواق هذه الفائدة الكبرى على الرغم من قلة عددها فما عساها ان تكون فائدة الحدائق العامة الفسيحة . ان هذه الحدائق ، هذه الاماكن المتسعة حيث الهواء حرٌّ مطلق وأشعة الشمس حارة ترطبها نفحات النسيم البليل المتلاعب باغصان الاشجار . حيث يجلس الانسان لترويح النفس تظلله الاشجار المورقة المزهرة حيث تتنفس الرئتان تنفساً عميقاً يدفع الانسان منهما الهواء المشبع بحامض الكربون و يستبدله بهواء نقي ، حيث يلعب الأولاد و يركضون على ذلك البساط الأخضر النضير ، هبةٌ ثمينةٌ لا ندرك قيمتها تؤثر في صحة الأبدان فتحسنها ، وتروّض الافكار فتجلوها فتأثيرها اذاً جسدي ونفسي في آن واحد .

ان هذه الأماكن تخفف بعض الازدحام الذي نراه في قلب المدينة ذلك الازدحام الشديد الضرر الذي كلما ارتقى علم الصحة ظهر ضرره وسُعي الى اجتنابه ولهذا اكثرت العواصم الكبرى والمدن التي تسوسها حكومة راقية من هذه الحدائق المتسعة غير ناظرة الى المخازن والمساكن والأسواق التي تهدمها ولا مبالية بما لها من الأثمان الباهظة ولا ملبية عاطفة محبة المال والثروة ولكنها تجيب ما تتطلبه الصحة العامة فتنشئ هذه الحدائق التي لا تكسبها بارة واحدة في السنة ولكنها بعكس ذلك تضطرها الى نفقات طائلة لتبقى محافظة على نضارتها وجمالها .

فان في باريس ستاً واربعين حديقة مساحتها ستة وعشرون الفاً وثلاثمائة متر مربع وفي لوندرة أربعين حديقة مساحتها اكثر من مساحة حدائق باريس بالف متر مربع وفي برلين عشرين حديقة تعادل مساحتها خمسة وخمسين الفاً واربعمائة متر مربع اي ضعفي مساحة حدائق باريس هذا عدا أحراج سباندو (Spandau) وغرانوالد (Grunwald) التي تعادل مساحتها نصف مليون متر مربع .

الا اننا في دمشق لا نجد سوى حديقة واحدة لا تزيد مساحتها عن خمسمائة متر مربع وشارع واحد مشجر لو لم يشق في زمن لم يكن للشعب فيه حق الاعتراض لما كان لدمشق مع غزارة مياهها وخصب ارضها متنفس يتنفس فيه سكانها الهواء النقي . ان شارع النصر قد حسّن حالة الدمشقيين تحسيناً لا يكتسب بالادوية والغذاء وغيرهما فيا حبذا لو كان في هذه المدينة منه عشرات غير ان ما يعيض بعض الاعاضة عن هذه

الحدائق والشوارع هو الجنائن البديعة التي تطوق دمشق وتوجد في بعض أحيائها ولولاها لكانت دمشق لا تصلح للسكن ٠

اما الساحات الكبيرة الحرة فلا أثر لها عندنا و يا للاسف واذا تكلمت عنها فانني ألمس مسألة أخرى جليلة الفائدة في المدن وهي هندسة الشوارع هندسة حديثة الا انني لا أريد التعرض لهذا البحث في محاضرتي هذه لانه موضوع يستغرق محاضرات وانما اقول كلمة عنه لابين لكم كم هو عظيم اهتمام البلاد الراقية بهذه النقطة الاساسية وكم هو كبير اهمالنا ٠ ان موسيو بوكيا (Beauquia) احد اعضاء المجلس النيابي الفرنسي اقترح سنة ١٩٠٩ أن يرسم لكل مدينة يزيد عدد سكانها عن عشرة آلاف نسمة مصور يبين فيه مساحة المدينة وحدائقها العامة واتساعها وعرض طرقها واستقامة تلك الطرق وطرز بناء بيوتها وبكلمة واحدة كل ما يتعلق بتلك المدينة وما يجمع بين جمالها الظاهر وحالتها الصحية وان يطبق هذا المخطط تطبيقاً دقيقاً لا يقبل الاعتراض ولا تراعى فيه مصالح الافراد فهل افتكر اولياء الامور عندنا بوضع مخطط مختصر تحسن به حالة بعض الاحياء التي لا تسكن في دمشق ولنفرض ان مر ذلك الفكر في مخيلتهم فهل برز منه شيء الى حيز العمل ! ٠

لست أجهل أيها السادة ان وضع مخطط كهذا يضطرنا الى هدم مدينتنا جميعها غير ان من الامور ما هو مهم وأهم فاذا كان اتباع خطة واحدة في الاسواق وطرز واحد في البناء وعلو واحد في المساكن مهماً يكسب المدينة رونقاً و بهاء وهواءها جودة فان تخطيط بعض الأسواق العريضة التي تكتنف الاشجار جانبيها وغرس بعض الحدائق العامة الفسيحة في قلب المدينة وايجاد بعض الساحات الحرة المتسعة وكشف الأسواق الضيقة التي لم تدخلها أشعة الشمس منذ بنيت وعدم السماح بتغطية ماهو مكشوف منها لمن الامور الشديدة الاهمية التي لا غنى عنها ٠ وانني أعجب ولعلكم تعجبون معي كيف ان ما أصلحته الطبيعة فكان لهذه المدينة مصدراً للصحة نفسده نحن بايدينا كيف ان يد الطبيعة أسقطت سقف السوق الحميدية رحمة بمن فيها من التجار ومن يمر بها من البشر في كل يوم وكيف ان الحكومة سمحت باعادة هذا الغطاء وحرمان تلك المخازن من أشعة الشمس المنعشة ٠ امر لم أجد له مسوغاً في قوانين البلاد الراقية ٠

(٣) أجوز الآن الى المؤثر الثالث وهو الغبار وتأثيره في هواء المدن — ان الغبار

المنتشر في الهواء ينقل معه كثيراً من الجراثيم المرضية متى عصفت الريح ووجدت المجاري الهوائية فتدخل تلك الجراثيم البيوت بطرق متعددة باحذيتنا وأثوابنا و بشرة أجسادنا والحيوانات الداجنة وكل ما في الأسواق من البضائع والمواد الغذائية وتدخل الجراثيم ايضاً البيوت مع الهواء من النوافذ ولهذا كانت البيوت المشيدة على جانبي الطرق التي يكثر فيها الغبار والتي تطرقها السيارات كثيراً معرضة أكثر من سواها لهذه الجراثيم وكان أهلها معرضين أكثر من غيرهم للأوبئة والامراض . وان مايزيد في الطين بلة هو ان سكان تلك البيوت يغلقون النوافذ و يحكمون سدّها حذراً من دخول الغبار منها فيفسد الهواء في مساكنهم ولا يعود صالحاً للتنفس فيقعون وهم يطلبون التخلص من شر كبير في شر أكبر . ولا يؤثر الغبار في الانسان والحيوان فقط بل يؤثر في النباتات ايضاً لانها تتنفس كـكليهما فان الاشجار متى كسا أوراقها الغبار تذوي وتموت واذا لم تمت تضعف خاصة التنفس فيها فتفقد وظيفتها الاساسية وهي تجديد الاوكسجين وتنقية الهواء الذي يتنفسه الانسان .

ليس الغبار سوى ذرات الأوحال الجافة التي لا يخلو منها مكان من أمكنة دمشق فاذا عاينا تلك الذرات وجدنا فيها أشياء كثيرة رأينا المواد العضوية والجير والبوتاس والصوان والخزف والمواد المعدنية والحامض الفوسفوري والحامض الفحمي وغيرها ووجدنا معها وهذا ما يهمنا أمره كمية عديدة من الجراثيم المختلفة الأنواع . فقد تبين من تحري الدكتور ايتكن (Aitken) ان كل سانتيمتر مكعب من الهواء يحتوي في بار يس على مائتين وعشرة آلاف ذرة غبار وانه في لوندرة لا يحتوي الا على مائة وخمسين الفاً لا غير . اما الجراثيم الموجودة فيه فتبلغ مليونين واربعمائة الف جرثومة فناهيك ان تكون حالة الهواء في دمشق والغبار في طرقاتها يحجب نور الشمس ويدخل الصدور بلا استئذان فاذا سارت عربة تركت وراءها ذيلاً من الغبار طويلاً او نهبت سيارة الارض طائرة عليها التحفت بغطاء من الغبار يسترها والبست المارين منه ثوباً لطيف النسج .

تدخل ذرات الغبار أجسادنا بطريقين : طريق التنفس وطريق الهضم . قد ثبت في اكثر الاوقات ان انتقال السل يتم بالهواء اي بذرات الغبار التي تنقل معها عصية

كوخ او العامل السلي وقد ثبت ايضاً من المشاهدات السريرية ان تسعة وتسعين في المائة من المسلولين ينتقل السل اليهم بواسطة الهواء الذي ينقل هذه الذرات الى أفواههم فيبتلعونها او الى رئاتهم فيستنشقونها . وبينت تجريات فلوغ (Flugg) ايضاً ان عدوى السل بطريق التنفس لا تنشأ فقط من قُشاعات المصدورين التي بعد ان تجف وتبددها الريح تُنقل مع الهواء فتدخل رئاتنا بل تنشأ ايضاً من النفثات الصغيرة التي يرشقها المسلول في الهواء أثناء السعال فتنتقل العدوى الى بضعة أمتار .

ولا تظنن ان السل وحده ينتقل بالهواء فان كثيراً من الامراض ينتقل به ايضاً فالحمى التيفية مثلاً تنتقل بالماء والبقول الملوثة كما يعلم جميعنا الا انها تنتقل بالهواء ايضاً وقد اثبتت هذه القضية تجريات بروادال وميكال ولافران وشانتماس وهي تنتقل ايضاً بالغاز المنبعث من المراحيض كما اثبت ذلك الدكتور تيكبورن (Tich borne) وبملامسة المريض وكل ما تلوث من أثوابه وفراشه .

اجل ان انتقال الحمى التيفية بغبار الهواء امر قليل الوقوع لا يعادل انتقال السل به غير ان جرثوم الحمى التيفية شديد المناعة لا تؤثر به حرارة الشمس تأثيرها بجرثوم السل الذي تتلفه ببضع ساعات ولهذا كان خطر انتقاله بالغبار موجوداً .

وكذلك الحالة اي لدوسنطاريا التي أجمع الجميع على انتقالها بالماء نراها تنتقل بالهواء ايضاً ولا سيما في من يتعرضون للغازات المنبعثة من المراحيض او يجاورون الاقذار والمواد الغائطة التي تلقى في الأسواق من آن الى آخر منتظرة رحمة الشمس لكي تبخر ما فيها من المياه القذرة وتجففها فيُسعى عندئذ الى نقلها .

والسعال الديكي (او الشهقة) هذا الوباء الشديد الانتشار الذي يسري باللمس ، قد ينتقل بذرات القشاعات التي يرشقها المريض اثناء نوب السعال وزد على ذلك ان المواد التي ينفثها المريض وهي التي تنسب اليها السراية تتطاير ذراتها بالهواء بعد ان تكون قد التصقت بالاثواب وجفت فتنتقل العدوى .

وذات الرئة تنتقل ايضاً بالهواء وهي مرض ينشأ من جرثوم مرضي خاص يكون في جهاز التنفس فينفث مع قشاعات المريض و ينتقل بها بعد ان تلقى على الطرق العامة فتجف و يبددها الهواء . وان ما يساعد على انتشارها شدة مقاومة هذا الجرثوم فهو يبقى

محافظاً على قوته الحيوية اياماً عديدة وربما شهرين كاملين متى كان في مأمن من نور الشمس وملامسة الهواء والاوكسجين وهذه الشروط نراها موجودة في شقوق البلاط وفي تلال التراب المكدسة على زوايا الطرق والأسواق ·

اما النزلة الوافدة اي الحمى الاسبانية فلم يجمع كل الأطباء على انتقالها بالهواء فمنهم من صنف هذا الداء بين الامراض التي تنتقل بالارياح العاصفة والمجاري الهوائية الشديدة ومنهم من قال إن ذرات التراب الملوثة بعامل بفايفر اي عامل النزلة الوافدة لا تنتقل الا الى بعد قليل فهي لا تتمكن والحالة هذه من نقل المرض ومهما يكن فان عامل هذا الداء يلقى كسواه على الطرق العامة مع قشاعات المرضى وبصاقهم ·

اما الجدري فان عامله ينتقل بالهواء أيضاً بالذرات الصغيرة الناشئة من مفرزات البثور وفلوسها فانها تتطاير مع الهواء ناقلة المرض · وعامل الجدري شديد المقاومة يلتصق مدة طويلة بالاجسام والاشياء كجدران البيوت والالبسة والاثواب والادوات دون ان يفقد شيئاً من قوته وهذا يبين لنا كيف ان هذا المرض متى دخل بلداً طالت اقامته فيه فينطفي آونة ثم يظهر أخرى دون سبب ظاهر وعدواه تتم غالباً بطريق التنفس ·

وهكذا يقال عن الخناق اي الدفتيريا فانها تنتقل بالهواء ·

واخيراً الطاعون الرئوي هذا الوباء الهائل الذي يفتك متى انتشر بمئات الالوف والملايين فانه ينتقل بالهواء الى جهاز التنفس و يعتقد كثير من الاطباء ان الحمى الاسبانية التي استولت على اوربا سنة ١٩١٩ ولم يقل عدد ضحاياها عن خمسة ملايين لم تكن الا طاعوناً رئوياً حتى ان حكومة الولايات المتحدة حيث كان تفشي المرض شديداً اجبرت جميع ساكنيها على ان لا يظهروا في الاسواق الا وعلى انوفهم وافواههم خمار مبلل ببعض المواد المضادة للفساد وهكذا تمكنت من حصر المرض وتخفيف وطأته ·

ولا تنتشر الجراثيم بالارياح فقط بل تنتشر ايضاً بطرق أخرى منها نفض الطنافس في الشرفات والنوافذ وندف القطن والصوف المحشوة بهما لحف المرضى وفرشهم في المخازن المشرفة على الطرق العامة فيترتب على الحكومة منع مثل هذه الاشياء منعاً باتاً مهما كانت مراعاتها شديدة الصعوبة ·

ولكن على الرغم من امتلاء الهواء بذرات الغبار الملوثة وعلى الرغم من استنشاقنا هذا الهواء

ودخول الجراثيم الى اعماق جو بصلاتنا الرئوية نرى انتشار الامراض قليلاً لا يناسب كثرة هذه الجراثيم وما ذلك الا لانها تتلف بعد وصولها الى اعماق الرئة فان الطبيعة جعلت الدواء الى جانب الداء ولهذا كانت للمفرزات الشعبية خاصة قاتلة للجراثيم ·

هذا ما رغبت بطرحه امامكم في هذه المحاضرة من الامور الصحية ومنها تستنتجون ان الطبيعة لم تضن على دمشقنا بجودة الموقع الجغرافي ولا بالارتفاع عن سطح البحر ولا بتركيب أرضها الجيولوجي الموافق ولا بالانهر الغزيرة النافلة مع مياهها خصباً وهواءً نقياً ولا بالارياح العاصفة التي تهب الانسان بهبوبها حياة جديدة وانما نحن الذين ضنوا عليها بكل ما يؤثر في هوائها فيصلحه ضننا عليها بالأسواق المتسعة الفسيحة ضننا عليها بالساحات الكبيرة والحدائق الكثيرة ضننا عليها بتنظيف شوارعها من الأوحال الحاضرة او الغبار القتال المقبل ضننا عليها بما هو أعظم من كل هذا وبما لم أبينه في محاضرتي نظراً لضيق الوقت فاذا انفشت الاوبئة فيما بيننا فليس الذنب الا علينا اوساءت الصحة العامة فلا تعود تبعة هذه الاساءة الا الينا فعسى ان يكون المستقبل باسماً لا عبوساً كالماضي فنرى في دمشق حياةً جديدةً تدب في أسواقها حياةً ترقى برقي علم الصحة بين أفرادنا · فعسى ان ينتبه الزملاء الكرام الى سد هذه الثلمة فيكثرون من المحاضرات الصحية فهي لعمري اكثر ضرورة وأعظم فائدة من المحاضرات العلمية والادبية والشعرية وغيرها لانها تحفظ حياة الشعوب ولا تقدم لشعب يحصد منجل الامراض من شبانه الاذكياء النابغين ومن شاباته المهذبات الاديبات فعسى ان يسعدني الحظ في المستقبل فأقوم بواجب يفرضه عليّ الفن الذي أنتسب اليه والقي في ناديكم الموقر من آن الى آخر محاضرات أخرى مختلفة الموضوعات تضمن للسيدات نضارة جمالهن وللشبان قوة عضلاتهم والله الموفق في كل حال ·

آراء وافكار

ذات الزيتون

« هي الزيتونة »

هل ذات الزيتون هي الزيتونة ؟ ذلك مالاريب فيه البتة . فانا أوافق عليه الاستاذ عارف النكدي كل الموافقة . ولا بأس بان ابسط هنا ما كنت عثرت عليه في هذا الشأن الجغرافي . فقد روى ابن خرداذبه في كتابه المسالك والممالك (ص ٧٤ من طبعة ليدن) ان تقديرا لرصافة والزيتونة وكفر تجر والجزيرة الف دينار . وقال المسعودي في كتابه التنبيه والإشراف (ص ٣٢٢ من طبعة ليدن) ان الرصافة من ارض قنسرين . فلم يبق من ريب في ان الزيتونة تابعة الرصافة وان الرصافة قد كانت من جند قنسرين اي من سورية الشمالية او سورية الفراتية .

وقال البلاذري في كتابه فتوح البلدان (ص ١٧٩ — ١٨٠ من طبعة بريل) اما رصافة هشام فان هشام بن عبد الملك احدثها وكان ينزل قبلها الزيتونة . وقال ياقوت الرومي في معجم البلدان الرصافة في مواضع كثيرة منها رصافة هشام بن عبد الملك في غربي الرقة بينهما اربعة فراسخ على طرف البرية بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام وكان يسكنها في الصيف كذا ذكره بعضهم . قال ووجدت في اخبار ملوك غسان ثم ملك النعمان بن حارث بن الايهم وهو الذي اصلح صهاريج الرصافة وصنع صهريجها الاعظم وهذا يؤذن بانها كانت قبل الاسلام بدهر ليس بالقصير ولعل هشام عمر سورها او بنى بها ابنية يسكنها [1] ... وقد اصاب ياقوت كل الاصابة فقد عرفت الرصافة في العهد الروماني (بسرجيوبوليس) نسبة الى الشهيد سرجيس . قال وقال احمد بن يحيى واما رصافة الشام فان هشام بن عبد الملك احدثها وكان ينزل فيها الزيتونة وقال ياقوت في الزيتونة موضع كان ينزله هشام بن عبدالملك في باديةالشام فلما عمر الرصافة انتقل اليها .

---

(١) ولعل هشام عمرها وقد كانت قبله خربة او مقفرة وهذا ينفض الاشكال من كل وجه كما لا يخفى .

فالزيتونة التي دعاها عبدالرحمن حفيد هشام (ذات الزيتون) هي قريبة من الرصافة (او من قراها) على نهر الفرات الاعظم .

قال الرصيف الاستاذ السيد عارف النكدي في محاضرته الرائعة الاندلس (حاشية ص ٣٣٤ من مجلة المجمع العلمي) لم اجد فيما عندي من الكتب مايعرف منه موضع ذات الزيتون . وفي معجم البلدان الزيتونة موضع كان ينزله هشام بن عبد الملك في بادية الشام فلما عمر الرصافة انتقل اليها فكانت منزله الى ان مات . ونسأل الاستاذ بعده فهل الزيتونة هي ذات الزيتون ؟ قال ان عبدالرحمن مات ابوه وهو صغير فكفله جده هشام صاحب الزيتونة فلعل الموضعين واحد (وهو الصحيح الذي لا غبار عليه) فيكون عبد الرحمن قد لجأ الى موضع له سابق عهد فيه والله اعلم .

واما قول الاستاذ الآخر (او ان ذات الزيتون في جبل حوران المعروف بجبل الدروز) . . . فإخاله بعيداً عن الصحة والصواب والذي خدعه قول عبدالرحمن الاموي (ففرَّ من الزيتونة او ذات الزيتون الى فلسطين) . . .

في حين ان عبد الرحمن يقصّ هو نفسه قصة هربه فيقول : انه صار الى قرية على الفرات ذات شجر وغياض . الى ان قال انه دخل بساتين على الفرات فسبق الخيل الى الفرات فسبح فيه ونجا هو بنفسه والخيل ينادونه بالامان وهو لا يرجع واما اخوه فانه عجز عن السباحة في نصف الفرات فرجع اليهم واخذوه فقتلوه . فليس من مجال للشك والتردد بعد هذا القول الواضح في ان الزيتونة او ذات الزيتون كانت على الفرات الاعظم اوقريبة منه في بادية الشام كما قال ياقوت وغيره . واين هذه — وهي على الفرات — من ذات الزيتون في جبل حوران او جبل الدروز كما لا يخفى .

وأقف من التحقيق عند هذا الحد فقد ثبت ان الزيتونة هي ذات الزيتون وان موقعها على الفرات او هي قريبة منه في بادية الشام وبهذا القدر غنى وكفاية للمتأمل البصير ان شاء الله تعالى .

حلب : الخوري جرجس منش
عضو المجمع العلمي

جواب على سؤال

اطلعت على سؤال لحضرة الاستاذ محمد راغب الطباخ عضو المجمع العلمي في الجزء السابع (ص٤٤٠) من مجلة المجمع العلمي المجلد التاسع يسألني فيه عن كتاب (مناقب بغداد) لعبد الرحمن بن الجوزي هل هو مذكور في ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب؟.

نعم تصفحت ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب فوجدت فيه ترجمة حافلة لعبد الرحمن ابن الجوزي المذكور تقع في زهاء ٣٠ صفحة بالقطع الكامل وقد ذُكرت فيه مؤلفاته التي تبلغ نحو ٤٠ مؤلفاً ومنها (مناقب بغداد) الذي حصلت الضجة بسببه و بشأن نسبته الى حفيد ابن الجوزي المسمى باسمه وكنيته ولقبه.

لهذا لم يبق ادنى شك في صحة نسبة كتاب (مناقب بغداد) الى مؤلفه عبد الرحمن ابن الجوزي المتوفى سنة٥٩٧ ﻫ لا الى حفيده المذكور المتوفى سنة ٦٥٤ ﻫ لان النسخة التي اعتمدنا عليها في المراجعة كُتبت في القرن الثامن للهجرة وان ما حققه الاستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ هو الصحيح لا شبهة فيه.

حسني الكسم

مطبوعات حديثة

تاريخ الموسيقى العربية

« الى القرن الثالث عشر »

A History of Arabian Music To The XIII th Century

ألف هذا الكتاب القيم باللغة الانكليزية الاستاذ هنري جورج فرمر و بحث فيه عن تاريخ الموسيقى العربية من ايام الجاهلية الى القرن الثالث عشر م . وقد قسم الكتاب الى ستة أبواب : الباب الاول عالج فيه تاريخ الموسيقى في الجاهلية وهي فترة كما لا يخفى غامضة ولكنه مع ذلك جمع ما تشتت في كتب الادب والتاريخ من اخبار الغناء وذكر آلات الموسيقى المعروفة اذ ذاك عند العرب في اليمن والحجاز والحيرة والشام وذكر بعض من عُرف بحسن الصوت .

وذكر في الباب الثاني (الاسلام والموسيقى) واكثر ما عالج فيه حكم الغناء من حيث الاسلام مع ذكر أدلة الاباحة والحظر وما ذهب اليه الائمة الاربعة ثم رأي المتصوفة في السماع وأشار الى من عرف بحسن الصوت ايام النبي عليه الصلاة والسلام .

وصور في الباب الثالث حالة العرب الاجتماعية ايام الراشدين وذكر الفتوح التي تمت على عهدهم واختلاط العرب بالفرس والروم وظهور الغناء العربي المتقن بعد ان كان ضرباً من الحداء والتطريب والنوح وذكر عزوف الخلفاء الراشدين عنه لاشتغالهم بالفتوح وأشار الى من ارتاح اليه من الصحابة كعبد الله بن جعفر وأجمل تراجم المغنين في ذلك الدور كطويس وحنين وعزة الميلاء وسائب خاثر وغيرهم .

قال واما اخذ العرب عن الفرس فلم يكن من حيث القواعد الموسيقية ولكنهم ربما سمعوا النغمة الفارسية فاستعاروها بعد ان عالجوها بالصقل والتهذيب والتعريب . وأحصى اسماء الآلات الموسيقية على اختلافها كالمعزف والمعزفة والمزهر والعود والطنبور والقصبة والمزمار والبوق والقضيب والدف والصنج والطبل .

وذكر في الباب الرابع خلفاء بني أمية واحداً بعد واحد بعد ان أجمل تصوير الحالة

الاجتماعية اذ ذاك وأشار الى ما كان من تنشيط الخلفاء للغناء . وقال ان أثر الفرس في الموسيقى العربية كان في الآلات اكثر منه في الغناء نفسه . وترجم لطائفة صالحة من كبار المغنين في ذاك العهد كابن مسجح وابن محرز وابن سريج والغريض ومعبد وابن عائشة ويونس الكاتب ومالك بن ابي السمح وجميلة وسلامة القس وحبابة وسلامة الزرقاء .

فلما انتهى الى العصر العباسي قسمه الى ثلاثة عصور : العصر الذهبي وهو من سنة ٧٥٠ الى ٨٤٧ م وعصر الانحطاط من ٨٤٧ الى ٩٤٥ وعصر السقوط من ٩٤٥ الى ١٢٥٨ .

قال المؤلف ان قيام بني العباس فسح الميدان للفرس وجعل الفكر الآري يسود الفكر السامي واذ ذاك وقف الفن العربي الخالص وظهر في الشعر العربي اثر للفكر الفارسي . قال واما الغناء العربي فلم تظهر به تلك المؤثرات الا بعد زمن طويل وربما كان منشأ ذلك ان الموسيقيين كانوا صنفاً خاصاً من الناس ممتازين ومنعزلين عن غيرهم فحافظوا على الصبغة العربية في الغناء . قال ومما يستحق الذكر ان مغني العصر الذهبي كانوا عرباً بالعنصر او بالميلاد وجاء اكثرهم من الحجاز وطن الفن العربي .

ثم أجمل موقف خلفاء العصر الذهبي من الموسيقى وتنشيطهم لها قال ومن دواعي تقدمها ميل المأمون لعلوم اليونان وانشائه بيت الحكمة في بغداد وترجمة علوم اليونان ومن جملتها الموسيقى ، وذكر الواثق ونوه بخدمته للفن وقال : بوفاته انقضى عصر الاسلام الذهبي الذي لو قايسنا بين حضارته وبين حضارة اوربا في ذاك الحين لوجدنا حضارة اوربا ليست سوى بربرية . وترجم لكثير من كبار المغنين كاسحق الموصلي وابراهيم بن المهدي وغيرهما .

ولما أتى الى دور الانحطاط العباسي ذكر كيف تفككت عرى المملكة الاسلامية واستقلت اكثر أقطارها في الشرق والغرب تحت طاعة الخليفة الاسمية وأشار الى تلك الدول وأخذها بيد الادب والموسيقى كالدولة السامانية والحمدانية والطولونية والإخشيدية والدول التي قامت في الاندلس . قال : وفي ذاك العصر نبغ ابو الفرج الاصفهاني صاحب كتاب الأغاني وابن فرناس العالم الموسيقي . وفي ذاك العصر ازداد النفوذ الأعجمي في الثقافة العربية ومنها الغناء . قال : ولكن مهما اقتبس العرب عن الفرس

فهؤلاء مدينون للعرب أضعاف ذلك ليس في الدين فقط بل بالعلوم والفلسفة والفنون الجميلة ·

ومن خصائص تلك المدة الاستعانة بعلوم اليونان فيما يتعلق بالنظريات الموسيقية وشرح المؤلف ذلك شرحاً وافياً ·

ثم ختم كتابه بالعصر الذي دعاه عصر السقوط وذكر ان أسماء الانغام المصطلح عليها في كتاب الأغاني تغيرت وأضحت فارسية مع ان الموسيقي ظلت عربية وأشار الى الدول التي كان لها فضل على الموسيقى كالدولة الفاطمية في مصر والأيوبية في الشام مع الاشارة الى من الف في الموسيقى وترجمة المغنين والمخترعين وما اخترعوه من الآلات كل ذلك بأسلوب بارع وترتيب حسن وتفصيل وافٍ · فيا حبذا لو يتاح لهذا الكتاب النفيس من ينقله الى العربية ·

خليل مردم بك

فهرس المكتبة البلدية
« في الاسكندرية »

طبعت بمطبعة شركة المطبوعات المصرية بالاسكندرية
سنة ١٩٢٦ — ١٩٢٩

هذه الفهرس ترتيب وتصنيف الاستاذ الفاضل السيد احمد ابي علي امين المكتبة المذكورة وهي تشتمل على ثمانية واربعين علماً في ستة مجلدات بقطع هذه المجلة ومجموع صفحاتها ٢٠٤٠ وهي مرتبة ترتيباً حسناً على الحروف الهجائية في كل فن على حدة كترتيب فهرس دار الكتب المصرية وقد وصفت الكتب التي ورد ذكرها في هذه الفهرس وصفاً موجزاً مع ذكر شيء من حياة مؤلفها وتاريخ وفياتهم فجاءت هذه الفهرس حسنة بما فيها من دقة الملاحظة وسهولة المراجعة على الباحث في كل ما يهمه امره ·

فللاستاذ الموما اليه الشكر الجزيل لتوفره على طبع هذه الفهرس التي طالما تاقت النفوس الى وصفها والاطلاع على ما تحتوي عليه من الكتب النفيسة ·

حسني الكسم

اهداء مجموعة مخطوطة

أهدى السيد امين الخانجي الكتبي المشهور الى مكتبة المجمع العلمي مجموعة تتضمن الرسائل المخطوطة الآتية :

(١) (قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن) تصنيف الشيخ مرعي بن يوسف المقدسي الكرمي الحنبلي . فرغ المؤلف من تصنيف كتابه هذا يوم عاشوراء سنة ١٠٣٣ في الجامع الازهر .

(٢) (الشجرة المفرعة في المسائل المنوعة) تأليف الشيخ محمد زين العابدين العمري سبط المرصفي ألفه سنة ٩٦٧ هـ وذلك عندما زار السيد البدوي ورُفع اليه عند قبره قرطاس فيه أسئلة شرعية منوعة فأجاب عليها في هذه الرسالة .

(٣) (السبيل المبين في حكم صلة الامراء والسلاطين) وهي رسالة صغيرة للمؤلف السابق يبحث فيها عن حكم الجوائز والصلات التي يأخذها العلماء والصوفية من الملوك والامراء .

(٤) (الميثاق والعهد في شرح من تكلم في المهد) تصنيف الشيخ احمد بن ابراهيم البرماوي وهو شرح أبيات السيوطي التي اولها :

تكلم في المهد النبي محمد ويحيى وعيسى والخليل ومريم الخ

(٥) رسالتان للشيخ عثمان النجدي الحنبلي : احداهما في أحكام (ايّ) المشدّدة وإعرابها وبنائها وغير ذلك . والثانية في أحكام (لو) واسم الرسالة (كشف الضو عن معنى لو) .

(٦) كتاب (تحقيق الرجحان بصوم يوم الشك من رمضان) تصنيف الشيخ مرعي ابن يوسف الحنبلي المقدسي الذي سبق ذكره .

(٧) (رفع الاستار المسدلة عن مباحث البسملة) تصنيف الشيخ اسماعيل الغنيمي ابن الشيخ غنيم الجوهري .

(٨) كتاب منتهى العقول في منتهى النقول تأليف الامام السيوطي : فهو يسرد في هذا الكتاب اسماء الاشياء التي بلغت الكمال او العظم او الشدة في امر من الامور

ثم يشرح بالاختصار ذلك الامر الذى امتاز فيه ذلك الشيء . مثال ذلك أن يقول : (منتهى المدائن الاسلامية بغداد) ثم يشرح لك مزاياها على البلاد . و (منتهى الفتن الاسلاميـة فتنة التتر) ثم يشرح ذلك و (منتهى الحشرات عقرب تسمى الجرارة) ثم يصف مبلغ اذى ذلك العقرب وهكذا لكن النسخة كثيرة التحريف والتصحيف .

(٩) قصة هرون الرشيد مع الاعرابي وهي مخرومة وليس منها سوى صفحة واحدة .

(١٠) (مكتوب الى هرون الرشيد) يتضمن عظات ونصائح

(١١) (قصة اهل الكهف) تتضمن غرائب وعجائب .

(١٢) كتاب في العقائد اختصره مؤلفه من عقيدة الشيخ عبد الله بن محمد بن محمد ابن احمدان (كذا) ولعل المؤلف المختصر هو الشيخ محمد بن بلبان كما يفهم من هامشة على ظهر الكتاب .

(١٣) رسالة في الأدعية المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ النواوي . انتهت الرسائل وان المجمع ليشكر للمهدي هديته .

* * *

وأهدي الينا ايضاً كتاب (مبادي علم الهيأة) تصنيف الاستاذ الفاضل جلال امين زريق مدرس الرياضيات في دار المعلمين العليا والمدرسة الثانوية في بغداد . والمؤلف من شبان سورية العاملين في ترقية الأذهان ونشر العلم وقد عرفت الحكومة العراقية قدره فهي تستفيد من معارفه الواسعة في العلوم الرياضية فنلفت انظار المتخصصين في هذه الفنون الى كتابه النفيس .

وكتاب (فتاوى الامام النواوي) المسماة (بالمسائل المنثورة) من ترتيب تلميذه الشيخ علاء الدين ابن العطار . وقد طبع الكتاب على نفقة مكتبة عرفة . بعد ان صحح على ثلاث نسخ خطية وشهرة ابن تيمية ودقيق أبحاثه الدينية في مصنفاته لاتحتاج الى تنويه .

وأهدي الينا (ديوان الوطنيات) لناظمه الشاعر الاديب السيد محمد ناجي الجم الطرابلسي وموضوعات شعره تدور حول الوطنيـة والعواطف والأخلاق وقد زينـه بصور كثير من رجالات العرب وأدبائهم وافتتحه برسم جلالة الملك حسين الذي أهدى الناظم ديوانه اليه .

وكتاب (خطب ومحاضرات) وهي مما ألقي في جلسات المؤتمر السادس لمعهد المباحث العليا في رباط الفتح . وأصحاب هذه المحاضرات هم أركان النهضة في شمال افريقية أمثال الأساتذة الحجوي والدكالي وحسن حسني عبد الوهاب والمرحوم ابن ابي شنب وغيرهم .

وجزآن لطيفان من رحلة الأديب المصري المشهور السيد عبد المجيد كامل التي سماها (في بلاد الناس) : الجزء الاول يتضمن رحلته في ايطاليا وسويسرا وفرنسا والجزء الثالث (قسمه الاول) يتضمن رحلته في القطر التونسي . والجزآن مزينان برسوم طائفة من المشاهير . فنلفت الانظار الى هذا الاثر .

وكتاب (الأغاني الشعبية) وهو مجموعة من الشعر العامي الذي نظمه سكان أرياف العراق ومنها تعلم اخلاقهم وطباعهم . جمعها السيد عبد الرزاق الحسني الاديب العراقي المشهور . وهي مفيدة للباحثين في أخلاق الامم من طريق أشعارها وامثالها العامية . «المغربي»

الجزء ١١ المجلد ٩

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) تشرين الثاني : سنة ١٩٢٩ م الموافق جمادى الاولى والثانية سنة ١٣٤٨ ه ١٠٧

يهود الشام

منذ مئة عام (١)

نحن اليوم في سنة ١٣٤٢ ه ٠ فاذا رجعنا الى ما قبل مئة سنة كاملة اي الى سنة ١٢٤٢ (الموافق ١٨٢٦ م) وجدنا أنفسنا في زمن ولاية (صالح باشا) على دمشق ٠ وهو الوالي الذي جرت معظم حوادث هذه المحاضرة في زمنه ٠ و (صالح باشا) هذا هو احد صدور الدولة العثمانية : تقلد ولاية الشام للمرة الاولى سنة (١٢٣٨ ه — ١٨٢٢م) ثم عزل وولي مكانه (إيجلي احمد باشا) سنة (١٢٣٩ ه — ١٨٢٣ م) واحمد باشا هذا مات بحمص ٠ وخلفه في ولاية الشام (مصطفى باشا) في السنة نفسها اي سنة (١٢٣٩) ثم عُزل وخلفه (ولي الدين باشا) سنة (١٢٤١ ه — ١٨٢٥ م) ٠ وفي السنة التالية اي سنة (١٢٤٢) أعيد (صالح باشا) المذكور ٠

ففي غضون اربع او خمس سنوات تعاقب على ولاية الشام خمسة ولاة ٠ وقد ذكر (لامنس) في تاريخ سوريا أمراً أغرب من هذا ٠ وهو ان احد قناصل حكومة البندقية في حلب كتب في تقرير رفعه الى حكومته : أنه تعاقب على ولاية حلب في مدة ثلاث سنين تسعة باشاوات ٠ اي باعتبار اربعة اشهر لكل واحد منهم ٠

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة في ردهة المجمع العلمي مساء الجمعة في ٩ تشرين الثاني سنة ١٩٢٣ م و١٣٤٣ ه ٠

ولا أحاول في محاضرتي هذه ان اتقصّى اخبار ولاة الشام ولا الاخبار التي جرت في عهد احدهم (صالح باشا) وإنما أريد ان أذكر حوادث صيارفة اليهود وكيف استبدوا في ذلك العهد بحسابات بيت المال بل بالحركة الاقتصادية العامة . اما المصادر التي استقيت منها حوادث هذه المحاضرة فهي :

(١) مجموعة مخطوطة في مكتبتي وهي للمرحوم علي افندي الكيلاني مفتي حماة المتوفى في حدود سنة (١٢٤٠ هـ — ١٨٢٤ م) وكان رحمه الله يدوّن فيها ما يستحق التدوين من شؤونه الخاصة وشؤون أسرته الكيلانية وبعض ما يقع اليه من اخبار اهل عصره .

(٢) كتاب مخطوط في موضوع تاريخي خاص ألفه كاتب مسيحي [1] مشهور في دمشق وقد عمّر طويلاً حتى أدرك — وهو ناشئ — حوادث الصيارف التي كانت تقع في ذلك العهد .

(٣) بعض أصدقائنا من أفاضل دمشق الذين وقفوا على أخبار بلدهم وأسرار تاريخها الحديث .

هذه هي المصادر التي اعتمدت عليها في محاضرتي : فهي حوادث غضّة طريّة . لم تعرف بعد . ولم تتعاورها أقلام الكتاب بمناقشة او نقد . فمن ثم كانت جديرة باقبالكم عليها . واصغائكم اليها .

* * *

كان لصيارفة اليهود منذ مئة سنة اي قبل وضع النظام المالي الحالي عز وصولة . وأصبح لهم عند ولاتها وحكامها نفوذ ودولة . حتى كان الناس يتناشدون ماقاله الشاعر فيهم :

(يهود هذا الزمان قد بلغوا غاية آمالهم وقد ملكوا)
(المال فيهم . والجاه عندهمو ومنهمو المستشار والملك)
(ياأهل ذا العصر قد نصحت لكم تهوّدوا قد تهوّد الفلك)

ومما استبدوا به في ذلك العهد من أعمال الحكومة شؤونها الحسابية . وأسرارها المالية . حتى ما كان منها متعلقاً بركب الحج ورحاله . وتهيأة لوازمه وتدارك أمواله : فكانوا

---

(١) هو الدكتور ميخائيل مشاقة المؤلف المشهور .

يتعللون أحياناً بان المال المخصص للركب لم يتوفر بعد · او ان الجبايات في هذا العام نقصت عن الحد · الى غير ذلك مما حمل الناس على التذمر منهم · ومتابعة الشكوى للحكومة عليهم · لكنهم كانوا اذا راجعوا ولاة الشام في ذلك أظهر الولاة عجزاً وحيرة في تلافي الشر · وكثيراً مايكون لبعض ولاة السوء علاقة بالصيارفة وميل اليهم · واعتماد في الصيد عليهم ·

ثم لما استفحل امرهم ، واستشرى فسادهم ، رفع بعض اهل دمشق عريضة شكوى الى (السلطان محمود) · وكان السلطان يومئذ مشغولاً بامر الانكشارية الذين طغوا في البلاد ، واكثروا فيها الفساد · ولاسيما مدينة (حلب) التي مُنيت من شرورهم بما لم تمن به مدينة غيرها · وكان سكانها يومئذ حزبين او فريقين : (انكشارية) و (سيّاد)· وكان يلحق فريق (السيّاد) من (الانكشارية) اذىً كبير ، وشر مستطير · ولقد ظفرت بقطعة شعرية مكتوبة على ظهر كتاب مخطوط وصف بها قائلها حالة الفريقين في ذلك العهد فقال :

(يا مصطفى انّ القلوب منغّصة ببنيك في الشهباء حلت منقصة)

(في جامع يدعى (الطروش) لقدغدت بدمائهم تلك الأماكن مفتصة)

قوله (مفتصة) كذا بالاصل بالفاء ولعلها (مغتصة) بالغين المعجمة اي (غاصة) تخففت لضرورة الوزن · وليس ذلك بجائز · اما جامع (الطروش) فهو جامع (الأطروش) احد جوامع حلب وهو اليوم في حالة خراب وموقعه أمام قلعة حلب ملاصق لسوق الجمعة :

(أدرك لجسم الحق ساء مزاجه ولقد كوى الاشراف ابن الحمصة)

(ابن الحمصة) رئيس انكشارية حلب في ذلك العهد · وقد عني بالاشراف فريق السياد ·

(أقبل وقل للحربلي الحربُ لي وأذق لظلاّم الاوجاق المخمصة)

(الحربلي) اسم عائلة من عائلات حلب كان رجالها في اوجاق الانكشارية · ومازالت هذه العائلة الى اليوم في حلب لكنها منحطة :

(في النازعات اجعل لنا ياسينهم وجميعهم · ليست اليه مخصصة)

(ياسينهم) اي ياسين الانكشارية وهو احد زعمائهم في ذلك العصر ·

(فـدماء أعداء الآله ثمينـة ودماء اولاد الرسول مرخصة)
(ولأنت أولى بالجميم وهـذه شكوام رفعت اليك ملخصة)

هكذا كانت حالة البلاد من جراء فتنة الانكشارية في ذلك العهد والسلطان محمود منهمك فيها . وعاصمته (القسطنطينية) قائمة قاعدة من أجلها .

وبينا الحالة كذلك والشكوى من الانكشارية ترفع الى السلطان اذا عريضة أخرى بالشكوى من صيارفة الشام رفعها اهلوها الى السلطان يشكون اليه ظلم اولئك الصيارفة واستبدادهم بالديوان . واحتجانهم المنافع . فلم يكن اهتمام السلطان بامر الانكشارية بالذي يصرفه عن النظر في امر اولئك الصيارفة . وتلبية نداء الدماشقة . فامر بعزلهم من (ديوان السرايا) والاستعاضة عنهم بغيرهم ممن يحسنون العمل . فأخذ حكام الشام ينتظرون الفرص لتنفيذ الارادة السلطانية .

وكانت عقدة العقد في أمر هؤلاء الصيارفة انهم كانوا يكتبون (دفاتر الديوان) باللغة العبرانية التي لا يعرفهـا سواهم . ثم على تمادي الايام اصبحت تلك الدفاتر كأنما كتبت بالقلم (القلفطيري)(١) لا العبراني . واصبحت ارقامها وجداولها اشبه بالقلفطيريات . منها بالقيود والحسابات . بحيث لم يبق في وسع احد من الناس غير الصيارفة ان يهتدي الى فهم ما فيها . واكتناه اسرار معمياتها .

هذه كانت حالة (دفاتر الديوان) في ذلك الوقت . والى هذا الحد بلغت الحيرة في فهمها ، وحلّ رموزها . وكان الوزير من وزراء الشام اذا أراد عزل هؤلاء الصيارفة من (ديوان السرايا) وضبط الدفاتر وسحبها من بين أيديهم للوقوف على سرها . ودخيلة امرها — أدرك عجزه لأول وهلة وعلم ان من يخلفهم ، لايحسن عملهم ، ولا يكفي المهمّ مثلهم . وربما خشي الوالي ان تقع ماليـة الولاية وحسابات الديوان في التشويش والارتباك فيسكت على مضض وهمّ مقلق .

(١) (القلم القلفطيري) خط اليهود الذين يكتبون به التعاويذ والرقى بآيات من التوراة . ثم توسع كتاب العرب في استعمال (القلفطيري) و (القلفطيريات) فاطلقوها على كل ما كان من قبيل الطلاسم والرموز من الكتابات .

وكان[1] اولئك الصيارفة يجتهدون في وضع خزائن الحكومة وايراداتهـا ومصارفها تحت أيديهم . ويسعون في الحصول على أوامر سلطانية تكون سنداً بايديهم تشير بتوظيف الصراف على خزينة الولاية الفلانية . وبهذه الصورة يأمنون على مراكزهم فلا يحق للولاة ان يعزلوهم متى شـاءوا . ولا سيما ان الولاة يبدّلون كل مدة قصيرة كسنة وسنتين . ومن جراء ذلك تصبح الولاية للولاة بالاسم ، وللصيارفة بالفعل . والوالي يكون كمأمور يعمل بحسب رغبـة الصرّاف الذي بيده الايراد والمصرف . ووظيفته مستقلة دائمة بامر سلطاني ، لا يقدر احد على معارضته . بل ان بقاء الوالي وعزله وإدانته و براءة ذمته كل ذلك بيد الصيارفة : فان جاملهم وأطاعهم رحموه عند عزله . وقدموا له حساب الايراد والمصرف بدون خسارة . يفعلون ذلك لقاء مبلغ يقبضه منه صرّاف الباب العالي بالاستانة .

فخزينة إيالة الشـام كانت في ذلك العهد بيد أفراد عائلة مخصوصة[2] وبمساعيهم تعاظم غنى اليهود بدمشق . وكان اكبر[3] صيارفة الخزينة من هذه العـائلة . ومع قلة معارفه كان الأهالي يخشون سطوته و يحسبون حساباً لدهائه .

وكانت قرى دمشق بنوع أخص تضطر الى الاستدانة ، اذ ان أموالها الاميرية كانت مربوطة على السنة القمرية بسبب ترتيبها لمصارف ركب الحج الذي يكون تسفيره على الحساب القمري . والحساب القمري لا يتفق دائماً مع السنة الشمسية التي بحسبها يكون طلوع الغلال وأوقات زراعتها . فلذلك يضطر الفلاح ان يستدين لدفع مال الميرة الذي عليه . هذا عدا ما يلزمه لمصارفه الخاصة ولتقوية أمور فلاحته .

فهذه القرى يترتب لها مداينون يعطون الفلاحين مايحتاجون اليه من الدين بالربا . ويسمى هؤلاء المرابون عملاء او شوابصـة . والشوابصة يكونون من صيارفة اليهود خلا

(١) التفصيلات الآتية عن أعمال اليهود في مالية الحكومة ملخصة من مخطوط الدكتور ميخائيل مشاقة الذي مرت الاشارة اليه والى مخطوطه وقد الفه في مساوي القوم وسماه (الايضاحات الجلية الخ) . (٢) هذه العائلة هي بيت فارحي . (٣) واسمه (روفائيل شحاده) واخوه واسمه (سلمون) .

قرى قليلة تكون لها علاقة باحد أعيان المسلمين لكونها ملكه او وقفه ، فهو يدفع الاموال الاميرية عنها .

ففي قرب موسم الحج وطلوع المحمل الى الحجاز تجتهد الصيارفة برفع أسعار النقود و يُقنعون باعة البضائع بان ارتفاع أسعار النقود يرغب الأعراب القادمين للحج في مشترى بضائعهم ، فيصدق الباعة ذلك ، ولا ينتبهون لغرض الصيارفة ، فتصعد الاسعار غالباً بالمئة عشرين . وبعد سفر الحج ترجع الاسعار الى حالها .

فصرّاف الخزينة حينما يُطلب منه ثمن لوازم الحج او نقود للعساكر التي تسافر مع المحمل للمحافظة عليه وهي في حاجة الى شراء خيول وأسلحة — حينئذ يأخذ الصراف بالاعتذار بعدم وجود نقدية في الخزينة في الوقت الحاضر ، ثم يعطي العسكري ورقة حوالة على الخزينة فيضطر العسكري ان يبيعها للصيارفة الذين يكونون منتشرين حول الخزينة ولا يبرحونها في تلك الايام ، فيشتري الصيرفي الحوالة و يدفع ثمنها المئة ثمانين حسب أسعار النقد الرائج بوقتها ، ثم يسدّدها للخزينة عن مطلوبها من القرية التي يعاملها .

فالمئة المدفوعة منه للخزينة ورقاً لم تكن قد كلفت عليه سوى اربعة وستين بسبب رفع سعر النقود بالمئة عشرين او أكثر . ثم ان صراف الخزينة يحسبها على الفلاح عملة الخزينة و يضيف اليها عشرين فرق المعاملة فتصبح (١٢٠) ثم يضيف اليها المرابحة ومرتبات العميل التي يسمونها (الشوبصة) الى غير ذلك مما أثقل كاهل المزارعين ومعظم سكان الشام منهم . فكانت تتسرب أثمان حاصلاتهم الى جيوب الصيارفة وبذلك أصبحوا أغنى سكان دمشق .

ففي زمن ولاية (ولي الدين باشا) على الشام وذلك سنة (١٢٤١ هـ — ١٨٢٥ م) انتبه الى خيانتهم وانه لم يعد يجوز إئتمانهم على خزينة الحكومة . وكانت الشكايات تتابع الى الباب العالي والاوامر السلطانية ترد تترى برفع الظلم وانصاف الاهالي . فكتب الوالي المذكور الى الباب العالي بلزوم عزل كبير [1] الصيارفة عن تولي امور الخزينة فلما شعر هذا بالامر هرب حالاً الى بغداد خشية ان يُناقش الحساب . فيحل به العقاب .

(١) وهو روفائيل فارحي الذي مر ذكره .

وبعد هربه أراد الوالي ان يعين خلفاً له فارتبك في الامر : لانه إن عين احداً مكانه من صيارفة اليهود بقي المشكل على حاله ، فبلغه ان في حمص رجلاً مسيحياً ماهراً في أعمال الصرافة والامور الحسابية وهو من عائلة معروفة[1] في حمص فدعاه الى دمشق وعينه صرّافاً للخزينة مكان صرافها الاول . فقامت قيامة طائفة الصيارفة لهذا التعيين وحسبوه ضاراً بهم مسقطاً لمنزلتهم . فكتبوا الى كبيرهم روفائيل الذي هرب الى بغداد وجعلوا يعملون يداً واحدة في الاستانة على عزل والي دمشق وتعيين غيره . فوفقوا الى ذلك وعين صالح باشا للمرة الثانية وذلك في سنة (١٢٤٢ هـ — ١٨٢٦ م) . عندها رجع روفائيل كبير الصيارف من بغداد الى وظيفته في دمشق . و يقال انه انفق في هذا السبيل (٣٥٠٠) كيس والكيس (٥٠٠) قرش فيكون المجموع مليوناً وسبعمائة وخمسين الف قرش .

ولما تبوأ كبير الصيارف مركزه وعاد الى سابق نفوذه لم يكفه عزل الصراف الحمصي بل جعل يدس الدسائس لقتله كي يكون عبرة ونكالاً لكل من اراد ان يتولى هذه الوظيفة من غير طائفة الصيارف . واخذ يبذل الاموال الطائلة الى الوالي (صالح باشا) ليحمله على قتل ذلك الصراف الحمصي المسكين . لكن الوالي كان رجلاً صالحاً فلم يخدعه بريق الذهب . ففكر في طريقة تنجي ذلك الصراف من كيد الصيارفة فعرض عليه الاسلام وقال له : انك ان اسلمت انقطعت عنك اطماع اعدائك وحفظت نفسك من اذاهم وامكنني ان أبقيك في (ديوان السرايا) رقيباً على الصيارفة ومشرفاً على الحسابات وسائر المعاملات . فلا تظل خزينة الحكومة تحت رحمة اولئك الصيارفة .

فانشرح صدر الرجل للاسلام فاعلن[2] اسلامه وسمي (محمد افندي هدايت)

---

(١) اسم الرجل اسكندر وعائلته تعرف في حمص باسم (بيت الكاتب) .

(٢) هذا ما نرويه في سبب اسلامه عن مصادر موثوق بها ولكن جاء في مخطوطة (نوفل نعمة الله نوفل) الطرابلسي التي تتضمن حوادث دخول ابراهيم باشا للشام المحفوظة في مكتبة (الجامعة الاميركية) ما يلي : (صالح باشا والي دمشق صادر سلمون وروفائيل شحادة فارحي الاسرائيليين كاتبي خزينة دمشق وعذبهما وسجنهما وكان قد اراد قتل

وابتهجت قلوب الدماشقة بذلك ماعدا طائفة الصيارفة بالطبع .

وعد الناس فض المشكل على هذه الصورة من حسن ادارة الوالي (صالح باشا) وتلطفه في سياسته .

ولو كانت هذه الحادثة في هذا الزمن زمن الصحف والجرائد لكان الصحافيون هم الذين يشنون الغارة على طائفة الصيارفة ويهيجون الرأي العام عليهم .

اما في ذلك العهد (اي منذ مئة عام) فلم يكن في سوريا صحافة ولا صحف . ولا قبس ولا الف باء ولا تسكير اسواق ولا اقفال مخازن ولا اقامة مظاهرات وكل ما كان موجوداً في ذلك العهد شاعر خفيف الروح . سريع الخاطر . حاضر النكتة . لايدع شاردة من حوادث زمانه تفلت من دون ان ينظم القصائد فيها و ينبه الافكار اليها . اعني به (الشيخ امين الجندي) شاعر حمص بل شاعر الشام في تلك الايام .

فلا جرم ان يكون الشيخ امين من اشد الناس سروراً باسلام ابن بلده (هدايت افندي) فاحتفل لهذه الحادثة ايما احتفال ونظم قصيدة لامية دوّن فيها حكاية الصيارفة وقبيح اعمالهم ووصف حزم الوالي صالح باشا واسلام (هدايت افندي) وافتتحها بمدح السلطان محمود الذي اصدر امره بعزل اولئك الصيارفة . وقال في مطلعها [1] :

وافتك بالعز خود زانها الطول بديعة لحظها بالسحر مكحول

سكندر الحمصي الكاتب فاسلم فنصبه عوض اليهودي وسماه (هدايت افندي) واحضر رماناً بعدم استخدام اليهود بعد ذلك في امانة صندوق الشام ثم بعد مدة وجيزة قتل اسكندر المذكور واستكفي بعبد الله نوفل الذي استخدمه بمحله اه . اقول ولكن سيأتي معنا ان الذي قتل اسكندر هو رؤوف باشا لا صالح باشا الذي اسلم في زمنه وان السبب في قتله وشاية الصيارف به لمزاحمته لهم في امور الخزينة و بذلك يخلصون من شره . ولعل فعل (قتل اسكندر) بضم القاف مبنياً للمجهول وكذلك فعل (استكفي) فيكون في ذلك اشارة الى ان القاتل هو الوالي الذي خلف صالح باشا .

(١) ديوان الجندي طبع طبعتين: في احدى الطبعتين نشرت القصيدة برمتها وفي الاخرى نشر مطلعها وابيات المدح التي قيلت في السلطان محمود فقط .

ومازال شاعرنا الجندي يتغزل بالخوْد الذي زانها الطول ، ولحظها بالسحر مكحول ، حتى قال في مدح السلطان محمود :

(أتقى السلاطين محمود الفعال ومن بالعزّ والنصر محفوف ومشمول)
(فكم معارك حربٍ قد أباد بها حزبَ الضلال فولى وهو مخزول)
(من فوق طِرفٍ كأن الصبح شقّ له من نوره غرةً بيضا وتحجيل)
(في حُلَّةٍ من سنا التقوى يزيّنها بأس وحلم واحسان وتنويل)
(ما تُمسك المال عن راجيه راحته الا كما يمسك المال الغرابيل)
(نشكو لعلياه ما قاست رعيته من البلايا وعقد الصبر محلول)
(حيث استطالت بقطر الشام طائفةٌ على البلاد . وهم قوم مناكيل)
(وقدّمتهم موالينا وما علموا بأن تقديمهم جور وتضليل)
(مدّوا من المكر اشراكاً وطبعهم على الخداع وقول الزور مجبول)
(صادوا بها كل نسرٍ في الثرى ونحوا نسْرَ السما فانثنوا والعزمُ مفلول)
(هم في التقلب كالافياء ثم وفي تلوينهم قل همو الحرباء والغول)
(قد كان من سحرهم ان الوزير متى أصغى لهم قال : مهما شئتمو قولوا)
(كم مرةٍ مكروا بالابرياء وكم خانوا وزيراً له بالعدل تجميل)
(وكم الى السجن قادوا غافلاً فمضى منكَّس الرأس بالاصفاد مغلول)
(من عهد سبعين عاماً هم صيارفة اذا مضى منهمو جيل أتى جيل)
(حيث الدفاتر عبرانية رُقمت خلاف ألسننا والسرُّ مجهول)
(وليس يعلم أتراك ولا عرب ما خُطّ فيها ولا المنقول معقول)
(وكل ما تحتويه باطل كذب بل انها كلها زورٌ وتخييل)
(ظنوا بأن امور الحج بعدهمو ينالها ترتيبها بخسٌ وتعطيل)
(شيدتْ على الشح والشكوى بيوتهمو: فليس فيها لضيفٍ قط مأكول)
(أموال عكة ماذا يصنعون بها ؟ ما آن أخذ لها ما آن تحصيل ؟؟)
(للمال كل وزير قد مضى ورثوا حياً وميتاً : فهل في ذاك تحليل ؟)
(فيا أولي الامر ما هذا التهاون في أمر عظيم به للحق تذليل ؟)

(أما اتى : (كل راعٍ عن رعيتـه يوم الحساب لدى الجبار مسؤول ؟)
(فكيف ترجون عهداً للذين هم بُهْتٌ شحاح .مشائيم منا كيل)
(كم بالربا سحبوا ذيل الخراب على أهل البلاد وكم قالوا لهم : زولوا)
(حتى اذا ألهم المولى خليفتـه في قمعهم — إمَّحت تلك الاباطيل)
(بصالح الوزراء الصدر أصلح ما قد أفسدوه وسترُ الله مسدول)

ثم ذكر مناقب صالح باشا وعدّدها فقال :

(منها بني جامعاً فيه الصلاة زكت وقد حلا فيه للقرآن ترتيل)
(كذاك إسلام ذي رشد على يده حرّ عفيف له فكر ومعقول)
(ملقب (بهدايات) وحيث سمي (محمداً) فله في ذاك تفضيل)
(لولاه ما بان مكر القوم قط ولا من رقمهم ظهرت تلك التهاويل)
(الله أكبر ذا أمر قد انشرحت منه الصدور . وذا باع له طاول)
(سُرّت بإيمانه اهل الهدى وعلا لعُصبة الحق تكبير وتهليل)
(كم ذا أراد العدى ان يخذلوه وقد خابوا فكانوا هم النكس الخاذيل)

الى ان قال في ختام هذه القصيدة الفريدة :

(أو ما أمين بحمص الشام فيه شدا وافتك بالعز خود زانها الطول)

هذا ايها السادة ما وقع في الشام . منذ مئة عام من خبر صيارفة اليهود . واستفحال شرهم . وتدارك امرهم

ولكن هل اصطلم الشر . واستؤصلت جذوره بالمرة بحيث لم يبق لسلطة الصيارفة اثر ولا تأثير في حكومة دمشق بعد ان تقلص ظل ولاية (صالح باشا) ؟ كنت اظن ذلك حتى ذكر لي بعض الفضلاء (1) من اصدقائنا المسيحيين حادثة وقعت لابيه في زمن ولاية الوالي الذي خلف (صالح باشا) واسمه (رؤوف باشا) او (عبد الرؤوف باشا) وولايته كانت سنة (١٢٤٤ هـ — ١٨٢٨م) و يفهم مما ذكره هذا الصديق أن نفوذ

(١) هو المرحوم الياس بك قدسي ابن عبدو بك قدسي من وجهاء النصارى في دمشق واحد اعضاء مجمعنا العلمي .

الصيارفة وصولتهم عادت الى أشد ما كانت عليه . — قال ان والده عبدو بك تعرف في عهد حداثته برجل اعمى من اهل دمشق يدعى (حميصه) سمي بذلك لانه من مدينة حمص . وقد اتفق معه على الاشتغال بالصرافة . وكان حميصة هذا نشيطاً جريئاً عارفاً باصول هذه المهنة واقفاً على اساليبها الناجحة غير انه اعمى العينين لايمكنه التجول ولا التنقل من مكان الى آخر وهو امر ضروري للصراف فاتفق مع عبدالله (عبدو) والد صديقنا على ان يقوده من مكان الى مكان و يمشي به الجامع حيث التجار والمرابون وارباب الاموال . وهناك يعملون معاً على الكسب . و يكون الربح الحاصل من ذلك بينهما بالسوية . قال وكانت لطائفة الصيارفة صولة في تلك الايام وتمكن من نفوس حكام الشام : فكانوا يخفضون سعر العملة اياماً ثم يرفعونه فجأة وبذلك يربحون ارباحاً عظيمة . و يجعلون من هذه الارباح نصيباً مفروضاً للحكام الذين يطلعونهم على سرهم . و يشاركونهم في سحتهم . ومن جملة اعمالهم انهم كانوا يسحبون من النقود المتداولة شيئاً من فضتها وذهبها وذلك ببردها بالمبرد او بالقطع منها . فاخترع عمال (الضرب خانه) طريقة لوقاية النقود وحفظها من السرقة فجعلوا حولها على دوائرها زنجيراً منمنماً مخرماً فاذا سرق شيء من طرف النقد بالبرد اوالقطع انثلم النقد وعرف الناقص من غير الناقص من الدنانير لكن الصيارف احتالوا بحيلة جديدة وهي انهم جعلوا يغطسون نقود الذهب والفضة بمحاليل كيماوية ثم يأخذون ماانحل منها في الماء من دون ان يظهر على النقود نقص او برد او حك او تلاعب في الزنجير .

قال الصديق : ثم ان حكومة الشام أعلنت (باقتراح من الصيارف) ان الايام الفلانية والايام الفلانية لايجوز الاشتغال فيها بالصرافة ومن خالف جوزي جزاء صارماً .

فاما (عبدو) وشريكه (حميصة) فقد حسبا ان هذا المنع لايتناولها لان عبدو شاب لم يزل حديث السن وشريكه حميصة أعمى . وتعرفون ايها السادة انه ليس على الاعمى حرج .

غير ان الصيارفة ماكانوا يؤمنون بهذه الآية القرآنية بالطبع فوشوا بهما الى والي الشام (عبد الرؤوف باشا) فطلبهما اليه فدخلا عليه وهو في الديوان وعنده كبير الصيارفة . فجعل (عبدو) يعتذر بصباه . ورفيقه حميصة يبكي شجوه و يندب عماه . واخذ كبير

الصيارفة يقطع حديثها ، و يهول الامر عليها ، و يغري الوالي بهما ، حتى احفظ قلبه فأمر بشنقها .

وكانت سراي الوالي رؤوف باشا يومئذ في البرامكة حيث الكشك المعروف اليوم على طريق محطة البرامكة المطل على المرجة وقد كان في زمن الحرب العامة نادياً (كلوب) للضباط العثمانيين . وبعد ان كبر عبدو بك القدسي وشاخ كان كلما مر بذلك المكان مع ابنه صديقنا الياس بك يشير الى موقع السراي ويحكي لابنه حادثة صبوته هذه وحادثة رفيقه حميصة الحمصي وكيف امر الوالي رؤوف باشا بشنقها .

غير ان الله تداركهما بلطفه وعنايته فحبسا اياماً ثم خُلّي سبيلهما بشفاعة بعض الشافعين . من أعيان الدمشقيين .

فيستدل من هذه الواقعة ان نفوذ اولئك الصيارفة استمر بعد زمن صالح باشا وبقي الى زمن ولاية رؤوف باشا وكان رؤوف باشا هذا ظالماً قاسي القلب كما سمعتم من خبره مع حميصة . بل ان له خبراً آخر أدل على ظلمه وخبثه ذلك ان طائفة الصيارفة في زمنه عادوا الى دس الدسائس للانتقام من الصراف الحمصي (محمد افندي هدايت) الذي أسلم في زمن صالح باشا . فيقال ان اولئك الصيارفة مازالوا يطمعون (رؤوف باشا) بالمال و يزينون له البطش بذلك المسكين بغتةً بلا سؤال ولا جواب حتى قتله [1] ، واستلمت طائفة الصيارفة الخزينة واستبدوا بها من دون مشارك ولا معارض .

ثم مات رؤوف باشا وخلفه في ولاية دمشق (سليم باشا) وهو الذي ثار عليه اهالي دمشق لكونه فرض على العقارات ضريبة (مصريتين) فقتلوه سنة (١٢٤٧هـ — ١٨٣١م) وفي السنة التالية زحف المصريون بقيادة (ابراهيم باشا) واستولوا على بر الشام فحفظوا مال الخزينة من اولئك الصيارفة بقدر الامكان وتوصلوا الى ذلك بتعيين (يحيى افندي) . وهو يهودي من حلب كان اسمه (بخور) فأسلم وسمي (يحيى افندي) وكان حاذقاً في امور الصرافة والمعاملات المالية .

ثم من يومئذ صلحت الاحوال ، وانتظمت الاعمال ، وتوفرت في الخزينة الاموال ،

(١) راجع هامشة ص ٦٤٧ من هذا الجزء .

ولم يعد لصيارفة الشام تأثير كبير في نفوس ولاتها بل كان كلما جاء احد هؤلاء الولاة الى دمشق اضطر كبير الصيارف ان يتوسط بعض أعيانها في ان يقدّمه الى الوالي و يعرّفه مكانته ووجاهته في قومه ٠

لكن كان كبير الصيارفة لا يصل الى بين يدي الوالي و ينال منه حظوة حتى يبذل للواسطة اموالاً طائلة ٠ فكان الصيارفة يتململون من هذه الوساطة والنفقات التي ينفقونها في سبيلها كلما جاء والٍ جديد ٠ فاستنبطوا للخلاص من ذلك حيلة غاية في الرقة واللطف والذوق ٠

ذلك ان كبيرهم (شمعايا) بنى قصره الشهير في (دمّر) على قارعة الطريق الاعظم المؤدي الى الشام فصارت طائفة الصيارفة اليهود لا يدعون والياً يدخل الشام حتى ينزلوه ضيفاً عزيزاً في هذا القصر على الرحب والسعة ٠ مما يذكرنا بقول شاعرنا العربي مع ملاحظة الفرق بين الفئتين :

(ضربوا بقارعة الطريق قبابهم   يتقارعون على قِرى الضيفان)
(و يكاد موقـدهم يجود بنفسه   حب القِرى حطباً على النيران)

ففي خلال إقامة الوالي في (قصر شمعايا) وحفد القوم في خدمته والانفاق من سعة على ضيافته تتوثق بينه وبين كبار الصيارفة روابط الصداقة والمحبة ٠ وبنفقات قليلة في (قصر شمعايا) استغنوا عن نفقات كثيرة كانوا يبذلونها لاعيان الشام لاجل تقديمهم الى الولاة عدا ما يصحب ذلك من التملق والتذلل وتحمل المنة ٠ فما ألطفها حيلة ، وما اسهلها وسيلة ٠

وهكذا أيها السادة انطوى ذكر الدور العجيب الذي كان يمثله صيارفة الشام ٠ منذ مئة عام ٠ ولم يبق من أثره سوى هذا القصر الذي يشهد على ما كان منهم في سالف الايام ٠

« المغربي »

مشروع بكتابة الحركات(١)

بحروف عربية

[واستعمال أبجدية واحدة للطبع والكتابة]

مقدمة « موجزة »

من المعلومة ان الكتابة العربية قد مرت عليها تغيرات متعددة متوالية حتى وصلت الى شكلها الحاضر وان هذا الشكل يحتاج الى اصلاح يدنيه من المثل الاعلى لاظهار صوت كل حرف في الكلمة فالكتابة الحاضرة « غير المشكولة » لا توضح سوى نصف او ثلث اصوات حروف الكلمة فيحدث الخطأ في قراءة اللغة الفصحى ومن ثم عدم انتشارها حتى بين المتعلمين من اهلها وكذلك تنوع رسم الأبجدية رقعة ونسخ وغيرهما وتعدد صور الحرف الواحد الى اربعة أشكال ثم الحركات الثلاث ثم التنوين والشدة والسكون فتبلغ الاشكال اكثر من ٢٣٠ شكلاً في الكتابة واما في الطباعة فتبلغ ٨٤٠ شكلاً بالطريقة المشكولة و٣٢٠ شكلاً بالطريقة غير المشكولة . وكتابة الهمزة التي الف بعضهم كتباً خاصة في كتابتها لصعوبة ذلك وال الشمسية والقمرية وزيادة بعض الحروف في الكلمة ونقص البعض في الأخرى كل ذلك من مقلصات انتشار اللغة العربية التي من واجب كل متعلم ان يسعى لتسهيل نشرها .

ولكن بهذه الطريقة لا يحتاج لدراسة سوى ٣٢ شكلاً للحروف فيقرأ و يكتب بشكل واحد بسهولة واتقان وبذلك نكون قد وفرنا على الطالب $\frac{٦}{٧}$ الوقت الذي يصرفه في تعلم الاشكال المتعددة للحرف ولا يتقن القراءة والكتابة ولا ينكر ان في هذه الطريقة اقتصاداً عظيماً اذ يقتصد $\frac{٦}{٧}$ مجهود التلميذ والمعلم ووقتهما فيستثمر ذلك المجهود المقتصد والوقت في الحصول على تقدم آخر . وقد وجدت كذلك ان التلاميذ بعد أن كانوا يقرأون بسهولة حينما كانت الكتابة مشكولة بفضل أساليب التربية الحديثة أصبحوا

(١) خلاصة مقال بعث به الفاضل السيد زهير الشهابي بالقدس .

لا يضبطون الا قراءة كلمة او كلمتين فقط من السطر في الكتابة غير المشكولة ٠

وكل منا قد جرب بنفسه انه كثيراً ما يحتاج في ضبط لفظ كلمة جديدة تمر عليه الى مراجعة القاموس (ولا يخفى ما في ذلك من المشقة وضياع الوقت) وليس ذلك لتقصيره في التحصيل او لقلة إلمامه بل لأننا نكتب نصف او ثلث الكلمة التي نتكلمها وليس عندنا سليقة نعتمد عليها في ضبط قراءة ما نريد كما هي الحال عند الامم الاخرى ٠

ويدعي البعض ان الكتابة العربية مختزلة وذلك صحيح الا انه ليس من المحسنات بل هو جرثومة عدم انتشار اللغة الفصحى فيسهل على اللغات الاخرى مزاحمة العربية في عقر دارها ٠

وهنا يخطر على البال السؤال الآتي :

ولماذا لانكتب بالحروف المشكولة ؟ (كما سألني الدكتورمورتز المستشرق الالماني اثناء حديثي معه بهذا الموضوع وقد نشر في مقتطف تموز سنة ١٩٢٩) وهنا أعيد جوابي اليه وهو :

ان للكتابة المشكولة تكاليف عظيمة متعددة منها :

(١) انها كتابة ٣ سطور في آن واحد (نفس الكلمة ثم الحركات التي فوقها فالتي تحتها) ٠

(٢) لان الحركات تحتاج حين الكتابة لرفع اليد مرات بعدد حروف الكلمة او اكثر ٠

(٣) لان القارئ والكاتب يضطران الى قراءة وكتابة ٣ سطور في آن واحد ٠ ولا يخفى ما في ذلك من الصعوبة وضياع الوقت ٠

(٤) صعوبة طبع الحروف المشكلة وذلك ان الطبع المشكل يحتاج الى ٨٤٠ شكلاً فيتضاعف الشغل والوقت ومن ثم اجرة الطباعة في حين ان الطباعة العادية لا تحتاج الا الى أقل من النصف اي ٣٢٠ شكلاً ولعمر الحق ان هذا لكثير ايضاً ٠ هذا في الوقت الذي فيه طباعة اللغات الاوربية تكتفي بـ ٥٨ حرفاً ٠ واما الطباعة العربية في المشروع الجديد فتحتسب بـ ٣٢ شكلاً بدل ٨٤٠ شكلاً فتصبح أضبط لفظاً وأوفر كلفةً ووقتاً من الكتابة المشكولة وغير المشكولة ٠

(٥) ان الحركات ليست الا حروفاً صوتية قصيرة فمن الخطإ اعتبارها حركات كما هو واقع في العبرية فيجب كتابة الحركات في صلب الكلمة لافي حواشيها او حذفها بتاتاً .

ولا بد في هذا المقام من بيان ان هذا الاصلاح في الكتابة العربية ليس بدعة كما هو معلوم لجمهور المتعلمين من العرب والمستشرقين فلم يكن الخط معجماً ولا مشكولاً في صدر الاسلام فقد كان مثلاً حرف (ب) غير المنقوط يدل على ب ، ت ، ث وكذلك حرف (ع) فكان يدل على ع ، غ معاً وهكذا . . . فاصلاح الكتابة العربية له سوابق كما هو معلوم .

« المشروع »

مما مضى يستنتج ضرورة اصلاح الكتابة العربية بصورة تطابق القراءة والكتابة كل منها الاخرى وقد وفقت لتحقيق ذلك بعد مجهود ٩ سنوات حتى وصلت الى هذا المشروع الاخير من بين ثلاثة مشاريع وقد بنيته على الشروط الآتية :

١ — ان تكون جميع حروف الابجدية عربية سواء منها الحروف الاصلية ام الحروف النائبة عن الحركات ليبقى الاتصال موجوداً بين الكتابة المهذبة وبين الكتابة الاصلية .

٢ — ان تكون الابجدية العربية بشكل واحد سواء حروف اول الكلمة ام وسطها ام آخرها فلا يكون سوى ابجدية عربية واحدة .

٣ — ان تكون الابجدية العربية بشكل واحد للطبع والكتابة فلا تتغير .

٤ — ان تكون الابجدية العربية بصورة يسهل معها كتابة الحروف منفصلة ام متصلة حسب الرغبة دون تغيير في شكلها .

٥ — ان تكون الحروف النائبة عن الحركات عربية الشكل قابلة الاتصال بما قبلها وما بعدها تسهيلاً للكتابة .

٦ — ان نكتب الكلمة كاملة كما هو لفظها الفصيح فلا نحذف حرفاً ولا نزيد آخر تخلصاً من الالتباس والتشويش .

***

« الابجدية الكاملة »

حرف فتحة

ا بـ تـ ثـ جـ حـ خـ د ذ ر ز سـ شـ صـ ضـ ط ظ عـ غـ فـ قـ كـ لـ مـ

حرف ضمة حرف كسرة حرف همزة

نـ هـ و يـ

وقد وجدت ان أفضل الأبجديات العربيـة هو اتخاذ الشكل الأول لحروف النسخ كما من أبجدية واحدة للطبع والكتابة تحقيقاً للشروط الثاني والثالث والرابع لان هـذه الحروف موجودة في المطابع فلا لزوم لشراء حروف جديدة كما فعل الأتراك فضلاً عن انها قابلة الاتصال والانفصال حسب الرغبة وان جميع الكتب مطبوعة بهـا فيبقى الاتصال موجوداً بين الكتابتين : القديمة والحديثـة هذا فضلاً عن بساطة شكلها وصغره اه ٠

* * *

واحيل هذا المقال الى حضرة الاستاذ صاحب الامضاء فعلق عليه ما يلي :

. . .

نظرت في مقترح السيد زهير الشهابي فالفيته اقتراحاً حيوياً للغة العربية يسد الخلل والنقص اللذين يشعر بهما من يقرأ هذه اللغة ولو انه من أكابر المتضلعين منهـا ٠ وانتم تعلمون ان هذا الاقتراح هو رأيي ما زلت اصرح به واناقش منذ سنين ٠

ولا اعتراض لي على ما أتى به المقترح الا من وجهين :

اولها : اني لم أتبين من مقالة اذا كان يزيد ان يحول الحركات بجملتها اللغوية والنحوية الى حروف ام هو يريد ذلك للحركات اللغوية فقط ، يعيدها حروفاً مثبتة في صلب الكلمة ٠ فاذا كان هذا فقد توافقنا ، وان كان يريد ذلك لحركات الاعراب التي تلحق أواخر الكلم ، فهذا ما تبدو لي مخالفته فيه لسببين :

أ — ان الحركات النحوية يسهل ضبطها وادراكها ، فليس فيها من الصعوبة ما في الحركات اللغوية ٠

ب — ان ابدال الحروف بالحركات الاعرابية يؤدي الى كتب الكلمة الواحدة في صور متعددة بحيث تكاداللفظة تخرج عن ان تكون كلة واحدة ، وفي هذا مشكلة جديدة .

ثانيها — يتعلق بشكل الحروف الذي يقترحه . فالحروف العربية — ولا بد من قول الحق — بشعة على شكلهـا الحاضر والشكل المقترح يزيدها بشاعة وقبحاً .

وعذر المقترح :

أ — ان فيها توحيداً كاملاً لأنواع الحروف .

ب — انها حروف موجودة في المطابع فلا حاجة الى شراء حروف جديدة .

وليس هذان بالسببين الكافيين :

ذلك ان الحروف يجب ان تكون موحدة الشكل لا النوع . بمعنى ان الحرف ينبغي ان يكون شكله هو اياه في اول الكلمة وفي وسطها وفي آخرها ، هذا مالا أخالف فيه . ولكن ان توحد انواع الحروف كتابة وطباعة فهذا ما يستصعب جداً ، وليس له من مثيل في لغة من اللغات . فالحروف اللاتينية وهي اليوم من اشهر الحروف واعمها في الامم استعمالا ، حروف الطبع فيها غير حروف الكتب ، تلك منفصله وهذه متصلة . وفيهـا الحرف المعروف بالتلياني ، والحرف المعروف بالغوتي ، وغيرهما . فضلا عن الاحرف الكبيرة التي تعرف بـ (الكبيتال) او (المجسكيل) .

نعم ان التوحيد خير من التعديد ، وانا لسنا مقيدين بما ذهب اليه غيرنا ولكن استعمال حرفين : واحد للطباعة وآخر للكتابة امر لا بد منه ، والحرف الذي اختاره المقترح انما هو حرف من حروف اول الكلمات فهو لا يتصل مع ما بعده ولا يتصل ما بعده به ، فلا بد للطابع ان تغير شكل حروفها في كل حال .

وليس تغيير حرف من الرصاص يستعمل في فترة قصيرة من الزمن بالامر الذي يهتم له في مثل هذا الانقلاب الخطير .

وخلاصة ما أراه ان تبقى الكتابة العربية على ما هي عليه وفي ذلك فائدتان :

أ — اختصار الوقت .

ب — إبقاء الميراث الادبي القديم حيًا اذ تنزل الكتب المطبوعة قديمًا منزلة الكتب الخطية . وما يطبع بعد ذلك يطبع بالحروف الجديدة .

ولا يرد على ذلك ان مشكلة الحروف لا تحل مع هذا التعديل حلاً نهائياً اذ تبقى اشكال الحروف الكتابية متعددة . فمشكلة الحروف اليوم انما هي مشكلة الطباعة لا الكتابة . والكتابة مستقبلها مهدد بانتشار الطباعة ، والآلات الكاتبة ، واستعمال حروف عربية جديدة يزيد في انتشار هذه الآلات الكتابية كثيراً .

هذا واني وان كنت أصوب رأي الاستاذ المقترح في التقييد باشكال الحروف المستعملة اليوم . فلا ارى ان يكون التقييد مطلقاً ضيقاً ، بل يراعى رونق الحرف وجماله . مع مراعاة الصلة على قدر الامكان . ولا بأس بان نستعين بشيء من الحرف الكوفي او المغربي او غيرهما اذا اعوزنا الامر .

ولقد بدا لي منذ فكرت في هذا الامر أن اضع اشكالاً للحروف العربية فوفقت — أو خيل اليّ اني وفقت — الى بعض حروف ولم اوفق الى البعض الآخر وانا اقدم صوراً عن بعض هذه الحروف مثالاً ينظر فيه من هم أبعد نظراً وأدق رأياً في مثل هذه الامور .

على ان ثمة امراً ما ينبغي لنا ان نغفله : ذلك ان هذه الحروف العربية وان كانت حروفنا فقد اصبح لنا فيها شركاء من بعض الامم الشرقية الاسلامية فمن الرأي ان يعقد مؤتمر عام تدعى اليه الشعوب التي تستعمل في كتابتها حروفنا العربية فيوفد كل منها من يمثلها ليكون العمل اصح واعم .

* * *



والحروف بشكلها هذا قد روعيت صورها الاصلية على قدر الامكان ·

اما الحركات فتصير حروفاً على هذا الشكل :

ن اَ اِ — فتكون الضمة مصغر الواو ، والفتحة والكسرة كرمتي توضعان عليها · او يختار شكل آخر يكون اكثر موافقة ·

او تكون الالف (١-١) مضاعف الالف الحاضرة او (Δ) مما يقرب من رسمها الديواني ·

والفتحة (ا) اي نصف الالف والكسرة (!) نصف الياء كما هي حقيقتهما ·

لحق — هذا ماسبق فأجبت به عن الاقتراح · وازيد على ذلك : ان الحروف (ر ز ص ض ط ظ م) لم أوفق فيها الى شكل يرضي فأترك أمرها وأمر اصلاح الحروف التي عرضتها وتغييرها تعديلها الى من هم اولى مني بهذا العمل الفني ·

عارف النكدي

الفيلسوف الفارسي الكبير (١)

صدر الدين الشيرازي

[حياته وشخصيته وأهم اصول فلسفته]

بسم الله تعالى وله الحمد

في فجر القرن الحادي عشر ظهر في (فارس) من مدينة (شيراز) رجل فارسي المحتد حقيق ان يعد من اعظم الفلاسفة الاثولوجيين الذين نظروا في ملكوت السموات والارض وكانوا من الموقنين ·

وهو صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي وكان ظهور هذا الفيلسوف الالآهي الكبير الذي سنأتي على صورة جلية من حياته وشخصيته وفلسفته في عصر كان نجم الفلسفة ضئيل النور لا ناصر لها الا فئة قليلة ممن اختارهم الله لنصر العلم وكان رجال الفكر يستترون وراء ستار التقية حقناً لدمائهم وكانت صولة اهل الجمود شديدة قوية وقلم الفقهاء وخصوم الفلسفة أمضى من السيف ولو لم يكن لمذهب التصوف بصيص نور وانصار قليلون من الذين استنارت قلوبهم بنور العقل لكان هذا الفيلسوف الالآهي صريع جهل أهل عصره وقتيل عصبيتهم ولكان جزاؤه على علمه جزاء شهاب الدين السهروردي — القتيل الشهيد — على فكره ·

هيأ الشرق في كل عصر للعالم رجالاً كباراً وحكماء عظماء منهم من ملأت البسيطة شهرته ومنهم من مات مجهولاً في زاوية غربته · وممن لم يعرفوا حق المعرفة هذا الفيلسوف الرباني الجليل الذي لاشك انه من حسنات القرن الحادي عشر يحق ان يعد من فطاحل الحكماء امثال (ابن سينا) و(ابن مسكويه) و (نصير الدين) الطوسي الفلكي والامام (الغزالي) من الفرس و (ابن رشد) و(ابن باجة) و (محيي الدين بن عربي)

---

(١) هذه الأطروحة بقلم ابي عبدالله الزنجاني عضو المجمع العلمي العربي في دمشق ·

من العرب وامثال (سقراط) و (افلاطون) و (ارسطو) وامثال (سپينوزا)[١] (Spinoza) و (مالبرانش)[٢] (Malebranche) من رجال الغرب .

اخترت للاطروحة وصف حياة هذا الفيلسوف وشخصيته واهم فصول فلسفته لاسباب :

الاول انه خدم اللغة العربية أعظم خدمة اذ أخرج كنزاً عظيماً من درر الحكمة ولآلئ العلم : من فلسفة اللاهوت والأخلاق والتصوّف والحديث بلغة الضاد ووضع كتباً تبلغ اربعة واربعين او خمسة واربعين كتاباً ورسالة بتلك اللغة[٣] وهذا مما زادت به ثروة العلم فهذه الخدمة احرى ان تقدّر ولا سيما من علماء العرب ورجال الادب في الشرق والغرب كافةً .

الثاني ان روح فلسفته وان غشاها حيناً بالفاظ معماة ولا تظهر الا للمتضلع من فلسفته واصطلاحه ترفع الخلاف في كثير من المسائل التي طالما احتدم الجدال فيها بين الفلسفتين الروحية والمادية ، وان شئت قل انها ترفع الخلاف بين عدة مسائل كان الخلاف فيها بين الفلسفتين جوهرياً كالخلاف بين مذهبي أزلية المادة (العالم المادي) وحدوثها ووجود القوة المبدعة الخالقة المعبر عنها (بالله) واثبات الشعور العام المعبر عنه بالعلم له ووجود الحكمة والغاية من الخلق في جميع اجزاء الكون وعدمها وهذه المسائل بحثت عنها في درس مذهبه الفلسفي ثم اردفت البحث في هذه المسائل برأي هذا الفيلسوف في اثبات الشعور لذرّات المادة المعبر عنها في اصطلاح الفلسفة الاغريقية بالهيولي من جماد ونبات : كرأي العالم النباتي الهندي (جاجاديس بوز)[٤] .

---

(١) (سپينوزا) فيلسوف آلهي شهير ولد في أمستردام سنة ١٦٣٢ وهو من انصار مذهب وحدة الوجود (البانتيسم) قال الدكتور (رابو برت) في شأنه انه كان مملوءاً يحب الله حتى اصبح لا يرى أمامه الا الله توفي سنة (١٦٧٧ م) . (٢) فيلسوف آلهي فرنسي ولد في باريس سنة ١٦٣٨ كان يسعى في سبيل التوفيق بين الدين والفلسفة وكان يقول يجب ان نحب الله حباً تاماً توفي سنة (١٧١٥م) . (٣) عثرنا على كتبه الا القليل منها فوجدناها باللغة العربية سوى رسالة صغيرة بالفارسية كتبها في مبادي عرفانية .

(٤) جاجاديس بوز هو عالم نباتي هندي يعدّ من مفاخر الهند في هذا العصر اعترفت

ثم جعلت مسك الختام كلمة صدر الدين في العشق وفيها اعتراف منه بفضل الدمشقيين ودمشق .

الثالث ان أوجه انظار اهل العلم من الشرقيين والغربيين الى افكاره النيرة وآرائه وفلسفته الروحية والى كتبه النفيسة التي هي مرآة افكاره وافكار عظماء الفلاسفة كسقراط وافلاطون وارسطو وغيرهم من فلاسفة الاغريق والفرس والروم واتباعهم كابن سينا والفارابي وامثالهما .

ولا انتشار لكتبه القيمة الا عند الخواص من العرب والفرس ، على ان قدره لم يخف على بعض علماء اوربا وكتابها فان العالم (كونت دوغوبينو (Comte de Gobineau) السفير الفرنسي الذي أقام من سنة (١٢٧١ هـ الى ١٢٧٤ هـ) في طهران كتب في كتابه (المذاهب والفلسفة في آسيا الوسطى) (Les Religions et les philosophies dans l'azie Centrale) فصولاً عنه لا تتجاوز بضع صحائف .

وورد ايضاً ذكره مختصراً بقلم المستشرق (كليمان هوار) في مجلة الاسلام التي تنشرها جماعة من المستشرقين . ولكن الاول منها وفقاً لموضوع كتابه يبحث عن ناحية اثره في الفلسفة وتأثير فلسفته في اهل عصره . والثاني اعتمد على ما كتبه الكونت (دوغوبينو) في كتابه المذكور وعلى مصادر فارسية وقفنا عليها جميعها .

« شيراز وطن صدر الدين »

وهي من مدن ايران الجنوبية واقعة على بعد (٢٩) درجة و (٢٧) دقيقة من العرض الشمالي و (٥٢) درجة و (٤٠) دقيقة من الطول الشرقي من (كرينج لندن) و (٦٠) كيلو متراً من اتلال[1] استخر الذي يسميه الافرنج (برس بليس) ويسمي ايضاً (تخت

له اوربا بما أسداه الى المعارف الانسانية من يد واعلنت فوزه بالوصول الى ما كان يتمنى الوصول اليه غير واحد من علمائها الذين بلغوا الذروة العليا بتحقيقاتهم ، وهو الذي اخترع الجهاز (الكرسكوغراف) المغناطيسي الذي يجعل الحركات التي لا ترى بالعين المجردة اكثر وضوحاً بخمسين الف الف ضعف واظهر به للملاء حياة النبات وحركته .

(١) (المجمع) لعل المؤلف يريد اطلال اصطخر .

جشيد) اي (عرش جمشيد) وفيه آثار جميلة وصور بديعة هي آيات خالدة تدل على عظمة الملوك الفارسيين القدماء واحرق الاسكندر هذا البناء الجميل العجيب الصنع الشهير باعتدال هواء وصفاء مائه العذب وجمال رياضه الفتان وبهاء حقوله تجلت فيه الطبيعة بباهر ذلك الجمال الذي حرك اوتار نفس السعدي الشاعر الفارسي الطائر الصيت فقال :

خوشا تفرج نوروز خاصه درشيراز كه بر كنددل مرد مسافراز وطنش

عزيزمصر چمن شدجمال يوسف گل صبا چودر چمن اوردبوي پيرهنش

اي حبذا التفرج في نيروز[1] ولا سيما في شيراز التي تنسي الغريب وطنه والمرج او الروض اصبح كعزيز مصر والورد لجمال يوسف حين اتى الصبا اليه بشذا قميصه . وهذا وصف جميل بديع لهذا البلد الطيب . واهله اذكياء المشاعر متلهبو الذكاء امتازو بصفاء الروح وجمال الصور تتدفق خواطر كثير منهم بالشعر مشهورون بالميل الى اللهو والترف

بنى هذه المدينة اولاً شيراز بن تهمورث ثم جدد بناءها بعد الخراب محمد بن القاسم ابن عم الحجاج في صدر الاسلام وكانت معسكراً للمسلمين لما هموا بفتح استخر (اصطخر) وكانت عاصمة (آل بويه) وغيرهم من الملوك وعاصمة (كريم خان) الزند . وقد أنجبت غير واحد من رجال العلم المشهورين من الفلاسفة الكبار والشعراء العظماء . كالامام ابي اسحق الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦ هـ والعلامة قطب الدين محمود بن مسعود تلميذ نصير الدين الطوسي الفلكي وصاحب الاختيارات في (الهيئة) وحل مشكلات المجسطي المتوفى سنة ٧١٠ هـ . ومصلح الدين سعدي الشاعر العارف الشهير المتوفى سنة ٦٩١ هـ وشمس الدين حافظ محمد العارف الشاعر المتوفى سنة ٧٩١ هـ أو ٧٩٤ وغيرهم ممن تفتخر بهم (فارس) .

في هذه المدينة الجميلة ولد صدر الدين واصبح قبساً منيراً في سماء العلم بعد حين وفيها نمت عواطفه واتقدت فطنته والتهب ذكاؤه كذلك التربة الخصبة تنبت الزنبقة .

(أسرته) : هو صدر الدين محمد بن ابراهيم القوامي الشيرازي الشهير بالاخوند (الاستاذ) المولى صدرا .

---

(١) نيروز هو عيد الفرس الكبير ، يوم اول الربيع والسنة .

أسرة قوام في شيراز اسرة عريقة في النسب والشرف ٠ والقوام لقب عام لرئيس هذه الاسرة في كل عصر ولا تزال الرياسة قائمة فيهم الى هذا الزمن ٠

ورأس هذه الاسرة هو القوام الذي كان معاصراً لحافظ شمس الدين الشاعر السابق الذكر واثني عليه في بعض قصائده بقوله :

دريای اخضر وفلك وكشتی وهلال هستند غرق نعمت وحاجی قوام ما

معنى البيت ان نعمة قوام عمت البر والبحر بل الفُلك والفَلك والهلال شملتها نعمته ٠ وهو مبالغة شعرية في مدحه ٠

وشك بعض كبار علماء شيراز في نسبة صدرالدين الى هذه الأُسرة وقال على ماروواه الثقات عنه ان قوام الذي ينسب اليـه صدرالدين غير قوام المعاصر لحافظ شمس الدين ولكن اشتهرت نسبته الى هذه الأسرة الشريفة ٠

(ولادته) : ولد هذا الحبر الجليل بعد النصف من القرن العاشر الهجري على الأرجح من أب شيرازي اسمه ابراهيم وكان وزيراً في فارس (شيراز) ٠ ولم تعرف سنة ولادته في الكتب التي ورد ذكره فيها الا ان الارجح انه ولد بعدالنصف من القرن العاشر الهجري لان أعماله الخطيرة العلمية ووضع تآليفه الكبيرة التي تربو على اربعة واربعين او خمسة واربعين تأليفاً وتصنيفاً ومدة اشتغاله بدرس الفلسفة والحديث والفقه والتصوف واعتزاله في جبال (قم) عدة سنين تاركاً التأليف والتصنيف كما سيشير اليه في كلامه الآتي ذكره — كل ذلك يحتاج الى زمن اكثر من خمسين سنة اي الخمسين سنة بعد القرن العاشر التي وقع فيها موته اذا قلنا انه ولد في فجر القرن الحادي عشر ٠

ولما لم يولد لابيه الوزير ولد في مدة طويلة طلب الى الله طلباً حثيثاً ان يرزقه صبياً فرزقه (صدراً) بعد ان دعا أدعية طويلة ، وفي ايام عديدة وبعد ان تصدق على المحتاجين والمقترين ، ولا سيما بعد ان تصدق بثلاثة توامين [1] فوزّعها على أُناس فقراء مارين ولم يكن له غيرها ومنذ طفولته لقب الولد (صدراً) لفضله الكبير واختار له مهذّباً حاذقاً وما عتم ان ظهرت عليه أمارات الذكاء ٠

---

(١) (المجمع) التوامين جمع تومان وهونقدايراني ذهبي وقيمته ٨ فرنكات و ٨١ سانتيماً ٠

وكان والده ذات يوم وكّله على البيت وعلى رعاية مافيه ثم أراد الوقوف على ماأنفقه في المدة المذكورة فرأى ان بين النفقات اليومية ثلاثة توامين في باب الحسنات فتعجب والده الوزير من هذا الامر وقال لابنه ما هذا ؟ قال ابنه يا ابي هذا ثمن ما يكافئك اياه ولدك . وفي صنعه هذا دلالةٌ على جوده وان فطرته كانت تهتز للمعروف .

(وروده الى أصبهان) : ولما ذهب من شيراز الى اصبهان تعرف في حمام من حمامات المدينة الى السيد ابي القاسم الفندرسكي[1] وكان السيد في عهده من اكابر العلماء في علوم ما وراء الطبيعة . ولم يكن السيد يعرفه لكن لما سلم عليه . قال له السيد لا شك في انك غريب عن البلدة ياولدي قال الصدر نعم . قال له ومن اي بيت انت ومن اي مدينة ولاي سبب قدمتَ الى اصبهان . فقال اني من (فارس) وقدمت الى هنا لأُتمم دروسي قال السيد على اي العلماء تريد ان تقرأ ؟ قال على من تختاره لي . قال السيد اذا أردت ان توسع عقلك فعليك بالشيخ بهاء الدين اما اذا أردتَ ان ينفتق لسانك فعليك بامير محمد باقر . فقال اني لا أعني بلساني فذهب الى الشيخ بهاء الدين فأخذ يتلقى العلم عنه من فلسفة وكلام وكان طموحاً الى ان يعرف افكار اليونانيين وما دوّنوه في كتبهم ولذلك كان يصرف كل دراهمه في مشترى الكتب الفلسفية وأجاد في كل ماسمعه عن أستاذه حتى ان معلمه قال له ذات يوم تلقيت جل علومي وعرّفه بالمير محمد باقر الداماد فقال له اذهب اليه وأتني منه بكتاب وكان ذلك وسيلة لتعرفه اليه .

ولم يدر في خلد الصدر ان وراء الاكمة ما وراءها فواجه الاستاذ المنطقي من غير ان يخامره ريب وفي ذلك الوقت كان مير محمد باقر يعلّم فسمع الصدر درسه ، ولما عاد التلميذ الى أستاذه قال له شيخه ما كان يفعل مير محمد باقر ؟ قال كان يدرس . فقال شيخه اني لم أكن محتاجاً الى طلب كتاب من مير محمد باقر انما اتخذت هذه الوسيلة لكي اعرفك بدروسه وتحكم بنفسك على مقدرة علمه فينبغي ان تتلقى علومه فأطاعه الصدر وفي بضع سنوات بلغ الدرجة القصوى من البلاغة وهي الدرجة التي عُرف بها .

(آراء الفقهاء في اعتقاد صدر الدين) : وهذا الفيلسوف كأمثاله من الفلاسفة

---

(١) سيأتي ذكر السيد في ضمن تراجم اساتذة صدر الدين .

الاحرار ذوي الافكار النيرة لم يسلم من الانتقاد المر والتحقير واصبح هدفاً لسهام اللوم والتكفير وهناك بعض الاقاويل في شأنه من مقاربي عصره ومعاصريه ·

قال السيد نعمة التستري [1] لما وردت شيراز لم اتكل الا على ولد صدر الدين الشيرازي واسمه (ميرزا ابراهيم) وكان جامعاً للعلوم العقلية والنقلية فاخذت عنه شطراً من الحكمة والكلام وقرأت عليه حاشيته على حاشية شمس الدين الخفري على شرح التجريد وكان اعتقاده في الاصول خيراً من اعتقاد ابيه وكان يتمدّح و يقول اعتقادي في اصول الدين كاعتقاد العوام وقد اصاب في هذا التشبيه اه ·

وقال الشيخ يوسف البحراني [2] ولصدر الدين ابن فاضل اسمه (ميرزا ابراهيم) وكان فاضلاً متكلماً جليلاً نبيلاً عالماً لا كثر العلوم ولا سيما في العقليات والرياضيات قال بعض اصحابنا بعد الثناء عليه هو في الحقيقة مصداق قوله تعالى : (يخرج الحيّ من الميت) قد قرأ على جماعة منهم والده ولم يسلك مسالكه وكان على ضد طريقة والده في التصوف والحكمة ·

وقال صاحب روضات الجنات [3] (وكأنه سلك الطريقة الوسطى) و يوجد في غير واحد من مصنفاته (اي مصنفات صدر الدين) كلمات لا تلائم ظاهر الشريعة كأنها مبنية على اصطلاحاته الخاصة او محمولة على ما لا يوجب الكفر وفساد اعتقاد له بوجه من الوجوه وان اوجب ذلك سوء ظن جماعة من الفقهاء الاعلام به و بكتبه بل افتى طائفة منهم بكفره ·

فمنهم من ذكر في وصف شرحه على الاصول (اصول الكافي) [4] شروح الكافي

---

(١) عالم شهير له بعض آثار علمية ولد سنة ١٠٥٠ هـ وتوفي ١١١٢ هـ ·

(٢) الشيخ يوسف البحراني من كبار محدثي الامامية وفقهائهم ولد سنة ١١٠٧ هـ وتوفي سنة ١١٨٦ هـ · (٣) هو محمد باقر بن امير زين العابدين من فضلاء المتأخرين ولد في ٢٢ صفر سنة ١٢٢٦ هـ بقصبة خونسار وتوفي في ٤ اجمادى الاولى سنة ١٣١٣ باصبهان وكتابه روضات الجنات في تراجم العلماء مشهور طبع في ايران في سنة ١٣٠٧ هـ ·

(٤) كتاب اصول الكافي احد الكتب الاربعة المعتمدة في الحديث عند الامامية

كثيرة جليلة قدراً واول من شرحه بالكفر (صدراً) وقال الشيخ يوسف البحراني السابق الذكر في شأن تلميذه (المحسن الفيض) الآتي ذكره :

له من المقالات على مذهب الصوفيـة والفلاسفة ما يكاد يوجب الكفر والعياذ بالله مثل ما يدل في كلامه على القول بوحدة الوجود وقد وقفت به على مقالة قبيحة صريحة في القول بوحدة الوجود قد جرى فيها على عقائد ابن عربي واكثر فيها من النقل عنه وان عبر عنه ببعض العارفين وقد اوردنا جملة من كلامه في تلك المقالة وغيرها في رسالتنا[1] في الرد على مقالته نعوذ بالله من طغيان الافهام وزلال الاقدام وقد تلمذ في الاصول (اي اصول العقائد) للمولى صدر الدين الشيرازي ولذا كانت كتبه الاصوليـة على قواعد الصوفية والفلاسفة .

بل كان في عصره هدفاً اسهام لوم اكثر عارفيه من اهل الجمود ايضاً على انا نجد قليلاً من معاصريه ومقاربي عصره الذين لم يعشوا عن نور الحق يعظمونه ويبجلونه حق تعظيمه وتبجيله . قال السيد علي خان صاحب سلافة العصر في ضمن ترجمة الملا فرج الله التستري المعاصر له ما نصه :

قال مؤلف الكتاب (عفى الله عنه) أعيان العجم وأفاضلهم من اهل هذه المئة كثيرو العدد ومنهم المولى صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي الشهير بالملا صدراً كان اعلم اهل زمانه بالحكمة متفنناً بسائر الفنون له تصانيف كثيرة عظيمة الشأن في الحكمة وغيرها .

وقال صاحب امل الآمل محمد بن ابراهيم الشيرازي فاضل من فضلاء المعاصرين ثم نقل نص عبارة صاحب السلافة الآنفة الذكر . وقال الشيخ يوسف البحراني محمد بن ابراهيم صدر الدين الشيرازي الشهير بالمولى صدراً كان حكيماً فيلسوفاً صوفياً بحتاً .

وقال صاحب روضات الجنات[2] من المتأخرين :

لجامعه الامام المحدث ابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحق الكليني الرازي المتوفى سنة (٣٢٨) او (٣٢٩) .

(١) اسم هذه الرسالة (النفحات الملكوتية في الرد على الصوفية) .

(٢) (ص ٣٣١ ج ٢) .

صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي الشهير بالمولى صدر كان فائقاً على سائر من تقدمه من الحكماء الباذخين والعلماء الراسخين الى زمن نصير الدين يعني نصير الدين الطوسي الفلكي الفيلسوف المتوفى سنة ٦٠٦ ٠

ان من درس هذه الكلمات يعلم ان السير على آثار الآباء والتقليد في العقائد الدينية وترك الاهتداء بنور العقل والفلسفة كانت في ذلك العصر اوصافاً تعد فضيلة لصاحبها وفيها حياة له كما ان في الفلسفة موتاً للفيلسوف ٠

نقل مؤلف كتاب قصص العلماء [1] ان ملا محرابعلي الاصبهاني احد العرفاء الصوفيين المعاصرين لابيه الشيخ سليمان وجد يوماً الملا محمد كاظم الهزارجريبي عند قبر الحسين (عليه السلام) في كربلا اخذ بعد صلوة الصبح يلعن كبار العرفاء الصوفيين واحداً بعد واحد حتى لعن المولى صدراً مات مرة ٠

ثم لعن الملا محرابعلي فسئل الملا محرابعلي وهو لا يعرف الملا محرابعلي عن سبب لعنه له قال انه يعتقد بوحدة واجب الوجود فقال له فالعنه فانه حقيق بلعنك بهذه العقيدة ولم يكن يميز بين الاعتقاد بوحدة الوجود ووحدة واجب الوجود ٠

(وفاته) : اتفق الشيخ يوسف البحراني وصاحبا أمل الآمل [2] وروضات الجنات على انه توفي في ضمن العشر الخامس من المائة الحادية عشرة ٠

وخالفهم محمد حسن خان (صنيع الدولة) مؤلف كتاب (منتظم ناصري [3]) الذي وضعه في وقائع السنين في الشرق والغرب وسمي الكتاب باسم الشاه ناصر الدين القاجاري قال في صفحة (١٩٦ ج٢) من كتابه ان صدر الدين توفي في سنة (١٠٥٩ هـ) (١٦٤٩ م) وحدثت وفاته في البصرة حين توجهه الى مكة ٠

(كلماته وشكواه عن اهل عصره) : يظهر من بعض كلماته انه سئم من جهلة اهل

---

(١) قصص العلماء كتاب في تراجم العلماء لمؤلفه محمد بن سليمان التنكابني الموجود في عصر ناصر الدين شاه القاجار ٠ (٢) صاحب امل الامل هو محمد بن الحسن الشهير بالحر العاملي ولد سنة ١٠٣٣ ولم تثبت عندي سنة وفاته ٠ (٣) صنيع الدولة من فضلاء عصر ناصر الدين شاه وأدبائه المشهورين وامرائه الأجلة ٠

عصره يقول في ديباجة كتابه (الشواهد الربوبية) بعد الحمد وأصلي على نبيه وآله المطهرين من ظلمات الخواطر المضلة المحفوظين في سماء قدسهم وعصمتهم عن طعن اوهام الجهلة واستعيذ به من جنود الشياطين ثم قال (اللهم اجعل قبور هذه الاسرار صدور الاحرار) وقال في فاتحة كتابه (الاسفار) بعد بيان عزمه على تصنيفه .

ولكن العوائق كانت تمنع عن المراد وعوادي الايام تضرب دون بلوغ الغرض بالاسداد فأقعدتني الايام عن القيام وحجبني الدهر عن الاتصال الى المرام لما رأيت من معاداة الدهر بتربية الجهلة الاراذل وشعشعة نيران الجهالة والضلال ورثاثة الحال وركاكة الرجال وقد ابتلينا بجماعة غاربي الفهم تعشو عيونهم عن أنوار الحكمة وأسرارها وتكل بصائرهم كأبصار الخفافيش عن أضواء المعرفة وآثارها يرون التعمق في الامور الربانية والتدبر في الآيات السبحانية بدعة ومخالفة أوضاع جماهير الخلق من الرعاع ضلالة وخدعة الى ان قال : فأصبح الجهل باهر الرايات فأعدموا العلم وفضله واسترذلوا العرفان واهله وانصرفوا عن الحكمة زاهدين ومنعوها معاندين ينفرون الطباع عن الحكماء و يطرحون العلماء العرفاء الاصفياء وكل من كان في بحر الجهل والحمق اولج ، وعن صفاء المعقول والمنقول اخرج ، كان الى اوج القبول والاقبال اوصل ، وعن ارباب الزمان اعلم وافضل :

كم عالم [1] لم يلج بالقرع باب مني وجاهل قبل قرع الباب قد ولجا

وكيف ورؤساؤهم قوم عزل من سلاح الفضل والسداد ، عارية مناكبهم عن لباس العقل والرشاد .

يشير هذا الكلام الى ان صدرالدين لم يكن يستطيع من التصريح بفلسفته كما يأتي النص عليه في كلامه في مبحث علم الباري تعالى حيث يقول في رأيه في علمه تعالى انه لا يرى في التصريح به مصلحة ونبه على ذلك من درس حياة صدر الدين من الافرنج ففي كتاب (الكنت دوكوبينو) ومجلة الاسلام الانجليزية ان صدر الدين اخفى مذهبه من باب التقية (الكتمان) خوفاً من اضطهاد المجتهدين له وغشاه قصداً بالفاظ معماة ومقالته بث شكوى من اهل الجمود ومتفقهة عصره الذين دأبهم في كل عصر

---

(١) وفي نسخة عاقل .

ومصر محاربة احرار الافكار بسلاح الدين وان كانوا لا يعرفون من الدين الا قشره وهم أبعد من لبه كبعد السماء والارض ·

(اهل الجمود والعوام في نظره) : نظر صدر الدين الى اهل الجمود والعوام بالاحتقار يقول في اول كتابه (الاسفار) بعد وصف فضل الفلسفة وانها طريق معرفة الحق الوحيد وليعلم ان معرفة الله تعالى وعلم المعاد وعلم طريق الآخرة ليس المراد بها الاعتقاد الذي تلقاه العامي او الفقيه وراثة وتلقفاً فان المشغوف بالتقليد والجمود على الصورة لم ينفتح له طريق الحقائق كما ينفتح لكرام من الالهيين) ·

و يقول اني استغفر الله كثيراً مما ضيعت شطراً من عمري في تتبع آراء المتفلسفة والمجادلين من اهل الكلام :

حتى تبين لي بنور الايمان وتأييدات المنان ان قياسهم عقيم وصراطهم غير مستقيم) ·

(تأثير معارضة اهل الجمود للفلسفة في نفسه) : لما لم يجد اقبالاً عليه وعلى الفلسفة من اهل عصره كما يريد سئم وخمد خاطره الفياض وترك التدريس والتأليف مدة من الزمن يقول في كتابه الكبير ضربت عن ابناء الزمان صفحاً وطويت عنهم كشحاً فألجأني خمود الفطنة وجمود الطبيعة لمعاداة الزمان وعدم مساعدة الدوران الى ان انزويت في بعض نواحي الديار (لعله يشير الى هجرته الى بعض جبال قم)[1] واستترت بالخمول والانكسار منقطع الآمال منكسر البال متوفراً على فرض أؤديه وتفريط في جنب الله اسعى في تلافيه لاعلى درس القيه او تأليف اتصرف فيه اذ التصرف في العلوم والصناعات وانارة المباحث والمعضلات ودفع المعضلات وتبيين المقاصد ورفع المشكلات مما يحتاج الى تصفية الفكر وتهذيب الخيال عما يوجب الملال والاختلال واستقامة الاوضاع والاحوال مع فراغ البال ·

(١) قم مدينة في ١٢٠ كيلومتراً من جنوب طهران الغربي وكان بدء تمصيرها في ايام حجاج بن يوسف سنة ٨٣ تقدسها الايرانيون فان فيها دفنت اخت الامام علي بن موسى الرضا عليهم السلام وهي الآن تعد من المدارس الدينية الكبرى ويدرس فيها الفقه والاصول والأدب ·

ومن اين يحصل للانسان مع هذه المكاره التي يسمع ويرى من اهل الزمان ويشاهد مما يكب عليه الناس في هذا الاوان من قلة الانصاف وكثرة الاعتساف وخفض الاعالي الافاضل ورفع الاداني والاراذل وظهور الجاهل الشرير والعاصي النكير على صورة النحرير وهيئة الحبر الخبير الى غير ذلك من القبائح والمفاسد الملازمة الفاشية اللازمة والمتعدية مجال المخاطبة في المقال وتقرير الجواب عن السؤال فضلاً عن حل المعضلات وتبيين المشكلات ثم تمثل برباعي من رباعيات (الفرس) وهو :

از سخن پرد رمكن همچون صدف هر گوشرا
قفل گوهر ساز ياقوت زمرّد بو شرا

درجواب هر سؤالي حاجت گفتار نيست
چشم بينا عذرمي خواهد لب خاموشرا

(١) معناه لاتجعل كثيراً كل اذن غير واعية مشحونة كالاصداف بدرر المعاني .
(٢) واقفل شفتيك الياقوتتين
(٣) لا حاجة للقال في جواب كل سؤال
(٤) فان العين البصيرة تعذر الشفة الساكتة للانسان .

ثم اقتبس كلام امير المؤمنين علي عليه السلام وقال اقتفيت اثر علي عليه السلام مطلّق الدنيا مؤثراً الآخرة على الاولى فأمسكت عناني عن الاشتغال بالناس ومخالطتهم وأيست من مرافقتهم ومؤانستهم وسهلت علي معاداة الدوران ومعاندة ابناء الزمان وخلصت عن انكارهم واقرارهم وتساوى عندي اعزازهم واضرارهم فتوجهت توجهاً غريزياً نحو مسبب الاسباب وتضرعت تضرعاً جبلياً الى مسهل الامور الصعاب فلما بقيت على هذه الحال من الاستتار والانزواء والخمول والاعتزال زماناً مديداً وامداً بعيداً واشتعلت نفسي بطول المجاهدات اشتعالاً نورانياً والتهب قلبي التهاباً قوياً ففاضت عليها لكثرة الرياضات أنوار الملكوت وحلّت بها حنايا الجبروت ولحقتها الاضواء الأحدية وتداركتها الألطاف الالهية فاطلعت على أسرار لم اكن اطلع عليها الى الآن وانكشفت لي رموز لم تكن منكشفة هذا الانكشاف من البرهان بل كل ماعلمته من قبل بالبرهان عاينته مع زوائد بالشهود والعيان انتهى » .

وانت تعلم ايها القارئ ان هذه الكلمات التي ملؤها الشكوى من الجهل والجاهل وعصر الجهل لاتصدر الا عن نفس رجل بلغ في العلم وتذكية النفس مرتبة رفيعة وحاول ان يستضيء الناس بنبراس علمه و يسلكوا سبيل الهدى الامثل و يتبعوا نور شمس العقل الاجمل ·

ثم وجد الاقدار تجري على خلاف مايرومه فتغرّ الجاهل وتكرمه وتذل العالم وتلجمه ورأى من اتبع نورالعقل اصبح هدفاً لسهام الجهل · فسئم من الحياة وقطع عنها كل الصلات ونظر الى العالم نظر المتحير وطلب النجاة من الله العزيز القدير وكانت حاله في تركه وطنه وانزوائه في جبال قم واستظلاله تحت ظلال السكون والوحدة للتفكر في ملكوت السموات والارض والتأمل في الاسرار الالهية تشبه حال الامام (الغزالي) في تركه بغداد وتأملاته في القدس والشام فكلاهما جعلا تهذيب النفس بالرياضة والمجاهدة وتحليتها بالفضائل وتخليتها عن الرذائل سبيلها الموصل الى الله الجليل والعارج بها من مرتبة البرهان — الى عالم الشهود والعيان ذاك عاد بعد سنين الى بغداد فسلك سبيل الارشاد وهذا نزل من جبال قم وفجر عين خاطره الفياض فصنف والف واجاد ·

(حالة ايران العلمية في العصر الصفوي) يحسن بنا ان نذكر كلمة في حالة ايران العلمية في العصر الصفوي لتتسع بها احاطة القارئ الكريم بنواحي البحث ·

ان من جال ديار الفرس ونظر الى مدارسها المبنية في عصر الملوك الصفويين تمثل أمامه سعي هؤلاء الملوك العظماء وامرائهم ورجالهم في نشر العلوم ولاسيما علوم الدين فانه يجد في اصفهان كرسي المملكة الصفوية وسائر ديار ايران معاهد علمية ومدارس فخمة بنيت على الطرز القديم تلألأ قبابها الزرقاء بين أشجار وأزهار و بستان وريحان ·

وحجرات الطلاب مطلة عليها وجدرانها مزينة بالفسيفساء على أجمل طرز تسحر العيون كثيراً ما نقشت فيها آيات قرآنية ونصوص دينية ·

فصورة قطعة من مدرسة الخان في شيراز التي تراها في ضمن هذه الرسالة تمثل لديك جمال البناء في القرنين العاشر والحادي عشر وهندسته في ايران وكانت عناية هؤلاء الملوك والامراء والذين اتبعوهم باحسان لنشر العلم سبباً لوقف املاك كثيرة من اراضي ومزارع وقرى لصرفها في سبيل العلم ونشره وترقية طلبته ·

فبقية تلك الاملاك الموقوفة في العصر الصفوي الآن في ايران يبلغ ثمنها ملايين من الجنيهات وكان هؤلاء الملوك ورجالهم بانفسهم يتفقدون حال طلبة العلم ويكرمونهم غاية الاكرام. وفي كتاب المذاهب والفلسفة في آسيا الوسطى ان أم الشاه عباس الصفوي الكبير على جلالتها مع جماعة من الاميرات الشريفات كنّ يأتين المدارس في كل شهر مرة ويسألن عن حال الطلاب ويجمعن ثيابهم ليغسلن اوساخها ويعطينهم ثياباً جديدة لئلا يشتغلون بغير الدرس وهذا الصنع الجميل يدل على كبير اهتمامهم بنشر العلم وترقية شؤون الدين في هذه المعاهد العلمية ، كان الطالب يتلقى دروسه من الصرف والنحو والمنطق والمعاني والبيان وسائر فروع العلوم العربية والأدبية والفقه واصوله والحديث والكلام والعلوم الرياضية بجميع فروعها والأخلاق وقليل من الفلسفة الاغريقية والحكمة الفهلوية على خفاء لان الفلسفة كانت تعد مخالفة لمبادئ الدين .

(تلقيه علومه وفلسفته) : ولما أتم صدر الدين دروسه الاولية في شيراز رحل الى اصبهان حيث كانت مجمع رجال العلم والحكمة ومقتبس نور العرفان في ايران وفيها كبار العلماء والحكماء والاساتذة والمدرسين أمثال بهاء الدين العاملي والمير محمد باقر الداماد والمير الفندرسكي الآتي ذكرهم وكان الطلبة يقصدونها من الأقطار الفارسية القريبة والنائية لتلقي العلوم العالية فيها .

(اساتذته) : لاشك ان نفس مثل صدر الدين الظمأى الى رشف كأس العلم والحكمة لا تقنع باساتذة قليلين فظني قوي انه ادرك كثيراً من شيوخ العلم والحكمة والادب في عصره الا ان اساتذته المشهورين هم الشيخ الامام الجليل بهاء الدين العاملي والفيلسوف الالهي المير محمد الباقر الحسيني الشهير بالداماد[1] وكانا باصبهان والاول هو العالم الطائر الصيت بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد العاملي الحارثي الهمداني ولد في بعلبك عند غروب الشمس يوم الاربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة الحرام سنة ٩٥٣

(١) داماد بالفارسية الصهر اشتهر به لان اباه محمد كان صهر الشيخ علي بن عبد العال الكركي الشهير بالمحقق الثاني بين علماء الشيعة وكان مشهوراً بالداماد واشتهر به ابنه ايضاً .

ثلاث وخمسين وتسعمائة وصاحب الشاه عباس الصفوي توفي في ١٢ شوال سنة ١٠٣٠ باصبهان ونقل قبل دفنه الى طوس (خراسان) ودفن في جوار قبر الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام وقبره مشهور فيه واشهر كتبه : تشريح الافلاك · رسالة نسبة ارتفاع اعظم الجبال الى قطر الارض · وخلاصة الحساب · رسالة في بيان ان انوار الكواكب مستفادة من الشمس · رسالة في حل اشكال القمر وعطارد وتفسيره المسمى بالعروة الوثقى ·

فوض اليه منصب شيخ الاسلام من الملك الصفوي وكان هذا المنصب ذا اهمية كبرى في ذلك العصر والثاني هو محمد الباقر بن محمد الحسيني فيلسوف الهي جليل وفقيه نبيل كان شاعراً يجيد الشعر بالفارسية والعربية وخطيباً مصقعاً خطب خطبة الملك في جامع اصبهان يوم جلس فيه الشاه صفي الصفوي في عرش الملك وصاحب الشاه عباس الكبير · توفي سنة ١٠٤٠ ﻫ على رأي صاحب منتظم ناصري وسنة ١٠٤١ على ما ذكره صاحب امل الآمل · واشهر كتبه : القبسات ، والصراط المستقيم ، والحبل المتين ، وشارع النجاة في الفقه ، وعيون المسائل لم يتم ، كتاب نبراس الضياء ، خلسة الملوك · الرواشح السماوية وهو في علم الحديث والدراية · ونسخة من هذا الكتاب كانت موجودة عند صاحب روضات الجنات بخط صدر الدين · كتاب السبع الشداد · الضوابط · الايماضات والتشريقات · شرح الاستبصار · سدرة المنتهى في تفسير القرآن ·

وله رسالة في ان المنتسب بالام الى هاشم — من السادات الكرام على ما اختاره العلامة جمال الدين القاسمي الدمشقي وله ايضاً حواشٍ على الكافي وكتاب من لا يحضره الفقيه وهما من اهم كتب الحديث والمير الفندرسكي الذي ارشده اليهما هو ابو القاسم الفندرسكي وفندرسك من نواحي استراباد ايران[1] حكيم الهي صوفي زاهد شاعر كان بارعاً في العلوم الرياضية والفلسفة وارتاض في الهند مدة مديدة وبعد ان عاد من الهند الى العراق دعا اهل العلم الى مسلكه توفي بين سنة ١٠٣٠ ﻫ وسنة ١٠٤٠ ﻫ

(تلامذته المشهورون) : ومن اشهر تلامذته محمد بن مرتضى المدعو بمحسن الفيض وهو ختن صدر الدين · كان عالماً محدثاً صلباً كثير الطعن على المجتهدين وقد سبق كلام

(١) استراباد بلدة صغيرة في نواحي قبائل ترك خراسان ·

صاحب (لؤلؤة البحرين) الشيخ يوسف البحراني في مسلكه التصوفي تلمذ في الحديث على السيد ماجد البحراني في مدينة (شيراز) وفي اصول العقائد على الفيلسوف صدر الدين محمد بن ابراهيم . وله آثار علمية أفرد لها فهرستاً منها : كتاب الصافي في تفسير القرآن الكريم (طبع في ايران) .

واكثر كتبه أخلاقية على سبيل العرفان في السير والسلوك وهي تشبه كتب الغزالي ومنها : كتاب المحجة البيضاء في احياء الاحياء وكتاب محجة الحقائق في أسرار الدين وكتاب تشريح العالم في بيان العالم وأجسامه وأرواحه وكيفيته وحركات الافلاك والعناصر وأنواع البسائط والمركبات وكتاب حدوث العالم .

راه صواب (اي طريق الصواب) بالفارسية في سبب اختلاف اهل الاسلام في المذاهب . وكتاب ابطال الجواهر الافراد . فهرست العلوم شرح فيه أنواع العلوم وأصنافها . قال السيد الجزائري [1] تصانيف استاذي الفيض تربو على مائتي كتاب ورسالة ومنهم المولى عبد الرزاق بن علي بن حسين اللاهجي الجيلاني ثم القمي كان حكيماً متشرعاً ومتكلماً محققاً ومنشئاً بليغاً ومنطقياً وشاعراً جليلاً له مصنفات كثيرة في الحكمة والكلام منها كتابه المشهور بگوهر مراد .

كتاب شرح تجريد نصير الدين الطوسي الفيلسوف وهذا الكتاب في الامور العامة . كتاب الشوارق في الحكمة : شرح الهياكل في حكمة الاشراق الكلمات الطيبة في المحاكمة بين المير الداماد وتلميذه صدر الدين في اصالة الماهية والوجود . رسالة حدوث العالم . حاشيته على حاشية الخفري على الهيآت . شرح التجريد . حاشيته على شرح الاشارات . لنصير الدين الطوسي الفلكي .

وكان قد درس على صدر الدين وكان مدرساً بمدرسة قم الى ان توفي بها بعد النصف من القرن الحادي عشر .

وردت كلمة موجزة في (معلمة الاسلام الانجليزية) عن صدر الدين بقلم العالم المستشرق (كليمان هوار) . وعد من تلاميذه القاضي سعيد القمي ولكن ترجمته تفيد انه تلمذ على

(١) هو السيد نعمة الله الذي سبق ذكره .

محسن الفيض تلميذ صدرالدين وهو القاضي سعيد محمد بن محمد مفيد حكيم أديب عارف تولى القضاء في (قم) وتلمذ على محسن الفيض الذي سبق ذكره . وله كتاب كبير شرح به توحيد الصدوق[1] في عدة أجزاء ومنه نسخة في خزانة كتبنا وهو شرح نفيس يشتمل على أنفس مباحث اللاهوت والعرفان . وكان معظماً عند الشاه عباس الصفوي الثاني وامرائه .

قرأ الحكميات على المولى عبد الرزاق اللاهيجي بقم وتوفي هناك ولا يعلم على التحقيق سنة وفاته والمظنون ان وفاته كانت في أواخر القرن الحادي عشر او أوائل الثاني عشر .

(تأليفاته الفلسفية) : (١) كتابه الكبير الاسفار وهو مرآة فلسفته الجلية صنفه في جبال (قم) بعد تأملاته العرفانية الفلسفية في فاتحته يقول بعد الشكوى من العصر واهله في زمن انزوائه في بعض الديار كما أسلفنا ثم اهتز الخامد من نشاطي وتموج الجامد من انبساطي . الى ان قال : فصنفت كتاباً الهيّاً للسالكين المشتغلين بتحصيل الكمال وأبرزت حكمة ربانية للطالبين لاسرار حضرة ذي الجلال والجمال وترتيبه هكذا :

(السفر الاول) وهو الذي من الخلق الى الحق في النظر الى طبيعة الوجود وعوارضه .

و (الثاني) السفر بالحق في الحق .

و (الثالث) السفر من الحق الى الخلق بالحق .

و (الرابع) السفر بالحق في الخلق .

ثم قال فرتبت كتابي هذا طبق حركاتهم في الأنوار والآثار على اربعة أسفار وسميته بالحكمة المتعالية في الاسفار العقلية ولايخفى ما في هذا القول من النزعة الصوفية مع ان الكتاب يحتوي على أهم المباحث الفلسفية الالهية بل جميعها طبع في ايران قبل عدة سنين .

وهمَ (الكونت دوغوبينو) وزعم ان هذا الكتاب الكبير اربع رحلات كتبها صدر الدين في أسفاره فانه لما ذكر عدد تآليفه وقال فضلاً عن ذلك وضع اربع رحلات ووهمه نشأ من اسم الكتاب مع انه أهم تآليفه ومرآة افكارة الفلسفية ولم يتدبر في موضوع الكتاب .

---

(١) وعد صاحب كتاب قصص العلماء من تلاميذه الشيخ حسين .

(٢) كتاب الواردات القلبية .
(٣) كتاب المسائل القدسية والقواعد الملكوتية .
(٤) كتاب الحكمة العرشية } شرحها الشيخ احمد زين الدين الاحسائي مؤسس
(٥) كتاب المشاعر } مذهب الشيخية الامامية (طبع في ايران) .
(٦) كتاب الشواهد الربوبية وهو من افضل كتبه الفلسفية واعلاها (طبع في ايران) .
(٧) كتاب المبدأ والمعاد وحاول ان يوفق فيه بين الدين والفلسفة .
(٨) كتاب في حدوث العالم وفيه اهم آرائه الفلسفية .
(٩) كتاب شرح الهداية .
(١٠) حاشية على الٓهيات الشفاء للرئيس ابن سينا الفيلسوف .
(١١) حاشيته على شرح حكمة الاشراق للسهروردي .
(١٢) اجوبة على مسائل عويصة .
(١٣) اجوبة على مسائل سألها المحقق الطوسي الفيلسوف عن بعض معاصريه ولم يأت المعاصر بجوابها .
(١٤) رسالة في حل الاشكالات الفلكية ذكر اسمها في بحث غايات الافعال الاختيارية في الاسفار .
(١٥) رسالة في تحقيق اتصاف الماهية بالوجود (طبع في ايران) .
(١٦) رسالة اكسير العارفين في معرفة طريق الحق واليقين .
(١٧) رسالة في اثبات الشوق للهيولي (المادة) او ذراتها .
(١٨) رسالة في اتحاد العاقل والمعقول .
(١٩) رسالة في خلق الاعمال .
(٢٠) رسالة (في الحركة الجوهرية) وهي نظرية تفرد بها صدر الدين .
(٢١) رسالة في سريان الوجود وهي من انفس تآليفه .
(٢٢) رسالة في الحشر .
(٢٣) رسالة في التصور والتصديق .

(٢٤) رسالة في التشخص .

(٢٥) رسالة في القضاء والقدر .

(٢٦) رسالة اسمها الالواح العمادية .

(تآليفه الدينية) : وله تآليف دينية من تفسير وحديث ولكنه انقاد فيها الى الفلاسفة اكثر من انقياده الى الدين منها مجموعة تفسير لبعض سور القرآن الكريم وآيه (طبع في طهران) تحتوي على ١٢ رسالة :

(١) تفسير سورة البقرة .

(٢) تفسير آية الكرسي .

(٣) تفسير آية النور هذه الرسالة موجودة الآن بخط صدر الدين في شيراز عند السيد عبد الحسين ذي الرياستين العارف الشهير .

(٤) تفسير سورة الم سجدة .

(٥) تفسير سورة يس .

(٦) تفسير سورة الواقعة كان موجوداً بخط صدر الدين عند صاحب روضات الجنات .

(٧) تفسير سورة الحديد .

(٨) تفسير سورة الجمعة .

(٩) تفسير سورة الطارق .

(١٠) تفسير سورة سبح اسم ربك الاعلى .

(١١) تفسير سورة اذا زلزلت .

(١٢) تفسير آية (وترى الجبال تحسبها جامدة) طبعت هذه الرسائل بخط سقيم في ايران .

(١٣) رسالة اسرار الآيات .

(١٤) كسر اصنام الجاهلية في كفر جماعة الصوفية وليعلم ان التصوف في كل عصره كان يطلق على جماعة من الدراويش الاباحيين ولكن العقليين والاخلاقيين من المتصوفة كان يطلق عليهم في ذلك العصر بالعرفاء .

(١٥) كتاب مفاتيح الغيب (طبع في ايران)٠

(١٦) كتـاب شرح اصول الكافي تصنيف ابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحق الكليني الرازي المحدث الامامي الشهير المتوفى سنة (٣٢٨) او (٣٢٩ هـ) قال صـاحب روضات الجنات انه ارفع شرح كتب على أحاديث اهل البيت من الأئمة عليهم السلام وقد سلف منا قول البعض ان اول من شرحه بالكفر صدراً كم فرق بين النظر بن ٠

(١٧) حواشيه على كتاب الرواشح لاستاذه الداماد وكانت بخطه عند صـاحب الروضات ٠

(للبحث صلة)

كتاب نزهة العيون

في اربعة فنون

في المكتبة المورانية الشهيرة بحلب — كتاب مخطوط بقلم نسخي قديم يعد نحو خمسمائة صفحة افتتحه مؤلفه بقوله بعد البسملة « الحمد لله الذي بقدرته رفع منصوب الطباق السبع، وبث فيها زينة لها نجوماً هداية للساري ورجوماً لمسترقي السمع ، وانشأ في جوها سحاباً تلقحه الرياح فيدر خلفه بالهمع » الى آخر خطبته الطويلة التي لم يذكر فيها مؤلفه اسمه ولا اسم كتابه والكتاب مخروم الآخر الذي ربما كان في خاتمته اشارة الى مؤلفه او الى تاريخ الفراغ من تأليفه او الى اسم ناسخه ، وقد سألت احد اساتذة التاريخ عن اسم هذا الكتاب وعن مؤلفه فقال اسمه (نزهة العيون في اربعة فنون) وان مؤلفه ابن الوطواط المتوفى سنة ٧١٩ هـ — ١٣١٦ م : ثم تصفحت الكتاب فرأيت في قفا اول صفحة منه بخط غير خطه — هذه العبارة « كتاب نزهة العيون في اربعة فنون » تأليف الشيخ جمال الدين ابي عبد الله محمد بن ابراهيم بن محيي الدين الكتبي ·

بحثت عن هذا الكتاب في كشف الظنون وفهارس مكتبتي بايزيد ولالا ومكتبة شيخ الاسلام في استانبول وفهارس المكتبة الخديوية في مصر وفهارس مكتبة بلدية اسكندرية — فلم ار له فيها ذكراً ، والذي يظهر لي ان هذا الكتاب مما ألف قبل القرن الثامن للهجرة لانه لم يرد فيه حين تقسيمه الارض الى أقاليم — ذكر لقارة اميركا التي كان اكتشافها سنة ٨٦٢ هـ — ١٤٥٧ م ·

بعد ان فرغ مؤلفه من خطبة كتابه أورد فهرسه فقال :

الفن الاول في السماء وزينتها :

الباب الاول في ذكر مبدإ خلق السماء وهيأتها
〃 الثاني 〃 〃 الكواكب السيارة
〃 الثالث 〃 〃 〃 الثابتة وما رصده القدماء منها
〃 الرابع 〃 〃 منازل القمر وما قيل فيها

الباب الخامس في ذكر الآثار العلوية
" السادس " " الليالي والايام
" السابع " " الشهور والاعوام
" الثامن " " فصول السنة
" التاسع " " الامم واعيادها

الفن الثاني في الارض وما يتعلق بها وفيه تسعة ابواب :

الباب الاول في ذكر مبدإ خلق الارض وهيأتها
" الثاني " " الجبال والمعادن
" الثالث " " البحار والمعادن
" الرابع " " العيون والانهار
" الخامس " " اسباب من سكن الارض
" السادس " " البلاد ونواحيها وما ملك المسلمون منها وذلك بما ورآءنهر جيحون
" السابع " " طبائع البلاد واخلاق من سكنها من العباد
" الثامن " " المباني التي بقي أثرها ووعظ خبرها أولها برج بابل
" التاسع " " ماوصفت به المعاقل والحصون والمنازل . اولها قلعة في الاندلس

الفن الثالث في الحيوان وطباعه :

الباب الاول في ذكر خصائص نوع الانسان
" الثاني " طبائع ذي الناب والظفر
" الثالث " " الحيوان الوحشي
" الرابع " " " الاهلي
" الخامس " " الحشرات والهوام
" السادس " " سباع الطير وكلابها
" السابع " بغاث الطير
" الثامن " طبائع الطائر الليلي
" التاسع " الحيوان البحري المشتركة

الفن الرابع في النبات وفلاحته :

الباب الاول في كيفية كون النبات وتلوينه

« الثاني في ذكر ما يوافق النبات وتركيبه من الأرضين والسرجين

« الثالث في فلاحة الحبوب والقطاني

« الرابع في فلاحة البقول

« الخامس في ذكر النبات الذي لثمره وقشر

« السادس في ذكر النبات ذي النوى

« السابع في ذكر فلاحة النبات الذي لا قشر له

« الثامن في ذكر أصناف الرياحين

« التاسع في ذكر الاشجار ذوات الصموغ والامنان والينبوعات

ثم قسم المؤلف كل باب من هذه الابواب المندرجة تحت فنهـا — الى عدة فصول خص كل نوع من الاصناف المندرجة ضمن الباب — بفصل على حدته تكلم فيـه على ذلك النوع بما يقتضيه الفن ثم اتى بشيء من طرائف المنظوم فوصف به النوع وصفاً ادبياً يحتاجه الاديب وقلما يجده في غير هذا الكتاب وقد اكثر المؤلف في الفن الرابع النقل عن ابي بكر بن وحشية كقوله في فصل من فصول الباب الاول من هذا الفن — قال ابن وحشية : واصل كون الألوان في النبات هو اسخان الشمس ثم طلوع القمر عليه فتتغير الالوان وتتبدل فيه فان ثمرة النخل تبدو اولاً بيضاء جفرية ثم تصير بلحاً ثم تكبر فتنتقل من الخضرة الى الحمرة او الى الصفرة وهذا التبدل والتلون انما هو بطبخ الشمس له وكل نوع من النبات فحكمه في الألوان والتنقل فيها هذا الحكم فان الشمس تطبخه والقمر يصبغه والماء يرويه والارض تمسكه وتغذوه مع الماء فيتم كونه ثم قال بعـد كلام طويل اعلم ان جوهر النبات كله كبيره وصغيره انما يكون من جوهر العناصر وهذه العناصر اصل ومادة وموضوع لكل جسم مركب كائن على الارض من حد سفل أسفل فلك القمر الى آخر جسم الارض . وقال في موضوع آخر في قوى النبات ومضارعته الحيوان : قال أرسطو الحياة موجودة في النبات كما هي موجودة في الحيوان غير ان حيوة الحيوان بينة ظاهرة وحياة النبات خفية غامضة وله حس وحركة . وقال في موضع آخر زعم

آخرون ان للنبات نوماً ويقظة وان النوم سكون والسكون راحة المتحرك وليس للنبات إرادة إذ لو كانت لكان يمكنه ان يهرب من ضار . وزعم آخرون ان له حساً وارادة لما يرى فيه من الميل مع الشمس حيث مالت كالشقائق والخبازي والحور والترمس وما يفتح لطلوعها وينضم لمغيبها كالنيلوفر والاذرون . وزعم آخرون ان له مع الحس عقلاً وفهماً .

الى غير ذلك من القضايا الفلسفية المتعلقة بالنبات وأحواله وطبائعه وتطوراته مما يزعم اكتشافه وظهوره على يده كثير من علماء النبات في هذا القرن .

على ان مؤلف هذا الكتاب كما عني بذكر الوافر الجم من المسائل الجوهرية الحقيقية المتعلقة بالنبات وغيره فانه لم يقصر بايراد قضايا جديرة ان تنخرط في سلك الخرافيات التي تستبعد العقول وقوعها من ذلك قوله مؤيداً زعم من قال بوجود الحس لبعض النباتات ومما يخيل للذهن صدق ما زعموه ما حكى لي القاضي فخر الدين ابراهيم بن علي دبوقا قال مررت بقرية من قرى بعلبك تسمى الرمانة فرأيت في بقعة من ارضها نباتاً يشبه المنثور في لونه وكونه فوقفت متعجباً من حسنه فقال لي بعض الظرفاء وأز يدك منه عجباً قلت وما هو قال يغني بيتي شعر معروفين فلا يزال يهتز حتى تسقط أوراقه وتذبل وار يك ذلك ثم اندفع يغني و يوقع بكفيه :

يا ساكناً بالبلد البلقع ويا ديار الظاعنين اسمعي
ما هذه داري ولكنها ديار احبابي فنوحي معي

قال فخر الدين فوالله لقد رأيت ذلك النبات يهتز كأنما أصابته ريح عاصفة حتى تناثرت اوراقه وذبلت طاقاته

قلت لا اسيء الظن بفخر الدين ولا اتهمه بالكذب والحنث بيمينه بل اقول انه غلب عليه الوهم فرأى بعينه النبات يهتز فأخبر بذلك ولم يحنث .

هذا وان صاحب الكتاب الذي نحن بصدده ذكر في كتابه في الكلام على الارض اموراً ينطبق بعضها تمام الانطباق على ماقاله فيها علماء الهيئة في القرن العشرين والذي قبله وكنا نظنها انها من مكتشفاتهم ومبتكراتهم التي لم يسبقهم اليها احد قبلهم ، واليك نبذة مما قاله في هذا الموضوع وهي :

من جملة الزعوم ان الارض تهوي الى ما لانهاية له وان السماء ترتفع الى ما لا نهاية له ، ومنهم من زعم ان الارض صاعدة وان السماء هابطة ومنهم من قال ان الارض والسماء صاعدتان والقائلون بهذا منهم من زعم ان السماء صاعدة مع دورانها والارض صاعدة غير دائرة ومنهم من زعم عكس ذلك ومنهم من زعم انها متحركة على استقامة الى الشرق وقال بعضهم انها متحركة دورية وان الذي يرى من دور الفلك انما هو من دورها وان الفلك ساكن على الدوام والقائلون بهذا ذهب فريق منهم الى ان حركتها مستديرة ٠

وكل من مال الى فن من هذه الفنون فانما يخبط فكره في عشواء الظنون و يتكلف الكل منها ادلة و براهين تنقض عليها من سوانح المنازعات صقور وشواهين ٠

والقول الحق الذي تقوم عليه البراهين الساطعة والحجج القاطعة عند حذاق المتكلمين في الهيئة انها كرية بالكلية مضرسة بالجزئية من جهة الجبال البارزة والوهدات الغائرة ولا يخرجها ذلك عن الكرية لان مقادير الجبال وان شمخت صغيرة بالقياس الى كل الارض « كرة قطرها ذراع او ذراعان اذا نبأ فيها كالجاورس وغار فيها كامثاله لم يمنع ذلك من اجراء حكم التدوير عليها بالتقريب » وليس للارض نسبة من الفلك البتة لان أصغر كوكب في السماء قدرها ثمان عشرة مرة وهي في وسط الفلك والوسط هو السفل ومثلوا كونها في الوسط كالنقطة في الدائرة والمح في البيضة ومعنى تمثيلهم لها بالمح الذي هو الصفار ان البيضة يقلب أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها والمح في مكانه لا ينتقل عنه وفي هذا تنبيه على ان الفلك هو المتحرك دون الارض وزعموا انها الحجاب الذي توارت به الشمس في قوله تعالى « حتى توارت بالحجاب » ومن براهينهم على انها كرية ان الشمس والقمر وسائر الكواكب لا يوجد طلوعها ولا غروبها على جميع نواحي الارض في وقت واحد لا يرى طلوعها على النواحي الشرقية قبل طلوعها على النواحي الغربية وغيبوبتها من النواحي الشرقية قبل غيبوبتها عن الغربية ، ولو ان انساناً سار من ناحية الجنوب الى ناحية الشمال رأى انه يظهر له من الناحية الشمالية بعض الكواكب التي كان لها غروب فيصير ابدي الظهور ، و بحسب ذلك يكون عنده من ناحية الجنوب بعض الكواكب التي كان لها الطلوع فيصير أبدي الخفاء على ترتيب واحد اذ كان لا يعترض بينه وبين البصر شيء يحجب شعاعه عنه والامر بخلاف ذلك كما تقدم ، قال والماء محيط بها

ولولا التضرس لغمرها حتى لم يظهر منها شيء لكن العناية الالهية اقتضت اللطف بالعالم الانسي فأبرزت له جزءاً من الماء ليكون مركزاً له وإحاطة الماء بها بالامر الطبيعي اذ كل خفيف يعلو على الثقيل والماء أخف من الارض فكان محيطاً بها قالوا والهواء جاذب لها الى الفلك بالسوية كجذب المغنطيس للحديد ولذلك وقفت في الوسط : وذهب آخرون الى ان وقوفها في الوسط انما هو من دفع الفلك لها من سائر جهاتها ومثلوا وقوفها في الوسط بحمصة لو وضعت في قنينة ثم أديرت في الجهة ادارة سريعة ووقفت في وسطها لتساوي الدفع من كل الجوانب : وحكى عن آخرين ان النصف الأسفل من الارض فيه اعتمادات صاعدة والنصف الاعلى فيه اعتمادات هابطة فحصل التدافع من الاعتمادات فلزم الوقوف .

كل خبط في عشواء الجهل بحكمة الله في مخلوقاته ، كيف والله تعالى يقول : « ان الله يمسك السماوات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده » وذلك الامساك هو ان رسم لكل واحد منها حداً لا يتعداه : ثم انهم مثلوا طول الساكن في الارض بتفاحة غرس فيها شعير مما يدور بها فكل شعيرة منتصبة الى ما قابلها من جميع جهاتها لا فرق بين شيء منها في استقامة المحل وحيث كان الناس من استيطانهم فان ارجلهم الى الارض ورؤوسهم الى السماء وكل فريق منهم يرى ان ارضه التي هو عليها هي المستقيمة في الاعتدال ، وقال آخرون في تحقيق هذه الدعوى — لو ان اهل ناحية من نواحي الارض حفروا بئراً وأطالوها الى المركز وحفر اهل الناحية التي تقابلها بئراً أخرى وأطالوها الى ان تلتقي الحفرتان و يكون الماء واحداً لأرسل اهل كل ناحية دلوهم فكان أسفل هذا الدلو مقابلاً لأسفل الدلو الآخر وكان هؤلاء يجرونه الى فوق والآخرون كذلك لا يشك واحد منهم انه جاذب دلوه من اسفلها الى اعلاها واستدل ايضاً على ذلك ان الانسان اذا كان في موضع من الارض وأخرج خطاً مستقيماً من مكانه الى مركز الارض وانتهى به الى الجهة الاخرى من رجليه الى رجليه حتى انهم قالوا متى قيس بين اهل الصين وبين اهل الاندلس الذين على طرفي المعمور كانت أقدامهم متقابلة .

الى آخر ما حكاه صاحب الكتاب في كروية الارض وحركاتها من الزعوم والآراء

التي كنا نحسب الكثير منهـا مما تركه الاول للآخر فكنا نقول كم ترك الاول للآخر فصرنا بعد اطلاعنا على هذا الكتاب نقول ما ترك الاول للآخر ٠

كامل الغزي

عضو المجمع العلمي

صلاح الدين الصفدي

لما قرأت ما كتبه السيد داود الحلبي في الجزء التاسع من مجلة المجمع ص ١٠٥ الى ١٠٨ عن كتاب لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي ذكرت اني رأيت في مكتبة وزارة الهنـد (India Office) بلندن منذزمان نسختين من التذكرة الصلاحية (كذا ورد في عنوان كل جزء من النسختين) لا ذكر لها في الفهرسة المطبوعة لانهما دخلا المكتبـة المذكورة بعد نشر الفهرسة بزمان طويل ٠ وقد أخذت جدولاً مما في النسختين فالنسخة تحت رقم « عربي ٣٨٢٩ » وفيها الجزء الاول الى الثالث ، والثانية رقم « عربي ٣٧٩٩ » تشتمل على الجزء الـ ٤٨ و ٤٩ ولا أدري هل هذا منتهى التصنيف فانه يظهر ان الصفدي نقل طول حيـاته من كتب مختلفة وقعت بين يديه فالتقط ما أعجبه على غير ترتيب واكثره مقطعات نثرية وشعرية غير طويلة الا نادراً ولا أشك ان هذا المجموع لا نهاية له الا بوفاة مؤلفه ٠ اني آسف لعـدم نقلي مقدمة الجزء الاول وحيث المكتبة المذكورة مغلقة في شهر ايلول كله أرجو رجوعي الى هذا بعد فتحها ولئلا تطول مقالتي أذكر بعض المهات الموجودة في هاتين النسختين ففي الجزء الاول :

ص ٣ رسالة القاضي شهاب الدين بن فضل الله يتشوق الى علاء الدين ابن الفلاسي وشمس الدين محمد بن شهاب الدين محمود هو ابن الشـاعر المشهور والصدر شهاب الدين يحيى بن المبسراني ٠

ص ٧ التقليد السليماني للقاضي محيي الدين بن عبد الظاهر (وهي رسالة هزلية) ٠

ص ٤٩ الى ٥٩ شعر صدر الدين ابي عبد الله محمد بن زين الدين ابي الحرم مكي العثماني عرف بالقاهرة بابن المرحل وفي الشام بابن الوكيل هو الشاعر المشهور ٠

ص ٦٠ شعر لشرف الدين الحلاوي ولكن محي عمداً في النسخة حتى تصعب القراءة ·

ص ٦٧ الى ٦٨ شعر طويل لابن دانيال قد محي ايضاً ولا أدري سببه ·

ص ٧٠ الى ٧٩ من ديوان الامير ناصر الدين حسن بن شاور (كذا) بن طرخان الفراسي ابن النقيب ·

ص ٨١ من كتاب تحفة القادم لابن الأبار ·

ص ٨٦ آخر الجزء الاول ·

ص ٨٩ الى ١٠٧ شعر جمال الدين ابي الحسين يحيى بن عبد العظيم الجزّار ·

ص ١٠٧ شعر السراج عمر المختار الحلبي ·

ص ١١١ شعر بدرالدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي المتوفى يوم السبت ٢٢ شعبان سنة ٦٨٠ ودفن بباب الصغير في دمشق ·

ص ١١٢ الى ١٢٣ المختار من كتاب فلتة البراعة ولفتة البراعة لمحي الدين عبد الله ابن عبد الظاهر ·

ص ١٢٤ الى ١٤٤ القطر النباتي لجمال الدين محمد بن نباتة في آخره إجازة مؤرخة في القاهرة سنة ٧٢٩ ·

ص ١٦٣ آخر هذا الجزء الثاني ·

ص ١٦٩ من كتاب تاج الجامع والمعاجم وسراج الأعارب والأعاجم المشتمل على مشيخة ابي المحامد اسماعيل بن ابي الشكر حامد بن ابي القاسم عبد الرحمن الخزرجي القوصي نزيل دمشق ·

ص ١٧٣ كتاب محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر الى الامير شمس الدين آقسنقر جواباً عن كتابه بفتح بلاد النوبة ·

ص ١٨٩ الى ١٩٣ ظلامة ابي تمام الطائي صنعة الخالدي ·

ص ١٩٣ مناظرة بين النظّام وابن الحكم تليه مناظرة بين النظام ومخالفيه ·

ص ٢٠٤ رسالة الحاتمي اولها : كان ابوالطيب (يعني المتنبي) لما دخل بغداذ الخ ·

ص ٢١٢ شعر ابي القاسم المظفر علي الطبسي برثي المتنبي ·

ص ٢١٣ الى ٢١٨ سرقات المتنبي من ابي تمام ·

ص٢١٩ الى ٢٢٠ الخواص الفعلية والعظات العلية لنورالدين ابي بكر محمد بن رستم ·
ص ٢٢١ الى ٢٢٩ مفاخرة بين السيف والقلم لجمال الدين ابي بكر محمد بن شمس الدين محمد بن نباتة ·
ص ٢٣٦ آخر الجزء الثالث والنسخة (رقم عربي ٣٧٩٩) :
ص ٢٠ الى ٢٦ نقلتُ من ديوان امين الدين جوبان القوّاس سماه نقع الوقائع ورقع الوسائع ·
ص ٤٠ الى ٤٤ شعر شمس الدين محمد بن علي بن ابراهيم المصري المعروف بابن الواسطي أنشدني لنفسه ·
ص ٦٤ مكاتبة الشيخ أويس بديوان الانشاء ·
ص ٦٨ آخر الجزء الثامن والأربعين ·
ص ٦٩ من كتاب درّة التنزيل وغرّة التأويل لابن خطيب القلعة ·
ص ٧١ قول ابو علي ابن فورجّة في كتاب التجني على ابن جني [انقلها بكمالها في آخر هذه النبذة] ·

منقول من الجزء الثامن والاربعين ص ٧١ :

ذكر ابو علي بن فورَجّة في كتاب التجني على ابن جني · قال : حدثني الشيخ ابو العلاء المعري عن رجل من اهل الشام كان يتوكل لابي الطيب يعرف بابي سعد وبقي الى عهدنا وبعد : ان حدثني ابو علاء عنه · قال : دعاني ابو الطيب ذات يوم ونحن بحلب أظنه قال ولم أكن عرفت منه الميل الى اللهو مع النساء ولا الغلمان فقال لي : أرأيت (ص٧٢) الغلام ذا الاصداغ الجالس الى حانوت كذا من السوق وكان غلاماً وسيماً فحّاشاً فيما هو سبيله · فقلت : نعم واعرفه · فقال : فامض فأتني به واتخذ دعوة وانفِق واكثر · فقلت : كم قدر ما أنفق · فلم يزدني على قوله : أنفِق واكثر · و كنت استطلع رأيه في جميع ما انفقه فضيت واتخذت له ثلاثة ألوان من الطعام وصحفات من الحلوى واستدعيت الغلام فأجاب وانا متعجب من جميع ما أسمع منه وأراه اذ لم تجر له عادة بمثله · فعاد من دار سيف الدولة آخر النهار وقد حضر الغلام وفرغ من اتخاذ الطعام فقال : قدّم مايؤكل وآكل ضيفك · فقدّمت الطعام وأكلا وانا ثالثهما ثم

أجحى(؟) الليل فقدّمت الشمعة ورمّ دفاتره وكانت تلك عادته كل ليلة . فقال : احضر لضيفك شراباً واقعد الى جانبه فنادمه . ففعلتُ ما أمرني كل ذلك وعينه الى الدفاتر يدرس ولا يلتفت الينا الا في الحين بعد الحين فما شربنا الا قليلاً حتى قال : افرش لضيفك وافرش لنفسك وبتْ ثالثهما ولم أكن قبل ذلك أبايته في بيته . ففعلت وهو يدرس حتى مضى من الليل اكثره ثم آوى الى فراشه ونام . فلما أصبحنا قلت له : مايصنع الضيف ؟ . فقال : أحْبُه واصرفه . فقلت : وكم أعطيه . فأطرق ساعة ثم قال : أعطه ثلاثمائة درهم . فعجبت من ذلك ثم جسرت نفسي فدنوتُ منه فقلت : انه من يجيب بالشيء اليسير وانت فلم تنل منه حظاً . فقال : أتظنني من هؤلاء الفسقة أعطه ثلاثمائة درهم ولينصرف راشداً . قال : ففعلت ما أمرني به وصرفته .. قال ابن فورجة : وهذا من بديع اخباره ولولا قوة إسناده ما صدقت به .

وفي ص ٩٠ من الجزء المذكور :

نقلت من روزنامج الصاحب ابي القاسم اسماعيل ابن عباد رحمه الله : وانتهيت الى ابي سعيد السيرافي وهو شيخ البلد فرد الادب وحسَن التصرف في اللغة والنحو وافر الحظ من علوم الاوائل فسلمت عليه وقعدت عليه و بعضهم يقرأ الجمهرة فقرأ : ألْحَقْتُ الشيءَ افسدته[1] فقلت : انما هو لمقته . فدافعني الشيخ ساعة ثم رجع اليّ فوجد حكايتي صحيحة واستمر القاريءُ حتى انشد وقد استشهد :

رسم دار وقفتُ في طلله كدت اقضي الغداة من جلله

فقلت : ايها الشيخ هذا لايجوز والمصراعان على مثل النشيد يخرجان من بحرين لان : رسم دار وقفت في طلله « فاعلن مفاعلن فعلن » وكدت اقضي الغداة من جلله . « مفتعلن فاعلات مفتعلن » فذاك من الخفيف وهذا من المنسرح والمصراع الاول مخروم . فقلت : لا يدخل الخرم على هذا البحر لان اوله مستفعلن ومفاعل هذه مزاحفة عنها فاذا حذفنا متحركاً بقينا ساكناً وليس في كلام العرب ابتداء به وانما : كدت اقضي الغداة بتخفيف .

(١) هذا الحرف ليس في الجمهرة في رواية السيرافي وما فيها لمق الكتاب اي محاه ولمقه بيده ضربه .. انظر ج ٣ ص ١٦٣ - طبعة حيدر اباد .

فأمر بتغييره ودفعني الى جنبه وابتدأ يقرأ عليه كتاب سيبويه باب مايجري وما لايجري الى ان ذكر سحرَ وانه لا ينصرف اذا سحر بعينه لانه معدول عنه . فقلت : ما علامة العدل فيه . قال : لانا قلنا السحرَ ثم قلنا سحرَ فعلمنا ان الثاني معدول عن الاول . قلت : لو كان كذلك ان نطرد العلة في عتمة لانك تقول العتمة ثم تقول عتمة . فضجر وامتد واربد وادعيت انه ناقص والتمس المحاكمة فكتبت اليه رسالة اخذت فيها خطوط اهل النظر كلهم وفيها خط ابي عبد الله بن رزام عين مشايخهم . ورأيت الشيخ بعد ذلك عزيزاً فاضلاً متوسعاً عالماً فعكفت عليه واخذت عنه وحصلت تفسيره لكتاب سيبويه وقرأت صدراً منه عليه .

ثم نقل من روزنامج الصاحب ابن عبّاد قصة عن مُخْتَدَع المغنية جارية أم ابي الفرج محمد بن العباس ولكن فيها ما يؤذي حسن الادب ولهذا السبب اضرب عن ذكرها . الى ص ١١٦ .

ص ١٠٥ ذكر من ولي إمرة دمشق المحروسة في الاسلام او دخلها من الخلفاء وغيرهم مرتبين على حروف المعجم . وهذا أوله ليرى القارئ مافي هذه المقالة من الاخبار .

« الهمزة »

ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي . وليها للرشيد هارون .

ابراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور ابو اسحق المعروف بابن شكلة . وليها لهارون الرشيد .

ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ابو اسحاق القرشي امير المؤمنين بويع له بالخلافة بعد اخيه يزيد بن الوليد الناقص بعهد سنة ...

ابراهيم بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس . وليها للمهدي وولي مصر ايضاً .

ابراهيم بن عبد الوهاب بن ابراهيم الامام الخ وكذا الى آخر الحروف .

ص ١١٦ الى ١٥٣ من كلام مولانا القاضي الفاضل هذه نبذة مهمة من رسائله واشعاره و بها ينتهي الجزء .

وفي آخره مانصه : يتلوه الجزء السادس عشر من هذه النسخة وهو الخمسون من اجزاء

المؤلف بعد البسملة والحمدلة قوله تعالى : (جزاءً من ربك » .

ومن هذا يظهر انه لم يكمل التأليف بهذا الجزء ولكن لا خبر في .

« تصنيف مجهول للصفدي »

بعد أن فرغت من ترجمة الصفدي التي كتبتها في المعلمة الاسلامية (Encydefad De L'islam) وقع في ملكي اربعون ورقة بخط غير قديم من كتاب في خطإ العوام وتصحيف العلماء وعلى الوجه الاول : مؤلف هذا الكتاب الصفدي رحمه الله . وقال بعد الحمدلة والتسليم: اما بعد فان التصحيف والتحريف قل ّ ما سلم منهما كبير . اونجا منهما ذو اتقان ولو رسخ في العلم رسوخ ثبير . اوخلص من معرتها فاضل ولو انه في الشجاعة عبدالله بن الزُبير او عبدالله بن الزَّبير . خصوصاً ما اصبح النقل سبيله والتقليد دليله . فقد صحف جماعة هم أئمة الامة وحرّف كبار بيدهم من هذه اللغة تصريف الأزمّة . منهم من أئمة البصرة اعيان كالخليل بن احمد الخ ثم أورد تصحيفات في القرآن العظيم وبعد بياض تلا تصحيفات المحدثين قال في اول هذا الفصل ما نصه :

فقد دوّن الناس في ذلك جملة وعقد المصنفون لذلك ابواباً في كتبهم وهي مشهورة بين القوم . ومن ذلك ما حكاه ابو احمد الحسن العسكري قال حكى القاضي احمد بن كامل قال : حضرت بعض مشايخ من المغفلين فقال : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبرئيل عن الله عن رجل . فقلت من هـذا الذي يصلح ان يكون شيخ الله .. فاذا هو قد صحفه : واذا هو عز وجل . قال العسكري واخبرني ابو علي الرازي قال: عندنا شيخ يروي الحديث من المغفلين روى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يغسل خصى حمارد . انما هو يغسل حصى جماره . بالحاء المهملة اولاً و بالجيم ثانياً . وروى بعضهم: «الجار احق بصفّته » بالفاء المشددة والتاء ثالثة الحروف . وانما هو «بصقبه» بالقاف والباء الموحدة .

ثم بعد بياض :

وقد صنف الامام الدارقطني مجلداً في تصحيف المحدثين وكذلك العسكري له في ذلك ايضاً .

ثم بياض :

واما تصحيف الفقهاء فهو كثير قال يوماً بعض المدرسين : « ولا يكون النذر الا في

قر ية» قاله بالياء آخر الحروف . وهو بالباء الموحدة مضموم القاف . وقال بعضهم في التنبيه: و يكره القرع و يحب الخيار . وانما هو يكره القزع و يحب بالجيم والختان بالتاء ثالثة الحروف وبعد الالف نون . وقال بعضهم يوماً : وقال الشافعي : ويستحب في المؤذن ان يكون صبياً بالباء الموحدة والياء آخر الحروف . فقيل له : ما العلة في ذلك . قال : ليكون قادراً على الصعود في درج المأذنة . انما هو صيتاً من الصوت . وقال بعضهم ...

بياض آخر :

ثم يلي تصحيف الكتاب وبعد ذلك تصحيف الشعراء .

وفي هامش النسخة عند انقطاع المقدمة : مقدار صحيفتين بياضاً تركه المصنف ثم يبتدئ بحرف الالف رتب هذا الباب فصولاً على الحرف الثاني وآخر حرف في النسخة التي عندي حرف التاء المثناة من فوق ولا شك ان في الاصل اكثر من هذا لان في اسفل الصفحة الاخيرة راقب للورقة التالية ولكن اذ كانت الورقات منزوعة من الكتاب — لا ادري هل كمل المصنف كتابه ام لا وقد نبهت في الترجمة المذكورة على ان الصفدي في آخر عمره صرف من كتب التراجم الى كتب اللغة ولعل هذا التصنيف آخر مؤلفاته ولم يتم . وتدل على ان النسخة اصلاً مأخوذة من مسودة المؤلف كثرة البياضات بين كل فصل ومع هذا اختصر أسماء الكتب التي نقل منها بحروف مكتوبة بالحمرة ولا وجود في المقدمة لما يدل على تعريف هذه العلامات وقد وجدت أسماء بعض الكتب بالمقابلة ولكن تبقى آخر لا ادري اسماءها ولا من صنفها ورجائي ان تكون لاحد قراء المجلة معرفة بالاصل الذي نقلت منها نسختي فانها شامية الاصل بلاشك حيث كانت من جملة كتب الشيخ احمد فارس الشدياق .

ف كرنكو

فصح وشوارد

شطأ الزرع والنخل (ـَـ) شطأً وشطوءاً ، اخرج الشطء وهو فراخ الزرع والنخل وقيل ورقه — ومن الشجر ما خرج حول اصوله ، وكذلك أشطأ .

وفرّخ الزرع ، نبتت أفراخه والفرخ هو الزرع المتهيء للانشقاق وقد فرّخ الشجر اذا أخرج فراخاً كثيرة وهي مايخرج في اصوله من صغاره وقيل فرخ الشجرة الغصن منها . وقال قوم فرخها ما في وسطها من الاغصان .

وشعّب الزرع وتشعّب ، صار ذا شعب اي فرق . وقصّب ، صارله قصب . ونقول للزرع اول مايطلع نجم ثم فرّخ وقصّب ثم أعصف ثم سبّل ثم سنبل ثم أحبّ وألبّ ثم أسفى ثم أفرك ثم أحصد .

وأشعّ الزرع ، أخرج شعاعه وهو من السنبل سفاه اذا يبس ما دام على السنبل .

وأصرّ السنبل ، صار صرراً وهو السنبل بعدما يقصّب او ما لم يخرج فيه القمح الواحدة صررة .

وسنبل الزرع ، خرج سنبله . وأسبل ، اخرج سبولته وهو بمعنى السنبل .

وأقمح البرّ ، صار قمحاً نضيجاً . وقد شُرّب السنبل الدقيق وأشربه اذا صار فيه طعم والشرب فيه مستعار كأن الدقيق كان ماء فشربه .

واشوى القمح ، افرك وصلح ان يشوى . وافرك السنبل اذا صار فريكاً وهو حين يصلح ان يفرك فيؤكل .

وشذّب الجذع ، اصلحه بقطع شذبه وهو قِطع الشجر يقال طار من النخل شذبه اي ما قطع عنه . وكرب الرجل ، اخذ الكرب من النخل وهو اصول السعف الغلاظ العراض التي تقطع معها الواحدة كربة .

وسلأ الجزع ، نزع سُلاءه اي شوكه . وكرنف النخلة ، جرد جذعها من كرانيفه والكرناف اصول الكرب التي تبقى في جذع النخلة بعد قطع السعف .

وسوّج على النخل والكرم اذا احاط عليه بالساج وهو شجر يعظم جداً لا ينبت الا ببلاد الهند وخشبه اسود رزين لاتكاد الارض تبليه .

وتموّه العنب ، امتلأ ماءً وتهيأ للنضج · واجرن ، حان له ان يوضع في الجرين ·
وابرم الكرم ، صار ذا برم وهو حب العنب اذا كان مثل رؤوس الذر ·
وعقّل ، اخرج العُقَّيلى وهو الحصرم ربما سمي بهذا لعقله بطن آكله ·
واشجن ، صار ذا شجنة وهي شعبة من عنقود تدرك كلها ·
وكحّب ، اظهر كحبه وقيل كثر حبه والكحب الحصرم · وانمى ، صار فيه نوامٍ اي قضبان عليها عناقيد ·

وعنّب ، صار ذا عنب · وافعل ، انشق فعاله وتناثر ولم يثمر وهو نور العنب وشبهه وما تناثر منه · واعصى ، اخرج عيدانه ولم يثمر · وقد دمعت الجفنة اذا كثر دمعها وسال فهي جفنة دامعة ·

ورعّل الكرم ترعيلاً ، خرجت رُعلته وهو الطرف الغض من الكرم ·
واحطب ، حان ان يقطع منه الحطب · واستحطب العنب ، احتاج ان تقطع اعاليه ·
واعترش الكرم ، علا على العراش وعرش الكرم ما يدعم به من الخشب · وعوّم ، كبر حمله عاماً وقل آخر ·

وقالوا تبقّل الرجل ، خرج لطلب البقل · واعشب القوم اصابوا عشباً تقول اعشبت ياهذا فانزل وكذلك اعشوشبوا ·

وامرع فلان المكان ، اصاب مريعاً ومنه المثل امرعت فانزل اي اصبت حاجتك فانزل · وتنجّم ، تتبع نجمة النبت واحتفر عنها · واحشّ الكلأُ ، امكن لان يُحشّ ·
وقمل العرفج ، بدا به غب المطر ما يشبه القمل · وصُرّ النبات ، اصابه الصِرّ اي الريح الباردة · وسُمّ ، احرقته السموم فهو مسموم ·

واستروح الغصن ، اهتز بالريح · وغصن مريح ومروح ، اصابته الريح وشجرة مروحة ومريحة ، صفقتها الريح فألقت ورقها ·

واخلفت الشجرة ، انبتت عوض ما قطع منها · وَمشِرت وَمشّرت وامشرت ، خرجت فيها المشرة وهي شبه خوصة تخرج في العضاه وفي كثير من الشجر ايام الخريف لها ورق واغصان رخصة وقيل الاغصان الخضر الرطبة قبل ان تتلون بلون وتشتد — وهي ايضاً الورقة قبل ان تتشعب وتنتشر — وماينتشره الراعي من ورق الشجر بمحجنه ·

وامصع العوسج ، ظهر مصعه وهو حمل العوسج وثمره وهو احمر يؤكل .

واستغلظ الشجر ، استحكمت نبتته وصار غليظاً . وشجّر النبات ، صار شجراً .

وأشطأ الشجر ، أخرج الأشطاء وهي ما خرج حول اصوله .

وصنبرت النخلة ، صارت صنبوراً وهي النخلة دقت من أسفلها وانجرد كربها وقلّ حملها — والمنفردة من النخيل — والنخلة تخرج من اصل النخلة الاخرى من غير ان تُغرس . .

وأعبل الشجر ، كان ذا عَبل ويقال أعبل الأرطى اذا غلظ هدبه في القيظ واحمرّ وصلح ان يدبغ به والعَبَل كل ورق مفتول غير منبسط كورق الطرفاء – وثمر الارطى وهدبه اذا غلظ وصلح ان يدبغ به وقيل الورق الدقيق وقيل الطالع والساقط منه (ضد) .

وقصّد العرفج وأقصد ، أخرج القصد وهو أغصانه الناعمة وقيل القصَدة من كل شجرة شائكة ان يظهر نباتها اول ما تنبت .

وأفتل السَلم والسمُر ، أخرج الفتلة وهي حب السلم والسمر خاصة وذلك اول مايطلع .

وأزنم الشجرُ ، صار له زنمة . وأسرد النخل ، صار ذا سرادٍ وهو الخَلال الصاب والخلال هو البسر اذا اخضر واستدار .

وتربّل الشجر ، أخرج الربل وهو ضرب من الشجر ينفطر آخر القيظ بعد الهيج ببرد الليل من غير مطر .

وارشى الحنظل ، امتدت أغصانه تشبيهاً له بالارشية

وأصنى النخل ، أنبت الصنوان واذا خرج نخلتان او اكثر من اصل واحد فكل واحدة منهن صِنْو والاثنان صِنْوان وصُنيان والجمع صِنوان وقيل الصِنو عام في كل فرعين يخرجان من اصل واحد في النخل وغيره .

وسَيِفت النخلة تسيَف سَيَفاً ، كان فيها السيف وهو ما لزق باصول السعف من خلال الليف وهو أردأه وأخشنه وأجفاه وكذلك انسافت .

« النبك » سالم خليل رزق

آراء وافكار

حول الجزء السابع والرابع
« من إرشاد الأريب »

قد نشر الأديب الفاضل محمد راغب الطباخ رسالة هذا عنوانها في العدد الثامن من المجلد التاسع من المجلة (ص ٥٠٤) يطعن في صحة نسب هذين الجزءين لياقوت واني أعترف بان لشكوكه اصلاً واساساً وقد ذكرت أمثالها في مقدمة الطبعة الثانية من الجزء الثالث ويجب عليّ ان أسرد الاسباب التي حسّنت لي اضافتهما على رثاثتهما الى الأجزاء الثمينة ٠

اولها ورود تراجم عدة في الجزء السابع قد وردت في بغية الوعاة للسيوطي منسوبة لياقوت ولو فرضنا ان مزوّراً نقلها عن البغية فصحة نسبها لياقوت ثابتة على كل حال ٠

والثاني ما جرى في الجزء السابع من ذكر أخبار وتواريخ تتعلق باحوال ياقوت يستبعد صدورها عن غيره منها ص٢٠٩ (وقد أدركت نصر بن الحسن صغيراً ولم ألقه وتوفي سنة ٥٨٨) وهذا يشبه ما قاله ياقوت في الجزء السادس ص ٢٣٠ (مات المبارك ابن المبارك سنة ٥٨٥ أدركت زمانه ولقيت ببغداد أوانه الا انني لم أره لصغر السن) ومنها ص ٢٨٠ انه كان بالموصل سنة ٦١٣ وقد ذكر ابن خلكان في ترجمة ياقوت انه كان بالموصل سنة ٦١٣ ثم أورد ابن خلكان لياقوت رسالة طويلة زعم انه كتبها من الموصل في سنة ٦١٧ حين وصوله من خوارزم طريد التتر وقال ابن خلكان (وصادف وهو بخوارزم خروج التتر وذلك في سنة ٦١٦ فانهزم بنفسه ٠ ونقلت من تاريخ اربل الذي عني بجمعه ابوالبركات ابن المستوفي ان ياقوتاً قدم اربل في رجب سنة ٦١٧ وكان مقيماً بخوارزم وفارقها للواقعة التي جرت فيها بين التتر والسلطان محمد بن تكش خوارزمشاه) ٠ وقال مؤلف الجزء السابع ص ٢٦٨ (وتوفي في السنة التي عدتُ فيها من خوارزم الى الموصل سنة ٦١٨) ٠ ولو اخذ مزور التاريخ من كتاب ابن خلكان لجعله سنة ٦١٧ وكتب ياقوت في مادة خوارزم من معجم البلدان (واما الآن فقد بلغني

ان التتر صنف من الترك ورودها سنة ٦١٨ وخربوها وقتلوا أهلها) وقال صاحب سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ص ٩٢ (ذكر حصار التاتار خوارزم في ذي القعدة سنة ٦١٧ واستيلائهم عليها في صفر سنة ٦١٨) . وغلطة مؤلف الجزء السابع في تاريخ عودة ياقوت الى الموصل توافق غلطة ياقوت في تاريخ ورود التتر خوارزم وهذا اتفاق يدل على ان مؤلف الجزء السابع هو ياقوت . وقال مؤلف الجزء السابع ص ١٧ (انتقل الى مصر وانا بها سنة ٦٢٤) . وقد ذكر ياقوت سنة ٦٢٥ وسنة ٦٢٦ في الجزء السادس (ص٣٦٥ وص١٨٥) فكأنه لم يزل يدخل زيادات في إرشاد الاريب الى انقضاء عمره وقال ابن خلكان في الترجمة (أقام بالموصل مدة مديدة ثم انتقل الى سنجار وارتحل الى حلب وأقام بظاهرها في الخان الى ان مات) واقامته في الخان المذكور لاتنافي ذهابه الى مصر في وقت من الاوقات ولو اخذ مؤلف اخباره من ترجمة ابن خلكان لم يكن ليذكر مثل ذلك . والثالث وفاء الجزء السابع بوعود جاءت في الاجزاء السابقة منها في الجزء الخامس ص١٩٠ (فقال ابو محمد اليزيدي : (كنا نقيس النحو فيما مضى) الخ الابيات في اخبار اليزيدي) وهي موجودة في الجزء السابع ص ٢٩٠ وقال في الجزء السادس ص١٤١ (الفضل بن محمد بن ابي محمد اليزيدي وقد ذكرنا نسبه ونسب اهله والسبب الذي لاجله سموا اليزيديين في باب جده ابي محمد يحيى ابن المبارك) وقد جاء ذلك في الجزء السابع ص٢٨٩ وقال في الجزء الخامس ص٤٤٠ (علي بن هارون بن علي ابن يحيى المنجم قد ذكرنا اباه هارون واجداده في مواضعهم من الكتاب) وترجمة هارون موجودة في الجزء السابع ص ٢٣٤ .

وقد وعد باشياء لم يف بها مؤلف الجزء السابع منها في الجزء الخامس ص ٢٨٨ (له مدح في الزمخشري ذكرته في ترجمته) . وفي الجزء السادس ص٢٨ : (يعقوب ابن احمد المذكور في بابه) والاغلب على ظني ان الجزء السابع مختصر اختصره رجل كان عنده نسخة كاملة فحذف منها اشياء لم يرغب في تخليدها وأضاف تراجم كان نقلها عن كتاب الشعراء لياقوت . واما الجزء الرابع فهو على كل حال مختصر وقد ذكرت في مقدمتي له ما يدل على انه لياقوت .

وارجو ان يقبل الاديب الفاضل عذري ؛ يجيز لي ان اذكره المثل السائر (بعض

الشر أهون من بعض) وأنْ أكمل تأليف ياقوت تكميلاً لا يسد كل خلل أهون عليّ من تركه ناقصاً نقصاناً ظاهراً ولن أزال ممتثلاً امره بالتنقير عن نسخ هي أكمل واصح من التي اضطررت الى النقل عنها ٠

اكسفرد : د ٠ س ٠ مرجليوث
عضو المجمع العلمي

العربة

« هل هي من وضع ابن بطوطة ؟ »

هل ابن بطوطة من اهل اللغة ؟ وهل هو الذي وضع لفظ (عربة) ؟ ! ذلك ما نبادر الى ذهني عند مطالعة جواب الصديق الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف (مجلة المجمع ٩ : ٣٥٦) على اقتراح الاستاذ الشيخ عبد القادر « المغربي » في الكلمات غير القاموسية ٠ فاني اعلم حق العلم ان الرحالة ابن بطوطة ليس هو من أئمة اللغة بل ليس هو الذي وضع مثل (العربة للعجلة التي نقل الركاب) والقبرية التي سماها المبرّد (الشاهدة ا وهو مايوضع على القبر من كتابة ونحوها وهي شائعة متداولة في لهجة العامة بحلب ويجمعونها) على شواهد ٠ فان ابن بطوطة ليس بعالم ولا مفكر [1] ولا ريب في ان رحلته سهلة الانشاء ساذجة التعبير تكاد تجارر الانشاء المنحط احياناً فتبدو خالية من قيد التأليف والترتيب [2] وانما يعود الفضل في تعريبها واحكامها الى ابن جزي الكلبي الاديب المشهور ٠

وقد كان حضرة الصديق الاستاذ الاب انستاس الكرملي ذهب الى ان (العربة) تركية الاصل في نقده على الشيخ ابرهيم اليازجي قال في مجلة المشرق (٥ : ٥١٩) وكثيراً ما يستعمل كلة (عربة) بمعنى مركبة وعجلة وهي تركية الاصل !! ودون هاتين اللفظتين فصاحة قال ابن بطوطة في رحلته في كلامه على بلاد الترك « وهم يسمون العجلة (عربة) بعين مهملة وراء و باء موحدة مفتوحات » ولا إخال ذلك صواباً ٠ قال الامام عيسى بن علي في معجمه السرياني العربي في ترجمة مادة (ابزرا)

---

(١) الروائع في ابن بطوطة ٠ (٢) الروائع في ابن بطوطة ايضاً ٠

على اللفظ الشرقي (وابزرا) جناح دولاب العربة . وانت خبيران عيسى بن علي من أركان دار الترجمة ببغداد في العهد العباسي اي في أواخر العصر التاسع للمسيح . فكلمة (العربة) قديمة العهد سبقت ذاك العصر ولو لم تكن مشهورة متداولة في عهد ابن علي المشار اليه لما كان فسر بها بعض لفظ ابزرا الارامي السرياني . ولا إخالها فارسية دخلت الارامية ولعلها ارامية سريانية فانها في هذه اللغة (عربا) اى العربة على ما روى ابن علي السابق الذكر . فهي والحالة هذه — قبل ابن بطوطة باعصار كما هو ظاهر .

ومن بحث عن العربة في معاجم اللغة الارامية السريانية رأى ابن علي يقول في مادة (ابزرا) على اللفظ الشرقي جناح دولاب العربة . وقال بعده ابن بهلول من لغويي القرن العاشر للميلاد في مادة ابزرا جناح العربة . وقد ذكر ابن علي عربا على اللفظ الشرقي[1] بمعنى العربة (العجلة) كما مر بك آنفاً . واما في مادة عربا فقال معصرة الزيت و يقال اناء الزيت . وقال وعربا ايضاً العربة وهي الرحى التي تكون في الزورق في الماء . وقال ابن بهلول عربا اناء الزيت ومعصرة والعربة التي يطحن بها . واما لغويو السريان الحدثاء كيعقوب منّا الكلداني فقد قال في معجمه في مادة ابزرا سجل صك ٢ جناح دولاب العربة (وهو لفظ ابن علي كما رأيت) ٣ أداة محراث الفدان ٤ بزّار بائع البزر ٥ آلة حياكة . وقال في عربا مؤنثة غرب خلاف صفصاف ٢ غرب ٣ عربة طاحون رحى يديرها الماء ٤ قصعة معجن جفنة طويلة ٥ نقير حجر اجانة معصرة . وقال قبله العلامة القرداحي في لبابه في مادة بزر (وابزرا) ايضاً دولاب العربة والبزّار (اي بياع البزر) والمحراث عن ابن بهلول وقال في مادة عرب عربا المغرب والمعجن اي ما يعجن فيه وعربا بالجمع الغرب وعربا ايضاً الحمص اه .

وقال العالم احمد وفيق باشا في معجمه (اللهجة العثمانية) عَرَبَة خطأ محض . لان العين لا وجود لها في اللغة التركية ولعل المراد (ارابه‌در) وألحقها بحرف (ن) اي فلنتظر او فلتحرر عن مجلد ٢ ص٨٠٤ وهذا يؤكد ما سبق وقلته لا اظن العربة من

(١) اعتمدت هذا اللفظ فيما نقلته عن الارامية السريانية اقتداء بالعرب القدماء الذين عربوا ما عربوه بهذا اللفظ الشرقي مثل برنساء وما اشبه .

أصل تركي . وقال الاستاذ الزبيدي في تاج العروس في (فصل العين من باب الباء عرب) (و) العربات (سفن رواكد في دجلة) النهر المعروف واحدتها عربة (مجلد ١ ص ٣٧٦) وهذا يحقق ماقاله لغويو السريان جناح دولاب العربة في الماء و يرجح ان اللفظ أعجمي . وقد كان معروفاً في بغداد خاصة ولما كانت العجلات من أعتاد الحرب عند الشعوب القديمة فقد توسعوا في معنى العربة فنقلوها من معنى الرحى التي تكون في الماء وما أشبه الى معنى المركبة او العجلة التي تدار على دولابين او اكثر فعرفت بهذا المعنى .

ومهما يكُ من الامر فقد ثبت من هذا البحث اللغوي ان العربة بمعنى العجلة اوالمركبة قديمة العهد قد سبقت ابن بطوطة بازمان طويلة وانها دخيلة في اللغة العربية واللغة التركية ولعلها آرامية سريانية و يراد بها الرحى او العجلة التي تدور على دولابين او اكثر ونقل الركاب .

و بهذا القدر غنى وكفاية في تحقيق اصل كلمة وقدمها العهيد .

حلب : الخوري جرجس منش
عضو المجمع العلمي

الإران و (بيدص)

قرأت تعليق صديقي الأستاذ « المغربي » على كلمة (إران) التي وجدت مرقومة على بعض التوابيت الحجرية الفينيقية (مجلة المجمع م ٩ ص ١٤٨) فذكرتُ بعدها ان قرويي فلسطين لا يزالون يسمون التابوت الحجري بالـ (ران) بلا الف و يجمعونها على رانات فالظاهر ان هذه التسمية انصلت اليهم مما كان منقوراً في تلك التوابيت من الامم الفينيقي .

وتكثر هذه الإرانات عند آبار المياه في القرى اذ يمتاحون الماء بالدلاء و يضعونه فيها لسقي ماشيتهم .

على ان الران في اللغة العربية ضرب من الأحذية · قال الفيروزابادي في مادة الرين : (الران كالخف الا انه لا قدم له وهو أطول من الخف) ·

وقرأت في مجلة مجمعنا العلمي المقال الممتع الذي كتبه زميلي الاستاذ الشيخ سليمان ضاهر عن (صلة العلم بين دمشق وجبل عامل) فاستوقفني توقفه في حاشيته على مقتل محمد بن مكي بن حامد العاملي الجزيني (م ٩ ص ٢٧٨) — ان يكون بيدمر الخوارزمي حياً في سنة ٧٨٦ التي قتل بها في حين ان ابن الوردي يذكر ان بيدمر البدري نائب حلب قتل في سنة ٧٤٨ هـ ١٣٤٧ م كأن الاستاذ يظن انهما واحد والصواب ان بيدمر الخوارزمي لم يل نيابة السلطنة قبل سنة ٧٦٠ هـ ١٣٥٩ م اي بعد مقتل سميه البدري باثني عشر عاماً · فقد ولي الخوارزمي النيابة بحلب ثم بالشام اي دمشق[1] وشق عصا الطاعة في الأخيرة ثانية بعد أولى · ثم أفرج عنه وأعيد لنيابة الشام وكان بها سنة ٧٨٦هـ ١٣٨٤م وفي تلك السنة ذهب لزيارة الملك الظاهر برقوق ونال الحظوة لديه وعاد الى دمشق ·

فبيدمر الخوارزمي هو غير بيدمر البدري بل هناك معاصر ثالث لهما يدعى بيدمر الجدي كان شاد القصر السلطاني في سنة ٧٩١ هـ ١٣٨٩ م ·

زد على ذلك ان محمد بن مكي بن حامد كان في سجن دمشق عاصمة المملكة الشامية ولا سلطان لنائب حلب عليه لانه في مملكة أخرى ·

عبد الله مخلص
عضو المجمع العلمي

---

(١) كان في بلاد الشام سبع ممالك يديرها نواب السلطنة المصرية وهي : الشامية وعاصمتها دمشق والحلبية والحماوية والكركية والطرابلسية والصفدية والغزاوية وعواصمها المدن المسماة بها اي حلب وحماة والكرك وطرابلس وصفد وغزة وقد نقلناها باسمائها الرسمية المعروفة والمدونة في تلك الايام وان كانت جاءت النسبة ببعضها على غير القياس ·

مطبوعات حديثة

مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين

« تأليف الامام ابي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري المتوفى سنة ٣٢٤ »

« الجزء الاول في الجليل من الكلام عني بتصحيحه الاستاذ ه · ر يتر »

« وطبع في مطبعة الدولة في استانبول سنة ١٩٢٩ عدد صفحاته ٣٠٠ »

هذا كتاب من الامهات القديمة في الملل والنحل كتب قبل كتب الشهرستاني وابن حزم وعبدالقاهر البغدادي فكأنه المصدر الاول الذي استقى منه هؤلاء الثلاثة الذين وصلت الينا مؤلفاتهم في المذاهب الاسلامية « سلك سبيلاً بعيدة من التعصب والتحيز الى فئة وترك مااختاره بعض المتأخرين من التشنيع على المخالفين وتكفيرهم ولعنهم » على ماقال الناشر · وقد قدم له مقدمة بديعة بالعربية ذكر فيها رأيه في الكتاب والاصل الذي نقل منه وغير ذلك من الفوائد التي دلت على إحاطته بعلم الكلام الاسلامي · وقد صححه معارضاً له على بعض المظان بحيث تكفي نظرة واحدة من المطالع على صفحة منه ليدرك مبلغ الجهد الذي يجهده علماء المشرقيات في نشر آثار سلفنا الصالح · وبعد هذا ألا نغتبط باحياء هذا الكتاب ويحق علينا ان ننسج عبارات الثناء على ناشره العالم المحقق · م · ك

الرحلة العلمية

« في العواصم الشرقية والغربية »

— للدكتور فؤاد غصن في بيروت صفحة ١٢٨ —

نُدب هذا الطبيب الأديب الى درس الطب الشرعي عند بعض الامم فزار فلسطين ومصر وباريز وبرلين ولندرا وذكر شيئاً من نهضتها في العلوم الطبيـة ووصف العواصم التي زارها وصفاً مختصراً يلمّ به القاريء الماماً خفيفاً بتاريخها وحاضرها · وقد عني عناية خاصة بذكر من احتفوا به ودعوه الى طعامهم من التجار والاطباء وغيرهم على صورة ذكرتنا بما أَلِفه العلامة الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلاته من التنويه بمن أولموا له

ولائم وذبحوا له الخرفان وبذلوا له الرغفان . ولكن النابلسي كتب منذ مائتي سنة والدكتور فؤاد غصن متشبع بالروح العصري وهو ينسج على منوال من كان أفقهم ضيقاً . وحبذا لو كان تجنب مثل ذلك واخذ في رحلته على الاقل باسلوب ابن جبير وابن بطوطة اللذين دوّنا رحلتيهما في القرون الوسطى وخلتا من هذه الانانيات . م . ك

الدروس العربية للمدارس الثانوية

« تأليف كل من الاستاذين عبد الله مشنوق ومحمد طاهر اللاذقي طبع في »
« بيروت سنة ١٩٢٩ م وهو يشتمل على ١٦٣ صفحة »

قال المؤلفان في مقدمة هذا الكتاب : (اخترنا القطع المناسبة المفيدة لمشاهير الكتاب في فنون متنوعة وباساليب مختلفة وعرفنا المشهور من رجالها . ثم أردفنا ذلك بشرح غريب الألفاظ وطالبنا التلميذ باستعمال بعضها في تراكيب عربية صحيحة ثم اتبعناها باسئلة ليستعين بها الطالب على استذكار ما قرأه الخ) فالكتاب إذن كتاب مدرسي يمرن به الطالب على الفصاحة والبلاغة علماً وتطبيق ما كان تعلمه من القواعد عملاً .

ومؤلفا الكتاب من خيرة العاملين في نشر التربية والتعليم اولهما مدير مدرسة البنين الاولى لجمعية المقاصد في بيروت والآخر مدرس العربية في المدرسة نفسها . فلا غرو ان يقع تأليفهما الموقع اللائق به من نفوس مديري المدارس واساتذتها فيقبلوا على تدريسه فانه بذلك جدير .

الفقيد العظيم

هو المرحوم فوزي بك الغزي أستاذ الحقوق الدولية في معهد الحقوق بدمشق المتوفى في ٦ تموز سنة ١٩٢٩ . وقد جمع تلميذه السيد لطفي اليافي احد طلاب الحقوق نبذاً من تاريخ حياته وخطبه وكلماته المأثورة وصورة عن الدستور السوري الذي وضع قواعده الفقيد وبعض مراثيه ووصف موكب جنازته وطائفة من رسومه — جمع كل ذلك في كتاب بلغ ١٨٠ صفحة مطبوعة طبعاً حسناً . والكتاب جدير بالمطالعة كما أن جامعه جدير بالشكر .

الجزء ١٢ المجلد ٩

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : كانون الاول سنة ١٩٢٩ م   الموافق رجب سنة ١٣٤٨ هـ   ٧٠٨

بشار بن برد[1]

لما قامت الدولة العباسية على أثر سقوط الدولة الأموية اخذت الحضارة العربية شكلاً غير شكلها الاول : فالأوضاع الادارية تبدلت . والنزعات العقلية تغيرت . ودائرة العلم والفن والترف انفسحت وتوسعت . وقد دعا كل هذا الى ظهور نهضة جديدة في الشعر والأدب فاقت ما تقدمها من النهضات . واتفقت كلمة كتّاب تاريخ الآداب العربية على ان حامل لواء الشعر في صدر الدولة العباسية هو (بشار بن برد) .

ولكن أتظنون ان بشاراً يرضى بهذا ؟؟ فهو يزعم انه لو كان في عهد الجاهلية لبذّ فحولها . وأبرّ على شعرائها : فمما أُثر عنه انه قال (أزري بشعري الأذان) . كنى بالأذان عن الاسلام لأنه من أعظم شعائره . يريد ان ظهور الاسلام بقرآنه وبلاغة آياته غطّى عليه . وحال دون شهرته . والا فلو كان في زمن الجاهلية وقبل نزول القرآن لكان له شأن غير هذا الشأن .

(نسب بشار ونشأته) : برد ابو بشار فارسي الاصل من بلاد طخارستان ويظهر من قول جغرافيي العرب وجعلهم كابل من ثغور طخارستان أن طخارستان هي بلاد الافغان او انها كورة كبيرة منها . جاء برد البصرة في جملة سبي المهلب بن ابي صفرة فأهدته امرأة المهلب الى صديقة لها من بني عُقَيل . فأعتقته العقيلية . وتزوج برد . فوُلد له بشار . فكان

(١) محاضرة القاها الاستاذ «المغربي» في ردهة المجمع بتاريخ ٣٠ ايار سنة ١٩٢٤ م

بشار مولىً ولم يكن عربياً . ونشأ في بني عُقيل الأعراب الاقحاح فاستحكمت فيه ملكة اللغة العربية الفصيحة .

ولد بشار في أخريات ايام دولة الأمويين اي في حدود المئة للهجرة . ولما قام العباسيون كان في طور الشباب فهو من مخضرمي الدولتين اي انه عاش في زمنيهما . لكن اشتهاره بالشعر انما وقع في عهد المنصور العباسي ثم في زمن ابنه المهدي . وقتله المهدي سنة مئة وثمان وستين للهجرة للأسباب الآتي ذكرها — بعد ان عاش سبعين ونيفاً من العمر . وكان ضخم الجثة طويلاً آدم اللون مجدوراً عظيم الخَلق والوجه وقد ولد أعمى وكانت حدقتاه جاحظتين (اي ناتئتين) وقد تغشاهما لحم احمر . فكان أقبح العميان عمىً . وأفظعهم منظراً . وما أقرب الشبه وأبعده بين بشار وابي العلاء المعري : الشبه بينهما قريب من حيث ان كلاً منهما ولد أعمى او عمي بالجدري وهو صغير . ثم لما تعلقا بالأدب والشعر ساعدهما عمى عين البصر على انفتاح عين البصيرة . فانصرفت مخيلتهما بكليتها الى سمو التصور الفكري . والإبداع في التخيل الشعري . حتى بلغا في ذلك مبلغاً ينحط عنه السيل . ولا يرقى اليه الطير . وقد تشابها ايضاً من حيث انطلاق فكرهما . مما تقيد به غيرهما : فذهبا في التصريح فيما يعتقدانه كل مذهب . ومن جراء ذلك رُميا بالكفر ونسبا الى الزندقة .

هذا وجه التشابه بينهما اما وجه التباين والتخالف فظاهر في أن بشاراً كان فارسي النجار . اما ابو العلاء فكان عربياً قحّاً . وكانت فلسفة بشار فلسفةً مادية باطلة . حاشا فلسفة ابي العلاء فان فلسفته روحيةٌ فاضلة . وكان معظم شعر بشار فيما يثير الشهوة ويهون أمر الرذيلة . بينما كان ابو العلاء شريف النفس عفيفاً موفور الكرامة . ومعظم شعره فيما يثير حب العمل الصالح في النفس ويحض على ممارسة الخير والفضيلة والتأمل في أسرار الكون ونواميس الاجتماع .

كان برد والد بشار طياناً حاذقاً بالتطيين . فلما ولدله بشار كان يقول مارأيت مولوداً أعظم بركة منه . ولقد ولد لي وما عندي درهم فما حال الحول حتى جمعت مائتي درهم . ثم قال بشار الشعرَ وهو صغير في حياة ابيه . فكان اذا هجا قوماً جاؤا أباه وشكوه اليه فيضربه ضرباً مبرحاً . فكانت أمه تقول له : الى كم تضرب هذا الصغير ؟ اما ترحمه ؟

فيقول بلى والله ولكنه يتعرض للناس فيشكونه اليّ . فسمعه بشار يوماً يقول هذاالقول لأمه فهتف به : يا أبت ! ان هـذا الذي يشكونه مني اليك هو قول الشعر . واني ان ألمتُ به أغنيتك وسائر اهلي . فان شكوني اليك بعد الآن قل لهم : أليس الله يقول : (ليس على الأعمى حرج) . فلماعادوا وشكوه قال لهم برد : أليس الله يقول : (ليس على الاعمى حرج) فانصرفوا وهم يقولون « تالله لفقه برد أغيظ لنا من شعر بشار » .

من هذه الساعة . من حضن العائلة . من بين ذراعي الأب والأم اختط بشار لنفسه خطة التهجم على الاعراض توسلاً الى الكسب واغناء اهله .

وطريقته هذه هي نفس طريقة (الحطيئة) الشاعر الجاهلي من حيث ان كلاً منهما اتخذ الهجوَ وهتكَ أعراض الناس وتهديدهم باذاعة أسرارهم — طريقاً الى جر مغنم او دفع مغرم . وهذه الطريقة هي ماتسميه أدباء الافرنج (شانتاج) ويظهر ان في شعرائهم كثيرين مشوا على هذه الطريقة الملعونة .

وقد عرف بشار وهو صغير جريراً الشاعر وسمع شعره . فهاج في نفسه الشاعرية وحبب اليه الاشتهار بالشعر . وارتأى ان ينال هذه الشهرة على حساب جرير . وحاول ان يهجوه فيردّ عليه جرير . فيشيعَ ذكره . ويعظم امره . لكن جريراً أعرض عنه استخفافاً به . قال بشار : (ولو هاجاني لكنت أشعر الناس)

وكان لبشار أخوان قصابان وهما (بشر و بشير) فكانا يستعيران ثياب اخيهما الاعمى بشار ويلبسانها في مهنتهما . فتتسخ وتنتن ريحهـا . وكان هو باراً بهما . صبوراً على أذاهما . وفي آخر الامر اتخذ لنفسه ثياباً خاصة . وحلف ان لا يعيرهم اياها . فكانوا يأخذونهـا بغير اذنه ويلبسونها . فكان اذا أعياه الامر لبسها وخرج الى الناس بها على نتنها ووساختهـا . فيقال له ماهذا يا أبا معاذ ؟ (وهي كنيته) . فكان يقول لهم « هذه ثمرة صلة الرحم ! ! ! » .

(اخلاقه واطواره) : كان بشار كثير التلوّن لاثبات له ولاسيما في امر نسبه وعروبته وشعوبيته : فهو تارةً يفتخر بولائه للعرب . وطوراً يتبرأ منهم ويتعصب للعجم . وآونةً يتبرم بالفريقين . ولسان حاله ينشد قول زميله ابي العلاء المعري الذي قال بعد التجربة :

(لعمري لقد جرَّبتُ عجباً كثيرة وعرباً : فلا عجباً حمدت ولا عربا)

وكان من أشد الناس تبرماً بالناس . وكان يحمد الله على العمى . فيقال له ولما ذا يا أبا معاذ ؟ فيقول لئلا ارى الثقلاء . وكان اذا اراد ان ينشد شعراً صفق بيديه وتنحنح وبصق عن يمينه وشماله ثم ينشد فيأتي بالعجب .

اما مذهبه الفلسفي الذي كان السبب في تهمته بالزندقة فهو ملخص في هذه الجملة التي كان يقولها « انا لا أعرف الا ما عاينته . او عاينت مثله » فالرجل على ما يظهر من كلمته هذه كان مادياً لا يعرف الا المادة . والمدركات المحسوسة . فمذهبه هذا يقرب من المذهب الفلسفي الحديث وهو مذهب الحاسيّين اوالتجريبيين . ومؤسسا هذا المذهب باكون وديكارت . وقد يكون الذي حمل بشاراً على هذا المذهب غلوّ المنطعين من الجلجلوتيين والحشويين . وشدّ ما كان هؤلاء الحشويون الذين يكذبون على الدين سبباً في تبرم العقلاء . وسوء ظن الفضلاء : مر بشار بقاص من هؤلاء الحشوية يقص في المسجد فسمعه يقول : من صام رجباً وشعبان ورمضان بنى الله له قصراً في الجنة : صحنه الفُ فرسخ في الف فرسخ . وعلوه الفُ فرسخ . وكل باب من ابوابه عشرة فراسخ في مثلها . فالتفت بشارٌ الى قائده وقال : (بئست والله هذه الدار في شهر كانون الثاني) يعني انها لفرط سعتها لا تدفأ . فبسبب هذه الحكاية قد يتهمون بشاراً انه ينكر وجود الجنة . والحق انه انما ينكر على هؤلاء القصاص الحماقات التي يبرء الاسلام منها .

و يشبه هذا ان بشاراً كان ينتظر يوماً الاذن على المهدي والمهدي في مجلس الخلافة وكان مع بشار في الانتظار آخرون وبينهم مولى من موالي المهدي المتملقين اسمه (المعلّى ابن طريف) فسأل المعلى عن معنى تفسير قوله تعالى (وأوحى ربك الى النحل) الى قوله (يخرج من بطونها شراب) — ما هو النحل ؟ وماهو الشراب ؟ فسكت الحاضرون لكن بشاراً لا يهاب احداً فأجابه : النحل معروف والشراب هو العسل . قال هيهات : النحل بنو هاشم والشراب الذي يخرج من بطونهم هو العلم هو العلم . فلم يطق بشار صبراً فقال له : « جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم » فغضب الرجل وضج الحاضرون وبلغ الخبر الخليفة المهدي فدعا بهما وأعاد عليه القصة فضحك . والتفت الى الرجل وقال له حقاً انك بارد غث .

وكان ينشد المهدي يوماً وفي المجلس خال المهدي يزيد بن منصور الحميري فلما فرغ بشار أقبل عليه يزيد وسأله (ياشيخ ماصناعتك ؟) قال أثقب اللؤلؤ . فضحك القوم فقال المهدي ويلك أتتنادر على خالي ؟ قال وما اصنع يا امير المؤمنين ! يراني شيخاً اعمى انشد الخليفة شعراً فما عسى تكون صنعتي سوى الشعر .

فغباوة هؤلاء الاغبياء جعلته يدفلت بكلمات حسبوها عليه زندقة . ورب زندقة انتجتها مخرقة .

(فضله وفصاحته وتمكنه من اللغة العربية) : قال الجاحظ في (البيان والتبيين) « بشار من المطبوعين اصحاب الابداع والاختراع المتقنين في الشعر الآخذين في اكثر اجناسه وضروبه » . وقال نجم ابن النطاح « عهدي بالبصرة وليس فيها غزل ولاغزلة الا وهو يروي من شعر بشار . ولا نائح ولانائحة ولا مغنية الا تتكسب بشعره . ولا ذو شرف الا وهو يهابه . ويخاف معرة لسانه » . وقال المبارك لبشار « ليس لاحد من شعراء العرب شعر الا وفيه المستكره المشكوك فيه من الالفاظ سوى شعرك » قال : ومن اين يأتيني الخطأ وقد نشأت في حجور ثمانين شيخاً من فصحاء بني عقيل . وان دخلت الى نسائهم فنساؤهم أفصح . ثم أيفعت فأبديت (اي دخلت البادية) الى ان ادركت . فمن اين يأتيني الخطأ ؟

قال بعضهم : سألت ابا عبيدة عن السبب الذي من اجله شدد المهدي في نهي بشار عن شعر الغزل والنسيب قال : كان اول ذلك افتتان نساء البصرة وشبانها بشعره حتى قال القاضي سوار ومالك ابن دينار : ما شيء ادعى لاهل البصرة الى الفسق من اشعار هذا الاعمى .

وكان واصل بن عطاء يقول : ان من اخدع حبائل الشيطان واغواها كلمات هذا الاعمى الملحد . فلما كثر ذلك وانتهى خبره الى المهدي من عدة جهات نهاه المهدي عن الغزل والتشبيب . وكان المهدي شديد الغيرة . قال : فقلت لابي عبيدة : ولكن ما احسب ان شعر بشار أبلغ في التشبيب والغزل من شعر عشاق العرب : (عروة بن حزام) و (مجنون ليلى) و (كثير عزة) و (جميل بثينة) — قال : ليس كل من يسمع أشعار هؤلاء يفهم المراد منها . اما بشار فيقارب النساء . حتى لايخفى عليهن ما يقول في شعره .

وايّ حرة حصان تسمع قول بشار ولا يؤثر في قلبها فكيف بالمرأة الغزلة . والفتاة الطُلَعة .
ثم انشده ابوعبيدة قصيدة بشار التي قال فيها :

(قولي لها بقـة لها ظفر ان كان في البق ما لها ظفر)

أما تمكن بشار من العربية فذكروا له شواهد : منها انه كان له صديق اسمه (دَيْسم العنزي) فبلغ بشاراً ان ديسماً هذا يروي شعراً لخصوم بشار في هجوه فغضب وقال :

(أديسم يا ابن الذئب من نجل زارع أتروي هجائي سادراً غير مقصر)

سئل ابو زيد الانصاري عن معنى هذا البيت ؟ فسألهم ولمن هو ؟ قالوا لبشار . قال : قاتله الله ما اعلمه بكلام العرب ! ثم فسره لهم فقال (ديسم) اسم الرجل صديق بشار وهو في اصل اللغة اسم لولد الذئب من الكلبة . كما ان (العِسبار) ولد الضبع من الذئب و (السِمع) ولد الذئب من الضبع . فقول بشار لصاحبه (أديسم يا ابن الذئب من نجل زارع) هو بمنزلة قوله له : اسمك ديسم وليس الديسم سوى ولد الذئبَ من الكلبة . فأبوك ذئب وأمك كلبة . وقوله من نجل زارع . اي من نجل الكلاب . والعرب تسمي الكلاب (اولادزارع) لماذا ؟ لانهم يلقون اقذارهم في الطرقات و يزرعونها هنا وهناك .

ومن الشواهد على دقة نظر بشار في الشعر وشدة نقده له انه لما انشد مناظره في الشهرة الشعرية : مروان ابن ابي حفصة قوله :

(واذا قلت لها جودي لنـا خرجت بالصمت عن لا ونعم)

قال له مروان : (هلا قلت « خرست بالصمت » مكان خرجت بالصمت) فقال له بشارَ (إذن انا في عقلك !! فض الله فاك !! أأتطيَّر على من أحب بالخَرَس) ؟؟

وكان بشار يجذب قلوب الناس اليه فكانوا يترددون الى مجلسه لمشاهدة خلقته وسماع شعره . وحسن نادرته . فكان في كل امره معجباً . وكان النساء المتظرفات يدخلن عليه في الاسبوع مرتين فيجتمعن عنده ويسمعن من شعره ويطارحنه النوادر . قالت له احداهن مرة (ايُّ رجل انت لو كنت اسود اللحية والرأس) قال : (لو علمتِ ان بيض البُزاة أثمن من سود الغربان) قالت (أما قولك فحسن في السمع . ومَن لك بان يحسن شيبك في العين . كما حسن قولك في السمع) فكان بشار يعيد قولها ويتعجب من حسنه . ويقول انه لم يفحمه في حياته غيرها .

(كثرة شعره) : قلنا ان بشاراً نظم الشعر وهو ابن عشر سنين ثم عاش زهاء الثمانين سنة . فكم نظم في مدة السبعين او الستين سنة من القصائد والمقطعات ؟ افتخر مرة بان له اثني عشر الف بيت جيد . فاستبعدوا ذلك واستكثروه . فقال اني نظمت اثنتي عشر الف قصيدة . ألا يوجد في كل قصيدة منها بيت جيد ؟ فهو ولا ريب من اكثر الشعراء شعراً . لكن لم يبق من شعره سوى القصائد النزرة . والقطع المتفرقة . في ثنايا كتب الادب ومجاميع الشعر . وقال مؤرخو أدب العرب انه ليس لبشار ديوان مجموع وعللوا ضياع شعره بما تضمنه من السب والقذع والطعن في الاعراض واوصاف النساء والاقوال الغزلة التي تفسد نفوسهن وتحبب اليهن الرذيلة مما حمل صلحاء عصره وخاصة الحسن البصري ومالك بن دينار وواصل بن عطاء على التشنيع عليه وشكوه المرة بعد المرة الى الخليفة المهدي ووزيره (يعقوب بن داود) فصدر امر الخليفة بنهيه عن ذكر النساء والشعر الغزلي المفسد للاخلاق والضار بالآداب العمومية كما نقول في اصطلاحات هذه الايام . وربما صادرت الشرطة الاوراق والدفاتر التي فيها شعره من ايدي الناس ومنعم المغنون في المحافل العامة والاسواق عن التغني بشعره . كما يفعل ولاة الامور اليوم في مصادرة الكتب البذيئة والتصاوير الماجنة والمقالات المهيجة .

ومما ساعد على ضياع شعره ان بشاراً في آرائه السياسية لم يكن موالياً للدولة الجديدة الناهضة أعني الدولة العباسية حتى أدى الامر الى قتله كما سيجيء . فلم يكن احد من الوراقين أو النساخين يجرأ على جمع شعره في ديوان . هذا ماقاله مؤرخو الآداب العربية في سبب اضمحلال أشعار بشار .

اما ما يعلمه مجمعنا العلمي من هذا القبيل فهو ان السيد منيب الناطور احد أدباء بيروت كان سعى منذ بضعة عشر سنة في جمع ديوان لبشار وكان يلتقط أشعاره و يبحث عنها في مختلف الأقطار حتى انه استنجد برصيفنا الاستاذ (المعلوف) فاستنسخ له طائفة من شعر بشار وقصائده من بلاد الروسية . ثم لم نعلم اي مانع منع السيد منيب المومأ اليه من انجاز طبع تلك الاشعار ونشرها . ما لنا ولهذا فان لدى المجمع العلمي من خبر بشار ماهو اقرب وأطرب : ذلك ان صديق المجمع الأبر (احمد تيمور باشا) كتب الى المجمع ان المؤرخ التونسي الشهير واحد اعضاء مجمعنا (الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب) قد عثر في تونس على

ديوان بشار . وانهم شارعون في طبعه . لكن لاندري ان كان هذا الديوان قد جمع في القرون الاولى . او مما جمعه المتأخرون من أشعار بشار المبعثرة في كتب الأدب على نمط مافعله (السيد منيب الناطور) .

(عيون أشعار بشار) : لا يُذكر بشار الا ويُذكر معه على الفور بيته المشهور :

(كأن مُثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه)

وموضع النكتة في هذا البيت ان قائله قد عمي في بطن أمه لكنه اهتدى من حسن التشبيه في هذا البيت الى ما لم يهتد اليه البصراء .

ومن مشهور قوله في المديح :

(لمستُ بكفي كفه ابتغي الغنى ولم ادر ان الجود من كفه يعدي)
(فلا انا منه ما افاد ذوو الغنى أفدتُ وأعداني فأفنيت ماعندي)

وقوله (اذا دهمتك عظام الامور فنبه لها عمراً ثم نم)

وقوله (يا واحد العرب الذي امسى وليس له نظير)
(لو كان مثلك آخراً ما كان في الدنيا فقير)

وقوله في خالد بن برمك جد البرامكة :

(أخالد ان الحمد يبقى لأهله جمالاً . ولا تبقى الكنوز على الكد)
(فأطعم وكُل من عارة مستردة ولا تبقها : ان العواريَ للرد)

وقد أعجب خالد بهذين البيتين حتى امر بان يكتبا ويعلقا في صدر مجلسه كما نفعل اليوم من تعليق الأشعار على جدران بيوتنا . وقال ابنه يحيى البرمكي : آخر ماأوصاني به ابي العمل بهذين البيتين . إذن الشهرة العظيمة التي نالها البرامكة في الكرم والجود كان لبشار وشعره يد فيها . ومن مشهور قوله في الفخر :

(اذا الملك الجبّار صعّر خده مشينا اليه بالسيوف نعاتبه)

وأشهر من هذا قوله :

(اذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس اوقطرت دما)
(إذا ما أعرنا سيداً من قبيلة ذرى منبر صلى علينا وسلما)

وقال له بعض اصدقائه يوماً : ياابامعاذ بينا نقول مثل هذا الشعر الذي يخلع القلوب نسمعك تعود فتقول :

(رَبابة ربة البيت نصب الخل في الزيت)

(لها عشر دُجاجات وديك حسن الصوت)

فما هذا التفاوت في شعرك يابشار ؟ فأجابه : لكل وجهٌ وموضع ياأخي : فان قولي (اذا ما غضبنا غضبة مضرية) في موضع جد . وقولي (ربابة ربة البيت الخ) قصدت به الهزل مع جاريتي ربابة : انا لا آكل البيض من السوق . فأمدح ربابة لتعتني بالدجاجات وآكل بيضاً طرياً . والشعر الذي قلته في ربابة هو في نفسها أبلغ من (قفا نبك) في نفسك .

وما اعتذر به بشار عن نفسه يُعتذر به عن كثيرين من فحول الشعراء الذين يعزى اليهم شيء من الشعر الساقط : فانهم قد يكونون قالوه لمناسبة مثل مناسبة ربابة .

ومن قوله في الفخر ايضاً :

(يريدون مسعاتي ودون لقائها قناديل أبواب السماوات تزهر)

وقد سمى في هذا الشعر نجوم السماء بالقناديل .

ومن مشهور شعره في الغزل والنسيب البيت الذي حكم مؤرخو آدابنا العربية انه أغزل شعر قاله المحدثون وهو :

(انا والله اشتهي سحر عينيك وأخشى مصارع العشاق)

ومن أغزاله (يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والاذن تعشق قبل العين احيانا)

وقوله (هل تعلمين وراء الحب منزلةً تدني اليك فان الحب أقصاني)

وقوله (لم يطل ليلي ولكن لم أنم ونفى عني الكرى طيف ألمّ)

(رفهي يا عبدُ عني واعلمي انني يا عبدُ من لحم ودمّ)

(عبدُ) مرخم (عبدةُ) وهي امرأة كان بشار يتغزل بها . و يغلطون فينسبون هذه الابيات الى عنترة العبسي و يجعلون مكان يا عبد ياعبل .

وقوله (اذا قامت لحاجتهـا تثنت كأن عظامها من خيزران)

وقوله (حوراء ان نظرت اليـ ـك سقتك بالعينين خمرا)

(وكأن رجع حديثها قطع الرياض كُسين زهرا)
(وكأن تحت لسانها هاروت ينفث فيه سحرا)

وقوله (وما كأنني دارها اذ سألتها وفي كبدي كالنفط شبت به النار)

النفط كاز البترول وقد ضرب به مثلاً لشدة الاحراق .

واستأذن على المهدي فأذن له بشرط ان لا ينشده غزلاً فدخل وأنشد :

(يا منظراً حسناً رأيته من وجه جارية فديته)
(بعثت اليّ تسومني بُردالشباب وقدطويته)
(و يشوقني بيت الحبيـ ـب اذا ادّكرت واين بيته)
(حال الخليفة دونه فصبرت عنه وما قليته)
(ونهاني الملك الهما م عن النساء وما عصيته)
(إن الخليفة قد ابى واذا ابى شيئاً أبيته)

هذا مبلغ شعر بشار من التخنث والغنج في حال توبته وإنابته . فكيف يكون مبلغه في حالة لهوه وخلوته . لاجرم انه يحق للمهدي ان يقطع من إصلاحه الأمل . ثم يطارحه و يتربص به العلل . وقد فعل .

بشار في زمنه كان كجريدة حية من جرائد هذه الايام لكنها خصصت صفحتها الاولى للغزل والتشبيب وذكر النساء . وصفحتها الثانية للهجو والقذع والنيل من الاعراض . وصفحتها الثالثة للفخر والتمجد والمطاولة . اما صفحتها الرابعة وهي صفحة الاعلانات فقد خصها بذكر شيء من الحكم والمواعظ والأمثال : من ذلك أبياته البليغة في الحض على الاستشارة التي يقول في أولها

(اذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأي نصيح او نصاحة حازم)

وقد بلغت هذه الابيات من الشهرة مبلغاً أصبح إنشادها معه مما يبعث على الملل والضجر . وقد رزقت هذه القطعة حظها من الشهرة وإعجاب الناس بها في كل زمان حتى في زمن بشار نفسه . قال الأصمعي قلت لبشار ان الناس يعجبون من ابياتك في المشورة فأجابه هذا الجواب البديع : « يا اباسعيد ان المشاور بين امرين : بين صواب

يفوز بثمرته . او خطأ يشاركك في مكروهه » قال الاصمعي فقلت « انت والله في قولك هذا أشعر منك في شعرك »

ومن الحكم قوله (اذا كنت في كل الامور معاتبا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه)
(اذا انت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت : واي الناس تصفو مشاربه)

ومنها قوله (وخل الهوينا للضعيف ولا تكن نؤوما : فان الحزم ليس بنائم)
(وحارب اذا لم تعط الا ظلامة شبا السيف خير من قبول المظالم)

ومنها قوله (ان الكريم ليخفي عنك عسرته حتى تراه غنيا وهو مجهود)
(بث النوال ولا تمنعك قلته فكل ما سد فقرا فهو محمود)

ومنها قوله (خليلي ان المال ليس بنافع اذا لم ينل منه أخ وصديق)
(وكنت اذا ضاقت علي محلة تيممت أخرى ما علي تضيق)
(وما خاب بين الله والناس عامل له في التقى او في المحامد سوق)
(ولا خاب فضل الله عن متعفف ولكن أخلاق الرجال تضيق)
(وما كنت الا كالزمان: فان صحا صحوت وان ماق الزمان اموق)

(ماق) يعني (حمق) .

ومن أمثاله (أعمى يقود بصيرا لا ابا لكمو قد ضل من كانت العميان تهديه)
ومنها (وكان كالعير : غدا طالبا قرنا فلم يرجع باذنين)
ومنها (يسقط الطير حيث يلتقط الحب وتغشى منازل الكرماء)

ومن مبالغاته الشعرية

(في حلتي جسم فتى ناحل لو هبت الريح به طاحا)

يقول ان الريح لو هبت عليه حملته والقت به الى بعيد وذلك لنحول جسمه . فقال له احد اصدقائه « يا ابن الفاعلة أتقول هذا وانت كالفيل عرضك أثقل من طولك !! » وقد مر في صفة بشار انه كان ضخم الجثة طويلا . ومن شعره قوله في العذال

(ما ذا عليهم وما لهم خرسوا لو انهم في عيونهم نظروا)
(اعشق وحدي ويؤخذون به كالترك تغزو فتؤخذ الخزر)

يقول انه هو يعشق وعذاله ينغصون عيشهم ويضرون انفسهم كالترك يعيثون فسادا

في الارض ولا يقدر احد عليهم ولكن يُقبض على جيرانهم الخزر المساكين ويعاقبون ·

(ماقاله نقاد الشعر في نقد شعر بشار) : شاعر مثل بشار نظم (١٢) الف قصيدة لا يمكن ان تكون كلها في مستوىً واحد من الجودة والحسن — وهذا المتنبي وابو تمام والبحتري لا يخلو شعرهم من الساقط الرذل · والمعنى المبتذل · وكان اسحق الموصلي يزري ببشار ولا يعتد بشعره · و يقول هو كثير التخليط · وان اشعاره مختلفة لا يشبه بعضها بعضاً · أليس هو القائل

(إنما عظمُ سليمى حِبتي قصب السكر لاعظم الجمل)
(وإذا أدنيت منها بصلاً غلب المسك على ريح البصل)

قال اسحق ولو قال بشار كل شعر جيد ثم أضيف الى هذا الشعر لزيّفه . وتعلمون ان اسحق من ندماء الخلافة وجلسائها ولا يمكن ان يقول في عدوها غير هذا · والا فلعل السبب في انحطاط هذين البيتين انه قالها في سبب منحط كالبيتين اللذين قالها في جاريته (ربابة) : (ربابة ربة البيت الخ)

ومن قول بشار

(من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج)

انتقدوا هذا البيت بانه لم يبلغ في الحسن بيت (سلم الخاسر) وكان سلم اخذ هذا المعنى وسبكه في قالب من الشعر ابلغ من قول بشار حيث قال

(من راقب الناس مات غمّاً وفاز باللـذة الجسور)

ولما سمع بشار هذا البيت غضب على سلم (وكان سلم يتردد عليه و يأخذ عنه) وذلك لان بشاراً علم ان بيت سلم يسهل حفظه فيعلق بالأذهان · ويميت بيته · وما زال بشار ناقماً من سلم واجداً عليه حتى تدخّل اصدقاؤهما فأصلحوا بينهما ·

ومن شعر بشار قوله يهدّد الخليفة المنصور العباسي في القصيدة الميمية المشهورة

(ومروان قد دارت على رأسه الرحى وكان لما أجرمت نزر الجرائم)

يقول للمنصور لا تكن جباراً فان مروان الحمار (آخر ملوك بني أمية) هلك وجرائمه بالنسبة لجرائمك قليلة · قال نقاد شعره ان بشاراً قصّر جداً في سبك هذا المعنى والنابغة الجعدي أبرّ عليه في سبكه واحسن كل الاحسان مذ قال

(كليب لعمري كان اكثر ناصراً وأيسر جرماً منك ضرّج بالدم)

وبينما كان صلحاء الامة (الحسن البصري وواصل بن عطاء ومالك بن دينار) يطاردون بشاراً و ينكرون عليه الزندقة والخلاعة . كان أئمة النحاة (الاخفش وسيبو يه و يونس) يناقشونه الحساب على اغلاطه اللغوية . وهي في الحق قليلة جداً : من ذلك قوله في صفة السفينة

(تلاعب نينان البحار وربما رأيت نفوس القوم من جريها تجري)

يقول : ان حيتان البحر كانت تلاعب السفينة وتجمّشها وهي تسير في عباب اليم . فعاب عليه سيبو يه كلمة (النينان) جمع نون وهو الحوت وقال ان (النون) بمعنى الحوت لا يجمع على (نينان) وانما على (انوان) . فكبر الامر على بشار وتهدد سيبو يه بالهجو . فخاف سيبو يه وقيل انه بكى ودخل القوم بينهم فأرضوا بشاراً . وصار سيبو يه من يومئذ يستشهد بشعره في دروسه النحوية . تطييباً لقلبه واستكفاء لشره . فرضي بشار ولكنه مع هذا غير الكلمة فقال (تلاعب تيّار البحار) بدل (تلاعب نينان البحار) . لكن كتب اللغة تذكر كلمة (نينان) في جمع نون : و كأنهم لم يبالوا اعتراض سيبو يه وحجتهم في ذلك قول سيدنا علي رضي الله عنه (يعلم سبحانه وتعالى النينان في البحار الغامرات) .

ومما آخذوا بشاراً به ايضاً قوله (غنني للغريض يا ابن قنان !) فقالوا له من هذا : (ابن قنان) ؟ لا نعرفه في المغنين . فقال لهم (وما عليكم منه ؟ ألكم عليه دين او ثأر تطالبونه به) ؟ قالوا لا وانما نريد ان نعرفه . قال (هو رجل يغني لي ولا يخرج من بيتي) فقالوا الى متى يبقى في البيت ؟ قال الى ان يموت . وما ذا يهمكم ؟

فنقاد شعره ذهبوا الى أنه لا يوجد في الدنيا مغن اسمه (ابن قنان) وانما اخترعه بشار تلبيةً للقافية . ومثل ذلك ما روي عن بشار انه قال — وكان قد مات له حمار — رأيت حماري البارحة في النوم فقلت له و يلك مالك متّ ؟ قال نعم : مررتَ بي يوم كذا وكذا على باب (الاصفهاني) فرأيت ثمة أتاناً عشقتها فمت . فقلتُ له : وهل قلت فيها شعراً ؟ قال نعم وانشدني

(سيدي خذلي أتاناً عند باب الاصفهاني)

(تيمتني يوم رحنا بثناياها الحسان)

(وبُغنج ودلال ــــ سل جسمي و براني)
(ولهــا خد اسيل مثل لون الشيقران)
(فبهــا مت ولو عشـ ـت اذاً طال هواني)

فقال رجل من القوم يا ابامُعاذ (وماالشيقران ؟) قال هي كلمة غريبة في لغة الحمير فاذا لقيتم حماراً فاسألوه عنها ·

وهكذا كان لكل سؤال يوجه الى بشار جواب حاضر عنده · ونادرة مهيئة لديه · لكنه تورط يوماً مع احد رجال الصناعة والفن وهو (حمدان الخراط) وكان حمدان مصوراً حاذقاً في التصوير والنقش والصياغة والنحت · كلفه بشار ان يصنع له جاماً فيه صور طيور ففعل وجاءه به (والجام في لغة الترك الزجاج · وفي لغة الفرس القدح · وعند العرب هو الكاس من فضة) · فقال له بشار ماهي الصور التي على الجام قال صور طيور تطير · قال كان ينبغي ان تصور فوقها طائراً من الجوارح ينقض عليها · قال انك لم تقل لي ذلك · قال بلى ولكنك ظننت اني اعمى لا اراها · ثم تهدده بالهجاء · وهنا وقف (الشعر) ازاء (التصوير) ووقف الفن ازاء الفن وجهاً لوجه · وكان حمدان الفنان سوداوي الطبع كأغلب المتخصصين · فقال لبشار ان هجوتني ندمت · قال اي شيءٍ تقدر ان تصنع بي · قال أُصورك عريان ووراءك قرد ··· وأُعرضك مع الصور الاخرى على باب داري · فالتفت بشار الى القوم وقال: امزح معه وهو يأبى الا الجد · وهكذا غاب التصوير الشعر: لان الشعر يريك الشيء خيالاً اما التصوير فيريكه عياناً · ففي زمن العباسيين إذن كان المصورون يعرضون الصور على ابوابهم ومنها التصوير المضحك (Caricature) ·

(البطش ببشار) : مر معنا في مطاوي الكلام السابق ان الخليفة (المهدي) لم يكن راضياً عن بشار ولا هو بالحسن الاعتقاد فيه وكان احياناً يقبله في مجلسه · ويسمع مديحه · لكنه ما كان يجيزه الجوائز التي يطمع فيها بشار · وقد ورث (المهدي) الكره لبشار من ابيه المنصور؛ فان بشاراً كان مناوئاً للدولة العباسية من حين ظهورها وموالياً للعلويين من آل البيت وكان القائم من آل البيت يومئذ (ابراهيم بن عبدالله بن الحسن السبط) فانحاز بشار الى ابراهيم ومدحه بقصيدته الميمية المشهورة التي خاطب في مطلعها المنصور العباسي وقال

(أبا جعفر ماطول عيش بدائم ولا سالم عما قليــل بسالم)

فلما ظفر المنصور بابراهيم العلوي وقتـله خاف بشـار على نفسه وحول القصيدة الى مدح المنصور وجعل الخطاب الاول في (ابي مسلم الخراساني) عدو المنصور فقال :

(ابا مسلم ماطول عيش بدائم ولا سالم عما قليـل بسالم)

لكن هذا التلاعب ان قبله المنصور في الظاهر لم يقبله في الباطن ولاسيما الدلائل الكثيرة التي كانت تدل على ان بشاراً مقيم على ولائه لآل البيت . فلما تولى (المهدي) الخلافة أراد بشار التقرب اليـه فاجتهد كثيراً فلم يفلح ثم استهتر بشار في هجاء الناس والتعرض للحرم . فكانوا يسعون فيه الى (المهدي) و يزينون له البطش به وانه ما دام حياً فهو آفة على أخلاق الشبان والشابات . وليس هذا فقط بل كانوا ينقلون اليـه اخباراً من كفره وزندقته . من ذلك انه فضّل ابليس على آدم بتفضيله النار على التراب منذ قال (الارض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار)

كان يبلغ الخليفة كل ذلك فكان يُعرض عنه ويصبر عليه ثم لما يئس بشار من الخليفة تعرّض له بالهجو ثم لوزيره (يعقوب بن داود) على مبدإه الذي كان لقنه اباه : (ليس على الاعمى حرج) . وكان يعقوب على مذهب سيده في اطّراح بشار . والنفرة منه . حتى قال بشار في الوزير بيتيه المشهورين

(بني أميـة هبوا طال نومكوا ان الخليفـة يعقوب بن داود)

(ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا خليفـة الله بين الزق والعود)

وقد حقق المؤرخون ان المهدي من أطهر ملوك بني العباس نفساً واحسنهم سيرة . وخاف الوزير يعقوب ان يُكثر بشار من مثل هذا الشعر و يكرر الضرب على هذه النغمة فبادر الى الخليفة واخبره بهجو بشار له اي للمهدي نفسه . وانه قال فيه قولاً لا يمكن النطق به . واخيراً ألح عليه الخليفة . فأسمعه البيتين :

(خليفـة ُيزني ... و يلعب الدبوق والصولجان) الخ

فكاد ينشق الخليفة غيظاً . لكنه مع هذا كظم غيظه . واحترم حرية القول (كما نقول في اصطلاح عصرنا الحاضر) . ثم اتفق للخليفة ان انحدر في دجلة فلما بلغ البطيحة سمع أذاناً وقت الضحى . فسأل ماالخبر ؟ قيل له (بشار يؤذن وهو سكران) فأمر باحضاره فأحضر الى ظهر (الحراقة) اي السفينة وامر بجلده فجلد سبعين سوطاً .

وكان كلما ضُرب سوطاً قال (حسْ حسْ) وهي كلمة تقال عند لذع الوجع وحرق النار. فقال بعض الحاضرين انظر ياامير المؤمنين يقول (حس حس) ولا يقول (باسم الله) فقال له بشار (ويلك أأكلة ثريد هي حتى اقول باسم الله) فقال آخر (ولما ذا لاتقول الحمد لله ؟؟) قال (أونعمة هي حتى أحمد الله عليها ؟) . ثم بعد الضرب تركوه في البطيحة مغمىً عليه وهو الى الموت أقرب منه الى الحياة . فجاء اهله وحملوه الى البصرة. فلما علم اهلها خبره لم يبق شريف منهم الا بعث اليه بالفَرْش والكسوة والهدايا . لكن العامات ونعاه الناعون تباشر عامتهم . وهنأ بعضهم بعضاً بموته . وحمدوا الله . وتصدقوا. كل ذلك لما مُنوا به من شرّه . وأذى لسانه . ولما خرجوا في جنازته لم يتبعها احد سوى أمة لبشار سوداء . سندية عجماء . فكانت تصيح وراءه (واسيداه واسيداه) .

ولم يكن هم للخليفة بعد موت بشار الا تفتيش منزله والبحث في اوراقه . فوجدوا طوماراً فيه ما يأتي :

« بسم الله الرحمن الرحيم . اني أردت هجاء آل سليمان بن علي لبخلهم فذكرت قرابتهم من رسول الله فأمسكت عنهم إجلالاً له صلى الله عليه وسلم » .

فلما قرأ الخليفة قوله بكى وندم على قتله . وقال لاجزى الله يعقوب بن داود (يعني وزيره) خيراً فأنه لما هجاه لفّق عندي شهوداً على انه زنديق فقتلته .

لكن ان برأنا بشاراً من الزندقة بناءً على هذه الرواية . فلا يمكن ان نبرءه من تهمة القذع والفحش والسباب . وان قلنا ان اعداءه وضعوا على لسانه البيت والبيتين فيبعد أن يضعوا عليه القصائد الطويلة التي شحنت بها كتب الأدب . وقد تضمنت من صفات النساء وأخبار الفسق والفساق ما يفسد كل أمة فشا فيها مثل هذا القول . وليس هذا فقط بل كان بشار أحياناً يذيع بين الشبان والشابات من شعره قواعد عامة يعلمهم فيها الخنا والفجور . من ذلك البيتان المشهوران اللذان بلغا المهدي وكانا هما فيما زعموا السبب الحقيقي في قتله .

ذكرنا هذا لكم ايها السادة لتعلموا ان المهدي لم يقدم على ما أقدم عليه من قتل بشار الا وهو على بينة من امره واستحقاقه للقتل .

(منزلة بشار بين الشعراء) : تبين لنا مما رويناه من شعر بشار وشهادة علماء

الادب فيه ان الرجل كان متمكناً من اللغة العربية : فكان لا يستعمل في شعره من الفاظها وتراكيبها سوى الصحيح الفصيح ·

هذا شعره من حيث الديباجة اللفظية · اما شعره من حيث المعاني · فهو كما قال ابو عبيدة : يقارب سامعيه حتى لا يخفى عليهم ما يقوله في شعره : يتناول المعنى البعيد فيختار له من الأساليب السهل العذب · ومن الألفاظ اللؤلؤ الرطب · ولذلك راج شعره بين العامة والنساء · كما كانت تستجيده طائفة الادباء والنبلاء · وهذه هي البلاغة كما عرفها بعضهم · وكان بشار ينوّع شعره و يتدرج فيه : فاذا داعب خادم بيته أسفّ الى حضيض الابتذال · ثم قال

(ربابة ربة البيت نصب الخل في الزيت)

واذا خاطب الملأ من ذوي الكبر والجبروت حلّق في سماء الخيال ثم قال

(اذا الملك الجبار صعّر خده مشينا اليه بالسيوف نعاتبه)

وهذه مزية من مزايا شعره فاق بها رصفاءه المعاصرين · واخذ راية الشعر دونهم باليمين ·

اما اذا أريد المقارنة بين بشار وبين من تقدمه وتأخر عنه من شعراء العرب فيقال فيهم بوجه عام : ان شاعر كل وقت انما يصوغ قوله من قلوب اهل زمنه · ويخت معانيه من عقليتهم · و يقتبس مواضيع شعره من أحوال اجتماعهم · فدرجة شاعر يته ارتقاء وانحطاطاً تابعة لحالة اهل زمنه ارتقاءً وانحطاطاً : وانما نقول هذا في نوابغ شعراء كل زمان لا في الشعارير والمتشاعرين · فطبقة جرير ثم طبقة بشار ثم طبقة المتنبي — وان سماهم علماء اللغة والادب مولدين ومحدثين لم يريدوا الحط منهم وانما ارادوا تحديد صلاحيتهم للاستشهاد بقولهم في المسائل اللغوية · اما من حيث الشاعرية · واتساع الخيال في المعاني · والتفنن في الاساليب والمباني · فلا ريب ان طبقة المتنبي وان تأخرت في الزمن متقدمة على طبقة بشار · وطبقة بشار متقدمة على طبقة جرير · وطبقة جرير متقدمة على طبقة امرئ القيس — تبعاً لترتيب طبقات أزمنتهم في الحضارة والعلم واتساع الفكر وتأثير فنون الصناعة ومناحي الترف · اعتبر ذلك في قول ابن الرومي الذي سمع قول ابن المعتز الخليفة يصف الهلال فوقه سحابة سوداء·

(وكأنما هو زورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر)

فقال (وبلاء ومن اين في ماعون بيتي مثل هذا الزورق حتى أشبه الهلال به) . أشار بذلك الى ان أدوات الترف والزينة في البيت توحي الى الشاعر الذي يراها معاني لا تخطر ببال ذاك الذي لا يراها .

هذا في شاعرين عاشا في زمن واحد وبلد واحد فكيف بهما اذا تباعد الزمانان . واختلفت الحضارتان . ويمكن ان نستنتج من هذا ان شعراء زماننا الحاضر وشعراء العصور المقبلة هم بالطبع أشعر ممن تقدمهم اعتباراً بما ذكرنا ولأن شعرهم انما نحت من عقلية من يخاطبونهم . فلا جرم ان يكون شعرهم أشد تأثيراً في نفوس هؤلاء المخاطبين . ولا يخفى أن مقياس بلاغة الشعر انما هو التأثير .

« المغربي »

الفيلسوف الفارسي الكبير

صدر الدين الشيرازي

- ٢ -

(روح عصر صدرالدين) : اذا اردنا ان نصوّر شخصية رجل حكيم مفكر ظهر بآراء جديدة وافكار نيرة في محيط مظلم جوّه بسحب الجمود والعصبية لا بد ان نصور عصره الذي عاش فيه ليحيط القارئ علماً بشخصية ذلك الرجل البارزة ٠

ان من درس روح العصر الذي ظهر فيه صدر الدين في المحيط الفارسي يتمثل أمامه روحان روح التصوف البحت وتأويل نصوص الشريعة وروح الجمود على ظواهر الكتاب والسنة والنضال باشكاله كان بين الروحين يشتد آونة و يضعف أخرى ٠ ومؤلفات الفريقين مشحونة بطعن كلٍّ على الآخر ولحدوث كل من الروحين وسريانها سبب اصلي نبينه لنصور به روح عصر الفيلسوف ٠

ولا نعتمد فيمانقول الاّ على كلمات الثقات المشهورين من العلماء الذين عاشوا في فارس في هذا العصر ٠

اما سبب حدوث التصوف في فارس وانتشاره فيه هو ان التاريخ يدلنا على ان مذهب الباطنية وتعاليم عبد الله وابيه ميمون بن ديصان طافت في كثير من الارجاء الاسلامية فصادفت في فارس تربة صالحة للنموّ لان الباطنية تظاهرت بمذهب التشيع وفارس كانت معقل الشيعة والباطنية تقرب من التصوف الاسلامي اذ هما يلتقيان في نقطة تأويل نصوص الشريعة وتقريبها من العقل والقول بان لها باطناً غير ظاهرها اضف الى ذلك ما كان في افكار الفارسيين من الانس بمذاهب الفلسفتين الاغريقية والهندية اللتين يصح ان يعتبر التصوف الاسلامي وليدهما ٠

ومعلوم ان المذاهب على انواعها فلسفية كانت ام ادبية ام سياسية اذا وجد لها ناصر

ومعاضد من المسيطرين على الامة التي تمذهبت بها تسرع في خطاها والتصوف الفارسي من المذاهب التي هيأ لها الزمان ناصراً ومعاضداً قوياً فان الدولة الصفوية التي عاش في ظلها صدرالدين ظهرت من ناحية التصوف فاول الملوك الصفويين ومؤسس دولتهم كان صوفياً بحتاً وجده الشيخ صفي الدين من اعظم اقطاب الصوفية وقبره في اردبيل[1] مزار لمريديه الى الحال وعليه ابنية فخمة .

خرج الشاه اسماعيل الصفوي من جيلان بلفيف من الصوفية المريدين له ولجده الشيخ صفي الدين في سنة ٩٠٦ هـ وهو ابن اربعة عشر سنة وفتح بلاد اذربايجان فروح التصوف كانت سارية في ملوك ايران الصفويين المعاصرين لصدرالدين قال بعض مورخي الافرنج[2] ان تصوف الشيخ صفي الدين هو الذي حفظ كيان الدولة الصفوية نحو مائتي سنة ولولا ان السياسة الصفوية في جنبها كانت تدعو الى اقوية المذهب المخالف له اي مذهب الجمود الذي كان يحسب نفسه من الدين لكان التصوف اكثر شيوعاً مما كان عليه وذلك ان سلطان الدين كان قوياً والمسيطرون والملوك مضطرون الى مجاراة تيار الفكر الشائع وطاعة صوت الجمهور ولو كان على خلاف ما يرغبون وما يضمرون .

قال الشيخ يوسف البحراني المتوفى سنة١١٨٦ وهومن كبار محدثي الشيعة في كتابه لؤلؤ البحرين في شأن محسن الفيض تلميذ صدر الدين وخريجه الكبير ما نصه :

لاشتهار مذهب الصوفية في ديار العجم وميلهم اليه بل غلوهم فيه صارت له (اي للمحسن) المرتبة العليا في زمانه والغاية القصوى في أوانه وفاق الناس جميع أقرانه وقول هذا المحدث الثقة الجليل يدل على اشتهار مذهب التصوف وكثرة انصاره في العصر الذي عاش فيه صدر الدين .

وكان في جنب هذه الروح الجمود بادياً في طائفة من اهل الحديث والفقه وكانوا متمسكين بظواهر الكتاب والسنة وكان سببه شدة تمسكهم بالدين واستيلاء سلطانه على نفوسهم وبعدهم عن اغراضه واسراره .

---

(١) اردبيل مدينة كبيرة في فسيح من الارض واقعة على (٢١٠) كيلومترات من شرقي تبريز في شمالي فارس . (٢) وهو سرجان ملكم في تاريخه الذي وضعه لايران .

وكانوا يرون اتباع العقل المحض والمبادي الفلسفية مروقاً عن الدين وسلوكاً لسبيل الضالين ٠

والقاريء يجد في ضمن هذه الرسالة كلمات للعلماء المشهورين من هذه الطائفة كالسيد نعمة الله التستري والشيخ يوسف السابق الذكر في شأن الفلسفة والتصوف وشأن صدر الدين يقول الشيخ يوسف في ذيل كلامه السابق كان التصوف شائعاً في عصر (المحسن الفيض) حتى جاء على اثره شيخنا المجلسي [1] وسعى غاية السعي في سد تلك الشقاشق الفاغرة واطفاء تلك البدع البائرة [2] وهذا الكلام يمثل للقاريء شقة الخلاف بين المذهبين قلنا ان التصوف كان شائعاً في عصر صدرالدين الا ان شيوعه كان نسبياً وكانت الغلبة للجمود لان السياسة كما قلنا كانت تدعو الى تقوية عضد الدين ورجالة ٠

لان الصفويين اسسوا دولتهم في ظل الدين والتشيع وموالاة اهل بيت النبي عليهم السلام وكان نصر الفقهاء والمحدثين المتمسكين بالظواهر سبباً لحفظ عرشهم ودفع كيد خصومهم ولكن كانت في ضمن هذا النضال للتصوف حركة معنوية صح ان نقول انه كان فائقاً على مظاهر الجمود و يشهد به ان جماعة من العلماء المشهورين بالزعامة الدينية والفقهاء كانوا من انصاره فان الشيخ بهاء الدين العاملي المتوفى سنة ١٠٣١ او ١٠٣٠ الذي اعتمد عليه الشاه عباس الاول الصفوي وفوض اليه منصب شيخ الاسلام في ايران كما ذكر كان ممن ينصر التصوف وقلبه مطمئن بصحته٠ وكلماته يلوح منها ذلك فهذا دليل على ستيلاء روح التصوف على روح هذا الشيخ المحدث الفقيه الذي كان يمثل بظاهره فريق

---

(١) هو محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي المجلسي الاصبهاني من اعظم محدثي الشيعة ورؤسائهم الروحيين في عصر الصفويين عاصر الشاه سليمان والشاه سلطان حسين الصفويين وكان هذا المحدث الكبير ممن يتصدى لشؤون السياسة و يستشيره السلطان في تدبير الملك وتنظيم ايران وله آثار علمية جليلة كثيرة منها كتابه الكبير (بحار الانوار) في أحاديث الائمة الاطهار في ٢٤ مجلداً كبيراً وفي بعض مجلداته بحث عن علوم متنوعة من الفلك والفلسفة والكلام ولاسيما في جزئه المسمى (بالسماء والعالم) توفي سنة ١١١١ هـ ومجلس كما قيل قرية من قرى اصبهان ٠ (٢) وفي نسخة البائرة ٠

اهل الجمود وصنف رسالة في وحدة الوجود وبيان مذاهب الصوفية وقال فيها ما نصه :

ولا شك انهم اي الصوفية من اولياء الله تعالى الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة والذين آمنوا وكانوا يتقون . طبعت الرسالة في القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ .

ويدل عليه كلام صاحب لؤلؤ يقول في كتابه المذكور ربما طعن عليه القول بالتصوف لما يتراءى من بعض كلماته واشعاره في هذا العصر الذي تلبّد جوّه بسحب الجمود عاش صدر الدين وروح فلسفته التصوف واصول الفلسفتين الاغريقية والفارسية الفهلوية وتمكن من وضع تآليفه الكثيرة الجليلة التي أخلدت له الذكر الجميل ولم يصبه ما اصاب الفلاسفة الاحرار من الاضطهاد والزجر والقتل .

(فتوى رجال الدين بكفره) : أفتى جماعة من رجال الدين والفقه المتمسكين بظواهر الشريعة بكفره واخذوا عليه أموراً :

(الاول) انه ذهب الى مذهب وحدة الوجود كما صرّح به في كتبه وفلسفته حتى في تفسيره نقل قول محيي الدين بن عربي ان فرعون مات مؤمناً موحداً واستحسن هذا الكلام بقوله هذا كلام يشم منه رائحة التحقيق .

(الثاني) انه ذهب في شرحه لكتاب الكافي وفي تفسيره لسورة البقرة وفي كتابه الكبير (الاسفار) الى انقطاع العذاب عن اهله في الآخرة وانكر الخلود في النار وهو خلاف ما علم بضرورة من الدين .

(الثالث) ذكر في الاسفار في بحث العشق ان عشق الغلمان وصور الحسان عشق مجازي وهو قنطرة الى عشق الاله وفيه روح المذهب اليانيسي .

(الرابع) انه ذهب الى المعاد الجسماني بما لا يلائم ظاهر الشريعة ومذهبه في المعاد كمذهب الشاعر الفيلسوف (عمر الخيام) في رباعيه المشهور :

كردون نكرى زعم فرسودهٔ ماست جيحون اثري زچشم پالوده ماست
دوزخ شرري زرنج بيهودهٔ ماست فردوس دمي زوقت اسوده ماست

وجد هذا الرباعي بخطه في ظهر بعض تفاسيره ومعناه قريب من مذهب الخيام .

اى انكه زاتش درون ميسوزى وز نار جحيم خشم ازون ميسوزى

گر زانكه نمونه ردوزخ خواهى   بنگر بدرون خود كه چون ميسوزى
گر زانكه نمونه زدوزخ خواهى   بنگر زدرون خود كه چون ميسوزى

ولقد أجاد الشاعر الكبير محمد السباعي بابراز هذا المعنى الفلسفي في العربية بقوله :

اني ارسلت روحي آنفًا   في دياجي الغيب كيما اكشفا
غامضًا من عالم الخلد اختفى   فانثنى روحي ونبّا انما
انا فردوس صفًا نار انتقام

وجد هذا الرباعي بخطه على ظهر تفسيره لسورة الحديد بين رباعيات كلها بخطه ·

اي بو العجب از بسكه ترابو العجبست   وهم همه عشاق جهان از توغمست
مسكين دل من ضعيف وعشق توقو يست   بيچاره ضعيف كش قوى بايدز يست

(تأثير الفلسفة الاغريقية في نفسه) : منذ ظهر الانسان في الوجود خضعت نفسه بقوى العالم مادية كانت او ادبية وقوة التعليم من اقوى المؤثرات في النفس الانسانية ولا سيما اذا كانت القوة المؤثرة مما تقبله النفس بفطرتها أثرت الفلسفة الاغريقية وتعليم ارسطو واتباعه في نفسه اثراً عميقاً ذكر في اول (الاسفار) اني قد صرفت قوتي في سالف الزمان منذ اول الحداثة والريان في الفلسفة الالهية بمقدار ماأوتيت من المقدور وبلغ اليه قسطي من السعي الموفور واقتفيت آثار الحكماء السالفين والفضلاء اللاحقين منقلباً في نتائج خواطرهم وانظارهم مستفيداً من ابكار ضمائرهم وأسرارهم وحصلت ما وجدته في كتاب اليونانيين والرؤساء المعلمين تحصيلاً يختار اللباب من كل باب ·

وقال في بحثه عن حدوث العالم واعلم ان أساطين الحكمة المعتبرة عند طائفة ثمانية ثلاثة من الملّيين (ثالس وانكسيمانس واغاذيمون) ومن اليونانيين خمسة (انباذقلس وفيثاغورث وسقراط وافلاطون وارسطو) قدّس الله نفوسهم واشركنا الله في صالح دعائهم و بركتهم فلقد اشرقت أنوار الحكمة في العالم بسببهم وانتشرت العلوم الربوبية في القلوب بسعيهم وكل هؤلاء كانوا حكماء زهاداً عباداً متألهين معرضين عن الدنيا مقبلين على الآخرة فهؤلاء يسمون بالحكمة المطلقة ثم لم يسم احد بعد هؤلاء حكيماً بل كل واحد منهم ينسب الى صناعة كبقراط الطبيب وغيره ·

(منابع افكار صدر الدين وفلسفته) : نجد فلسفة صدر الدين تستمد من منابع

كثيرة أهمها آراء اليونانيين ولاسيما آراء ارسطو وتلميذه ابن سينا وافكار محيي الدين بن عربي الصوفي وتعاليم الدين الاسلامي المستخرجة من القرآن الحكيم والسنة النبوية فجدير ان نشير الى هذه المنابع الاربعة على سبيل الايجاز ليعلم وجهة فلسفته .

(١ — آراء ارسطو) : فهي آراء وافكار نراها في كتبه الواصلة الينا بواسطة نقلة العصر العباسي الزاهر وفي كتب اليونان والعرب اهمها اثبات الحركة الطبيعية الازلية واثبات احتياج المتحرك بمحرك يتحرك بمحرك آخر حتى ينتهي الى محرك لا يتحرك بآخر فهو جوهر وفعل معاً فهذا المحرك الثابت هو الله مصدر الحركة الابدية التي تتحرك بعلة غائية اي بطريق الجذب نحو العقل الاعظم والشوق اليه كما يستميلنا الخير و يستهوينا الشيء الجميل بدون دخل لهما في ذلك وعلى هذا المثال ينجذب عالما الارواح والاجسام نحو الله بدافع ذاتي .

وهو يرى ان المادة قديمة وان المحرك الاول اي الله لم يخلق المادة بل نظمها وان الله جوهر روحاني يتجلى فيه العقل والحياة باتم مظاهرهما ويتمتع ابداً بالسعادة الكاملة ولانعماكه بمشاهدة ذاته لا يلتفت الى العالم .

(٢ — آراء ابن سينا) : فهي على ما يظهر لنا آراء فلاسفة اليونان وافكار ارسطو وتعاليم مدرسة (امينوس سكاس) التي يسميها العرب بمدرسة الاسكندرانيين وتعاليم تلميذه .

(افلوطين) الذي يسميها الشهرستاني بالشيخ اليوناني وهو منظم مذهب أستاذه وكان من آراء هذا الفيلسوف اليوناني فيما وراء الطبيعة (متافيزكا) ان هذا العالم كثير الظواهر دائم التغير وهو لم يوجد بنفسه بل لابد لوجوده من علة سابقة عليه هي السبب في وجوده وهذا الذي صدر عنه العالم واحد غير متعدد لاتدركه العقول ولا تصل الى كنهه الافكار ولا يحدّه حدّ وهو أزلي قائم بنفسه فوق المادة وفوق الروح وفوق العالم الروحاني خالق الخلق ولم يحلّ فيما خلق بل ظل قائماً بنفسه مسيطراً على خلقه ليس ذاتاً وليس صفة هو الارادة المطلقة لايخرج شيء عن ارادته هو علة العلل ولا علة له وهو في كل مكان ولا مكان له و بحث انه كيف نشأ عنه العالم و كيف صدر هذا العالم المركب المتغير من البسيط الذي لا يلحقه تغير . كأن هذا العالم غير موجود ثم وجد كيف يصدر هذا العالم

الفاني من الله غير الفاني . هل صدر هذا العالم من الصانع عن روية وتفكير او من غير روية ولمَ وجد الشر في العالم ؟ ما النفس واين كانت قبل حلولها بالبدن ؟ واين تكون بعد فراقه ؟ .

وهذه المسائل وأشباهها التي بحث عنها افلوطين هي مباحث شغلت حيزاً من افكار ابن سينا بعد ان ورثها من المعتزلة والصوفية وجمعية إخوان الصفا . كما هي المسائل التي درسها صدر الدين . زينها للناظرين في القرن الحادي عشر وكانت الشرائع السماوية والقوانين الادبية تشغل مكاناً فسيحاً في مبادئ ابن سينا واليك نص قوله في النبوة يقول :

يوجد رجال ذو طبيعة طاهرة اكتسبت نفوسهم بالطهر وبتعلقها بقوانين العالم العقلي لذا هم ينالون الالهام ويوحي اليهم العقل المؤثر في سائر الشؤون ويوجد غيرهم لا حاجة لهم الى الدرس للاتصال بالعقل المؤثر لانهم يعلمون كل شيء بدون واسطة . هؤلاء هم اصحاب العقل المقدّس وهذا العقل لمن السمو بحيث لا يمكن لكل البشر ان ينالهم منه نصيب وهذا القول صريح في انه يقصد باصحاب العقل المقدّس الانبياء الذين يحظون بالوحي الرباني كما انه اعتراف منه باصل كبير من اصول الاديان وهذه النزعة الدينية أثرت في نفس صدر الدين وصرّح في كثير من كتبه بمثل هذا الرأي الفلسفي الديني وبذلك نعلم ان ابن سينا بعيد عما نسبه اليه (الكونت دوغوبينو) في كتابه المذاهب والفلسفة في آسيا الوسطى بقوله ان ابن سينا نهض بل خرج على ما كان يعلمه الدين منذ اربعمائة سنة وانه هدم من الاسلام ومن معتقده جانباً عظيماً نعم انه كان ذا نفوذ كبير على أفكار الملوك والامراء فجهر بآرائه الفلسفية بحرية تامة لكنه احترم في جنبها الدين الاسلامي وكان حقاً معلماً كبيراً للفلسفة في ايران الى قدوم جنكيز خان المغولي .

(٣ — افكار محيي الدين بن عربي) : اكثر افكار هذا الامام الصوفي اختفت علينا وراء حجاب من الرموز والالغاز فما عرفناه من افكاره وحصل لنا اليقين به هو انه كان ممن يعتقد بوحدة الوجود حتى قال انه كفر النصارى ليس بقولهم ان المسيح هو الله بل كفرهم بقولهم انه ابن الله وكأنه كان يؤمن بنظريات اشور الحلولية على ان له آراء في الاخلاق الفاضلة والتي سلك سبيلها الصوفيون كالحب والسكر والتوبة والمجاهدة والخلوة والتقوى ومقامي الخوف والرجاء ومقام الفكر والذكر وأسرارهما وله بحث في النبوة وأسرارها .

وكان محيي الدين يعد من قادة التصوف وحاملي لوائه ومعلميه في ايران كابن سينا الى زمن جنكيزخان المغولي يجله صدر الدين غاية التبجيل ويقرن اسمه بكلمات التجليل كالعالم الرباني والعارف الكامل وأشباهها واقتبس صدر الدين آراءه وأوردها ضمن الكلمات الفلسفية .

(٤ — الدين الاسلامي) : اما الدين الاسلامي فالقرآن باصوله العالية وسننه السامية (مرآة) تعاليم هذا الدين الجلي آخى بين العلم والدين وارشد الى توحيد الحق المهيمن وتنزيهه عن كل نقص وشرك واعلن باسم الله واعلاه في وسط كان نعبد الاوثان ورفض كل باطل وحطم كل وثن وصنم . وهو النور الذي ألقى أشعته البيضاء في مدة يسيرة بين الاندلس والهند . ولا زال سراجاً يضيء العالم في قرون طويلة ولكن النزاع في الخلافة في الصدر الاول الذي امتد الى القرون المتأخرة من ناحية وتشابه بعض آيات القرآن الذي دعا المفكرين الى النظر فيها من ناحية أخرى كانا من الاسباب التي اوجدت الفرق واحدثت الجدل .

فظهر هذا الدين بمظهر غير مظهره الذي تجلى به في الصدر الاول ظهر منحرفاً عن اصله السامي فبهذه الصورة تلقاه صدر الدين .

(وقوف حركة الفلسفة في ايران) : كانت لفلسفة ابن سينا حركة قوية في ايران الى ان هجم المغول في القرن السابع الهجري فوقفت هذه الحركة لان الغزاة كانوا يرمون الى الترتيب السياسي وتنظيمه ولم يكن لهم اهتمام بالفلسفة لان غاية هؤلاء الفاتحين كانت ان ينشئوا نظاماً مدنياً قوياً بكل ما يمكن من الوسائل ولما صبأوا الى الاسلام رأوا من المعقول ان يسندوا كل الاسناد هذا الدين فلم يوافقوا على نشر فلسفة ابن سينا ومن قال بمذهبه وان هم اهتموا بنشر الفنون والصنائع .

(ظهور الدولة الصفوية) : قلنا فيما سبق ان الحركة الفلسفية وقفت حينما هجم المغول لان كبير اهتمامهم كان بنشر الفنون والصنائع وقليلاً كانوا يعتنون بالعلم والأدب .

وسارت الامور هذا السير الى ان تسنم اول الصفويين غارب العرش وكان صوفياً بحتاً ولكنه لما رأى الشيعية مذهباً خاصاً بالبلاد الفارسية اولع بها هو وخلفاؤه ولعاً يدل على

ذكاء فانهم روجوا نموها وتبسطها بكل ما أوتوا من السطوة والسلطنة ولم يعن بفلسفة ابن سينا ٠

ولكن الفلسفة كانت تتحرك وتبدي اشارات الحياة لان ارجاع المسببات الى اسبابها والفحص عن عللها مما يطلبه الطبع البشري ٠

(طريقة التدريس في آسية) : ولما كان الدرس في العلوم العالية في آسية تتلقى مشافهة وكان الفلاسفة القائلون بمذهب ابن سينا متفرقين وهم نفر قليل كثيرو الخوف امام علماء الدين اضطر صدر الدين ان يخلي عدة سنين في جبال (قم) متنقلاً في رحلاته في فارس لاقطاً من أفواه الحكماء جميع الشروح التي نشأت من نفوس اصحابها بعد الخبرة والثقة بنفوسهم وبدأ بنفسه يعلم في المدن التي يمر بها ولما لم يكن له منافسون من جهة الفصاحة ولا من جهة التأنق في العبارة ولا من جهة سهولة التعبير كان سامعوه يفرحون بما يلقيه عليهم ويقلدونه بكل حرص وكانوا كثيرين ثم كان ينتقي منهم تلاميذ ذي فضل ممتاز ٠

(خوفه من رجال الدين) : وكان صدر الدين نفسه ايضاً يخاف رجال الدين المتمسكين بالظواهر ولهذا كان يسعى جهده ان لا يثير في نفوسهم كامن الريبة فكان موضوع بحوثه اموراً مكنية يثبتها بالادلة الصريحة ولو لم يفعل ذلك لعرض نفسه لشكاياتهم وتشديدهم عليه تشديدات لا نهاية لها فيخاطر بالعمل عينه بمستقبل اصلاح الفلسفة الذي كان يفكر به فوفق بين فكره وبين مقتضيات الأحوال ولجأ الى الوسيلة العظمى وسيلة التقية والكتمان ٠

وكان اذا هبط مدينة يحرص على زيارة مجتهديها او علمائها ويجلس في آخر الناس وكان يطيل السكوت واذا تكلم نطق بكل هدوء وسكينة مستحسناً كل كلمة تخرج من أفواه اولئك الأجلة وكان اذا سئل عن معارفه لا ينطق الا بالآراء المدونة في أسفار المذهب الشيعي المحض ولا يشير ابداً الى انه يُعنى بالفلسفة وبعد ايام قليلة من رؤية المجتهدين والعلماء كانوا يدعونه بانفسهم الى ان يدرس تدريساً علنياً وللحال كان يلبي دعوتهم ٠

(طريقه في نشر فلسفته) : وكان يجعل عنوان درسه من ابواب الفقه اولاً ثم يزيد المسألة تدقيقاً في وجوب اتباع الاوامر والنواهي والفرائض على ما يفعله امهر العلماء في نظرياتهم فكان هذا العمل يحببه في قلوب العلماء ويزيده اعتباراً ٠ واذا كان يبحث

في باب الوضوء او الصلوة كان ينتقل منها الى أسرارها ومنها الى نواميس الوحي ومنها الى التوحيد وكان هنالك يجد مجالاً لاظهار آرائه الفلسفية وابراز شخصيته الكبيرة بآيات من الحذق والمهارة والاستدراك وكشف الاسرار للتلاميذ المتقدمين ٠

وكان في القاء دروسه يسرد عبارات ذات معنيين راقية تتراءى بوجهين لا يفهمها من تلاميذه الا الذين رسخت أقدامهم في الاستنتاج ثم يغطي كل هذه الأقوال بغشاء رقيق من العبارات الدينية التي تؤيد دينه وتظهر احترامه لمبادي الدين ٠

(بثه فلسفة ابن سينا) : وكان ينشر مذهب ابن سينا في الطبقة المذورة كلها واذا كان يحرص على اخفاء مذهبه في كلامه فكان اخفاؤه له فيما يكتبه اقوى واعظم والوقوف على حقيقة مذهبه الفلسفي صعب الا لمن اتصل سند درسه الى تلامذته الذين تلقوه عن نفسه ولمن وقف على اصطلاحاته الفلسفية وسند آرائه غير مقطوع في هذا العصر ولكن قلّ عدد تلامذته اليوم وكان في عصر ناصر الدين شاه القاجار جماعة من كبار تلامذته اي الذين كانوا ينقلون جيلاً بعد جيل عن معلمهم الاكبر من امر فكره و بايديهم مقاليد العبارات التي كان يتخذها لكي لا يعبر عن افكاره صريحاً ٠

(شخصيته الفلسفية) : يقول (الكونت دوغوبينو) ان صدر الدين لم يكن منشئ فلسفة جديدة بل هو أعاد الى فلسفة ابن سينا ضرمها واضاءها في مصباح جديد والحق انه اظهر شخصيته من ناحية مذهبه الفلسفي واتى برأي جديد مستقل في بعض مسائل فلسفية وخالف ابن سينا في مسائل جمة وسنشير الى بعضها ضمن هذه الرسالة ٠ ولا شك انه كان مصلحاً للفلسفة الآسيوية وهو الذي البسها ثوباً يقبله كل من ينظر اليهـا فقبلها من كان في عهده واعجب بنظرياته العارفون ٠

ولا غرو فانه عاش في عهد غير عهد ابن سينا وفي وسط غير وسطه ٠

بدرسنا شخصية هذا الفيلسوف نراه انه أخلد اثر العلم اذ نفخ في رميم مذهب ابن سينا واعاد اليه شبابه في العصر الذي عاش فيه والبسه حلة مكنته من ان ينتشر في جميع مدارس ايران واستطاع ان يفسح لمذهبه الفلسفي موطناً بجانب تعاليم الدين ولولا خدمته العلمية لكان نجم الفلسفة يغرب وراء ظلمات الغزوات المغولية ٠ وعشاق الفلسفة مدينون لهذا الفيلسوف الكبير ٠ وحقاً يعدّ معلماً كبيراً للفلسفة في ايران بعد ابن سينا الى الآن ٠

(مذهبه في أزلية العالم المادي وحدوثه) : افترق الدين والفلسفة في مسألة قدم العالم وحدوثه فبالضرورة ينتهي البحث الى أزلية (المادة وحدوثها) قدماً زمانياً يصرح الدين بظاهره بالحدوث وان يد الباري ابدعت المادة من العدم والفلسفة تجهر بالقدم .

وقف صدر الدين امام هذه المسألة العويصة وقوف المتحير ورأى نفسه بين تجاذب قوتي الدين والفلسفة .

يقول في اول رسالته في الحدوث (١) هذه المسألة تحيرت فيها افهام الفحول لغموضها والناس فيها بين مقلد كالحيارى ومجادل كالسكارى فمن المدققين من اعترف بالعجز عن اثبات الحدوث للعالم بالبرهان قائلاً ان العمدة في ذلك الحديث والاجماع من الملبين اذ الاول قد يحصل بالتقليد او الجدل وهما مناط الظن والتخمين والثاني لكونه بصيرة باطنية لا يحصل الا بالبرهان المنور للعقول التابع للوصول . (٢) وزيّف آراء المتكلمين التي تمسكوا بها في حدوث المادة . وقال فمنهم من يتصدى لاثبات هذا المقصد العظيم بالأدلة المتزلزلة والاقيسة المختلة كالمتكلمين زعماً منهم ان تمهيد اصول الدين مما يحتاج الى تلك الكلمات الواهية .

وقال وما احسن قول (الغزالي) في حق من تصدى لنصرة قوام الدين بالامور السخيفة انه صديق جاهل . وقال ايضاً ان ايراد مثلها في معرض الانتصار للشرع القويم ربما يؤدي الى خلل عظيم من حيث ان صغار العقول ربما يزعمون ان اصول الدين مبنية على هذه الدعاوي الواهية هذا كما ان بعض المحدثين نقل ان بعض الزنادقة وضع الاحاديث في فضل الباذنجان منها (كلوا الباذنجان فانها اول شجرة آمنت بالله تعالى) .

وقال انما وضعه ليتوسل به الى القدح في صدق النبي (ص) الذي شهد الله تعالى بصدقه وهو نفسه لم يستطع ان يخطئ مبادئ الدين القائلة بالحدوث لقوة ايمانه بالانبياء وقبول اصول تعاليمهم قبولاً فلسفياً .

وفند رأي ابي نصر الفارابي المدون في رسالته في الجمع بين رأي الحكيمين افلاطون وارسطو بتأويله مذهب افلاطون في الحدوث بالحدوث الذاتي والافتقار الى الصانع .

وقال هذا القول في الحقيقة تكذيب للانبياء من حيث لا يدري وقال ان النصوص

المأثورة عن افلاطون تمطي انه يريد بالحدوث الحدوث الزماني لا الحدوث الذاتي وقال وهذا من قصور ابي نصر في البلوغ الى شأو الأقدمين .

ونقل عن افلاطون في كتابه المعروف (بفاذا) وفي كتابه المعروف (بطيماوس) كما حكى عنه تلامذته (كأرسطو) و (طيماوس) و (شافرطوس) و (ابرقلس) انه قال ان للعالم مبدأً محدثاً ازلياً واجباً بذاته عالماً بجميع معلوماته على لغة (او نعت ؟) الأسباب الكلية كان في الازل ولم يكن في الوجود رسم ولاظل (اوظلل؟) الا تمثال عن الباري جل اسمه ربما يعبر عنه بالعنصر الاول ووجّه ايضاً رأي ارسطو بانه يريد من الحدوث الحدوث الزماني ورأى ان العلم لا يصدق حدوثها من العدم المحض وفكر فكراً عميقاً ليحل المعضلة ولما انتهى فكره الى نقطة وجد فيها سبيله للتخلص من ظلمة هذا الشك .

رأى ان الوقت قد حان ليجهر برأيه فقال ان هذه المسألة عندي في غاية الوضوح والانارة لم اجد من نفسي رخصة في كتمانها وعدم الافاضة بها على من يستأهلها ويقبلها واخذ يجهر برأيه قائلاً ان ماسوى الله حادث . ولا قديم ذاتاً وزماناً الا الله تعالى .

(نظرية الحركة في الجوهر) : سلك في أزلية المادة مسلكاً وفق به بين الدين والفلسفة وابدى نظرية سماها (الحركة الجوهرية) وهي نظرية في غاية الغموض والابهام تكاد تشبه نظرية (انشتين) يعسر فهمها الا بالامعان والتدبر العميق في فلسفته واصطلاحه .

وهي ان العالم المادي مطلقاً لا يزال في تجدد مستمر فالمادة بجوهرها في الآن الثاني غير المادة في الآن الاول وهي متحركة دائماً بحركة جوهرية وللهيولي والصورة في كل آن تجدد مستمر .

ولتشابه الصور في الجسم البسيط ظن ان فيه صورة واحدة مستمرة لا على التجدد وليست كذلك بل هي واحدة بالحد لا بالعد لانها متجددة متعاقبة على نعت الاتصال لا بان يكون متفاصلة متجاورة ليلزم تركيب المقادير والأزمنة من غير المنقسمات وبهذه النظرية استنتج التوفيق بين الدين والفلسفة فالدين انما أراد من الحدوث تجدد المادة وحركتها حركة جوهرية وهي حادثة في كل آن وان لم يكن لها مبدأ زماني وهو يوافق العلم فلا اختلاف بينهما اذ كل منهما يقول بالحدوث بهذا المعنى والمبنى اي تجدد المادة تجدداً جوهرياً .

وكل منهما يقول بالقدم لانها لا يتصوّر عقلاً حدوثها من العدم البحت حتى يتصوّر لها مبدأ زماني وهي نتيجة عدة اصول :

منها انه فرض للوجود طرفين وهو في احد طرفيه فعلية محضة من جميع الجهات وهو الباري الموجد تعالى وبعبارة اوضح هو الوجود المطلق وفيه كل الكمال المتصور الفعلي وفي طرفه الآخر قوة محضة من جميع الجهات الا في فعلية القوة[١] وهذا يطلق على الهيولى[٢] .

فيكون في الوجود طرفان (الباري) تعالى و (الهيولى) والباري تعالى وجود اكمل من جميع الجهات فلا يحتاج الى الخروج عما كان وفي الوجود ايضاً مرتبة وسطى له الفعلية من جهة والقوة من أخرى فبالضرورة يكون فيه تركيب فذاته مركبة من شيئين احدهما بالفعل والآخر بالقوة وله من جهة القوة ان يخرج الى الفعل لغيره .

وهذا الخروج اذا كان بالتدريج يسمى حركة والحركة هي فعل او كمال اول للشيءٔ الذي هو بالقوة[٣] ومعنى الحركة التجدد والانقضاء .

والتجدد في المادة صفة ذاتية فلا تحتاج الى جاعل وفاعل يجعلها متجددة وهذا الرأي يفيد ان يد الباري اوجدت المادة متحركة والحركة موضوعة في طبعها والعلم الحديث ايضاً يقول ان حركة الذرات في طبعها ومنها المتحرك انما يتحرك بشيءٔ آخر لا يكون بنفسه متحركاً فتكون حركة بالقوة فقابل الحركة امر بالقوة وفاعلها امر بالفعل والحركة على مذهبه سببها وجود فعلية القوة وللشيءٔ ان يخرج الى الفعل لغيره ومنها ان مبدأ الحركة الطبيعة لا النفس ولا العقل[٤] وقال الفاعل المباشر للحركة ليس عقلاً محضاً من

---

(١) فسر اصطلاحه في القوة بقوله هو مايقال لمبدإ التغير في شيءٔ آخر من حيث هو شيءٔ آخر سواء أكان فعلاً امانفعالاً ويقول ايضاً ان القوة الفعلية قد تكون مبدأ الحركة واذا كانت مبدأ للحركة لاتخلو من التجدد والتغير فهو متحرك حافظ لتغيره وقد تكون القوة وراء مالايتناهى بما لاتتناهى في الايجاد والابداع كقوة الباري وقد يكون في الانفعال بما لايتناهى كالهيولى الاولى . (٢) فسرنا الهيولى فيما سبق . (٣) وهذا تعبير آخر عن سير الوجود نحو الكمال والارتقاء اليه حسب قانون النشوء والارتقاء .

(٤) العقل يطلق في اصطلاحه على الجوهر المجرد الروحي .

غير واسطة لعدم تغيره ولا نفساً من حيث ذاتها العقلية بل ان كانت محركة فهي اما من حيث كونها في الجسم او من حيث تعلقها به فيكون اما طبيعة او في حكم الطبيعة .

والطبيعة على مذهبه سيالة الذات متجددة الحقيقة نشأت حقيقتها المتجددة بين مادة شأنها القبول والزوال وفاعل محض شأنه الافاضة والإكمال فلا يزال ينبعث عن الفاعل امر وينعدم في القابل ثم يجبره الفاعل بايراد البدل على الاتصال .

فبهذه الاصول وصل الى النتيجة التي هي مفاد نظريته وهي ان مبدأ الحركة سواء أكانت طبيعية ام ارادية ام قسرية هي الطبيعة . والحركة معناها التجدد والانقضاء ومبدأ التجدد لا بد ان يكون متجدداً فالطبيعة بالضرورة متجددة بحسب الذات لان المتحرك وهي المادة لا يتصور صدوره عن الساكن ويستحيل صدوره عن الثابت وقال وبصحة هذا الاصل اعترف الرئيس ابن سينا وغيره بان الطبيعة من جهة الثبات ليست علة الحركة وقالوا لا بد من لحوق التغير بها من الخارج .

والطبيعة اذا كانت متجددة فالمادة في الآن الثاني بجوهرها غير المادة في الآن الاول . قال في آخر الفصل الرابع من رسالة الحدوث :

تنبيه تمثيلي ان كان كل شخص جوهري له طبيعة سيالة متجددة وله ايضاً امر ثابت مستمر نسبته اليها نسبة الروح الى الجسد فان الروح الانساني لتجردها باقية وطبيعة البدن ابداً في التجدد والسيلان والذوبان وانما هو متجدد الذات الباقية بورود الامثال والخلق لفي غفلة عنه (بل هم في لبس من خلق جديد) وكل حال الصور الطبيعية متجددة من حيث وجودها المادي الوضعي الزماني فلها كون تدريجي متبدل غير مستقر الذات ومن حيث وجودها العقلي وصورتها المفارقة (اوالمقارنة ؟) الافلاطونية[1] باقية ازلاً وابداً في علم الله تعالى فالاول وجود دنيوي بائد داثر لا قرار له والثاني وجود ثابت غير داثر لاستحالة ان يزول شيء من الاشياء عن علمه او يتغير علمه تعالى (ان في هذا لبلاغاً لقوم عابدين) .

ولما ابدى نظريته وتنبه انه تفرّد بها قال في الفصل الخامس من رسالة الحدوث اما قولك فيما سبق ان هذا إحداث مذهب لم يقل به احد من الحكماء فهو كذب وظلم

---

(١) تطلق الصورة الافلاطونية في الفلسفة اليونانية على عالم المثال والجواهر المجردة .

فانّ اول حكيم قال به في كتابه هو الله سبحانه وهو أصدق الحكماء فانه قال : (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) وقال : (بل هم في لبس من خلق جديد) . وقوله : (والسموات مطويات بيمينه) وقوله : (على ان نبدّل أمثالكم وننشأكم فيما لا تعلمون) .

وتمسك ببعض آيات وروايات أخر تركنا ذكرها لعدم دلالتها في نظرنا ثم نقل عن ابن عربي قوله في الفصوص : ان الانسان في الترقي دائماً وهو لا يشعر بذلك للطافة الحجاب ورقته وتشابه الصور مثل قوله : (وأُتوا به متشابهاً) ونقل قوله في الباب السابع والستين والمائة من الفتوحات فالوجود كله متحرك على الدوام .

(اختياره مذهب التصوف ووحدة الوجود) : هذا الفيلسوف الآلهي يدور اكثر مباحثه حول التفكر في الآله المبدع ووحدته وصفاته المعنوية من العلم والحكمة والقدرة او ان شئت فل بحث عن القوة المدبرة للكون وفلسفته تستقي من معين التصوف ووحدة الوجود معتمدة على المبادئ الاشراقية وروح فلسفة افلاطون وارسطو بادية باجلى مظاهرها فيها ويلوح للناظر في كلماته انه إبان درسه الفلسفة خاض مدة مديدة لجج المسائل اللاهوتية ووازن حجج الفلاسفة من الاشراقيين والمشائين ودرس اصول المتكلمين واصحاب الجدل وعرف انها جميعاً لا توصل الى الحق ولا تروي غليله لانها مكررة بتناقض المبادئ .

وكيف تسكن نفس رجل زكي الفؤاد وقاد الذهن بما لا ينير ظلمة المعضلات في المسائل اللاهوتية العويصة وهي تحاول ان تبلغ مرتبة الشهود والعيان من مراتب الايمان وبعد مدة طويلة لما لم يجد ضالته في درس أدلة الجدليين الذين يقول في شأن فلسفتهم اني أستغفر الله وأستعيذ عما ضيعت شطراً من عمري في طريقهم غير المستقيم لاذ بحجر التصوف وهناك وجد سكونه واطمئنانه واخذ يسعى في التوفيق بينه وبين الشريعة بتأويل نصوصها وتوجيهها اليه .

جرت عادة الباحثين في المسائل اللاهوتية الا الصوفيين ان يضعوا باباً في البحث عن الموجد للكون .

ويذكروا فيها أدلة يستمد بعضها من ابطال التسلسل او الدور لزعمهم ان المبدع الحكيم (اي القوة المدبرة) منفصل عن الكون ولكن الصوفيين يرون ان الوجود المنبسط الذي

يمثل الكون بمحسوسه ومعقوله كافٍ للدلالة على وجود الموجد وصفاته لانه عينه وفي كل شيء آية دالة على وحدته ومذهب وحدة الوجود (البانتيسم) الله في الكل والكل في الله هو سر التصوف وروحه ولاجل ذلك لا يتمسكون بادلة الكلاميين والجدليين وفرق الفلاسفة الذين تقرب فلسفتهم من مبادئهم بل يستدلون بوجود القوة المدبرة المبدعة باكثر من بحثهم في شؤون الوجود المنبسط ومراتبه وظهوره ·

وصدر الدين وان أفاض في البحث عن كل المباحث اللاهوتية واكثر مباحث الفلسفة الادبية والفلسفة العامة وتبحر فيها الا ان غرضنا الذي نرمي اليه هو ان نأتي من فلسفته بنقطتي الوفاق والخلاف مع الفلسفة المادية · وهي مسائل طالما سرّح الانسان افكاره حولها كمسألة هل المادة أزلية ام حادثة ؟ وهل للكون مبدع غير الطبع ؟ وهل هو شاعر عالم ؟ وهل في خلق الكون غاية وحكمة او لا ؟ ثم نردفها ببعض آرائه العلمية والادبية · وبذلك نصور نفسية رجل حكيم خدم اللغة العربية والعلم خدمة جليلة ·

(طريقه الى معرفة الله تعالى) : يقول في الجزء الثالث من الاسفار الاربعة (فصل) في إثبات واجب الوجود والوصول الى معرفة ذاته : واعلم ان الطرق الى الله كثيرة لانه ذو فضائل وجهات كثيرة ولكل وجهة هو موليها لكن بعضها أوثق وأشرف وأنور من بعض · وأسد البراهين وأشرفها اليه هو الذي لايكون الوسط في البرهان غيره بالحقيقة فيكون الطريق الى المقصود هو عين المقصود وهذه سبيل الصديقين الذين يستشهدون به تعالى عليه ثم يستشهدون بذاته على صفاته وبصفاته على أفعاله واحداً بعد واحد وغير هؤلاء : كالمتكلمين والطبيعيين وغيرهم يتوسلون الى معرفة الله تعالى وصفاته بواسطة امر آخر غيره كالإمكان للمهية والحدوث للخلق والحركة للجسم او غير ذلك وهي ايضاً دلائل على ذاته وشواهد على صفاته لكن هذا المنهج أحكم وأشرف وقد أشير في الكتاب الالهي الى تلك الطرق بقوله تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) والى هذه الطريقة أشار بقوله : (أوَ لم يكفِ بربك أنه على كل شيء شهيد) ·

وذلك لان الربانيين ينظرون الى الوجود ويحققونه ويعلمون انه أصل كل شيء ثم يصلون بالنظر اليه الى انه بحسب اصل حقيقته واجب الوجود · واما الامكان والحاجة

والمعلولية وغير ذلك فانه يلحقه لا لاجل حقيقتـه بل لاجل نقائض واعدام خارجة عن اصل حقيقته ثم بالنظر فيما يلزم الوجوب او الامكان يصلون الى توحيـد ذاته وصفاته ومن صفاته الى كيفية أفعاله وآثاره وهذه طريقة الانبياء كما في قوله تعالى : (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة) . وهـذا المذهب يشبه مذهب (باسكال) المتوفى سنة ١٦٦٢ م : — أرى في الطبيعة كائناً واجب الوجود دائماً لا نهائياً .

وقال في اول رسالته في سريان الوجود :

إعلم ان الواجب الحق هو المنفرد بالوجود الحقيقي وهو عينه وغيره من الممكنات موجودة بالانتساب اليه والارتباط به ارتباطاً خاصاً وانتساباً مخصوصاً لا بعروض الوجود كما هو المشهور .

ثم قال ان الوجود قد يطلق و يراد به الكون في الأعيان ولا شك في كونه امراً اعتبارياً انتزاعياً وقد يطلق و يراد به ماهو منشأ لانتزاع الكون في الاعيان ومصحح صدقه وحمله وهو بهذا المعنى عين الواجب .

وقال بعد بضعة سطور ان منـاط الوجوب الذاتي ليس الا كون نفس الواجب من حيث هي مبدأ لانتزاع الوجود والموجودية .

من الاصول المقررة في الفلسفة الالهية التي وضع عليها بعض الآراء الفلسفية واعترف بها صدر الدين فيما يظهر من كلماته السالفة ان الوجود امر واحد ذو مراتب في الشدة والضعف وله وحدة معنوية .

ومنها ان الوجود الحقيقي الذي صح ان يكون منشأ لانتزاع الموجودات عنـه والذي هو مصـدر الكون او هو كالشمس منبع الأنوار أزلي موجود قائم بالذات لا جاعل له .

ومنها ان مفهوم الوجود من أعرف الاشياء . وكنهه في غاية الخفاء . فانا نرى ذرّة المادة ونحسها بالبصر ونلمسها باليد ولكن اسأل اي انسان تشاء من العلماء الطبيعيين (اي الفيزيولجيين) ما هي ؟ وكيف وجدت أأزلية ام حادثة ؟ وما هو سرّها ؟ يقف أمامك والحيرة ملكت عقله ولا يدري ماذا يجيبك ولا تنفعه اختباراته الكيمية والفيزيكية .

فمعرفة كنه الوجود رمز لايزال مجهولاً على رغم جهود الانسان في كشفه منذ الأجيال والقرون وذهب سعيه سدىً وكلّ جناح فكره عن الوصول اليه فضم هذه

الأصول بعضها الى بعض ينتج ان القوة التي اوجدت الكون بمعقوله ومحسوسه ومثلت أجزاءه المنسقة ونظمتها بنظامه العجيب — هو الله على مذهب صدرالدين اومن هوسالك سبيله في القول بوحدة الوجود [(١)] .

وهذا الرأي قريب من مذهب القائلين بان الطبيعة هي موجدة الكون أزلاً ونقطة الوفاق بين المذهبين مذهب وحدة الوجود او الصوفيين ومذهب الطبيعيين هي ما أشرنا اليه . الا ان مذهب الصوفيين وأنصار وحدة الوجود كما سيذكره صدرالدين ونشيراليه يفارق مذهب الطبيعيين في ان هذه القوة الموجدة التي يطلقون عليها الوجود الحقيقي او الواجب الوجود واجدة لجميع مراتب الكمال المعقول ولا يشذ عنها كمال في الوجود فلها العلم والقدرة باقصى مراتبهما فعلمه وقدرته غيرمتناهيين عدة وشدة ومدة . وصدر الدين والصوفيون وأنصار وحدة الوجود لايقولون بانفصال المبدإ (الله) عن الكون كما انهم لا يقولون بالحلول والاتحاد بل يقولون ان ارتباط الكون بالله تعالى وانتسابه كيفية مجهولة . قال صدر الدين في اول رسالته سريان الوجود ما هذا نصه : ثم اعلم ان ذلك الارتباط كما مر ليس بالحالية ولا بالمحلية بل هي نسبة خاصة وتعلق مخصوص يشبه نسبة المعروض الى العارض بوجه من الوجوه وليس هي بعينه كما توهم والحق ان حقيقة تلك النسبة والارتباط وكيفيتها مجهولة لا تعرف اه .

وهذا مذهب (مالبرانش) :

قال في الكتاب الثالث من تأليفه المسمى بالبحث عن الحقيقة ان جميع الكائنات حتى المادية والدنيوية هي في (الله) الا انها بطريقة روحانية محضة لا نستطيع فهمها يرى الله في داخل ذات نفسه كل الكائنات (ص ٧١) محاضرات العالم (دي جلارزا) الاستاذ في الجامعة المصرية وايد صدرالدين مذهبه بقوله تعالى (وهو معكم اينما كنتم

(١) والى هذا المعنى أشار الشاعر الكبير جميل صدقي الزهاوي :

الله والكون لاعــلان الحياة اقترنا
فما لذا عن ذاك او لذاك عنذا من غنى
ما الكون الا مظهرٌ له به تبينـــــــا

ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله على انه بكل شيء محيط وأحاط بما لديهم واحصى . وهو الله في السموات والارض ونحن أقرب اليه من حبل الوريد . ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون . هو الاول والآخر والظاهر والباطن) . وهذا الفيلسوف لا يرضى ان تحمل هذه الآيات على مجرد علمه تعالى . وقال ولا تصرف هذه الآيات عن ظواهرها فحملها على مجرد علمه تعالى بها او غيرها كما هو شيمة الظاهريين .

فان الصرف عن الظواهر من غير داع اليه من عقل اونقل غير جائز اصلاً ولا داعي هناك قطعاً ولا مانع من الحمل على الظواهر على ماعرفناك فاعترف .

وقال صدر الدين ايضاً الأقرب في تقريب تلك النسبة أعني إحاطته ومعيته بالموجودات ماقال بعضهم من ان من عرف معية الروح وإحاطتها بالبدن مع تجردها وتنزهها عن الدخول فيه والخروج عنه واتصالها به وانفصالها عنه عرف بوجه ما كيفية إحاطته تعالى ومعيته بالموجودات من غير حلول واتحاد ولا دخول واتصال ولا خروج وانفصال وان كان التفاوت في ذلك كثيراً بل لا يتناهى ولهذا قال من عرف نفسه فقد عرف ربه وللتنبيه على هذا المعنى قال بعض المشايخ شعراً :

حق جان جهان است جهان جمله بدن　　املاك لطائف وحواس اين تن

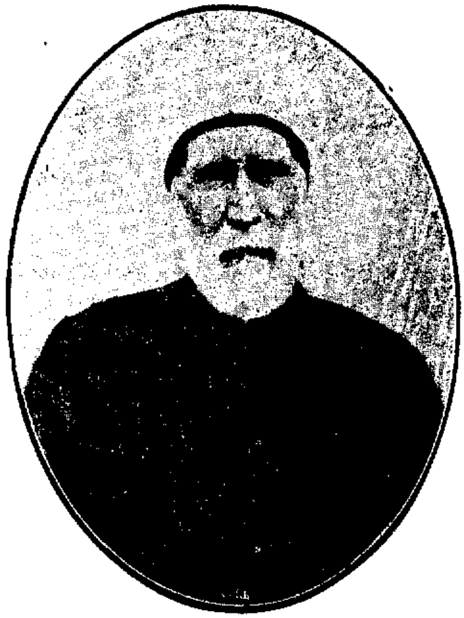
افلاك عناصر ومواليد اعضا　　توحيد همين است دگر هاهمه فن

اي الله روح العالم والعالم كجسمه والاملاك حواس هذا الجسم اللطيفة والافلاك والعناصر الاربعة والمواليد الثلاثة اعضاء هذا الجسد وهذا هو التوحيد حقاً وغيره لا يتجاوز كونه فناً من الفنون . ثم يقول ولا يتوهم من ظاهر هذا الكلام ان الواجب الحق روح العالم ونفسه كما توهم بعض القاصرين تعالى عن ذلك علواً كبيراً فان ذلك على ما حقق في موضعه ممتنع بل غرضه تقريب كيفية إحاطته تعالى بالموجودات من بعض الوجوه الى الاذهان السليمة المستقيمة .

« للبحث تتمة »

ابو عبد الله الزنجاني
عضو المجمع العلمي

العلامة سليم البخاري



لبست دمشق في العام المنصرم لباس الحداد لفقد عظيم دعاة الاصلاح والتجدد ، الثبت الحجة الاستاذ سليم افندي البخاري شهرة ، الآمدي محتداً . فقد لبى دعوة ربه الى الدار الآخرة في اليوم العاشر من جمادي الاولى سنة ١٣٤٧ ﻫ والرابع والعشرين من تشرين الاول سنة ١٩٢٨ م عن عمر بلغ زهاء ثمانين سنة لانه ولد في دمشق غرة سنة ١٢٦٨ ﻫ كما وجد ذلك بخط يده . وقد شيعت جنازته بحفل عظيم امتاز بهيبة السنة لخلوه من البدع اذ ساد به الصمت بدون نداء المؤذنين فرادى او مجتمعين عملاً بوصيته ودفن في مقبرة الدحداح ، نور الله ضريحه .

حياته العلمية — بعد ان نشأ وتخرج من المدارس التحضيرية ، تولى شؤون تثقيفه وتربيته العلمية خال والدته الشيخ محمد البرهاني من فقهاء دمشق الاحناف ، وعهد الى

الشيخ عمر حفيد الشهاب العطار بتعليمه علوم اللغة العربية من صرف ونحو ومعانٍ وبيان والبديع ووضع ، والعلوم العقليـة من منطق وحكمة وجدل · ولم يقتصر عليهما ، بل لزم ايضاً غيرهما من العلماء الاعلام أضراب منلا طه الكردي وأستاذي شيخ العلم في دمشق ابي بكر (بكري) العطار ، والشيخ محمد الامامي الشهير بابن الجوخدار ، ومفتي المذهب المالكي بدمشق الشيخ محمد صالح الجزائري والد أستاذنا العلامة البحاثة الشيخ طاهر الشهير ، والعلامة الفقيه الشيخ عبد الغني الغنيمي الشهير بالميداني شارح كتاب القدوري ، فتلقى منهم ماتلقى من العلوم العربية والعقلية واصول الفقه والكلام والتفسير · ثم اخذ الحديث الشريف رواية ودراية عن الشيخ سليم العطار · وحظي ايضاً بمجالس فقيـه الديار الشامية السيد محمد الحمزاوي الحسيني مفتي دمشق الاسبق ، وأجازه بمايرويه عن أشياخه أرباب الاسانيد المسلسلة الرواية ، ولا سيما اعلامهم سنداً محدث الديار الشـامية الشيخ عبد الرحمن الكزبري ·

وحينما أدى حجة الاسلام مكث مجاوراً بمكة المكرمة ستة اشهر تلقى في غضونها الربع المجيب ومتن الشمسية في المنطق من صاحب إظهار الحق الشيخ رحمة الله الهندي ، وسمع احياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالي من السيد احمد الدهان من علماء أم القرى وساداتها · ولزم دروس صاحب المؤلفات الكثيرة السيد زيني دحلان مفتي مكة المكرمة ·

تقلد وظيفة مفتي كتيبة المدفعية (مفتي آلاي) في الفيلق الخامس من فيالق الدولة العثمانية وهو فيلق قطر الشـام وذلك على حداثة سنه فأحرز قصب السبق في الاستانة على من باروه في حلبة سباق الامتحان لغزارة علمه وقوة عارضته مع إجادته التكلم والكتابة باللغة التركية ومعرفته قليلاً من اللغة الفارسية ، وكانت وظيفته هذه من اعظم البواعث على تعارفه الى أغلب علماء الشام لكونه ظل زهاء ربع قرن بفحص طلبة العلوم الدينيـة المخصوصين من عموم المكلفين بالتجند الاجباري · فكثر عارفوه وذاعت شهرته العلميـة في أنحاء القطر وسرت منه الى بعض الاقطار الاسلامية ولا سيما الاقطار المجـاورة · وقد لقي كثيراً من رجالات العلم في الامصار ممن كانوا يمرون بدمشق لحج البيت الحرام او الذين يلقاهم اتفاقاً في بلادهم او في الحرمين الشريفين او في القسطنطينية ، وجرت بينه وبينهم مناظرات علمية عرفوا بهـا غزارة علمه ، وأعجبوا به كما عرف هو غزارة علم

حكيم الاسلام أستاذنا الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وأعجب بنبوغه حينما اقيه اولاً في بيروت وثانياً في دمشق .

وكان في ايام فتوته وكهولته يعلم الطلبة العلوم النقلية والعقلية ، واخيراً اخذ يمعن في كتب الآداب العربية وأسرارها وكتب التاريخ والطبقات والملل والنحل ، وأسفار الشريعة الاسلامية ولاسيما الامهات السلفية ، وقد اطلع على كثير من نفائس الكتب المخطوطة التي كانت كنزاً دفيناً فحاول هو وصديقه الشيخ طاهر الجزائري ابرازها الى عالم الطباعة والنشر خصوصاً كتب محي السنة الامام ابن تيمية ووارث علومه ابن القيم .

وكان من دأبه الاطلاع على المؤلفات الحديثة في علوم الاجتماع والعمران والسياسة والحكمة النظرية والعلوم الكونية المترجمة عن الغرب ، وعلى الصحف السيارة والمجلات الدينية والعلمية . واذا عثر على كتاب يلائم ذوقه لايذره حتى يطلع عليه بامعان من فاتحته الى خاتمته . وله من المؤلفات رسالة في آداب البحث والمناظرة . ورسالة في عقائد الطائفة الدرزية . وله ايضاً تعليقات ومقالات في موضوعات شتى حفلت بها حواشي الكتب التي طالعها في حياته فدل فيها على تمكن من أسرار الادب والشريعة . وفي الحق ان ما كتبه من هذه الرسائل الصغيرة لا يوازي مجال علمه الواسع والذي عاقه عن المضي في التأليف ان احد مشايخه قد كسر همته لما اطلعه على رسالة كتبها وهو في سن الطلب فهزأ به وبعمله حتى غضب مترجمنا واحرق ما كتب فجمد قلمه منذ ذلك العهد ولم يعد الى التدوين الا في الندر . ولم يعرف عنه انه نظم الشعر ولكن انشاءه كان انشاء العلماء لا عيب فيه من حيث البلاغة والفصاحة .

وقد نسخ بخطه الجميل بعض الكتب القيمة ، وخدم المعارف خدمة تذكر فتشكر حينما كان من اعضاء الجمعية الخيرية برياسة السيد علاء الدين بن العلامة السيد محمد امين عابدين . وقد تألفت هذه الجمعية المباركة في عهد والي الشام مدحت باشا الوزير العثماني الشهير قبل إحداث مديرية المعارف في ربوعنا على النسق الحديث .

سجاياه وأخلاقه = كان — رحمه الله — على جانب عظيم من الذكاء الفطري وسرعة الخاطر ، وقوة الحافظة ، سليم الصدر لا يضمر السوء او الغش لاحد ، عصبي

المزاج ، جميل المحيا ، رقيق الشمائل ، حسن المعاشرة ، يحب النظافة والاتقان والترتيب ، ويرغب في وضع الاشياء في مواضعها . وكان مهيباً وقوراً بهيّ الطلعة ، جامعاً بين أناة الشيوخ وهمة الشبان ، ماضي العزيمة ، صبوراً على المصائب ، مقداماً على عظائم الاعمال ، شديد الغيرة على الوطن واهله ، صلباً بدينه ومبادئه القويمة ، يكره التنطع في الدين والتعصب الممقوت ، كثير التواضع مع إباء النفس ، فلا يتزلف ولا يحابي ، ولا يتمجد بالمجد الكاذب والفخفخة الفارغة ، ولم يتذرع بالحصول على الأوسمة الخلابة والرتب الكذابة بل كان يهزأ بها . وكان خضاعاً للحق صداعاً به ، فاذا ثبت عنده ان هذا الشيء حق يخضع له بدون مكابرة ولا مماراة ، وان هذا باطل يجاهر بمناوأته بدون تقية ولو توقع الخطر ، وله مواقف عجيبة مع اولياء الامور في كل دور من أدوار الحكومات المتعاقبة .

اتحد رأيه السياسي مع رأي فتيان الترك الأحرار (تركيا الفتاة) ، فانتظم في سلك جمعياتهم السرية ، وظل زهاء ثلاثين سنة يجاهد في هذه السبيل معرضاً بنفسه لبطش القصر الحميدي ، غير مبال بسعاية الجواسيس المنتشرين في طول البلاد وعرضها ، فلم تقصف له الوشاية قناة ، ولم يفلّ توقع البطش من عزيمته صفاة ، بل ثبت ثبات الابطال في معترك النزال ، حتى أعلن القانون الاساسي العثماني سنة ١٩٠٨ م اعلاناً ثانياً في عهد السلطان عبد الحميد الثاني .

ولما رأى طيش سهام الاتحاديين غلب عليه التشاؤم من سوء المغبة ، وانسحب من جمعيتهم . لزم الحياد . ثم اضطر بسائق الحرص على سلامة الدولة الى خرق حياده والمجاهرة بمعارضتهم ، والانتظام في حزب الحرية والائتلاف ، وانتخب رئيساً لشعبته في دمشق ، ولم يروعه ما حاق بزعماء حزب الائتلاف من المطاردة والتنكيل عقب انتصار الاتحاديين على خصومهم بالانتخاب النيابي الذي رجحوه بارهاب الضعفاء وخيانة اكابر المجرمين .

ثم كان في طليعة المنادين بالإصلاح والمطالبة العادلة بحقوق العرب المهضومة بعد ان يئس أحرار العرب من حكومتي الائتلاف والاتحاد لضعف الائتلافيين وسوء نية الاتحاديين نحو الشعوب العثمانية التي ليست تركية ولا سيما الشعب العربي الذي طفق يشعر بقوميته العربية ويتغنى بمجدها السالف . فاشتد حنق أساطين جمعية الاتحاد

والنزقي على هذا الشيخ الجريء المقدام واخذوا يتربصون به وباخوانه الدوائر حتى سنحت الفرصة باعلان الحرب العالمية الكبرى وانحياز الدولة العثمانية الى دول اوربا الوسطى .

لا جرم انه كان في العهد الحميدي من دعاة الاصلاح الديني علانيــة ومن طلاب الاصلاح السياسي سراً ، فاستهدف نفسه بآن واحد لضغينة أعداء التجــدد من رجال الدين ، وقذف اتبــاعهم الدجالين وسعاياتهم باسم الدين والسياسة ، وعرضهــا ايضاً لخطر البطش السياسي . ولئن نجا من بطش القصر الحميدي فلم يكن ليخلص من الإحراج والاضطهاد ومساورة القلق حينما يشتد تحري المنازل ونبش المكتبات والتفتيش عن الأوراق السياسية بوشاية من كانوا ينسجون السعاية من لحمة الدين وسدى السياسة . وكان كلما حدثت دعوة جديدة او صدر كتاب يدعو الى التجدد يُستدعى من قبل اوليــاء الامور الاستاذان الجليلان اللذان كأنهما رضيعا لبانـ الشيخ طاهر الجزائري والشيخ سليم البخاري . وكان كل منهـما ينهج في مناقشته مع الولاة والقواد منهجاً يباين منهج الآخر مع اتحــادهما بالاخلاص وقوة العزائم . فان أستاذنا الجزائري كان لشدة دهائه تتغلب ضابطته اللسانية على عاطفته القلبية ، فكان يسدد ويقارب ، ويضطر بعض الأحيــان الى مغالطة اولياء الامور باسلوب الحكيم . اما أستاذنا البخاري فكان لشدة صفائه تتغلب عاطفته على ضابطته ، فيعرب بصريح العبارة عن فكرته في غضون مناقشته مع رئيسه القــائد العسكري الكبير سواء أكان حائزاً رتبة فريق ام مشير . وموظف لا يملك من موارد الرزق سوى وظيفته يناقش رئيسه الاكبر بدون مبالاة يجب انـ يقدر ثباته ومفاداته في سبيل مبادئه . واصح ما يقــال بوصف ذينك الشيخين المخلصين الجزائري والبخاري ان الاول قد قبضه الدهاء ، وان الثاني قد بسطه الصفاء . وكلاهما لقيا في سبيل دعوتهما ضروب العناء . وكانا تمثال الثبات ومثال المضاء . لكن الاول نجا من بطش الاتحاديين . ووقع الثاني في شرك الإنتقام اذ سجنه جمال باشا السفاك شهرين في دائرة الشرطة ، ثم ساقه الى مجزر فتيان عرب الشام الأحرار محكمة عالية العرفية اسماً ، فلاقى الأُلاقي في محنته ، وذاق في سجنه ولغربه آلام الامراض ، را كتظت عليه ضروب الخطوب ، وحاقت به أنواع المصائب من كل جانب . فقد اتصل به وهو سجين ان ولده الذي كان يقود احدى الفرق العثمانية وقع اسيراً في قبضة الجيش الروسي ولم

يوقف له على خبر ، وان ولده الضابط الصغير سيق الى بادية الحجاز .

وبينا هو كذلك قبضت الحكومة على ولده الفار من خدمة الجيش المقصورة الضارب اكباد الإبل في بادية الشام ، وجيء به مكبلاً بالحديد ، ولم يكد يصبح الوالد حتى قرع سمعه ان ابنه صار مثله سجيناً في عالية ، واخيراً سل من جنبه الشاب البار الشهيد محمود جلال الى المشنقة .

وامر هذا الطاغية الاثيم بتغريب المترجم له وعائلته الى أقصى الاناضول الغربي على سبيل نقل المكان الى الأبد أسوةً بأسر الشهداء والذين خرجوا من سجون عالية احياءً وغيرهم . واستدعاه من السجن المرة الثالثة ليسبر خضوعه للحكومة الاتحـادية بعد إرهابه بالتنكيل به وقتل ابنه ، وأخبره انه يريد ان يعافيه من مشقة النفي رحمةً بشيخوختـه على شرط ان يكف لسانه من الآن وصاعداً عن القدح بالحكومة ، فما كان منه الا ان طعنه بلسان التورية طعنةً أثرت في صميم فؤاده ، فغضب ، وعدل عن اعفائه من التغريب ، وأنذره باعادة التنكيل فيما اذا ظلَّ مثابراً على خطتـه التي تغضب الحكومة ، فصدر عن مجلسـه الرهيب ولسان حاله يقول (اقضِ ما أنت قاض) . وآثر عذاب الجثمان بوعثـاء السفر ، وأسر التغريب على تعذيب الضمير بالمصانعة والتزلف .

شاء الاستاذ عقب إعلان القـانون الاساسي ان يتقاعد عن اعمال وظيفته فطلب إحالته على راتب التقاعد فأجيب طلبه ولزم داره ، وعكف على مطالعـة كتبه ومزاولة درسه وبحثه . لكن احد ولاة سورية اسماعيل فاضل باشـا أراد ان يخرجه من عزلته وأراده بالحاح ان يكون عضواً في مجلس الاوقاف . وبعد اخذ ورد وشرط شروط قبل وتذرع بمشاريع نافعة حال دون إتمامها عزل الوالي الموما اليه . وكانت الحكومة تعينـه من حين الى آخر في اللجنات الحكومية المختلفة . وقد شغرت في ذاك العهد وظيفة فتيا دمشق ثلاث مرات ، فرغب عنها . ثم عين في العهد الفيصلي عضواً في مجلس الشورى ، وقد تذرع بفرض الرواتب الشهرية لبعض العلماء المعوزين المنزوين الذين لا يعرفهم الا العلماء . وحينما أحدث المجمع العلمي العربي في ذلك العهد انتخب في عداد اعضائه . ثم عين عضواً في مجلس المعارف الكبير . وأخيراً أسندت اليه رياسة العلماء في دولة دمشق ، فقام على شيخوخته باعباء وظيفته احسن قيام ، فأعاد الى السلك الديني هيبته

في الجملة بعد ان شوهته الفوضى ، وأهانه اختلاط الدخيل بالعريق ، وشرع يقربه من النظام شيئاً فشيئاً لعلمه باستحالة الطفرة . واحدث لدائرة الرياسة أوضاعاً تقربها من مضاهاة دائرة مشيخة الاسلام العثمانية ، بل تفوقهـا بادخال التجدد بالتوفيق بين روح الدين ومقتضيات العصر النافعة ، فألف لهذا الغرض وغيره مجلساً برياسته مؤلفاً من مفتي المذاهب الاربعة في دمشق وامين الفتوى وغيرهم من خيرة العلماء المجددين والمحافظين وسماه مجلس الشورى الشرعية ، وأفرز منه لجنة للنظر بالفتاوى التي ترد من جميع مفتي الملحقات على ديوان الرياسة تدعى لجنة تدقيق الفتاوى لانه اوعز الى جميع متقلدي وظيفة الفتيا ان يبعثوا اليه آخر كل شهر بجدول الفتاوى طبق الجدول الذي رسمه ديوان الرياسة . وكان يطرح على مجلس الشوري الفتاوي العصرية التي تقتضيها روح العصر ولا تنافي اصول الدين وقوعده العامة وان لم ينص عليها الفقهاء لعدم حدوثها في ايامهم . وحكمة طرحهـا على المجلس هو اقترانها بابرام قرار صادر عن جماعة من الفقهاء المحـافظين والمجددين . وهذا من أسرع الخطوات الى التوفيق بين الدين والعمران والمحافظة والتجدد . مع مايضاف الى ذلك من الابتعاد عن الاستبداد بالرأي والانفراد بالفتيا . وحظر على غير المدرسين الموظفين الوعظ في المساجد والجوامع بدون وثيقة من قبل الرياسة في العاصمة ومن قبل المفتي في الملحقات منعاً لفوضى التدريس ودجل الجهال . الى آخر ماهنالك من ضروب الاصلاح والمشاريع المفيدة . وأجزلها فائدة مشروع الكلية الاسلامية في المدرسة السميساطية لو لم يحل دون اتمامه مناهضة أعداء الاصلاح الديني ، ولما رأى الحكومة خذلته بعد ان آزرته بهذا المشروع بادئ ذي بدء آثر الاستقالة لولا ان ثبته الحريصون على نهضة العلوم الدينية وعمران معاهدها .

ولما عقد رئيس العلماء وشيخ الاحرار البيعة بالخلافة لصاحب الجلالة الهاشمية الحسين ابن علي كلفته الحكومة ان ينذر خطباء المساجد بقطع رواتبهم فيما اذا ظلوا مثابرين على الدعاء للسلطان حسين ، فرفض واعتزل منصبه ، فلقبتـه حينئذ الصحف الحرة بشيبة الحمد ، وملأت ما بين أعمدتها سطور الثناء عليه .

عاد عميد المجددين الى عزلته بعد الغاء وظيفته ، وعكف على مسامرة كتب العلم

وعبادة ربه معرضاً عن مظاهر الدنيا وعشرة بنيها . لكن المقادير شاءت ان تبرهن على مفاداته في سبيل المصالح العامة حتى في أواخر ايام حياته ، فقد تقلد قبيل مرض موته رياسة مؤتمر الاوقاف الاسلامية اجابة لدعوة منتخبيه الوافدين الى دمشق من انحاء قطر الشام ، مقاوماً عجز الهرم وآلام السقم بقوة عزيمته .

و بالجملة فان فقد الاستاذ البخاري ثلم يصعب سده فانه نادرة بين العلماء الدينيين فلا غرو اذا بكاه العرب والاسلام في بلاد الشام وغير الشام .

دمشق : محمد سعيد الباني

الفرق بين تربيتنا

وتربية اهل الغرب (١)

يا سيداتي

كنت أتحامى منذ سنين ان أقف هـذا الموقف على منبر المجمع العلمي لاحدثكن كما حدثت الرجال عشرات من المرات باحاديث تاريخية واجتماعية وأدبية . ذلك — لاني كنت أفضل ان تتولين بانفسكن محاضراتكن لعلمي بان السيدات أعرف بما يصلحهن من الرجال يستطعن الوقوف على الروح النافع في ثقافتهن ، ومع هذا فقد اكتفيت في بادئ الامر بمن رجوته من شيوخ اعضاء المجمع وغيرهم ان يحاضركن الحين بعد الآخر ببعض ما يروقكن من الموضوعات وأسفت ولا أزال آسفاً لانه قلَّ منكن الآنسات والعقائل اللائي تفضلن فألقين على مسامعكن محاضرات على مثال محاضرات الرجال . وقد وعدني هذه المرة معظم إخواني أعضاء المجمع بان يتولوا بعد الآن القاء محاضرات عليكن متنوعة الأساليب بحسب اختصاص كل واحد منهم واعترفوا معي بانهم قصروا بخدمتكن في السنين السالفة فحصروا وكدهم في محاضرات الرجال وكان الاولى ان نقسم هذه العناية بين الجنسين . وعسانا لا نقصر في هذه السبيل وأعود فألح ان يتقدم بعض فضليات السيدات لالقاء الافكار التي يرين فيهـا فائدة لجنسهن اللطيف . والمجمع مستعد بان يفسح لهن المجال ليقلن ما شئن من الموضوعات الادبية والاجتماعية والاقتصادية والبيتية ليساعدن بنات جنسهن على النهوض والترقي وهذا فرض على أعناقهن لا يقوم به سواهن .

مما أخر الشرق ان المرأة لم ينظر اليها نظر العناية الا في العصور الاسلامية الراقية . فلما انحطت الامة عادت المرأة الشرقية سيرتها الجاهلية الاولى وغمطت حقهـا من الحياة الراقية ولم تعد لها ادنى مشاركة في الاعمال العقلية . وبذلك زاد المجتمع الاسلامي

---

(١) من محاضرة للسيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي ووزير معارف دولة سورية القاها على السيدات في ردهة المجمع يوم الجمعة في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩٢٨ و١٩ جمادى الاولى سنة ١٣٤٧ .

انحطاطاً لان نصف اعضاء المجتمع وهم النساء لم يربين التربية الاجتماعية اللازمة · حقاً ان الشريعة السمحة اذا اعطت المرأة حقوقاً ترفع من شأنها فان القائمين على تنفيذ الشرائع وهم الرجال لم يضعوا المرأة في المكان اللائق بها حتى آل الامر لان يعتقد كثير من المغفلين ان النساء اداة من ادوات البيت تستخدم في بعض الأغراض والأهواء وليس لها وظيفة غير ذلك · تشرى وتباع بحسب رغبة الرجل وارادته فقط تعطى وتمنع على الهوى ·

وكأن ارادة المولى تعلقت ان تبدو شعلة ترقي المرأة من بلاد الغرب بعد ان اشرقت زمناً طويلاً في هذا الشرق فأخذ البنات يتعلمن كالفتيان ومضت الأجيال والمرأة تنافس الرجل هناك في التعلم والعمل حتى استرجعت بعض حقوقها المهضومة وفاقت الرجال في كثير من الأعمال بقدر ما تسمح لها حالتها ووقتها وطبيعتها ·

واذ قد اصبح الغرب مدرسة العالم كله وكانت مدنيته ارقى المدنيات دعتنا الحاجة المبرمة لان نقتبس منه كل ما قام به امره واستقامت رغائبه بقدر ما ينطبق مع عاداتنا وتقاليدنا ويتلاءم مع هوائنا وسمائنا · ولكل أمة مقدساتها ومشخصاتها اذا زهدت فيها تذهب مسحة كمالها وجمالها ·

حقيقة ان المرأة مقصرة في هذه البلاد عن بلوغ شأو النساء في الامم الراقية اليوم قصوراً مخجلاً كان علة العلل في وضعنا بكل نقص ورمينا بكل كبيرة ولكن الذنب ذنب الرجال لا ذنبها · هي ضعيفة واغتصبها القوي حقها ونظر اليها غير نظر الغربي للنساء بل غير نظر الاسلام اليها ولكن هذا التقصير يجب ان يداوى وهذا النقص يجب ان يسار به نحو الكمال ·

ولم ار في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

تعرفت في الشهر الماضي في القطار من بروكسل الى باريز بآنسة في نحو الثلاثين من عمرها وهي ابنة احد اساتذة جامعات البلجيك ومن اعضاء مجمعها العلمي فذكرت خلال الحديث اسفها لكونها لم تتعلم التعليم العالي لان اباها لا يقول بتعليم النساء العلوم العالية بل ان يقتصر في تعليمهن على التعليم الابتدائي علماً منه بان الاخذ في العلوم العالية من الامور البديهية التي لا يحتاج تحقيقها الى مناقشة فكيف يقول والدها بغير هذا القول ومكانته مكانته من العلم والتجارب ·

فقلت للسيدة ان اباها على حق في رأيه لانه شاهد اقبال النساء في بلاد كم على تلقف العلم العالي نخاف ان يؤدي الحال بالنساء لان يخرجن عن المنزلة التي وضعتهن فيها الفطرة او الطبيعة لان للمرأة واجبات شاقة غير واجبات الرجل ربما اخرجها التعليم العالي اذا كثر الاقبال عليه عن القيام بها وصرف وجهتها الى مواطن أخرى من الحياة تقل فيها الفائدة ويظهر العجز . وهناك تتزعزع اركان المجتمع وتنهار دعائم المدنية والقومية .

ولكن هذا الكلام اذا صح عن بلاد البلجيك وليس فيها من لا يقرأ ولا يكتب من الرجال والنساء فلا يصدق على هذا الشرق القريب وقلّ فيه جداً عدد المتعلمات ومن درسن العلوم العالية اندر من الكبريت الأحمر ولا اثر لهن . فاذا كان الافراط في تعليم المرأة العلوم المختلفة العالية اصبح شيئاً مرغوباً عنه في ارقى بلاد الغرب وهو الصواب فان التفريط في عدم تهذيب المرأة حتى التهذيب البسيط شيء مرغوب فيه كل الرغبة . والشيء يرتفع ثمنه لندرته ويرخص في القيم وتزهد فيه النفس اذا زاد عن الحاجة عدده فابتذل .

الحياة ميدان جهاد بين الناس لا يختلف فيه ذكر عن أنثى ولا اسود عن ابيض ولذلك رأينا الغرب لما تمت ادوات ترقيه قامت المرأة تغالب الرجل فتغلبه او تكاد . لانها نافسته في المعامل وفي المخازن وفي الحقول وفي الاستخدام فمعظم الفنادق والمطاعم والمقاهي والاندية والمصارف وبيوت التجارة هي بايدي النساء نافسن فيها الرجل فغلبنه وجدلنه بل اخذن ينافسن الرجل في المستشفيات من تمريض وتطبيب وفي المعامل الكيماوية بل وفي التأليف والصحافة والكتابة والمحاماة والحساب . فتآليف النساء في الغرب كثيرة جداً وكلامهن في النظم والنثر مقبول اكثر من كلام الرجال والمحاميات عن قضايا الناس موفقات ببلاغتهن وجرئتهن اكثر من الرجال والصحافيات نافذات الكلم مؤثرات في الاحزاب والنواب ، و بلغ بهن الترقي هناك ان كان منهن النساء الطيارات والغواصات وما ادري اي صنعة من الصنائع في الغرب لم تشارك فيها المرأة الرجل ولم تسر معه جنباً الى جنب سير المثيل للمثيل .

بل ان السيدات في بعض البلاد قد نلن حقوقهن في النيابة عن أممهن وقمن بهذا الواجب على مايقتضيه وما زلن مجدات ليأخذن جميع حقوقهن التي سلبها الرجل منهن

بقوته منذ الازمان الهمجية الاولى · وانتهز الرجل فرصة جهل المرأة فاشتط في اغتصابه حق غيره وادعى الارجحية والاولية · شأن القوي مع الضعيف في كل عصر ومصر ·

اذا عرفنا كل هذا فمن الحق ان يقال ان المرأة الغربية ظلت قروناً وهي تقاوم الرجل في نيل حقوقها ولم يتيسر لها بلوغ هذا المبلغ من الترقي حتى جاءت عدة بطون كان كل بطن ارقى من سالفه فاذا رأينا نحن ابناء هذا العصر نهضة المرأة الغربية ومايصدر عنها من اعمال عظيمة لاينبغي ان تأخذ منا الدهشة مأخذها وان نذهب الى ان هذا مما تم على ايسر حال وما هو في الواقع الا ابن الأجيال الطوال · فقد سئل احد رؤساء الجامعات في اميركا ماهذا الذي وصلتم اليه من درجات المدنية فأجابه انه نتيجة بضعة بطون ارتقت كان كل بطن يأتي اقدر ممن سبقه وهكذا حتى تكونت جراثيم الترقي على ما رأينا في هذا العصر فمدنيتنا مجموعة جهود وعمل بطون كثيرة في شتى القرون ·

من طبعنا معاشر الشرقيين ان نطلب في الحال إتمام العمل على اي صورة كانت من النقص الظاهر ومن طبع الغربيين ان يتموا العمل على ما يجب ان يكون · ولذلك نرى كل يوم الفرق بين صناعاتنا وصناعاتهم وعلومنا وعلومهم واعمالنا واعمالهم وان الاختلاف بين الشرقيين والغربيين بعيد يكاد يكون على مثال المسافة المحسوسة بين المشرقين والمغربين · نعم من طبعنا ان نتعجل الشيء قبل اوانه ومن تطلب الشيء قبل اوانه عوقب بحرمانه ·

فالمرأة الغربية كما قلنا هي في تمدنها هذا ابنة قرون طويلة ونحن اذا جئنا نقلدها في كل شيء نخطيء خطأ شديداً لان المرأة هناك جرت على سنة النشوء والتكامل · وبديهي اننا لا نستطيع ان نرتجل تربية خاصة لامة نرى الفرق محسوساً بين عقليتها وعقلية غيرها · نحن الآن نحتاج الى ان نأخذ من اوربا في تربية نسائنا ان يكنَّ على شيء من الصبر والثبات اولاً وان يتعلم ما امكن جميع النساء التعليم الابتدائي وقليل منهن يتعلمن بحكم الطبيعة والحاجة التعليم الاوسط او العالي وان تعمل كل امرأة واجبها نحو ابيها وأمها وزوجها واولادها · ولكن الوصول الى هذه الدرجة نحتاج الى ان نعمل له ثلاثين سنة أخرى على الاقل وان نقوم الطبقة المثلى منكن تجتمع ونفكر ونقدر ونقرر وننفذ فما حك جسمك مثل ظفرك · نعم يجب اعتماد النساء في نهوضهن على عملهن الخاص واجتهاد افراد منهن فقد تركن الحبل على الغارب واتكلن على الرجل في كل شيء فأصبح الاتكال لهن خلقاً انسن به ولم يعهدن

بتكرنه فضاعت مع الزمن بعض مزايا كانت مغروسة في بنات حواء واصبحت وظائفهن محصورة في دائرة ضيقة وتزيد ضيقاً كلما كان الرجال يجورون عليها وينحط المجتمع حتى بلغ ضعف العقول في الرجال ان اسقطوا انفسهم واسقطوا معهم شركاء حياتهم بتحكمهم البارد وآرائهم التي لا مبرر لها من شرع وعقل ·

اعود فأقول ان في المدنية الاوربية ياسيداتي عيوباً كما فيها حسنات فحسناتها اكثر من ان تعد ولكن لما كانت هذه المدنية اميل الى الماديات جاءت فيها نقائص ارجو ان لا نقتبسها ولا ان نأخذها بدون قيد ولا شرط فقد طمست الفضائل في فابها بكثرة اختلاط الجنسين في المعامل والمصانع والمحال العامة ففسد نظام الأسرة وقلّ النسل · وعلماء الاجتماع والاخلاق في اوربا واميركا اليوم ينادون بالويل والثبور ويحاذرون مما اصاب المجتمع الغربي ويصيبه بسبب هذا النقص والرجاء معقود ان لا تدخل الينا هذه العادات التي مااستولت على أمة الا وافسدت نظامها وقربت اوان انحلالها ·

فالواجب على مجتمعنا اذاً ان يأخذ عن الغرب ماينطبق مع تقاليده وعاداته في الجملة يأخذ النقاوة ويرمي بالنفاوة · ولا يتقيد كل هذه القيود ولا يفلت كما هو الحال هناك من كل قيد ، ومن العادات ما لو دخل في مجتمعنا لزاد شره المستطير اضعافاً ، وتعجبني ابيات حافظ ابراهيم في الحجاب وفيها التوسط المقبول المعقول :

انا لا اقول دعوا النساء سوافراً	بين الرجال يجلن في الاسواق
يدرجن حيث اردن لا من وازع	يحذرن رقبته ولا من واقي
يفعلن افعال الرجال لواهياً	عن واجبات نواعس الأحداق
في دورهن شؤونهن كثيرة	كشؤون رب السيف والمزراق
كلا ولا ادعوكم ان تسرفوا	في الحجب والتضييق والارهاق
ليست نساؤكم حلىً وجواهراً	خوف الضياع تصان في الاحقاق
ليست نساؤكم اثاثاً يقتنى	في الدور بين مخادع وطباق
تتشكل الازمان في ادوارها	دولاً وهن على الجمود بواقي
فتوسطوا في الحالتين وانصفوا	فالشر في التقييد والاطلاق
ربوا البنات على الفضيلة انها	في الموقفين لهن خير وثاق

وعليكمو ان تستبين بناتكم   نور الهدى وعلى الحياء الباقي

نعم ياسيداتي خير الامور الوسط والواجب على كل رجل وعلى كل امرأة ان يقوم بواجبه على ما يجب وبقدر ما يجب في الحين الذي يجب وان يجعل نصب عينيه اولاً الغرض الاسمى من التمدن . فالعفة كنز ثمين يرجو كل عاقل ان لا يسلب منا ، فقد اتفق لنا في الادوار السالفة والخالفة ان كنا من العفاف على جانب تحسدنا عليه الامم وكنا متمدنين عاملين ولنا دول خضع لسلطانها اهم اجزاء العالم وكنا حملة العلم والآداب ودعاة فضائل واعمال . وكان من نسائنا المجاهدات والممرضات والعالمات والمحدثات والمقرئات والاديبات وكن يشاركن في كل خير فقد رأينا قسماً مهماً من مدارس دمشق القديمة من وقف ربات الخير من النساء فلو لم تكن لهن ثقافة عالية هل كن يفكرن في مثل هذه المبرات ؟ .

ليس في الاديان السماوية كلها ما يعوقنا عن المضي في سبيل التعليم والتربية وهذه اول درجة في سلم ارتقاء البشر فنحن في نهوضنا لانلام اذا طبقنا النقل على العقل وشريعة هذا السواد الاعظم في ديارنا مرنة تطبق في كل عصر ومصر اذا كانت ايدي القائمين بالامر رشيدة حاذقة بعيدة عن الجمود والجهل المميت . قلت في محاضرة الاسبوع الفائت ان سر مدنية الغرب دؤوب دام قروناً مطرد الاوائل بالاواخر ونظام نافذ لا يرحم من لا يعمل ولا يبقي على جاهل وضعيف . الغربي يحتفظ بالقديم ويتهالك في اقتباس الحديث . والشرقي جمد على قديمه وقلما تحدثه نفسه ان يأخذ الحديث الا بحيطة شديدة وبطء مؤسف حتى بلغ به ضعف المدارك ان اصبح يجادل في البديهيات من غير استحياء واذا جئت تنظر في الهمم والمضاء بين الشرقي والغربي فهناك جماع فضائل الغربي وهناك ينقطع الشرقي ويتفاوت البون بين الخلقين والجيلين .

هناك يفنى الفرد في المجموع وهنا يعبث الفرد بالمجموع ويحق ما قال بعضهم الغرب هو التسلط على الطبيعة بالعمل ، والشرق هو استثمار الانسان للانسان وقد جود حافظ في التنظير بيننا وبين الغربيين فقال :

شمسهم غادة عليها حجاب   فهي شرقية حوتها الخدور
شمسنا غادة ابت ان توارى   فهي شرقية جلاها السفور
جوهم في تقلب واختلاف   غير ان الثبات فيهم وفير

جونا ثابت الجواء ولكن ليس فينا على الثبات صبور
ولديهم من الفنون لباب ولدينا من الفنون قشور
فاذا ماسألتني قلت عنهم امة حرة وفرد اسير

كانت الممالك تقوم عندنا بالافراد النابهين من الحكام اذا ذهبوا انقطعت اعمالهم وممالك الغرب تقوم بالجماعات اذا هلك الفرد لا يكاد يشعر به و يأتي بعده من يتناول عمله فيتمه ولا يخطر بالبال ان ذلك مما تتأذى به عزة نفسه لانه سار على سنن من تقدمه فالغرب اقرب الى تسلسل الفكر او قل هو اقرب الى القانون والشرق مضيعة للتسلسل وربيب الفوضى . اذا قيل ان مدنيتي الغرب مادية صرفة لا شأن فيها للمعنويات فمدنية الشرق مغموسة بالمعنويات والشأن فيها للماديات قليل او هو فيها امر ثانوي لا يؤبه له يقال ان ماديات مدنية الغرب اكثر من معنوياتها فهذه للاولى تبع ومعنويات المدنية الشرقية اكثر من مادياتها وزادت ضعفاً على ضعفها في العهد الاخير فأصبحت ضئيلة في معنوياتها وماديانها . والماديات السلم الموصل الى بلوغ كل قوة . واي معنويات تبقى لمن تجرد من المادة وهل من غناء للضئيل في المجتمع كالقوي .

ومن الانصاف ان يقال اننا بقدر ما نرى في المدنية الحديثة من فضائل نرى فيها ما يقابلها من رذائل ولكن الفضائل تربو على غيرها كثيراً . فالامثل بقومنا ان يقتبسوا الخير و يغضوا الطرف عن الشر . ولو عقلنا لما سرنا الا على هذا المنهاج ولتألفنا ملياً قبل ان نطرح عاداتنا ونقتبس غيرها . اتت اوربا بهذه المدنية الساحرة فانتفعت بعملها الانسانية جمعاء و يغتفر النقص القليل فيها في جنب ذاك الكمال . ولا نقول الكمال المطلق لانه لا يرجى ان يكون في هذا البشر ولا وقع في عصر من عصور التاريخ الذي انتهى الينا .

اخترعت اوربا اموراً خففت بها امراض الانسان . واخترعت اموراً تعجل في ازهاق روح الانسان . ونظنها في الاولى انفع منها في الثانية . اخترعت ادوية قللت من عدد الوفيات كعلاج الجدري والحميات والاوبئة والامراض الزهرية والكزاز (تيتانوس) والخناق والنقرس الحاد . و كثرت بالمدنية امراض السرطان والسل واوجاع القلب والكلى والامراض العصبية والعقلية . وكان معظم انتشار هذه الامراض من

ازدحام السكان في بقعة واحدة ومن رغبة الفلاحين في مغادرة القرى الى المدن واتخاذها سكناً . فالمدن في الغرب يزيد كل سنة سكانها بمن يهاجر اليها خاصة من القرى لانهم يذهبون الى ان العيش في المدن ارفه واربح .

رأى القرن التاسع عشر البخار والكهرباء ومنهما نشأت اكثر ادوات هذه المدنية الحديثة ، فكان من ابرك القرون على الانسانية . واخترعت امور في الطب والجراحة خففت من ويلات الطواعين والاوبئة والامراض الوافدة ولكن بدأ فيه استعمال المورفين ثم تبعه الكوكايين والهيروين وكل ما فيه داء دفين وكثرت السموم من المشروبات الروحية فأضرت بالعقول والاجسام . ورأى القرن العشرون انواعاً من الاختراعات فعرف الراديوم واخترعت الطيارات والسيارات والغواصات الى غير ذلك مما فيه خير كثير وشر قليل . وليس في العالم خير محض ولا شر محض .

يقول رجال الطب والصحة ان هذه الحياة الشديدة والنشاط المتواصل والحرص الذي استولى على النفوس سيؤدي بالمدنية الحاضرة الى الهلاك ويقضي على العناصر والشعوب ويقلل ايام الحضارة . ذلك لان اهوية المدن مشبعة بالغبار والغازات الضارة وقليل اوكسجينها . وفي هذا المحيط القذر تكثر الامراض وتنتقل من السقيم الى السليم بسرعة ويكثر الفحش والمسكرات والموبقات . فكأن معظم هذه العيوب خاصة بالبلاد الصناعية . وللصناعة ادواء كما لغيرها من اعمال الناس . وكيف تجود الصحة مثلاً في مدن لم يكتف اهل الغرب ان يبنوا على سطحها بل اخذوا يبنون بيوتهم في جوها . فالبيوت ذات الستين والسبعين طبقة في نيو يورك مثلاً اصبحت من الامور العادية وقد قدروا عدد السكان في كل كيلومتر واحد من هذه المدينة العظيمة فبلغ مائتي الف ساكن . واما البنايات ذات الطبقات العشر في اوربا فهي من السذاجة بحيث لا تحتاج الى بحث ولا نظر ولا توجب دهشة ولا استغراباً .

ثم ان الصناعة في الغرب قللت من رغبة الناس في الزواج لان العاملة لا تستطيع ان تكون ربة بيت وهي تعمل طول نهارها وجزءاً من ليلها في المعمل والمصنع فقلت المواليد في فرنسا اولاً فنزل معدلها في مئة سنة من ٣٥ في الالف الى ١٨ ثم أصيبت بهذا النقص ايضاً بريطانيا العظمى والمانيا وايطاليا والولايات المتحدة ثم اوستراليا ثم سويسرا وهي من

البلاد التي بلغت فيهــا المدنية ارقى درجاتها · وتعذرت الحياة المرفهة على الناس فأخذ الكثير من اهل المدن لايفكرون في الزواج واذا تزوجوا ارتكبوا كل منكر ليفسدوا طرق التناسل و يصابوا بالعقم على العمر · اعرف عشرات من الرجال المذكورين في مجتمعهم وقد بلغ بعضهم سن اليأس فلم يتزوج اي بلغ الشيخوخة ونحو العشر الآخر أولد اولاداً والتسعة الاعشار الثانية عاش اربابها عقماء · وربما يتبادر الى الذهن ان اهل الغرب اذا تزوج كل من كان منهم في سن الزواج زادوا ضعفين اوثلاثة عما هم الآن · وهذامعقول ولكن أكانت بلادهم تؤو يهم وتطعمهم ؟ ام كانوا يهاجرون بحكم الطبيعة الى آسياوافريقية و يعمرون الاصقاع الغامرة منها · ولعلهم يفعلون ذلك في مستقبل الايام خصوصاً اذا عالجوا مسألة التناسل بعد ان عرفنا ان معظم الامم الاوربية اصبحت لاتزيد مواليدها الا قليلاً ·

حدثني الاستاذ مرجليوث ان عدد النساء في انكلترا اليوم يزيد على عدد الرجال مليونين وهذا من المعضلات الكبرى في حياة الانكليز · وانا اقول ان ذلك اخرجهم عما كانوا معروفين به من الصيانة · ولقد كان من المشهور ان انكلترا اقل الامم الغربية الكبرى فساداً واقربها الى الاخلاق الفاضلة ولكن الحرب العامة كشفت الحجاب عما كان مستوراً بعض الشيء وزاد في العهد الاخير سوءاً فأخذت المرأة في انكلترا تستمتع بحرية ما كانت لها وكادت حال البلاد البريطانية تشبه في هذا الباب حالـــ فرنسا والمانيا وايطاليا واميركا ·

وبعد فان علة العلل في الشرقي انه لايتعلم صناعة فيتقنها بل يقف عند شفير الوادي منها لاتحدثه نفسه ان يخصي فيها اخصاء الغربي وان يرقى بها الى القمم · وكل مركز مصنع تطال اليه صاحبه بدون ان يعد ادواته يسقط من حيث يريد الصعود · والتلفيق لايكون كالتحقيق مهما طليته بطلاء ظاهر وحليته بما تراه جميلاً من حلل · واذا الشيء لم يأخذ من نفسك لا تبرّز فيه ·

وعلى الجملة فان حسنات الغرب في باب العمليات أعود عليه من حسنات الشرق على مايظهر فانها هنا تجمد عند حد الانظار او النظريات ·

انتهى المنقول من كلام طويل القيته على الرجال في الاسبوع الماضي · بقي ان اقول ان

السعادة لا تدخل بيوتنا حقيقة الا اذا تعلم النساء وتهذبن التهذيب العصري الممزوج بآدابنا الاصلية وكل شيء موقوف على العلم ، فقد شهدنا اثره في كل بيت وفي كل عمل . ولكم رأينا الفرق محسوساً بين بيت درست ربته بضع سنين في مدرسة بسيطة وبين دار سيدة لم يكتب لها ان شغلت عقلها بالدرس ولا قلبها بالتعلم . عصر الأمية القفي والامية من أعظم عيوب هذه الديار واول نقص تجب معالجته . وبالامية انتشرت فينا أمراض أقلها مايهلك أمة باسرها . وبالامية ولاسيا بين النساء شقيت أمتنا قروناً فكانت في مؤخرة الامم المنحطة حتى أصبحوا يتهموننا في الغرب ضروب التهم . بل أصبح الرجل منا اذا جرى حديث المرأة الشرقية لايعرف كيف يتخلص من بحث هذا الموضوع اذ يجد أمامه شوكاً وعوسجاً يصيب رجليه و يديه ووجهه فيرتبك في امره .

سيداتي أخاف ان أسترسل على هذا النحو في محادثتكن وأخاف ان أكرر الحديث لئلا أدخل السآمة على نفوسكن . فالحديث المعاد بارد والكلام في بديهيات المسائل ابرد . ولولا انكن من طبقة الدارسات ومن ربات بيوت معروفة بالعلم والتهذيب لما جسرت ايضاً ان أحدثكن هذا الحديث . وغاية ما يرجوه كل من يحب أمته ان يقوم كل فرد بواجبه قولاً وفعلاً ظاهراً و باطناً وبذلك تستقيم أحوالنا .

قرأت امس في كتاب جديد لعالم عربي اغترب كثيراً في بلاد الغرب وقابل بين أمتنا وبين الامم الاخرى نبذة مؤثرة وصف فيها العرب قال : « عرف عنا نحن العرب انا ميالون الى التطرف في كل شيء ، الى تضحية النفس والى الأنانية الزائدة الى الحب العذري والى التهتك ، الى الصداقة النادرة والى الحقد اللانهاية له ، الى التأله والى الشغف بالماديات ، الى الديموقراطية الحقة والى عبادة الشخصيات البارزة ، الى الاعتداد بالنفس وشدة الاعتماد عليها ، والى سرعة اليأس والسقوط في القنوط عند اول صعوبة نجدها في طريقنا ، وبعبارة أخرى ان في الامة العربية قوى عظيمة تارة تدفعها الى أشرف الاعمال وطوراً الى أسفلها وأخسها » .

قال وسبب ذلك على مايظهر له ان هذه الامة العظيمة الذكية العاقلة على الاطلاق تعيش وتتمسك بعواطفها القوية اكثر مما تعيش وتتمسك بعقولها وتسير في حياتها واعمالها اليومية بقوة المصالح الشخصية التي لا تترك سبلاً للحصول عليها الا طرقته . هذا تاريخنا

يشهد علينا اننا قوم ذوو ذكاء ومقدرة على الاعمال وذوو نظر بعيد ولكننا سراع التأثر ضعاف قوة التوازن . وسرعان ماتقع في اليأس ان اصابتنا مصيبة وان اصابتنا حسنة اخذتنا سورة الفرح وكدنا نفقد رشدنا . قال وهذا الحكم ينطبق على الافراد والجموع ويجري على كبيرنا وصغيرنا وعالمنا وجاهلنا الا مانذر .

وانا أقول ان في هذا الحكم القاسي شيئاً من روح الحق والانصاف ، بيد ان هذا الخلق الماثل في كل طبقاتنا لا سبيل الى معالجته الا من طريق الام ، فالام مدرستنا والام مرشدتنا ، والام عمدتنا في نهضتنا ، والام سلوتنا في خلوتنا وجلوتنا ، وعليها نعقد كل الآمال في جميع الاعمال . اما هي فعليها تبعات ومسؤوليات ، واجبها كثير ، وبيدها مفتاح كل خير ، ولو صحت نيتها ان تدفعنا شوطاً الى الامام لكان لها ذلك ، لانها متحكمة في كل شيء ، مؤثرة في المجتمع ، تلبسه متى أحبت الصورة التي تستحسنها فقد قال الرصافي :

ولم أر للخلائق من محل ... يهذبها كحضن الامهات
فحضن الام مدرسة تسامت ... بتربية البنين او البنات
واخلاق الوليد تقاس حسناً ... باخلاق النساء الوالدات
وليس ربيب عالية المزايا ... كمثل ربيب سافلة الصفات
وليس النبت ينبت في جنان ... كمثل النبت ينبت في الفلاة

فصح وشوارد

أَثْمَرَت الشجرة : خرج منهـا الثمري · قال ابو حنيفة يقال لمثل ما كان من شجر القثاء والبطيخ ثمري كما يقال لشجر الحنظل · واستثمرت الشجرة : كان لها ثمري ·

وسوّط الكرّاث : اخرج سياطه وهي قضبان الكرّاث التي عليها زماليقه ·

وعلَّف الطلح وأعلف : خرج عُلَّفُه وهو ثمر الطلح يشبه البـاقلاء الغضّ يخرج فترعاه الإبل الواحدة عُلَّفَة ·

وأزمعت الحبَلة : عظمت زممتها والزمع عُقد تكون في مخارج عناقيد الكرم ·

وشكرت النخلة : خرج منها الشكير وهو فراخ النخل ·

وأغصنت الشجرة : أنبتت اغصانها · وعسلجت : اخرجت عساليجها · والعُسلُج والعُسلوج والعِسلاج : ما لان واخضر من قضبان الشجر والكرم اول ما ينبت ·

وعذق الإذخر : صارت له عذوق وشعب · والعذق كل غصن له شعب · وشكرت النخلة : كثر شكيرها ·

واستأرض الفسيل : صار له عرق في الارض · وعرّق الشجر وأعرق وتعرّق واعترق واستعرق : امتدت عروقه في الارض ·

وليّفت الفسيلة : غلظت وكثر ليفها ·

ولَثِيت الشجرة تلثى لثىً : خرج منها اللثى ونديت فهي لثِية قال ابو عمرو اللثى ماء يسيل من الشجر كالصمغ فاذا جمد فهو صمرور · وتلثى الشجر : سال منه اللثى · واصمغ : سال منه الصمغ ·

واغثر الرمث : سال منه المغثور · والمِغثر والمِغثار والمُغثور شيء ينضجه الثام والعشر والرمث مثل الصمغ وهو حلوٌ كالعسل يؤكل وربما سال لثاه على الثرى مثل الدبس وله ريح كريهة ج مغاثير و يبنون منه فعلاً فيقولون تمغثر الرجل اي اجتنى المغثر ·

وعشب المكان : نبت عشبه فهو عاشب · وعشبت الارض : نبت عشبها وكذا عشّبت وأعشبت · وأبشرت : اخرجت بشرتها اي ماظهر من نباتها · وأبقلت : انبتت البقل · وألحست : انبتت ماتلحسه الدواب · وألمت : صار فيها لمة من الكلأ ·

وأذرقت : انبتت الذُرَق وهو الحندقوق · واصغرت : صار نباتها صغيراً ·
وقد تموَّه المكان اي صـار مموَّهاً بالبقل · وأثغم الوادي : انبت الثغام وهو شجر ابيض الزهر والثمر كأن جماعتها هامة شيخ · واحدته ثغامة · قال الشاعر يخاطب نفسه :

أعلاقة امّ الوليـد بُعَيد ما   افنان راسك كالثغام المخلس

وأبهمت : انبتت البُهمي — وكثر بهماها والبهمى نبات يشبه الشعير ولعله المسمى عند بعض العامة بالشيفون · وبدرت : صارت ذات بداقر اي كمأة وتراب ·
واحقلت : صارت حقلاً · واحاجت واحيجت : انبتت الحاج وهو الشوك ·
وادرمت : انبتت الدرماء وهي نبات احمر الورق ·
وربَّلت واربلت : انبتت الربل وهو نبات شديد الخضرة ·
وارطت : اخرجت الارطي وهو شجر نوره كنور الخلاف وثمره كالعنّاب واحدته ارطاة ·
وارغلت : انبتت الرُغل وهو نبت · واشاحت : انبتت الشيح ·
واغفرت : نبت فيها شيء من الغفر وهو نبات ربعي ينبت في السهل والآكام كأنه عصافير خضر قيام اذا كان اخضر فاذا يبس فكأنه حمر غير قيام ·
وأضيَلت وأضالت : انبتت الضال وهو من السدر ما كان عذباً وقيل السدر البري — وشجر آخر ·
وألمَّت : انبتت اللُماع وهو نبت ناعم في اول ما يبدو الواحدة لُماعة ومنه « انما الدنيا ساعة · ومتاعها لماعة » اي قليل البقاء كالنبت الأخضر ·
وأقصَّت : انبتت القصيص وهو نبت ينبت في اصول الكمأة وقد يغسل بمائه الراس وفي اللسان القصيصة شجرة تنبت في اصلها الكمأة ويتخذ منها الغسل ·
وأقحت : انبتت الاقحوان وهو نبات له زهر ابيض في وسطه كتلة صغيرة صفراء واوراق زهره مفلجة صغيرة يشبهون بها الاسنان ·
ونشرت : انبتت النشر وهو الكلأ يبس فأصـابه مطر دُبر الصيف فاخضر وهو رديء للراعية يهرب الناس منه باموالهم ·
وظفَّرت : اخرجت من النبت ما يمكن احتفاره بالاظافر ·
ودغلت : صارت ذات دغل (الاساس) والدغل هو الشجر الكثير الملتف — واشتباك

النبت وكثرته . وأدغلت : كثر دغلها . واستكلأت : صارت ذات كلأ .

واقصبت : كان فيها قصب . واقضبت : صارت مقضاباً اي تنبت القضبة كثيراً والقضب كل شجرة طالت وسبطت اغصانها — وشجر تتخذ منه القسي — والقت .

وجرزت واجرزت : صارت جُرُزاً وهي الارض أُكل نباتها او قُطع .

وضربت : كان فيها ضربة وهو ما يتجبر (يخضر ويورق) من العشب والشجر بعد اليباس .

وأفقلت : صارت ذات فقل أي ريع تقول هذه ارض كثيرة الفقل .

وأورست : صارت ذات ورس وهو نبات كالسمسم اصفر يزرع باليمن و يصبغ به و يتخذ منه الغمرة للوجه فاذا جف عند ادراكه تفتقت خرائطه فينفض فينتفض منه الورس .

ويقال تعممت الآكام بالنبت اي ظهر عليها كالعامة .

واكتنست الارض : تمّ نباتها والتف حتى كأنها لبسته .

وقد أراض الله الارض اي جعلها رياضاً .

وأدلست الارض : اخضرت بالأدلاس والدلس نبت يورق آخر الصيف وقيل بقايا النبت والبقل ج أدلاس . وابهجت : بهج نباتها . وجنّت وتجننت أخرجت جنّها اي زهرها ونورها .

وقد اعشوشبت اي كثر عشبها . وحطبت : كانت كثيرة الحطب . ومثله احطبت قال الشاعر :

وادٍ حطيبٌ عشيب ليس يمنعه من الانيس حذارُ اليوم ذي الرَّهج

وبرّضت وابرضّت : كثر بارضها وهو اول ما تخرج الارض من نبت — ونبت الارض .

وأجبأت : كثرت جبأتها وهي الحمر من الكمأة قال ابن احمر : الجبأة هي التي الى الحمرة ، والكمأة هي التي الى الغبرة والسواد ، والفقعة البيض وبنات أوبرَ الصغار .

وأجنت : كثر جناها وهو ما يجنى من الشجر مادام غضّاً — والرُطب .

وأحشّت : كثر حشيشها او صار فيها حشيش . وأخمرت : كثر خمرها وهو ما واراك من شجر . وأخلت : كثر خلاها وهو الرطب من النبات . وادغلت : كثر دَغلُها .

« النبك » : سالم خليل رزق

آراء وافكار

كتابة الهمزة

جال بخاطري ان اكتب هذا المقال وانا أدرّس طلاب اللغة العربية كتابة الهمزة ، اذ ذكرت الصعوبات التي كنا نصطدم بها ابان التلمذة عند درسها ورأيت بام عيني الجهود العنيفة التي يبذلها اليوم التلامذة للوقوف على كنههـا والتوصل الى كتابة كل همزة دون خطأ .

ان معرفة كتابة الهمزة تقتضي معرفة ما ينيف على عشرين حالة : فالهمزة في بدء الكلام لها اصول تختلف عن الاصول المتعددة التي لها في الحشو او الطرف . ولا اورد هنا القواعد كلها خشية الملل فأذكر الامثال الموضوعة التي تمثل أنواع تلك القواعد في كل مثل تكتب الهمزة على شكل مختلف .

أمثلة . إصبع . لؤم . ذئب . رأس . إئذن . أؤتمنت . سأل . سئم . لَؤُم . مآب . مُؤُن . فِئَة . رؤُوف . لئِيم . يسأل . يأؤُم . بئِس . الرائي . الرأي . بقاؤُه . بقاءه . بقـائه . قراءات . جزْء . جروءَ . قرأ . صدِيءَ . نشأة . لؤلؤَة . خطيئَة . قراءَة . مروءَة . ملأى . سوءى .

هذه هي الامثال التي تمثل مختلف القواعد التي وضعهـا الصرفيون لكتابة الهمزة . فانت ترى انه يعسر على الطالب ان يجمع في ذهنه كل هذه الحالات : الهمزة في الابتداء . في الوسط . في الطرف . متحركة . ساكنة . قبلها فتحة . ضمة . او كسرة . وقعت بعد حرف مد . اوقبل تاء التأنيث . بين الالف والياء . اوغير الياء وهلم جرا . . كل هذه الامور يجب ان يفكر فيها الطالب عندما يحاول كتابة همزته دون خطأ .

لما ذا كل هذا ايهـا اللغويون ؟ ما القصد من الخط ؟ أليس القصد هو ايصال أفكارنا الى غيرنا بطريق الكتابة . فلوكتبنا مثلاً جَرُوء بهذا الشكل او كتبنا الهمزة بصورة حرف حركتها اي بصورة الالف هكذا جَرُأ . الا نلفظها في الصورتين لفظاً

واحداً . إذن لماذا لا نوحد هذه القواعد الكثيرة ونختصرها بقاعدتين فقط وهما :

اولاً : اذا وقعت الهمزة في ابتداء الكلام تكتب بصورة الالف مطلقاً .

ثانياً : اذا وقعت في غير الابتداء تكتب بصورة حرف حركة ما قبلها اذا كانت ساكنة . واذا كانت متحركة تكتب بصورة حرف حركتها .

بهذا التوحيد نكون أزلنا عقبات جمة من أمام الطلاب وكتاب اللغة العربية كافة فما رأي الاساتذة علماء اللغة والصرف في ذلك ؟ .

راضي دخيل

مطبوعات حديثة

جمهورية افلاطون

كتاب جليل الفائدة يقع بنحو ثلاثمائة صفحة من قطع الربع اهدته مجلة المقتطف الغراء الى قرائها في منتهى هذا العام (عام ١٩٢٩) وهو مجموعة كتابات فلسفية يونانية لمعلم الفلاسفة العظيم افلاطون كانت مبعثرة في كتب جمة فجمعها الكتّاب الانكليز في كتاب واحد . ثم نقلها السيد حنا خباز عن الترجمات الانكليزية .

كُتبت فلسفة أفلاطون بصورة محاورات صعبة الفهم لان الحكمة فيها ممزوجة بالشعر والفن بالعلم مزجاً يُطرب . فتجد فيها الجد مع الهزل ، والوضع مع الاستعارة ، واللب مع الخرافة ، والحقيقة الواقعة مع الأمثال الى غير ذلك من ضروب التفنن والمضادات مما يلقى فيه القارئ احياناً مالا يستطيع الى إدراكه سبيلاً فان عقول هذا العصر غير عقول ذلك العصر السحيق الذي كُتبت فيه فلسفة افلاطون .

على ان حكمة افلاطون مع ما فيها من المعميات والمتضادات بقيت ولسوف تبقى ابداً كنزاً من أثمن كنوز العالم فمسائل الشيوعية والاشتراكية وتحرير النساء وتحديد النسل والعود الى الطبيعة والتعليم الحر وغير ذلك من القضايا الفلسفية التي نحسبها اليوم من مبتكرات عصرنا تجدها جميعاً في محاورات افلاطون فوق ماتجد فيها مما يتعلق بما وراء الطبيعة والالاهيات والنظام الأدبي وفلسفة النفس والسياسة والفن وغير ذلك من الموضيع الحكمية المهمة .

اننا نشكر للسيد حنا خباز نقل هذا الكتاب القيم الى اللغة العربية ونشير الى محبي الفلسفة بمطالعته بامعان لانه يقوم مقام مكتبة كتب فلسفية برمتها .

عبد الله رعد

عضو المجمع العلمي

هدايا كتب

أهدى الى مكتبة المجمع الاستاذ الشيخ سعيد بن محمد الشريف الشهير بالزواوي الجزائري كتابين من مصنفاته ٠

(١) (كتاب الاسلام الصحيح) « وضعه على قواعد الاسلام الأصلية المتفق عليها لا المختلف فيها من غير التزام ما لا يلزم مما أحدثه بعض القوم ومن غير اعتماد مذهب دون مذهب » ٠ وقد أفرغه في قالب السؤال والجواب فقدم مباحث العقائد ثم السيرة النبوية فأصول الفقه ففروعه فمباحث أخرى مهمة مما لا يحسن بالمسلم ان يجهله كبحث المذاهب والتقليد والتصوف والولاية والكرامة والمهدي والفرق الاسلامية — كل ذلك في ١٢٣ صفحة مطبوعة في مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٥ ٠

(٢) الكتاب الثاني عنونه بكلمة (خُطَب) وقد كدّمره على بحثين البحث الاول في ما هي الخطابة وتقسيماتها والخطباء المشهورين واخبارهم ٠ والبحث الثاني في ذكر طائفة من خطبه التي القاها (بحكم الوظيفة) في جامع (سيدي رمضان) بالجزائر ٠

والمؤلف معروف في دمشق منذ كان نزيلاً فيها قبيل الحرب العامة ٠ وهو من العلماء الذين يميلون الى التجديد والاصلاح الديني عن طريق الدين نفسه ٠ ولا ريب ان كتابيه من خير مايطالعه المطالعون الذين يهمهم امر دينهم ٠ وصلاح حال أمتهم ٠ كما يهمهم امر أنفسهم ٠

وأهدى الينا الاستاذ الفاضل الدكتور جورج صوايا صاحب جريدة الاصلاح وهو احد ابنائنا المهاجرين في (بوانس آيرس) الممتازين بحميتهم الوطنية — ديوانه الذي سماه (همس الشاعر) وقد قال في مقدمته : انه « نظم بعض قصائده إبان ثورات نفسيه تمر بالشواعر فتحدث فيها ارتجاجات يحاك من وقائعها كلام مرسل او موزون قد يصح ان يسمى شعراً » وضمنه « قصائد كان الاولى اتلافها انما احتفظ بها لارتباطها بتذكارات طيبة ضنّ برسومها ٠ وحوادث درست لم يُر بأس باستبقاء صداها » ٠

وقد جرى الشاعر الفاضل في أسلوبه على النمط العصري الذي اشتهر به اخواننا عرب المهجر وهو أسلوب نرحب به بشرطين : (١) ان يكون مفهوماً وهو شرط لا بد منه ٠

(٢) ان لاتخالف فيه قواعد اللغة العربية مخالفة فاحشة . وقد أعجبنا من شعر الناظم قطعة تحت عنوان (أم اللغات) قرّظ بهــا مؤلفاً وضعه باللغة الاسبانية السيد انطون الياس أثبت فيه ان اللغة العربية ام اللغات الحية . والقطعة هي هذه :

(قي — يا أعاجم — أم الـ ـلغـات مجـداً وسؤدد)
(فليس أرحب صدراً منها واكرم محتد)
(لو عاد للارض عيسى لهام فيها كأحمد)
(وبات فيهــا يصلي عيسى. كأحمدُ وحمّد)

فلله دره ما أشرف عاطفته . وأصدق لهجته . واكثر من أمثاله في ابناء الوطن العربي .

وكتاب (تلخيص السيرة المحمدية) على صاحبها أفضل الصلاة والسلام جمعها الشيخ محمد صالح احمد الخطيب الدمشقي الحنبلي . وهو كتاب صغير الحجم مدرسي الترتيب وقد طبع على نفقة (مدرسة الامينين) في مطبعة (ابن زيدون) بدمشق .

وأهدي الينا ايضاً كتاب (مختصر تاريخ سوريا ولبنان) معرباً عن الافرنسية بقلم احد الآباء اليسوعيين ومطبوعاً في مطبعتهم . وهو كتاب مدرسي مرتب ترتيباً حسناً . فنلفت اليه انظار المعلمين ومديري المدارس .

وكتاب (مختصر تاريخ فرنسا) يتضمن حوادثه منذ عهد الغالبين القدماء الى هذا اليوم مع لمحة مختصرة عن الحرب العالمية الكبرى . وضعه الاستاذ سليم يوسف خوري رئيس مدرسة صيدا الرسمية طبقاً لبرنامج المعارف العامة وهو كتاب مدرسي ايضاً فنلفت اليه الانظار .

ورواية (مصرع الباغي وخيم) مأساة ادبية ذات ثلاثة فصول وضعها السيد نصرت عبد الكريم سعيد طبعت في (المطبعة المارونية) بحلب . « المغربي »

الفهرس العام

« لما في هذا المجلد من المواد والموضوعات مرتباً على حروف الهجاء »

فهرست الاعلام

«اي اسماء كتّاب المقالات المنشورة في هذا المجلد مرتبةً على حروف المعجم»

جدول الخطأ والصواب

ورد في أجزاء هذا المجلد بعض أغلاط مطبعية نبهنا اليها فيما يلي :

جاء في ص ١٨٠ س ١ ضمنه الصواب ضمنه . وفي ص ٣٠٦ س ١٨ يارو بعي صوابها يا رو بعي الغنم . وفي ص ٣١٠ توقيع صاحب المقال هكذا صوابها (الاستانة وامق شكري) . وفي ص ٣٣٠ س ٢٢ عبد الله صوابها عبد الله . وفي ص ٤٢١ س ٤ بنجو صوابها بنحو . وفي ص ٤٢٥ س ١٢ أاده صوابها أداه . وفي ص ٤٣٣ س ٢و٣ و٤ استبدال الحروف الخ الصواب (استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية) (ومنذ استبدل الاتراك الحروف اللاتينية في كتابتهم بالحروف العربية) . وفي ص ٥٢٢ س ٣ ورأشفه صوابها وأرشفه . وفي ص ٥٢٧ س ١ باخنص صوابها باخنض . وفي ص ٥٤٣ س ٢٥ (١٦و١٨) صوابها (١٦و١٩) . وفي ص ٥٤٩ س ٢٥ بدراً صوابها بدراً . وفي ص ٥٧٥ س ١٢ في القرن السابع عشر الصواب في القرن الثامن عشر . وفي ص ٦٠٠ س ١٧ ما نقلضته صوابها ما نقتضيه . وفي ص ٧١٩ س ٩ منذ صوابها مذ .